كفاحي

مكتبة

الكتاب الرابع

رقص في الظلام

كارل أوفه كناوسغارد

ترجمة: الحارث النبهان

«ربما هو أهم مشروع أدبي في عصرنا»

راشيل كاسك - الغارديان

كارل أوفه كناوسغارد

كفاحي

الكتاب الرابع

رقص في الظلام

الكتاب: كفاحي/ الكتاب الرابع: رقص في الظلام
المؤلف: كارل أوفه كناوسغارد
ترجمة: الحارث النبهان
عدد الصفحات: 592 صفحة
الطبعة الأولى لدار التنوير: 2022
الترقيم الدولي: 978-614-472-213-8

مكتبة
t.me/soramnqraa
27 12 2024

هذه ترجمة مرخصة لكتاب
Min Kamp Fjerde Bok
by Karl Ove Knausgård

MIN KAMP. FJERDE BOK
Copyright ã 2010, Karl Ove Knausgård & Forlaget Oktober as, Oslo
All rights reserved
This Arabic text has been translated from Don Bartlett's English translation Dancing in the Dark: My Struggle Book 4 by Karl Ove Knausgaard

جميع حقوق الطبعة العربية محفوظة لدار التنوير ©

دار التنوير للطباعة والنشر

مصر: القاهرة - جاردن سيتي 2 شارع فؤاد سراج الدين (السريا الكبرى سابقًا) - الدور الأرضي - شقة رقم 2
هاتف: 0020223921332
بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com
تونس: 16الهادي خشفة - عمارة شهرزاد - المنزه 1 - تونس
هاتف وفاكس: 0021670315690
بريد إلكتروني: tunis@dar-altanweer.com

بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com
موقع إلكتروني: www.dar-altanweer.com

NORLA
The publication of this translation has been made possible through funding from NORLA, Norwegian Literature Abroad

كارل أوفه كناوسغارد

مكتبة
t.me/soramnqraa

كفاحي

الكتاب الرابع

رقص في الظلام

ترجمة: الحارث النبهان

التنوير

مكتبة
t.me/soramnqraa

انزلقت حقيبتاي تقتربان بطيئًا على حزام نقل الأمتعة في صالة المسافرين الواصلين. كانتا حقيبتَيْن قديمتَيْن من أواخر الستينيات، وجدتهما بين حوائج أمي في المستودع قبيل انتقالنا من البيت يوم أتت الشاحنة لنقلِ أمتعتنا. سرعان ما وضعت يدي على هاتَيْن الحقيبتَيْن، فهما ملائمتان لي ولذوقي: طرازهما ليس حديثًا تمامًا، وهما غير عمليَّتَيْن تمامًا. كان هذا ما أفضّله.

أطفأت السيجارة في منفضة السجائر الكبيرة عند الجدار، ورفعت الحقيبتَيْن عن حزام نقل الأمتعة، ثم خرجت بهما إلى الساحة الأمامية. كانت الساعة السابعة إلّا خمس دقائق.

أشعلت سيجارة أخرى. لا شيء يدعوني إلى الاستعجال، فليس عندي ما أفعله، ولن ألتقي أحدًا.

كانت السماء مدلهمّة، لكن الهواء لا يزال منعشًا، ولا يزال نقيًا. وكان في المشهد من حولي شيء ذو طابع جبلي، مع أن المطار الذي كنت واقفًا أمامه لا يعلو عن سطح البحر إلّا أمتارًا معدودة. الأشجار القليلة التي أستطيع رؤيتها كانت متقزّمة، مشوّهة. بياض الثلج على قمم الجبال يلوح في الأفق البعيد.

أمامي تمامًا، كان باص المطار يمتلئ بالناس سريعًا.

هل أصعد إلى الباص؟

المال الذي أقرضني إياه أبي، بعد تردّد، من أجل رحلتي لا يكاد يكفيني حتى أستلم راتبي الأول بعد شهر من الآن. وأما من جهة أخرى، فما كانت عندي أية فكرة عن موقع الفندق الشبابي الذي سأنزل فيه. لن يكون التجوّل على غير هدى في مدينة لا أعرفها، مع حقيبتَيْن وحقيبة ظهرية، بداية حسنة لحياتي الجديدة.

لا... من الأفضل لي أن آخذ سيارة تاكسي.

بقيت في غرفة الفندق الشبابي طيلة الأمسية، ولم أخرج إلّا لكي أسير مسافة قصيرة إلى كشك قريب يبيع مأكولات سريعة، حيث تناولت من طبق من الورق المقوى قطعتَيْن من النقانق مع البطاطس المهروسة. استلقيت على ظهري، واضعًا اللحاف فوقي، أستمع إلى الموسيقى من الووكمان الذي كان معي، وكتبت رسائل إلى هيلدِه، وإيريك، ولارس. بدأت أيضًا كتابة رسالة إلى لينِه، الفتاة التي أمضيت الصيف كلّه معها؛ لكني وضعت تلك الرسالة جانبًا بعد كتابة صفحة واحدة فقط، ثم خلعت ملابسي وأطفأت المصباح الذي لم يكن لإطفائه أثر كبير، لأن الليلة كانت واحدة من تلك الليالي المضيئة. تألّقت ستارتي البرتقالية في الغرفة كأنها عين مفتوحة. من عادتي أن أغفو على الفور أينما نمت؛ وأما في هذه الليلة، فقد جفاني النوم وبقيت صاحيًا. سأبدأ عملي الأول بعد أربعة أيام فقط. بعد أربعة أيام فقط، سأدخل غرفة صف في قرية صغيرة على ساحل النرويج الشمالي... مكان لم أكن فيه من قبل، ولا أعرف عنه شيئًا، بل حتى لم أرَ أية صور له.

أنا!؟

أنا شاب من كريستيانساند، في الثامنة عشرة من عمره، أنهى المدرسة الثانوية منذ أمد وجيز، لم يترك بيت أهله إلّا الآن، ولا خبرة له في أي عمل غير بضع أمسيات وبضع عطلات نهاية أسبوع في مصنع لباركيه الأرضيات، فضلًا عن شيء من الكتابة الصحافية في صحيفة محلية، وشهر واحد من العمل في مستشفى للأمراض النفسية خلال هذا الصيف... لكني موشك الآن على أن أصير معلمًا مشرفًا على صف في مدرسة في قرية ساحلية اسمها هافيورد.

لا، لا أستطيع النوم!

كيف سينظر التلاميذ إليَّ؟

ماذا أقول للتلاميذ عندما أدخل غرفة الصف من أجل الدرس الأول، ويكونون جالسين هناك، أمامي، على مقاعدهم؟

وبقية المعلمين... كيف ستكون نظرتهم إليَّ؟

انفتح باب في الممرِّ، وصدر من واحدة من الغرف صوت موسيقى، وأصوات أشخاص. سار أحدهم في الممر مغنيًا بصوت منخفض. سمعت صيحة: «أغلقوا الباب». بعد ذلك، صارت الأصوات محجوبة من جديد. انقلبت على جانبي الآخر. لا بد أن غرابة الاستلقاء في سرير تحت سماء مضيئة قد لعبت دورًا في عدم قدرتي على أن أغفو. وما إن استقرّت في رأسي فكرة أن النوم صعبٌ حتى صار مهمّة مستحيلة.

نهضت واقفًا، وارتديت ملابسي، وجلست على الكرسي عند النافذة، وبدأت أقرأ في كتاب *«حرارة ميتة»* لإيرلينغ جييلسفيك.

كان كل ما أحبه من كتب يتناول الموضوع نفسه، من حيث الجوهر. *«زنوج بيض»* لإنغمار أمبيورنسن، و*«خنافس ورصاص»* للارس سوبي كريستنسن، و*«جاك»* لآلف لونديل، و*«على الطريق»* لجاك كيرواك، و*«مفرق بروكلين الأخير»* لهوبرت سيلبي جونيور، و*«رواية مع كوكايين»* ل- م. آغاييف، و*«تمثال عملاق»* لفين آلناس، و*«لاسو حول القمر»* لآغنار مايكل، وثلاثية *«تاريخ البهيمية»* لجيمس بيورنيبو، و*«جنتلمانات»* لكلاسي أوستر غرين، و*«إيكاروس»* لآكسل جنسن، و*«الحارس في حقل الشوفان»* لجيروم ديفيد سالنجر، و*«قلوب تقفز»* لأُولا باور، و*«مكتب البريد»* لتشارلز بوكوفسكي. كتبٌ عن شباب يجدون صعوبة في التلاؤم مع المجتمع، ويريدون من الحياة ما هو أكثر من روتين الحياة العادية... يريدون من الحياة ما هو أكثر من أسرة. باختصار، شباب يمقتون قيم الطبقة الوسطى ويرومون الحرية. شباب يسافرون، ويسكرون، ويقرأون، ويحلمون بهوى حياتهم العظيم، أو بكتابة روايات عظيمة.

أردت كل ما أراده أولئك الشباب.

يتبدّد ذلك التوق العظيم الذي كان دائم الحضور في صدري عندما أقرأ هذه الكتب. لكنه لا يلبث أن يعود بقوة مضاعفة عشر مرات لحظة أضع الكتاب من يدي. هكذا كان الأمر طيلة سنواتي الأخيرة في المدرسة. كرهت كل سلطة، وكنت خصمًا لمجتمع الحياة المنظّمة اللعين، الذي

ترعرعت فيه. كنت خصمًا لقيَمه البرجوازية ونظرته المادية إلى البشرية. ازدريت ما تعلّمته في المدرسة الثانوية، بل ازدريت حتى ما كان منه متّصلًا بالأدب. كل ما كنت في حاجة إلى معرفته، المعرفة الحقيقية كلها، المعرفة الجوهرية الحقيقية الوحيدة، كان ماثلًا في ما أقرأه من كتب وما أستمع إليه من موسيقى. لم أكن مهتمًا بالمال، ولا برموز المكانة الاجتماعية، فقد كنت موقنًا بأن القيمة الجوهرية في الحياة كامنة في مكان آخر. لم أكن أريد الدراسة، كما لم أكن راغبًا في تلقّي تعليم في مؤسسة تقليدية، كالجامعة مثلًا، بل أردت الارتحال جنوبًا عبر أوروبا، والنوم على الشواطئ وفي الفنادق الرخيصة، أو في بيوت أشخاص يصيرون أصدقاء لي في طريقي. تولّي وظائف عابرة حتى أعيش... غسل الأطباق في الفنادق، والعمل على المراكب أو في تفريغها، وقطف البرتقال. اشتريت ذلك الربيع كتابًا فيه قوائم بكل نوع من أنواع الوظائف التي يستطيع المرء العثور عليها في بلاد أوروبا المختلفة. وظائف يستطيع المرء تخيّلها، ووظائف لا يستطيع تخيّلها. لكن هذا كله كان مرادًا له أن يجد تتويجه في رواية أكتبها. سوف أجلس وأكتب في قرية إسبانية، وأذهب إلى بامبيلونا، فأجري أمام الثيران، وأتابع طريقي إلى اليونان لكي أكتب في واحدة من جزرها. وبعد ذلك، بعد سنة أو سنتَيْن، أعود إلى النرويج حاملًا روايتي في حقيبة الظهر.

تلك كانت خطتي. وذلك كان السبب الذي جعلني لا أذهب إلى الخدمة العسكرية، عندما أنهيت المدرسة الثانوية، مثلما فعل كثيرون من رفاقي في المدرسة، وجعلني لا أنتسب إلى الجامعة، مثلما فعل بقيتهم. بدلًا من ذلك، ذهبت إلى مكتب العمل في كريستيانساند حيث طلبت قائمة بوظائف التعليم الشاغرة في شمال النرويج.

صار الناس الذين ألتقيهم في آخر ذلك الصيف يقولون لي: «سمعنا أنك ستصير معلمًا، يا كارل أوفه».

كنت أجيبهم، «لا. سوف أصير كاتبًا. لكن عليَّ أن أجني ما أعيش منه حتى ذلك الوقت. سأعمل هناك سنة واحدة، وأضع بعض المال جانبًا، ثم أرتحل إلى بلاد جنوب أوروبا».

لم تعد هذه فكرة في رأسي، بل صارت واقعًا أعيشه: غدًا أذهب إلى الميناء في تورنسِه، وأصعد إلى المركب السريع الذاهب إلى فينسِنس، ثم أسافر جنوبًا بالباص حتى أصل إلى قرية هافيورد الصغيرة جدًا، حيث أجد المشرف على المدرسة في انتظاري لكي يرحِّب بي. لا، لا أستطيع النوم.

أخرجت نصف زجاجة الويسكي من حقيبتي، وجلبت من الحمام كأسًا. سكبت الويسكي، وفتحت الستارة، وأخذت أول رشفة مرتعشة وأنا واقف أنظر إلى مرافق الإسكان ذات الإنارة الغريبة في الخارج.

كان التوتر قد زال عني عندما استيقظت قرابة الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي. جمعت أشيائي، واستخدمت الهاتف مدفوع الأجر في مكتب الاستقبال لكي أطلب سيارة تاكسي، ثم وقفت في الخارج ووضعت حقائبي عند قدمي، ودخّنت أثناء انتظاري. هذه أول مرة في حياتي أسافر فيها إلى أي مكان من غير أن أكون محتاجًا إلى العودة. لم يكن هناك «بيت» أعود إليه. لقد باعت أمي بيتنا وانتقلت للعيش في فوردِه. وأبي يعيش مع زوجته الجديدة في مكان أكثر بعدًا إلى الشمال، في شمال النرويج. يعيش إنغفِه في بيرغن. أما أنا، فقد كنت في طريقي إلى أول شقّة لي، أول شقة لي وحدي. هناك، ستكون لي وظيفتي، وسأكسب مالًا خاصًّا بي. ولأول مرة، سأكون متحكّمًا بعناصر حياتي كلّها.

أوه... ما كان أروع ذلك الإحساس الهائل!

أتت سيارة التاكسي صاعدة في الطريق. رميت عقب سيجارتي على الأرض ودست عليه، ثم وضعت حقائبي في صندوق السيارة الذي فتحه السائق من أجلي - كان كهلًا ممتلئ الجسم، أبيض الشعر، في رقبته سلسلة من ذهب.

جلست في المقعد الخلفي وقلت له: «إلى الميناء، من فضلك».

التفت إليَّ وقال: «الميناء كبير».

«أنا ذاهب إلى فينسِنس... على المركب السريع».

«نستطيع تدبّر الأمر من أجلك. لا مشكلة في هذا».

ثم انحدرت السيارة في الشارع.

سألني: «هل أنت ذاهب إلى مدرستك هناك؟».

قلت: «لا. أنا ذاهب إلى هافيورد».

«آه، نعم. أنت تعمل في صيد الأسماك. لكن، لا تبدو كصياد أسماك».

«في الحقيقة... أنا ذاهب لكي أعلّم».

«أوه، نعم. نعم. كثيرون من أهل الجنوب يفعلون هذا. لكن، ألست صغيرًا جدًّا على أن تكون لك وظيفة من هذا النوع؟ ينبغي أن تكون في الثامنة عشرة، أليس كذلك؟».

ضحك ونظر إلي في المرآة.

بدوري، ضحكت ضحكة قصيرة. قلت له: «أنهيت المدرسة في الصيف. أظن بأن هذا العمل أفضل كثيرًا من لا شيء».

قال لي: «صحيح. أنا واثق من أنه كذلك. لكني أفكّر في الأطفال الذين يترعرعون هناك. يأتيهم معلمون أنهوا المدرسة الثانوية مؤخّرًا. معلمون جدد في كل سنة. لا عجب في أنهم يتركون المدرسة في الصف التاسع، ويتّجهون إلى صيد الأسماك».

«صحيح. أظن أن هذا ليس مفاجئًا جدًا. لكني لست ملومًا في هذا الأمر».

«لا... على الإطلاق. من قال إنك ملوم؟ أنا لا أتحدث لكي أوجّه اللوم إلى أحد. حياة الصيد أفضل كثيرًا من الدراسة، كما تعرف. إنها أفضل من أن يواصل المرء الدراسة حتى يصير في الثلاثين».

«نعم. أنا لن أدرس».

«لكنك سوف تصير معلمًا».

من جديد، نظر إليَّ في المرآة. قلت: «هذا صحيح».

ساد صمت استمر بضع دقائق. ثم رفع الرجل يده عن عصا السرعة وأشار بها قائلًا: «ها هو هناك، مركبك السريع».

توقّفت السيارة أمام محطة الركاب. وضع السائق حقائبي على الأرض

وأغلق صندوق السيارة من جديد. أعطيته المال، لكني لم أكن أعرف كيف أتصرّف بخصوص البقشيش. خشيت هذه اللحظة طيلة رحلتي، فحللت المشكلة بقولي له أن يحتفظ ببقية النقود.

قال لي: «أشكرك. وأتمنى لك حظًّا طيبًا».

باي باي يا نقودي... إنها خمسون كرونًا!

انطلق بسيارته صوب الطريق، وبقيت واقفًا أحصي النقود الباقية معي. لم يكن لديّ مال كثير. لكن، أظنني كنت قادرًا على طلب سلفة على الراتب. من المؤكّد أنهم قادرون على فهم أنه لن يكون معي مال قبل أن أبدأ عملي.

فينسنس مدينة فيها شارع واحد، وعدد من المباني الإسمنتية العارية -لعلهم بنوها على عجل- تحيط سلسلة جبلية بعيدة بأطرافها القاحلة. بعد بضع ساعات، وأنا أنتظر انطلاق الباص جالسًا في مقهى وأمامي فنجان قهوة، أدهشني أن البلدة تبدو أشبه بقرية صغيرة في ألاسكا، أو في كندا، منها ببلدة نرويجية. بلدة ليس لها مركز، صغيرة إلى حد يجعل من الممكن اعتبار أي شيء فيها مركزًا لها. الجو هنا شديد الاختلاف عن البلدات التي عرفتها لأن فينسنس أصغر منها كثيرًا، بالطبع، ولكن أيضًا لأن ما من جهد مبذول في أية ناحية منها لجعلها تبدو مكانًا جذابًا أو أنيسًا. أكثر البلدات لها واجهة ومناطق خلفية. أما هنا فكل شيء يبدو مثل غيره.

رحت أقلّب صفحات كتابين اشتريتهما من المتجر القريب. كان عنوان أولهما «*المياه الجديدة*»، وهو من تأليف روي جاكوبسن الذي لم أسمع باسمه قبل ذلك. والكتاب الثاني «*فرقة الخردل*» لمورتن يورغنسن الذي كان يعزف في فرقتين اعتدت متابعة أغانيهما منذ بضع سنين. لعلها لم تكن فكرة حسنة أن أنفق مالي على شرائهما. لكني سأصير كاتبًا في نهاية المطاف. وهذا يعني أن القراءة أمر مهم، حتى لو كانت من أجل التفكير في المستوى الذي ينبغي أن أطمح إليه. هل أستطيع كتابة شيء مثل هذا؟ هذا هو السؤال الذي ظلّ يدور في ذهني عندما جلست أتصفّح الكتابين.

نهضت بعد ذلك وسرت متمهّلًا صوب الباص. دخنت سيجارة عند بابه، ثم وضعت حقائبي في مقصورة الأمتعة، ودفعت للسائق وطلبت منه أن يخبرني عندما نصل إلى هافيورد. سرتُ في الباص إلى أن جلست في المقعد قبل الأخير إلى الجهة اليسرى. إنه المقعد المفضّل عندي منذ زمن بعيد، منذ أقصى ما أستطيع تذكره.

كانت فتاة جميلة شقراء الشعر تجلس في المقعد المجاور لمقعدي، لعلها أصغر مني بسنة واحدة، أو بسنتين. حقيبتها المدرسية على المقعد. تخيلت أنها في مدرسة فينسنس الثانوية، وأنها عائدة إلى بيتها. لقد نظرت إليَّ عندما صعدت إلى الباص. والآن، عندما انطلق السائق من المحطة خارجًا إلى الطريق بانعطافة مفاجئة، استدارت الفتاة ونظرت إليَّ من جديد. لم تُطِلِ النظر. لم يكن ذلك أكثر من لفتة سريعة، نظرة عابرة، لا أكثر... لكنها كانت كافية لأن تثير انتصابي.

وضعت السماعة على أذنيّ، وأدخلت في الووكمان شريط كاسيت. فرقة سميثز، أغنية «*ماتت الملكة*». فعلت هذا حتى لا أبدو متطفّلًا، وحرصت على النظر من نافذتي طيلة بضعة كيلومترات قاومت خلالها رغبتي في النظر إليها.

كان نحو نصف المسافرين قد نزلوا من الباص بعد اجتيازنا منطقة مبنية ظهرت فور مغادرتنا مركز البلدة، وظلّت ممتدة مسافة غير قليلة. وصلنا إلى جزء مستقيم من الطريق سرنا فيه مسافة طويلة. كانت السماء فوق فينسنس شاحبة تغمر البلدة التي من تحتها نورًا باهتًا. وأما هنا، فقد صارت مسحة الزرقة في السماء أكثر قوة وعمقًا، وكانت الشمس معلّقة فوق الجبال، إلى جهة الجنوب الغربي؛ جبال غير مرتفعة، لكن سفوحها ذات الانحدار الشديد تحجب البحر الذي لا بد أنه هناك. أكسبت هذه الشمس الأعشاب الطويلة الكثيفة إلى جانبَيّ الطريق لونًا محمرًّا يكاد يكون في بعض المواضع بنفسجيًا متألّقًا. كان أكثر الأشجار في هذا الجزء أشجار صنوبر مشوَّهة، وأشجار بتولا قزمة. من الناحية التي كنت جلست فيها، كان الوادي

يلاقي جبالًا اكتست خضرة، لكنها جبال هينة تكاد تكون تلالًا؛ وأما من الجهة الأخرى، فكانت منحدرات الجبال شديدة، وعرة، لها مظهر الجبال الحقيقي، مع أن ارتفاعها ليس كبيرًا.

ما من إنسان تراه العين؛ وما من بيت.

لكني لست آتيًا لكي أتعرف على أشخاص جدد. أتيت باحثًا عن السكينة، حتى أكتب.

أطلقت هذه الفكرة شرارة مسرّة في جسدي كله.

أنا سائر في طريقي، أنا سائر في طريقي!

ساعتان بعد ذلك وأنا منشغلٌ بالموسيقى. ثم رأيت أمامي لافتة على الطريق. استنتجت من طول الكلمة المكتوبة على اللافتة أنها ينبغي أن تكون لافتة هافيورد. كانت الطريق التي وضعوا هذه اللافتة للإشارة إليها تخترق سفح الجبل. لكن ذلك ليس نفقًا على وجه التحديد، بل هو شيء أقرب إلى جحر، لأن جدرانه تبدو كأنها ناتجة عن انفجار. وأيضًا، ما من ضياء هناك. بدا لي أن الماء ينسكب انسكابًا من سقف النفَق بكميات جعلت السائق مضطرًا إلى تشغيل ماسحات الزجاج. شهقتُ عندما خرجنا من ناحية النفق الأخرى: بين سلسلتين جبليتين طويلتين وعرتين لهما سفوح عارية شديدة الانحدار، رأيت الفيورد[1] الضيّق، ومن خلفه كان البحر ممتدًا كأنه سهل فسيح أزرق.

أووووه!

كان الطريق الذي سلكه الباص يعانق السفح الجبلي. وحتى أرى أقصى ما أستطيع رؤيته من ذلك المنظر، وقفت وانتقلت إلى صف آخر من المقاعد. لاحظت من زاوية عيني أن الفتاة، ذات الشعر الأشقر، التفتت إليَّ وابتسمت عندما رأتني واقفًا هناك وقد ألصقت وجهي بزجاج النافذة. من تحت الجبال، في الجهة المقابلة، رأيت جزيرة صغيرة فيها بيوت متزاحمة

(1) فيورد: لسان بحري ضيق ممتد عميقًا في اليابسة يكثر وجوده على سواحل النرويج.

من الجهة المقابلة للبَرّ، لكنها مهجورة تمامًا من الجهة الأخرى. على الأقل، هذا ما رأيته عندما نظرت إليها من تلك المسافة. رأيت بضعة زوارق صيد راسية داخل ميناء له كاسر أمواج. استمرّت الجبال قريبة من الطريق مسافة أظنها كيلومترًا واحدًا. وكانت سفوحها القريبة منا خضراء كلّها، وأما في البعيد فكانت جرداء تمامًا، رمادية اللون، سفوحها النازلة إلى البحر تكاد تنحدر إلى الماء انحدارًا عموديًا.

اجتاز الباص نفَقًا آخر شبيهًا بالجُحر كسابقه. وبعد النفق، على سفح جبلي لطيف الانحدار (نسبيًا)، في وهدة قليلة العمق، رأيت القرية التي سأمضي السنة القادمة فيها.

واو!

ما أروع هذا!

كان أكثر البيوت محتشدًا من حول الطريق التي تخترق القرية راسمة خطًا على شكل حرف U. وتحت الطريق، في الأسفل، كان هناك ما بدا لي كأنه بناء صناعي أمامه مرسى بحري. لا بد أنه مصنع لتعليب الأسماك، فقد كانت من خلفه زوارق صيد كثيرة. كنيسة صغيرة في آخر الحرف U. ومن فوق الطريق، في الأعلى، صف من البيوت من خلفه أشجار بتولا قصيرة، ومساحات من الخلنج والشجيرات الصغيرة الممتدة حتى النقطة التي ينتهي عندها الوادي وينهض جبل ضخم من الجهتين.

هذا كل شيء.

حسنًا... ليس هذا كل شيء: فوق نقطة اللقاء بين الطريق السفلية والطريق العلوية، عند النفق تمامًا، هناك مبنيان كبيران. لا بد أن تكون هذه هي المدرسة.

قال سائق الباص: «هافيورد». وضعت السماعة في جيبي، وسرت في ممر الباص. نزل السائق من بعدي، وفتح باب مقصورة الأمتعة. شكرته فقال: «لا مشكلة». قالها من غير أية ابتسامة، ثم صعد إلى الباص. دار الباص في الساحة، ثم دخل النفق من جديد.

حقيبة في كل يد من يديَّ. وكيس بحّارة على ظهري. نظرت في الطريق يمينًا ثم شمالًا باحثًا عن المشرف على المدرسة، في حين كنت أستنشق الهواء النقي المالح إلى أعماق رئتيّ.

انفتح باب بيت قبالة موقف الباص تمامًا. خرج رجل قصير القامة يرتدي قميصًا قصير الكمَّيْن وبنطلونًا رياضيًا. أدركت من اتجاه سيره أنه الرجل المطلوب.

كان أصلع الرأس تمامًا، باستثناء خصلتَي شعر خفيفتين من حول أذنَيه. وجهه لطيف ذو تقاطيع بارزة، مثلما يحدث عندما تكون في الخمسينيات من عمرك؛ لكنَّ العينين اللتين من خلف النظارة كانتا صغيرتين ثاقبتين. أثناء تقدّمه صوبي، فاجأتني ملاحظة أن تلك العينين غير متناسبتين مع بقية ملامح الرجل.

قال وهو يمد يده إليّ من غير أن ينظر في عيني: «كناوسغارد».

قلت: «صحيح»، وصافحت يده. يد صغيرة جافة... «لا بد أنك كورنيليوسن».

قال مبتسمًا: «وهذا صحيح أيضًا». أسبل يديه إلى جانبيه، وجالت عيناه في المشهد من حولنا... «ما رأيك؟».

سألته: «في هافيورد؟».

قال لي: «جميلة، أليس كذلك؟».

قلت: «رائعة».

استدار وأشار ناظرًا إلى الأعلى. قال: «سوف تعيش هناك. هذا يعني أننا سنكون جارَيْن. ذلك هو بيتي. هل تراه؟ ألا نصعد ونلقي نظرة؟».

أجبته: «بالتأكيد. هل تعرف إن كانت حوائجي قد وصلت؟».

هز رأسه وقال: «لم تصل، على حدِّ علمي».

«هذا يعني أنها ستصل يوم الاثنين». قلت هذا وسرت في الطريق إلى جانبه.

«سيكون ابني الأصغر في صفّك في المدرسة، بحسب ما سمعت. اسمه ستيغ. إنه في الصف الرابع».

قلت له: «ألديك أطفال كثر؟».

أجابني: «لديَّ أربعة أطفال. لا يزال اثنان منهم معي في البيت. يوهانز وستيغ. ابنتي تونِه، وابني روبن، يعيشان في ترومْسِه».

نظرت إلى القرية أثناء سيرنا. رأيت بضعة أشخاص واقفين أمام ما ينبغي أن يكون متجرًا. وأيضًا، رأيت عند المتجر سيارتين متوقّفتَيْن. وأمام كشك لبيع المأكولات والمشروبات قائم عند آخر الطريق، رأيت بضعة أشخاص مع دراجاتهم.

سفينة آتية في الفيورد تلوح من بعيد.

نوارس بحرية تزعق في الأسفل، عند الميناء.

وأما غير ذلك، فكل شيء هادئ.

قلت: «ما عدد سكان القرية، فعليًا؟».

قال: «مئتان وخمسون شخصًا، أو نحو ذلك، فالأمر يعتمد على ما إذا أدخلت الأطفال الذين يذهبون إلى المدرسة في الحساب». توقفنا أمام بيت خشبي أسود من السبعينيات. توقفنا عند شرفته الأمامية.

قال لي: «ها هو البيت. ادخل. ينبغي أن يكون الباب مفتوحًا. لكني سأعطيك المفاتيح الآن».

فتحت الباب ودخلت الصالة. وضعت أمتعتي وناولني المفتاح. رائحة البيت مثل رائحة البيوت التي تظل مهجورة حينًا من الزمن. نفحة خفيفة من رطوبة وعفونة فيها أثر غامض من الهواء الخارجي.

دفعت بابًا نصف مفتوح، ودخلت إلى غرفة الجلوس. كانت على الأرض سجادة برتقالية اللون ممتدة من الجدار إلى الجدار. طاولة مكتب بنية داكنة، وطاولة صغيرة بنية داكنة، وأريكة كبيرة منجَّدة بقماش بنّيّ وبرتقالي. الأريكة من خشب داكن أيضًا. نافذتان كبيرتان لهما إطلالة واسعة صوب الشمال.

قلت: «هذا عظيم».

قال لي مشيرًا إلى باب في آخر الغرفة الصغيرة: «المطبخ هناك». ثم استدار وقال: «والحمام هناك».

كانت على ورق الجدران في المطبخ نقوش من تلك التي كانت شائعة في السبعينيات: الذهبي والبني والأبيض. طاولة صغيرة تحت النافذة. براد له فريزر في أعلاه. مجلى صغير مبلّط. الأرض مكسوة بلينوليوم رمادي اللون.

قال لي: «وأخيرًا، غرفة النوم». دخلت الغرفة، لكنه ظل واقفًا بالباب. على الأرض سجادة لونها داكن من لون السجادة التي في غرفة الجلوس. ألوان ورق الجدران فاتحة، والغرفة خالية إلا من سرير منخفض واسع ضخم، مصنوع من خشب أثاث البيت نفسه. إنه خشب الساج، أو هو تقليد له.

مكتبة
t.me/soramnqraa

قلت: «ممتاز».

«هل جلبت معك ملاءات للسرير؟».

هززت رأسي نفيًا: «سوف يرسلونها».

«تستطيع استعارة ملاءات من عندنا، إن أحببت».

قلت: «سيكون هذا عظيمًا».

قال: «إذًا، سأحضرها. إن كانت لديك أية أسئلة، أي شيء على الإطلاق، فتعال لرؤيتنا. الزائرون مرحّب بهم هنا».

أجبته: «حسنًا، أشكرك».

نظرت من نافذة غرفة الجلوس فرأيته سائرًا نحو بيته الذي لعله لا يبعد عن بيتي أكثر من عشرين مترًا.

بيتي! ما أعجب هذا! صار عندي بيت... لي!

رحت أذرع الغرفة جيئة وذهابًا. فتحت بضعة دروج، وألقيت نظرة في بعض الخزائن إلى أن عاد مشرف المدرسة حاملًا بين ذراعيه كومة من ملاءات السرير. وبعد ذهابه، فتحت حقائبي وبدأت إخراج القليل الذي أتيت به معي: ملابسي، ومنشفة، والآلة الكاتبة، وبعض الكتب، ورزمة من الورق. وضعت طاولة المكتب تحت نافذة غرفة الجلوس، ثم وضعت الآلة الكاتبة عليها ونقلت مصباح القراءة، وصففت الكتب على طوار

النافذة ومعها مجلة أدبية، مجلة «فيندويت»، اشتريتها في أوسلو وقرّرت أن أشترك بها. وإلى جانب الكتب، وضعت صفًا من أشرطة الكاسيت التي جلبتها معي، خمسة عشر شريطًا، أو لعلها عشرين. وضعت رزمة الورق على الطاولة، وإلى جانبها وضعت الووكمان والبطاريات الاحتياطية التي اشتريتها من أجله.

أنجزت ترتيب منطقة الكتابة، ثم وضعت ملابسي في خزائن غرفة النوم، ورفعت الحقيبتين الفارغتين فوضعتهما على الرف العلوي. وقفت برهة وسط الغرفة غير واثق مما أريد فعله بعد ذلك.

أحسست برغبة ملحَّة في الاتصال هاتفيًا بأحدهم لكي أقول له كيف هو المكان هنا. لكن، ما من هاتف عندي. هل أخرج باحثًا عن هاتف عمومي؟

كنت جائعًا أيضًا.

ماذا عن كشك بيع المأكولات والمشروبات؟ هل أذهب إليه؟

على أية حال، ما من شيء أفعله هنا.

وقفت أمام المرآة في الحمام الصغير المتفرّع عن الممر، ووضعت بيريه سوداء على رأسي. تمهّلت بضع ثوانٍ أمام باب البيت ونظرت إلى الأسفل. بنظرة سريعة واحدة، تستطيع أن تستعرض القرية كلها وكل من يعيش فيها. ما من مكان للاختباء. هكذا هو الأمر. سرت نازلًا طريقًا من حجارة مرصوفة فوقها طبقة من الإسفلت فأحسست بنفسي مكشوفًا، شفّافًا تمامًا.

بضعة أولاد مراهقين يتسكّعون عند الكشك. تجمّد حديثهم عند اقترابي. مررت بهم من غير أن أنظر إليهم، وصعدت الدرجات المفضية إلى شرفة الكشك، حيث كانت كوّة البيع المشعة بضوء أصفر ساطع في ضياء ذلك المساء في آخر الصيف الذي بدا كأنه معلِمٌ يعلو ذلك المشهد كلّه. كان إطار الكوة ملطخًا بمادة دهنية. ظهر لي وجه فتى في مثل سن أولئك الواقفين في الخارج. بضع شعرات طويلة سوداء على وجنتيه. عيناه بنيتان، وشعره أسود.

قلت: «هامبرغر مع سلطة وبطاطس مقلية وكوكا كولا». أصخت السمع

حتى أعرف إن كان الكلام غير الواضح الدائر من خلفي يتناولني. لكنه لم يكن كذلك. أشعلت سيجارة وخرجتُ أخطو على الشرفة أثناء انتظاري. ملأ الفتى سلة معدنية بأصابع البطاطس الرقيقة وغمرها في الزيت الغالي. ألقى قطعة هامبرغر على صفيحة الشيّ. لم يكن أي صوت مسموعًا هناك غير الأزيز الخفيض الصادر عن اللحم، وأصوات الأولاد من خلفي، التي صارت الآن أكثر حماسة. كانت المنازل منارة على الجزيرة الواقعة إلى الناحية الأخرى من الفيورد. وكانت السماء منخفضة هناك - منخفضة عند مقارنتها بالسماء التي بدت أكثر ارتفاعًا عند فم الفيورد: رمادية منشقّة، ثقيلة بعض الشيء، لكنها غير مظلمة أبدًا.

صمت ليس ثقيل الوطأة؛ صمت مفتوح، رحب.

لكنه ليس مفتوحًا لنا... أتتني هذه الفكرة لسبب لا أدريه. هذا الصمت موجود هنا دائمًا، موجود قبل وجود الناس، وسوف يظل زمنًا طويلًا بعد اختفائهم. سوف يظلّ راقدًا هنا في هذه الوهدة بين الجبال مع البحر الممتد أمامها.

أين ينتهي البحر حقًّا؟ في أميركا؟ في كندا؟

نعم. لا بد أنه ينتهي هناك. في نيوفاوندلاند.

قال الفتى: «ها هو الهامبرغر». وضع أمامي طبقًا مستطيلًا من الستيروفوم، فيه الهامبرغر وبضع أوراق من الخس، وربع حبة طماطم، وكومة صغيرة من أصابع البطاطس المقلية. وضع ذلك كله معًا على الرف الذي أمام الكوة. دفعت الثمن، وحملت الطبق، واستدرت لكي أنصرف.

سألني واحد من الأولاد كان متكئًا على مقود دراجته: «هل أنت المدرِّس الجديد؟».

أجبته: «نعم».

قال: «سوف نكون عندك...». بصق على الأرض ورفع قبعته قليلًا فوق جبينه. «نحن في الصف التاسع، وهذا في الصف الثامن».

قلت: «أوه، نعم».

«نعم. هل أنت من الجنوب؟».

«صحيح، أنا من ثورلاند».

«جيد». قال هذا وأومأ برأسه كأنه يشير إلى أن المقابلة قد انتهت الآن، وصرت قادرًا على الذهاب.

قلت: «ما أسماؤكم؟».

أجابني: «سوف تعرف هذا عما قريب». ضحكوا عندما قال ذلك. ابتسمت له من غير تحفّظ، لكني أحسست بنفسي غبيًا عندما سرت مبتعدًا عنهم. لقد تفوّق عليَّ.

ناداني من خلفي: «لم تقل لنا اسمك».

قلت: «اسمي ميكي... ميكي ماوس».

صاح الصبي: «إنه كوميدي أيضًا».

فرغت من أكل الهامبرغر، وخلعت ملابسي، واستلقيت على السرير. لا تزال الساعة التاسعة تقريبًا، ولا تزال الغرفة مُنارة كأنني في منتصف نهار غائم. كان الصمت الموجود في كل مكان يضخّم صوت كل حركة آتي بها. لذا، في هذه الليلة أيضًا، وعلى الرغم من تعبي، بقيت بضع ساعات حتى استطعت أن أغفو.

استيقظت عندما منتصف الليل على صوت إغلاق باب في مكان قريب. وبعد ذلك على الفور، سمعت صوت خطوات على الأرض، فوقي. كنت نصف مستيقظ، فتخيّلت أنني نائم في مكتب أبي في بيتنا في تيباكن، وأنني أسمع صوت خطواته في الأعلى. كيف انتهى بي الأمر هنا؟ وجدت نفسي أفكّر هكذا قبل أن أغرق في الظلمة من جديد. وعندما استيقظت بعد ذلك، كنت في حالة ذعر.

أين أنا؟ في بيتنا في تيباكن؟ في بيتنا في تفيت؟ في غرفة إنغفه؟ في الفندق الشبابي في ترومسه؟

انتصبت جالسًا في الفراش. لم تفلح النظرات التي ألقيتها في أرجاء

الغرفة في العثور على شيء يربطها معًا. لم أجد أي معنى في أي شيء رأيته. كان ذلك كأن وجودي كله ينحدر على جدار زلق.

ثم تذكرت.

هافيورد. أنا في هافيورد. أنا في شقتي الخاصة بي وحدي في هافيورد.

عدت فاستلقيت في الفراش. وتتبّعت في عقلي مسار رحلتي إلى هذا المكان. ثم تخيّلت القرية كما تُرى من نوافذي، تخيّلت الناس في تلك البيوت كلّها، الناس الذين لا أعرفهم ولا يعرفونني. شيء يمكن أن يكون ترقّبًا، لكن من الممكن أيضًا أن يكون خوفًا أو إحساسًا بعدم الأمان. شيء انبثق في داخلي. نهضت من الفراش ودخلت الحمام الصغير. أخذت دوشًا وارتديت قميصًا حريريًا أخضر، وبنطلونًا قطنيًا فضفاضًا أسود اللون. وقفت أمام النافذة برهة ونظرت إلى الأسفل، في اتجاه المتجر. لا بد لي من الذهاب إليه لأشتري طعامًا من أجل الإفطار. لكنني لن أذهب الآن. سيارات كثيرة في ساحة وقوف السيارات. وبين تلك السيارات تجمّع صغير فيه عدد من الأشخاص. بين الفينة والأخرى، كان أحدهم يخرج من المتجر حاملًا أكياس التسوق.

لا بأس... من الممكن أن أذهب الآن.

خرجت إلى الممر، وارتديت معطفي. وضعت البيريه على رأسي، ثم انتعلت حذاء كرة السلة. ألقيت نظرة في المرآة. صحّحت وضع البيريه. أشعلت سيجارة وخرجت.

كانت السماء نقية، رمادية مثل يوم أمس. الجبال منحدرة إلى الماء على جانبي الفيورد. كان فيها شيء قاس رأيته في لمحة سريعة. جبال غير مبالية بكل ما قد يحدث من حولها، فهو لَا يعني لها شيئًا. كان ذلك كأنها في مكان آخر مع وجودها هنا في الوقت نفسه.

الآن، كان أمام المتجر خمسة أشخاص مجتمعين. اثنان منهم متقدّمان في السن، في الخمسين على الأقل؛ وأما الثلاثة الآخرون فقد بدوا لي أكبر مني ببضع سنوات.

كنت مدركًا أنهم رأوني من مسافة بعيدة. هذا أمر لا مهرب منه. قلت في نفسي إنهم لا يرون كل يوم شخصًا غريبًا يرتدي معطفًا أسود يسير نازلًا هذه الطريق.

رفعت السيجارة إلى فمي وأخذت منها نفسًا عميقًا جدًا جعل الفلتر حارًا.

إلى جانبَيّ باب المتجر رايتان بيضاوان من نسيج بلاستيكي، عليهما إعلان عن صحيفة «*فيردينز غانغ*». واجهة المتجر تغصّ بلوحات ورقية خضراء وبرتقالية، عليها تشكيلة من عروض خاصة مكتوبة بخط اليد.

صرت الآن على مسافة خمسة عشر مترًا منهم.

هل ألقي عليهم التحية؟

هل أقول «هاي» بطريقة مرحة غير متكلّفة؟

هل أتوقّف وأتحدث معهم؟

هل أقول لهم إنني المعلم الجديد؟ هل أجعل الأمر كأنه نكتة صغيرة؟

نظر أحدهم إليّ، فأومأت برأسي إيماءة صغيرة جدًا. لم يرد بإيماءة مثلها.

ألم يرَ إيماءتي؟ هل كانت إيماءتي غير ملحوظة، أو بدت كأنها رعشة أو التفاتة بسيطة من رأسي لا معنى لها؟

أحسست بوجودهم كأنه سكاكين تطعنني.

قبل الباب بمتر واحد، رميت السيجارة على الأرض ودست عليها.

أأستطيع تركها هنا؟ قمامة على الرصيف! أم أرفعها؟

لا. سوف تبدو هذه حركة متكلّفة أكثر مما ينبغي، أليس كذلك؟

إلى الجحيم. سوف أتركها هنا. أولئك صيادو أسماك؛ وأنا واثق من أنهم يلقون أعقاب سجائرهم اللعينة على الأرض عندما يفرغون من التدخين!

وضعت يدي على الباب ودفعته. تناولت واحدة من سلال التسوّق الحمراء، وسرت في الممر بين الرفوف الكثيرة. امرأة بدينة في أواسط الثلاثينيات في يدها رزمة نقانق. كانت تقول شيئًا لفتاة لا بدّ أنها ابنتها. فتاة

نحيلة عصبية المظهر كانت تقف هناك، وقد اكتسى وجهها تعبيرًا حرونًا متجهّمًا. إلى جانب المرأة من الناحية الأخرى، رأيت صبيًا في العاشرة تقريبًا. كان منحنيًا فوق أحد الرفوف باحثًا عن شيء هناك. وضعت في سلتي رغيفًا من خبز القمح الكامل، وعبوة من قهوة «آلي»، وعلبة أكياس شاي «إيرل غراي». ألقت المرأة في اتجاهي نظرة سريعة، ثم وضعت رزمة النقانق في سلّتها وتابعت سيرها إلى الناحية الأخرى من المتجر، ومن خلفها ابنها وابنتها. أخذت وقتي في التجول في أرجاء المكان وفي النظر إلى المواد الغذائية كلّها، فأضفت إلى السلة قطعة من جبن الماعز البنّي أخذتها من على الرفّ، وعلبة معدنية من معجون الكبد، وعبوة مايونيز على شكل أنبوب. أخذت بعد ذلك علبة حليب، وقطعة مارغرين مغلّفة بالورق، ومضيت إلى طاولة المحاسبة حيث وجدت المرأة البدينة تضع مشترياتها في كيس، بينما كانت ابنتها واقفة تقرأ إعلانًا ملصقًا عند الباب.

أومأ لي البائع برأسه. قلت: «مرحبًا»، وبدأت إفراغ ما في سلّتي أمامه.

كان رجلًا قصيرًا، ممتلئ الجسم، وجهه عريض، وأنفه معقوف قليلًا، وعلى ذقنه القوية شعر يتخلله لون رمادي.

قال لي وهو يُدخل الأسعار في آلة المحاسبة التي أمامه: «هل أنت المعلم الجديد؟». التفتت الفتاة الواقفة عند الإعلان ونظرت إليّ.

أجبته: «هذا صحيح. وصلت البارحة».

كان الصبي يجذب يد أخته، فأبعدَته عنها وخرجت من الباب. لحق بها الصبي، ثم خرجت الأم في أعقابهما.

تذكرت، يلزمني برتقال، وتفاح.

أسرعتُ صوب زاوية الفاكهة المتواضعة، فوضعت بضع برتقالات وتفاحتَين في كيس، ثم عدت إلى البائع حيث كان يسجل آخر ما وضعت أمامه.

«أعطني أيضًا كيس تبغ إيفنتاير وورق سجائر. وصحيفة داغبلادت أيضًا».

سألني: «هل أنت من الجنوب؟».

أومأت برأسي: «أنا من كريستيانساند».

دخل المتجر كهل على رأسه قبعة قماشية بسيطة.

صاح مخاطبًا البائع: «صباح الخير، يا برتيل».

غمز لي البائع بعينه وأجابه: «أوه، هذا أنت، أليس كذلك؟». ابتسمت له ابتسامة صغيرة، ودفعت ثمن مشترياتي، ثم حملتها وخرجت. أومأ لي برأسه واحد من الأشخاص الواقفين بالخارج، فحييته بإيماءة صغيرة، ثم سرت مبتعدًا عنهم.

صرت في أعلى المرتفع، وحدّقت في الجبال الناهضة عند آخر القرية. كانت تلك الجبال خضراء كلّها، طيلة المسافة حتى قممها. ولعل ذلك كان أكثر ما فاجأني من معالم المنطقة هنا، لأنني توقّعت شيئًا قاحلًا أكثر، شيئًا أقل ألوانًا... لم أكن أتوقّع رؤية هذه الخضرة التي بدت كأنها صدى يتردّد أينما نظرت، فلا يمحوه شيء غير زرقة البحر الواسع وتلويناته الرماديّة.

ما أطيب إحساسي بأن أعود إلى بيتي، إلى بيتي أنا. إنه أول مكان أستطيع تسميته مكانًا خاصًا بي. استمتعت حتى بأبسط النشاطات وأصغرها، كتعليق سترتي، أو وضع علبة الحليب في البراد. صحيح أنني عشت في وقت سابق من هذا الصيف شهرًا كاملًا في شقة صغيرة قريبة من مستشفى إيغ للأمراض نفسية. كان ذلك هو المكان الذي أخذتني أمي إليه بالسيارة عندما انتقلت من البيت الذي عشنا فيه السنوات الخمس الأخيرة. لكن ذلك المكان لم يكن شقة حقيقية، ما كان إلّا غرفة متفرّعة عن ممر من جملة غرف أخرى كان مسكنًا للممرضات غير المتزوجات. من هنا جاء اسم المكان، «بيت الدجاجات». وعلى نحو مماثل، لم تكن الوظيفة التي شغلتها هناك وظيفة حقيقية، بل شاغرٌ قصير الأمد في الصيف من غير أية مسؤوليات حقيقية. ثم إنه كان في كريستيانساند! فبالنسبة إليّ، كان مستحيلًا أن أشعر بالحرية في كريستيانساند لأن لي فيها صلات كثيرة جدًا مع أشخاص كثيرين جدًا،

صلات حقيقية ومتخيّلة، وأشخاصًا حقيقيين ومتخيلين، صلات أكثر كثيرًا من أن أستطيع فعلِ ما أحب فعله في البلدة.

وأما هنا...! فكّرت في هذا وأنا أحمل شريحة خبز إلى فمي وأنظر عبر النافذة، أنظر إلى الخارج. كان انعكاس الجبال على الفيورد صورة ملوّنة مكوّنة من آلاف الأجزاء المتكسّرة بفعل ترقرق المياه هناك. هنا، لا يعرف أحد من أنا. هنا، ما من روابط بيني وبين الناس، وما من أنماط ثابتة. هنا، أستطيع فعل ما يطيب لي فعله. هنا، أستطيع أن أختبئ سنة كاملة، وأكتب، وأبدع شيئًا في السرّ. أو أستطيع أيضًا أن أكتفي بترك الأمور تجري على هواها، وبادّخار شيء من المال. ما كان لهذا أية أهمية حقيقية. المهم هو أنني هنا.

سكبت الحليب في كأس، ثم شربته على جرعات كبيرة، ووضعت الكأس على المجلى، إلى جانب الطبق والسكين. أعدت الطعام إلى البراد، وذهبت إلى غرفة المعيشة، فوصلت الآلة الكاتبة بالتيار الكهربائي، ووضعت السماعة على أذنيّ، ورفعت الصوت إلى أقصاه، وأدخلت ورقة بيضاء في الآلة الكاتبة، ثم كتبت الرقم 1 في أعلاها، في وسط السطر. نظرت إلى بيت المشرف على المدرسة. رأيت عند العتبة جزمة خضراء اللون. مكنسة حمراء مُسنَدة إلى الجدار. بضع سيارات صغيرة من ألعاب الأطفال منتشرة على مزيج الحصى والرمل الذي يغطي المساحة أمام الباب. وبين البيتين، طحالب وأشنيات وأعشاب وبضع أشجار نحيلة. رحت أنقر على حافة الطاولة بإصبعي متابعًا إيقاع الموسيقى. كتبت جملة واحدة: «وقف غابرييل على قمة التلة ناظرًا إلى المنطقة السكنية، وعلى وجهه تعبير ناطق بالاستهجان».

دخنت سيجارة، وخمّرت إبريق قهوة، ونظرت إلى القرية والفيورد ثم إلى الجبال من خلفهما. كتبت جملة أخرى: «ظهر جوردون من خلفه». غنّيت مع الكَوْرس. كتبت: «ابتسم مثلما يبتسم ذئب». دفعت بالكرسي إلى الخلف، ووضعت قدمي على الطاولة، وأشعلت سيجارة أخرى.

كان ذلك جيّدًا جدًا، أليس هذا صحيحًا؟

تناولت كتاب «جنة عدن» لإرنست همنغواي، وبدأت أتصفحه حتى ألتقط إحساسًا باللغة. أعطتني هيلدِه هذا الكتاب هدية قبل يومَيْن من رحيلي. أعطتني إياه في محطة القطار في كريستيانساند عندما سافرت إلى أوسلو لكي أذهب إلى ترومسه بالطائرة. كان لارس هناك أيضًا؛ وكان هناك إيريك الذي يخرج مع هيلدِه. لست أنسى ذكر لينِه، فقد ذهبت معي إلى أوسلو لكي تودّعني هناك.

لم أرَ إلّا في هذه اللحظة أنها كتبت لي إهداء على الصفحة الأولى. كتبت أنني عنيت لها شيئًا خاصًا.

أشعلت سيجارة، وجلست أنظر من النافذة وأفكر في ما كتبته لي.

ماذا يمكن أن أكون قد عنيته بالنسبة إليها؟

لقد رأت فيّ شيئًا... شعرتُ بهذا لكني لم أدر شيئًا عما رأته. أن أكون صديقًا لها كان يعني أن أصير موضع عنايتها. لكن العناية النابعة من التفهّم تجعل من يتلقاها أصغر أيضًا، تجعله أصغر دائمًا. لم يكن هذا الأمر مشكلة، لكني أدركت وجوده.

ثم إنني لم أكن أستحق ذلك. تظاهرت أنني أستحق، والأمر الغريب هو أنها قبلت ذلك لأن... أقول إنه غريب لأن ما من خلل في ذكائها في أمور من هذا القبيل. هيلدِه وحدها، من بين كل من عرفتهم، تقرأ كتبًا محترمة. هيلدِه وحدها، من بين كل من عرفتهم، تكتب أيضًا. كنا في صف واحد طيلة سنتَيْن اثنتَيْن. وسرعان ما استقطبت اهتمامي. كان لديها موقف ساخر متهكّم، بل متمرّد بعض الأحيان، إزاء كل ما يقال لنا في غرفة الصف. شيء لم أره في أية فتاة قبلها. كان لديها ازدراء لجنون بقية الفتيات بالتجميل، ولطريقتهن في بذل كل جهد ممكن لكي يكنّ كما ينبغي، ولما لديهن من صفات طفولية كثيرًا ما تكون متصنّعة. إلا أن مقتها ذلك كله لم يكن فيه أي قدر من العدوانية أو من العنف، فهي ليست هكذا. هي لطيفة رفيقة بالآخرين، ولها طبيعة رقيقة، لكن في تلك الطبيعة جانب حاد أيضًا، فيها

عناد غير معتاد جعلني أنظر صوبها أكثر فأكثر. كانت شاحبة البشرة، لها نمش على خديها. شعرها أشقر محمرّ. نحيلة القامة وفي بنيتها الجسدية شيء من الهشاشة، بالمعنى المضاد للصلابة... شيء لعلّه، لو كان موجودًا في روح أقل حدّة وأقل استقلالية، يمكن أن يثير لدى من يلتقونها إحساسًا بالرغبة في حمايتها تحت جناحهم. لكن من المؤكّد أن ما من حاجة إلى ذلك أبدًا، بل على العكس تمامًا. لأن هيلدِه هي من كانت تضم تحت جناحها كل من تتقاطع طرقهم مع طريقها. كثيرًا ما ترتدي سترة عسكرية خضراء وبنطلون جينز بسيطًا؛ وهذا ما كان إشارة سياسية إلى أنها يسارية الميل. لكن الحقيقة أنها كانت يمينية، لأن ما كانت ضده هو النزعة المادية، ولأن ما كانت معه هو العقل. بكلمات أخرى، كان الداخلي متقدّمًا على الخارجي. هذا ما كان يجعلها تحتقر كتّابًا من أمثال سوليساتد أو فالدباكن، أو فالوسباكن(1) كما كانت تدعوه. وأما من يعجبونها من الكتاب فكانوا بيور نيبويه وكاي سكاغن، بل حتى إندرِه بييركه.

صارت هيلدِه أقرب أصدقائي. الحقيقة أنها كانت أفضل أصدقائي جميعًا. أتردّد على بيتها كثيرًا جدًا. صرت أعرف أباها وأمها، بل أسهر عندهم ليلًا وأتناول العشاء معهم. ما كنا نفعله أنا وهيلدِه، مع إيريك أحيانًا، ووحدنا في أحيان أخرى، هو الكلام. نجلس متربعين على أرض شقتها في القبو، بيننا زجاجة نبيذ، والليل ملتصق بالنوافذ، فنتكلّم في كتب قرأناها، وفي قضايا سياسية تثير اهتمامنا، وفي ما ينتظرنا في الحياة، وفي ما نحب فعله وما نستطيع فعله. كانت نظرتها إلى الحياة شديدة الجدية؛ وكانت الشخص الوحيد من بين معارفي (ممن هم في مثل سني) التي لعلها رأت فيّ مثل ذلك... هذا مع أنها تضحك كثيرًا ولا تبتعد عن السخرية أبدًا. قليلة هي الأشياء التي أحببتها أكثر من وجودي هناك، في بيتهم، معها ومع

(1) «فالدباكن» تعني «مرتفع خريفي»، لكن «فالوسباكن» تعني شيئًا من قبيل «مرتفع قضيبي» أو «منارة القضيب».

إيريك، ولارس أحيانًا. إلا أن أشياء أخرى كانت تحدث في حياتي وكانت غير قابلة للمساومة، فخلق لدي هذا إحساسًا دائمًا بالذنب ووخز الضمير: إذا كنت أشرب في هذا الديسكو أو ذاك، وأحاول تجاذب أطراف الحديث مع الفتيات، ينتابني إحساس بالذنب إزاء هيلدِه، وإزاء ما أكونه عند وجودي معها؛ وإذا كنت في بيت هيلدِه وتحدّثنا عن الحرية أو الجمال، أو عن معنى كل شيء، فمن الممكن أن تنتابني وخزات ضمير إزاء من أخرج معهم، أو إزاء الشخص الذي أكونه عندما أمضي الوقت معهم؛ وذلك لأن الازدواجية والنفاق اللذين أتحدّث عنهما كثيرًا مع هيلدِه وإيريك، كانا أيضًا حاضرَيْن في قلبي نفسه. ومن الناحية السياسية، كنت يساريًا إلى حد كبير جدًا، بل فوضويٌّ تقريبًا. كنت أكره الامتثال والانصياع، وأكره كل شيء تقليدي. وعلى غرار بقية الفتيات والفتيان الباحثين عن بديل ممن كانوا يترعرعون في كريستيانساند، بمن فيهم هيلدِه، كنت أزدري المسيحية، وأزدري كل أولئك الحمقى الذين يؤمنون بها، ويذهبون إلى لقاءات مع قساوستهم الأغبياء الكاريزميين.

لكني لم أكن أزدري الفتيات المسيحيات. لا. الغريب هو أنني، لسبب من الأسباب، كنت منجذبًا إليهنّ تحديدًا. كيف لي أن أشرح هذا لهيلدِه؟ مع أنني كنت أحاول دائمًا -مثلها- أن أرى ما هو كامن تحت السطح انطلاقًا من اعتقاد جوهري، وإن يكن غير مصرّح به علنًا، بأن ما هو كامن هناك هو الحقيقة أو الواقع، مع إنني كنت دائم البحث عن المعنى -مثلها- حتى إن كان العثور عليه غير ممكن إلا في الإقرار باللامعنى، فقد كنت في واقع الأمر راغبًا في العيش على السطح اللامع المغري، وكنت راغبًا في شرب كأس اللامعنى حتى الثمالة... أستطيع القول اختصارًا إنني كنت مشدودًا إلى كل ديسكو، وإلى كل ملهى ليلي في البلدة، حيث لا أريد شيئًا أكثر من الشرب حتى أفقد الوعي، وأسير مترنحًا هنا وهناك، مطاردًا فتيات أستطيع مضاجعتهن، أو تقبيلهن على الأقل. كيف لي أن أشرح هذا لهيلدِه؟

لم أكن قادرًا على شرحه. ولم أشرحه. بدلًا من ذلك، فتحتُ قسمًا فرعيًا

جديدًا في حياتي. كان اسم ذلك القسم «الشراب والأمل في الزّنى»؛ وكان ذلك القسم قائمًا إلى جوار قسم «البصيرة والإخلاص» لا يفصل بينهما غير تغيّر صغير في الشخصية يشبه سياجًا بسيطًا بين حديقتين.

كانت لينِه مسيحية. لا أعني أنها كانت مسيحية من حيث الظاهر، بل كانت مسيحية. جعلني حضورها في محطة القطار، على مقربة مني، أحسّ ضيقًا لم أفهم كيف جاءني.

كان لها شعر أسود متموّج، وحاجبان قويان، وعينان زرقاوان صافيتان. حركتها أنيقة وشخصيتها مستقلة على ذلك النحو النادر الذي لا يصطدم بالآخرين. كانت تحب الرسم، وترسم كثيرًا. وكانت موهوبة في ذلك. بعد أن تودّعني، ستذهب لدراسة الفنون الإبداعية في مدرسة ثانوية تقليدية. لم أكن واقعًا في حبها، لكنها كانت مليحة، وكنت متعلقًا بها إلى حد يصعب تصديقه. بعض الأحيان، بعد أن نشرب معًا زجاجة نبيذ أبيض، يتنامى إحساسي العاطفي نحوها، مع أنني لست واقعًا في حبها. كانت المشكلة هي أن لديها حدودًا واضحة في شأن مدى ما يمكن أن نذهب إليه. فخلال الأسابيع التي أمضيناها معًا، طلبت منها مرتين، بل توسلت إليها أن تسمح لي بينما نكون مستلقيين هناك، نصف عاريين، متعانقين في السرير، في بيتها أو في غرفتي في «بيت الدجاجات». لكن لا... لست أنا من تدّخر نفسها له.

بلغ مني القنوط حدًا جعلني أقول لها: «ألا نستطيع فعل ذلك من الخلف؟»، من غير أن أدرك تمامًا ما يشتمل عليه ذلك. احتضنتني لينِه بجسدها اللدن وغمرتني بالقبلات. لم تمض إلا بضع ثوانٍ حتى أحسست بتلك التقلصات الكريهة في الأسفل وملأ المني سروالي الداخلي، فابتعدت عنها خفية. كانت تسوقُها عاطفة قوية نارية فلم تدرك أن مزاجي قد تغير تغيرًا تامًا بين لحظة وأخرى.

كانت واقفة إلى جانبي على رصيف محطة القطار. يداها في جيبي بنطلونها الخلفيين، وعلى كتفيها حقيبة ظهر صغيرة. بقيت ست دقائق على موعد قيام القطار. لا يزال الناس يصعدون إلى العربات.

نظرت إليَّ وقالت: «سوف أذهب سريعًا لأشتري شيئًا من ذلك الكشك. هل أنت في حاجة إلى شيء؟».

هززت رأسي، ثم قلت: «آه، نعم. كوكا كولا».

ذهبَتْ مسرعة في اتجاه كشك شركة نارفيسين. نظرت هيلدِه إليّ وابتسمت. عينا لارس تتجولان في أرجاء المكان. إيريك يحدّق في اتجاه الميناء.

استدار إليّ وقال: «الآن، سوف أعطيك نصيحة بما أنك ذاهب في هذا العالم الكبير الواسع».

قلت: «أوه، ماذا؟».

«فكر قبل أن تتصرّف. احرص دائمًا على ألا يراك أحد عندما تُنزل سروالك الداخلي... وسوف تنجو. على سبيل المثال، إذا أردت أن تداعب إحدى تلميذاتك قضيبك، فبحق الله، افعل ذلك خلف مكتب المعلم، لا أمامه. هل فهمت؟».

قلت له: «أليست هذه معايير مزدوجة؟».

ضحك.

قالت هيلدِه: «وأيضًا، عندما تكون في الشمال وتجد نفسك راغبًا في صفع صديقتك، فافعل هذا على نحو لا يترك آثار كدمات. لا تصفعها على وجهها مهما أحببت أن تفعل ذلك».

«أتظنين إذًا أن عليّ أن تكون لي صديقتان. واحدة هنا، وأخرى هناك، في الشمال؟».

قالت: «لم لا».

قال إيريك: «واحدة تضربها، وواحدة لا تضربها. لا تستطيع الوصول إلى توازن أفضل من هذا».

قلت: «هل لديكم أية نصائح أخرى؟».

قال لارس: «ذات مرة، شاهدت في التلفزيون مقابلة مع رجل عجوز. سألوه إن كان لديه شيء علمته إياه حياته الطويلة ويحب أن يقوله للمشاهدين.

قال الرجل إن لديه شيئًا بخصوص ستارة الحمام. احرص على أن تكون أطراف الستارة مسدلة داخل حوض الاستحمام، لا خارجه. إذا لم تفعل هذا قبل أن تفتح الدوش، فسوف ينسكب الماء على أرض الحمام كلها».

ضحكنا. راح لارس ينظر من حوله. كان مسرورًا من نفسه.

ومن خلفه، عادت لينِه خالية الوفاض.

قالت: «صَفّ الانتظار طويل جدًّا. لكني أظنهم يبيعون المشروبات في القطار».

قلت لها: «إن لديهم مشروبات هناك».

«هل نذهب الآن؟».

قلت: «فلنذهب. هَذَه هو هَذَه، كما كان فليكسنس يقول. وداعًا يا كريستيانساند».

عانقوني واحدًا بعد الآخر. كان هذا شيئًا بدأت أفعله منذ الصف الثاني: نتعانق كلما التقينا.

وضعت كيس البحّارة على ظهري، وحملت حقيبتي، وصعدت القطار من خلف لينِه. لوحوا لنا بأيديهم بضع مرات. تحرّك القطار فساروا صوب موقف السيارات.

لا أستطيع تصديق أن هذا كان منذ يومين فقط.

وضعت الكتاب من يدي. وبينما كنت ألف سيجارة جديدة وأتناول رشفة من قهوتي الفاترة، قرأت الجمل الثلاث التي كتبتها على الورقة.

هناك، في الأسفل، صار المتجر أقل ازدحامًا. ذهبت إلى المطبخ فأحضرت تفاحة، ثم جلست من جديد خلف الآلة الكاتبة. كتبت ثلاث صفحات في الساعة التي أعقبت ذلك. كتبت عن ولدين في منطقة سكنية؛ ورأيت أن ما كتبته كان جيدًا. قد أكتب ثلاث صفحات أخرى فتنتهي القصة. هذا ليس بالأمر السيئ أبدًا: إنهاء قصة قصيرة في يومي الأول هنا. على هذا المنوال، من الممكن أن تصير لديَّ مجموعة قصصية جاهزة قبل عيد الميلاد.

كنت واقفًا أغسل ركوة القهوة، فرأيت سيارة آتية في الطريق الصاعدة

من عند المتجر. وقفت السيارة عند بيت المشرف على المدرسة، ونزل منها رجلان، بدا لي أنهما في أواسط العشرينيات. كلاهما قوي البنية، واحد طويل والآخر أقصر قامة وأكثر امتلاء. أمسكت بالركوة تحت ماء الصنبور إلى أن امتلأت، ثم وضعتها على الموقد. كان الرجلان صاعدين في اتجاه بيتي. تنّحيت جانبًا حتى لا يرياني من النافذة.

توقّفت خطواتهما أمام بابي.

هل هما آتيان لرؤيتي؟

سمعت أحدهما يقول للآخر شيئًا. دوى صوت جرس الباب ممزقًا صمت الشقة.

مسحت يدي المبتلة على فخذي، وخرجت إلى الممر، وفتحت الباب.

مدَّ القصير يده لي. كان وجهه مربَّعًا، وذقنه مدورة بارزة من الأمام قليلًا، وفمه صغير، وعيناه يقظتان. كان له شارب أسود، وذقن نما شعرها قليلًا. رأيت حول عنقه سلسلة ذهبية ثقيلة.

قال لي: «أنا ريمي».

ارتبكت، وصافحت يده الممدودة. قلت: «أنا كارل أوفه كناوسغارد».

قال الطويل: «أنا فرانك» ومد لي يده. كانت يدًا ضخمة. وكان وجهه مدورًا بقدر ما كان وجه الرجل الآخر مربعًا. وجه مدور لحيم. شفتاه غليظتان، وجلده رقيق، يكاد يكون ورديًا. شعره أشقر خفيف. بدا كأنه طفل صغير كبير الحجم. عيناه لطيفتين أيضًا، كعينيّ طفل صغير. قال الذي اسمه ريمي: «هل نستطيع الدخول؟ سمعنا أنك وحدك هنا فظننا أنك قد تحب أن تكون لديك صحبة. أظنك لا تعرف أحدًا في القرية حتى الآن».

قلت له: «أوه. هذا لطف منكما. تفضلا بالدخول».

رجعت خطوة إلى الخلف. *لطف منكما! تفضلا بالدخول!* بحق الجحيم، من أين أتتني هذه الكلمات؟ هل بلغت الخمسين.

توقف الاثنان في غرفة الجلوس ونظرا من حولهما. أومأ ريمي برأسه عدة مرات. قال: «عاش هاريسون هنا السنة الماضية».

نظرت إليه مستفهمًا.

قال لي: «إنه المعلم المؤقت السابق. كثيرًا ما كنا نجلس هنا. كان شخصًا رائعًا».

قال فرانك: «كان شخصًا جيدًا».

قال ريمي: «لم تكن كلمة لا موجودة في قاموسه».

قال فرانك: «نفتقده كثيرًا، منذ الآن. هل نستطيع الجلوس؟».

قلت: «نعم، بالطبع. ألا تشربان فنجان قهوة؟ إنني أعدّ قهوة الآن».

«قهوة؟ نعم، من فضلك».

خلعا سترتيهما ووضعاهما على ذراع الأريكة، ثم جلسا. كان جسداهما كأنهما برميلان. ثخن ذراع ذلك الذي اسمه فرانك كثخن فخذي. بقيت واقفًا عند الموقد، ظهري إليهما، لكن حضورهما كان محسوسًا... حضور ملأ الشقة كلّها وجعلني أحسّ بنفسي ضعيفًا كأنني نمت.

هذا لطف منكما. ألا تحبّان شرب فنجان قهوة!؟

بحق الرب! ليست لدي فناجين هنا. عندي فنجان واحد أحضرته معي. فتحت الخزائن فوق المجلى. خالية، بالطبع. ثم فتحت الخزائن السفلى. هناك، عند أنبوب التصريف النازل من المجلى، وجدت كأسًا، غسلتها، وأضفت البن إلى الركوة، ووضعتها على الموقد بضع لحظات، ثم أخذتها إلى غرفة المعيشة، ونظرت من حولي باحثًا عن شيء أضعها عليها.

سأضعها على كتاب «جنة عدن».

قال ريمي: «حسنًا... ما رأيك، يا كارل أوفه؟».

كان أمرًا غير مريح أن أسمع اسمي يستخدمه بهذه الألفة شخص لم أره قبل الآن. أحسست بالحرارة تدبّ في وجنتي.

قلت: «لا أعرف عم تتحدّث».

قال فرانك: «نحن ذاهبان الليلة إلى حفلة، هناك، في غريلفيورد. أتحب الذهاب معنا؟».

«لدينا مكان في السيارة. نعرف أنه لم يتسن لك وقت للذهاب إلى فينمونوبول[1]. لذلك أحضرنا شرابًا من أجلك أيضًا. ما رأيك في هذا؟».

قلت: «لست واثقًا».

«ماذا؟ أتفضّل أن تظلّ هنا وحدك في هذه الشقة الخالية؟».

قال فرانك: «اترك الرجل يتّخذ قراره بنفسه».

«صحيح، معك حق».

قلت لهما: «كنت أفكر في إنجاز بعض العمل».

قال ريمي: «عمل؟ أي عمل؟». لكنّ عينيه قد استقرّتا على الآلة الكاتبة... «هل تكتب؟».

أحسست بوجهي يحمرّ من جديد.

رفعت كتفي وقلت: «أكتب قليلًا».

قال ريمي: «آه، أنت كاتب! هذا ليس سيئًا». ثم ضحك.

«لم أقرأ في حياتي كلّها كتابًا واحدًا. ولا حتى عندما كنت في المدرسة. كنت أتجنّب هذا دائمًا. وأنت، هل قرأت شيئًا؟». قال هذا ناظرًا إلى فرانك.

«نعم. قرأت كثيرًا. مجلة كوكتيل»[2].

انفجر الاثنان ضاحكين.

نظر إليّ ريمي، وقال: «هل يصح اعتبارها قراءة؟ أنت كاتب. هل تعتبر المواد الإباحية أدبًا؟».

ابتسمت ابتسامة متوتّرة. قلت: «القصص قصص، على ما أظن».

مرّت لحظة صمت. قال فرانك: «سمعت أنك من كريستيانساند».

أومأت برأسي.

«ألديك صديقة هناك؟».

---

(1) فينمونوبول: متجر بيع المشروبات الكحولية. تباع هذه المشروبات في النرويج من خلال متاجر متخصّصة تحتكرها الدولة.

(2) مجلة كوكتيل: مجلة إباحية.

فكرت في الأمر لحظة. قلت: «نعم ولا».

قال ريمي: «نعم ولا! يبدو هذا أمرًا يثير الاهتمام».

ألقى فرانك نظرة سريعة في اتجاه ريمي وقال: «أهو أمر يثير اهتمامك؟».

«اهتمامي! لا. أنا من نوع إما - أو».

مرّت لحظة صمت أخرى تناول خلال كل منهما رشفة من قهوته.

قال ريمي: «ألديك أطفال؟».

قلت: «أطفال! بحق الجحيم... لا أزال في الثامنة عشرة فقط».

أخيرًا... جملة من القلب.

قال ريمي: «حدثت هذه الأشياء من قبلٍ في تاريخ العالم».

قلت له: «هل يعني هذا أن لديكما أطفالًا؟».

«فرانك ليس لديه أطفال. وأما أنا، فعندي طفل واحد. يعيش مع أمه».

قال فرانك: «إنه من مرحلة 'أو'».

ضحك الاثنان. ثم نظرا إليَّ معًا.

«حسنًا. لا ينبغي لنا أن نزعجه أكثر من هذا في يومه الأول هنا». قال ريمي هذا وهو ينهض واقفًا. نهض فرانك بدوره. أخذ كل منهما سترته، ثم خرجا إلى الممر.

قال ريمي: «فكّر في حفلة الليلة. سوف نكون في بيت هيغّه إذا غيرت رأيك».

قال فرانك: «هو لا يعرف بيت هيغّه».

«تسير صاعدًا حتى الطريق في الأعلى، وعندها يكون بيتها رابع بيت إلى يسارك. سوف تراه على الفور. وسوف ترى سيارات متوقّفة أمامه».

مدَّ لي يده: «آمل أن تأتي. أشكرك على القهوة».

أغلقت الباب من خلفهما، ثم مضيت إلى غرفة النوم واستلقيت على السرير. بسطت ذراعيّ وساقيّ وأغمضت عينيّ.

أتت سيارة صاعدة في الطريق وتوقّفت أمام البيت. فتحت عينيّ. أَزوّارٌ آخرون؟

لا. سمعت صوت إغلاق باب شقة أخرى في البيت. إنهم جيراني عائدون إلى بيتهم، مهما يكن أولئك الجيران. لعلّهم كانوا يتسوَّقون في فينسنس.

آه، كنت أكاد أموت رغبة في الاتصال هاتفيًا مع شخص أعرفه حتى نثرثر معًا.

لم أستطع النوم مع أنني كنت شديد التوق إلى ذلك، شديد التوق إلى الابتعاد عن هذا كله. بدلًا من النوم، ذهبت إلى الحمّام، وخلعت ملابسي، وأخذت دوشًا آخر. كان هذا أسلوبًا في خداع نفسي لجعلها تظن بأن شيئًا جديدًا يحدث. ليس شيئًا حسنًا كالنوم - هذا صحيح، لكنه أفضل من لا شيء. بعد ذلك، جلست بشعري المبتل وقميصي الملتصق بظهري وتابعت الكتابة. جعلت الصبيَّيْن اللذين كانا في العاشرة من العمر يسيران متجوّلين في الغابة. كانا خائفين من ظهور الثعالب لهما فحملا في يديهما مسدّسَين من مسدسات الأطفال التي تصدر صوتًا قويًا بغية إفزاع الثعالب وطردها، إن ظهرت. وفجأة سمعا صوت إطلاق نار. جرَيا جهة الصوت فشاهدا مقلب قمامة وسط الغابة. كان هناك رجلان منبطحان على الأرض يطلقان النار على الجرذان. وكأن شيئًا انطلق في داخلي عند تلك اللحظة... شرارة سعادة وطاقة. الآن، لم أعد قادرًا على الكتابة بالسرعة الكافية، وصار النصّ المكتوب متأخّرًا قليلًا عن القصة التي في رأسي. كان ذلك إحساسًا رائعًا، متألقًا، متلألئًا.

مضى الرجلان اللذان كانا يطلقان النار على الجرذان في سبيلهما، فوضع الصَبيّان كرسيَّيْن في الغابة وجلسا يطالعان مجلات إباحية. وبعد ذلك، أدخلَ واحد منهما -الصبي الذي اسمه غابرييل- قضيبه في عنق زجاجة فأحس فجأة بألم لاسع مخيف. أخرج قضيبه من الزجاجة فرأى عليه حشرة صغيرة سوداء. ضحك جوردون كثيرًا، ضحك إلى أن سقط على العشب. نسيا الزمن كله، ثم أدرك غابرييل عندما عاد إلى البيت أن والده غاضب منه؛ لكنه كان إدراكًا متأخّرًا جدًا لأن والده لكمه على فمه لكمة جعلته ينزف،

ثم حبسه في غرفة صغيرة جدًا كان فيها خزان الماء الساخن. كان عليه أن يمضي الليلة كلها في تلك الغرفة.

قاربت الساعة الثامنة عندما انتهيت من الكتابة وصارت عندي سبع صفحات ممتلئة راقدة في رزمة إلى جانب الآلة الكاتبة.

كان إحساسي بالظفر عظيمًا إلى حدٍّ جعل شيئًا في داخلي يصرخ طالبًا أن أخبر أحدًا بما استطعت إنجازه. أي شخص! أي شخص!

لكني كنت وحدي تمامًا.

أغلقت الآلة الكاتبة، وبسطت زبدة على بضع شرائح من الخبز أكلتها واقفًا أمام نافذة المطبخ. رأيت شخصًا يسير مسرعًا في الطريق تحت السماء التي بدأ يظهر فيها لون رمادي في سماء زرقاء. أتت من جهة النفق سيارتان، واحدة خلف الأخرى بمسافة صغيرة. لا بد لي من الخروج. لا أستطيع البقاء في الشقة أكثر من ذلك.

عندها، سمعت نقرًا على الباب.

فتحت الباب. رأيت امرأة في حدود الثلاثين من العمر ترتدي قميصًا قصير الكمين وبنطلونًا رياضيًا. كان وجهها لطيف التقاطيع؛ أنفها كبيرًا لكنه ليس منفرًا؛ عيناها دافئتين، بنيتين. كان شعرها أشقر اللون داكنًا مربوطًا في عقدة خلف رأسها.

قالت المرأة: «مرحبًا! أردت إلقاء السلام فحسب. نحن جاران. أعيش في الأعلى. نحن زملاء أيضًا، فأنا معلمة مثلك. اسمي توريل».

مدّت لي يدها. كانت أصابعها نحيلة، لكنها شدّت على يدي بقوة.

قلت لها: «اسمي كارل أوفه».

قالت مع ابتسامة: «أهلًا بك في هافيورد».

قلت: «أشكرك».

«سمعت أنك وصلت يوم أمس».

«صحيح. أتيت بالباص».

« هذا حسن. سوف نتحدّث في وقت لاحق. لكني أريد القول لك إنه

ليس عليك أكثر من أن تقرع الجرس إذا وجدت نفسك في حاجة إلى أي شيء. أعني، سكر أو قهوة أو ملاءات للسرير، أو أي شيء آخر ينقصك. راديو مثلًا، هل عندك راديو؟ لدينا، على الأقل، راديو لا نستخدمه».

أومأت برأسي وقلت: «لديَّ ووكمان. لكنني أشكرك على أية حال. كان لطفًا كبيرًا منك أن تأتي لتفقد أحوالي».

كان لطفًا كبيرًا!!!

ابتسمت المرأة. وقالت لي: «إذًا، أراك في وقت لاحق».

قلت: «نعم، سنلتقي بالتأكيد».

بقيت فترة طويلة واقفًا في الممر بعد ذهابها. ماذا حدث حقًا؟

كل لقاء هنا كأنه خنجر يصيب روحي.

لا، لا بد لي من الخروج والسير.

ارتديت معطفي، ثم أمضيت بضع ثوانٍ في ضبط وضع البيريه على رأسي واقفًا أمام المرآة التي في الحمام. أقفلت الباب من خلفي وبدأت السير نازلًا في الطريق. بعد النزول مسافة، يصير ممكنًا أن يرى المرء إلى ما خلف حافة الجبل وصولًا إلى البحر، ومن خلفه خط الأفق بالغ الوضوح متصلًا بالسماء. سحابتان بيضاوان كبيرتان جدًا معلّقتان من غير حركة كأنهما عائمتان في الأعلى. وإلى الناحية الأخرى من الفيورد، رأيت زورق صيد صغيرًا يشقّ عباب البحر عائدًا إلى الميناء. كان اسم الفيورد فوغليرويفيورد. أي فيورد جزيرة الطيور. من الواضح أن الجزيرة التي هناك ينبغي أن يكون اسمها جزيرة الطيور. لا بأس، أظنّهم، أعني الأشخاص الأوائل الذين بلغوا هذه المنطقة، قد فكّروا على النحو التالي: ماذا نسمي هذا الفيورد؟ فيورد الأسماك؟ لا، كان هذا ما أطلقناه على الفيورد السابق، أليس كذلك؟ فلماذا لا نسميه فيورد الطيور؟ نعم... اسم جيد! هذه فكرة حسنة!

تابعت السير على الطريق إلى أن تجاوزت مصنع تعليب الأسماك الذي كان خاويًا إلا من النوارس الجاثمة على سطحه. ثم بلغت المنعطف الذي تفضي الطريق عنده إلى جزء من القرية أكثر ارتفاعًا. كان الجبل ناهضًا بعد

البيت الأخير مباشرة. لا مرحلة وسطى مثلما اعتدت رؤيته حيث نشأت... تلك الأماكن غير الواضحة، التي يصعب تحديدها، فلا هي أملاك خاصة ولا هي طبيعة مفتوحة. وأما هنا، فهذه طبيعة حقيقية، طبيعة ليست على غرار نمط الطبيعة اللطيف المنخفض في سورلاند... إنها طبيعة قاسية قطبية تلعب فيها الريح، طبيعة تواجهك لحظة تفتح باب بيتك.

هل يبلغ عدد بيوت القرية كلها مئة بيت؟

مئة بيت هنا، تحت الجبال، عند البحر.

كان لديّ إحساس يقول لي إنني سائر عند حافة العالم... إحساس يقول لي إن المضي إلى ما هو أبعد من هذا أمر مستحيل. خطوة واحدة أضيع بعدها وأنتهي.

لكن -يا إلهي- ما أروع أن يكون المرء قادرًا على العيش هنا!

من وقت إلى آخر، كنت أرى حركات خلف نوافذ البيوت التي أمرُّ بها. وميض شاشات التلفزيون. وكل شيء مغمور، لست أدري كيف، في صخب تكسر الأمواج على الشاطئ في الأسفل، أو مندمج به، لأن هذا الزئير كان متواصلًا منتظمًا، فكأنه شيء من خصائص الهواء، أو كأن الهواء غير قادر فحسب على أن يكون أكثر برودة أو دفئًا، بل أعلى صوتًا، أو أخفض صوتًا.

ومن أمامي، ظهر لي البيت الذي افترضت أنه بيت الفتاة التي دعوها هيغّه. على أية حال، رأيت أمام ذلك البيت سيارات كثيرة، وكان صوت الموسيقى منبعثًا من باب مفتوح على الشرفة. لمحت من خلال النوافذ الكبيرة على طراز السبعينيات مجموعة أشخاص جالسين من حول طاولة. أغرتني فكرة الذهاب إلى ذلك البيت، وطرق بابه. يصعب أن يتوقّعوا مني أي شيء؛ فأنا لا أعرف أحدًا هنا، ولا بد أن يكون قدر من الخجل والتحفظ أمرًا طبيعيًا. لذا، لا بأس إن دخلت وجلست هناك وشربت من غير أن أنطق بكلمة واحدة إلى أن يفعل الكحول فعله ويرخي شيئًا مشدودًا في داخلي، يرخي قلبي أيضًا، قلبي الذي كان لحظتها صغيرًا جدًّا، منقبضًا جدًّا.

واصلت السير وأنا أفكّر في هذا، بل إنني لم أبطئ خطواتي لأنهم إن

رأوني واقفًا هناك، متردّدًا، ثم رأوني أعود إلى بيتي من جديد، فسوف يظنون أنهم استنتجوا عني شيئًا.

لعلي كنت في توق إلى شيء يجعل قلبي يعود إلى حجمه الطبيعي؛ إلا أن هذا لم يكن شديد الأهمية. عليّ أن أتابع الكتابة... هذا ما قلته في نفسي وأنا أواصل السير، ثم تجاوزت البيت كلّه فكان أوان تغيير رأيي قد فات.

نظرت إلى ساعتي عندما توقّفت أمام باب بيتي. استغرق سيري في القرية كلها خمس عشرة دقيقة. يعني هذا أنني سأعيش حياتي كلّها داخل هذه الدقائق الخمس عشرة طوال السنة القادمة كلها.

سرَت رعشة في جسدي. دخلت الممر، وخلعت معطفي. ومع علمي أن لا شيء سيحدث، أقفلت الباب، وتركته مقفلًا طيلة الليل.

لم أخرج من البيت في اليوم التالي. جلست أكتب وأنظر إلى الناس النازلين في الطريق يظهرون في نافذتي، ثم يختفون. سِرت داخل الشقة متأمّلًا أكثر فأكثر في ما سأفعله عندما تبدأ الدروس يوم الثلاثاء. بدأت أصوغ في رأسي جملة تمهيدية عقب أخرى، مع محاولتي أيضًا تقرير الاستراتيجية التي سأعتمدها في التعامل مع التلاميذ. الأولوية الأهم هي تحديد مستواهم. هل أجري لهم اختبارًا في مواضيع دراستهم كلّها، منذ البداية؟ وعند ذلك، أضع خطة لما سأفعله بعدها؟ اختبارات؟ لا. هذا قاسٍ قليلًا. فيه شيء من التسلّط. فيه شيء من الروح المدرسية الكريهة.

إذًا، قد أعطيهم بعض الأسئلة. يستطيعون حلّها في البيت!

لا، لا! لدي وقت طويل جدًا أثناء الدروس، ولا بد لي من ملئه في كل درس. من الأفضل أن أعطيهم تمرينات ومسائل ينجزونها في المدرسة. أستطيع العمل على ترتيب هذا الأمر غدًا.

دخلت غرفة النوم، واستلقيت على السرير، وأنهيت قراءة الكتابين اللذين اشتريتهما. وبعد فراغي منهما. بدأت قراءة المجلة الأدبية التي اشتريتها في أوسلو، مع أنني لم أفهم منها إلا القليل. كنت أعرف أكثر

الكلمات في تلك المقالات، لكن ما تتحدّث عنه بدا لي شيئًا أبعد من متناولي... كأنها مقالات تتناول عالمًا مجهولًا لا تستطيع كلمات العالم القديم تناوله. إلا أن أمرًا واحدًا ظهر لي عبر تلك الصفحات بقوة أكبر من أي شيء آخر: إنه وصف كتاب «*أوليسيس*» الذي بدت لي فرادته رائعة روعة مطلقة. رأيت أمامي برجًا عملاقًا، نديًا، متلألئًا، يحيط به ضباب رقيق ونور باهت من شمس تحجبها الغيوم. كان ذلك الكتاب مصنّفًا من بين أهم أعمال الحداثة الأدبية... تعبير كان يجعلني أتخيل سيارات سباق منخفضة، وطيارين في سترات وخوذات جلدية، ومناطيد زيبلن تحوم فوق ناطحات السحاب في مدن عظيمة أنوارها متلألئة، لكنها قاتمة. تعبير يجعلني أيضًا أتخيل كمبيوترات وموسيقى إلكترونية. أسماء من قبيل هيرمان بروتش وروبرت موسيل وآرنولد شونبرغر. عناصر من ثقافات سابقة اندثرت منذ عهد بعيد لكنها ظلت، في عين عقلي، مستوعَبة في هذا العالم... عناصر من بينها كتاب «*فرجيل*» لبروتش، و«*أوليسيس*» لجويس.

عندما كنت في المتجر يوم أمس، نسيت أن اليوم سيكون يوم أحد. ولهذا، كنت آكل الخبز مع معجون الكبد (الباتيه) والمايونيز عندما سمعت جرس الباب يقرع من جديد. مسحت فمي بظاهر يدي وهرعت إلى الممر مسرعًا.

رأيت فتاتين تقفان أمام الباب. عرفت إحداهن على الفور. إنها الفتاة التي كانت جالسة في المقعد القريب مني في الباص عندما أتيت.

ابتسمت لي. قالت: «مرحبًا! هل عرفتني؟».

أجبتها: «بالطبع عرفتك. أنت الفتاة التي كانت في الباص».

ضحكت عندما سمعت هذا.

«وأنت المعلم الجديد في هافيورد! توقّعت هذا عندما رأيتك، لكني لم أكن واثقة تمامًا. ثم أخبرني أحدهم في الحفلة ليلة أمس أنك المعلم الجديد».

مدّت لي يدها وقالت: «اسمي إيرينِه».

أجبتها مبتسمًا: «أنا كارل أوفه».

قالت مومئة برأسها صوب الفتاة الأخرى: «وهذه هيلدِه». صافحت يد هيلدِه. قالت إيرينه: «إنها ابنة عمي. أتيت اليوم لكي أزورها. لكن الحقيقة أن هذا كان حجة للمجيء والسلام عليك». ضحكت ضحكة صغيرة... «لا، لم تكن حجة. هذا مزاح فقط».

قلت لهما: «ألا تدخلان؟».

نظرت كل منهما إلى الأخرى.

قالت إيرينه: «بالتأكيد».

كانت إيرينه ترتدي بنطلون جينز، وسترة من الجينز الأزرق من تحتها بلوزة خفيفة بيضاء. كانت ممتلئة، ثدياها مكوّرَيْن تحت بلوزتها، وشفتاها عريضتين. كان شعرها أشقر اللون منحدرًا حتى كتفيها. جلدها أبيض شاحب، وبضع نمشات من حول أنفها. عيناها كبيرتان، زرقاوان، معابثتان. وقفت إلى جانبها في الممر، وشممت عبق عطرها الذي كان ممتلئًا مثلها. ناولتني سترتها (ما من مشجب في الممر). نظرة أخرى متفحّصة قليلًا جعلتني أنتصب من جديد.

قلت لهيلدِه: «أستطيع أخذ سترتك أيضًا». كان حضورها أقل كثيرًا من حضور ابنة عمها. ناولتني سترتها مبتسمة ابتسامة متردّدة خجلى. علقت السترتين على ظهر كرسي المكتب، وأسرعت ودسست يدي في جيب بنطلوني حتى لا يظل ذلك الانتفاخ مرئيًا. دخلت الفتاتان غرفة الجلوس بخطوات متردّدة بعض الشيء.

قلت: «أمتعتي لم تصل بعد. سوف تصل عما قريب».

قالت إيرينه مبتسمة: «نعم يبدو المكان هنا فقيرًا إلى حد ما».

جلستا على الأريكة. كانت ركبتا كل منهما مشدودتين معًا.

جلستُ على كرسي قبالتهما، ووضعت ساقًا فوق ساق حتى أخفي انتصابي الذي لم يهدأ بعد. إنها الآن جالسة على مسافة متر واحد مني.

سألتني: «كم عمرك؟».

أجبتها: «ثمانية عشر عامًا. وأنت، كم عمرك؟».

قالت إيرينه: «ستة عشر».

وقالت هيلدِه: «وأنا سبعة عشر عامًا».

قالت إيرينه: «يعني هذا أنك أنهيت المدرسة الثانوية منذ وقت قريب جدًا!».

أومأت برأسي.

قالت: «أنا في الصف الثاني في مدرسة فينسنس الثانوية. إنها مدرسة داخلية. يعني هذا أن لديَّ غرفة هناك. تستطيع القدوم لزيارتي، إن أردت. لا شك أبدًا في أنك ستتردّد كثيرًا على فينسنس، عما قريب».

قلت لها: «نعم. يسرني هذا».

تلاقت عيوننا. ابتسمت لي. ابتسمت لها.

«لكني من هيليفيكا، في الحقيقة. إنها القرية التالية. خلف الجبل. لا تبعد عن هذا المكان أكثر من بضعة كيلومترات. هل لديك رخصة قيادة سيارة؟».

أجبت: «لا».

قالت: «أمر مؤسف».

وبعد ذلك، حلّ صمت استمر بضع لحظات. نهضتُ واقفًا، وأتيت بطبق السجائر وبكيس التبغ. لففت سيجارة.

قالت لي: «هل أستطيع تدخين سيجارة من عندك؟ سجائري في سترتي».

رميت لها بكيس التبغ.

قالت وهي تلف سيجارتها: «لم أستطع منع نفسي من الضحك عندما كنا في الباص يوم أمس. بدوتَ كأنك تحاول الخروج من النافذة».

ابتسمت الفتاتان. مرّرت لسانها على حافة الورقة، ثم لفّتها مستخدمة سبابتيها وإبهاميها. وضعتها في فمها، ثم أشعلتها.

قلت لها: «كان المنظر جميلًا جدًا. لم تكن لدي أية فكرة عما سأراه هنا. هافيورد كانت بالنسبة لي اسمًا، لا أكثر. الحقيقة أنه لم يكن حتى اسمًا».

«إذًا، لماذا طلبت تعيينك هنا؟».

هززت كتفي وقلت: «أعطوني في مكتب التوظيف قائمة أسماء، فاخترت منها هذا الاسم».

صوت خطوات في الطابق الذي فوقنا. رفعنا رؤوسنا ناظرين إلى السقف.

قالت إيرينه: «هل التقيت توريل؟».

قلت: «أجل، لحظة وجيزة. هل تعرفانها؟».

«بالطبع نعرفها. يعرف كل شخص جميع الناس هنا. أعني... في هيليفيكا وهافيورد».

قالت هيلدِه: «وفي فولويا أيضًا».

صمت آخر.

سألتهما: «ما رأيكما في فنجان قهوة؟». وهممت بالنهوض عن الكرسي.

هزّت إيرينه رأسها وقالت: «لا، أظن أن علينا أن نذهب الآن. ما رأيك يا هيلدِه؟».

قالت ابنة عمها: «صحيح. هذا ما أظنه أيضًا».

نهضنا واقفين. تناولت السترتين عن الكرسي، وناولت إيرينه سترتها مقتربًا منها أكثر مما هو ضروري حتى أعطيها إياها. امتلأت إحساسًا بردفيها من تحت بنطلون الجينز الضيّق، وبفخذيها وقدميها اللتين كانتا صغيرتين إلى حد مفاجئ... برقبتها وثدييها الممتلئين، وبأنفها القصير وعينيها الزرقاوين: عينان بريئتان، لكنهما جريئتان أيضًا. أغلقت الباب بعد خروجهما. لم تطل الزيارة كلها أكثر من عشر دقائق، أو لعلها كانت خمس عشرة دقيقة!

اتّجهت صوب المطبخ لكي أضع غلاية القهوة على النار، فسمعت صوت الباب من جديد.

هذه المرة، كانت وحدها هناك.

قالت لي: «لدينا حفلة في هيليفيكا في عطلة نهاية الأسبوع القادمة. الحقيقة أن هذا هو سبب قدومي... لكي أخبرك. هل تحب الذهاب إليها؟ هذه طريقة جيدة للقاء الناس هنا».

قلت لها: «بالطبع. سوف آتي، إن استطعت».

قالت: «إن استطعت! ما عليك إلا أن تجلس في سيارة. سيذهب الجميع. أراك هناك».

غمزت لي بعينها. ثم استدارت وسارت نازلة صوب هيلدِه التي كانت واقفة عند الطريق تضرب حافة الإسفلت بمقدمة حذائها.

بعد الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي، خرجت من الشقة أول مرة بعد مكوثي فيها أكثر من يوم كامل. غمرت بابي أشعة الشمس المرتفعة قليلًا فوق الجبال ناحية الشرق. عندما أغلقت الباب من خلفي، صافح وجهي هواءٌ لطيفٌ، صيفيٌّ. لكن ذلك الهواء نفسه صار أكثر برودة بعد أمتار قليلة فقط، فالمكان يقع في ظل الجبال. انتابني إحساس بأن في الجو بُرَكًا صغيرة، أو شيئًا كأنه تيارات ومجارٍ وشلالات... إحساس بدا لي مبهجًا على نحو غريب. كانت المدرسة أمامي، فوق هضبة صغيرة. صحيح أنني لم أكن خائفًا من دخولها، لكني كنت متوترًا إلى حد جعل دفقات صغيرة من الترقب تتخللني أثناء اقترابي منها.

على غرار بقية المدارس، كانت هذه المدرسة مبنى متطاولًا، مكوَّنًا من طابق واحد، متصل عبر ممر يشبه نفقًا ببناء أحدث عهدًا وأكبر حجمًا (أكثر ارتفاعًا أيضًا)، فيه غرفة أشغال الخشب، والصالة الرياضية، وبركة سباحة صغيرة. وبين المبنَيين باحة ممتدة إلى ما بعدهما، حيث تتصل بملعب كبير لكرة القدم. وعلى رابية بعد الملعب، بناء آخر مزهوٌّ بموقعه ظننته مقر المركز الاجتماعي.

رأيت سيارتين متوقِّفتَيْن أمام مدخل المدرسة. سيارة جيب كبيرة بيضاء، وسيارة سيتروين سوداء منخفضة. صف النوافذ لامع في الشمس. باب المدرسة مفتوح. دخلت الممر. بدت أرضية اللينوليوم ذات اللون الأصفر بيضاء تقريبًا، في ضياء الشمس المنسكب عليها، شرائح طويلة عبر المستطيلات الزجاجية في الباب. انعطفت عند زاوية الممر فرأيت ثلاثة

أبواب إلى اليمين، وبابين إلى اليسار. كان آخر الممر مفضيًا إلى صالة كبيرة. توقف رجل ونظر إليّ. كانت له لحية طويلة، وبقع صلعاء على رأسه. لعله في أوائل الثلاثينيات.

قال لي: «مرحبًا!».

أجبته: «مرحبًا!».

« أظنك... كارل أوفه».

قلت: «هذا صحيح». توقّفت أمامه.

قال لي: «اسمي ستوره». وتصافحنا.

قال لي مبتسمًا: «لم أَكن واثقًا عندما سألتك إن كان اسمك كارل أوفه. لكن، لم يبد لي أنك نيلز إيريك».

قلت: «نيلز إيريك!».

«نعم. لدينا هذه السنة مَعلمان من الجنوب. أنت ونيلز إيريك. وأما بقية المعلمين غير المؤهلين فهم من سكان المنطقة. هذا يعني أنني أعرفهم جميعًا».

«هل أنت من سكان المنطقة؟».

«بكل تأكيد».

نظر في عينيّ بضع ثوانٍ. وجدت ذلك مزعجًا... ما هذا؟ أهو نوع من الاختبار؟ لكني بقيت محدقًا في عينيه لأنني لم أرد أن أكون الأول في إنهاء تلك المواجهة.

تحولت عيناه بعد حين صوب الباب الذي كنا واقفين على مقربة منه. قال لي: «أنت صغير السن كثيرًا. لكننا نعرف هذا، بطبيعة الحال. سيكون كل شيء على ما يرام. هيا بنا... سأعرِّفك على الآخرين».

مدَّ يده مشيرًا إلى الباب. فتحت الباب ودخلت. كانت تلك غرفة المعلّمين. مطبخ صغير، وكنبات، وأريكة، وحجرة صغيرة فيها أوراق كثيرة وآلة تصوير الوثائق. غرفة مجاورة مستطيلة فيها صفان متقابلان من الكمبيوترات.

قلت: «مرحبًا!».

كان من حول الطاولة ستة أشخاص جالسين. اتجهت العيون كلّها صوبي.

أومأ الجميع برؤوسهم وغمغموا بكلمات ترحيب. ظهر من ناحية المطبخ الصغير رجل قصير لكنه ذو مظهر قوي نشط. كانت له لحية حمراء.

ابتسم ابتسامة عريضة وقال لي: «أأنت كارل أوفه؟». أومأت برأسي، فصافحني وقال مخاطبًا الآخرين: «هذا هو كارل أوفه كناوسغارد؛ الشاب الذي أتى طيلة المسافة من كريستيانساند حتى يعمل معنا». ذكر بعد ذلك أسماء الجالسين جميعًا، لكنني نسيتها بعد لحظة واحدة. كان فنجان قهوة في يد كل منهم، أو أمامه على الطاولة. كانوا شبابًا كلّهم، عدا امرأة واحدة في سن الكهولة. بدا لي أنهم في أوائل العشرينيات، أو نحو ذلك.

«اجلس، يا كارل أوفه. ألا تريد قهوة؟».

قلت: «نعم، من فضلك»، ثم اندسست عند حافة الأريكة وجلست.

خلال الساعات التي تلت ذلك، تحدّث لنا عن المدرسة -نحن، المعلمان المؤقتان الجديدان- المدير الذي كان اسمه ريتشارد. بدا لي أنه في أواخر الثلاثينيات. أخذنا في جولة على غرف المدرسة كلّها، وسلّمنا المفاتيح، وخصّص لكل منا كمبيوترًا. ثم بدأنا نستعرض معًا جداول الدوام والمواد الدراسية المختلفة. كانت مدرسة صغيرة فيها عدد قليل من التلاميذ بحيث تكون صفوف مختلفة مجمّعة معًا في دروس كثيرة. ستكون توريل المعلّمة المشرفة على الصفين الأول والثاني. وتشرف هيغّه على الصفين الثالث والرابع. وأما أنا فسوف أكون مشرفًا على الصفوف الخامس والسادس والسابع. وأما ستورِه فسوف يكون مشرفًا على الصفين الثامن والتاسع. لماذا جعلوني معلمًا مشرفًا، أنا تحديدًا؟... لم تكن لدي أية فكرة عن ذلك. بدا لي الأمر مزعجًا قليلًا. فعلى الأقل، كان المعلم المؤقت الآخر الآتي من سورلاند، نيلز إيريك، أكبر مني بقدر لا يستهان به: كان في الرابعة

والعشرين؛ وكانت خطته أن يلتحق ببرنامج لتأهيل المعلمين بعد انتهاء هذه السنة. كان جادًا في الأمر؛ وكان يرى مستقبله في هذه المهنة. أما أنا، فلم تكن لدي أية خطة من هذا النوع... أن أصير معلمًا! هذا أقل ما أريد فعله في هذه الحياة! كان المعلمان المؤقتان الآخران من أهل المنطقة؛ وكانا على دراية بتفاصيل الأمور هنا. يعني هذا أنهما مؤهلان أكثر مني لتولّي مسؤولية الإشراف على صف. أظن أن مدير المدرسة اتخذ قراره اعتمادًا على ما كان واردًا في الطلب الذي قدّمته. ندمت عندما تذكّرت أنني بالغت كثيرًا في ما قلته عن نفسي في ذلك الطلب.

أخذنا مدير المدرسة، ريتشارد، لكي نرى مكان الكتب الدراسية، وأشار لنا إلى مجموعة وسائل الإيضاح الموضوعة تحت تصرّفنا. انتهى ذلك كلّه عند الساعة الواحدة، فسرت صوب مكتب البريد القائم في الناحية الأخرى من القرية، حيث حصلت على رقم صندوق بريد، وأرسلت بضع رسائل، ثم اشتريت طعامًا. عدت إلى شقتي وأعددت وجبة العشاء، ثم استلقيت على السرير حيث استمعت إلى الموسيقى ساعة كاملة، أو نحو ذلك، ودوّنت بضع كلمات مفتاحية عن أفكار من أجل الصفوف التي سأصير مشرفًا عليها. لكن تلك الأفكار بدت لي غبية... بدت أمورًا بديهية واضحة. مزّقت الورقة ورميتها.

كل شيء تحت السيطرة... كل شيء!

عدت إلى المدرسة عند بداية المساء. أتاني إحساس غريب عندما أدرت مفتاح باب المبنى الرئيسي وسرت في الممرات. كل شيء خالٍ. كل شيء هادئ. الضياء الرمادي المتسرّب عبر النوافذ يملأ كل شيء. الرفوف والخزائن خالية كلّها. وغرف الصفوف تبدو كأن أحدًا لم يمد يده إليها.

وجدت في غرفة المعلمين هاتفًا موضوعًا في زاوية صغيرة. رفعت السماعة وطلبت رقم أمي. اليوم هو يومها الأول أيضًا في مدرسة جديدة. كانت منهمكة في توضيب أمتعتها في المكان الجديد الذي استأجَرَته

لإقامتها... بيت ذو شرفة، واقع على مقربة من مركز بلدة فوردِه. حدّثتها قليلًا عن المكان هنا، وعن القرية. وقلت لها إنني متوتر قليلًا لأنني سأبدأ التعليم في اليوم التالي. أكدت لي ثقتها بأن كل شيء سيجري على نحو جيد. أراحني قليلًا امتداحها قوة شخصيتي، مع أنه ما كان مقنعًا لي كثيرًا... فهي أمي، في آخر المطاف. مكتبة سُر مَن قرأ

بعد انتهاء المكالمة، ذهبت إلى حجرة آلة التصوير وطبعت عشر نسخ من القصة القصيرة التي كتبتها. أردت إرسالها في اليوم التالي إلى أشخاص أعرفهم. تجوّلت بعد ذلك في أرجاء المدرسة. وفي الصالة الرياضية، فتحت الباب الخشبي المفضي إلى غرفة المعدات الرياضية الصغيرة. أخرجت كرة، وسددت بضع رميات في اتجاه مرمى كرة اليد الواقع إلى الناحية الأخرى من الصالة.

أطفأت الأنوار، ومضيت إلى بركة السباحة. الماء في البركة داكن، ساكن. ذهبت إلى صالة الأشغال الخشبية، ثم إلى الغرفة المخصّصة للعلوم الطبيعية. عبر النوافذ، يرى المرء القرية كلّها هاجعة تحت الجبال... بيوت صغيرة كثيرة متعدّدة الألوان بدت كأنها مرتعشة؛ ومن خلفها، عبر البحر، البحر الذي من غير آخر، والسماء الناهضة منه، في البعيد البعيد، أفق ممتلئ غيومًا متطاولة بلون الدخان.

سيأتي التلاميذ صباح يوم غد، أول الصباح. وعندها، يبدأ العمل.

أطفأت الأنوار من خلفي، وأقفلت الباب، وسرت نازلًا التلة. في يدي، حلقة المفاتيح الضخّمة ترن مع كل خطوة من خطواتي.

استيقظت صباح اليوم التالي متوتّرًا توتّرًا شديدًا كاد يجعلني أتقيأ. شربت فنجان قهوة فكان كل ما استطعت ابتلاعه. سرت صوب المدرسة قبل نصف ساعة من موعد الدرس الأول. جلست في مكاني، ورحت أقلّب صفحات الكتب التي سنستخدمها. كان المزاج العام بين المعلمين المتحرّكين جيئة وذهابًا بين غرف الصفوف وآلة التصوير والمطبخ الصغير والأريكة مزاجًا

منطلقًا، مبتهجًا. ومن النافذة، رأيت توافد التلاميذ، أفرادًا وجماعات. رأيتهم يأتون صاعدين الطريق إلى المدرسة. ذعرٌ جمّد صدري. قلبي يخفق عنيفًا كأن أحدًا يخنقني. رأيت حروف الكتابة على الصفحة التي فتحتها، لكني لم أفهم منها أي معنى. نهضت واقفًا بعد قليل، وذهبت إلى المطبخ لكي أعدّ لنفسي فنجان قهوة. وعندما التفتت، قابلت عيناي نيلز إيريك. بدا لي مسترخيًا، متّكئًا على الأريكة، مباعدًا بين ساقيه.

قلت له: «أنت حر خلال الحصة الأولى، أليس كذلك؟».

أومأ برأسه. احمرت وجنتاه قليلًا. كان شعره أسود اللون، خصلاته مشعّثة كالتي كانت على رأس صديقي المفضل في ما مضى. عيناه لهما لون أزرق خفيف.

جلست على الكرسي المقابل له. قلت: «أنا متوتّر كثيرًا».

قال لي: «ما سبب توتّرك؟ تعرف أن عدد التلاميذ في كل صف لا يتجاوز خمسة أو ستة. ألا تعرف هذا؟».

قلت له: «أعرف. لكني متوتّر».

ابتسم لي.

قال: «ما رأيك أن نتبادل مكانينا؟ هم لا يفرقون بيننا. سأكون كارل أوفه، وستكون نيلز إيريك».

أجبته: «نستطيع فعل هذا. ولكن، ماذا نفعل عندما نريد أن يعود كلًا منا إلى مكانه؟».

«يعود إلى مكانه! لماذا نفعل هذا؟».

قلت: «صحيح. أنت محق في هذه النقطة». ألقيت نظرة عبر النافذة. رأيت التلاميذ واقفين في مجموعات. كان بعضهم يجري هنا وهناك. وأيضًا، رأيت بينهم بضع أمهات. كانت ملابس الأطفال الذين مع أمهاتهم جميلة.

بالطبع... لا بد أن تكون جميلة! بعضهم يأتي إلى المدرسة أول مرة. هذا هو يومهم الأول في المدرسة.

قلت: «إذًا، من أين أنا؟».
قال: «من هوكسوند. وأنا؟».
أجبته: «أنت من كريستيانساند».
قال: «عظيم!».
هززت رأسي وقلت له: «لا، أنت مخطئ في حكمك».
نظر إليّ ولمعت عيناه. قال لي: «لعلك تظن هذا الآن. لكن، انتظر بضع سنين فقط».
قلت: «ماذا يحدث خلال هذه السنين؟».
رُن جرس المدرسة في تلك اللحظة.
قال لي: «خلال بضع سنين، سيصير مسقط رأسك جنّة في نظرك».
قلت في نفسي: بحق الجحيم، ماذا تعرف عن هذا؟ لكني لم أقل شيئًا. نهضت واقفًا، وحملت فنجان القهوة في إحدى يديّ، ورزمة الكتب باليد الأخرى، ثم اتّجهت صوب الباب.
قال من خلفي: «أتمنى لك حظًا طيبًا».

كان في الصف السابع بضعة تلاميذ. أربع بنات، وصبي واحد. فضلًا عن أولئك، كنت مسؤولًا أيضًا عن ثلاثة في الصفين الخامس والسادس. يعني هذا أن عدد تلاميذي كلهم ثمانية فقط.
اقتربت من طاولة المعلم، ووضعت أشيائي عليها. كانوا ينظرون إليّ جميعًا. تعرَّقت راحتا يديّ، وكان قلبي يخفق خفقانًا شديدًا يجعل صدري يرتعش كلما استنشقت الهواء.
قلت لهم: «مرحبًا، اسمي كارل أوفه كناوسغارد. أنا من كريستيانساند. سوف أكون المعلم المشرف عليكم هذه السنة. أظن أن من الأفضل أن تقولوا لي أسماءكم. إنها مسجلة عندي، لكني أريد معرفة أصحاب هذه الأسماء».
راحوا يتبادلون نظرات سريعة أثناء كلامي. ضحكت اثنتان من الفتيات.

لم أر في نظراتهم أي شيء عدائي... هذا ما أحسسته على الفور... كانت نظرات طفولية. إنهم أطفال.

أخرجت قائمة الأسماء. نظرت إليها، ثم نظرت إليهم. عرفت بينهم الفتاة التي رأيتها في المتجر. إلا أن من أحدثت الانطباع الأقوى في نفسي كانت فتاة لها شعر ضارب إلى الحمرة ونظارة ذات إطار أسود. كان واضحًا لي أن في نظراتها شيء من الريبة. وأما الآخرون، فلم أر في نظراتهم أي شيء خاص.

قلت: «أندريا؟».

«هنا»، قالتها الفتاة التي كانت في المتجر. قالتها خافضة عينيها، لكنها نظرت إليّ بعد ذلك.

ابتسمت لكي أطمئنها.

«فيفيان؟».

ضحكت الفتاة الجالسة إلى جانبها. قالت: «هذه أنا».

«هيلديغون؟».

«نعم»... قالتها الفتاة ذات النظارة.

«كاي روالد؟».

إنه الولد الذي في الصف السابع. كان يجلس مرتديًا بنطلون جينز وسترة جينز ويعبث بقلمه.

قال لي: «أنا».

قلت: «ليفِه؟».

ابتسمت فتاة لها شعر طويل ووجه مدور ونظارة. قالت: «أنا».

بعدهم جاء دور الولد والبنت في الصف السادس، ثم البنت في الصف الخامس.

وضعت القائمة من يدي، وجلست خلف طاولتي.

«سوف أعلمكم اللغة النرويجية، والرياضيات، والدين، والعلوم. لكنكم تلاميذ جيدون جدًّا، كلكم... أليس كذلك؟».

قالت حمراء الشعر ذات النظارة: «لسنا جيدين جدًا. يأتينا دائمًا معلمون غير مؤهلين، قادمون من الجنوب، ولا يبقون معنا إلا سنة واحدة».

ابتسمتُ عندما قالت هذا، لكنها لم تبتسم.

«ماذا تحبّون من المواد التعليمية؟».

نظر كل منهم إلى زملائه. لم تظهر عليهم أية رغبة في الإجابة عن هذا السؤال.

«ماذا تقول أنت، يا كاي روالد؟».

انكمش الصبي على نفسه. اكتست وجنتاه لونًا ورديًا. قال لي: «لست أدري. أظن أنني أحب أشغال الخشب، أو الرياضة، لكني لا أحب اللغة النرويجية».

«وأنتِ؟». أشرت إلى فتاة المتجر وألقيت نظرة على رجليّ... «أندريا».

كانت تضع ساقًا فوق ساق تحت المقعد، ومنحنية ترسم شيئًا على ورقة أمامها.

قالت: «ليست لدي أية مواد مفضلة».

سألت: «هل تحبين المواد كلّها، أم لا تحبين أيّ منها؟».

نظرت إليَّ وظهر بريق في عينيها.

أجابت: «لا أحبها».

قلت، «هل تقولون هذا جميعًا؟».

أجابوا كلهم: «نعم».

قلت: «حسنًا، لكن الحقيقة هي أنه لا بد لنا من أن نكون موجودين هنا في هذه الدروس كلّها، أحببناها أم لم نحببها. يعني هذا أن من الأفضل لنا أن نستفيد من هذا الوقت إلى أقصى حد ممكن. هل أنتم موافقون على هذا؟».

لم يجبني أحد منهم.

«بما أنني لا أعرف عنكم أي شيء حتى الآن، فسوف أمضي في البداية ببضع دروس لكي أعرفكم بشكل جيد، ولكي أكتشف ما نستطيع فعله معًا».

نهضت واقفًا، وأخذت جرعة من فنجان القهوة، ثم مسحت فمي

بظاهر يدي. بدأ أحدهم يغني عند الزاوية الواقعة إلى الجهة الأخرى من باحة المدرسة. صوت صافٍ، قويّ النبرة. لا بد أنه صوت هيغه. تلت ذلك أصوات أطفال صغار جدًا انضموا إليها وغنوا معها.

إنهم التلاميذ الجدد في المدرسة.

تابعت كلامي: «ولهذا، أريد أن أبدأ بإعطائكم تمرينًا. هل جربتم أن تكتبوا صفحة كاملة معتمدين على أنفسكم. صفحة يقدّم فيها كل واحد منكم نفسه».

قال كاي روالد: «أوه، لا. هل نحن مضطرون إلى الكتابة؟».

سألتني فيفيان: «ما معنى أن نقدّم أنفسنا؟».

نظرت إليها. كانت ذقنها شبه مسطحة، فجعلت وجهها كله يبدو كله كأنه مربّع الشكل؛ لكن مظهرها ظلّ لطيفًا. كان فيها شيء ناعم، شيء يذكّر بكلب صغير. تكاد عيناها الزرقاوان تختفيان تمامًا عندما تبتسم... وهي تبتسم كثيرًا... هذا واضح منذ الآن.

قلت: «يعني أن يكتب المرء عن نفسه. تخيلي أنك تريدين أن تتحدّثي عن نفسك لشخص لا يعرف عنك شيئًا. ما أول ما يمكن أن تقوليه؟».

تململت على الكرسي، وضغطت ركبتيها الممتلئتين معًا.

«قد أقول إنني في الثالثة عشرة، وإنني في الصف السابع في مدرسة هافيورد».

قلت: «نعم، هذا جيد. لعلك تقولين أيضًا إنك بنت!».

أطلقت ضحكة قصيرة وقالت: «نعم، ينبغي أن يُعرف هذا أيضًا».

قلت: «جيد. اكتبي عن نفسك صفحة واحدة، أو أكثر من صفحة إن أحببت».

قالت هيلديغون: «هل ستقرأ علينا ما سيكتبه كل واحد منا؟».

قلت: «لا».

قال كاي روالد: «أين نكتب هذا؟».

ضربت جبيني براحة يدي: «أنت على حق! لم أعطكم أية كتب أو دفاتر».

ضحكوا جميعًا. كانوا أطفالًا. كانوا يظنون أن هذه الأشياء مضحكة. ذهبت مسرعًا إلى غرفة المعلمين وأخذت مجموعة دفاتر عدت بها ووزعتها عليهم. سرعان ما بدأوا يكتبون، في حين وقفت خلف النافذة ونظرت إلى الجبال خلف الفيورد حيث كانت تبدو كأنها تشق طريقها إلى الأعلى متلوّية... جبال باردة سوداء على خلفية سماء منيرة، بهيجة.

رنّ الجرس في آخر الدرس، فجمعت أوراقي، وفي جسدي إحساس غامر يكاد يكون ابتهاجًا. لقد سارت الأمور سيرًا حسنًا. ما من شيء مخيف في هذا. بعد اثني عشر عامًا من الذهاب المتواصل إلى المدرسة، كانت اللحظة التي تلت ذلك -عندما فتحت باب غرفة الصف واتجهت إلى غرفة المعلمين- لحظة فيها متعة خاصة: لقد عبرت الخط الفاصل وصرت في الجانب الآخر، صرت بالغًا، صرت مسؤولًا عن صف... عن صفي!

وضعت كتبي وأوراقي أمامي على الطاولة، وسكبت فنجان قهوة، وجلست على الأريكة أنظر إلى بقية المعلمين. قلت في نفسي إنني جالس على المسرح، فأعجبتني الفكرة. لكن الفكرة التي بدت لي أول الأمر فكرة رائعة لم تلبث أن حلّت محلّها فكرة على النقيض منها لأن... لأن هذا ليس ما أريده! لقد كنت معلمًا، فهل يمكن أن يكون هناك شيء محزن أكثر من هذا؟ على المسرح!... هذا يعني الفرق الموسيقية، النساء، الشرب، الجولات، الشهرة!...

ثم إنني لست راغبًا في هذا. التعليم ليس إلا خطوة أولى على الطريق!

رشفت جرعة من قهوتي، ثم ألقيت نظرة سريعة في اتجاه الباب عندما سمعته ينفتح، كان ذلك نيلز إيريك.

قال لي: «كيف كان الأمر؟».

قلت: «سار كل شيء سيرًا حسنًا. بالتأكيد، ما من شيء مخيف هناك».

ظهرت من خلفه المرأة التي اسمها هيغّه.

قالت: «ما أقربهم من القلب! أولئك الحلوين الصغار!».

أتاني صوت من المطبخ الصغير: «كارل أوفه؟». نظرت في ذلك الاتجاه فرأيت ستوره واقفًا وفي يده فنجان. نظر إليّ: «أنت تلعب كرة القدم، أليس هذا صحيحًا؟».

قلت: «صحيح. لكني لست لاعبًا ماهرًا جدًا. لعبت في فريق من الدرجة الخامسة، منذ موسمَيْن».

قال: «لدينا هنا فريق لكرة القدم. أنا مدرب الفريق. نحن في المستوى السابع. يعني هذا أنك لن تجد أي صعوبة في اللعب معنا، على ما أظن. ما قولك في المشاركة في مباراة؟».

قلت له: «سأشارك، بالتأكيد».

«تور إينار مستعد للعب دائمًا. أليس هذا صحيحًا، يا تور إينار؟». قال هذا مائلًا برأسه صوب حجرة الكمبيوترات.

سمعنا صوتًا من الداخل: «هل تقول عني كلامًا فارغًا من جديد؟». وبعد ثانية واحدة، مد رجل رأسه من خلف الزاوية.

قال ستورِه: «كان تور إينار يلعب في فريق الناشئين في نادٍ من الدرجة الرابعة. لكن مما يؤسف له أنه ليس لديه أية موهبة أخرى».

قال تور إينار وهو يقترب منا: «على الأقل، لم أفقد شعري. لهذا، لست مضطرًا إلى إطلاق لحيتي حتى أحافظ على كرامتي الذكورية، مثلما يفعل بعض الأشخاص ممن أعرفهم».

كان تور إينار من بلدة فينسنس: رجل شاحب الجلد، له نمش كثير وشعر خشن محمر، وابتسامة دائمة على شفتيه. حركاته بطيئة تجعل المرء يظنّه مرهقًا، لكن بطريقة تكاد تبدو استعراضية وكأنه يحاول القول للآخرين إن هنا رجلًا يفعل كل شيء بإيقاعه الخاص من غير أن يكون معنيًا بغيره أبدًا.

قال: «في أي موقع لعبت؟».

أجبته: «خط الوسط. وأنت؟».

«خط الوسط/ هدّاف». قال هذا وغمز بعينه.

قلت: «آه، صياد. عندما كنت ألعب، كانوا يدعونني وعلًا. تستطيع أن تفهم شيئًا من هذا...».

ضحك ولم يقل شيئًا.

سألت هيغّه: «لماذا يدعونك وعلًا؟».

أجبتها: «لأن خطواتي طويلة. أسير بوثبات طويلة غير ثابتة، ولا أعرف كيف أمشي».

قالت: «هل يستخدمون في مجال كرة القدم تشبيهات أخرى لأنواع أخرى من الحيوانات».

أجبتها ناظرًا إلى تور إينار: «هناك تشبيهات أخرى، أليس كذلك؟».

«نعم. يقولون عن هدّاف إنه قوي كالثور، ويقولون إنه ينطح الكرة برأسه كأنه كبش فيسجّل هدفًا».

قلت: «ولدينا أيضًا تشبيه القط. هناك حراس مرمى كثيرون يدعونهم بهذا اللقب. وأحيانًا، هناك أيضًا تعبير جنرال خط الوسط».

«ما معنى هذا؟».

«لاعب يعرف دائمًا مواضع الآخرين، ويستطيع تمرير الكرة إليهم بدقة وفي اللحظة الصحيحة».

قالت هيغّه: «شيء طفولي إلى حد عجيب».

قال تور إينار: «هناك أيضًا الكنّاس».

«كثيرًا ما يكون هناك 'ثنائي الهجوم الديناميكي' وبالطبع، لدينا 'الذئب المتوحّد'».

قال نيلز إيريك: «نسيتم الحكم. الحكم هو *المُستمني*».

قالت هيغّه: «وأنتم تفعلون هذا بإرادتكم».

قال نيلز إيريك: «أنا لا أفعله».

قالت وهي تنظر إليَّ: «لكنكما تفعلانه، كلاكما».

رُن الجرس. نهضت لكي آخذ كتبي من أجل الحصة الثانية. وضع ستوره يده على كتفي. قال لي: «أنت ذاهب الآن إلى صفي، أليس كذلك؟».

أومأت برأسي: «من أجل درس اللغة الإنكليزية».

«انتبه إلى صبي اسمه ستيّان. قد يحاول إغضابك. لا تستجب له، وسوف ينتهي كل شيء على ما يرام. هل فهمتني؟».

رفعت كتفي وقلت: «آمل هذا».

«احرص دائمًا على إبقائه بعيدًا عنك، ولن يسبب أية مشكلة».

قلت: «لا بأس».

كانت اللغة الإنجليزية أسوأ مادة عندي؛ وكنت متقدّمًا على أكبر التلاميذ سنتين فقط. لذا، سرت متّجهًا إلى المبنى الثاني حيث كانت غرفة الصفين الثامن والتاسع، فداهمني الغثيان من جديد.

وضعت رزمة الكتب على الطاولة المرتفعة. كان التلاميذ متناثرين على المقاعد كأن آلة لتجفيف الملابس قد نثرتهم هناك في دورانها. لم يعرني أحد منهم أي انتباه.

قلت: «مرحبًا. اسمي كارل أوفه كناوسغارد. سوف أعلّمكم اللغة الإنكليزية هذه السنة. كيف حالكم؟».

لم يقل أحد شيئًا. كان الصف مؤلّفًا من أربعة أولاد وخمس بنات. اثنان منهم فقط نظرا إليّ، في حين ظل الآخرون يعبثون بشيء أو بآخر. كانت إحدى البنات تحوك. عرفت الصبي الذي رأيته في متجر بيع المأكولات: كانت على رأسه قبعة بيسبول، ويهتز في مقعده أمامًا وخلفًا وينظر إليّ مبتسمًا ابتسامة غير حقيقية. لا بد أن هذا هو ستيّان.

قلت: «حسنًا. أريد منكم الآن أن يقدّم كل واحد منكم نفسه باللغة الإنكليزية».

قال ستيّان بالنرويجية: «*سناك نورشك!*»[1]. قهقه الصبي الجالس خلفه. كان ذا جسد نحيل طويل جدًا، أطول مني. كان طولي مترًا وأربعة وثمانين سنتمترًا. صدرت عن بضع فتيات ضحكات مكتومة.

قلت: «إن كنتم ستتعلّمون لغة، فعليكم أن تتكلّموا بها».

رفعت واحدة من البنات يدها. كانت سوداء الشعر، بيضاء الجلد، عيناها زرقاوَين، تقاطيع وجهها متناسقة، فيها شيء بسيط من الامتلاء.

---

(1) سناك نورشك: تكلم بالنرويجية.

قلت: «ماذا؟».

«أليست لغتك الإنكليزية ضعيفة جدًا... أعني، من أجل التعليم».

أحسست بحرارة في وجنتي. خطوت إلى الأمام خطوة وابتسمت لكي أخفي حرجي. قلت لها: «لا بأس. عليَّ الاعتراف بأن لغتي الإنكليزية ليست ممتازة. لكن هذا ليس بالشيء المهم كثيرًا. أهم شيء هو أن يفهمني الآخرون عندما أتكلّم. وأنت الآن تفهمينني، أليس كذلك؟».

قالت: «بعض الشيء».

قلت: «إذًا، ما اسمك؟».

نظرت إلي بعينين كأنهما حولاوان. قالت: «كاميلا».

«قولي جملة تامة، من فضلك».

«أوه، ماي نيم إز كاميلا. هابي؟».

أجبتها: «نعم».

قالت: «هل تعني هذا حقًا؟».

قلت: «نعم». أحسست باحمرار وجهي من جديد.

«والآن، ما اسمك أنتِ؟». قلت هذا للفتاة الجالسة إلى جانب كاميلا. رفعت رأسها ونظرت إلي.

آي - ياي - ياي. ما هذا الجمال؟

عينان زرقاوان ناعمتان، تضيقان عندما تبتسم. فم كبير. وجنتان مرتفعتان.

ضحكت ضحكة صغيرة وقالت: «ماي نيم إز ليف».

أشرت إلى ستيّان: «كاميلا، ليف، وأنت؟».

قال ستيّان: «آهيت ستيّان»[1].

قلت: «حسنًا، كيف يكون هذا باللغة الإنكليزية».

قال لي: «ستيّان».

---

(1) بالنرويجية: اسمي ستيّان.

ضحك الجميع.

كنت مرهقًا تمامًا عندما رُن الجرس وخرجت من غرفة الصف. ما أكثر ما ينبغي أن أواجهه! وما أكثر ما ينبغي أن أتحمّله! ما أكثر ما ينبغي أن أتجاهله! ما أكثر ما ينبغي أن أكبته!

كانت الفتاة التي اسمها كاميلا قد تثاءبت ورفعت ذراعيها فوق رأسها وهي تنظر إليّ مباشرة. كانت ترتدي قميصًا خفيفًا فقط. ثدياها الكبيران المدوّران كانا واضحين أتمِ الوضوح من خلف القماش الأبيض. داهمني انتصاب كان تفاديه مستحيلًا مهما بذلت من جهد في التركيز على أمور أخرى. أسعدني كثيرًا أنني كنت لحظتها جالسًا خلف طاولة المعلم. وكأن هذا لم يكن كافيًا... الفتاة التي اسمها ليف كانت ساحرة بقدر ما كانت جميلة. فتاة خجول لكنها منطلقة أيضًا، في الوقت نفسه، فضلًا عما فيها من ملمح تمرّد غامض متجسّد، أكثر من أي شيء آخر، في شعرها الطويل ذي الشقرة الداكنة، وأساورها الكثيرة المقعقعة، وأيضًا في ذلك التضاد بين بريق عينيها ولغة جسدها المتحفظة -هذا ما جعلني عاجزًا عن منع نفسي من التفكير فيها طيلة وجودها في غرفة واحدة معي. وهناك أيضًا ستيّان الذي ظل يعبث بسكين جيب وهو ينتهز كل فرصة لمضايقتي ويرفض فعل أي شيء أطلب من الصف فعله. صديقه إيفار الذي يضحك لكل ما يقوله ستيّان، يطلق ضحكة فارغة تافهة، يتبعها دائمًا بنظرة إلى جميع من في الصف. لكن نظراته كانت بريئة... حتى عندما ينظر إليّ... فاستطعت الفوز عليه؛ بل إنه ابتسم مرة أو مرتين عندما قلت شيئًا هناك.

ذهبت إلى غرفة المعلمين، وتهاويت جالسًا على الأريكة. توقّفت أمامي المعلمة التي اسمها فيبيكه. ابتسمت لي. كانت في التاسعة عشرة. جسدها ضخم ممتلئ؛ ووجهها مدور ناعم. عينان زرقاوان فرحتان. شعر متموّج أشقر.

سألتني: «كيف تسير الأمور؟».

أجبتها: «إنها جيدة. وماذا عنك؟».

قالت: «جيدة أيضًا. بالنسبة إليّ، ما من شيء جديد هنا. أظن بأن الأمر مختلف عندك. كانت هذه مدرستي في طفولتي».

لم أهتدِ إلى رد مناسب. ابتسمت لي من جديد قبل أن تذهب إلى غرفة العمل. كانت يانِه جالسة إلى جانبي. هي أيضًا من هذه القرية. في أوائل العشرينيات؛ ضخمة الجسم بدورها. لها ذراعان ثخينتان أكثر من ذراعيَّ بمرتين، على ما أظن. أنف طويل مستقيم يكاد يكون رومانيًا؛ ووجنتان مسطحتان؛ وشفتان رقيقتان كثيرًا ما تتهدلان عند زاويتي فمها كأنها متقززة مما تراه أمامها ولا يمكن أن تمسّه، حتى لو بعود. كانت عيناها غاضبتين، متأفّفتين. والواقع أن حضورها كلّه كان كذلك. لكني رأيتها تضحك مرة أو مرتين فتشرق كلّها... تحوّلٌ كامل... تبدأ الضحك فلا تعود قادرة على التوقف. كانت ممتعة مشاهدتها تكافح حتى تستعيد اتزانها من جديد.

فضلًا عن المعلمين المؤقتين الشباب جميعًا، كانت لدينا أيضًا سيدة أكبر منا، اسمها إيفا. كانت في أواخر الأربعينيات، لكنها تبدو أكبر من ذلك سنًا. وكانت تعلّم أشغال الإبرة والاقتصاد المنزلي. امرأة قصيرة، نحيلة، لها وجه حادّ التقاطيع، وشعر خفيف أشقر، وصوت ثاقب. في هذه اللحظة، كانت جالسة على كرسيّ إلى الناحية الأخرى من الطاولة وفي يدها شيء تحوكه. كانت مرتابة بي: رأيت هذا في طريقة نظرها إليّ، وفي طريقة عدم نظرها إليّ. موقف مبرَّر تمامًا، فما الذي كنت أفعله هناك حقًا؟ ما الذي أريده من هذه الوظيفة؟

رفعت رأسها وألقت عليَّ نظرة سريعة عندما دخلت غرفة المعلمين بعد درس اللغة الإنكليزية. أظنها أدركت المشاعر التي كانت معتملة في داخلي. أمر مستحيل، بالتأكيد! لكن هذا ما ظننته، على أية حال.

أتت استراحة الغداء، فمضيت إلى مكتب البريد الواقع في الناحية

الأخرى من القرية. كانت سفوح الجبال خضراء متألقة في ضياء الشمس. وكانت زرقة البحر عميقة. ذكّرني شيء في ذلك الضياء، أو لعله التيار ذو البرودة المنعشة التي أحسسته في الهواء (شيء كأنه سارٍ تحت كل ما تدفئه الشمس بأشعتها على النحو الذي يكون مألوفًا في شهر آب)، بالأجواء التي كنت أعيشها في بداية العام الدراسي بعد العطلة الصيفية: الإثارة والترقّب وإحساسٌ بأن شيئًا رائعًا يمكن أن يحدث هذه السنة!

منذ الآن، بدأت تظهر لمسة من لون أصفر في خضرة المنحدر الذي يلي آخر صف من البيوت. بطبيعة الحال، يأتي الخريف هنا مبكرًا. أومأت برأسي صوب سيارة مرَّت بي. أومأت لي برأسها المرأة التي تقودها. بدت لي أمًا. تابعت نزولي عبر درب مفروشة بالحصى متجهًا إلى مكتب البريد الذي كان في قبو بناية شقق سكنية. صناديق البريد في صالة المدخل. وفي الداخل مكتب له كوّات، وملصقات على الجدران، ورفوف عرض عليها مغلفات وبطاقات بريدية. لعل المرأة الجالسة خلف طاولة البيع كانت في الخمسين: شعر خفيف محمرّ متموّج، ونظارة، وعقد ذهبي دقيق. رأيت عند طاولة تحت النافذة رجلًا مع جهاز مساعدٍ في المشي. كان يحكّ بطاقة يانصيب بقطعة نقود معدنية.

قلت للموظفة: «مرحبًا. أريد إرسال هذه». وضعت المغلفات على الرف أمامها.

قالت لي: «نعم، بالطبع. وبالمناسبة، وصلتك رسالة».

قلت: «حقًا؟ هذا جيد!».

ذهبت إلى صندوق بريدي وفتحته بينما كانت المرأة تزن رسائلي وتختار الطوابع البريدية المناسبة. وجدت في الصندوق رسالة من لينِه.

عدت ودفعت ثمن الطوابع، ثم فتحت الرسالة وبدأت قراءتها أثناء سيري صاعدًا في الطريق.

كتبت لينِه قائلًا إنها في غرفتها، وإنها تفكر فيّ. قالت إنني أعجبها كثيرًا، وإننا أمضينا معًا وقتًا ممتعًا جدًا؛ لكنها لم تكن أبدًا واقعة في حبي. من هنا،

وبما أننا نعيش الآن في مكانين مختلفين، رأت لينِه أن من الأفضل -والأكثر صدقًا- أن ننهي الأمر. تمنّت لي أن تسير حياتي كلّها سيرًا حسنًا؛ وحثّتني على أن أكون جادًا في الكتابة مثلما سيكون تعاملها مع الرسم جادًّا. تمنت عليّ أيضًا ألا أغضب منها، فحياتنا الجديدة تبدأ الآن، ونحن متباعدان كثيرًا: سوف تسافر غدًا إلى مدرستها الجديدة؛ وتظنني قد وصلت إلى القرية التي سأعمل فيها. بما أنها تحس الأمر هكذا، وبما أنها ليست واقعة في حبي، فإن من شأن أي شيء آخر تفعله غير إنهاء العلاقة أن يكون خيانة لنفسها. لكني كنت شخصًا رائعًا، وعليّ أن أعرف هذا. السبب ليس هنا، والمرء غير قادر على التحكم بمشاعره... المشاعر هي المشاعر!

دسست الرسالة في جيب معطفي.

وأنا أيضًا، لم أكن واقعًا في حب لينِه. كل ما قالته عني أستطيع قوله عنها. مع هذا، حزنت قليلًا وغضبت منها قليلًا عندما قرأت ما كتبته لي. أردت منها أن تكون واقعة في حبي! ومع كوني غير راغب في أن أكون معها، ومع سروري بانتهاء الأمر، ينبغي أن أكون أنا من أنهيه! الآن، صارت هي صاحبة اليد العليا، هي من تقول لا، وهي من ستمضي في حياتها مقتنعة -على الأرجح- بأنني كنت واقعًا في هواها وبأن رسالتها قد حطمتني.

أوه... لا بأس!

في الأسفل، كان مصنع تعليب الأسماك يشهد نشاطًا كبيرًا. مراكب كثيرة راسية عنده، وعربات ذوات روافع شوكية تتحرّك جيئة وذهابًا بين الأرضية الإسمنتية في الخارج وبين ما بدا لي أشبه بقاعة مظلمة. رجال هنا وهناك بجزماتهم المطاطية الطويلة؛ ومجموعة نساء مرتديات معاطف بيضاء مفتوحة وقبعات بيضاء واقفات في الخارج، عند آخر تلك القاعة. إنهن تدخنّ هناك. والهواء فوقهنّ ممتلئ نوارسَ زاعقة تصفر بأجنحتها. دخلت المتجر، واشتريت خبزًا وقليلًا من الجبن الطري وعبوة مارغرين ولتر حليب. ألقيت التحية على البائع الذي سألني إن كنت مرتاحًا في بيتي الجديد. قلت له إنني بخير وإن كل شيء على أحسن ما يرام. ما كان لديَّ

درس بعد الاستراحة، فأكلت قطعتي خبز ووضعت بقية مشترياتي في البراد الصغير في غرفة المعلمين. جلست إلى كمبيوتري لأضع خطة التعليم في الأيام القليلة التالية. هناك مشرف على المعلمين المؤقتين سوف يأتي لرؤيتنا مرة كل أسبوعٍ حتى نناقش معه أية مشكلات أو صعوبات تعترضنا في دروسنا. فضلًا عن هذا، سنذهب في الأسبوع التالي من أجل دورة تدريبية في فينسنس يحضرها المعلمون المؤقّتون في المنطقة كلها. هذا بسبب كثرة المعلمين المؤقتين؛ فأبناء المنطقة الذين يتلقون تدريبًا لكي يصيروا معلمين حقيقيين نادرًا ما يعودون عند انتهاء تدريبهم. وبالطبع، كانت هذه مشكلة كبيرة حاولوا تطبيق إجراءات مختلفة من أجل معالجتها. هناك حوافز ضريبية ضخمة للمعلمين حيث يعيش أبي الآن: هذا واحد من الأسباب التي جعلته ينتقل شمالًا مع أوني. يعملان معًا في مدرسة ثانوية، أو... إذا أردت الدقة... أبي وحده يعمل الآن لأن أوني حبلى. عندما رأيتهما آخر مرة منذ بضعة أسابيع في البيت الذي اشترياه في سورلاند، البيت الذي سيكون في انتظارهما بعد انتهاء عقدهما في الشمال، كانت بطنها ضخمة.

هناك أتتني، أول مرة، فكرة القدوم إلى هذا المكان. كنا جالسين على الشرفة، أبي عاري الصدر، مسْمرًّا مثل جوزة، زجاجة بيرة في إحدى يديه وسيجارة في يده الأخرى. وأنا جالس معه، صليب صغير متدلٍّ من أذني، ونظارة شمسية على وجهي. سألني وقتها عما أعتزم فعله في فصل الخريف. لم ينظر إليّ عندما سألني. وأيضًا، كان صوته متعبًا، مُشفقًا، متلعثمًا قليلًا بعد كل ما شربه من بيرة منذ وصولي. لذا، كانت إجابتي واهنة أيضًا مع أن ذلك أزعجني. رفعت كتفي وقلت إنني، بكل تأكيد لن أتابع الدراسة ولن أذهب لأداء الخدمة العسكرية. قلت إنني سأعمل في مكان ما... في مستشفى أو في أي شيء آخر.

نصب أبي ظهره وسحق سيجارته في طبق السجائر الضخم على الطاولة التي بيننا. كان الهواء مثقلًا بغبار الطلع، وأزيز النحل والدبابير قد ملأ الجو. إذًا، لماذا لا تعمل في التعليم؟ قال هذا واستند إلى ظهر الكرسي. لعله الآن

أثقل بعشرين كيلوغرامًا مما كان عندما رأيته آخر مرة. تعرف أنك قادر على الحصول على وظيفة في شمال النرويج في أي يوم من أيام الأسبوع. يكفي أن تكون قد أنهيت المدرسة الثانوية حتى يرحّبوا بك بأذرع مفتوحة. قلت له: ربما. سوف أفكر بالأمر. قال: افعل ذلك. وإذا كنت تريد بيرة أخرى، فأنت تعرف مكان صندوق البيرة. أجبته: حسنًا، لم لا؟ ثم دخلت غرفة المعيشة التي وجدتها دامسة الظلمة بعد الضوء الساطع في الخارج. ذهبت إلى المطبخ حيث كانت أوني تقرأ صحيفة. ابتسمت لي. كانت ترتدي بنطلونًا قصيرًا بلون كاكي وبلوزة رمادية فضفاضة. قلت لها: سآخذ بيرة أخرى. قالت: خذ ما شئت. إنها عطلتك الصيفية. قلت: صحيح. أين أجد أداة فتح الزجاجات؟ قالت: ها هي على الطاولة هناك. هل أنت جائع؟ قلت: ليس كثيرًا. الجو حار، أليس كذلك؟ سألتني: لكنك ستظل الليلة عندنا، أليس هذا صحيحًا؟ أجبتها: صحيح. قالت: يعني هذا أننا نستطيع أن نأكل في ما بعد. أملت رأسي إلى الخلف وأخذت جرعة كبيرة. قالت لي: عليَّ أن أقوم بشيء من العمل في الحديقة، لكن الطقس حارٌّ جدًا. قلت: صحيح. قالت: صار حجم بطني يعيقني عن القيام بهذه الأعمال. قلت: صحيح. أرى هذا. قالت: ألا تحب أن تذهب للسباحة في البحيرة؟ يبدو لي أن هناك اليوم أشخاصًا كثيرين. هززت رأسي. ابتسمَتْ. ابتسمت لها، ثم عدت إلى أبي. قال لي: أرى أنك حصلت على زجاجة بيرة. قلت: نعم. ثم جلست من جديد. في ما مضى، كان أبي يعمل في الحديقة في مثل هذا الوقت. وإن لم يعمل في الحديقة، فهو يراقب مهتمًا بكل ما يجري من حوله، حتى إن لم يكن من حوله شيء غير سيارة تتوقّف وشاب ينحني صوب نافذتها التي انفتحت. لكن هذا مضى وانقضى. لم يعد في عينَيه شيء غير اللامبالاة، غير الخمول. إلّا أن الوضع لم يكن «أسود وأبيض»، فعندما أنظر إليه وتلتقي عيناي عينَيه، أستطيع أن أحسّه لا يزال موجودًا مثلما كان، الصلابة، البرودة التي كبرتُ في ظلها، البرودة التي لا أزال أخشاها.

مال إلى الأمام، ووضع الزجاجة على الأرض. تناول زجاجة جديدة

وفتحها بأداة فتح الزجاجات التي يحملها معه في حلقة المفاتيح. يحرص دائمًا على أن يضع إلى جانبه ثلاث زجاجات دفعة واحدة، أو أربع زجاجات، حتى لا يكون مضطرًا دائمًا إلى الجري صوب المطبخ، هكذا عبّر عن الأمر ذات مرّة. رفع الزجاجة إلى شفتيه. ابتلع منها عدّة جرعات. قال: ممم. الشمس لطيفة. قلت: نعم. قال: لقد اسمرّ لوني على أية حال. قلت: صحيح. وأنا أيضًا. سأل: أتعرف ماذا؟ لقد اشترينا «حجرة شمسية»، هناك في الشمال. لا بد لنا من ذلك في تلك الظلمة كلّها. قلت: صحيح. رأيتها عندما كنت هناك. قال: نعم، لعلك رأيتها. جرعتا بيرة طويلتان، ثم وضع الزجاجة الفارغة على الأرض إلى جانب التي قبلها. لفّ سيجارة. أشعلها. فتح زجاجة جديدة. سألني: متى تريد العشاء؟ قلت: لا فرق. أنتما تقرران هذا. قال: نعم، لا أحسّ جوعًا في هذا الطقس. وبحركة سريعة، تناول قسمًا من الجريدة كان على الطاولة إلى جانبه. استندت بذراعي على الدرابزين ونظرت إلى الأسفل. كان العشب تحت الشرفة ذابلًا، أحرقته الشمس. كان أصفر وبنيًا أكثر مما هو أخضر. رأيت الطريق الرمادية خالية من الناس. كانت هذه الناحية من الطريق مغبرة، مكسوَّة بالحصى، ومن خلفها بضع أشجار تليها جدران وسقوف في بيوت أخرى. لا يعرفان أحدًا هنا، ولا في الجوار، ولا في البلدة كلها. طائرة هليكوبتر صغيرة تسبح عاليًا في السماء الزرقاء. ومن غرفة المعيشة، سمعت وقع خطوات أوني الثقيلة على الأرض. قال أبي: حادثة اصطدام مباشرة جديدة على الطريق e18. سيارة وشاحنة كبيرة. قلت: أوه! قال أبي: هذه الحوادث كلّها حالات انتحار مقنّعة. يقودون السيارة ويصطدمون وجهًا لوجه بشاحنة أو بصخور الجبل. لا يمكن أن يعرف أحد إن كان ذلك مقصودًا أو غير مقصود. بهذا يتفادون العار، عار الانتحار. سألت: هل تصدّق هذا فعلًا؟ قال: نعم، أصدّقه. وهي أيضًا وسيلة ناجحة. انحراف بسيط إلى هذا الجانب أو ذاك يكون كافيًا لأن يكون المرء ميتًا بعد ثانية واحدة. رفع الصحيفة لكي أراها. قال: لا تكاد تكون هناك أية فرصة للنجاة، ألا ترى؟ رأيت في الصورة سيارة محطمة تمامًا. قلت: لا،

لا فرصة أبدًا. ثم نهضت فنزلت إلى الطابق السفلي ودخلت المرحاض. جلست على كرسي المرحاض. كنت ثملًا قليلًا. نهضت ورشقت على وجهي ماءً باردًا. ضغطت على مفتاح شطف المرحاض تحسبًا، إن كان هنا أحد ينتبه إلى هذه التفاصيل. كان أبي قد ترك الصحيفة عندما عدت إلى الشرفة. رأيته جالسًا، واضعًا مرفقه على الدرابزين، فتذكرت أنه كان يجلس هكذا عندما يقود السيارة في الصيف. كان مرفقه يظل بارزًا من النافذة المفتوحة. كم صارت سنّه الآن؟ تساءلت في نفسي، وبدأت أحسب. بلغ الثالثة والأربعين في شهر أيار، ثم تذكّرت أعياد ميلاده، وكيف كنا نشتري له دائمًا كولونيا الحلاقة الخضراء ماركة «مينن»، وكيف كنت أحار دائمًا في ما يفعله بها شخص له لحية. ابتسمت. نهض واقفًا، مترنّحًا قليلًا، ثم تجمّد في مكانه لحظة إلى أن استعاد توازنه. دخل غرفة المعيشة بخطواته الطويلة المعتادة، ومدّ يده خلف ظهره فرفع بنطلونه القصير.

تلك الفكرة التي بذرها أبي في ذهني، فكرة العمل معلّمًا في شمال النرويج، نمَتْ بعد ذلك، ثم نمت. حقيقة الأمر أن في هذا العمل مزايا كثيرة: 1) سأكون بعيدًا، بعيدًا عن كل شخص أعرفه وعن كل شيء أعرفه؛ وسأكون حرًّا تمامًا. 2) سأكسب مالًا يخصني عن طريق أداء وظيفة محترمة. 3) سأكون قادرًا على الكتابة.

والآن، ها أنا هنا. قلت هذا في نفسي، ونظرت من جديد إلى الكتاب الذي أمامي. في آخر الممر القصير أمام باب غرفة المعلمين مباشرة، حيث يقع المرحاضان، ظهرت لي توريل. ابتسمت، لكنها لم تقل شيئًا. انحنت وتناولت من رفّها مصنَّفًا رقيقًا.

قلت لها: «شيء عظيم أن يكون المرء معلّمًا».

قالت: «اصبر!». ابتسمت ابتسامة سريعة، ثم ذهبت. وفي الخارج، كان نيلز إيريك يعبر باحة المدرسة ومن حوله تلاميذي.

كنت في مثل سنّهم منذ خمس سنين. وسأصير في مثل سنه بعد خمس سنين.

أوه، بعد خمس سنين، سأكون قد أنجزت روايتي الأولى. ومع حلول ذلك الوقت، سأكون واحدًا من سكان مدينة من المدن، أكتب وأشرب وأعيش الحياة. ستكون لي صديقة رشيقة، نحيلة، جميلة، لها عينان داكنتان وثديان كبيران.

نهضت ودخلت غرفة المعلّمين. رفعت ترمس القهوة وهززته. كان فارغًا. ملأت الإبريق ماء، وسكبته في آلة القهوة. أدخلت في الفوهة مصفاة ورقيّة وضعت فوقها خمس ملاعق من البن، ثم بدأتِ العملية: شخير وغمغمة، وارتفاع السائل الأسود بطيئًا في الإبريق، ومصباح الآلة مثل عين حمراء.

سألني صوت جاء قريبًا إلى حدٍّ مقلقٍ: «هل يسير كل شيء على ما يرام حتى الآن؟». استدرت. إنه ريتشارد. كان ينظر إليَّ بتلك العينَين الحادتَين وعلى وجهه ابتسامة عريضة. ما هذا؟ هل يستطيع التنقل في المدرسة من غير إحداث أي صوت.

قلت: «نعم، أظن هذا. الأمر مثير».

قال: «إنه مثير. أمر خاص جدًا أن يكون المرء معلّمًا. مهنة ممتازة. ثم إنها مهنة محترمة أيضًا».

لماذا يقول هذا؟ هل أحسّ بأنني في حاجة إلى سماعه... إلى سماع أن هذا العمل مسؤولية كبيرة. إن كان الأمر هكذا، فلماذا؟ هل بدر مني ما يوحي بقلّة المسؤولية؟

قلت: «ممم. الحقيقة أن أبي معلّم أيضًا. إلى الشمال قليلًا».

قال ريتشارد: «لا تقل هذا! هل هو من نوردلاند؟».

«لا. الحوافز الضريبية هي ما جعله يذهب شمالًا».

ضحك ريتشارد.

قلت له: «أتريد فنجان قهوة؟ ستكون جاهزة في أية لحظة».

«اسكبها في الترمس، من فضلك. وسوف أشرب فنجانًا في أية لحظة».

انسلَّ مبتعدًا من غير صوت، مثلما جاء. لم أدر أيهما كان أسوأ: «*اسكبها*

في *الترمس*»، أم: «*من فضلك*». كان في سلوكه نوع من «الأستذة» كيفما نظرت إليه. إن كنت في الثامنة عشرة، فهل يعني هذا أنه يستطيع التعامل معي كأنني تلميذ مدرسة. إنني موظف هنا، ولا فرق بيننا.

رُن الجرس بعد ذلك مباشرة، وبدأ توافد المعلمين واحدًا تلو الآخر، بعضهم صامت، وبعضهم مرح يتكلّم مع الجميع. كنت قد وضعت الترمس على الطاولة وذهبت فوقفت عند النافذة حاملًا بيدي فنجاني الممتلئ. بدأ التلاميذ يجرون في الخارج. حاولت المطابقة بين الأسماء والوجوه، لكني لم أستطع تذكر أحد غير كاي روالد، الولد الذي في الصف السابع. ربما لأنني تعاطفت معه ومع التردّد الذي أحسسته يظهر في جسده لحظات عابرة فتنفيه التماعة في عينَيه، التماعة مهتمة، بل لعلّها حماسية أيضًا. ثم رأيت ليف، الفتاة الفاتنة في الصف الثامن. كانت تقف مستندة إلى الجدار، يداها في جيبَي بنطلونها الخلفيَّيْن. معطف مشمَّع له قبعة، وبنطلون جينز أزرق، وحذاء رمادي رياضي بالٍ، وعلكة في فمها، وبيدها تزيح بضع خصلات من شعرها دفعتها الريح على وجهها. ثم ستيّان يقف هناك، مباعدًا بين ساقَيه، يداه في جيبيه، يتحدّث مع صديقه النحيل.

التفَتُّ إلى الغرفة. ابتسم لي نيلز إيريك.

سألني: «أين تعيش؟».

أجبته: «في المنطقة المنخفضة. إنها شقة في القبو».

قالت توريل: «شقته تحتي».

قلت: «وأنت، أين انتهى بك الأمر؟».

«في أعلى القرية. شقة في القبو أيضًا».

مكتبة
t.me/soramnqraa

قال ستوره: «صحيح، إنها تحت شقتي».

قلت: «إذًا، هكذا رتبوا الأمر هنا. يحصل المعلمون المؤهلون على شقق لها إطلالة، وكل شيء، بينما يحصل المعلّمون المؤقتون على شقق في الأقبية».

قال ستورِه: «عليك أيضًا أن تدرك هذا الأمر منذ البداية. ينبغي أن تُكسب

المزايا اكتسابًا. شقيت ثلاث سنين في كليّة تأهيل المعلمين. ينبغي أن أتلقى تعويضًا عن ذلك».

قال هذا، ثم ضحك.

أجبته: «إذًا، هل يتعيّن علينا أن نحمل حقائبكم أيضًا؟».

«لا. هذه مسؤولية ثقيلة على من هم مثلكم. لكن من المنتظر أن تأتوا كل صباح سبت لكي تقوموا بأعمال التنظيف عندنا». قال هذا وغمز بعينه.

قلت: «سمعت أن هناك حفلة في هيليفيكا في عطلة نهاية الأسبوع القادمة. هل سيذهب إليها أحد منكم».

قال نيلز إيريك، «عليَّ القول إنك رتبت أمورك هنا سريعًا».

قالت هيغّه: «من أخبرك؟».

قلت: «سمعت هذا من أحدهم، لكنها لم تكن دعوة رسمية. لا أعلم إن كنت سأذهب أم لا. لكن ذهاب المرء وحيدًا إلى حفلة ليس أمرًا ممتعًا كثيرًا».

قال ستورِه: «لا يمكن أن تكون وحيدًا في أية حفلة هنا. أنت في شمال النرويج».

قلت له: «فهل ستذهب؟».

هز رأسه نفيًا، وقال: «لدي أسرة أرعاها. لكني سأعطيك بعض النصائح، إن أردت نصائحي». ضحك عندما قال هذا.

قالت يانه: «كنت أفكر في الذهاب إلى هذه الحفلة».

قالت فيبيكه: «وأنا أيضًا».

نظرت إلى نيلز إيريك وسألته: «وأنت؟».

هزَّ كتفيه وقال: «ربما أذهب. هل هي يوم الجمعة أم السبت؟».

قلت: «أظنها يوم الجمعة».

قال: «لعلها ليست فكرة سيئة».

رُن الجرس.

قال وهو ينهض: «نستطيع الكلام في هذا الأمر لاحقًا».

أجبته: «لا بأس». وضعت فنجاني على الطاولة، وأحضرت كتبي عن طاولة كمبيوتري، ثم ذهبت إلى غرفة الصف وجلست خلف طاولة المعلم، وانتظرت دخول التلاميذ.

عندما سرت نازلًا إلى شقتي بعد انتهاء الدروس. وجدت صناديق أمتعتي في انتظاري على شرفة البيت. كان فيها كل ما أملكه، لكني ما كنت أملك الكثير: صندوق فيه تسجيلاتي، وصندوق آخر فيه جهاز الستيريو القديم. صندوق فيه أواني المطبخ، وصندوق فيه أشياء كثيرة تراكمت في غرفتي القديمة، فضلًا عن عدد من كتب أمي. مع هذا، كان إحساسي أنني تلقيت هدية عظيمة عندما حملت تلك الصناديق إلى غرفة الجلوس. جمعت جهاز الستيريو، وصففت التسجيلات عند الجدار، ثم استعرضتها، واخترت منها «*حياتي في غابة الأشباح*» لبرايان إينو وديفيد بيرنه. طيلة حياتي، كان هذا واحدًا من التسجيلات المفضلة عندي. وعلى أنغامه المتردّدة في الغرفة، بدأت تنظيم الأشياء الأخرى. كل ما أخذته معي عندما انتقلنا من البيت -قدور، وصحون، وفناجين، وكؤوس- كلها كانت من حولي منذ طفولتي، منذ عيشنا في تيباكن. صحون بنيّة، وكؤوس خضراء، وقِدر كبيرة لها مقبض واحد فقط أسودّ أسفلها وجزء من حوافّها. كانت صورة جون لينون معلّقة في غرفتي طيلة سنوات المدرسة الثانوية، فعلّقتها على الجدار خلف الآلة الكاتبة. كان لديَّ ملصق ضخم لفريق نادي ليفربول، موسم 1979/ 1980. إنه عندي منذ أن كنت في الحادية عشرة. منحته الآن مكانًا على الجدار خلف الأريكة. لعله كان أفضل فريق لدى النادي في تاريخه كلّه: كيني دالغليش، وران كليمانس، وآلان هانسن، وإملين هيونز، وغرايني ساونس، وجون توشاك. وضعت ملصق بول ماكارتني في خزانة غرفة النوم، لأنني مللته. صار كل شيء مرتّبًا، فعدت إلى استعراض التسجيلات متخيلًا أنني شخص آخر، شخص لم يرها من قبل. تساءلت عما قد يستنتجه ذلك الشخص من هذه المجموعة، أو عما يمكن أن يستنتجه عن الشخص الذي هو مالكها... بكلمة أخرى، عنّي. كان عندي أكثر من مئة وخمسين تسجيلًا

جمعت القسم الأكبر منها خلال السنتَين الماضيتَين عندما كنت أكتب في الصحيفة المحلّية مراجعات لما يصدر من تسجيلات جديدة، وأنفق مالي كله تقريبًا على شرائها. كثيرًا ما كنت أشتري المجموعة الكاملة للفرق التي تعجبني. كان كل ألبوم من هذه الألبومات مشتملًا على عالم كامل خاص به. يعبّر كل منها عن موقف محدّد تمامًا، عن عواطف، وعن حالات نفسيّة. لكنّ أيًا منها لم يكن جزيرة معزولة... ثمة روابط بينها، روابط منتشرة صوب الخارج: على سبيل المثال، بدأ برايان إينو مع «روكسي ميوزك»، وأطلق تسجيلات منفردة، ثم أنتج u2، ثم عمل مع جون هاسل وديفيد بيرنه وديفيد بوّي وروبرت ثريب. كان روبرت ثريب من العازفين في «سكيري مونستر» لبوّي؛ كما أنتج بوّي أغنيات لو ريد الذي جاء من فرقة «فيلفت آندر غراوند»، وكذلك إيغي بوب الذي جاء من فرقة «ستوغز»، بينما كان ديفيد بيرنه في فرقة «توكينغ هيدز» التي استخدمت في أفضل تسجيلاتها، «*كن في الضوء دائمًا*» عازف الجيتار أدريان بيمو الذي كان بدوره عازفًا في تسجيلات كثيرة لبوّي، وكان، في نظره، أفضل عازف جيتار على قيد الحياة. على أن وجود تلك الصلات والتفرّعات لم يكن مقتصرًا على التسجيلات وحدها، فهي ممتدة إلى حياتي نفسها. تقريبًا، كانت الموسيقى مرتبطة بكل شيء فعلته، ولم يكن عندي أي تسجيل من غير ذكريات ترافقه. أشغّل واحدًا من التسجيلات فتنبثق ذكريات كل ما جرى في السنين الخمس الماضية مثلما يتصاعد البخار من فنجان؛ لا تأتيني تلك الذكريات على هيئة أفكار أو مناقشة منطقية، بل تكون أمزجة، وفضاء، وفسحات... بعضها عام، وبعضها شديد التحديد. إن كدّستُ ذكرياتي في كومة عند آخر شريط حياتي، فسوف تكون الموسيقى هي الخيط الذي يجمعها كلّها معًا، الخيط الذي يحفظها، يحفظ حياتي، في موضعها.

لكن هذا لم يكن أهم جانب فيها، لأن الجانب الأهم هو الموسيقى نفسها. فمثلًا، عندما أستمع إلى «*كن في الضوء دائمًا*»، الأغنية التي أستمع إليها من غير انقطاع منذ أن كنت في الصف الثامن، ولا أملّها أبدًا،

وعندما يبدأ المقطع الثاني منها، *«المنحنى الكبير»*، بتتابعه الرائع ومرافقته الصوتية متعدّدة الطبقات -يأتي مفعمًا طاقة، ثم تنضم الأبواق إليه، ثم تأتي الأصوات البشرية- يكون مستحيلًا أن أظلّ ساكنًا في مكاني، يكون مستحيلًا، لأنه يوقد نارًا في كل جزء من أجزاء جسدي، يوقدني نارًا، أنا الأفقر إيقاعًا بين كل من في العالم ممن هم في الثامنة عشرة، فأجلس متلوّيًا كأنني أفعى، أمامًا وخلفًا، ولا أستطيع مقاومة رفع الصوت أكثر فأكثر، أرفعه إلى أقصاه، ثم أصير واقفًا على قدميّ، نعم، ويكون عليَّ أن أرقص في تلك اللحظة، حتى إن كنت وحدي. وقبيل نهاية الأغنية، فوق هذا كله، مثل طائرة مقاتلة لعينة فوق قرية صغيرة راقصة، يأتي جيتار أدريان بيلو فيصير مهيمنًا على الأصوات كلها، و... أوه، أوه، يا إلهي، أرقص وتملأني السعادة حتى أطراف أصابعي، ولا أتمنى شيئًا غير أن يدوم اللحن وأن يتواصل ذلك العزف المنفرد ويتواصل... الطائرة لا تحط على الأرض أبدًا، والشمس لا تغرب أبدًا، والحياة لا تنتهي أبدًا.

أو... *«هيفن أب هير»*، مع «إيكو» و«بانيمن»، النقيض المباشر لفرقة «توكينغ هيدز» لأن الجوهر هنا ليس الإيقاع، ولا التوافق بين الطبول، بل الأصوات والأمزجة، هذا النحيب المَهول المنبعث منهم، كلّه توق وجمال وعتمة، نحيب يتدفق ويجري في الموسيقى، لا، بل هو الموسيقى نفسها. مع أنني أفهم القسم الأكبر مما يقال، ومع أنني قرأت أكوامًا من المقابلات التي أُجريت معه، مثلما قرأت مقابلات أكثر الفرق التي أحتفظ بتسجيلاتها، فإن الموسيقى تطمس هذه المعرفة كلها وتبطلها؛ لا تريد الموسيقى أن تعرف عنها أي شيء، فالموسيقى من غير معنى، وما من شرح أو تفسير، وما من ناس، أصوات فقط، لكلّ صوت خصائصه المميّزة الفريدة، كأن هذه هي خصيصته الأساس، جوهره، جوهره المحض، لا جسد، ولا شخصيّة، نعم، شيء كأنه شخصيّة من غير شخص، وفي كل تسجيل ما لا نهاية له من هذه الخصائص، خصائص من عالم آخر تراها عندما تستمع إلى الموسيقى. لم أفهم أبدًا ما يتملكني عندما تتملكني الموسيقى؛ لم أفهم شيئًا غير أنني أريدها دائمًا.

وفوق هذا هي تجعلني أحدًا، بالطبع. فبفضل الموسيقى، صرت أحدًا في الطليعة، صرت أحدًا لا بد لك من الإعجاب به، ليس مثلما يكون عليك أن تُعجب بمن صنعوا الموسيقى -أعترفُ بهذا- بل كنت في الطليعة من حيث إنني مستمع إلى الموسيقى. هنا، في الشمال، قد لا أجد أحدًا يرى هذا، تمامًا مثلما يندر في كريستيانساند أن يكون هناك من يدركه؛ لكن هناك دوائر تراه وتقدّره حق قدره. إلى تلك الدوائر كنت متّجهًا.

أمضيت بعض الوقت في ترتيب ما لديّ من تسجيلات موسيقية على نحو يسمح بأن يتعزز الانطباع الذي يخلقه كل واحد منها بفعل الذي يليه، بل ربما يقود أيضًا إلى اكتشاف صلات مفاجئة جديدة من قِبل كل من يستعرضها. ثم خرجت إلى المتجر واشتريت بضع زجاجات من البيرة ووجبة جاهزة مجمّدة، وجبة باستا كاربونارا. اشتريت أيضًا رأس قنّبيط، ورأسًا من فجل السويد، وبضع تفاحات، وبضع خوخات، وعنقود عنب. أردت استخدام هذه الأشياء في اليوم التالي من أجل درس العلوم للصفَّيْن الثالث والرابع، بحيث أقدّم عرضًا جذابًا للكواكب في الكون. فكرة جاءتني في اليوم السابق عندما كنت أتصفّح الكتاب المدرسي.

وصلت إلى البيت ووضعت الوجبة الجاهزة في فرن المايكروويف، ثم أكلتها من طبق الألومنيوم مباشرة. وضعت الطبق على طاولة المطبخ وبدأت آكل وأشرب البيرة وأقرأ صحيفة *داغبلادت*. شبعت، فاستلقيت على السرير لكي أستريح ساعة. ظلّت صور المعلّمين والتلاميذ وغرف المدرسة وممرّاتها زمنًا طويلًا تتوارد في وعيي قبل أغفو آخر الأمر. استيقظت بعد ساعة ونصف ساعة على صوت قرع جرس الباب. ما عدت أستطيع توقّع أي شيء، فبابي يدقّه أشخاص مختلفون كثيرًا. اتجهت صوب الباب مسرعًا، وكان بي مزيج من النعاس والتوتر.

ثلاث فتيات من صفّي واقفات عند الباب. ابتسمت إحداهن، أندريا، ابتسامة جريئة وسألتني إن كنت أسمح لهن بالدخول. قهقهت الفتاة الثانية

-فيفيان- واحمرّت كلها. وحدّقت ثالثتهن -ليفه- بي من غير خجل من خلف نظارتها الثخينة.

قلت: «بكلّ تأكيد. تفضّلن. ادخلن كلكنّ».

فعلت الفتيات ما فعله الزوار الآخرون: نظرن من حولهن عندما دخلن غرفة الجلوس. وقفن شبه متلاصقات، ورحن يتدافعن ويتمايلن ويطلقن الضحكات وتحمرّ وجوههنّ.

قلت مشيرًا برأسي إلى الأريكة: «هيا، اجلسن».

فعلن ما قلته لهنّ، وجلسن جميعًا.

«والآن! ما الذي جاء بكنّ إلى بيتي؟».

قالت أندريا: «أردنا أن نرى كيف حالك. أصابنا الضجر، كما ترى».

هل كانت أندريا زعيمة بينهنّ؟ لم توحِ لي بهذا الانطباع تمامًا عندما كنا في المدرسة.

قالت فيفيان: «ما من شيء نفعله هنا».

كررت ليفه: «ما من شيء نفعله».

قلت: «صحيح. لا يبدو لي أن هنا أشياء كثيرة. لكني أخشى أيضًا ألّا تجدن عندي شيئًا».

قالت أندريا: «لا، إنه جُحر».

سألتها: «هل شقتي جُحر؟».

احمرَّ وجهها حتى جذور شعرها. قالت: «لا. ما هذا السخف؟ عنيت القرية».

قالت فيفيان: «سوف أترك القرية لحظة أنهي الصف الثامن».

قالت ليفه: «وأنا أيضًا».

قالت فيفيان: «أنت تكررين كل ما أقول».

«أوه، حقًا! وماذا؟».

«أوه، حقًا! وماذا؟». قالت فيفيان هذا مقلّدة إياها تقليدًا متقنًا. بل إنها استطاعت أيضًا تقليد الثنيتَين الصغيرتَين التَين تظهران على أنفها تحت نظارتها، واحدة تلو أخرى.

قالت ليفه: «أوووه!».

قلت ناظرًا إلى فيفيان: «لا تستطيعين أن تحتكري لنفسك حق مغادرة القرية عندما يصير عمرك ستة عشر عامًا». ابتسمت فيفيان وخفضت عينَيها.

قالت أندريا: «أنت تقول أشياء غريبة، يا كارل أوفه. ما معنى كلمة: تحتكري؟».

فاجأني استخدامها اسمي؛ فاجأني كثيرًا، فاحمرَّ وجهي وخفضت رأسي ناظرًا إلى فيفيان كأنها هي من تكلّمت.

رفعت رأسي من جديد وقلت: «من يحتكر هو الشخص الذي ينفرد وحده بفعل شيء من الأشياء».

قالت: «أوه، نعمممم». قالتها متظاهرة بأن الضجر يقتلها.

ضحكت رفيقتاها. ابتسمت لهنّ.

قلت: «أرى يا فتيات أن لديكن الكثير مما ينبغي عليكن تعلّمه. من حسن حظكن أنني أتيت إلى مدرستكن».

قالت أندريا: «ليس من حسن حظي فأنا أعرف كل ما تلزمني معرفته».

قالت فيفيان: «ما عدا معرفة قيادة السيارة».

قالت أندريا: «أستطيع قيادة السيارة».

«صحيح، لكنك غير مسموح لك بقيادة السيارة. هذا ما عنيته».

حلَّ صمت قصير. ابتسمت لهن؛ وكان واضحًا أنني غير ناجح في إخفاء مظهر المعلّم المشرف عليهنّ، لأن أندريا نظرت إليَّ مضيّقة عينَيها وقالت: «بالمناسبة، نحن في الثالثة عشرة، لسنا طفلات صغيرات... إن كان هذا ما تظنه بنا».

ضحكت: «ولماذا أظن هذا؟ أنتن جميعًا في الصف السابع. أعرف هذا. بل إنني أستطيع تذكر كيف كان إحساسي عندما كنت مثلكن».

«كيف كان إحساسك؟».

«بدء الذهاب إلى مدرسة جديدة. اليوم هو يومك الأول في المدرسة المتوسطة».

قالت فيفيان: «ألسنا نعرف هذا؟ لقد كان الأمر مضجرًا أكثر حتى من الصف السادس، على ما أظن».

رُن جرس الباب: «تبادلت الفتيات الثلاث نظرات سريعة».

نهضت لكي أفتح الباب. كان بالباب نيلز إيريك.

قال لي: «هل تقدم إلى زميلك فنجان قهوة؟».

«ألا تفضل أن تشرب زجاجة بيرة».

رفع حاجبَيه واتخذ وجهه مظهرًا مستفهمًا، بل لعله كان مرتابًا.

«لا، شكرًا. سوف أقود السيارة بعد ذلك. الاحتياط خير من الأسف».

قلت له: «على أية حالة، ادخل».

نظرت الفتيات الثلاث إليه عندما دخل وصار وسط غرفة الجلوس.

قال لهن: «يعني هذا أنكن تتسكّعن هنا في الأمسيات».

قلت: «ألم تذهب الفتيات إلى شقتك بعد؟».

هزَّ رأسه وقال: «لا، لكن بعض تلامذة السنة الرابعة أتوني هذا المساء بينما كنت أقلي فطائر السمك».

قالت ليفه: «نحن في ضجر شديد جدًا. هذا كل ما في الأمر».

رشقت الفتاتان رفيقتهما بنظرة غاضبة. ثم نهضن جميعًا.

قالت أندريا: «لا بأس. من الأفضل أن نذهب الآن».

قلت: «مع السلامة. تستطعن المجيء في أي يوم آخر».

قالت فيفيان من الممر: «إلى اللقاء!». ثم أغلق الباب من خلفهنّ.

ابتسم نيلز إيريك. رأيناهنّ بعد قليل سائرات في الطريق المنحدرة صوب المتجر.

قلت: «طفلات مسكينات. لا بد أن ضجرهن شديد إلى الحدّ الذي يجعلهن لا يجدن ما يفعلنه في وقت فراغهن غير زيارة المعلّمين».

قال نيلز إيريك: «لعلك أثرت اهتمامهنّ!».

قلت: «وأما أنت فلم تثر اهتمامهن على ما أظن».

ضحك ضحكة قصيرة: «لا، لم أثر إعجابهن. كنت أفكر في الذهاب في جولة بالسيارة. ما رأيك، يا كارل أوفه؟ هل تحب أن تذهب معي؟».

«أين نذهب؟».

رفع كتفيه وقال: «قد نذهب إلى الناحية الأخرى من الفيورد، أو إلى هيليفكا».

قلت: «لا أعترض على الذهاب إلى هيليفيكا. فمن هناك نستطيع رؤية الجانب الآخر من الفيورد».

اتضح لي أن نيلز إيريك واحد ممن يحبون التجوّل في الطبيعة. قال لي إن جمال الطبيعة هو ما جعله يتقدّم إلى هذه الوظيفة هنا. لقد جلب معه خيمة وكيس نوم. يريد أن يخرج في رحلة مشي في كل عطلة نهاية أسبوع، فهل أحب الانضمام إليه؟

أضاف مبتسمًا وسيارته الصفراء ماضية بنا بسرعة السلحفاة على امتداد الفيورد: «ليس في كل عطلات نهاية الأسبوع... بعضها فقط».

قلت، «لست ممن يحبّون هذا كثيرًا. أظنني سأفسد الأمر عليك».

أومأ برأسه وقال: «هذا ما ظننته. لكن، ما الذي يجعل ابن مدينة متحضّر، ناعم مثلك يأتي إلى هذا المكان؟».

قلت: «أريد أن أكتب».

قال: «تكتب؟ تكتب ماذا؟ هل تملأ استمارات؟ هل تملأ طلبات توظيف؟ ملاحظات صغيرة لنفسك؟ رسائل؟ قصص فكاهية من أجل برامج الراديو؟ رسائل إلى المحرر؟».

قلت: «أعمل الآن على مجموعة قصص قصيرة».

قال: «قصص قصيرة! سباق فورمولا 1 في الأدب».

قلت: «أهكذا يدعون القصص القصيرة؟».

ضحك وقال: «لا. في الحقيقة، لا. أظن أنهم يستخدمون هذا التعبير في الإشارة إلى القصائد. الشعراء الذين يحبون لفت الأنظار إليهم. قال واحد منهم شيئًا من هذا القبيل».

لم أكن أعرف شيئًا عن هذا، لكني بقيت صامتًا.

«مع هذا، تستطيع أن تأتي معي في رحلات المشي، أليس كذلك؟ ربما بعد أسبوعَين. لديهم محمية طبيعية رائعة على مسافة ساعة واحدة من هنا».

«لا أظن هذا. عليَّ أن أعمل إن أردت لكتابتي أن تعطي ثمارًا».

«ولكن، الطبيعة، يا رجل! خليقة الرب الرائعة! تلك الألوان كلها! والنباتات كلها! هذا ما ينبغي أن تكتب عنه».

ضحكت ضحكة هازئة. قلت له: «لست مؤمنًا بالطبيعة. هذه كليشيه».

«فعن أي شيء تكتب إذًا؟».

رفعت كتفي وقلت: «لم أبدأ الكتابة إلّا الآن. لكنك تستطيع قراءة ما كتبت إن أحببت».

«أتمنى هذا».

«سأحضر القصة معي يوم غد».

عدنا أدراجنا إلى القرية قرابة الساعة الثامنة مساء. لا يزال الضياء مثلما كان في النهار. السماء فوق البحر باهرة إلى حدّ جعلني أقف أمام الشرفة وأمضي دقائق كثيرة في النظر إليها قبل دخولي البيت. سماء خالية، ما من شيء فيها؛ لكنها بدت لطيفة ودودًا، كأنها تتمنّى الخير لمن يعيشون تحتها. لعل هذا لأن الجبال كانت قاسية جدًا، عارية جدًا!

أصبت شيئًا من الطعام، ثم أشعلت سيجارة، وشربت الشاي وأنا جالس أنظر في ما كتبه تلاميذ اليوم.

اسمي فيفيان، وا أنا في الثالثة عشرة. أعيش في قرية اسمها هافيورد. أنا سعيدة هنا. لديّ أخت اسمها ليفه. أبي صياد أسماك وا أمي ربة منزل. أندريا أقرب صديقاتي. نفعل معًا أشياء كاثيرة. المدرسة مضجرة. نعمل أحيانًا في مصنع تعليب الأسماك. نقطّع ألسنة أسماك القد. ساوف أشتري بالمال جهاز ستيريو.

يعني هذا أن فيفيان وليفه شقيقتان!

أراحني هذا الاكتشاف؛ لست أدري السبب. مسّ نفسي أيضًا شيء من الغرابة أظهرته هذه الفتاة. أم لعل ذلك كان بسبب انفتاحها؟ قرّرت ألّا أصحِّح أغلاطها. إن في هذا إضعافًا لمعنوياتها. قرّرت كتابة ملاحظة

صغيرة بالقلم الأحمر تحت النص الذي كتبته فيفيان: «*أحسنت، يا فيفيان! لكن، تذكّري أننا نكتب 'و' لا 'وا' ونكتب 'كثيرة' لا 'كاثيرة'، و'سوف' لا 'ساوف'*».

انتقلت بعد ذلك إلى الدفتر التالي:

اسمي أندريا. أنا في فتاة في الثالثة عشرة تعيش في الناحية القصيّة من جزيرة في شمال النرويج. لدي شقيق في العاشرة وشقيقة في الخامسة. يذهب أبي إلى صيد الأسماك، وتظلّ أمي في البيت مع كاميلا. أحب الاستماع إلى الموسيقى ومتابعة الأفلام. فيلمي المفضل هو «تشامب». أحب التسكّع في القرية مع صديقاتي فيفيان وهيلدغون وليفه. القرية مضجرة قليلًا، لكن الأمور ستصير أحسن عندما نكبر ونصير قادرات على الذهاب إلى الحفلات.

كنت قد ظننت أندريا وفيفيان متماثلتَين. رأيتهما حتى الآن مرتَين، فكان صعبًا عليَّ أن أميّز بينهما. لكني استطعت أن أرى من إجابتيهما أن هناك اختلافًا، أو لعلّ واحدة منهما أكثر اعتيادًا على التعبير عن نفسها كتابة!

كتبت ملاحظة مماثلة في دفتر أندريا، ثم قرأت الدفاتر الثلاثة الباقية التي كانت كلّها ذات مستوى ما بين مستوَيَيّ الدفترَين الأولَين. وضعت ملاحظاتي تحت كل نص قرأته، ثم وضعت الدفاتر في حقيبتي، وشغّلت أغنية «*ماي باغ*» للويد كول، ووقفت أنظر إلى القرية في حين كانت الموسيقى تتملكني، وتجعل الشَّعْرَ على ذراعيَّ ينتصب كله. بطيئًا، بدأت أتحرّك مع الإيقاع، أحرك كتفًا أول الأمر، ثم قدمًا، ثم أطفأت النور حتى لا يستطيع أحد في الأسفل رؤيتي، ورحت أرقص مغمضًا عيني وأغني من أعماق قلبي. احتلمت في نومي تلك الليلة. اجتاحتني موجة بهجة حملتني عاليًا، إلى السطح، إلى حيث لم أكن أريد الذهاب أبدًا، إلى حيث لم أذهب لأنني غرقت في الظلمة من جديد، غرقت في نوم عميق قبل أن أبلغ مرحلة الوعي، وقبل أن أصل إلى فكرة غامضة عمّن أكون. غرقت في النوم وبقيت نائمًا إلى أن رُنّت الساعة المنبّهة، وفتحت عينَي على غرفة ممتلئة نورًا، وعلى سروال داخلي ممتلئ دبقًا.

أحسست بالذنب أول الأمر. الرب وحده يعلم ما كنت أراه في حلمي. ثم، عندما تذكّرت أين كنت وما كنت أفعله، عاودني الإحساس بالضغط في معدتي. نهضت من الفراش، وذهبت إلى الحمام قائلًا لنفسي إن ما من شيء يستدعي قلقي. كان الصف صغيرًا، والتلاميذ صغارًا. لكن هذا لم يفِدني شيئًا، لأنني أحسست كأن عليَّ أن أقف على خشبة مسرح من غير أن يكون لدي شيء أقوله للجالسين أمامي. حاولت استعادة المزاج الجميل الذي عشته قبل ذلك عندما كنت أضع ملاحظاتي على ما كتبه تلاميذي، مستمتعًا بإحساسي الجديد الذي منحني إياه قيامي بدور المعلّم: رؤية التلاميذ، والتفكير في ما أستطيع فعله لمساعدتهم. لكني وقفت في الحمام محاطًا بالبخار؛ وقفت أجفّف نفسي فتبخّر ذلك كله من ذهني لأنني... لأنني لم أكن معلّمًا، كما لم أكن حتى شخصًا راشدًا: لست إلّا مراهقًا سخيفًا لا يعرف أي شيء عن أي شيء.

صحت: «أوه، يا للجحيم!». مسحت بالمنشفة البخار الذي تكثف على المرآة، وتمعّنت في وجهي بضع ثوانٍ إلى أن اكتسى الزجاج من جديد بخارًا متكثفًا.

بدوت في حالٍ حسنة جدًا... نعم.

هذا أمر له قيمته على الرغم من كل شيء.

لقد قصصت الشعر الطويل خلف رقبتي قبل سفري. والآن، كانت على جمجمتي سجادة من شعر كثيف لعل طوله ثلاثة سنتيمرات، شعر منحدر إلى صدغيَّ، وإلى رقبتي. صليب صغير متدلٍّ من أذني اليسرى.

ابتسمت.

أسناني مستوية بيضاء. وفي عينَيّ التماعة أعجبتني رؤيتها إلى أن جعلتني سخافة ذلك كله، سخافة شخص يبتسم لنفسه في المرآة، بل يكاد يغمز لنفسه بعينه، أحسّ بمعدتي تتقلّص من جديد.

أوه، بحق الرب!

ارتديت قميص «دريم *أوف ذا بلو تيرتلز*» ذا الكمَّيْن القصيرَيْن، ومعه

بنطلون جينز ليفايز أسود، وزوج جوارب طويلة بيضاء، ووقفت أمام المرآة، فارتديت سترة عسكرية خضراء رقيقة، ثم جرّبت سترة جينز زرقاء. استقر رأيي على السترة العسكرية الخضراء. وضعت البيريه على رأسي لكني لم أجدها متناسبة مع ملابسي. وبعد دقيقتَين، سرت إلى المدرسة مسرعًا، حاسر الرأس وفي يدي كيس أبيض اللون من أكياس متجر «آلي كوفي»، وضعت فيه الكتب والمواد التي اشتريتها.

كان عدد تلامذة السنتَيْن الثالثة والرابعة الموضوعين في صف واحد معًا في دروسهم كلها اثني عشر تلميذًا: خمس بنات وسبعة صبيان. لكن عددهم بدا لي أكبر من ذلك، لأنهم كانوا دائمي الحركة، يجرون ويصيحون ولا يهدأون أبدًا. وبعد أن جلسوا آخر الأمر على مقاعدهم، ظلت سيقانهم تتحرّك، ورؤوسهم تستدير، وأذرعهم تنثني وتتجه يمينًا وشمالًا. أذهانهم مثل أذهان كلاب مستثارة، تدفعهم إلى الحركة دائمًا.

لم أعطهم أي درس حتى الآن. لقد سمعوا عني فقط، من الآخرين، وشاهدوني من بعيد. لذا، استقرّت العيون كلّها عليّ عندما ظهرت في قسمهم في المدرسة.

ابتسمت ووضعت الكيس على طاولة المعلم.

سأل أحدهم: «ماذا لديك هناك؟ ماذا في الكيس؟».

نظرت إليه. جلد شديد البياض، وعينان بنيتان، وشعر قصير جدًا.

سألته: «ما اسمك؟».

أجاب: «ريدار».

قلت: «اسمي كارل أوفه. وهناك أمر تستطيعون تعلّمه منذ لحظة البداية. على الواحد منكم أن يرفع يده قبل أن يقول أي شيء».

رفع ريدار يده.

ذكي... هذا الوغد!

سألت: «ماذا؟».

«ماذا لديك في هذا الكيس، يا كارل أوفه».

أجبته: «إنه سرّ. لكنك ستعرفه عما قريب. أحب في البداية أن أعرف أسماءكم».

ارتفعت يد الصبي الجالس خلف ريدار. كان طفلًا قصير القامة، أشقر الشعر، له عينان زرقاوان قاسيتان مقارنة مع سنه.

سألته: «ما اسمك؟».

أجاب: «ستيغ. هل أنت صارم؟».

قلت: «صارم! لا».

قال: «تقول أمي إنك صغير السن لا تصلح لأن تكون معلّمًا». نظر من حوله ليرى ردّة فعل زملائه.

ضحكوا. ضحكوا جميعًا.

«على أية حال، أنا أكبر منكم. لذا، أظن أن كل شيء سيسير سيرًا حسنًا».

سأل ريدار: «لماذا علّقت صليبًا في أذنك؟ هل أنت مسيحي؟».

«ماذا قلت قبل قليل عن ضرورة أن ترفع يدك قبل أن تتكلّم؟».

«آسف!». ضحك، ثم رفع يده.

أجبت: «لا، لست مسيحيًا، أنا ملحد».

سأل ريدار: «ما معنى هذا؟».

«يدك! أين يدك المرفوعة؟».

«أوه!».

«الملحد هو من لا يؤمن بوجود الرب. لكن عليكم الآن أن تقولوا لي أسماءكم. فلنبدأ من الصف الأخير، هناك».

قالوا لي أسماءهم، واحدًا تلو الآخر.

فيبيكِه... جينيث... سوزانِه... ستيغ... ريدار... لوفيسا... ميلاني... ستيف... إندرِه... ستين-إنغِه... هيلين... جو

على الفور، نشأ تواصل بيني وبين قسم منهم، فصرت قادرًا على تذكّر أسمائهم بكل سهولة، من الآن فصاعدًا: الفتاة الجميلة جمالًا يصعب

تصديقه، كأنها لعبة في كل شيء من قسمات وجهها إلى جسدها إلى فستانها؛ والصبي ذو الوجه المدوّر؛ والولد القصير الذي يبدو مظهره غاضبًا؛ والولد كبير الرأس ذو العينَيْن الدافئتَيْن، كثير الكلام؛ وذات الشعر الأشقر والجديلتَين التي يوحي مظهرها بالعقلانية والفهم. لكن بقية التلاميذ ظلّوا أكثر غموضًا ولم يتكشّف لي فيهم شيء يحدّدهم تحديدًا واضحًا.

قلت: «إذًا، أنتم هنا تلاميذ الصفَّيْن الثالث والرابع. ما اسم المكان الذي تعيشون فيه؟».

ردَّ ريدار: «هافيورد، أليس كذلك؟».

لم أقل شيئًا، بل اكتفيت بالنظر إليهم. ثم أدرك اثنان أو ثلاثة منهم ما أريده بسؤالي، فرفعوا أيديهم. أشرت إلى الكائن الجميل الذي يشبه لعبة.

سألت: «ماذا يا لوفيسا؟».

قالت لوفيسا: «هافيورد».

«ما اسم المقاطعة التي فيها قرية هافيورد؟».

«ترومسِه».

«وما اسم البلد؟». الآن، ارتفعت الأيدي كلها. أشرت إلى الولد البدين.

أجاب: «النرويج».

«وما اسم القارة؟».

«أوروبا».

ابتسمت وقلت: «جيد».

«ولكن، ما اسم الكوكب الذي نحن عليه؟ هل يعرف أيٌّ منكم اسمه؟ ماذا، يا ريدار؟».

«إنه العالم».

«صحيح، إنه العالم. لكنَّ له اسمًا آخر».

استدرت وكتبت العنوان كاملًا على اللوح: هافيورد، ترومسِه، النرويج، أوروبا، الأرض.

استدرت إليهم من جديد.

«وأين هي الأرض؟».

قال ستين - إنغه: «إنها في الكون».

قلت: «نعم، إنها في النظام الشمسي، في مجرّة اسمها...؟».

كتبت على اللوح، مجرّة درب التبانة.

«هل سمعتم بهذا الاسم من قبل؟».

صاح عدد منهم: «سمعنا».

«هذه المجرة كبيرة جدًا بالنسبة إلينا. لكنها بالغة الصغر إذا ما قورنت بالكون كلّه».

نظرت إليهم، ثم سألتهم، «والآن، ماذا تظنون أنه موجود خارج الكون؟». نظروا إليّ جميعًا فاغري الأفواه.

«ألم تفكروا في هذا الأمر قبل الآن؟ ماذا يا إندرِه؟».

هزّ إندرِه رأسه نفيًا.

قال لي: «هل يوجد شيء خارج الكون؟».

قلت: «حسنًا... لا يدري أحد ذلك. لكن من غير الممكن ألّا يكون هناك شيء. أليس هذا صحيحًا؟ لا بد أن يكون هناك شيء. ما رأيكم أنتم؟».

سألني ريدار: «ماذا يقولون في الكتاب؟».

أجبته: «لا يقولون شيئًا. مثلما أخبرتكم قبل قليل، لا يدري أحد شيئًا عن هذا».

«لا أحد؟».

«لا أحد».

قال لي: «إذًا، لماذا يكون مطلوبًا منا أن نتعلّم هذا؟».

ابتسمت وقلت: «عليكم أن تتعلّموا أشياء عن مكان عيشنا. وبالطبع، المكان الذي فيه نعيش هو الكون. حسنًا، إذا نظرنا إلى الأمر نظرة أكثر اتساعًا، نستطيع القول إنه الوجود كلّه. ما ترونه فوقنا كل ليلة، أو ما لا ترونه لأنكم لا تزالون صغارًا ينبغي عليهم أن يكونوا في الفراش».

«هيي!... نحن لسنا صغارًا».

قلت: «هذا مزاح. لكن النجوم التي ترونها عندما يحلّ الظلام، والقمر، والكواكب. عليكم أن تتعلّموا هذه الأشياء». استدرت وكتبت على اللوح كلمة «الكون».

قلت: «لا بأس الآن. هل يستطيع أي منكم ذكر أسماء كواكب في نظامنا الشمسي؟».

أجاب ريدار: «الأرض».

ضحكات متفرقة هنا وهناك.

«وغير ذلك؟».

«بلوتو».

«المريخ».

عقَّبت: «هذا جيد». وعندما لم يقل أحد شيئًا آخر، رسمت النظام الشمسي كلّه على اللوح.

الشمس... عطارد... الزهرة... الأرض... المريخ... المشتري... زحل... أورانوس... نبتون... بلوتو

«هنا، على اللوح، تبدو الكواكب كأنها متقاربة جدًا. لكن، هناك مسافة كبيرة إلى حدٍّ لا يصدّق بين كل كوكب وآخر. فعلى سبيل المثال، يستغرق السفر إلى كوكب المشتري سنين كثيرة جدًا. أود أن أعطيكم فكرة عن هذه المسافات. لذا، ارتدوا معاطفكم، ولنخرج إلى ملعب كرة القدم».

«هل سنخرج الآن؟ أنخرج أثناء الدرس؟».

«طبعًا. هيا، تحرّكوا. ارتدوا معاطفكم حتى نذهب».

قفزوا من مقاعدهم وتجمعوا عند مشاجب المعاطف. وقفت عند الباب أنتظرهم حاملًا الكيس بيدي.

تجمّعوا من حولي في حلقة صغيرة أثناء سيرنا في الملعب.

أحسست كأنني راعٍ لهم، وكأنني مختلف كثيرًا عن هذه المخلوقات الصغيرة المرحة.

أخذت كرة من سلّة الكرات وقلت لهم: «جيّد. سنتوقّف هنا. هذه هي الشمس». وضعت الكرة على الأرض.

نظروا إليّ نظرة فيها شيْءٌ من الشكّ.

«هيا، فلنسر مسافة أكبر».

سرنا نحو عشرين مترًا قبل أن أتوقّف وأضع الخوخة على الأرض.

«هذا هو كوكب عطارد. إنه أقرب الكواكب إلى الشمس. هل تستطيعون رؤية الشمس هناك؟».

نظر الجميع إلى الكرة التي كان لها ظل خفيف على الأرض. أومأوا برؤوسهم.

وبعد ذلك وضعت تفاحتَين وبرتقالتَين وثمرة السويد ورأس القنبيط. وأخيرًا، وضعت حبّة العنب في آخر ذلك الصفّ على مقربة من باب المركز الاجتماعي. إنها تمثّل كوكب بلوتو.

شرحت لهم: «هل تفهمون الآن كم هي المسافة كبيرة بين الكواكب؟ تلك الشمس الصغيرة البعيدة، هناك، وعطارد الذي يبدو مثل خوخة. كوكب صغير لا نكاد نستطيع رؤيته من هنا. وهذه كلّها... »، قلت هذا ناظرًا إليهم وهم يحدقون في ملعب كرة القدم بنظرات فارغة... «هذا ليس إلّا جزءًا صغيرًا جدًا جدًا من الكون كلّه! جزءًا ضئيلًا تمامًا! أليس أمرًا غريبًا أن تكون الأرض التي نعيش عليها بعيدة ملايين الأميال عن أي كوكب آخر؟».

كان بعضهم يفكّر تفكيرًا عميقًا يستطيع المرء معه تخيل رؤية الدخان متصاعدًا من رأسه. وكان البعض الآخر ينظر إلى القرية وإلى الفيورد.

قلت لهم: «فلنعد الآن. هيا. اجروا، اجروا، اجروا!».

في غرفة المعلّمين، أخرجت نسخة من قصتي القصيرة وخرّزت الصفحات معًا وقدّمتها إلى نيلز إيريك الذي كان يجلس على الأريكة يقرأ صحيفة ترومسه فولكبلاد. قلت له: «ها هي القصة القصيرة التي أخبرتك عنها».

قال: «ممتاز».

«متى تظنّ أنك ستفرغ من قراءتها؟ الليلة؟».

نظر إليَّ وابتسم. قال: «الأمر ملحّ، أليس كذلك؟ الحقيقة أنني اعتزمت الذهاب إلى فينسنس مساء اليوم. بالمناسبة، هل تحب أن تأتي معي؟».

«أحبّ هذا. فكرة حسنة».

«إذًا، أستطيع قراءة قصّتك القصيرة غدًا، وبعد ذلك، من الممكن أن نقيم حلقة مناقشة صغيرة».

حلقة مناقشة! هذا يعني عندي الجامعات والعالم الأكاديمي والدراسات والفتيات والحفلات.

قلت: «عظيم»، ثم ذهبت لأسكب فنجان قهوة.

قال نيلز إيريك مخاطبًا ظهري: «ماذا كنت تفعل مع التلاميذ في الخارج؟».

أجبت: «ما من شيء خاصّ. كنت أحاول مساعدتهم في تصوّر الكون».

عندما دخلت غرفة الصف من أجل الدرس التالي، رأيت ثلاث فتيات متكئات على النافذة وحديث حماسي هامس جارٍ بينهنّ. لم يُحدث دخولي أدنى أثر عليهنّ.

قلت: «لا تستطعن الوقوف والثرثرة هناك. لقد بدأ الدرس. من تظنّون أنفسكن؟ أنتن تلميذات، ولا بد لكنّ من طاعة الأنظمة وتنفيذ ما يقوله لكنّ المعلّمون».

استدارت الفتيات في اتجاهي، فرأينني مبتسمًا، فتابعن الثرثرة.

قلت لهن: «ماذا بكنّ؟ هيا، ولتجلس كل واحدة في مكانها». عندها حدث تحوّل سأفكر فيه في وقت لاحق من ذلك اليوم وأراه أمرًا فاتنًا: صارت حركاتهنّ أنيقة متقنة إلى حدّ مفاجئ، وانقلبت فظاظتهنّ انقلابًا مفاجئًا إلى سلوك أنثوي. ذهبن إلى مقاعدهنّ.

بدأتُ توزيع الدفاتر على التلاميذ، وقلت: «قرأت ما كتبه كل واحد منكم. كان ما قرأته جيدًا جدًا. لكن هناك بضعة أمور نستطيع الكلام والانتهاء منها الآن لأنها مشتركة بينكم جميعًا».

فتحوا دفاترهم لرؤية ما كتبته لهم فيها.

سألَت هيلدغون: «ألم تضع لنا درجات؟».

قلت: «لن أضع درجات من أجل شيء صغير إلى هذا الحدّ. لم أطلب منكم الكتابة هذه المرة إلّا لأكوّن فكرة عنكم».

رأيت أندريا وفيفيان تقارنان بين الملاحظات المكتوبة لكل منهما.

قالت فيفيان: «لقد كتبت الشيء نفسه تقريبًا لكل منا! هل أنت ضعيف إلى هذا الحد؟».

أجبت مبتسمًا: «ضعيف! سرعان ما تحصلين على درجات تجعلك ترين مستواك. وأنا لست واثقًا جدًا من أنك في شوق إلى ذلك».

انفتح الباب من خلفي. استدرت. إنه ريتشارد. دخل وجلس عند طاولة قريبة من الجدار، وأشار لي بأن أتابع الدرس.

ما هذا؟ هل هو آتٍ لمراقبتي؟

قلت: «أول ما ينبغي أن نؤكّد عليه هو لهجتكم العاميّة. لا تستطيعون الكتابة مثلما تتكلمون. هذا ليس مقبولًا على الإطلاق. عليكم أن تكتبوا (jeg)، لا (æ). وعليكم أن تكتبوا (Er) لا (e). وعليكم أن تكتبوا (Hvordan) لا (koss)».

«لكننا نتكلم هكذا». قالت فيفيان هذا وهي تلتفت في مقعدها صوب ريتشارد، الذي كان جالسًا عاقدًا ذراعيه على صدره، من غير أن يوحي وجهه بأي تعبير، «فلماذا نكتب (jeg) عندما نقول (æ)؟ لماذا؟».

قالت هيلدغون: «ثم إن هاريسون قال لنا السنة الماضية إننا نستطيع أن نكتب هكذا».

أضافت ليفه: «قال هاريسون إن كتابة شيء ذي معنى أهم من الكتابة بطريقة سليمة».

أجبت: «في السنة الماضية، كنتم في مدرسة للأطفال. وأما في هذه السنة، فأنتم في المدرسة المتوسّطة. ينبغي هنا أن تكون لغتكم سليمة، أي اللغة المعروفة بالفصحى. هكذا هو الأمر في أي مكان من البلاد. يمكننا أن

نتكلّم مثلما نشاء. وأما عندما نكتب، فلا بد أن تكون لغة الكتابة نرويجية فصيحة. لا نستطيع مناقشة هذا الأمر. عليكم أن تفعلوا هذا إلّا إذا أردتم أن يعود إليكم ما تكتبونه مع ملاحظات كثيرة باللون الأحمر ودرجات متدنية».

قالت أندريا: «أوه!». نظرت إليّ أول الأمر، ثم إلى ريتشارد. أطلق الآخرون ضحكات مرحة. طلبت منهم أن يخرجوا كتبهم. وعندما فتحوا الكتب على الصفحة نفسها، قلت لهيلدغون أن تبدأ القراءة. نهض ريتشارد واقفًا وأومأ لي برأسه إيماءة صغيرة، ثم خرج من غرفة الصف.

ذهبت إلى مكتبه في الاستراحة. دققت الباب.

رفع رأسه عن طاولته عندما دخلت الغرفة.

رحَّبَ بي: «أهلا بك، يا كارل أوفه».

قلت: «مرحبًا. كنت أتساءل عمّا جعلك تأتي إلى درسي».

نظر إليّ كمن يروزني؛ لكنّي رأيت في تلك النظرة شيئًا من العجب أيضًا. ابتسم بعد ذلك وعضَّ شفته السفلى. كانت هذه عادة عنده –هذا ما أدركته– تقدّم حنكه الملتحي إلى الأمام فبدت ذقنه مثل ذقن تيس.

قال لي: «ما أردت شيئًا غير رؤية كيف تسير الأمور في صفَّك. سأفعل هذا من وقت لآخر. لدينا الآن عدد غير قليل من المعلّمين غير المؤهلين. ولا بد لي من أن تكون عندي فكرة عن أدائكم. التعليم ليس سهلًا، وأنت تعرف هذا».

قلت: «إن واجهت أي مشكلات فسوف أخبرك؛ أعدك بهذا. ولك أن تثق بوعدي».

ضحك في وجهي وقال: «أعرف هذا. المسألة ليست هنا. اذهب واسترح الآن».

عاد ينظر إلى الأوراق التي كانت أمامه، كان هذا أسلوبًا في القول إن له

الكلمة العليا هنا. رفضت الانصياع لهذا بضع ثوانٍ فقط، لكني لم أجد شيئًا آخر أستطيع فعله. ما من شيء أقوله، وما من شيء غير منطقي في ما سمعته منه. لذا، استدرت آخر الأمر، ومضيت إلى غرفة المعلّمين.

وجدت ثلاث رسائل في صندوق بريدي عندما ذهبت إلى مكتب البريد بعد انتهاء الدروس. رسالة من باسن الذي بدأ دراسته الجامعية في ستافانغر؛ ورسالة من لارس الذي انتقل للعيش مع صديقته في كريستيانساند. ورسالة ثالثة من إيريك الذي يدرس الآن في معهد التكنولوجيا في مدينة تروندهيم.

أخبرني باسن في رسالته عن حادثة وقعت قبل انتقاله. ذهب إلى البيت مع فتاة، أو بالأحرى مع امرأة لأنها كانت في الخامسة والعشرين. وبينما كانا منهمكَين في العمل (هكذا عبّر عن الأمر)، أصابها شيء كأنه نوبة مفاجئة. ذُعر باسن كثيرًا. كتب لي قائلًا إن ذلك كأن صدمات كهربائية تصيبها. راح جسدها يرتجف ويختلج فظنّها مصابة بالصرع. ابتعد عنها ونهض واقفًا.

خفت كثيرًا، يا كارل أوفه! لم أدر إن كان عليّ أن أتصل لكي أطلب سيارة إسعاف، أم ماذا. فكيف إذا ماتت الآن؟ الحقيقة أنني ظننتها موشكة *على الموت. لكنها فتحت عينَيها وجذبتني عائدًا إليها وسألتني عمّا دهاني. صاحت بي: لا تتوقف! هل تتخيل هذا؟ لقد بلغتِ النشوة فحسب! لقد جعلت تلك المرأة الناضجة تبلغ الذروة.*

كنت سائرًا وحدي، فضحكت عندما قرأت رسالته. لكني أحسست أيضًا وخزَ شيء آخر لأنني لم أضاجع أية فتاة بعد. لم أمارس الجنس. بكلمات أخرى، لم أفقد عذريتي. كنت خجلًا من نفسي، لا لأنني واصلت الكذب طيلة سنتَين كاملتَين كلّما تحدّثت عن التجارب الجنسية التي خضتها، بل أيضًا، تلك التجارب التي يُفترض أن باسن وكثيرين غيره قد خاضوها. فوق خجلي، كنت في توق يائس إلى ممارسة الجنس، إلى النوم مع فتاة، مع أية فتاة، وإلى عيش ما كان باسن ورفاقي الآخرون يعيشونه على نحو منتظم. كلما سمعت عن غزواتهم، كلما أحسست قدرَين متساويَين من الوهن

والرغبة، قدرَين متساويَين من العجز والقدرة؛ فكلما طال الزمن قبل أن أضاجع فتاة، كلما صرت أكثر خوفًا من ذلك. كنت قادرًا على أن أتحدّث مع الآخرين في أية مشكلة أخرى أعانيها حتى أريح ذهني، لكني لم أكن قادرًا على الكشف عن هذه المشكلة أمام أي إنسان على الإطلاق، مهما تكن الظروف. وكلما فكرت في الأمر -لم يكن تفكيري فيه قليلًا أبدًا لأنه يخطر في ذهني عدّة مرّات كل ساعة- كلما هيمن عليَّ نوع من الكآبة المظلمة، كآبة اليأس التي تكون عارضة أحيانًا، مثل سحابة تحجب الشمس لحظات، وتدوم أزمانًا أطول في أحيان أخرى. على أنني وجدت نفسي عاجزًا عن مغالبة هذا اليأس كيفما كان شكله، لأن الشك والعذاب يرافقانه دائمًا. هل أستطيع؟ هل أستطيع؟ إذا نجحت، خلافًا لتوقّعاتي كلها، في المناورة حتى أصل إلى وضع مناسب فصرت في غرفة وحدي مع فتاة عارية، فهل أقدر على ممارسة الجنس معها؟ هل أكون قادرًا على فعل هذا؟

لم يكن كل ما يحيط بهذا الأمر من سرية وتظاهر كاذب نافعَيْن في التهوين عليّ.

«هل تعرف ماذا يكون مكتوبًا على الحلمة في رأس الواقي الذكري؟».

هذا ما سألني تروند ذات مرة عندما كنا في استراحة في ذلك الربيع. طرح السؤال ونظر إليَّ بعينَين ثابتتَين. كنا واقفين جماعة على العشب قرب المدرسة؛ وكنا نثرثر.

لكنه طرح السؤال عليّ أنا!

فلماذا؟

هل شكَّ في أنني أكذب عندما أتحدّث عن الفتيات، وعن تجاربي الجنسية معهن؟

احمرّ وجهي.

ماذا أقول؟ هل أقول لا فأكشف جهلي؟ أم أقول نعم فأستدعي بنفسي السؤال الذي يكون طبيعيًا أن يأتي بعد ذلك: ماذا يكتبون؟

قلت، «لا. ماذا يكتبون؟».

قال: «هل قضيبك صغير إلى هذه الدرجة؟».

ضحكت معهم. أحسست انفراجًا كبيرًا.

لكن إسبن كان ينظر إليّ. ألم يكن ينظر إليّ؟ كانت نظرته كأنه يعرف شيئًا وكأنه شبه مستمتع نتيجة ذلك.

أعادني إلى البيت بسيارته بعد يومَين من ذلك. كنا معًا في غيزِله.

سألني ونحن ماضيان في الطريق ذات الانحدار البسيط عند كراغيبوي، حيث توجد على الجانبَين بيوت متداعية كثيرة: «كم مرة مارست الجنس فعلًا، يا كارل أوفه؟».

قلت: «لماذا تسألني؟».

قال: «إنني أتساءل فحسب». رشقني بنظرة سريعة قبل أن تعود عيناه إلى الطريق أمامه. تراقصت على شفتَيه ابتسامة ماكرة.

عبست، وتظاهرت بالتركيز. قلت: «اممم. ست مرات. لا، انتظر، خمس مرات».

«مع من؟».

«هل هذا تحقيق، أم ماذا؟».

«لااااا. أظنك قادرًا على الإجابة عن هذا السؤال، أم أنت غير قادر».

قلت: «سيسيل، تعرفها، الفتاة التي كنت أخرج معها. تلك التي من أرندال».

مررنا بالمتجر الذي سرقت منه السكاكر مرات كثيرة جدًا. إنه مغلق منذ زمن بعيد. هذا ما أشار إليه إسبن.

قال لي: «ومَنْ أيضًا؟».

أجبته، «وماريانِه».

قال: «هل ضاجعت ماريانه؟ لم أكن أعرف هذا. لماذا لم تقل شيئًا؟».

رفعت كتفي: «عليك أن تحتفظ ببعض الأمور لنفسك».

«يا شيطان! أنت أقلّ من أعرف عنه من بين معارفي جميعًا، لكنك لم تذكر غير اسمَين».

كان الرجل الطويل، صاحب البطن الضخم والفم الفاغر دائمًا، واقفًا عند السياج ينظر إلينا.

قلت: «أسرة غريبة، ألا ترى ذلك؟».

قال إسبن: «لا تحاول التملّص من الأمر. بقيت ثلاث فتيات. سأقول لك أسماء فتياتي بعد أن تنتهي... إن كنت مهتمًا بسماع هذا».

«لا بأس. هناك تلك الفتاة الآيسلندية التي كانت تعمل صيفًا في كشك الآيس كريم الذي كان إلى جانب كشكي، عندما كنت أوزع الكاسيتات في الشارع في أرندال. عدت معها إلى بيتها ذات ليلة».

قال إسبن: «آيسلندية! يبدو هذا شيئًا عظيمًا!».

قلت: «نعم، كان عظيمًا حقًا. وهناك أيضًا اثنتان كانت لي معهما علاقة عابرة في المدينة. الحقيقة أنني لا أعرف اسمَيْهما».

قاد السيارة نازلًا التلة الأخيرة. كانت الأشجار الحولية شديدة الكثافة كأنها جدار على امتداد النهر. وفي الأسفل، انفتح المشهد أمامنا، ونظرت إلى ملعب كرة القدم الصغير الواقع خلف الحقل الذي إلى جانبنا. كان في الملعب ثلاثة أشخاص يسدّدون الكرات إلى المرمى.

قلت: «وفتياتك؟».

«لم يبق الآن وقت لهذا. لقد وصلنا».

قلت: «هيا».

ضحك وأوقف السيارة. قال لي: «أراك غدًا».

قلت: «يا ابن الحرام!». فتحت باب السيارة وسرت صوب البيت. أصغيت إلى صوت سيارته هادرًا في الطريق المنحدرة. لم يلبث الصوت أن اختفى. قلت في نفسي إنني أعطيته معلومات كثيرة جدًا، وإن من الأفضل لو أنني اكتفيت بالقول إن هذا ليس من شأنه. لو كنت أنا من طرح السؤال عليه لكانت هذه إجابته.

كيف يمكن أن يستطيع فعل ذلك ولا أستطيعه؟

فمن ناحية أولى، ما كان إسبن شديد الاهتمام بالفتيات مثلما كنت. لا

أعني بهذا أنهن يعجبنه أقل مما يعجبنني، الأمر غير هذا تمامًا، لكني أظنّه ما كان يعتبرهنّ أفضل منه، ولم يكن يرى لهنّ مكانة عالية بحيث يجد صعوبة في الحديث معهن أو في فعل الأشياء المعتادة: بالنسبة إليه، كانت الفتيات على سويته نفسها؛ أو لعلّه يرى نفسه أعلى منهن! إن كان هناك شيء مميّز فيه فهو شدة ثقته بنفسه. يعني هذا أنه لم يكن مباليًا. وعندما ترى الفتيات ذلك تنشأ لديهنّ رغبة في التغلب عليه. أما أنا، فكنت أراهنّ مخلوقات لا أستطيع الاقتراب منها أبدًا، بل أراهنّ كنوع من الملائكة. أحببت كل ما هو متعلّق بالفتيات، من العروق الظاهرة عند معاصم أيديهنّ، إلى منحنيات آذانهن. وإذا رأيت ثديًا تحت قميص صيفي، أو فخذًا عارية من تحت فستان صيفي، أحسّ كأن كل شيء في داخلي يصير سائبًا، كأن كل شيء في داخلي قد بدأ يدور ويدوّم، وتكون الرغبة العنيفة التي تعلو فجأة منيرة كأنها النور نفسه، خفيفة كالهواء كأنها الهواء نفسه، تكون رغبة فيها فكرة تقول إن كل شيء ممكن، ليس هنا فحسب، بل في كل مكان، ليس الآن فحسب، بل إلى الأبد. وفي الوقت نفسه، ومع اندفاع هذا كلّه في داخلي، يعلو الوعي آتيًا من تحته مثلما ترتفع موجة تنحصر بين صخرتَين، وعي ثقيل قاتم، يصير يأسًا وتخليًا عن الفكرة كلّها، انسحابًا، عجزًا، فيطبق العالم عليّ. الخراقة والارتباك والصمت والعينان المذعورتان. الوجنتان المحمرّتان، والضيق الشديد.

وأيضًا، كانت لديّ أسباب أخرى. أشياء لا أستطيع فعلها، وأشياء لا أفهمها. أسرار وظلمة وتفاهمات غامضة، وضحك ساخر من كل شيء. آوه، كنت أحسّ هذا، لكني لا أعلم عنه شيئًا. لا شيء أبدًا.

دسست رسالة باسن في جيبي، وتابعت صعود الطريق مسرعًا. من المنتظر أن يأتي نيلز إيريك لأخذي بعد نصف ساعة من الآن. لا بدّ لي من أكل شيء قبل ذلك.

بعد ساعتَين، كانت السيارة تمضي بنا في شارع فينسنس الرئيسي. عند

مجيئي من أوسلو وترومسِه، رأيت فينسنس جحرًا صغيرًا زريًّا؛ وأما الآن، بعد خمسة أيام فقط -عندما أتيتها قادمًا من هافيورد- فقد بدت لي مكانًا كبيرًا معقّدًا يكاد يكون متمدنًا؛ بدت لي غنية بالاحتمالات.

أوقف نيلز إيريك السيارة في موقف سيارات السوبرماركت، ثم سرنا باحثين عن متجر للمشروبات الروحية. اشتريت زجاجة فودكا كوسكنكورفا من أجل الحفلة. وأما من أجل الليل، فقد اشتريت أربع زجاجات نبيذ أبيض، ونصف زجاجة ويسكي. اشترى نيلز إيريك ثلاث زجاجات نبيذ أحمر فلم يكن هذا مفاجأة لي لأنه من ذلك النوع من الناس الذين يشربون نبيذًا أحمر، لا بيرة ولا كحولًا قويًا. وضعنا الزجاجات في صندوق سيارته، ثم أخذته معي إلى متجر يبيع السلع الإلكترونية، ويبيع أجهزة الستيريو أيضًا. لم يكن الستيريو الذي عندي جيدًا إلى الحدّ الكافي. لديّ هذه الفكرة منذ زمن، لكني قررت الآن أن أفعل شيئًا إزاءها بعد أن صارت لي وظيفة ثابتة، بعد أن صرت صاحب دخل.

لم يكن لديهم في ذلك المتجر غير رفوف معروض عليها كل ما عندهم من منتجات... ليس من أفضل المتاجر، لكني أستطيع شراء جهاز ستيريو جيدًا في وقت لاحق -هذا ما فكّرت فيه عندما نظرت من حولي باحثًا عن أحد العاملين. رجل يقف عند طاولة البيع يدير ظهره صوبنا. كان يفتح صندوقًا كبيرًا من الكرتون مستخدمًا سكين جيب صغيرة.

ذهبت إليه. قلت: «أنا في حاجة إلى مساعدة».

استدار في اتجاهي، قال لي: «لحظة واحدة فقط».

عدت إلى جدار رفوف أجهزة الستيريو. لوّحت بيدي لنيلز إيريك الذي كان يستعرض رف الأسطوانات.

سألته: «أي واحد من هذه الأجهزة يعجبك؟».

قال لي: «ولا واحد. هذه الأجهزة سيئة».

قلت: «أتفق معك. لكن من المحتمل أن هذا هو كل ما لديهم. وأنا لا أريد الجهاز إلّا خلال وجودي هنا».

نظر إليَّ وقال: «هل تبيّض مالًا؟ أم إن كناوسغارد عائلة من مالكي السفن؟ لم تقل لي شيئًا عن هذا».

«من الممكن شراء جهاز بالتقسيط. انظر، هذا ثمنه 3499 كرونًا. يعني هذا بضع مئات في الشهر فقط».

انتصب الموظف واقفًا ونظر من حوله باحثًا عني. كان رجلًا نحيلًا له بطن ناتئة قليلًا، ونظارة ذات إطار معدني، وشعر مردود إلى الخلف.

أشرت إلى جهاز الستيريو الذي كان من صنع هيتاشي.

سألته: «أريد هذا الجهاز. أستطيع شراءه بالتقسيط، أليس هذا صحيحًا؟».

أجابني: «إذا كانت لديك وظيفة، فأنت تستطيع».

أضفت: «أعمل معلّمًا في هافيورد».

قال: «جيد. عليك أن تملأ بضع أوراق. إذا أتيت معي إلى طاولة البيع فـ...».

ذهب إلى غرفة المستودع وأحضر جهاز الستيريو بينما كنت أملأ الأوراق.

سألني نيلز إيريك: «هل هذه فكرة حسنة؟ عندما تشتري يالتقسيط، فأنت تدفع ثمنًا مضاعفًا. ثم إن الدفعات الشهرية مؤلمة. راتبي بدوره ليس كبيرًا».

نظرت إليه غاضبًا: «هل أنت والدتي، أم ماذا؟».

«لا بأس، لا بأس. الشأن شأنك أنت». قال هذا وعاد إلى حيث الأسطوانات.

صحيح، إنه شأني.

في تلك اللحظة، عاد الموظف من المستودع حاملًا بين ذراعَيه علبة كبيرة من الكرتون. ناولني العلبة. حملتها بينما راح يدقّق في الأوراق، وينظر إلى بطاقة هويتي. وعندما انتهى من ذلك، حملت الجهاز إلى السيارة ووضعته على مقعدها الخلفي.

كان البند التالي على جدول الأعمال، -البند الأخير- هو الذهاب إلى السوبرماركت. دفع كل منا أمامه عربة تسوّق، وسرنا في أرجاء المكان،

وبدأنا نختار من الرفوف سلعًا غير متوفّرة في متجر القرية. كان أول هدف لي علبتَيّ سجائر. وفي آخر المتجر، على مقربة من مكان الفاكهة، في حين كان نيلز إيريك واقفًا عند رفوف الباستا، وضعت العلبتَين في جيبي، واحدة في كل جيب، ثم تابعت ملء عربتي بالسلع الغذائية، بشكل طبيعي. أسرق السجائر دائمًا عندما أتسوّق في أي سوبرماركت. كان عملًا متقنًا تمامًا. لم يضبطوني ولا مرة. في نظري، كانت السرقة على ارتباط وثيق بالحرية، وعلى ارتباط وثيق بعدم المبالاة بأي شيء، وبفعل كل ما أحب فعله، لا ما هو منتظر مني أن أفعله. كانت السرقة فعل تمرّد، وامتناعًا عن الانصياع؛ وكانت دفعًا لشخصيتي في اتجاه الأماكن التي أحب أن أكون فيها. أنا أسرق. أنا واحد ممن يسرقون!

يسير الأمر سيرًا حسنًا على الدوام. مع هذا، كنت متوتّرًا عندما دفعت عربتي صوب الجزيرة الصغيرة عند المدخل حيث يقع صندوق المحاسبة. لكن وجه الفتاة الجالسة هناك لم يعبّر عن أي شيء غير معتاد، ولم يكن هناك رجال يقتربون مني خلسة من أية جهة من الجهات. بيديَّ المتعرّقتين، وضعت المواد التي في العربة على السير المتحرك، واحدة تلو أخرى، ثم جمعت مشترياتي في كيس وخرجت مسرعًا لكن بخطوات لا تثير الريبة. خرجت من المتجر، وأشعلت سيجارة وانتظرت نيلز إيريك الذي صار إلى جانبي بعد دقيقة من ذلك. كان معه كيسان محشوّان بالمشتريات.

سرنا بضعة كيلومترات صامتَين. كنت أشعر بالضّيق نتيجة نبرته المثبطة في المتجر حيث اشتريت جهاز الستيريو. أكره أن يتدخّل الناس في ما أفعله، سواء أكان ذلك تدخّلًا من أمي أو أخي أو معلّمي أو أعز أصدقائي: لا أريد أن أعرف رأي أحد. ولا يحق لأحد أن يملي عليَّ ما أفعله.

كان يقود السيارة ويلتفت صوبي من وقت لآخر. صارت الأرض من حولنا مستوية. أشجار قصيرة، وأعشاب، وطحالب، وجداول، وبرَك، ومساحات مائية سوداء تمامًا. وفي البعيد، سلاسل من قمم جبال عالية حادّة. لقد ملأ خزان الوقود قبل خروجنا من فينسنس، ولا تزال رائحة البنزين واضحة في السيارة. أصابتني تلك الرائحة بشيء من الغثيان.

التفت إليَّ من جديد.

«ألا تُسمعنا شيئًا من الموسيقى؟ لديَّ كاسيتات في جيب تابلوه السيارة أمامك».

فتحت الجيب، ووضعت كومة كاسيتات في حجري.

سام كوك. أوتيس ريدينغ. جيمس براون. برندس. مارفين غاي. يو بي 40. سموكي روبنسون. ستيفيووندر. تيرنس ترنت داربي.

قلت له: «أنت تحب موسيقى سول، ألست كذلك؟».

«سول وفانك».

وضعت الكاسيت الوحيد الذي أعرفه من قبل: برِنس، أغنية *«باريد»*. استندت إلى ظهر المقعد وحدّقت في الجبال التي كانَ أدناها مكتسيًا رداءً أخضر متشابكًا من الأجمات والأشجار الصغيرة، ثم الطحالب والأعشاب إلى الأعلى قليلًا خضراء أيضًا.

قال نيلز إيريك: «بالمناسبة، لماذا سرقت السجائر؟ لا شأن لي بهذا. تستطيع أن تفعل ما يحلو لك، ولا علاقة لي بهذا. لكني أسألك بدافع الفضول فحسب».

قلت: «هل رأيتني؟».

أومأ برأسه.

قال: «إن لديك مالًا. هذا يعني أنك لن تأخذ السجائر لأنك في عوَز، أليس هذا صحيحًا؟».

أجبته: «صحيح».

«ماذا لو ضبطوك؟ كيف سيبدو الأمر؟ أعني، أنت معلّم».

«هل ضبطوني؟».

«لا».

قلت: «هذا يعني أن الأمر كلّه افتراضي».

قال: «لسنا مضطرين إلى الكلام في هذا الأمر».

قلت: «لست أمانع إن تكلمنا فيه. تكلم».

أطلق ضحكة قصيرة.

كان الصمت الذي تلا ذلك طويلًا، لكنه ليس مزعجًا. الطريق أمامنا مستقيمة، والجبال جميلة، والموسيقى جيدة؛ وكان نيلز إيريك شخصًا يحب الطبيعة. شخصًا لا يهمني كثيرًا.

لكن مزاجي تغيّر بعد ذلك. كان ذلك كأنني مضيت مسافة طويلة في اتجاه، ثم صار عليَّ الآن أن أبدأ العودة لأن هناك أمرًا لا يزال من غيرِ حلّ. نيلز إيريك الذي لم يفعل لي شيئًا، ولم يُرِد لي الأذى، كان ذلك فضولًا منه، فضولًا لا أكثر. صحيح أنه مُلحّ قليلًا، لكنَي لا أعرف أحدًا هنا. لعلّ إلحاحه ليس أمرًا سيئًا جدًا!

بدأت أدندن مع أغنية «يهطل الثلج أحيانًا في شهر نيسان».

سألته: «هل سمعت آخر أغنيات برِنس؟ لوف سكسي».

هزّ رأسه.

أجابني: «لكني سأذهب لرؤيته إذا جاء هذا الصيف إلى النرويج أو إلى السويد. حفلاته رائعة هذه الأيام. لقد تحدّثت مع شخص رآه في جولة '*ساين أو ذا تايمز*'. قال إنها كانت أفضل حفلة ذهب إليها».

قلت: «أفكر في الذهاب أيضًا. لكن أغنيته الجديدة جيدة. إنها جيدة. ليست مثل '*ساين أو ذا تايمز*'، لكن... لقد كتبت شيئًا عنها عند ظهورها؛ كتبته في فادريلاند سفينن، فأحدث ما كتبته ضجة، تقريبًا».

نظرت إليه.

«قرأت في مجلة موسيقى إنجليزية أنه كان أمّيًا. لقد أردت أن أكتب هذا. أردت أن أجعل هذه النقطة محور المقالة كلّها. نقطة أن برِنس لا يستطيع القراءة. لكن، من حسن حظي، أحسست بأن هذا سيكون مستهجنًا، فتخلّيت عن الفكرة. أدركت بعد ذلك أنه، على الأرجح، لا يستطيع قراءة الموسيقى. لكني لست أدري. هذا الأمر ليس جيدًا، هذه المعلومات الغامضة التي تتراكم عند المرء والأشياء التي تحملها معك مع أنها بعيدة عن الحقيقة كل البعد. إذا قلت أي شيء، فإن الأمر يكون محرجًا قليلًا؛ وأما إذا كتبت ذلك، فهو يظهر في الصحيفة في اليوم التالي ويكونَ الأمر أكثر سوءًا».

قال نيلز إيريك مبتسمًا من غير أن تترك عيناه الطريق أمامه: «كنت أظن أن هذا ما تكتبه الصحف دائمًا».

قلت: «تستطيع قول هذا من جديد».

امتدت أمامنا الطريق المفضية إلى هافيورد: خط رمادي دقيق يؤدّي إلى ثغرة صغيرة سوداء في الجبل.

قلت له: «بالمناسبة، تلقيت يوم الثلاثاء رسالة طويلة من صديقتي».

قال: «أوه، حقًا؟».

«نعم. حسنًا... لعلّي بالغت عندما قلت إنها صديقتي. لقد أمضينا الصيف معًا. كان اسمها لينِه».

«كان اسمها!؟ هل ماتت هذا الأسبوع؟».

«نعم، ماتت بالنسبة إليَّ. هذا ما عنيته، هي التي أنهت الأمر. كتبت لي قائلة إنني شخص لطيف، كذا كذا كذا، لكنها لم تكن واقعة في حبي؛ وقالت إن الوقت قد حان لإنهاء الأمر لأنني انتقلت إلى هذه المنطقة».

قال نيلز إيريك: «يعني هذا أنك حرّ طليقٌ قادر على فعل كل ما تشاء».

قلت: «صحيح تمامًا. هذا ما كنت موشكًا على قوله».

ظهرت من النفق، كانت سيارة صغيرة سوداء أشبه بخنفسة الروث. لكن حجمها سرعان ما كبر. كانت منطلقة بسرعة لا يستهان بها.

رفع سائق السيارة يده عندما مرّ بنا، فاستجاب نيلز إيريك لتحيته، ثم أبطأ سرعة السيارة فدخل المرحلة الأخيرة القصيرة من الطريق صوب القرية.
قلت له: «أمر غريب، أليس كذلك؟ يعرفنا الجميع هنا، لكننا لا نعرف أحدًا».

أجابني: «صحيح. لقد انتهى بنا المطاف إلى مكان مخيف إلى حدّ لا أستطيع تصديقه».

ضغط على إحدى العتلات عند عجلة القيادة حتى يشغّل مصباح السيارة القوي، وأدار عتلة أخرى إلى الأعلى حتى يشغل ماسحات الزجاج. تساقطت قطرات ماء على سطح السيارة وزجاجها الأمامي وغطاء محركها.

تردد صوت المحرك منعكسًا على جانبيّ النفق الصخريين، فأحاط بنا كأنه قوقعة لم تلبث أن اختفت لحظة خرجنا من النفق، وانبسط الفيورد الأزرق أمام أعيننا.

قلت: «إذًا، هل أنت رجل حرّ أيضًا؟».

قال: «أوه، نعم. الحقيقة أنني حرّ جدًا. لم تكن لدي أية صديقة منذ سنوات كثيرة».

هل هو مثليّ؟

أوه، لا، لا تقولوا لي إنه واحد منهم!

حقيقة الأمر أنه كان غريبًا بعض الشيء. وهاتان الوجنتان المتوردتان...!

قال لي: «مجال الاختيار هنا ليس كبيرًا. لكن المنافسة ليست شديدة أيضًا. لذا، أتوقّع أن كل واحد من هذين العاملين يلغي العامل الآخر». ضحك بعد ذلك.

لكن المنافسة ليست شديدة أيضًا. ما معنى هذا؟ هل يعني أن ما من مثليّين كثُر هنا؟

برودة سرت في داخلي وأنا أنظر إلى بساط سطح البحر الأزرق ذي اللون الهادئ.

قال لي: «توريل امرأة جذّابة».

توريل!!

هل كان ذلك إنذارًا كاذبًا؟

نظرت إليه من جديد. صحيح أن عينَيه كانتا تنظران إلى الطريق أمامه، لكن شطرًا من انتباهه كان متّجهًا إليّ.

قلت له: «لكنها كبيرة».

أجابني: «كبيرة!؟ لا، أبدًا! إن شئت تخمين سنّها، أقول إنها في الثامنة والعشرين. لعلّها في الثلاثين. هذا ممكن. لكن... النقطة الأولى هي أنها ليست كبيرة. والنقطة الثانية هي أنها مثيرة. نعم، مثيرة جدًا».

قلت: «لا بأس. كادت خدعتك تنطلي عليّ».

«أنا لست في الثامنة عشرة من العمر يا كارل أوفه. أنا في الرابعة والعشرين. هذا يعني أن امرأة في الثامنة والعشرين ليست كبيرة عليّ. ويعني أيضًا أنها ليست بعيدة المنال». قهقه قبل أن يتابع، «مسألة أنها قد تكون بعيدة عن متناولي مسألة مختلفة تمامًا عما كنت أقوله».

كان يقود السيارة بطيئًا في الطريق الضيقة المحصورة تحت سفح الجبل. يقود سائقو هذه المنطقة سياراتهم هنا بالسرعة التي يمضي بها السائقون في أي مكان آخر. لكن نيلز إيريك لا يفعل هذا. هو شخص من النوع المتعقّل الحذر. هذا ما بدأت أدركه.

سألني: «وماذا عنك أنت؟ هل وضعت عينك على إحداهن؟».

ابتسمت وأجبته: «الحقيقة... كانت في الباص فتاة عندما أتيت إلى القرية. إنها في مدرسة فينسنس الثانوية. وهي من هيليفيكا».

«آها!».

«علينا أن ننتظر لنرى. لا أعرف الآن أكثر من هذا».

أجابني: «فيبيكِه فتاة تسرّ العين».

«هل تعني أنها بدينة؟».

«لا، لكنك ترى، إنها لطيفة، لطيفة حقًا. لعلّها ممتلئة الجسم بعض الشيء. لكن، ما أهمية هذا؟ وهيغه، إنها... حسنًا، تعتني بنفسها كثيرًا، على ما أظن، لكنها جذابة. ألا تراها جذابة؟».

قلت: «أنت صياد ينظر إلى كل شيء، أليس كذلك؟».

«النساء نساء، هذا شعاري».

وبعدها، بانت القرية من تحتنا. أوقف نيلز إيريك السيارة عند بيتي، وحمل كيسَي التسوّق في حين حملت صندوق الكرتون الكبير الذي فيه الستيريو. ودّعني وانطلق إلى بيته. جهّزت الستيريو، ووضعت ألبوم «سَلكْ» لفرقة أسوشييتد؛ ألبوم جنوني تمامًا. استلقيت على الأريكة واستمعت إليه. وبعد برهة بدأت أكتب بضع رسائل، لكني جعلتها رسائل قصيرة لأنه كان عليَّ

كتابة عدد كبير منها. ليس ما أكتبه في هذه الرسائل أمرًا مهمًا الآن؛ فالمهم عندي هو القصة القصيرة التي تناثرت عناصرها في هذه الرسائل كلها.

في اليوم التالي، أتاني ستورِه أثناء إحدى الاستراحات بين الدروس.

قال لي وهو يهرش جمجمته الصلعاء: «هل لي بكلمة معك؟».

أجبته: «بالتأكيد».

قال: «أريد فقط أن أعطيك نصيحة من أجل الصفَّين الثالث والرابع. سمعت أنك شرحت لهم الكون كله يوم أمس...».

أجبته: «هذا صحيح، فما الأمر؟».

«تعرف أنهم لا يزالون صغارًا جدًا. قد لا تكون فكرة سيئة أن تبدأ معهم من نهاية أخرى. ارسم لهم خريطة المدرسة هنا، على سبيل المثال؛ ثم خريطة القرية. وبعد ذلك تأتي خريطة الجزيرة. هل ترى ما أعنيه؟ ابدأ بشيء يعرفونه، ثم توسّع... إلى النرويج، إلى أوروبا والعالم. وبعد ذلك، تستطيع أن تحدثهم عن الكون. إن كنت لا تزال تعمل هنا وقتها، بالطبع».

ابتسم وغمز لي بعينه حتى يظهر أمامي بمظهر صديق يحدثني أكثر منه شخصًا في موقع سلطة. لكن هذه ما كانت نصيحة، بل توبيخٌ. كان دمي يغلي عندما لاقت عيناي عينَيه.

قلت له: «سوف أفكر في هذا»، ثم استدرت وابتعدت.

كنت غاضبًا، وكنت محرَجًا في الوقت عينه، لأنني أدركت أنه محق في ما قاله. إنهم أطفال صغار؛ ولعلهم لم يفهموا شيئًا. ليس ضروريًا أن يثير حماستهم ما كان يثير حماستي في العاشرة من عمري.

لم تكن عندي أية رغبة في الحديث مع أحد ممن وجدتهم غرفة المعلّمين، فجلست إلى كمبيوتر وتظاهرت بالقراءة، إلى أن رُن الجرس وصرت قادرًا على الخروج إلى تلاميذي.

وقفت عند طاولة المعلم في الصف منتظرًا دخول التلاميذ، وقلت في نفسي إن هذا أمر غريب. غريب أن أحسّ بنفسي مرتاحًا مع التلاميذ أكثر من كوني في غرفة المعلّمين.

لكن، أين تلاميذي؟

سرت إلى النافذة، ونظرت. لم أجد أحدًا في المسافة الفاصلة بين المبنَيَيْن. لعلهم لا يزالون في ملعب كرة القدم. نظرت إلى الساعة المعلقّة على الجدار. مرّت خمس دقائق منذ أن رُن الجرس. لا بد أن شيئًا قد حدث. فكرت في هذا. خرجت وسرت في الممر حتى بلغت الباب. جاء ستورِه من الناحية الأخرى سائرًا بخطوات سريعة، فتح الباب وخرج. سرت خلفه فرأيته قد بدأ يجري.

هناك مشاجرة. صبيان متشابكا الأذرع. واحد على الأرض. نهض واقفًا على قدميه. ومن حولهما مجموعة تلاميذ تنظر إليهما. كانوا صامتين تمامًا. من خلفهم القرية. ومن خلفها الجبال والبحر.

بدأت أجري بدوري من أجل حفظ المظاهر لإدراكي أن ستورِه سوف ينهي الأمر. سرّتني هذه الفكرة.

كان الصبيّان المتشاجران ستيّان وكاي روالد. ستيّان هو الأقوى بينهما لأنه أوقع كاي روالد على الأرض. لكن كاي روالد لم يقبل بهذا بل نهض واندفع إلى غريمه من جديد.

توقف الاثنان لحظة وصول ستورِه. أمسك بستيّان من ظهر سترته وأبعده مسافة ذراع، وراح يوبّخه. طأطأ ستيَان رأسه مثل كلب. لو أمسكته أنا لما طأطأ رأسه هكذا. كنت واثقًا من هذا.

توقّفت أمامهم. كان كاي روالد ينظر إلى الأرض. ترابٌ على ركبتَيه وأعلى بنطلونه. عيناه نديّتان بالدمع.

قلت: «ماذا تفعلان؟ هل تتشاجران؟».

قال لي: «أوه، أطبق فمك» وضعت يدي على كتفه، فابتعد عني.

قلت: «هيا بنا، فلندخل». ثم نظرت إلى بقيّة التلاميذ في الصف وقلت: «وأنتم جميعًا! ماذا تفعلون هنا؟ لستم طرفًا في المشاجرة». نظر كاي روالد إليَّ وبدا عليه أنه كان يتوقّع عقوبة، لكنه رأى الآن أن ما من عقوبة ستصيبه.

قلت: «هيا، فلنذهب. وأنت يا كاي روالد، اذهب إلى الحمام ونظف نفسك. صار شكلك عجيبًا».

كان صف ستورِه قد صار عند الباب.
سألني كاي روالد: «هل ترى دمًا؟».
أجبته، «لا. أوساخ وتراب فقط».
تحدثنا قليلًا عما جرى. وعندما عاد كاي روالد قلت له إنه يستطيع خوض ما يشاء من مشاجرات طالما أنه لا يفعل ذلك داخل المدرسة. تستطيع القتال في عطلات نهاية الأسبوع من لحظة استيقاظك إلى أن تنام، وتستطيع ذلك بعد ظهر كل يوم أيضًا، لكن ليس في المدرسة. هل تفهم هذا؟
هزّ رأسه. قال إن ستيّان هو من بدأ المشاجرة. قلت له، لا بأس، عليك أن تسوي خلافاتك معه عندما تعود إلى بيتك. لكن ليس هنا. إن حدث هذا مرة أخرى، فسوف أكون مضطرًا إلى معاقبتك. هل تفهم ما أقوله لك؟ الأمر لا يستحق هذا. انتظرْ بضع ساعات إلى أن تصير قادرًا على فعل ما تشاء. لكن علينا الآن أن نبدأ الدرس. عليكم أن تتعلّموا أيضًا، كلكم. أنتم خاصة. أنتم لا تعرفون شيئًا.
رمقنني الفتيات الأربع بنظرة متجهّمة غاضبة.
قلت: «لا تعرفون شيئًا أبدًا. لذا، افتحوا كتبكم».
قالت هيلدغون: «وما مقدار ما تعرفه أنت؟».
ضحكت فيفيان، وضحكت إندريا.
رفعت إصبعي: «لا أريد قلّة أدب! لا أريد سماع هذا في غرفة الصف».
قالت فيفيان: «لكن الجميع يتكلّمون هكذا في شمال النرويج».
أجبتها: «ما يسري على المشاجرات يسري أيضًا على قلّة الأدب في الكلام. تكلّمي في بيتك مثلما تشائين، لكن ليس هنا. أنا جاد في هذا. وأنا أعني هذا. هل فهمنا؟ تستطيعون الآن متابعة إنجاز التمرينات التي بدأنا بها المرة الماضية، من الصفحة الثالثة عشرة فصاعدًا. إذا احتجتم إلى أية مساعدة فأنا هنا. وفي بداية الدرس القادم، فسوف نراجع معًا أية مشكلات تظهر لكم. هل فهمتم؟».
نظرت من النافذة، واستندت إلى إطارها، وعقدت ذراعيّ على صدري.

سمعت صوت نيلز إيريك من الناحية الأخرى من المبنى. لديه درس لغة إنكليزية مع الصف الرابع. فكرت في ستيّان، ورأيت بعين عقلي ابتسامته الخبيثة. رأيت فتيات الصف، ورأيت أعينهن عليه طيلة الوقت. إنهن معجبات به. كنت مدركًا هذا تمام الإدراك. بل من الممكن أيضًا أنهن تحلمن به.

لعلهنّ تحلمن به!

كانت فكرة لاذعة... ذلك القذر الصغير!

عدت إلى طاولتي، ونظرت عبر النافذة إلى هيغّه التي كانت ذاهبة مع تلاميذها إلى ركن المكتبة الصغير. جلسوا على وسائد موزعة في دائرة من حولها، وأصغوا إليها تقرأ لهم.

انتبهَتْ إلى مراقبتي لها، فنظرت إليّ وابتسمت. أجبتها بابتسامة، وجلست إلى طاولتي، ورحت أقلّب دفاتر التلاميذ لأرى ما أستطيع فعله في الدرس التالي.

عندما رفعت رأسي من جديد، قابلت نظرتي عينَي إندريا. احمرت وجنتاها. ابتسمت لها. رفعت يدها وخفضت عينَيها. نهضْتُ واقفًا وذهبت إليها.

سألتها: «في أي شيء تريدين أن أساعدك؟».

قالت مشيرة إلى عملها: «هذا الجزء. هل أنجزته بطريقة صحيحة؟».

انحنيت ونظرت إلى ما كتبته. كانت من غير حركة. وكانت عيناها تتابعان حركة إصبعي على الصفحة. شممت عبقًا منبعثًا منها... رائحة التفاح. لا بد أنها رائحة الشامبو الذي تستخدمه. فكّرت في هذا وأحسست برعشة في صدري. أنفاسها، والشعر المنسدل على وجهها، وعيناها الناظرتان من خلال ذلك الشعر. كله قريب مني. قريب جدًا.

قلت: «حسنًا، حسنًا. يبدو لي كل شيء سليمًا».

رفعت رأسها وقالت: «صحيح؟». انتصبت واقفًا عندما التقت أعيننا. قلت لها: «هو صحيح. تابعي هكذا».

لم أر أحدًا في غرفة المعلمين عندما دخلتها بعد انتهاء الدرس. لم

ألاحظ توريل إلّا بعد أن جلست - كانت في المطبخ الصغير تضع زبدة على شريحة من الخبز.

قلت لها: «هل لديكِ حصة فارغة الآن؟».

أومأت برأسها وهي تقضم قطعة من خبزها. رفعت إصبعها تستمهلني ريثما تمضغ لقمتها وتبتلعها.

قالت لي: «نعم. لكني كنت منشغلة بتحضير الدروس التالية».

قلت: «حسنًا». وتناولت الصحيفة عن الطاولة. رحت أقرأ في الجريدة، لكني كنت منتبهًا إلى حركاتها. حركة شريحة الخبز صاعدة إلى فمها ثم نازلة، وهي تتحرّك هنا وهناك.

انحنت لكي تفتح باب البراد. رفعت رأسي ونظرت إليها. كانت ترتدي بنطلون ستريتش أسود اللون. نظرت إلى فخذَيها المجسّمَين بكل وضوح في ذلك البنطلون، وإلى مؤخرتها. كانت مؤخرتها عريضة، لكنها ليست عريضة جدًّا، بل على العكس من ذلك، مؤخّرة رشيقة جذابة، أنثوية إلى أقصى حدّ.

بدأ الدم ينبض في عضوي. فوضعت ساقًا فوق ساق من غير أن أحوّل عينيّ عنها. ما أروع أن أنام معها وأن أحسّ بفخذيها ومؤخّرتها على جلدي. يا إلهي! أن أخترقها! أوه، يا إلهي! أوه! كفاي تحيطان بثديَيها! أوه، جلدها أيضًا! أوه، تلك النعومة في باطن فخذيها!

ابتلعت ريقي، ونظرت إلى السقف. لن يحدث هذا أبدًا. حتى إذا تحقّق ذلك الاحتمال البعيد جدًا ووجدت نفسي في السرير معها، أو مع امرأة مثلها، فلن ينجح الأمر أبدًا. كنت عارفًا هذا.

انتصبتْ واقفة وفي يدها علبة حليب. فتحتها وبدأت تملأ كأسًا. التفت إليّ التفاتة سريعة. ابتسمتْ عندما التقت عيوننا.

لقد لاحظتْ كل شيء.

احمرَّ وجهي. ابتسمت لها وحاولت محاولة محمومة أن أفكر في شيء آخر قد يستطيع تحويل انتباهها عن احمرار وجهي، وعما رأيته وفكّرت فيه قبل قليل.

دفعت برأسها إلى الخلف وشربت الحليب دفعة واحدة. مسحت بيدها الشارب الأبيض الذي ارتسم على شفتها، ثم نظرت إليَّ من جديد.

«ألا تريد قهوة، يا كارل أوفه؟ يوحي مظهرك بأنك تريد أن تشرب قهوة».

ما معنى هذا؟ لماذا يبدو من مظهري أنني أريد أن أشرب قهوة.

أجبتها: «لا، أشكرك».

لكن الرفض يستدعي مزيدًا من الاهتمام!

أضفت سريعًا: «امممم، لا بأس. لعلي أريد قهوة، نعم، من فضلك».

«هل تريد حليبًا مع القهوة؟».

هززت رأسي. صبَّت فنجانَيّ قهوة ثم أتت تحملهما. ناولتني واحدًا ثم جلست إلى جانبي وتنهّدت.

قلت: «أنت تتنهدين».

«هل تنهّدت؟ لقد صرنا في وقت متأخر من النهار. كان نومي سيئًا الليلة الماضية».

نفخت سطح القهوة الأسود الذي كانت عليه فقاعات بنية صغيرة عند حافته. تناولت رشفة.

قلت لها: «هل أحدثُ ضجيجًا مزعجًا في البيت؟ أعني الموسيقى، وغير ذلك».

هزّت رأسها نفيًا. قالت: «أستطيع سماع أنك موجود هناك. لكن هذا غير مزعج ولا أهمية له».

«هل أنت متأكدة؟».

«بالطبع، متأكدة».

«حسنًا، لكن عليك أن تخبريني إن وجدت الصوت مرتفعًا إلى حدٍّ مزعج».

قالت: «هل تستطيع سماع شيء من شقتي؟».

«لا أسمع أي شيء تقريبًا. أسمعك عندما تسيرين على أرض الشقة. هذا كل شيء».

قالت لي: «هذا لأن جورج ذهب إلى الصيد. أنا أكثر هدوءًا عندما أكون وحدي في البيت».

«وهل سيغيب عن البيت زمنًا طويلًا؟».

«لا. سوف يعودون يوم السبت».

ابتسمت وكانت شفتاها ناعمتَين جدًا، حمراوَين جدًا، طريتَين جدًا من فوق أسنانها الصلبة البيضاء.

قلت، «جيد»، ورفعت رأسي لأن الباب انفتح في تلك اللحظة ودخل تور إينار، ثم هيغّه، ثم نيلز إيريك.

قلت: «ها هم آتون كلهم معًا».

قال نيلز إيريك: «نعم. نحن نحترم مواعيد الدروس ونلتزم بها. ندرك أن كل دقيقة مهمة من أجل حياة تلاميذنا في المستقبل. لذا فنحن لا نستطيع -أكرر هذا- لا نستطيع إنهاء الدرس قبل ثلاث دقائق من موعد إنهاء الدرس. لو فعلنا هذا لكان سلوكًا غير مسؤول أبدًا. الحقيقة أنني مستعد للقول إنه سيكون شيئًا لا يغتفر».

قلت: «نعم. ما أثقل الصليب الذي يحمله المعلمون المؤقّتون! لماذا لا تكون معلمًا مثلي؟ عندها، ستكون لك قدرة أكبر على التحكّم بوقتك».

قال نيلز إيريك: «هدفي النهائي أن أصير مدير مدرسة من غير أن أدرس شيئًا. ليس هذا أمرًا شائع الحدوث؛ ولن يكون سهلًا. لكن هذا ما عقدت العزم عليه». دعكَ يديه معًا، وكشّر مُظهرًا هيئة جشع كاريكاتورية، «والآن، حان وقت تناول بضع شرائح من الخبز الجاف مع قليل من جبن الماعز الصلب».

ثم دخلت فيبيكه ويانِه وستوره. نهضت واقفًا لأنني أردت إفساح مكان لجلوس من يحب أن يجلس. وقفت عند النافذة أنظر إلى الخارج حاملًا فنجان القهوة بيدي.

كانت السماء رمادية، لكنها ليست ثقيلة. رأيت تلميذات صفي واقفات عند الجدار، في الناحية البعيدة من الباحة، تتحدّثن. كان البقاء في الغرفة

مسموحًا لتلاميذ الصفَين الثامن والتاسع، إن أرادوا. وكثيرًا ما كانوا يفضّلون ذلك... الفتيات، على الأقل. وأما أطفال الصفوف الأدنى فعادة ما يظلّون في الناحية الأخرى من ملعب كرة القدم.

حتى الآن، لم أقف مشرفًا على التلاميذ في الباحة أثناء الاستراحة.

استدرت صوب الآخرين وقلت: «مَنْ في الباحة اليوم؟».

«أستطيع أن أحزر هذا، إنه أنت». قال ستورهِ هذا متكئًا على إطار الباب مشيرًا بيده في اتجاهي.

ذهبت وألقيت نظرة على القائمة المعلّقة على الجدار. صحيح، إنه دوري.

قلت: «يا للهول! نسيت الأمر كلّه». ثم خرجت إلى الممر. أخذت سترتي ولبستها أثناء سيري مسرعًا إلى الخارج.

أتى في اتجاهي شخص قصير ممتلئ. كان قادمًا من عند المظلّة التي في باحة المدرسة. إنه الصبي الذي اسمه جو. تظاهرت بأنني لم أره، وتابعت سيري صوب الناحية الأخرى من الباحة حيث كان جمع من الأطفال يندفع في هذا الاتجاه ثم في الاتجاه الآخر، أمام المرمى، وبين أقدامهم كرة رمادية ثقيلة.

شاهدوني فتوقفوا عن اللعب.

قالوا لي: «هل تحب أن تلعب معنا؟».

«هذا ممكن. سألعب قليلًا».

«إذًا، أنت تلعب ضد الجميع».

قلت: «موافق».

قذفوا بالكرة صوب حارس المرمى الذي ركلها فسقطت بينهم. كان عددهم كبيرًا، لكن سيقانهم قصيرة، فكان سهلًا عليَّ أن أحصل على الكرة، وأن أحتفظ بها. ومن حين لآخر، كنت اصطدم بواحد منهم فأوقعه. يصيحون مطالبين برمية حرّة فأصيح مجيبًا إياهم بأنهم ليسوا أكثر من أطفال صغار. يتجمّعون معًا من جديد ويطاردونني. تركت الكرة لهم، مرّة

أو مرّتين، فقط حتى أحافظ على حماستهم. لكني جريت صوب المرمى آخر الأمر وسددت الكرة بحيث تجاوزت حارس المرمى. سجلت هدفًا. صحت قائلًا إنني فزت عليهم، وإن اللعبة قد انتهت. صاحوا، لا، لا تذهب. سوف نحطمك! بدأ بعض التلامذة قصار القامة يمسكونني من بنطلوني. حرّرت نفسي منهم. وكان عليَّ أن أجري بضع خطوات حتى أبتعد عنهم قليلًا. سرعان ما اندمجوا مع اللعبة من جديد ونسوا أمري، فمضيت لكي أرى التلاميذ الواقفين في الناحية الأخرى من الملعب. كان جو واقفًا وحده على الجدار، وقد أنزل قبعته فوق جبينه.

قلت له عند مروري به: «ألا تحب أن تلعب كرة القدم مع الآخرين؟».

سار خلفي، فكان عليَّ أن أتوقّف.

قال بصوت شاكٍ: «لا أحب كرة القدم».

قلت: «عليك أن تحاول».

قال: «لا. هل أستطيع بدلًا من ذلك أن أسير معك؟».

قلت: «معي؟ أنا أسير في الباحة فحسب».

أمسك بيدي ورفع رأسه ناظرًا إليَّ مع ابتسامة.

قلت: «لا بأس، إن أردت».

ألم يكن مدركًا كيف سيبدو هذا في نظر بقية زملائه، أن يسير مع المعلم ممسكًا يده؟

من الواضح أنه لا يفهم هذا!

مضيت صوب الجهة الأخرى من الباحة ومعي ذلك الصبي الممتلئ القصير؛ مضيت إلى حيث كان تلاميذ صفي الآن مجتمعين مع تلاميذ من الصفَين الثامن والتاسع.

رفع جو رأسه ناظرًا إليَّ، وقال لي: «أنجزت واجبي المدرسيّ يوم أمس، وحاولت العمل على الدرس التالي».

قلت: «حقًا؟ هذا جيد جدًا؟ وهل فهمت شيئًا منه؟».

قال: «أظن هذا. على أية حال، فهمت شيئًا منه».

«لكن، إذا كنت لا تحب كرة القدم، فماذا تحب؟».

قال: «الرسم. أحب الرسم».

«أليست لك هوايات أخرى؟ خارج البيت».

«أحب ركوب الدراجة كثيرًا مع إندرِه».

«هل هو أفضل أصدقائك؟».

«أحيانًا... وأحيانًا لا».

نظرت إلى ذلك الصبي الصغير. كان وجهه خاليًا من أي تعبير. يعني هذا أن الصبي المسكين من غير أصدقاء!

التقت عيناه عينيّ فرقّت ملامح وجهه وظهرت عليه ابتسامة. وضعت يدي على كتفه وقرفصت أمامه. قلت له: «ما رأيك في أن نذهب ونلعب كرة القدم؟ أنت وأنا نستطيع أن نكون فريقًا واحدًا».

قال لي: «لكني لا أستطيع لعب كرة القدم».

أجبته: «دعك من هذا الكلام! بالطبع تستطيع. ما عليك إلّا أن تجري هنا وهناك وتركل الكرة. وسوف أساعدك. علينا أن نسرع إذا أردنا أن نلعب قليلًا. سوف يرن الجرس عما قريب».

قال: «حسنًا»؛ ثم جرينا في اتجاه مرمى كرة القدم.

توقّفت أمام الأولاد ورفعت يدي. قلت لهم: «لقد عدت. سيكون جو في فريقي. أعني أنني سألعب مع جو في مواجهتكم جميعًا. ما رأيكم؟».

صاح ريدار: «لكن جو ضعيف جدًا».

قلت: «كلكم ضعفاء. فلنبدأ اللعب».

لقد كان جو ضعيفًا حقًا!

لا يكاد يتمكن من ركل الكرة كلما مرَّرتها إليه. لكنه بدأ الآن يجري في الملعب. كان مبتسمًا. من حسن الحظ، رن الجرس بعد دقيقتَين.

«خذ الكرة يا جو، وضَعْها في غرفة المعلمين، هل فهمت؟».

«فهمت». قال هذا وسار حاملًا الكرة تحت ذراعيه. تبعته سريعًا، آملًا أن ألمح ليف -... الفتاة التي في الصف التاسع، قبل أن تدخل.

لقد رأيتها. كانت عند وصولي تسير مع كاميلا. رمقتني بنظرة سريعة لحظة انعطافها ودخولها الممر. نظرت إليها من الخلف، إلى تلك المؤخرة جميلة التكوين، فانفتحت في داخلي هوّة سحيقة.

انتهت الدروس، لكني بقيت في غرفة المعلمين منتظرًا انصراف الجميع. كنت في توق أن أظل وحدي، لكن بطريقة مختلفة عما أكونه في البيت. ومن ناحية أخرى، أردت أيضًا استخدام الهاتف.

في آخر الأمر، لم تبق غير سيارة ريتشارد في ساحة وقوف السيارات. كان في مكتبه، لكن من الممكن أن يأتي إلى غرفة المعلمين في أية لحظة. فجلست أقلب صفحات إحدى الموسوعات منتظرًا أن يجمع أشياءه وينصرف إلى بيته.

ببطء ازدادت السحب قتامة خلال الساعات الأخيرة. بدأ تساقط أول قطرات المطر أثناء جلوسي في غرفة المعلمين. نقرات على زجاج النوافذ. استدرت إلى النافذة وراقبت قطرات المطر النازلة على الإسفلت من غير أن تترك أثرًا أول الأمر، كأنها غير موجودة. ثم مرّت بضع ثوانٍ، فانفتحت السماء وانتشرت بقع داكنة من البلل. ازداد المطر شدّة، وراحت زخاته تشقّ الهواء بقوة جعلت قطرات الماء تقفز مرتدّة عن الأسفلت. تدفّقت المياه نازلة في المزاريب، وجرت منحدرة على امتداد بناء المدرسة الثاني. مطر شديد يصفع النوافذ والسقف من فوقي.

ظهر ريتشارد بباب الغرفة. قال لي مبتسمًا: «والآن، هذا ما أدعوه عاصفة حقيقية». كان مرتديًا سترة خضراء لها قبعة، وفي حزامه سكين.

قلت: «ليست هذه زخة مطر عابرة».

أجابني وهو يدخل الغرفة: «هل لديك وقت عمل إضافي؟».

أجبته: «هذا ما كنت أعتزم فعله».

«كيف كان أسبوعك الأول في المدرسة؟».

أجبته: «أظنه سار سيرًا حسنًا».

أومأ برأسه: «يمكنك أن تتكلّم مع زِغريد يوم الجمعة القادم. إنها المشرفة. أنت تعرف هذا. لن تكون فكرة سيئة أن تدوِّن كل ما لديك من أسئلة وأفكار قبل لقائك معها. يسمح لك هذا بأن تستفيد من تلك الفرصة إلى أقصى حد ممكن».

قلت: «لا بأس. سأفعل هذا».

مضغ شفته السفلى. من جديد، بدت ذقنه مثل ذقن تيس.

قال لي: «إذًا، لا بأس. أتمنى لك عطلة نهاية أسبوع لطيفة».

أجبته: «وأنت أيضًا».

ظهرت في النافذة بعد نصف دقيقة. رأيته يجري صوب سياراته حاميًا رأسه من المطر بحقيبته.

أخرج المفاتيح. فتح الباب. جلس في السيارة.

أضاء المصابيح الأمامية. سرت رعشات في عمودي الفقري. انعكس نور المصباحَين الخلفيَين على الأسفلت الأسود الرطب. وألقى المصباحان الأماميان حزمة ضوء خضراء على الجدار المقابل الذي بدا كأنه يشتت ذلك الضوء عندما صار منارًا كله.

المطر المنهمر. وجداول الماء العريضة جارية في المنحدر. المزاريب الفائضة المتدفقة.

أوه... هذا هو العالم الذي أعيش وسطه.

ماذا أفعل الآن؟ رغبة في الضرب على النوافذ بقبضتَي يديَّ، وفي الجري في أرجاء الغرفة والصراخ وبعثرة الطاولات والكراسي، وإزاحتها جانبًا. كنت ممتلئًا طاقة وحياة، ممتلئًا كليًا.

بدأت أغنّي في غرفة المعلمين، أغني بأعلى صوتي: «*هذه نهاية العالم مثلما نعرفه!*».

«*هذه نهاية العالم مثلما نعرفه!*».

«*وأنا في أحسن حال*».

«*وأنا في أحسن حال*».

ما إن اختفت سيارة ريتشارد حتى ذهبت في جولة في أرجاء المدرسة لأرى إن كان هناك أحد باقيًا فيها. المشرف على المدرسة -على سبيل المثال- من الممكن أن يكون منهمكًا في فعل شيء ماء، في إصلاح شيء من الأشياء. لكن المدرسة كانت خالية. بعد أن تأكّدت من هذا، ذهبت إلى حجرة الهاتف الصغيرة وطلبت رقم أمي.

لم تجبني أمي.

لعلّها تأخّرت في عملها، أو لعلّها عرّجت إلى السوبرماركت في طريق عودتها إلى البيت، هذا إن لم تكن قد ذهبت لتناول الطعام في الخارج. طلبت رقم إنغفه. أتاني صوته على الفور.

قال: «مرحبًا».

قلت: «مرحبًا. أنا كارل أوفه».

«أنت في شمال النرويج، أليس كذلك؟».

«نعم، بالطبع. كيف أحوالك؟».

«جيد. لقد عدت من المحاضرات الآن. سأرتاح قليلًا أول الأمر، ثم سأخرج من جديد».

«إلى أين أنت ذاهب؟».

«إلى نادي هولم الليلي، على الأرجح».

«أنت محظوظ».

«أنت من اختار الذهاب إلى شمال النرويج. تعرف أنك كنت قادرًا على العيش في بيرغن».

«صحيح، أعرف هذا».

«كيف هي الأمور عندك؟ هل صارت عندك شقة، وبقية الأشياء؟».

«نعم. إنها شقة لطيفة. بدأت التعليم يوم الثلاثاء. الحقيقة أنه شيء ممتع جدًا. سأخرج الليلة، لكني لن أذهب إلى نادي هولم. لدينا هنا مركز اجتماعي محلي».

«وهل لديكم فتيات جميلات؟».

«طبعًا، هناك فتاة التقيتها في الباص. قد يتطوّر هذا إلى شيء ما. وأما بقية الفتيات، فالظاهر أنهنّ تركن بيوتهن. الظاهر أن اللواتي هنا تلميذات في المدرسة أو ربات بيوت».

«إذًا، أمامك تلميذات المدرسة. صحيح؟».

«ها ها».

حلّ صمت قصير. قلت له: «هل وصلتك قصتي القصيرة؟».

«وصلَتْ».

«وهل قرأتها؟».

«قرأتها، لكنها كانت قراءة سريعة فحسب. تستطيع القول إنني تصفّحتها. كنت سأكتب لك عنها. من الصعب قليلًا أن نتكلم فيها الآن عبر الهاتف».

«لكنها أعجبتك، أليس كذلك؟ لعل قول هذا ليس سهلًا».

«صحيح، أعجبتني. أعجبتني إلى درجة معقولة. إنها قصة لطيفة، حيّة. لكن، كما قلت لك، دعنا نتحدث في هذا لاحقًا. ما رأيك؟».

لا بأس.

صمت آخر.

سألته: «وماذا عن أبي؟ هل سمعت منه شيئًا؟».

«لا شيء. وأنت؟».

«لا؛ لا شيء. أفكر في الاتصال به الآن».

«سلّم لي عليه. وفّر عليّ الاتصال به. لن أتصل به قبل بضعة أسابيع».

قلت: «سأفعل هذا. وسأكتب إليك خلال الأسبوع».

قال: «افعل ذلك. نتحدّث لاحقًا».

قلت: «حسنًا»، وأنهيت المكالمة. ذهبت إلى غرفة المعلمين وجلست على الأريكة واضعًا قدمي على الطاولة. أحبطني شيء في كلامي مع إنغفه، لكني لم أعرف ذلك الشيء. لعله ذهابه مع أصدقائه جميعًا إلى نادي هولم في بيرغن في حين سأذهب إلى حفلة في قرية في مكان ناء، إلى حفلة لا أعرف فيها أحدًا.

أم لعل ما أحبطني كان عبارته التي قالها... *أعجبتني إلى درجة معقولة.*

لقد قال لي، *صحيح، أعجبتني. أعجبتني إلى درجة معقولة.*

قرأت مرة قصة قصيرة لإرنست هيمنغواي. كانت قصة عن ولد يذهب مع أبيه الطبيب إلى محميّة خاصة بالهنود الحمر. امرأة تلد هناك، لكن الولادة لم تجر على ما يرام، بحسب ذاكرتي... لعل المرأة ماتت آخر الأمر! على أية حال، عادا إلى البيت بعد تلك الرحلة، وانتهى الأمر. قصة مباشرة جدًا. قصتي القصيرة ليست أقل منها. كنت مقتنعًا بهذا. في قصتي سياق مختلف؛ لكن هذا لأن هيمنغواي كتب قصته في زمن آخر. كتبت في عالم اليوم، وهذا ما جعل قصتي كما هي.

ولكن ما الذي يعرفه إنغفه في حقيقة الأمر؟ كم كتابًا قرأ؟ مثلًا، هل قرأ هيمنغواي؟

نهضت واقفًا وعدت إلى الهاتف. أخرجت قصاصة الورق من جيبي الخلفي، وطلبت رقم أبي. لعلي أستطيع الآن أن أنتهي من هذا الأمر أيضًا.

أجابني: «نعم؟ مرحبًا». صوته فظ. ستكون مكالمة قصيرة. ما عندي شك في هذا أبدًا.

قلت: «مرحبًا، أنا كارل أوفه».

قال: «أوه، مرحبًا، مرحبًا يا بني».

قلت: «لقد صرت الآن مستقرًا هناك. وقد بدأت العمل».

قال: «هذا جيد. هل تسير أمورك سيرًا حسنًا؟».

«إنها تسير».

«هذا جيد».

«وكيف الأحوال عندك؟».

«لا بأس. كما هي دائمًا. تعرف هذا. أوني في البيت؛ وأما أنا فقد عدت من العمل قبل قليل. سوف نأكل الآن. لطيف أنك اتصلت».

«سلّم لي على أوني».

«سأفعل هذا. مع السلامة».

«مع السلامة».

كانت شدّة المطر قد تراجعت عندما خرجت من المدرسة وسرت نازلًا في اتجاه شقتي. لكن المطر كان مستمرًا، فلم أصل البيت وأفتح الباب حتى كان شعري قد صار غارقًا كله بالماء. جففته بمنشفة في الحمام. وعلّقت سترتي، ووضعت حذائي عند المدفأة وشغّلتها. قليت البطاطس مع البصل ونقانق قطّعتها إلى أجزاء صغيرة. أكلت جالسًا إلى طاولة غرفة الجلوس، وقرأت صحيفة الأمس أثناء الأكل. ثم ذهبت إلى الفراش حيث غفوت بعد دقائق معدودة تهدهدني نقرات المطر على زجاج النافذة.

استيقظت على صوت جرس الباب. في الخارج، لم يتوقّف هطول المطر فحسب، بل صارت السماء فوق القرية زرقاء أيضًا. رأيتها عندما ذهبت لكي أفتح الباب. كان ذلك نيلز إيريك. كان واضعًا يدَيه على خاصرتَيه وقد اعوجّت ركبتاه إلى الخارج. على شفتيه ابتسامة هزلية. عيناه متسعتان، محدّقتان.

قال مقلّدًا صوت شخص عجوز: «هل هذا مكان الحفلة؟».

قلت: «صحيح. إنها هنا. الحفلة هنا. ادخل». لم يتحرّك من مكانه.

قال لي: «هل لديكم هنا أية... أية... فتيات صغيرات؟».

«كم تريدهن صغيرات؟».

«في الثالثة عشرة».

«لدينا! ادخل الآن! الطقس بارد جدًا».

استدرت ودخلت، وأخرجت من البراد زجاجة نبيذ أبيض. فتحت الزجاجة.

صحت به: «ألا تريد نبيذًا أبيض؟».

أجابني من الممر بصوت كالصفير: «ينبغي أن يكون نبيذي أحمر اللون مثل دم فتاة صغيرة».

قلت: «قذر». دخل المطبخ حاملًا في يده زجاجة نبيذ أحمر. وضعها على الطاولة. ناولته فتّاحة الزجاجات.

كان مرتديًا قميص «بوكو لوكو» أزرق اللون، وربطة عنق جلدية سوداء، وبنطلونًا قطنيًا أحمر.

لم يكن الانطباع الذي يتركه عند الناس شيئًا يشغل باله على الإطلاق. ابتسمت عندما فكرت في هذا. كانت لا مبالاته بآراء الناس فيه جزءًا أساسيًا من شخصيته. هكذا كان يبدو.

«عليَّ القول إنك ملوّن كثيرًا هذه الليلة».

قال: «عليك أن تضرب عندما يكون الحديد حارًّا. وقد سمعت أن عليك أن ترتدي ملابس كهذه إذا أردت جذب النساء هنا».

«ملابس كهذه؟ أحمر وأزرق؟».

«بالضبط».

وضع الزجاجة بين يديه وجذب السدادة. خرجت السدادة مع فرقعة.

قال: «صوت رائع».

قلت له: «سوف آخذ دوشًا سريعًا. سأتركك قليلًا».

أومأ برأسه: «بالطبع. سأشغل موسيقى بينما تنتهي من الدوش، ما رأيك؟».

«لا مشكلة في هذا».

«لا يستطيع أحد القول إننا شابان مهذّبان».

مضيت إلى الحمام. خلعت ملابسي مسرعًا. وفتحت الماء، ودخلت تحته. غسلت تحت إبطي وبين ساقي، ونظرت إلى قدمي. ملت برأسي إلى الخلف وبللت شعري، ثم أغلقت الماء. جففت جسمي، ووضعت الجل في شعري. لففت وسطي بالمنشفة وذهبت إلى غرفة المعيشة. مررت بنيلز إيريك الذي كان جالسًا على الأريكة مغمضًا عينيه. كان يستمع إلى أغنية ديفيد سلفيان وقد اكتسى وجهه طابعًا جديًّا. دخلت غرفة النوم فارتديت سروالًا داخليًا نظيفًا، وزوج جوارب، وقميصًا أبيض، وبنطلونًا أسود. زرَّرت قميصي، ثم وضعت ربطة العنق الصغيرة وعدت إلى نيلز إيريك.

قال: «لكنهم قالوا لي إن هذا هو، بالضبط، ما لا يجوز أن ترتديه إن أردت اجتذابهن. قميص أبيض، وربطة العنق هذه التي عليها نسر، وبنطلون أسود»، حاولت العثور على إجابة ذكية، لكني فشلت.

قلت له: «ها ها»، ملأت كأسي نبيذًا أبيض شربته جرعة طويلة واحدة.

كان طعم النبيذ بطعم ليالي الصيف، كطعم ديسكوتيكٍ غاصٍّ بالناس وبالموسيقى، دلاء مكعَّبات الجليد على الطاولات، وعيون تلمع، وأذرع عارية لوّحتها الشمس.

ارتعدت.

قال نيلز إيريك: «ألم تألف الشرب بعد؟».

قذفته بنظرة غاضبة، وملأت كأسي من جديد.

قلت له: «هل سمعت أغنية كريس إيزاك المنفردة الجديدة؟».

هزّ رأسه نفيًا. ذهبت ووضعت تلك الأغنية.

قلت: «أغنية لامعة».

بقينا برهة من غير أن نقول شيئًا.

لففت سيجارة، ثم أشعلتها.

قلت: «هل ألقيت نظرة على قصتي القصيرة؟».

أومأ برأسه. نهض وخفض صوت الأغنية.

«قرأتها قبل خروجي. إنها قصة جيدة، يا كارل أوفه».

«أتظنّ هذا حقًّا؟».

«طبعًا. أسلوب حيّ. الحقيقة أنني لا أجد شيئًا كثيرًا أقوله غير هذا. أنا لست ناقدًا أدبيًا، ولست كاتبًا».

«أهناك شيء أعجبك بشكلٍ خاصٍّ؟».

هزّ رأسه نفيًا.

«لا شيء، لا. الكتابة جيدة، سلسة. النص متماسك، مترابط».

قلت: «حسنًا. ما رأيك في نهاية القصة من حيث صلتها ببقية أجزائها؟».

«لقد كانت نهاية قوية».

قلت: «هذا ما أردته. هذا ما أردته بالضبط. أردت شيئًا غير متوقّع على الإطلاق، الجزء الذي يتحدّث عن الأب».

«إنه جيد أيضًا».

ملأ كأسه. جعل النبيذ شفتَيه حمراوين. قال لي: «بالمناسبة، هل قرأت رواية بيتلز لسوبي كريستنسن؟».

أجبته: «قرأتها، بكل تأكيد. طبعًا. إنها روايتي المفضلة. هي ما جعلني أقرر أن أصير كاتبًا. هي ورواية أمبيورنسن، زنوج بيض».

قال: «لقد توقّعت هذا».

«أوه! هل قصتي مثلها؟».

«نعم، إنها مثلها».

«هل تشبهها كثيرًا؟».

ابتسم وقال: «لا. لا أستطيع قول هذا. لكني رأيت أنك متأثر بها».

«ما رأيك في ذلك الجزء الذي فيه دم؟ الجزء الذي يأتي في منتصف القصة، حيث يتغيّر كل شيء إلى صيغة الزمن الحاضر؟».

«لا أظنني انتبهت إلى هذا».

«الحقيقة أن هذا ما كنت مسرورًا به أكثر من أي شيء آخر. لقد وصفت كيف رأى دم غوردون وعروقه ولحمه وأحشاءه. القصة متوترة جدًا هنا، في منتصفها».

أومأ نيلز إيريك برأسه ثم ابتسم.

ثم مرت فترة صمت أخرى.

قلت له: «كانت الكتابة أسهل كثيرًا مما توقّعت. هذه أول قصة قصيرة أكتبها. كتبت بضعة أشياء في الصحف في ما مضى، وأمور من هذا القبيل، لكن ذلك كان مختلفًا تمام الاختلاف. هذا جزء من سبب مجيئي إلى هذا المكان. أردت أن أحاول وأن أؤلّف كتابًا، ثم بدأت و... حسنًا... نعم، ما كان عليَّ أن أفعل شيئًا غير أن أكتب. لم أجد أية صعوبة أبدًا».

قال: «فهمت. هل تعتزم جعل الكتابة مهنة لك؟».

«نعم، نعم. هذا كل ما أريده. أخطط الآن لكتابة قصة قصيرة ثانية في عطلة نهاية الأسبوع هذه. بالمناسبة، هل قرأت شيئًا لهيمنغواي؟».

«أوه، نعم. هذا جزء من نشأتي».

«نعم، شيء من هذا القبيل. المضي مباشرة إلى الفكرة. كتابة بسيطة واضحة. كتابة من خلفها وزن حقيقي».

«صحيح».

ملأت كأسي حتى الحافة، ثم شربتها دفعة واحدة.

قلت: «هل فكّرت كيف يمكن أن تجري الأمور لو أننا تقدّمنا إلى العمل في مدرسة مختلفة؟».

«ماذا تعني؟».

«أعني... هذا شيء من مصادفات القدَر العجيبة... أن نأتي للتعليم في هافيورد. كان ممكنًا أن نذهب إلى أي مكان. وعندها، يكون علينا أن نتآلف مع من نجده هناك، أليس كذلك؟ ستكون حياة مختلفة كثيرًا عما سوف يحدث هنا».

«هذا من غير ذكر حقيقة أن شخصَين آخرَين كانا سيجلسان هنا، يصغيان إلى النبيذ ويشربان كريس إيزاك. أو، العكس بالعكس. سيكون النبيذ مصغيًا، وسيشربه كريس إيزاك. نعم، هل سمعت شيئًا كهذا قبل الآن؟ أم لعله كهذا هل شيئًا سمعت؟ أنا مقلوب الآن، كلي مقلوب! الأسفل إلى الأعلى! الأعلى إلى الأسفل!».

ضحك نيلز إيريك.

«سكال[1]، يا كارل أوفه. أنا سعيد لأنك أنت الجالس هنا، لا أي شخص آخر».

رفعنا كأسينا، وقلنا سكال.

«مع هذا، لو كان شخص آخر جالسًا مكانك، فهل أقول له الكلمات نفسها؟».

رُن جرس الباب في تلك اللحظة.

نهضت واقفًا وقلت: «لا بد أنه تور إينار».

---

(1) سكال: في صحتك.

وجدته عندما فتحت الباب واقفًا هناك، مديرًا ظهره صوبي، محدّقًا في القرية. ضياء شهر آب الرمادي معلّقًا بين سفوح الجبال. بدا الضياء كأنه من طبيعة مختلفة كل الاختلاف عن ذلك النور الذي في السماء لأنه كان ضياء أزرق لامعًا كأنه معدني.

قلت له: «مرحبًا».

استدار تور إينار بحركة بطيئة مدروسة. ها هو شخص لديه وقت كثير.

قال لي: «مرحبًا. أأستطيع الدخول؟».

«ادخل فورًا».

فعل ذلك بدقّته الشديدة التي صارت مرتبطة بشخصيته، في ذهني، منذ رأيته أول مرة. كان ذلك كأنه يفكر في حركاته أكثر من مرة قبل أن ينفّذها. يفعل ذلك مع ابتسامة على شفتَيه، دائمًا.

رفع يده ولوَّح بها محييًا نيلز إيريك.

قال بلهجته الثقيلة: «عمّ تتحدثان هنا، أنتما الاثنان».

ابتسم نيلز إيريك، وأجابه بنسخته الخاصة من تلك اللهجة: «حديثنا عن الأسماك».

قلت بلهجتي: «الأسماك والمؤخّرات».

سأل تور إينار: «أسماك مملحة ومؤخرات ناعمة، أم أسماك ناعمة ومؤخرات مملحة؟».

قلت: «ما الاختلاف بين الأمرَين؟ هل تستطيع أن تقول لي هذا؟».

«نعم. استمع إلى هذا: حذاء مالح وملح الحذاء... ليس هذان شيئًا واحدًا. وليست الأسماك والمؤخرات شيئًا واحدًا. لكنها متقاربة، متقاربة تقاربًا عجيبًا».

قلت مستفهمًا: «ملح الحذاء؟».

«نعم. أرأيت، ها أنت تقولها!» ضحك، ثم شدّ ركبتي بنطلونه بأصابعه وجلس إلى جانب نيلز إيريك.

قال: «والآن؟ هل كنتما تستعرضان مجريات هذا الأسبوع؟».

قال نيلز إيريك: «هذا ما كنا نفعله».

قال تور إينار: «يبدو لي أنهم مجموعة جيدة».

سألته: «هل تعني المعلمين؟».

أجاب: «نعم. الحقيقة أنني أعرفهم جميعًا. أعرف المعلمين كلهم، عداكما أنتما».

قال نيلز إيريك: «لكنك لست من هنا».

«جدتي تعيش هنا. آتي إلى هذه المنطقة كل صيف، منذ صغري، في الصيف وفي عيد الميلاد». مكتبة سُر مَن قرأ

قلت: «أعرف أنك أنهيت المدرسة الثانوية مؤخّرًا، أليس كذلك؟ في فينسنس».

أومأ برأسه.

قلت: «هل تعرف فتاة من هنا اسمها إيرينه؟ إنها من قرية هيليفيكا».

أشرق وجهه. وقال: «إيرينه، أعرفها. لست على معرفة قوية بها مثلما أحب أن أكون. لا بد لي من الاعتراف بهذا. لكن، كيف؟ هل تعرفها؟».

قلت: «لو قلت إنني أعرفها لكان هذا مبالغة. لكني التقيتها في الباص يوم وصولي إلى القرية. بدت لي فتاة لطيفة».

«هل ستلتقيها الليلة؟ هل هذه هي الخطة؟».

رفعت كتفي وقلت: «سوف تأتي، على أية حال».

خرجنا من شقتي بعد نصف ساعة، وسرنا صاعدين في الطريق. كنت ثملًا على ذلك النحو النقي البهيج الذي يخلّفه النبيذ الأبيض، عندما تتصادم أفكارك كأنها فقاعات، ثم تنفجر فيحلّ سرورٌ محلها.

تذكّرت أننا كنا في بيتي، فملأتني الفكرة سرورًا.

تذكّرت أننا زملاء، وأننا سوف نصير أصدقاء.

تذكّرت أنني كتبت قصة قصيرة جيّدة جدًا.

سرور، سرور، سرور.

ثم كان هناك هذا الضياء، الضياء الخافت بين البشر والأشياء البشرية، ضياء تخالطه ظلمة مشحوذة، صارت غارقة في الضياء من غير أن تمتلكه أو تسيطر عليه، بل تلطّفه فحسب. وفوقنا، في السماء، كان كل شيء نظيفًا، صافيًا، متألقًا.

سرور، سرور، سرور.

وكان ذلك الصمت. همهمة البحر، ووقع خطانا على الحصى، وصوت عارض آتٍ من مكان ما: صيحة أو انفتاح باب؛ وصمت يحتضن ذلك كله، صمت بدا كأنه متصاعد من الأرض، متصاعد من الأشياء يحيط بنا بطريقة لم أستطع إدراك فكرة أنها موجودة منذ أول الزمان، لكني أحسست بهذا لأنني تذكّرت الصمت في سوربوفاغ في صباحات الصيف عندما كنت طفلًا هناك، الصمت فوق الفيورد من تحت جبل ليهستن الضخم نصف المختفي في الضباب الرقيق. صمت العالم. صمت كان موجودًا هنا أيضًا مثلما هو موجود في الأعلى، ثملٌ، مع أصدقاء جدد؛ مع أن ذلك الصمت، والضياء الذي سرنا فيه، لم يكونا الحدث الأهم في تلك الليلة، لكنهما لعبا دورًا فيها.

سرور، سرور، سرور.

عمري ثمانية عشر عامًا؛ وأنا في طريقي إلى حفلة.

قال تور إينار مشيرًا إلى البيت الذي مررت به ذات مساء قبل بضعة أيام: «هذا هو بيتها».

قال نيلز إيريك: «بيت كبير».

عقّبَ تور إينار: «صحيح. تعيش هنا مع أحدهم. اسمه فيدار. إنه صياد أسماك».

توقّفت عند الباب. سألته وأنا أرفع يدي لكي أضغط على الجرس: «ماذا أيضًا؟».

أجاب تور إينار: «هنا، يدخل الجميع مباشرة. نحن الآن في شمال النرويج».

فتحت الباب ودخلت. جاءت من الطابق الأعلى أصوات أشخاص، وموسيقى. دخان يسبح في الهواء فوق السلم. خلعنا أحذيتنا بهدوء، ثم صعدنا. كان الطابق العلوي مساحة مفتوحة في آخرها مطبخ وغرفة معيشة إلى جهة اليسار. الظاهر أن غرفة النوم هي الغرفة الأخيرة إلى اليمين.

مجموعة أشخاص في غرفة المعيشة، لعلّهم عشرة أشخاص، يتحدثون، ويضحكون، جالسين إلى طاولة مدوّرة ممتلئة كؤوسًا وزجاجات وعلب سجائر وأطباق سجائر. كانوا كلهم ممتلئي الأجساد، لأكثرهم شوارب. أعمارهم بين العشرين والأربعين.

قال واحد منهم: «ها قد أتى المعلمون».

قال آخر: «لعلهم سيعاقبوننا هذه الليلة».

مكتبة
t.me/soramnqraa

ضحك الجميع.

قال تور إينار: «مرحبًا، يا جماعة».

قال نيلز إيريك: «مرحبًا».

كانت هيغّه المرأة الوحيدة هناك. نهضت وأتت ببضع كراسٍ من عند طاولة الطعام القريبة من النافذة.

قالت لنا: «اجلسوا. إذا أردتم كؤوسًا، فسوف تجدونها في المطبخ».

مضيت ووقفت وحدي ناظرًا إلى سفح الجبل خلف البيت. مزجت لنفسي كأس «سكرودرايفر». تلكّأت في العتبة لحظة، ونظرت إلى الجالسين من حول الطاولة. فكّرت في أنهم أشبه بعفاريت جالسة هناك، أمام كل واحد شراب ذو لون مختلف بحسب ما أضافه كل منهم إلى الفودكا -أنواع من العصائر، والكولا، والسبرايت- وأمامهم أكياس تبغ يلفّون منها السجائر من غير توقف... بشواربهم، وعيونهم الداكنة، وقصصهم المتتالية، فكرت في مجيئهم من أربعة أركان الأرض لكي يجتمعوا هنا، مرة كل سنة، ويعيشوا على طبيعتهم مع آخرين من بني جنسهم.

لكن الأمر كان عكس هذا تمامًا. هم القاعدة هنا، وأنا الاستثناء: معلّم بين صيادي أسماك. فماذا أفعل هنا؟ ألا ينبغي أن أكون في بيتي، أكتب، بدلًا من كوني هنا؟

أخطأت عندما ذهبت إلى المطبخ وحدي. لقد تعرّف عليهم نيلز إيريك وتور إينار، وصارا الآن جالسَين مرتاحَين إلى جوار الصيادين. أستطيع فعل ذلك أيضًا؛ أستطيع الالتفاف من خلف زميلي والاندساس بينهما من غير أن يلحظني أحد. أخذت من كأسي جرعة، ثم دخلت.

قال واحد منهم: «ها قد أتى الكاتب». عرفته على الفور. إنه الصياد الذي جاء لرؤيتي في اليوم الأول. إنه ريمي.

مددت له يدي وقلت: «مرحبًا، يا ريمي».

أمسك بيدي وقال: «هل كنت في دورة لحفظ الأسماء، أم ماذا؟». راح يهزّ يدي إلى الأعلى والأسفل بطريقة لم يعد أحد يستخدمها منذ أواخر الخمسينيات.

قلت: «أنت أول صياد أعرفه. لهذا أتذكّر اسمك».

ضحك ريمي. سررت لأنني شربت نبيذًا قبل خروجي من بيتي. لو لم أشرب نبيذًا، لوقفت أمامه معقود اللسان.

قالت هيغه: «الكاتب؟».

«نعم، إنه يكتب. هذا الرجل يكتب. رأيت ذلك بعينيّ هاتَين».

قالت: «لم أكن على علم بهذا. هل لديك تلك الأفكار الجميلة؟».

جلست وأومأت لها برأسي مبتسمًا ابتسامة شبه معتذرة. أخرجت كيس التبغ من جيب قميصي.

مرت ساعة كاملة لم أقل فيها شيئًا. كنت ألف السجائر، وأدخن، وأشرب، وأبتسم، وأضحك عندما يضحكون. نظرت إلى نيلز إيريك الذي قد ثمل تمامًا، وبدا كأنه يتصنّع نبرة مازحة، لكنه لم يكن يتصنّعها. لقد صار الآن مختلفًا، وصار فيه شيء خفيف، شيء يذكّر بمنطقة أوستلاند؛ صار شخصًا خارجيًا، دائمًا. لا أعني أنه صار مرفوضًا عندهم؛ فهم لم يرفضوه: كل ما في الأمر هو أن نكاته كانت تتّخذ طابعًا مختلفًا، بدا كأنه يجعله مكشوفًا ضمن هذا الجو. يتلاعب بالكلمات، ويستخدم أسلوب التورية، لكنهم لا يفعلون ذلك. يمثّل شخصيات مختلفة، وتتغيّر تعابير وجهه،

ويرفع صوته ويخفضه، وهم لا يفعلون ذلك. وعندما ينفجر ضاحكًا، يكون ضحكه منفلتًا، يقارب الهستيريا. فاجأتني طريقته في الضحك. هذا أيضًا، كان مختلفًا عنهم كل الاختلاف.

وكان تور إينار أكثر توازنًا. كان مدركًا النبرة المناسبة هنا، وكان على وفاق مع الجميع، مع أنه بدوره ليس واحدًا منهم. كان هذا واضحًا لي: ليس دخيلًا عليهم، بل هو أشبه بباحث انثروبولوجي يعرف مادة بحثه معرفة كافية لأن يستطيع محاكاتها لأنها تعجبه كثيرًا... لعل الأمر كله هنا، فهو يحب هذا الجو. وأما من ناحيتهم، فالجو جوهم، لا تكَلّف فيه ولا ادعاء. لم يحدث أبدًا من قبل أن فكروا إن كان هذا الجو يعجبهم أو لا يعجبهم.

كان تور إينار يصفع فخذيه بكفَّيه عندما يضحك. أمر لم أشاهده إلّا في الأفلام. وأحيانًا، كان يدعك فخذيه بكفَّيه عندما يتكلّم.

كان «ما قبل الحفلة»، مثلما دعوا جلوسنا هنا، هذا «الإحماء الأولي»، من غير أية مناقشات. أمور من قبيل السياسة والنساء، وكرة القدم ليست مطروحة على جدول الأعمال هنا. لم يكن ما يفعلونه الآن شيئًا غير رواية قصص. قصة تليها قصة أخرى، وضحكات تتردد عبر الطاولة، وحكايات أتى بها أولئك العفاريت، أتى بها أولئك الذين هم من القرية ومن الناس الذين يعيشون فيها، القرية التي بدت، على الرغم من صغر حجمها، نبعًا لقصص لا آخر لها. قصة الصياد الستيني الذي ظل دوار البحر يصيبه طيلة حياته، ولم يكن عليه أن يفعل شيئًا أكثر من القفز إلى متن قارب الصيد حتى يصيبه الغثيان. وقصة عن صيادين أصابوا موسمًا طيبًا فاستأجروا جناحًا في فندق «SAS» في ترومسه حيث أمضوا بضعة أيام من الفسوق أنفقوا فيها مالًا كثيرًا. قصّة رجل اسمه فرانك له وجه طفل ممتلئ، قالوا إنه أحرق عشرين ألف كرون - مرّت لحظات قبل أن أدرك أن كلمة «أحرق» كانت تعني ذلك فعلًا، لأنه أشعل بذلك المال نارًا. ثم قصة شخص سكر في مصعد إلى أن تغوط في ملابسه. قالوا هذا، فظللت لحظة حتى أدركت أن عليَّ أن أفهم الكلام بحرفيّته: لقد سكر إلى أن تغوط في ملابسه فعلًا. بحسب ما قالوه،

حدث الأمر في المصعد. كان فرانك هذا يسكر كثيرًا، فصار سيره بملابس ممتلئة خراء حدثًا معتادًا. هذا ما استنتجته. أمه هي معلمة المدرسة المتقدمة في السنّ. والظاهر أنها تعاني كثيرًا لأنه لا يزال يعيش معها. كانت قصص هيغّه مختلفة، لكنها ليست أقل غرابة، كتلك القصة عن صديقة لها أصابها ذعر شديد قبل الامتحان، فأخذتها إلى الغابة وضربتها بعصا على رأسها حتى يكون لديها سبب يبرر غيابها. حدقّتُ فيها. هل تستدرجنا؟ لم يبد لي الأمر هكذا. لاقت نظرتي وابتسمت، ثم ضيّقت عينَيها حتى صارتا شقّين صغيرَين، ثم فتحتهما من جديد، ثم ابتسمت وأشاحت بوجهها. ما معنى هذا؟ هل هو مكافئ لغمزة بالعين؟ أم هو يعني أن عليّ ألّا أصدق شيئًا مما أسمعه هنا؟

كان كل شخص منهم على معرفة جيدة بالآخرين، بل يعرفهم من الداخل ومن الخارج.

لقد ترعرعوا معًا، وذهبوا إلى المدرسة معًا. عملوا معًا، واحتفلوا معًا. الحقيقة أن كل واحد منهم يرى الآخرين في كل يوم، وأنه يفعل هذا طيلة حياته، يعرف كل واحد والد الآخر ووالدته وجده وجدته. وكثيرون منهم أبناء وبنات أعمام وعمات وأخوال وخالات، مباشرين وغير مباشرين. قد يستنتج المرء أن هذا أمر مضجر، بل يصير على المدى البعيد مضجرًا إلى حد لا يطاق، وذلك لأن ما من شيء جديد يدخل حياتهم، فكل ما يقع هنا يحدث بين مئتَين وخمسين شخصًا، يعرف كل واحد منهم أدقّ التفاصيل عن أسرار الآخرين، وعن نزواتهم. لكن الظاهر أن الأمر ليس هكذا، بل على العكس تمامًا، لأنهم يستمتعون بالجلوس معًا، بقضاء الوقت معًا. وإن كان هناك ما يميّز الجو السائد بينهم، فهو استمتاعهم به وسلوكهم المرتاح تمامًا.

كنت جالسًا معهم أصوغ في ذهني ما سأكتبه في الرسائل التي سوف أبعث بها إلى الجنوب. أشياء من قبيل، «لهم شوارب، كلّهم! هذا صحيح تمامًا! كلهم!»، أو «والأغاني التي يستمعون إليها... هل تعرف ما هي؟ بوني

تايلور ود. هوك! كم من الوقت مضى منذ أن استمع الناس إلى هذه الأغاني في أي مكان آخر في العالم؟ ما هذا المكان المنسي الذي انتهيت إليه هنا؟» و«اسمع هذا التعبير يا صديقي... عندما تقول عن شخص إنه شرب حتى تغوّط في ثيابه، فهذا يعني قد فعل ذلك حقًا. لا حاجة إلى مزيد من القول!».

عندما نهضت آخر الأمر لكي أذهب إلى المرحاض، كنت قد شربت أكثر من ثلث زجاجة الفودكا، فاصطدمت بالرجل الجالس إلى جانبَي. كانت الكأس في يده فانسكب شيء من محتواها.

قلت له: «آآسف»، ثم شددت ظهري وخطوت عبر غرفة المعيشة.

قال ذلك الشخص من خلفي: «بعضهم يتكلم، والبعض الآخر يشرب». قالها ضاحكًا.

لا بد أنه يشير إليّ وإلى نيلز إيريك.

استقرّ توازن خطواتي عندما أسرعت قليلًا.

لكن، أين المرحاض؟

فتحت بابًا. إنه باب غرفة النوم. ينبغي أن تكون غرفة نوم هيغّه. أغلقت الباب بأقصى سرعة. إن كان هناك شيء لا أحبه فهو رؤية غرف نوم الآخرين.

سمعت صوتًا من خلفي، من المطبخ: «المرحاض في الناحية الأخرى».

استدرت.

رجل بني العينَين، له شعر كثيف داكن اللون منحدر حتى ياقته، وشارب متدلٍ عند جانبَي فمه. لا بد أنه فيدار، شريك هيغّه في العيش هنا. كان في وقفته الواثقة في المطبخ ما أنبأني بذلك.

قلت له: «شكرًا».

أجابني: «لا مشكلة. لكن، انتبه لئلا تبوّل على الأرض، هذا كل شيء».

قلت: «سوف أحاول»، ثم دخلت المرحاض. استندت إلى الجدار عندما بدأت أبول. ابتسمت لنفسي. بدا لي ذلك الرجل شبيهًا بعازف في فرقة موسيقية من السبعينيات. فرقة سبوكي، أو شيء من هذا القبيل. له عضلات بارزة إلى حد يصعب تصديقه.

ماذا تفعل هيغه مع مفتول العضلات هذا؟

فتحت الماء في المرحاض، ووقفت أمام المرآة مترنّحًا. ابتسمت لنفسي من جديد.

خرجت من المرحاض فرأيت أنهم قد قرروا الذهاب. سمعتهم يتكلّمون عن باص.

سألتهم: «هل تعمل الباصات في هذا الوقت من الليل؟».

التفت ريمي في اتجاهي، وقال: «إنه باص فرقتنا».

«وهل لديكم فرقة هنا؟ هل أنت في الفرقة؟».

«أنا في الفرقة. ندعو فرقتنا أوتوبايلوت. نعزف في الحفلات الراقصة التي تقام في المراكز الاجتماعية في منطقتنا».

نزلت السلم من خلفه. جيد... الوضع في تحسّن مستمر!

وقفت في الممر أرتدي سترتي. قلت له: «إذًا، أية آلة تعزف؟».

أجاب: «درامز».

وضعت ذراعي على كتفه، «وأنا أيضًا. كنت أعزف الدرامز منذ عامَين».

قال: «لا تقل هذا».

رفعت ذراعي عنه وقلت وأنا أنحني لكي أحاول انتعال حذائي: «نعم». اصطدمت بأحدهم، إنه فيدار.

قلت: «آسف».

قال: «لا مشكلة. هل تذكّرت زجاجتك؟».

قلت: «أوه، لا».

رفع أمامي زجاجة فودكا وقال: «هذه هي زجاجتك. أليست هي؟».

أردفت: «صحيح. إنها زجاجتي. أشكرك كثيرًا. أشكرك».

ابتسم، لكن عينَيه ظلتا باردتَين من غير أي تعبير. إلّا أن هذا لم يكن مشكلتي. وضعت الزجاجة على الأرض وركّزت على مهمة إدخال قدميَّ في حذائي. فرغت من ذلك، وسرت مترنحًا إلى الخارج. صرت تحت سماء الليل المنيرة، صرت في الطريق حيث كان الآخرون منتظرين. رأيت

الباص متوقّفًا عند مدخل بيت على مسافة مئة متر منا. فتح أحدهم باب الباص وجلس في مقعد السائق. صعدنا جميعًا وسرنا إلى آخر تلك المركبة الكبيرة. رأيت فيها آرائك وطاولات وبار. بدا لي أن كل ما فيها مصنوع من الخشب، ومنجّد بقماش جيد. جلسنا. انطلق المحرك مزمجرًا وسار الباص في الطريق يحملنا مع زجاجاتنا. ومع مضينا مترجرجين على امتداد ضفة الفيورد، كانت في يد كل منا كأس، وفي يده الأخرى سيجارة. يا لها من مغامرة!

بدأت أغني بأعلى صوتي، «*Pølsemaker, pølsemaker, hvor har du gjort av deg*» - يا صانع النقانق، يا صانع النقانق، أين ذهبت؟ ورحت ألوّح بيدي محاولًا جعل الآخرين ينضمّون إليّ. أعاد إليَّ هذا الباص ذكرى فيلم قديم لعب فيه ليف جوستر دور سائق باص. وذكّرني ليف جوستر بفيلم «صانع النقانق الضائع».

توقّف الباص أمام المركز الاجتماعي بعد ساعة، أو أكثر من ساعة. قفزت منه، فابتلعتني الصالة المزدحمة.

عندما استيقظت، لم أستطع تذكر أي شيء، أول الأمر. كان كل شيء فراغًا.

لم أدرِ من أنا، ولا أين أنا، لم أدر إلّا أنني استيقظت من شيء ما.

لكن الغرفة بدت لي مألوفة. إنها غرفة نومي، في شقتي.

كيف وصلت إليها؟

انتصبت جالسًا فأحسست بأنني لا أزال ثملًا.

كم الساعة الآن؟

ماذا حدث؟

وضعت وجهي بين كفَّي. عليَّ أن أشرب شيئًا. الآن. لكني كنت خائر القوى لا أستطيع الذهاب إلى المطبخ. عدت إلى الاستلقاء في الفراش.

ذهبت إلى «ما قبل الحفلة»، ثم كنت في الباص. وهناك غنيت. غنيت!

أوه، لا. أوه، لا.

لقد وضعت ذراعي على كتفه، كأننا صديقان. لكننا لسنا صديقَين. بل إنني لست رجلًا! لست إلّا غبيًا من سورلاند لا يعرف حتى كيف يربط عقدة في حبل. لست إلّا شخصًا ذا ذراعَين نحيلتَين كأنهما قشتان.

لا... الآن، لا بد لي من شيء أشربه.

انتصبت جالسًا من جديد. كان جسدي ثقيلًا كالرصاص، وكان غير متعاون معي على الإطلاق. لكني أرغمت نفسي على الوقوف على الأرض. وقفت على قدميّ واستجمعت تركيزي كلّه، ودفعت بنفسي سائرًا على ساقَي.

أوه، يا إلهي!

كان توقي إلى الاستلقاء في الفراش قويًا إلى حد جعلني أستنجد بكل ما لديّ من قوة إرادة حتى لا أعود إليه. أرهقتني الخطوات القليلة حتى المطبخ، فكان عليَّ أن أستند إلى الطاولة برهة قبل أن أصير قادرًا على فتح الصنبور وملء كأس ماء. شربت الكأس. ثم شربت كأسًا أخرى، ثم كأسًا ثالثة. بدت المسافة إلى غرفة النوم كبيرة جدًا. توقّفت في منتصف الطريق واستلقيت على الأريكة. لم أفعل أي شيء غبي... أم إنني فعلت.

لقد رقصت. نعم. رقصت كثيرًا جدًا.

ألم تكن هناك أيضًا امرأة في الستينيات؟ امرأة ابتسمت لها ورقصت معها؟ امرأة ضغطت بجسدي عليها؟

نعم... كانت هناك امرأة.

أوه، يا إلهي. أوه، يا إلهي!

أوه، يا للجحيم!

وعندها، أحسست بأن الضغط في داخلي يزداد كثيرًا، مع أن الألم لم يكن متركزًا في أي مكان بعينه، كل شيء يؤلمني، ازداد الألم، ثم ازداد، ثم صار ألمًا لا يطاق، ثم تقلّصت العضلات في بطني. ابتلعت ريقي، وجرجرت نفسي حتى وقفت على قدمَيّ، وحاولت منع نفسي من التقيؤ. سرت إلى

الحمّام متعثّرًا. كان الضغط في تزايد مستمر، ولم يعد هناك من شيء غيره. وصلت إلى مقعد المرحاض. رفعت الغطاء. ركعت على الأرض، وطوّقت المرحاض بذراعي وتدفّق من فمي شلال من سائل أصفر وأخضر انسكب في الماء بقوة، جعلت قطرات منه تعلو مرتدة إلى وجهي. لكن هذا غير مهم. لم يعُد لأي شيء أهمية. ما أروع الإحساس بهذه الراحة! إحساس رائع إلى حدّ عجيب.

تهاويت على الأرض.

أوه، يا إلهي! ما أحسن هذا!

لكن التشنّج عاد من جديد. تلوّت عضلات بطني مثل الأفاعي. يا للخراء! انحنيت فوق المرحاض من جديد، ورأيت شعرة من شعر عانتي إلى جانب ذراعي المستندة إلى البورسلين. مزّقت التقلّصات معدتي الفارغة. فتحت فمي وأطلقت أنينًا مرتفعًا، أوووه، أووووووه، أوووووووه، فلم يخرج شيء.

ثم، من غير إنذار، خرجت من فمي دفعة من سائل أصفر حامض جدًا. انحنيت فوق البورسلين الأبيض. لا يزال قسم من السائل اللزج عالقًا عند زاوية فمي. مسحته بيدي، ثم استلقيت على أرض الحمام. هل كانت هذه آخر دفعة؟

هل انتهى الأمر الآن؟

لقد انتهى.

وفجأة، صار كل شيء صافيًا كأنني في كنيسة. رقدت متّخذًا وضعيّة جنين، رقدت على أرض الحمام مستمتعًا أقصى استمتاع بذلك الهدوء الذي حلّ على جسدي.

ماذا فعلت مع إيرينه؟ ماذا فعلت؟

توتر كل ما في داخلي.

إيرينه! لقد رقصنا معًا.

وقد ضغطت عليها بجسدي، ضغطًا قويًا، ودعكت قضيبي المنتصب على بطنها.

وماذا بعد ذلك؟

ماذا غير ذلك؟

كان الأمر كأن هذا المشهد الوحيد قد أحاطت به الظلمة من جوانبه كلها. تذكّرته، لكني كنت عاجزًا عن تذكر أي شيء أتى بعده.

أكان هناك أي شيء سيئ؟

تخيلتها مرمية في خندق، مخنوقة بملابسها الممزقة.

لا، لا... أي هراء هذا؟

لكن الصورة عاودتني. إيرينه في الخندق، مخنوقة، وملابسها ممزقة.

كيف يمكن أن تكون الصورة واضحة هذا الوضوح كلّه؟ بنطلونها الأزرق ومن تحته فخذان ممتلئتان امتلاء رائعًا. بلوزة بيضاء مفتوحة، ممزّقة. وجزء ظاهر من ثدي عارٍ. عيناها من غير حياة. الطين في الخندق بين الأعشاب المهروسة. لونٌ أصفر ولون أخضر. الضياء الجنوني في وقت متأخر من الليل.

لا، لا. أي هراء هذا؟

ثم... كيف عدت إلى البيت؟

ألم أكن واقفًا إلى جوار الباص عندما توقفت الفرقة عن العزف وازدحم موقف السيارات أمام المركز الاجتماعي بأشخاص يضحكون ويصيحون؟

نعم.

وإيرينه كانت هناك. وقد تبادلنا القبل.

زجاجة شراب في إحدى يديّ. زجاجة أشرب مباشرة من فوهتها. أمسكتني من صدر سترتي. هي من تلك الفتيات اللواتي تمسكن بالمرء من سترته. ثم رفعت رأسها ناظرة إليَّ وقالت لي شيئًا! ماذا قالت لي؟

أوه... يا للجحيم! لا!

ومن حيث لا أدري، تحركت الأفاعي في بطني من جديد. لم يعد في بطني أي شيء. جعلها هذا غاضبة، وجعلها تضغط ضغطًا شديدًا، فتألمت وصرخت. صحت أوووه. أووووه. أحطت كرسي المرحاض بذراعيّ من

جديد، ودلّيت رأسي صوب الحفرة. لكن شيئًا لم يخرج من فمي. كنت فارغًا.

صحت، *يا إلهي القدير! اجعل هذا يتوقّف! اجعله يتوقّف الآن!*

ثم خرجت من فمي دفعة عصارة معويّة كثيفة إلى حدّ عجيب. بصقت وتوقعت أن الأمر انتهى. لكنه لم ينته. واصلت معدتي تقلّصها. حاولت تخفيف تلك التقلّصات بالتنخّم، بالتنخم من أعماق حلقي. سوف يتوقف الإقياء إذا استطعت إخراج أي شيء مهما يكن قليلًا.

أوووخخ. أوووخخ. أوووخخ.

خرج قليل من البلغم.

نعم، هذه هي الطريقة الصحيحة.

هل انتهى الأمر الآن؟

انتهى.

آه!

أوه!

أطبقت إحدى يدي على حافة المغسلة، ثم جذبت نفسي إلى الأعلى. غسلت وجهي بماء بارد. وسرت إلى غرفة الجلوس مترنّحًا. ليس هذا شديد الصعوبة. لا بأس. سوف أستلقي على الأريكة، لكن عليَّ أن أعرف كم صارت الساعة الآن. ليست لديَّ طاقة لهذا. لا أهمية الآن لأي شيء غير أن أترك جسدي يستعيد قواه. عندها، يمكن أن أستعيد يومي. ففي آخر المطاف، سوف أكتب قصة صغيرة أخرى.

عرفت من قبل حالات فقدان ذاكرة مثل هذه، حالات يغيب فيها كل شيء ولا أتذكر بعدها إلّا شذرات مما فعلت. أعرف هذه الحالة منذ أن بدأت الشرب. كان ذلك في الصيف الذي أعقب انتهاء الصف الثامن، في كأس النرويج. عندها، ضحكت وضحكت، وكانت تجربة هائلة. أخذني السكر إلى أماكن صرت فيها حرًا وفعلت ما أردت فعله، حملني إلى

الأعالي وجعل كل ما من حولي رائعًا. لم أتذكّر بعدها إلّا أجزاء صغيرة متناثرة ومشاهد معزولة منارة إنارة ساطعة على خلفية جدار من ظلمة، كنت أخرج منه ثم أعود إليه وأختفي فيه من جديد. هكذا كانت القاعدة. وهكذا استمر الأمر. ذهبت في الربيع التالي إلى المهرجان التنكري؛ ذهبت مع يان فيدار. كانت أمي قد جعلتني مثل الشخصية المرسومة على غلاف ألبوم بوّي، «ألادين ساين». وكانت المدينة زاخرة بأشخاص بأثوابٍ مزخرفة، وبنطلونات قصيرة جدًا، وشعر مستعار أسود متموج على رؤوسهم. كان كل شيء هناك نابضًا بقرع طبول السامبا. لكن الهواء كان باردًا، وكان الناس متيبّسين. قدر هائل من الحرج لا بد من التغلب عليه طيلة الوقت. كان هذا واضحًا في المواكب؛ وكان الناس يتلوون تلويات متشنجة بدلًا من أن يرقصوا. أرادوا الإحساس بالانعتاق، فهذه هي غاية الأمر كلّه؛ لكنهم لم يكونوا منعتقين، لم يكونوا منعتقين مثلما أرادوا. كان هذا في الثمانينيات، وكانت تلك هي الحقبة المتحررة الناظرة إلى المستقبل، الحقبة التي كان كل شيء نرويجي يبدو فيها محزنًا، مثيرًا للشفقة، وكان كل شيء متوسطي يبدو حيًا، نشطًا، حرًا. كان ذلك عندما انضمت قنوات تلفزيونية جديدة، مختلفة أشد الاختلاف، إلى القناة الوحيدة التي ظلت عشرين عامًا تخبر أهل النرويج بما تعتبره دائرة صغيرة من الأشخاص المتعلمين في أوسلو، شيئًا مهمًّا ينبغي أن يعرفه الناس. فجأة، انضمت إلى تلك القناة قنوات جديدة اعتمدت أسلوبًا أكثر خفّة؛ قنوات أرادت أن تسلّي الناس، وأرادت أن تبيع. ومنذ تلك اللحظة، صار هذان الأمران مندمجَين: صارت التسلية والمبيعات وجهَين لعملة واحدة ابتلعت كل ما عداها، ابتلعته فصار بدوره تسلية ومبيعات، من الموسيقى، إلى السياسة، إلى الأخبار، إلى الصحة، إلى كل شيء. وكان الكرنفال التنكري إشارة إلى هذا التحول: أمة تبتعد عن جدّية السبعينيات متجهة إلى حيوية التسعينيات. كان التحوّل مرئيًا في الحركات الغريبة الخرقاء، وفي العيون القلقة المتوترة، وفي النظرات الجامحة المنتصرة عند أولئك الذين استطاعوا تجاوز هذه الخراقة وهذا

التوتر، وصاروا يهزون مؤخراتهم الرشيقة على متن الشاحنات، التي راحت تجوب شوارع كريستيانساند، في هذا الصباح الربيعي البارد المشبع هواؤه بمطر خفيف كأنه رذاذ. هذا ما كان في كريستيانساند؛ وهذا ما كان في كل مدينة أخرى من مدن النرويج، مهما يكن حجمها، ومهما يكن احترامها لنفسها. كان الكرنفال سَوْرة غضب، وسوف يصير تقليدًا مرعيًا، هكذا قالوا. في كل سنة، سيشدّد أولئك الرجال المتيبسون وتلك النساء المتيبسات على انعتاقهم؛ سيعبّرون عنه بأقوى ما يستطيعون، على الشاحنات، مرتدين ملابس المتوسطيين، راقصين وضاحكين على قرع طبول أعضاء سابقين في الفرقة النحاسية المدرسية، وهم يعزفون ذلك الإيقاع المخدِّر، المغوي.

حتى أنا ويان فيدار، فتَيان في السادسة عشرة، أدركنا أن هذا كان حزينًا. بطبيعة الحال، ما كنا نريد شيئًا أكثر من انفجار ذي طابع متوسطي يكتسح واقعنا اليومي، لأننا لم يكن عندنا شيء نتوق إليه أكثر من تلك الأثداء والمؤخرات المغرية، وتلك الموسيقى، والكثير من المرح. أردنا، أردنا أكثر من أي شيء آخر، أن نصير رجالًا سمرًا واثقين يستطيعون أخذ تلك النساء عندما يشاؤون. كنا ضد البخل؛ وكنا مع الكرم. كنا ضد العوائق والحدود والقيود. كنا مع الانفتاح والحرية. مع هذا كلّه، رأينا تلك المواكب فانتابنا الحزن نيابة عن مدينتنا، وعن بلدنا، لأن هذا كله كان فيه افتقار عجيب إلى الاعتزاز بالنفس، بل كان الأمر كأن المدينة كلّها تجعل من نفسها أضحوكة من غير أن تدرك هذا. لكننا أدركنا أننا كنا حزينين عندما رحنا نجول هنا وهناك ومع كل منا زجاجة صغيرة من شراب كحولي وضعها في جيب داخلي. راح سكرنا يزداد شيئًا بعد شيء، ورحنا نسبّ مدينتنا والناس الحمقى الذين فيها، وظللنا منتبهين دائمًا إلى احتمال رؤية وجوه نعرفها، وجوه من نستطيع أن نكون معهم. أعني وجوه الفتيات، أو حتى وجوه فتيان نعرفهم أتوا مع فتيات لا نعرفهنّ. كان مشروعنا محكومًا عليه بالفشل، فلن نستطيع أبدًا أن نلتقي الفتيات بهذه الطريقة. لكننا لم نكن لنستسلم طالما ظلت أمامنا بارقة أمل. تابعنا السير، وازددنا سُكرًا، ثم ازددنا سُكرًا، وازددنا

وازددنا إحباطًا. بعد ذلك، في لحظة من اللحظات، اختفيت عن نفسي. لم أختف عن يان فيدار لأنه ظل قادرًا على رؤيتي -بالطبع، ظل قادرًا على رؤيتي- ولأنه كان يقول لي شيئًا فيتلقى إجابة. جعله هذا يظن أن كل شيء لا يزال كما ينبغي أن يكون؛ لكن الأمر لم يكن هكذا لأنني اختفيت، لأنني صرت خاويًا، لأنني صرت في الخلاء داخل روحي. لا أجد طريقة غير هذه لوصف ذلك الذي أصابني.

من تكون عندما لا تعرف إن كنت موجودًا أم غير موجود؟ ومن تكون عندما لا تتذكّر أنك موجود؟ عندما استيقظت في اليوم التالي فوجدت نفسي في الفراش في إلفيغاتن، ووجدت أنني لا أعرف أي شيء عن أي شيء، بدا لي أنني قد سرت في المدينة منفلتًا إلى أقصى حدود الانفلات، كان ممكنًا أن أكون قد فعلت أي شيء؛ فعندما أسكر مثلما سكرت، ينتفي وجود أية حدود في داخلي، فأفعل كل ما يعنّ على بالي... فماذا؟ ماذا يمكن ألا يعنّ على بال إنسان؟

اتصلت بيان فيدار. كان في الفراش، نائمًا. لكن والده استدعاه إلى الهاتف.

قلت له: «ماذا حدث؟».

جعلني في غاية التوتر عندما قال: «حسنًا، حســـنًا. لم يحدث أي شيء، إذا أردت الدقة. كان كل شيء سخيفًا».

قلت، «لا أتذكر شيئًا على الإطلاق. كنا في مكان صوب سيلوكايا؛ وهذا آخر ما أتذكره».

«ألا تتذكر شيئًا؟ لا شيء؟».

«لا شيء».

«ألا تتذكر أنك وقفت في صندوق سيارة شاحنة ورحت تبتسم للجميع؟».

«هل فعلت هذا؟».

ضحك وقال: «لا، لم تفعل هذا، بالطبع. لا. اهدأ، يا رجل. لم يحدث

شيء، بل... نعم، حدث شيء عندما كنا عائدين إلى البيت. لقد طويت مرايا السيارات على امتداد الشارع كله. صاح بنا أحدهم فجرينا هاربَين. لم ألحظ عليك أي اختلاف. هل كنت ثملًا إلى هذا الحد؟».

«نعم. إنه الشراب!».

«أنام عندما أسكر. يا إلهي! يا لها من ليلة بائسة! لن تستطيع إقناعي بالذهاب إلى الكرنفال مرة أخرى، بكل تأكيد».

«أتعرف ما أفكر فيه؟».

«ماذا؟».

«عندما يقيمون الكرنفال في السنة القادمة، فسوف نكون هناك من جديد. لا نستطيع ألّا نكون هناك. لا يحدث في هذه المدينة القذرة أي شيء على الإطلاق».

«هذا صحيح».

أنهينا المكالمة، وذهبت لكي أغسل وجهي وأزيل عنه البرق الذي في صورة «آلادين ساين».

عندما أُقيم الكرنفال في المرة التالية، كان ذلك ليلة منتصف الصيف. وكنت مع يان فيدار أيضًا. جرجرنا أنفسنا إلى المكان؛ وكان كل منا يحمل كيسًا من زجاجات البيرة. ذهبنا إلى موقع عند الشاطئ، إلى صخور جعلها البحر شديدة النعومة. كان مكانًا تحت غابة هانس، حيث تجوّلنا هناك وشربنا وتجمّدنا بردًا في مطر الصيف المدرار. كان من حولنا عدد كبير من أصدقاء إيفيند، وبضعة أشخاص نعرفهم من هامريساندن. لقد اختار إيفيند هذه الأمسية، من دون غيرها، لكي ينهي علاقته بصديقته لينِه؛ وهذا ما جعلها تجلس على صخرة بعيدة عن الآخرين. ذهبت إليها لكي أواسيها. جلست إلى جانبها ومسّدت ظهرها بيدي. قلت لها إن هناك فتيانًا آخرين، وإنها ستتجاوز الأمر. قلت لها إنها لا تزال صغيرة جدًا، وإنها جميلة. نظرت إليّ بعينَين ممتنتَين، ونشقت بأنفها. فكّرت في أن من المؤسف أننا في الخارج، لا في مكان ما بين أربعة جدران حيث تكون هناك أسرّة؛ وفي أن

من المؤسف أن المطر يهطل الآن، ونحن في الخارج. وفجأة، نظرت إلى سترتها وصرخت. رأيت دمًا على كتف سترتها كله. اتضح أيضًا أن هناك دمًا على ظهرها. كان ذلك دمي. لقد جرحت يدي من غير أن أنتبه إلى الأمر. وكانت تنزف نزفًا غزيرًا. يا غبي! قالت هذا ونهضت واقفة. كانت سترتها جديدة تمامًا. هل تعرف كم يبلغ ثمن هذه السترة؟ قلت لها إنني آسف، وإنني لم أقصد فعل هذا. ما أردت شيئًا غير التسرية عنك قليلًا. قالت، اذهب إلى الجحيم! ثم سارت صوب الآخرين حيث وجدت نفسها، في مجرى تلك الأمسية على وفاق مع إيفيند من جديد. وأما أنا... ماذا؟ جلست أشرب وحدي وأحدّق في صفحة الماء الرمادية، التي واصل المطر المنهمر برقشتها بدوائر صغيرة أثارت مشاعري إلى أن جاء يان فيدار وجلس معي، فصرنا قادرين على استئناف حديثنا الذي استمر سنة كاملة، الحديث الذي كان مداره تصنيف الفتيات إلى جميلات وغير جميلات، وتحديد من نتمنى أكثر أن نضاجعها، وذلك كلّه بينما كنا نزداد سُكرًا إلى أن تفكّك كل شيء، وانجرفتُ إلى نوع من عالم الأشباح.

عالم الأشباح: عالم يملأني كلّي عندما أكون فيه، ولا أستطيع أن أتذكّر شيئًا بعد خروجي منه، لا أتذكّر شيئًا غير وجه هنا وجسد هناك، وغرفة وسلّم وفناء بيت، وشيء شاحب، وشيء مرتجف، ذلك كلّه محاط ببحر من الظلمة.

كان هذا فيلم رعب حقيقيٍّ. ومن وقت لآخر، كنت أتذكّر تفاصيل شديدة الغرابة، أشياء من قبيل حجر في قعر جدول، أو زجاجة زيت زيتون على رف مطبخ. أتذكّر أشياء معتادة، أتذكّرها في حد ذاتها، لكنها تكون رموزًا لليلة كاملة من النشاط الذهني، ولا يظل منها شيء غير ذلك. شيء غريب! ما قصة ذلك الحجر؟ وما قصة زجاجة زيت الزيتون؟ تذكّرت هذَين الشيئَين فلم أخَفْ، بل كان تذكّري لهما نوعًا من إدراك حقيقة موضوعية. وبعدها، عندما حدث الأمر من جديد، بدأ يظهر فيه شيء غريب لأنني كنت فاقدًا أية سيطرة على نفسي. لا، لم يحدث شيء، ولعله لم يكن أي شيء ليحدث

أبدًا. لكن الحقيقة هي أنني لم أعد مسيطرًا على أفعالي أدنى سيطرة. إن كنت شخصًا جيدًا من حيث الأساس، فهكذا سأكون عندها أيضًا. لكن، هل كنت شخصًا جيدًا؟ هل كنت كذلك حقًّا؟

وأما من ناحية أخرى، فقد كنت فخورًا بهذا أيضًا: شيء جميل أن أسكر أحيانًا، فلا أتذكّر شيئًا على الإطلاق.

كنت في السادسة عشرة في ذلك الصيف، ولم يكن عندي غير ثلاثة أمور أريدها: الأول هو أن تكون لي صديقة. والثاني هو أن أنام مع فتاة. وأما الثالث، فهو أن أسكر.

أو... إن أردت أن أكون صادقًا كلّ الصدق، فعليَّ القول إنهما كانا أمرَين اثنَين فقط: النوم مع فتاة، والسكر. كانت لدي اهتمامات أخرى كثيرة جدًا؛ وكنت ممتلئًا طموحًا في مجالات متنوّعة. أحببت القراءة والاستماع إلى الموسيقى وعزف الجيتار ولعب كرة القدم والسباحة والغطس والسفر إلى الخارج وامتلاك المال وشراء بعض الأدوات. لكن الحقيقة أن هذا كلّه كان متصلًا بفكرة قضاء أوقات ممتعة، بفكرة إمضاء الوقت بأحسن طريقة ممكنة. كان هذا جيدًا، جيدًا كله. وأما إذا أردت جوهر الأمر كله، فلم يكن عندي إلّا أمران اثنان أريدهما من كل قلبي.

لا، لا. في جوهر الأمر، ما أردت إلّا أمرًا واحدًا.

أردت أن أنام مع فتاة.

كان هذا الشيء الوحيد الذي أردته.

كانت في داخلي نار مضطرمة، نار لا تهدأ أبدًا. تظلّ النار مشتعلة حتى عندما أنام. لمحة سريعة من ثدي أراه في المنام كانت كل ما يلزمني حتى أحتلم.

أوه، لا، ليس من جديد! هكذا كنت أقول كلما استيقظت ووجدت سروالي الداخلي ملتصقًا بجلدي وبشعر عانتي. كانت أمي تغسل ملابسي؛ وكنت أحرص دائمًا على غسلها بالماء غسلًا جيدًا قبل وضعها في سلة ملابس الغسيل. لكن هذا كان أمرًا مريبًا أيضًا. ما هذه السراويل الداخلية

المبتلّة كلّها؟ وماذا تفعل هناك؟ لا بد أن هذا ما كانت تفكر فيه أمي. توقّفت عن فعل ذلك بعد فترة، وصرت أضع السراويل كما هي لأنها تجفّ بعد بضع ساعات، ويصير عليها شيء يشبه قشورًا ملحية، أو شيئًا من هذا القبيل. أضعها في سلة ملابس الغسيل. مع هذا، لا بد أنها لاحظت الأمر لأنه يحدث مرتَين كل أسبوع، على الأقل، بل يحدث ثلاث مرات أكثر الأحيان. كنت أصرف تفكيري في دهشتها عن ذهني كلما أعدت غطاء السلة إلى مكانه. لم تقل أمي شيئًا عن هذا، ولم أقل عنه شيئًا. هكذا كان الأمر، بل لعله هكذا كان ينبغي أن يكون، في البيت الذي نعيش فيه معًا، أمي وأنا: أشياء تقال، ونعلّق عليها، ونتكلّم فيها، ونبذل جهدًا من أجل فهمها، وأشياء أخرى لا نعبّر عنها صراحة، ولا نذكرها، ولا نقوم بأية محاولة من أجل فهمها.

كانت دوافعي قوية، لكنها كانت تقعقع في حيّز جهلي الفارغ حيث يحدث ذلك كله، هكذا، ببساطة. كان أمرًا طبيعيًا سؤال إنغفه والتماس نصحه لأنه أكبر مني بأربع سنين، ولأن لديه خبرة أكبر من خبرتي، أكبر منها كثيرًا جدًا. لقد فعلها؛ وكنت أعرف هذا. وأنا لم أفعلها. فلماذا لم أطلب نصيحته؟

كان هذا أمرًا غير وارد أبدًا. كان أمرًا منتميًا إلى ميدان غير الممكن. لماذا؟ لست أدري! لكنه كان هكذا. ثم... ما نفع النصيحة؟ كان ذلك أشبه بأن يتلقّى المرء نصيحة في كيفيّة قهر قمة إيفريست. نعم، حسنًا، تذهب إلى جهة اليمين هناك، أرأيت، ثم تتابع طريقك صعودًا إلى أن تصل. أرأيت؟

كنت مستعدًا لتقديم أي شيء، أي شيء على الإطلاق، مقابل النوم مع فتاة. مع أية فتاة. لا فرق عندي إن حدث هذا مع فتاة أحبها، حنّة مثلًا، أو مع مومس. لا يهمني إن كان جزءًا من طقوس شيطانية فيها قلنسوات كبيرة ودم ماعز. لا يهمني. لو كان الأمر هكذا لقلت نعم، أنا مستعد له. لكنه لم يكن شيئًا يُعطى، بل شيءٌ تأخذه بنفسك. كيف يحدث هذا على وجه التحديد؟ لم أكن أدري. ثم صارت تلك دائرة مفرغة لأن عدم معرفتي

جعلني غير واثق من نفسي؛ وإن كان هناك شيء يفقد المرء أهليته، شيء لا يريد أن يصيبه أبدًا، فهو قلّة الثقة بالنفس. لقد فهمت هذا. عليك أن تكون واثقًا، مصمّمًا، مقنعًا. ولكن، كيف الوصول إلى ذلك؟ بحق اسم الرب، كيف تستطيع أن تفعل هذا؟ كيف تذهب من الوقوف أمام فتاة في وضح النهار، وكل ملابسها عليها، إلى النوم معها في الظلمة بعد بضع ساعات فقط؟ هناك هوّة بين هاتَين الحالتَين! عندما أرى فتاة واقفة أمامي في وضح النهار، تكون بيني وبينها هوّة لا قرار لها. وسوف أسقط إن تجاوزت حافة تلك الهوة. سيحدث هذا لأنها لن تلاقيني في منتصف الطريق، وسترى أنني خائف... ستتراجع وترتد إلى داخل نفسها، أو تلتفت إلى شخص آخر، إلى شخص غيري. لكنني كنت أرى -في واقع الأمر- أن المسافة الحقيقية بين الحالتَين صغيرة جدًا، لم تكن المسألة أكثر من خلع قميصها عنها، وفك حمالة ثدييها، وفك أزرار بنطلونها وإنزاله، فتصير عارية. يستغرق هذا عشرين ثانية، أو ربما ثلاثين ثانية.

ما من شيء مضلّل أكثر من هذا في الوجود كلّه. أن أكون قريبًا منها، عارفًا أن ثلاثين ثانية فقط تفصلني عما أردته، هوّة تفصلني عما أردته، كان شيئًا يثير جنوني. كثيرًا جدًا ما أضبط نفسي متمنيًا لو أننا لا نزال في العصر الحجري، عندما كان كل ما يتعيّن عليَّ فعله أن أخرج حاملًا هراوة وأضرب أول امرأة أصادفها على رأسها، ثم أجرها إلى بيتي وأفعل بها ما أريد. لكن هذا لم يكن نافعًا. ولم تكن هناك أية طرق مختصرة: كانت الثواني الثلاثون وهمًا مثلما كان وهمًا كل شيء متعلّقٍ بالنساء، كل شيء تقريبًا. أوه، يا لها من سخرية أن تكون النساء متاحاتٍ للعين، لكنهن غير متاحات بأية طريقة أخرى. أينما نظرت تجد نساء وفتيات. أينما نظرت تجد أثداء تحت القمصان، وأفخاذًا وأوراكًا داخل البنطلونات، ووجوهًا جميلة باسمة، وشعرًا متطايرًا في الريح. أثداء متدلية، وأثداء صلبة، وأثداء مدورة، وأثداء مترجرجة، وأثداء بيضاء، وأثداء لوحّتها الشمس، ورسغ عارية، ومرفق عارٍ، ووجنة عارية، وعين عارية تنظر من حولها. فخذ عارية في بنطلون قصير أو

من تحت فستان صيفي قصير. كف عارية وأنف عارٍ ورقبة عارية. أرى هذا كلّه من حولي، أراه دائمًا، فتيات في كل مكان، فيضٌ لا آخر له، نبع... لا، بل كنت عائمًا في بحر من النساء، كنت أرى كل يوم مئات النساء، ولكلّ منهن طريقتها الفريدة في الحركة والوقوف والاستدارة والمشي، وفي رفع رأسها وهزّه، وفي رفرفة رموشها، وفي النظر - خذوا مثلًا ملمحًا واحدًا فقط، خذوا عيونهنّ التي تعبّر عن فرادتهن الخالصة؛ كل ما يعيش ويتحرّك موجود هنا، في هذا الشخص، مكشوف، سواء أكانت النظرة موجهة إليَّ أم لم تكن. أوه، هذه العيون البرّاقة! أوه، هذه العيون الداكنة! لمعة السعادة تلك! النظرات القاتمة المغرية! أو، أيضًا، العيون التي لا ذكاء فيها، العيون الغبية! هذا لأن في تلك العيون إغراءً أيضًا، إغراءً غير قليل أبدًا: العيون الخاوية الغبية، والفم المفتوح في ذلك الجسد الجميل المكتمل.

ذلك كله لم يكن بعيدًا عن ذهني، أبدًا. وكلهنّ كنّ على مسافة ثلاثين ثانية مني، من الشيء الوحيد الذي أردته - لكنه واقع إلى الناحية الأخرى من الهوّة.

كنت ألعن هذه الهوّة. وكنت ألعن نفسي. لكن، مهما كان هذا مزعجًا، ومهما صار محبطًا لي، فقد ظلّت النساء مشعّات ولم ينقص تألّقهنّ أبدًا.

ثم... بدت لي فرصة.

بضعة أسابيع بعد حفلة ليلة منتصف الصيف الكئيبة، سافرت إلى الدانمارك مع فريق كرة القدم. كنا ذاهبين إلى بلدة اسمها نيكوبن في جزيرة نورز في ليمفيورد. أقمنا في فندق صغير، أو لعله كان مدرسة داخلية. وكان ذلك المكان خارج البلدة، ومن حوله مساحات واسعة تحيط بها أشجار عتيقة ظليلة. كان بعضنا يتسلّل خارجًا في الأمسيات. لم يكن مسموحًا لنا أن نفعل هذا، لكن البلدة قريبة جدًا. كانوا يتغاضون عن خروجنا شريطة ألّا نتخلّف عن مواعيد التدريبات، هذا إن كان هناك من يلاحظ غيابنا أصلًا. كنا نشتري من المتاجر نبيذًا رخيصًا ونجلس على المقاعد في الخارج، فنشرب ثم نذهب إلى الديسكوتيك القريب. التقيت في الليلة الثانية فتاة دانماركية،

ثم استمرّت لقاءاتنا كل يوم طيلة بقائي هناك. كانت حلوة، حيوية، مضطرمة المشاعر. نجلس على المقاعد ونتعانق ونتبادل القبل ونرقص في الديسكوتيك. وذات ليلة، ذهبنا في نزهة في الحديقة الكبيرة. ثم أتت الليلة الأخيرة، فقلت في نفسي إن الوقت قد حان. لن تسنح لي فرصة أخرى. إما الليلة، أو لا شيء.

في ليلتنا الأخيرة تلك، كان الجميع في الخارج. بدأنا بحفل شواء على الشاطئ، وكان قادة المجموعة قد اشتروا بيرة. ثم انتهت الحفلة، فذهبنا بسيارة تاكسي إلى مطعم كبير في الغابة غير بعيد عن مكان إقامتنا. كانت آتية، هكذا قالت. وقد أتت فسلّمت عليَّ بطريقتها الدافئة عينها، بالطريقة التي تسلّم عليّ بها دائمًا. وقفت على أطراف أصابعها، وأعطتني قبلة، وشدّت على يدي. جلسنا إلى طاولة، وكنت أشرب كؤوسًا متتالية من النبيذ حتى أستجمع الشجاعة من أجل ما اعتزمت محاولته. وفي البار، بُحتُ بما اعتزمت فعله لكل من يوغّه وبيورن. قلت لهما إنني سأحاول أخذها إلى غرفتنا ومضاجعتها هناك. ابتسما، وتمنّيا لي حظًا طيبًا. كانت ليلة رائعة. في الخارج غيوم رمادية سوداء ثقيلة معلّقة فوق الأشجار الخضراء. وفي الداخل، كان الناس مختلطين تحت الثريات المتلألئة. كانوا يشربون ويضحكون ويرقصون. رائحة عرق وعطر، ودخان سجائر وكحول. جلست الفتاة إلى طاولتنا وتحدّثت مع هارالد، لكنّها ظلت تنظر صوبي. أشرقت عيناها عندما رأتني آتيًا وفي يدي زجاجة نبيذ جديدة. آلمتني معدتي عندما جلست إلى جانبها. مالت عليّ وقبلتني. أردت أن أسكب نبيذًا في كأسها لكنها رفعت يدها معترضة: لديها عمل في اليوم التالي. جاءتها فكرة مفاجئة: ألا أحب الذهاب معها إلى بيتها؟ قلت لها إننا مسافرون غدًا. قالت، لا، لن تسافر غدًا. لن تعود إلى بلدك أبدًا، بل ستبقى هنا معي. تستطيع الذهاب إلى المدرسة هنا، أو تستطيع أن تجد عملًا. ما رأيك في هذا؟ قلت، حسنًا، هذا ما سأفعله. ضحكنا، وتدحرجت في داخلي موجة كرب: ستكون في غرفتنا بعد قليل. ستقف قريبًا مني بعد قليل، وتغمز لي بعينها ظانة أنني أعرف ما أفعله.

قلت لها: «ما رأيك في الخروج للسير قليلًا؟».

أومأت برأسها وقالت: «وماذا عن النبيذ؟».

«سوف نعود». قلت هذا ونهضت واقفًا. وضعت يدي على كتفها وجعلتها تسير أمامي إلى أن خرجنا. التفتّ فرأيت يوغّه وبيورن. رفع كل منهما إبهامه وابتسم. كانا في الخارج.

رفعت رأسها ونظرت إليّ. أين نذهب؟

قلت، أنذهب إلى الغابة؟

أحطت يدها الصغيرة بكفي، وانطلقنا. كنت قد قبلت ثدييها. على مقعد في الحديقة، أدخلت رأسي تحت كنزتها وقبلت كل ما وجدته. ضحكت وقتها واحتضنتني بقوة. هذا ما كنت أفعله مع الفتيات. أستلقي فوقهن، وأعانقهن، وأقبل أثداءهن. ذات مرة، أنزلت سروال فتاة وأدخلت إصبعي. حدث هذا قبل سنتَين تقريبًا.

سرت رعدة في جسدي.

طوقتني بذراعها وقالت لي: «ما هذا؟ هل بردت؟».

قلت: «أظنني بردت قليلًا. لقد صار الطقس أكثر برودة».

سحابة كبيرة ثقيلة كانت قد سبحت متقدّمة، وصارت الآن فوق الغابة، فألقت حجابًا قاتمًا على الظلمة المجتمعة بين جذوع الأشجار. ازدادت هبات الريح شدة. تلاطمت غصون الأشجار من فوقنا.

كان الدم يجري في عروقي.

ابتلعت ريقي.

قلت: «ألا تحبين رؤية مكان إقامتنا؟».

«طبعًا. أحب هذا».

أتاني انتصاب لحظة قالت هذه الكلمات. ضغط شديد على بنطلوني. ابتلعت ريقي من جديد.

في ظلمة الغسق، بدت الأنوار في مكان إقامتنا داكنة الصفرة. تجمّع

الضوء في هالات من حول المصابيح. أحسست غثيانًا، وامتلأت راحتا يديَّ عرقًا. لكني سأفعل ما أردت فعله.

توقّفت وطوقتها بذراعي. تبادلنا قبلة طويلة. كان لسانها ناعمًا، صغيرًا. وكان النبض في قضيبي شديدًا... كان مؤلمًا.

همست لها: «الغرفة هناك. هل أنت واثقة من أنك تريدين الذهاب معي إليها؟».

رأيت لمحة عجَب في عينَيها. لكنها قالت نعم ولم تزد شيئًا.

أمسكت بيدها من جديد، وضغطت عليها بقوة. اجتزنا آخر مئتي متر بخطوات سريعة. تعانقنا من جديد أمام مكتب الاستقبال الخالي. كادت الرغبة تصير خانقة. سرنا في الممر إلى الغرفة التي أقيم فيها مع ثلاثة فتيان آخرين. أخرجت المفتاح ووضعته في القفل بيد مرتجفة. أدرته، وأدرت مقبض الباب. انفتح الباب ودخلنا.

قال يوغّه ضاحكًا: «هل أنت عائد منذ الآن، يا كارل أوفه؟».

قال بيورن: «هل أحضرت زوارًا معك؟».

قال هارالد: «ما ألطف هذا! ألا تريدين بيرة، يا ليزبيث؟».

لم يكن لديَّ شيء أستطيع قوله. إنهم شركائي في الغرفة وحقهم في الوجود فيها مثل حقي. ولا أستطيع القول لهم إن جنونهم المحض هو ما جعلهم يجرون عائدين إليها، ولا إن الأمر قد انكشف. من الممكن أن ليزبيث قد حزرت نواياي، لكن هذا لم يكن شيئًا ممكنًا قوله علنًا. على الأقل، لا أستطيع قوله في وجود الآخرين هنا، فما الذي ستظنه بي؟ ألم تظن أنني أجعل منها أضحوكة لهم.

قلت: «بحق الجحيم، ماذا تفعلون هنا؟».

ابتسم يوغّه: «بل ماذا تفعلان أنتما هنا؟».

نظرت إليه غاضبًا. كان يتلوّى من الضحك مستلقيًا على السرير. ناول هارالد ليزبيث بيرة. أخذت البيرة وابتسمت لي.

قالت: «ما أظرف هذا! لقد أتى أصدقاؤك أيضًا».

ماذا، هل تعني هذا حقًا؟

نظرت من حولها وقالت: «ألا أجد مع أحدكم سيجارة؟».

قال هارالد: «نحن لاعبو كرة قدم. كارل أوفه هو المدخّن الوحيد بيننا».

قال بيورن: «خذي»، وأخرج من جيبه علبة سجائر «برِنس مايلد». قدّمها إليها.

لن تسنح لي فرصة رائعة كهذه قبل مرور سنين كثيرة. لكنهم أفسدوها عليّ لأنهم أحبوا أن يتشيطنوا.

وضعت ليزبيث يدها في جيبي الخلفي، ثم التصقت بي. انتصبت من جديد. تنهدت.

قال يوغّه: «خذ علبة بيرة، يا كارل أوفه. كان هذا مزاحًا».

قلت: «نعم. مزاح مضحك جدًا».

تلوّى ضاحكًا من جديد.

بقينا هناك نصف ساعة. تحدّثت ليزبيث معهم جميعًا. عدنا إلى المطعم بعد فراغنا من شرب البيرة. انصرفت ليزبيث في الساعة الواحدة، لكننا بقينا حتى الصباح الباكر. التقيتها دقائق معدودة في اليوم التالي، تبادلنا العناوين. بدأت تبكي. لم تبكِ كثيرًا، بضع دمعات تدحرجت على خدَّيْها. احتضنتها. قلت لها، ليزبيث، نستطيع اللقاء في لوكن عما قريب. لا تبعد عني أكثر من مسافة رحلة بالعبّارة. هل تظنين أنك تستطيعين المجيء إليها؟ قالت نعم، ثم ابتسمت عبر دموعها. سأكتب إليك حتى نستطيع الاتفاق على التفاصيل. هل اتفقنا؟ قالت، اتفقنا. تبادلنا القبلات، ثم ذهبت. وعندما التفتّ، وجدتها واقفة هناك، وجدتها تنظر إليّ.

بطبيعة الحال، كانت فكرة اللقاء في لوكن كلامًا فارغًا. كانت شيئًا لا بد لي من قوله حتى ألطّف الجو. لم تكن ليزبيث تعني لي شيئًا لأنني واقع في حب حنه، ولأنني كنت واقعًا في حبها طيلة الشتاء وطيلة الربيع. كان كل شيء مرتبطًا بها؛ وما أردت إلّا أن أكون قريبًا منها، لا أن أضاجعها، وليس أملًا في

مضاجعتها، ولا حتى أملًا في معانقتها أو تقبيلها... لا، لم يكن الأمر هكذا. كانت هي النور والحماسة اللذان يملآن روحي عندما أراها. هذا ما جذبني إليها؛ وهذا ما كنت أفكر به أحيانًا، فأراه شيئًا ليس من هذا العالم، أراه شيئًا تنزّل علينا من عالم آخر. ما من سبيل إلى تفسيره بغير هذا؟ لقد كانت فتاة عادية؛ ولا بد أن هناك آلاف الفتيات مثلها. لكنها وحدها، تمامًا لأنها كما هي، كانت قادرة على جعل قلبي يرتعش، على جعل روحي تتألّق. ذات مرة في الربيع، ركعت أمامها على إسفلت الطريق، وسألتها إن كانت تقبل الزواج مني. كانت تسير دافعة دراجتها؛ وكانت من حولنا ظلمة، وكان مطر. كنا سائرَيْن عند مباني الشقق السكنية في لوند. ضحكتْ عندما فعلت هذا. ظنتني أتغابى.

قلت لها: «لا تضحكي. لقد عنيت ما قلته. أنا جاد تمامًا. نستطيع الزواج. نستطيع الانتقال للعيش في بيت على جزيرة والبقاء هناك، أنا وأنت فقط. نستطيع هذا. ولا يقدر أحد على منعنا إن كان هذا ما نقرّره». ضحكتْ من جديد. آه... ضحكتها الجذلى الرائعة تلك!

قالت لي: «يا كارل أوفه، نحن في السادسة عشرة فقط».

نهضت واقفًا وقلت: «أعرف أنك لا تريدين. لكني أعني هذا. هل تفهمين؟ أنت الفتاة الوحيدة التي تشغل تفكيري. أنت الفتاة الوحيدة التي أريد أن أكون معها. فهل ينبغي أن أتصرّف كأن هذا غير موجود؟».

«لكني أخرج مع شخص آخر. أنت تعرف هذا تمام المعرفة».

قلت: «صحيح. أعرف هذا».

لم أكن في حاجة إلى تذكير. كان السبب الوحيد الذي يجعلها تخرج في تلك النزهات معي هو إحساسها بالإطراء، وكذلك لأنني كنت مختلفًا كثيرًا عن الفتيان الآخرين الذين تعرفهم. فقدت أي أمل في أن أخرج معها في يوم من الأيام. فقدت الأمل، لكني لم أستسلم ولن أستسلم أبدًا. وهكذا، وقفت على سطح العبّارة الدانماركية والريح تعبث بشعري، وقفت محدّقًا في شمس العصر الواطئة، وقفت محاطًا بالبحر الأزرق من كل ناحية، وكنت أفكر في حنة، لا في ليزبيث.

الحقيقة أنني لم أكن عائدًا إلى البيت عند وصولي إلى كريستيانساند، بل ذاهبٌ إلى حفلة لصفّنا في كوخ على واحدة من الجزر. من المحتمل أن تكون حنة هناك أيضًا. لقد كتبت لها بضع رسائل خلال الصيف، كتبت اثنتَين منها في سوربوفاغ حيث كنت أسير على امتداد النهر، أسير وحيدًا مع الووكمان وما من أحد ضمن مرمى نظري، أسير مفكّرًا فيها. عندما أستيقظ في الليل، أخرج وأقف تحت السماء المرصعة بالنجوم، وأسير صعودًا في وادي النهر حتى أبلغ الشلال، ثم أتابع التسلق حتى أجلس عاليًا، فوق الهضبة، تحت النجوم، وأفكر فيها.

ردّت على رسائلي ببطاقة بريدية.

لكن ثقتي بنفسي ازدادت بعد ليزبيث، وحتى مشهد البحر الممتد من حولي لم يكن قادرًا على إضعافها، ولا على إضعاف تلك الدوافع في داخلي - دوافع قوية جدًا تجعلني أخرج في الليل فتطفر الدموع إلى عيني لكثرة ما في العالم من جمال. لكني كنت عاجزًا عن تحويل تلك الدوافع إلى أي شيء مفيد، وكنت عاجزًا عن تحويلها إلى شيء أكثر سموًا.

قال يوغه من خلفي: «يا وعل، ألا تريد علبة بيرة أخيرة؟».

أومأت برأسي فناولني علبة من بيرة توبورغ ووقف إلى جانبي.

فتحت العلبة فاندفع الزبد من فوّهتها وانتشر على غطائها اللامع. رشفت الزبد، ثم أملت رأسي خلفًا وأخذت جرعة كبيرة.

قلت له: «لا شيء مثل الشرب أربعة أيام متتالية».

ضحك بطريقته الغريبة تلك، بطريقته التي تكاد تكون مبتذلة والتي يسهل تقليدها كثيرًا. الواقع أن الجميع كان يقلّدها.

قال لي: «يا لها من فتاة، تلك الليزبيث. كيف استطعت استدراجها؟».

قلت: «استدراجها! لم أستدرج أية فتاة في حياتي كلها. لست أنا من تطرح عليه هذا السؤال».

«كنت تقبلها وتداعبها طيلة الأسبوع. وقد أتت معك إلى الغرفة. إن لم يكن هذا استدراجًا، فلست أدري ما هو».

«لكني لم أفعل شيئًا. هي التي فعلت. هي التي أتت معي. ثم وضعت يدها على صدري. وضعتها هكذا».

بسطت يدي ووضعتها على صدره.

صاح: «أي... كف عن هذا».

ضحكنا معًا.

نظر إليَّ وقال: «لست أدري. هل تعتقد أنني سأحظى بفتاة يومًا ما؟ صدقًا؟».

«يومًا ما؟ صدقًا؟».

«كف عن هذا! أتظن أن هناك فتاة تقبل بي؟».

كان يوغّه الوحيد بين معارفي القادر على طرح أسئلة من هذا النوع، أسئلة يعنيها حقًا. يستطيع أن يكون منفتحًا إلى أقصى حد. كان صادقًا كثيرًا بقدر ما يكون نهار الصيف طويلًا كثيرًا. لكن، هل كان وسيمًا؟ لعل كثيرين لا يعتبرونه كذلك. ولا لامعًا. كان قويًا متينا. لعل هذه الكلمة الصحيحة. كان قويًا. وكان شخصًا يمكن الاعتماد عليه مئة بالمئة. كان ذكيًا. كان شخصًا جيدًا. لديه روح النكتة. لكنه ليس نموذجًا ذكوريًا.

قلت: «لا بد أن تكون هناك فتاة ما. لكنك تضع لنفسك طموحات كبيرة. هذه هي مشكلتك. أنت تريد... حسنًا، من التي تريدها؟».

قال: «سندي كروفورد».

قلت: «كفّ عن هذا. هيا الآن. من الفتيات اللواتي تتحدّث عنهن عادة؟».

«كريستين. إنغير. ميريِته. وينتشِه. سيريزِه».

فتحت ذراعي وقلت، «ألم أقل لك هذا؟ إنهن الزبدة. لن تنال أية واحدة منهن. عليك أن تدرك هذا».

«لكنهن الفتيات اللواتي أريدهن». قال هذا مبتسمًا ابتسامة عريضة.

أجبته: «وأنا مثلك».

أدار رأسه في اتجاهي وقال: «أوه! ظننتك مغرمًا بحنة وحدها».

«هذا شيء مختلف».
«فما هو إذًا؟».
«إنه الحب».
قال، «أوه، يا إلهي. أظنني سأنضمّ إلى الآخرين».
«وأنا آتٍ معك».

كانوا يلعبون الورق من حول طاولة في المقهى. يشربون الآن كوكا كولا. بدأنا نقترب من الشاطئ. جلست معهم. هارالد، ومحميّه إكسِه، وهيلغِه، وتور إيلينغ. كانوا كلهم هناك. لم يكونوا يحبونني، ولم تكن لي علاقة حقيقية مع أي واحد منهم باستثناء مناسبات من هذا النوع. يتقبلون وجودي معهم، لكن ليس أكثر من ذلك. لم يكن سماعي تعليقًا ساخرًا أمرًا مستبعَدًا. لكن هذا غير مهم. لست أبالي بهم أبدًا.

كان يوغّه مختلفًا. لقد أمضينا سنتين معًا في صف واحد. تناقشنا في السياسة إلى أن خرج الدخان من آذاننا. كان من أنصار حزب فريمزكريتسبارتي، كان يمينيًا في كل شيء. وكنت مؤيدًا لحزب سوسياليستيسك فينستريبارتي اليساري. أمر غريب أن يكون يوغّه من محبي الموسيقى الجيدة، هناك في منطقة ريفية زراعية لا أعرف فيها أحدًا غيره لديه ذرة من ذوق. فقد أباه عندما كان صغيرًا، وعاش مع أمه وشقيقه الأصغر. كانت على عاتقه مسؤوليات كبيرة، دائمًا. يحاول الناس مناكفته، من وقت لآخر، لأنه هدف سهل؛ لكنه يكتفي بالضحك فينصرفون عنه. وكانت المجموعة التي جلسنا معها الآن قد اعتادت استهدافه (بروح طيبة). يقلّدون ضحكته إن استجاب بطريقته المعهودة، فيصمت أو يضحك معهم.

نعم، كان رجلًا جيدًا. كان من طلبة مدرسة الأعمال الثانوية مثله مثل اثنين ممن هم معنا في فريق كرة القدم. وكان الآخرون يذهبون إلى المدرسة التقنية. لقد كتبت من أجله بضعة مواضيع إنشائية فدفع لي مالًا مقابلها. كان يقلقه احتمال أن تكون تلك الموضوعات جيدة أكثر مما ينبغي، لأن المعلمين سيكتشفون الأمر. وذات مرة، عندما كان في وضع خطير في

المدرسة، كتبت من أجله قصيدة حتى يقدّمها. رأى معلمه أن تلك القصيدة غير منسجمة مع شخصية يوغّه. لكنه أفلح في تجاوز الأمر: طلبوا منه شرح القصيدة فاستطاع شرحها بطريقة مرضية ونال درجة النجاح.

لكن هذا كان مخيّبًا قليلًا لأنني وضعت في القصيدة قلبي وروحي، وتوقّعت أن تنال الدرجة القصوى. لكن... إنها مدرسة الأعمال، فأي شيء يستطيع المرء توقعه من مدرسة الأعمال؟

أكون في المدينة، في واحد من المقاهي، ويكون من المحتمل كثيرًا أن أنظر في اتجاه آخر إذا رأيت يوغّه داخلًا المكان. إنه من طبيعة مختلفة، من طبيعة غير مناسبة؛ لكنني أظنّه كان مدركًا هذا الأمر. علي أية حال، لم أكن أراه أبدًا ضمن أجواء من هذا النوع.

سألني الآن: «أنت، يا كازانوفا، ألا تريد بيرة أخرى؟».

أجبت: «لم لا؟ لكن، ماذا تكون أنت؟ ضد كازانوفا؟».

«اسمي بوهن، يورغن بوهن». قال هذا وضحك.

بعد ساعة ونصف الساعة، صرت على الشاطئ في كريستيانساند حاملًا حقيبتي الظهرية الكبيرة على كتفي، وفيها معداتي الرياضية. سيذهب الآخرون إلى تفيت؛ وسأذهب إلى حفلة مع باسن الذي وجدته في انتظاري عندما خرجت من نقطة الجمارك.

قال لي: «مرحبًا».

أجبته: «مرحبًا».

«هل كان صيفك جيدًا؟».

«بين بين. وأنت؟».

«جيد».

قلت، «أية نساء؟».

«بالطبع. أستطيع القول إنهما اثنتان».

ضحك، ثم اتجهنا إلى محطة الباصات حتى نذهب إلى رصيف

العبّارات. في تلك السنة، كان بيننا نوع من مسابقة لرؤية من يستطيع أن يتدبر أمره مع أكبر عدد من الفتيات في صفّنا. جلسنا نتحدث في هذا الأمر ونشرب البيرة في انتظار وصول سيف التي ستأتي بزورقها لكي تأخذنا. كانت تلك الليلة آخر فرصة لتعديل النتائج بعد أن رجحت كفة باسن كثيرًا: لقد قبّل سبع فتيات؛ وأما فتياتي فكن أربعًا فقط.

كنت أفكر أحيانًا في كيف ستكون المدرسة في الخريف. سوف يتخذ وجهة العلوم؛ وسوف أدرس مواضيع اجتماعية. كنا في صف واحد حتى الآن؛ وكان معنى هذا أن من الطبيعي أن نمضي الوقت معًا.

جلسنا متجاورَيْن في واحد من الدروس الأولى. وبعد أن وزّع علينا المعلم المشرف على الصف أوراقًا وطلب أن يكتب كل منا على ورقته ثلاث صفات شخصية. نظر باسن إلى إجابتي. *كئيب*، *خمول*، *جاد*. كان هذا ما كتبته.

قال لي: «هل أنت غبي تمامًا؟ عليك أن تضيف عبارة *لا أعرف نفسي جيدًا!* لم أر في حياتي كلها شيئًا مثل هذا. أنت لست كئيبًا، ولا خمولًا. ثم إنك لست جادًّا أبدًا. من وضع هذه الأفكار في رأسك؟ فماذا كتبت أنت؟».

أراني باسن ورقته: *بسيط*، *صادق*، *شهواني جدًا*. قال لي: «مزِّق ورقتك. لا تستطيع أن تكتب هذا».

فعلت ما قاله لي، كتبت على ورقة أخرى: *ذكي*، *خجول*، *لكن ليس كثيرًا*.

قال لي: «هذا أفضل! يا ربي! كئيب *وخمول!*».

ذهبت إلى بيته أول مرة في أواخر الخريف، فملأتني تلك الزيارة احترامًا. لم أستطع تصديق الأمر. كان باسن كل ما أردت أن أكونه، ثم لم تفارق تلك الفكرة ذهني حتى في وقت لاحق، عندما صار كل منا أكثر معرفة بالآخر. الآن أيضًا. يتخلّل حضوره كل جزء من نفسي، ويعجبني كل ما يفعله، وأظل منتبهًا إلى كل نظرة من نظراته حتى إن كان ينظر إلى البحر ضجرًا. أفكر في نظراته.

لماذا يحب أن يراني؟ ليس عندي أي شيء مفيد له!

وعندما نكون معًا، أحاول ألا أطيل البقاء حتى لا يكتشف كم أنا مضجر في حقيقة الأمر. كان في داخلي نوع من الحمى، كان في داخلي شعوران متضاربان، مثلما حدث في صباح ذلك اليوم الربيعي عندما هربنا من المدرسة معًا، وركبنا دراجتَينا عائدَين إلى بيته، حيث جلسنا على العشب واستمعنا إلى تسجيلات موسيقية. كان ذلك رائعًا، لكنني وجدت نفسي مضطرًا إلى إنهائه، لأن شيئًا في داخلي قال لي إنني لست جديرًا بهذا، أو إنني لست قادرًا على أن أكون في مستوى ما يتوقّعه مني.

لذا، استلقيت في المرج أمام بيته مغمضًا عينيّ، وكنت مثل قطة على صفيح ساخن. استمعت إلى فرقة «توك توك» التي اكتشفناها في وقت واحد. كانوا يغنّون، «إنها حياتي»، وكان كل شيء رائعًا، أو ينبغي أن يكون رائعًا.. كان الوقت ربيعًا، وكنت في السادسة عشرة هاربًا من المدرسة أول مرة في حياتي كلّها. كنت مستلقيًا على العشب مع صديقي الجديد. لكن هذا لم يكن شيئًا عظيمًا، بل كان... كان شيئًا لا أستطيع احتماله.

لعله ظنني خشيت أن أتلقى توبيخًا لأنني هربت من المدرسة، وأن هذا ما جعلني أنهض لكي أذهب. كيف يستطيع إدراك أنني نهضت لأن ذلك كان جيدًا جدًا، أكثر مما أطيق؟ لأنه يعجبني كثيرًا جدًا؟

لعلنا بقينا خمس دقائق من غير أن يقول أحدًا منا شيئًا. لففت سيجارة حتى أملأ الصمت بشيء معتاد. نظر إليَّ. أخرج من جيب قميصه علبة سجائر من نوع برِنس مايند. وضع سيجارة في فمه.

قال لي: «ألديك قدّاحة؟».

ناولته قدّاحة بيك صفراء. أشعل السيجارة ونفث غيمة دخان ظلت بضع ثوانٍ معلّقة في الهواء أمامه قبل أن تتبدّد.

قال لي وهو يعيد القدّاحة: «كيف تسير الأمور بين أمك وأبيك؟». أخذت القدّاحة، وأشعلت سيجارتي، وسحقت علبة البيرة الفارغة بيدي الحرّة، ثم رميتها بين الحجارة عند الماء.

حلّ الغسق على الجزر التي أمامنا وكان غسقًا ثقيلًا في ذلك الطقس. كان البحر هادئًا، رمادي اللون. قعقعت علبة البيرة بين الحجارة في الأسفل.

قلت: «بخير، على ما أظن. يعيش أبي الآن في تفيت مع صديقته الجديدة. وأمي في فيستلاند. ستعود إلى البيت بعد بضعة أيام».

«ألا تزال تعيش هناك مع شقيقك؟».

«نعم».

ظهر زورق من خلف الرأس البحري. كانت الفتاة على الزورق ذات شعر أشقر طويل لامع على تلك الخلفية الرمادية. نهضنا وحملنا حقيبتَينا فلوحت لنا وصاحت بشيء، لكن صوتها وصل إلينا زقزقة خافتة عبر المسافة الفاصلة بيننا التي لا تقلّ عن مئة متر.

إنها سيف.

وضعنا حقيبتينا في الزورق، ثم جلسنا. وبعد عشر دقائق رسونا عند كوخها.

قالت لنا: «أنتما آخر الواصلين. أخيرًا، نستطيع أن نأكل».

كانت حنّة هناك. كانت تجلس إلى الطاولة ترتدي قميصًا أبيض وبنطلون جينز أزرق. لاحظت أن ضفيرة شعرها قد طالت.

ابتسمتْ. بها شيء من الحرج، لعلّ سببه الرسائل التي كتبتها إليها.

أكلنا الجمبري. شربت بيرة، فكان أثرها المسكر عليّ أكبر وأشدّ عمقًا من أي وقت سابق. لعل ذلك كان لأنني شربت كثيرًا في الأيام السابقة. لم يقتصر أثر البيرة على رأسي وعلى أفكاري، بل بدأ في أعماق جسدي ثم انتشر بطيئًا. أدركت أن الموجة الآتية سوف تدوم طويلًا.

وقد طالت الموجة. أخلينا غرفة المعيشة من أثاثها، ورقصنا بينما كان الليل يرخي سدوله فوق الجزر الصخرية. ثم خرجنا وسبحنا في الظلام.

سرت بخطوات حذرة فوق لوح الغطس، سماء سوداء من فوقي، وبحر أسود من تحتي. قفزت فأحسست أنني لن أصل الماء أبدًا. سقطت، وسقطت، وسقطت، ثم أحاط بي ماء بارد مالح إحاطة مفاجئة فلم أر شيئًا، صار كل ما حولي أسود اللون، لكن هذا ام يكن خطيرًا لأنني ضربت الماء بيدي بضع ضربات، فخرجت إلى السطح، ورأيت الآخرين واقفين على اليابسة، فبدو لي مثل أشجار شاحبة صغيرة في العتمة.

كانت حنّة في انتظاري حاملة منشفة وضعتها على كتفي. جلسنا في مكان مرتفع في سفح الجبل. وفي الأسفل، كانت بضع فتيات يسبحن عاريات.

قلت: «إنهنّ عاريات هناك».

قالت حنّة: «إنني أراهنّ».

«ألا تودّين الانضمام إليهنّ».

«أنا؟ لا! لا يمكن أن أفعل هذا أبدًا».

صمت.

نظرت إليّ. قالت: «أتريدني أن أسبح عارية؟».

«نعم».

قالت ضاحكة: «لقد ظننت هذا. وماذا عنك أنت؟».

أجبتها: «الماء بارد جدًا. سوف يختفي تمامًا».

«يختفي؟». قالت هذا وابتسمت لي.

قلت: «نعم، سيختفي».

قالت: «أنت فتى غريب».

حلّ صمت قصير آخر. نظرت إلى الجزر الصغيرة كلها. كان سوادها أكثر قليلًا من سواد السماء التي من فوقها. شريط من ضياء معلّق عند الأفق. أهو الفجر؟ لا يمكن أن يكون نهار جديد موشكًا على البدء منذ الآن.

قلت: «ما أروع الجلوس معك هنا! أحبك».

رشقتني بنظرة سريعة: «لست واثقة من هذا كل الثقة».

«كيف لا تكونين واثقة؟ لا أفكر أبدًا في أية فتاة غيرك. عندما كنت في فيستلاند -أوه، بالمناسبة، كان كل شيء رائعًا مع أنك لم تكوني موجودة هناك- كنت ممتلئًا بك، ممتلئًا بك. كنت ثملًا بك».

قالت: «أنت تشرب كثيرًا جدًا. ألا تستطيع الانتباه إلى هذا الأمر قليلًا؟... من أجلي!».

أجبتها: «أنا ثمل بك».

«أعرف هذا. لكني جادة. لا ضرورة لأن تشرب هذا الشرب كله، أليس هذا صحيحًا؟».

«هل أنت مسيحية جدًا؟ هل أنت سكرى بيسوع؟».

«لا. كفاك مزاحًا. أنا قلقة عليك قليلًا. هل هذه مشكلة؟».

«لا».

صمتنا من جديد. على لوحة الغطس، رأيت شخصَين يتصارعان. توقعت أن يكون باسن واحدًا منهما.

سقط الاثنان في الماء. صاح من كانوا يراقبونهما، ثم صفقوا.

ضوء منارة آتٍ من مكان بعيد. موسيقى صادحة من باب مفتوح في الكوخ الذي خلفنا.

قالت لي: «الحقيقة أنك لا تعرف أي شيء عني».

«أعرف ما فيه الكفاية».

«لا. ما تراه شيئًا آخر تمامًا. لست أنا من تراها».

قلت: «أنت مخطئة في هذا. أنت مخطئة تمامًا في هذا».

نظر كل منا إلى الآخر، ثم ابتسمت لي. قالت: «لا بأس. ألا ننضم الآن إلى الآخرين؟».

تنهّدتُ ونهضتُ واقفًا. قلت لها: «لكي أشرب قليلًا أيضًا... إن لم يكن لدي شيء آخر أفعله».

مددت يدي إليها وساعدتها في الوقوف.

قالت: «لقد وعدتني».

قلت: «لم أعدك بأي شيء. حنّة؟».
«ماذا؟».
«هل أستطيع أن أظل ممسكًا يدك هذه المسافة القصيرة إلى الكوخ؟».
«نعم».

ارتديت بنطلوني وسترتي ورقصتُ مع باسن على أغنية «لا تنسني» لفرقة سمبل *مايندز*، في حين كانت حنّة جالسة إلى الطاولة تتحدّث مع آنيت وتنظر إلينا.

وقفت إلى جانبها وسكبتُ فودكا في كأس، ثم أضفت إليها عصيرًا.

قالت لي: «أنت مثير جدًا عندما ترتدي سترتك».

نظرت إلى آنيت وسألتها: «هل ترين هذا أيضًا؟».

قالت: «لا. لا أرى هذا، بالطبع. أنتما الاثنان، ألن تتبادلا القبل عما قريب؟».

قلت: «ليس في هذه الحياة... هكذا يبدو الأمر».

قالت: «إذًا، هل سيحدث هذا في السماء».

أجبتها: «لكني غير مؤمن بالرب».

ضحكت حنّة فذهبتُ إلى باسن الذي كان يستعرض مجموعة التسجيلات.

«هل وجدت شيئًا؟».

قال: «حسنًا... لدينا هنا أسطوانات لفرقة ستينغ. لكن، عليَّ أن أنام قليلًا. أنا ذاهب غدًا إلى إنكلترا. لا أريد أن تفوتني السفينة».

قلت: «تستطيع النوم أثناء العودة بالزورق. لا يُعقل أن تذهب إلى الفراش منذ الآن».

ضحك باسن وقال: «لم لا؟ ستكون حرًا تمامًا عندما لا أظل واقفًا في طريقك».

«لا بأس. لقد غلبتَني. ليست لديَّ أية فرصة».

أخرج أسطوانة في غلافها الداخلي، ثم أمالها بزاوية حتى تنزلق منه. أمسك بها، إبهامه على حافتها وبقية أصابعه على اللصاقة في وسطها، ثم وضعها على الجهاز.

سألني: «كيف تسير الأمور بينكما، أنت وحنّة؟». قرّب ذراع البيكآب من حافة الأسطوانة ثم أدار الرافعة الصغيرة حتى تستقر الإبرة عليها.

أجبته: «لا تسير».

«بدوت لي سعيدًا جدًا هناك، على صخرتكما».

قلت: «هذا أقصى ما يبلغه الأمر».

وعندها، صدحت مكبرات الصوت بأغنية «إذا أحببت أحدًا، فأعطه حرّيته». وسرعان ما بدأ الجميع الرقص.

نمنا في الكوخ، لكني لم أغرق في النوم حتى وقت متأخر من الصباح. أطلت الوقت بعد ذلك إلى أقصى حد استطعته. أردته ألّا ينتهي؛ وأردت أن أكون هناك، في السعادة التي أحسستها. لكن سيف كان عليها أن تنقل الدفعة الأخيرة إلى اليابسة، فصعدت إلى القارب وجلست صامتًا في طريق عودتنا. اخترت لنفسي مقعدًا في آخر الباص، وضغطت بجبهتي على زجاج النافذة ناظرًا إلى مشاهد سورلاند المتتابعة أمامي، تلك المشاهد التي كانت تكتسب طابعًا حضريًا يزداد شيئًا بعد شيء، إلى أن بلغنا محطة الباصات، حيث صعدت إلى الباص الذي سيعيدني إلى البيت، إلى حيث يعيش أبي مع أوني.

أستخدم هذا الباص كل يوم منذ نحو ثلاث سنين؛ لكن تلك السنين بدت لي حياة كاملة. كنت أعرف كل منعطف، بل كل شجرة في الطريق. وكنت على معرفة بكثير من الناس الذين يصعدون إلى الباص وينزلون منه. كنا نتبادل التحية، نومئ برؤوسنا، مع أننا لم نتبادل أية كلمة طيلة تلك السنين.

لقد أمضيت على الجزيرة وقتًا طيبًا. ولعلّي لن أحظى بوقت طيب مثله بعد الآن أبدًا.

وأما من ناحية أخرى، فقد كانت تلك حفلة لصفّنا، لا أكثر. كانت حنّة هناك، معي.

كان كل منا مستلقيًا في كيس النوم الخاصّ به. رقدنا متواجهَين، ولعلنا بقينا نتهامس ساعة كاملة قبل أن نغفو. وأيضًا، كانت تحاول أن تهمس حتى وهي تضحك. عندما فعلت ذلك، قلت في نفسي إنني أستطيع أن أموت الآن، ولن يهمني هذا أبدًا.

قلت لها قبل أن نغفو: «ألا أستطيع أن أقبلك قبلة تصبحين على خير؟».

أجابت: «على خدي».

استندت إلى مرفقي، واقتربت بضعة سنتيمترات فأدارت لي خدها، أدارته لي قليلًا، قرّبت رأسي منها بحركة بطيئة، ثم غيّرت الاتجاه في اللحظة الأخيرة وطبعت على فمها قبلة رطبة.

ضحكت وقالت لي: «يا غشاش!».

قلت لها: «تصبحين على خير».

قالت: «تصبح على خير».

هكذا كان الأمر.

أنا واثق... هل يمكن أن تكون تلك الأمسية كلّها، وتلك الليلة كلها، من غير أي معنى أبدًا؟

لا بد أنها تحسّ شيئًا نحوي.

لا بد أنها تحسّ شيئًا.

لقد قالت لي مرات كثيرة إنها ليست واقعة في حبي. قالت لي إنني أعجبها، بل أعجبها كثيرًا. لكن، لا شيء أكثر من هذا.

سوف تغيّر مدرستها الآن وتذهب إلى ثانوية فوغسبيغد حيث تعيش.

على الأقل، سيحررني هذا من عذاب رؤيتها هنا كل يوم.

أعطى الباص إشارة تفيد بأنه ذاهب إلى كيفيك؛ وفي تلك اللحظة، هدر من فوقنا صوت طائرة على علوٍّ منخفض. حطت الطائرة على الأرض وزعقت على طول مدرج المطار وهي ماضية بسرعة جعلتنا نبدو كأننا ساكنون في مكاننا.

أنوار وامضة، وزئير محرك. إننا نعيش في المستقبل.

قد أصادفها في المدينة، من حين لآخر. ومن الممكن أن نتناول طعام الغداء معًا، وأن نذهب إلى السينما. من الممكن أن آخذها للسباحة معي في صباحات أيام السبت. وتدريجيًا ستدرك أنها تحبني. سوف تنهي العلاقة الأخرى، وتتألق عيناها وهي تقول لي إنه لم يعد يعترض طريقنا أي شيء. ثم ماذا؟

عندما نصير معًا، يزور أحدنا الآخر في الأمسيات، ونتبادل القبل، ونأكل البيتزا؟ نذهب إلى السينما مع أصدقائها؟

لم يكن هذا كافيًا.

لقد أردتها. لم أكن أريدها جزءًا من وجودي في المدرسة الثانوية، ولا صديقة لي في المدرسة الثانوية، فهي تعني لي أكثر من هذا. تمنيت أن أنتقل لكي أعيش معها. أريد أن أكون معها ليل نهار وأن أشاركها كل شيء. لا في المدينة حيث يظلّ من حولنا كل ما يجري هناك، بل على الجزر الصخرية الصغيرة، أو في الغابة، لا أهمية للمكان طالما أنه مكان نستطيع فيه أن نكون وحدنا.

أو في أوسلو. تلك مدينة كبيرة ليس فيها من يعرفنا.

عندها، أستطيع الذهاب للتسوق بعد عودتي من المحاضرات لأنني سوف أدرس هناك. أتسوق وأعدّ لها طعام العشاء، هناك، في شقتنا.

ثم من الممكن أن ننجب طفلًا.

توقف الباص أمام مبنى المطار الصغير، وصعد إليه رجل على رأسه قبعة وفي يده حقيبة صغيرة. دفع الأجرة وسار في ممر الباص وهو يصفر. جلس في المقعد الذي أمامي. رفعت ذراعي في الهواء مستاء. الباص خالٍ كله! فلماذا أتى وجلس هنا؟

فاحت منه رائحة كولونيا الحلاقة الحلوة. كانت على رقبته من الخلف شعرات خفيفة متناثرة. حلمتا أذنيه ثخينتان، حمراوان. إنه مزارع من بيركيلاند.

طفل؟!

لم أكن أريد طفلًا، ولم أكن أريد العمل من الثامنة إلى الرابعة. كانت هذه مصيدة عليَّ أن أبتعد عنها. لكن الأمر مع حنّة مختلف، إنه شيء آخر.

يا ربي... لا... بالطبع، لن نتزوج. وبالطبع، لن نعيش على الجزر الصغيرة. وبالطبع، لن ننجب أطفالًا.

ابتسمت. لعل هذه أكثر أفكاري جموحًا!

إلى الناحية الأخرى من مدرج المطار، خلف الطريق، يقع بيت يوغّه. رأيت نوافذ البيت مضاءة. انحنيت صوب النافذة لكي أرى إن كنت أستطيع أن ألمحه. ولكن يوغّه -إن كنت أعرفه جيدًا- سيكون الآن مستلقيًا على فراشه المائي، مصغيًا إلى أغاني بيتر غابرييل.

استيقظت صباح اليوم التالي على صوت المكنسة الكهربائية في الغرفة التي تحتي. لم أتحرك. توقّف صوت المكنسة الكهربائية، وصارت أصوات أخرى أكثر ظهورًا: قعقعة زجاجات، وهمهمة آلة غسل الأطباق، وماء منسكب في دلو. كانت لديهم حفلة عند وصولي. وكان آخر ما رأيته، قبل تسلّلي صاعدًا إلى غرفتي في الليلة الماضية، وجهه المشوّه ويدها التي وضعتها على كتفه. كانت تلك أول مرة أراه ثملًا، وأول مرة أراه يبكي. انفتح باب البيت بعد برهة، وسمعت صوت خطوات على الحصى في الخارج. ثم سمعت صوتَيهما تحت نافذتي تمامًا.

كان هناك مقعد أمامه طاولة اعتاد أبي أن يجلس إليها في الصيف، أن يجلس بطريقته الخاصة به، واضعًا ساقًا فوق ساق، حانيًا ظهره إلى الأمام قليلًا. تكون بين يديه صحيفة، وبين أصابعه سيجارة يتصاعد دخانها.

ضحكا. كان صوتها حاد النبرة. وكان صوته أكثر عمقًا.

نهضت من الفراش وسرت على أطراف أصابعي إلى أن بلغت النافذة.

غيوم خفيفة في السماء، ومن فوقها شمس خففت الغيوم سطوعها قليلًا. الهواء في الحديقة ساكن تمامًا، مرتعش.

فتحت النافذة.

كانا جالسين على المقعد في الأسفل، مستندين إلى الجدار. عيونهما مغمضة في وهج الشمس. مال الرأسان إلى الخلف ونظرا إليَّ معًا.

قال أبي: «والآن... أليس هذا خروفنا؟».

قالت أوني: «صباح الخير، أيها الطائر المبكر».

أجبتها: «صباح الخير». ثم أغلقتُ النافذة وأقفلتها. بدا صوتهما كأنه يحتضنني، فلم يعجبني هذا. كأننا الآن ثلاثة! هذا غير صحيح: هما الاثنان معًا، وأنا.

لكني كنت أقل إعجابًا بدور المراهق المتمرّد. ولم أكن أريد أبدًا إعطاءهما أي سبب للومي على أي شيء.

أكلت في المطبخ بضع شرائح من الخبز، وحرصت على ترتيب كل شيء بعد ذلك، فجمعت فتات الخبز الذي تساقط في الصحن وعلى الطاولة، ورميته في سلة القمامة التي تحت المجلى، ثم ذهبت إلى غرفتي وأخذت الووكمان وربطت حذائي وخرجت لرؤيتهما.

قلت لهما: «سوف أخرج في نزهة».

قال أبي: «انطلق! هل ستزور صديقًا لك؟».

لم أكن أعرف اسم أي واحد من أصدقائي، ولا حتى يان فيدار الذي هو صديقي منذ ثلاث سنين. لكنه كان الآن جالسًا إلى جانب أوني، وأراد أن يُظهر لها أنه أب جيد يعرف عادات ابنه.

أجبته: «نعم، على ما أظن».

«سأبدأ غدًا نقل حوائجي. وسيكون وجودك هنا مفيدًا، فقد أكون في حاجة إلى بعض العون من أجل حملها».

أجبته: «بالطبع. حسنًا، إلى اللقاء».

لم أكن ذاهبًا لزيارة أي صديق. يعمل يان فيدار في الصيف في واحد من مخابز المدينة. وكان باسن في طريقه إلى إنكلترا. وأظن أن بيير يعمل في مصنع لكي يجني بعض المال. ولم تكن عندي أية فكرة عما يفعله يوغّه. لكنه لم يكن أمرًا طبيعيًا بالنسبة إليّ، ولم يكن طبيعيًا في أي وقت

من الأوقات، أن أركب دراجتي من غير هدف محدّد، أو وجهة أذهب إليها. لكني أردت الآن أن أكون وحدي. وضعت السماعة على أذنيّ، وضغطت زر التشغيل، وتركت الموسيقى تغمرني، وسرت نازلًا في الطريق.

كان مشهد الطبيعة أمامي وديعًا، ساكنًا. بضع غيوم فوق التلال الواقعة على الناحية الأخرى من وادي النهر. غيوم ساكنة. سرت نازلًا في الطريق. المكان هادئًا هناك لأن بيتًا واحدًا فقط كان إلى جانب الطريق الممتد كيلومترًا كاملًا حتى المزرعة هناك. غابة وماء فقط.

أوراق الصنوبر الإبرية الخضراء تتألق لامعةً في ضياء الشمس. شبه ظلمة في الظلال، لكن الخفّة باديةٌ على الأشجار. هذا من فعل الصيف: لا تكتئب الأشجار ولا تنطوي على نفسها مثلما تفعل في الشتاء، لا، إنها تسمح للهواء الدافئ بالمرور عبرها، وتمدّ أعناقها في اتجاه الشمس مثلما يفعل كل حيٍّ آخر.

سرت في الدرب العتيقة عبر الغابة. لم أكن في هذا المكان إلّا مرتَين أو ثلاث مرات، مع أنه لا يعلو بيتنا بأكثر من نحو مئتَي متر. ثم إن ذلك كان في الشتاء فقط عندما تكون زلاجتاي معي. لا شيء يحدث هنا. مكان مهجور. لا يصعد أي من الأطفال في هذه الدرب. يحدث كل شيء هناك، في الأسفل، حيث يعيش الناس.

لو ترعرعت هنا، لكنت أعرف كل أجمة، وكل صخرة، مثلما كنت أعرف الطبيعة المحيطة ببيتنا في تيباكن. لكني لم أعش هنا إلا ثلاث سنين، ولم أمدّ جذوري هنا. لا يعني لي شيئًا كل ما هو موجود هنا، لا يعني لي شيئًا.

أوقفت الموسيقى، وعلّقت السماعة حول رقبتي. ومن فوقي، كانت زقزقة العصافير تملأ الهواء، حتى أحسست بأنني قادر على رؤيتها. ومن حين لآخر، أسمع خشخشة بين النباتات القصيرة إلى جانب الدرب. لا بد أن تكون هناك طيور أيضًا -هكذا خمّنت- لكني لم أرَ شيئًا.

كانت الدرب صاعدة صعودًا هينًا تحت ظلٍّ متصلٍ تلقيه أشجار مرتفعة من الجانبَين. وفي الأعلى بحيرة صغيرة، استلقيت على العشب غير بعيد

عنها. استلقيت على ظهري وحدّقت إلى السماء مستمعًا إلى الموسيقى، استمعت إلى أغنية «*ابقَ في النور*»، وفكرت في حنّة.

عليّ أن أكتب إليها رسالة أخرى. ينبغي أن تكون رسالة جيدة جدًا تجعلها غير قادرة في التفكير في أي شيء غيري.

اتضح أن حاجة أبي إلى مساعدتي في نقل حوائجه محدودة جدًا. حمل الصناديق كلّها بنفسه، ووضعها في الشاحنة المستأجرة الصغيرة البيضاء، التي قادها بعد ذلك صوب المدينة. لم يستدع الأمر أكثر من ثلاث رحلات. ولم يكن في حاجة إلى عوني إلا عند نقل الأثاث. صارت قطع الأثاث في الشاحنة، فأغلق أبوابها ونظر إليّ.

قال لي: «فلنبق على تواصل».

ثم وضع يده على كتفي. أبدًا لم يضع يده على كتفي من قبل.

اغرورقت عيناي، وأطرقت برأسي.

رفع يده وجلس في مقعد السائق. شغل المحرّك، وقاد السيارة نازلًا في الطريق بسرعة منخفضة.

هل يحبني؟ هل هذا معقول؟

مسحت عينيّ بكمّ قميصي الخفيف.

قلت في نفسي إن الأمر قد انتهى. لن أعيش معه بعد الآن. أتى القط من ناحية الغابة. كان رافعًا ذيله. توقّف عند الباب ونظر إليَّ بعينَيه الصفراوين.

قلت له: «هل تريد الدخول، يا ميفيستو؟ هل أنت جائع مثلي؟».

لم يجبني. دعك رأسه بساقي عندما ذهبت لكي أفتح الباب، ثم اندفع إلى طبقه ووقف عنده ينظر إليّ.

فتحت علبة جديدة من طعام القطط، وأفرغت كمية كبيرة في طبقه، ثم ذهبت إلى غرفة المعيشة حيث كان أثر واهن من عطر أمي لا يزال معلقًا في الهواء.

فتحت باب الشرفة ووقفت عند عتبته من الخارج. مع أن أشعّة الشمس غابت عن البيت، فإن الدفء لا يزال باقيًا.

ظهر بير صاعدًا في الطريق، ماشيًا يدفع دراجته إلى جانبه.

سرت حتى حافة المنحدر. صحت به: «هل كنت في العمل؟».

صاح مجيبًا: «أعمل حتى يتصبّب مني العرق. لست مثل بعض من أعرفهم ممن ينامون طيلة النهار».

«كم كسبت اليوم من أجل تقاعدك؟».

«أكثر مما ستكسبه في حياتك كلها».

رأيته يضحك ضحكة مكتومة. إنه من الناس الذين يضحكون تلك الضحكة؛ وقد كان أيضًا يبدو أكبر من سنه، دائمًا.

رفع يده بالتحية، ففعلت مثله، ثم عدت إلى الداخل.

لقد أخذ أبي اثنتَين من اللوحات المعلّقة على جدار غرفة المعيشة. أخذ نصف التسجيلات على ما أظن، وكذلك نصف الكتب. أخذ أوراقه كلها وطاولة مكتبه وتجهيزاته في المكتبة. أخذ الأريكة التي أمام التلفزيون، والكرسيَّين الجلديَّين ماركة سترسلس. أخذ نصف أدوات المطبخ. وبطبيعة الحال، أخذ ملابسه كلّها.

لكن البيت لم يكن له مظهر مكان سُلبت محتوياته.

رُن الهاتف في الغرفة التي في آخر الممر. أسرعت إليه.

قلت: «مرحبًا. أنا كارل أوفه».

«مرحبًا، إنغفه معك. ما الجديد؟».

«غادر بابا البيت قبل قليل مع آخر دفعة من حوائجه. سرعان ما ستأتي ماما. هذا يعني أنني الآن وحدي مع القط. أين أنت؟».

«لا أزال في بيت تروند. كنت أفكر في المجيء. الحقيقة أنني فكرت في المجيء غدًا، لكني قد آتي الليلة بما أن بابا قد ذهب».

«هل تستطيع المجيء؟ سيكون هذا عظيمًا».

«سوف أرى. سيكون على آرفيد أن ينقلني بسيارته. قد يكون لديه وقت لهذا. على أية حال، ربما أراكِ الليلة».

«رائع».

وضعت سماعة الهاتف ثم ذهبت لأرى ما في البراد من طعام.

عندما أتت أمي بسيارتها بعد ساعة من ذلك، كنت قد قليت بعض النقانق مع البطاطس والبصل، وقطّعت الخبز، وأخرجت الزبدة، وأعددت الطاولة. خرجت لاستقبالها. أدخلتِ السيارة إلى المرأب، ثم خرجت، فتمطّت واقفة على رؤوس أصابعها. وبعد ذلك دخلت وأغلقت الباب من خلفها.

كانت ترتدي بنطلونًا أبيض، وكنزة حمراء بلون الصدأ، وصندلًا. ابتسمت عندما رأتني. بدت لي مرهقة... نعم، لقد قادت السيارة طيلة النهار.

قالت لي: «مرحبًا. هل أنت وحدك هنا؟».

أجبتها: «وحدي».

«هل أمضيت وقتًا ممتعًا في الدانمارك؟».

«نعم. كان وقتًا عظيمًا. وماذا عنك؟ هل أمضيت وقتًا طيبًا في سوربوفاغ؟».

«نعم، كان وقتًا طيبًا هناك».

ملت عليها وعانقتها. سرت خلفها إلى المطبخ.

قالت لي: «هل أعددت طعامًا؟!».

ابتسمت لها وقلت: «اجلسي وأريحي قدمَيك. كنت تقودين السيارة طيلة اليوم. سوف أسخِّن الماء من أجل الشاي. لم أكن عارفًا متى تصلين على وجه التحديد».

قالت: «لا، بالطبع. كان عليَّ أن أتصل. قل لي إذًا، كيف كانت الأمور في الدانمارك؟».

«كانت رحلة جيدة حقًا. لديهم ملاعب رائعة. لعبت مباراتَين اثنتَين. وفي

آخر ليلة لنا هناك، ذهبنا وسهرنا في الخارج. لكن حفلة الصف كانت ممتعة أكثر. كانت حفلة عظيمة جدًا».

سألتني أمي: «هل كانت حنّة هناك؟».

«نعم. ذلك هو الشيء العظيم».

ابتسمت أمي. وأنا، ابتسمت أيضًا. ثم رُن جرس الهاتف. ذهبتُ إليه.

« بابا معك».

قلت: «مرحبًا».

«هل ماما في البيت الآن؟».

«إنها في البيت. هل تريد أن تكلّمها؟».

«لا. في أي شيء أكلمها؟ لا ندري إن كنت تحب أن تزورنا يوم الاثنين. لدينا حفلة صغيرة لإشاعة الدفء في البيت».

«أحب هذا. متى؟».

«في الساعة السادسة. هل سمعت شيئًا من إنغفه؟».

«لا. أظنه في ترومويا».

«إذا اتصل بك، فقل له إنه مدعو أيضًا».

«حسنًا، سأقول له هذا».

«جيد. إلى اللقاء».

«إلى اللقاء».

كيف يمكن أن يكون صوته الآن باردًا هذه البرودة كلّها، مع أنه وضع يده على كتفي قبل بضع ساعات فقط؟

عدت إلى المطبخ، إلى حيث كانت أمي تسكب الماء الحار في إبريق الشاي.

قلت لها: «إنه بابا».

«أوه».

«دعاني إلى العشاء».

«أمر لطيف، أليس كذلك؟».

«هل اتصلَ بكِ خلال الصيف؟».

قالت وهي تضع إبريق الشاي على الطاولة، ثم تجلس: «لا. اتصلَ محاميه فقط».

«وماذا قال المحامي؟».

«حسنًا... كان الكلام كلّه على كيفيّة اقتسام البيت. لم نستطع التوصّل إلى اتفاق، لكنك لست مضطرًا إلى أن تشغل ذهنك بهذا الأمر».

«لست مضطرًا؟ أستطيع أن أشغل ذهني إن أردت ذلك، ألا أستطيع؟».

قلت هذا ووضعت الملعقة الخشبية في المقلاة، ثم سكبت قسمًا من النقانق والبطاطس والبصل في طبق.

قالت أمي: «لست مضطرًا إلى اتخاذ هذا الجانب أو ذاك. أظن أن هذا ما أردت قوله».

قلت: «لقد اتخذت جانبًا منذ سنين. اتخذت جانبك عندما كنت في السابعة. يعني هذا أن ما من شيء جديد، أو ما من مشكلة الآن».

غرست شوكتي في قطعة نقانق تجعّدت بفعل الحرارة، ثم وضعتها في فمي وغرست فيها أسناني.

«ولكن، إن جرت الأمور مثلما يبدو لي الآن أنها ستجري، فلن يكون لدينا مال كثير في المستقبل. بالطبع، سوف تتلقّى مصروفك من والدك. إنه مالك، وتستطيع إنفاقه كيفما شئت، على ما أظن. ولكن، إذا وجدت نفسي مضطرة إلى شراء حصة أبيك من هذا البيت، فسوف أعاني صعوبات من الناحية المالية».

قلت لها: «لا أهمية لهذا. إنها مسألة مال فقط. الحياة ليست كلّها مالًا».

«هذا صحيح». ابتسمت لي: «أمر حسن أن يكون لديك هذا الموقف».

وصل إنغفه وآرفيد قرابة الساعة العاشرة. لم يدخل آرفيد. اكتفى بأن مدَّ رأسه من الباب وألقى التحية قبل أن ينصرف، في حين جرَّ إنغفه حقيبته ومعها كيس كبير، فوضعهما في غرفته التي لم يستخدمها إلا نادرًا على امتداد السنوات الثلاث التي عشناها هنا.

قلت عندما عاد إلى الطابق السفلي: «أنت لست مسافرًا غدًا، أليس هذا صحيحًا؟».

قال: «لا، لن أسافر غدًا. تقلع طائرتي بعد غد. لست واثقًا من سفري. ربما تقلع بعد غد لأن حجزي لا يزال على قائمة الانتظار».

دخلنا غرفة المعيشة. جلست على الكرسي الهزاز، وجلس إنغفه على الأريكة، إلى جانب أمّنا. كان خفاشان يطيران في الخارج جيئة وذهابًا، يختفيان تمامًا في ظلمة الجبال خلف النهر، ثم يظهران من جديد على خلفية السماء الأقل ظلمة. صب إنغفه قهوة من الترمس.

قلت: «نعم، أظن أن وقت تبادل الأخبار قد حان».

على امتداد طفولتنا كلّها، كنا نجلس ونتحدّث معًا، نحن الثلاثة. هكذا كان الأمر، لكن الآن هذه أول مرة نفعل فيها ذلك من غير أن يكون أبي من سكان البيت نفسه. كان الاختلاف كبيرًا جدًا. معرفة أنه لم يعد قادرًا على الدخول علينا في أية لحظة، ولم يعد حضوره يستطيع إجبارنا على التفكير في ما نقوله أو نفعله، لقد غير هذا كل شيء.

في ذلك الوقت، كنا نتحدّث عن كل شيء تحت الشمس، لكننا لا نقول أية كلمة عن أبي. كان هذا أشبه بقاعدة مضمرة خفية.

أمر لم أفكر فيه قبل الآن.

لكننا لا نستطيع الكلام عنه الآن، هذا شيء غير وارد أبدًا.

لماذا؟

لعل هذا شيء له علاقة بالولاء. لعلّه خوف من أن يسمعنا. لكني لم أقل لهم شيئًا عن هذا، بصرف النظر عما جرى خلال النهار، وبصرف النظر عن شدة اضطرابي الآن. أن أقوله لإنغفه وحده... نعم، هذا أمر وارد. لكن ليس عندما نكون ثلاثتنا معًا.

وبعد ذلك، بدا لي كأن سدًا قد انهار. على غير انتظار، تدفّق كل شيء في قناة واحدة، في وادٍ واحد سرعان ما امتلأ حتى استبعد أي شيء آخر.

بدأ إنغفه كلامه عن نفسه؛ ثم لم يمض وقت طويل قبل أن نندفع

مستعرضين حادثة تلو حادثة. أخبرنا إنغفه عن تلك المرة عندما جرى افتتاح سوبرماركت «بي - ماكس»، فأرسله أبي حاملًا قائمة تسوّق ومبلغًا من المال وزوّده بتعليمات صارمة مفادها أن يجلب إيصالًا بالمشتريات. فعل إنغفه هذا، لكن المال الذي عاد به لم يطابق ما جاء في الإيصال، فدفعه أبونا إلى القبو حيث ضربه. أخبرنا إنغفه عما حدث عندما انثقب إطار دراجته فتلقى ضربًا شديدًا. وأما من ناحيتي، فلم يضربني أبي أبدًا مثلما كان يضرب إنغفه. لسبب من الأسباب، كان إنغفه يتلقّى منه معاملة أشد سوءًا. لكني تحدثت عن المرات التي صفعني فيها أبي، وعن حبسه لي في القبو. كانت الفكرة نفسها تتكرّر في هذه القصص كلّها: يثور غضبه دائمًا بفعل تفصيل صغير تافه، بفعل شيء قليل الأهمية إلى أقصى حد. وهذا ما كان يجعل الوضع كله مضحكًا. على الأقل، ضحكنا عندما روينا هذه القصص. في إحدى المرات، نسيت زوج القفازات في الباص، فصفعني أبي على وجهي عندما اكتشف الأمر. استندت إلى الطاولة المتهالكة في الصالة فسقطتْ على الأرض. جاء أبي وضربني. كان أمرًا سخيفًا بكل ما في الكلمة من معنى! قلت إنني كنت أعيش في خوف دائم منه. وقال إنغفه إن لأبينا سيطرة عليه وعلى أفكاره، حتى الآن.

لم تقل أمي شيئًا. جلست واستمعت، وكانت تنظر إليّ وإلى إنغفه. وأحيانًا، كانت عيناها تفقدان كل تعبير. لقد سمعت عن معظم هذه الحوادث في ما مضى. لكن، لعل استعراضها كلها الآن قد أثقل عليها كثيرًا.

قالت بعد حين: «إن لديه فوضى شديدة في داخله. فوضى أكبر مما ظننت. كنت أراه غاضبًا، بالطبع. لم أره يضربكما. لم يكن يفعل هذا أبدًا في حضوري. وأنتما ما كنتما تقولان شيئًا. كنت أحاول تعويضكما عن نوبات غضبه. كنت أحاول أن أقدّم إليكما شيئًا آخر...».

قلت لها: «هوّني عليك، يا ماما. لقد تجاوزنا هذا كله. هذا حدث في الماضي، لا الآن».

قالت: «كنا نتحدث كثيرًا، دائمًا، أليس كذلك؟ وقد كان يحب السيطرة.

لقد كان هكذا... كثيرًا. ولكن، كان لديه قدر من الإدراك لهذه المشكلة التي فيه. لقد أوضح ذلك لي. لذا... حسنًا، كنت أرى الأمور دائمًا من زاويته، أرى ما يحدث من وجهة نظره. كان يقول لي إن تواصله معكما قليل جدًا، وإن وقوفي بينه وبينكما هو السبب في ذلك. بطريقة من الطرق، كان ما قاله صحيحًا. أنتما تفزعان إليّ دائمًا. وأنتما تخرجان من البيت عندما يكون موجودًا. هذا ما جعل ضميري غير مرتاح».

قال لها إنغفه: «ما حدث حدث وانتهى. ولا بأس في هذا. لكن ما أجده مشكلة هو أنني، عندما انتقلتم للعيش هنا، بقيت متروكًا وحدي لكي أتدبر أموري بنفسي. لم تقدّما لي العون. كنت في السابعة عشرة، في المدرسة الثانوية، ولم يكن لديَّ مال أبدًا».

استنشقت أمي نفسًا عميقًا وقالت: «أعرف هذا. لقد كنت مخلصة له دائمًا. ما كان ينبغي لي هذا. كانت تلك غلطتي. كانت غلطة كبيرة».

قلت: «هيا... لقد انتهى الأمر، انتهى كلّه. ما من أحد الآن غيرنا».

أشعلت أمي سيجارة. نظرت إلى إنغفه وسألته: «إذًا، ماذا نفعل غدًا؟».

رفع إنغفه كتفيه وقال لي: «ماذا تحب أن نفعل؟».

سألته: «ما رأيك في أن نذهب للسباحة؟».

«أو يمكن أن نذهب إلى المدينة. سنمرّ على بعض متاجر التسجيلات، وبعض المقاهي، فما رأيك؟».

التفت إلى أمي: «هل أستطيع استعارة سيارتك؟».

«نعم، تستطيع».

ذهبت أمي إلى فراشها بعد نصف ساعة من ذلك. كنت مدركًا أنها لا تفكر الآن في شيء غير ما كنا نقوله، وأنها سوف تستلقي في سريرها صاحية وتفكّر في ذلك كلّه. لم أرد أن يكون شعورها هكذا، أن يعذّبها ما سمعَته اليوم منا. هي لا تستحق هذا. لكني لم أكن قادرًا على فعل شيء.

عندما سمعنا صرير سقف غرفة الجلوس الواقعة في الناحية الأخرى من البيت، نظر إنغفه إليَّ وقال: «ألا نخرج وندخن؟».

أومأت برأسي.

سرنا في الممر بخطوات خفيفة، انتعل كل منا حذاءه وارتدى سترته، ثم خرجنا إلى الجهة المقابلة من البيت حتى نكون بعيدَين عن غرفة أمي.

نظرت إلى لهب قداحته المتراقص أمام وجهه، إلى توهج السيجارة الذي ظهر عندما انطفأت القداحة. قلت له: «متى ستخبرها بأنك تدخن؟».

سمعته ينفث الدخان من فمه.

«ومتى تخبرها أنت؟».

«أنا في السادسة عشرة. ليس مسموحًا لي أن أدخن. لكنك صرت في العشرين».

«لا بأس، لا بأس».

أغضبني سؤاله، فسرت في الحديقة بضع خطوات. عبق ثقيل آتٍ من الشجيرة الكبيرة ذات الأزهار البيضاء عند نهاية حوض البطاطس. ما اسم هذه الشجيرة؟ لقد نسيت!

كانت ظلمة السماء خفيفة، وكانت الغابة خلف النهر سوداء اللون.

قال إنغفه: «هل رأيت بابا وماما يتعانقان، ولو مرة واحدة؟».

سرت عائدًا إليه.

قلت: «لا. لا أتذكّر أنني رأيت هذا. أرأيته أنت؟».

صرت قبالته، فأومأ برأسه في الظلمة الخفيفة.

«مرة واحدة. كان ذلك في هوفه. وهذا يعني أنني كنت في الخامسة. كان بابا يصرخ على ماما صراخًا شديدًا، فانفجرت باكية. كانت واقفة في المطبخ تبكي. ذهب إلى غرفة المعيشة، ثم عاد وأحاطها بذراعَيه حتى يهدّئها. إنها المرة الوحيدة التي أستطيع تذكرها».

بدأت أبكي. لكن كنا في الظلمة، ولم أصدر أي صوت. لم يلاحظ إنغفه دموعي.

ذهبت باحثًا عن أمي قبل أن ننطلق إلى المدينة. كانت تتجوّل في الحديقة

وقد وضعت في يديها زوج قفازات ضخمًا. كانت تشذّب أطراف أحواض الزهور بمقص التقليم.

سألتها: «ألا تعطيني بعض المال؟ أنفقت في الدانمارك كل ما كان معي».

قالت: «سأرى مقدار ما معي من نقود». ثم دخلت لكي تحضر حقيبة يدها. سرت خلفها.

قالت لي: «هذه خمسون. هل تكفيك؟». أخرجت الورقة النقدية الخضراء من محفظة النقود.

«أليست لديك مئة؟ كنت أفكر في شراء أسطوانة أو اثنتَين».

أحصت القطع النقدية المعدنية. «عشرون. هذا كل ما لديَّ، للأسف».

قلت: «إذًا، ينبغي أن تكون كافية». عدت إلى السيارة التي كانت تنتظر في المدخل المرصوف بالحصى. جلست إلى جانب إنغفه. لقد وضع نظارة «راي - بان» على عينَيه.

أشرت إلى النظارة، وقلت له: «سوف أشتري لنفسي نظارة مثلها عندما أحصل على المال».

انطلقت السيارة في الطريق المنحدرة.

قال إنغفه: «اشترِ النظارة عندما تتلقى قرضك الدراسي الأول».

«لن يحدث هذا قبل سنتَين».

«إذًا، عليك أن تحصل على عمل: تكويم الألواح الخشبية في مصنع بوين، أو أي شيء تفعله هناك».

قلت: «أفكر في كتابة مراجعات للتسجيلات الموسيقية، وفي إجراء مقابلات مع الفرق، وأشياء من هذا القبيل».

قال: «أوه! تبدو هذه فكرة حسنة. لصالح أية صحيفة؟».

«نيو سورلاند».

سرنا في الطريق الضيقة تحت الأشجار الوارفة. مررنا بالبيوت البيضاء القديمة، وكان النهر لامعًا من تحتنا. التفت إليه عندما بلغنا الشلال ورأيت بضعة أشخاص مستلقين على الجرف إلى جانبه. قلت: «فلنذهب للسباحة بعد ذلك. لدينا وقت كافٍ للأمرَين».

قال: «هذا ممكن. هل تسبح في هامريساندن؟».

«نعم».

«هل يبيعون الآيس كريم هناك؟».

«بالطبع، يبيعون الآيس كريم. يمكن أيضًا أن يكون لديهم آيس كريم من النوع الطري».

أخذت إنغفه إلى بلاتيبيرشن، متجر التسجيلات الواقع في بورصة المدينة القديمة. استمتعت بهذا الوضع كثيرًا لأنني صرت الآن الشخص الذي يعرف مكان كل شيء، ويعرف أين يعثر على ما هو جيد.

اختار إنغفه أسطوانة وقال لي: «هل لديك هذه الأسطوانة؟».

«لا. ما هي؟».

«إنها ألبوم *ذا* بلارد كروسيد لفرقة تشيرتش. عليك أن تشتريها».

«لا بأس. سوف آخذها».

بقي لديَّ مال كافٍ لشراء واحدة من الأسطوانات المعروضة بسعر مخفّض فاخترت ألبوم «*77*» لفرقة توكينغ هيدز. كان إنغفه مضطرًا إلى الانتظار ريثما يستلم قرضه الدراسي قبل أن يشتري أية تسجيلات جديدة.

جلسنا في مقهى قريب من المكتبة العامة، ودخّنا وشربنا القهوة. تمنّيت أن يمر أحد ممن أعرفهم -أي شخص- حتى لا يظن إنغفه أنني من غير أصدقاء في هذه المدينة، وحتى يراني أشخاص أعرفهم جالسًا هنا مع إنغفه.

الظاهر أن ما من أحد في المدينة اليوم!

قال إنغفه: «من أين اشترت ماما الأسطوانات في عيد الميلاد؟ هل تتذكّر هذا؟».

في عيد الميلاد، أهدت أمي إنغفه الألبوم الأول لفرقة «*ذا ذا*»، وأهدتني «سكريبت *أوف ذا* بريدج» لفرقة كاميليونز. لم أسمع بفرقة كاميليونز قبل ذلك، لكنني وجدتها رائعة إلى أقصى حد. وكان إنغفه معجبًا بفرقة «*ذا ذا*». لم يستطع فهم كيف استطاعت أمي فعل هذا. لا يكاد يوجد في المدينة كلها من يتابع مشهد موسيقى البوب أكثر مني ومن إنغفه. قالت لنا إنها ذهبت

إلى متجر لبيع التسجيلات حيث وصفت إنغفه، ثم وصفتني، فأعطاها البائع هاتَين الأسطوانتَين.

سألتها أن تدلّني على المتجر الذي ذهبت إليه. انتهت عطلة عيد الميلاد فتوجّهت إلى ذلك المتجر. وجدت هارالد هيمبل واقفًا خلف طاولة البيع. الآن فهمت. إنه يعزف مع فرقتَي *«ليلي»* و«جيكولوز». إذا كان في الموسيقى شيء لا يعرفه هارالد، فإنه شيء لا يستحق المعرفة.

قلت لإنغفه: «إنه في بوابة درولينغز. هل تحب أن نذهب إليه؟».

«فلنقم بجولة صغيرة؟».

بعد أن جلسنا في السيارة وانطلقنا مبتعدين عن آخر متجر زرناه، أشرت إلى بناية في كتلة سكنية أمامنا.

«هذه صحيفة نيو سولارند. الصحيفة التي حدثتك عنها».

نظر إنغفه إلى مقر الصحيفة وقال: «تبدو صحيفة صغيرة».

«لا بأس، إنها ثاني أكبر صحيفة هنا. مثل صحيفة تيدن في أرندال، تقريبًا».

جالت عيناي في منطقة ألفيغاتن حيث يعيش أبي الآن، فقد أستطيع رؤيته. لكني لم أره.

قلت: «في رأيك، أيهما أفضل: كتابة طلب للعمل في الصحيفة أم الذهاب والتحدّث معهم؟».

«اذهب وتحدث معهم».

«جيد. سوف أفعل هذا».

«بالمناسبة، هل سمعت أن فرقة سمبل مايندز آتية إلى صالة درامينشالن؟».

«هل هذا صحيح؟».

«إنه صحيح. لن يأتوا قريبًا، لكن بيع البطاقات سيبدأ قبل مجيئهم. عليك أن تذهب لكي تراهم».

«سأذهب. وأنت؟».

«المسافة بعيدة جدًا بالنسبة إليّ، وهذا مكلف كثيرًا. وأما أنت، فلن تكون في حاجة إلا إلى السفر بالقطار».

«حسنًا». قلت هذا واستندت إلى الخلف في مقعدي. وأثناء سيرنا، حاولت تخيّل كيف يكون المكان هنا من غير طريق، ومن غير تجمّعات سكنية، مثلما كان ذات يوم. خلجان وتجاويف لم يمسّها أحد، وغابات كبيرة قد يكون السير فيها مستحيلًا. الشاطئ عند هامريساندن ليس أكثر من شريط من الرمل على امتداد ضفة النهر ومصبّه البحري. لا خيام، ولا أكواخ، ولا بيوت متنقلة، ولا أكشاك، ولا بشر. لا متاجر، ولا محطات وقود، ولا بيوت، ولا كنيسة... لا شيء. غابة وجبل وشاطئ وبحر فقط!

كانت صورة يصعب تخيّلها.

قال إنغفه: «ما رأيك في أن نصرف النظر عن الذهاب إلى هامريساندن؟ أظن بأن ماما قد أعدت طعام العشاء».

أجبته: «لا بأس. على أية حال، أنا راغب في الاستماع إلى أسطوانة فرق تشيرتش».

لم أكن شخصًا يحزن عند رحيل الناس مثلما تحزن أمي دائمًا، إلّا عندما يرحل إنغفه. وحتى هذا لم يكن حزنًا، فما من مشاعر قوية فيه. يحلّ علي نوع من الكآبة فحسب.

لذا، لم أرافق أمي عندما أخذت إنغفه بسيارتها إلى كيبفيك، بل أخذت دراجتي وذهبت لرؤية يان فيدار، ثم ذهبت معه إلى النهر حيث سبحنا وبقينا ساعة هناك. اجتزنا الشلالات سباحة، ثم انزلقنا نازلَيْن على الطحالب الكثيفة الزلقة إلى أن سقطنا في تيار الماء في الأسفل، الذي كان تيارًا سريعًا تصعب مقاومته، ولا يستطيع المرء فعل شيء غير أن يترك الماء يحمله معه مسافة، ثم يضرب الماء بذراعيه بضع ضربات حتى يوجه نفسه صوب الضفة.

استلقينا بعد السباحة على صخرة، وبسط كل منا ذراعَيه على جانبَيه حتى

يجف في الشمس. حذاءانا الرياضيان إلى جانبَينا، ونظارة يان فيدار المطوية موضوعة على حذائه.

في هذا اليوم تحديدًا، كانت غون وميريت هناك أيضًا. كانتا مستلقيتَين على صخرة عارية وسط الشلالات، كلتاهما بالبيكيني. استثارنا وجودهما هناك، وأسرعت نبضات قلبَيْنا حتى بلغت السماء، مع أننا بقينا مستلقيين في مكاننا، هادئين. كان أثرًا مخالفًا للطبيعة. على الأقل، هكذا أحسسته.

كانت ميريت ترتدي بيكيني أحمر اللون.

كانت أصغر منا بسنتَين. لا تزال في الصف الثامن. على وشك أن تنتقل إلى الصف التاسع. لكن، ما أهمية هذا؟ لم أكن قادرًا على الخروج معها. لكن، ما أهمية هذا بالنسبة إلى جسدي؟

أوه، كم كان مضنيًا استلقائي هناك واستراقي النظر إليها. رؤية فخذَيها المنفرجتَين وهي مستلقية على الصخرة، ورؤية المساحة الصغيرة بين فخذَيها، القماش الأحمر ملتصق بها، هناك تمامًا. وأيضًا، آه، نعم، ثدياها.

وعندما نهضنا واقفَين، تمنينا أن تريانا، فلعلّهما تفكّران مثلما فكّرنا. لكنهما كانتا غير مباليتَين بشيء على الإطلاق، غير مباليتَين إلى الحد الذي نكون عنده، نحن يان فيدار وكارل أوفه، غير كافيَين في نظرهما.

تسلّقنا الشلال الذي فوقهما، وسبحنا مع التيار الذي حملنا إلى الأسفل، إلى الشلالات الصغيرة، ثم إلى مجرى النهر العريض من خلفها.

لن تنظرا في اتجاهنا.

لكننا اعتدنا هذا. حتى الآن، أمضينا ثلاثة أصياف مثل هذا الصيف. تألمت في داخلي، وأظن بأن يان فيدار تألّم في داخله أيضًا. على الأقل، كان مثلي، كان يتلوى على الصخرة حيث استلقينا.

لم نعد قادرين على أن يقول واحدنا للآخر إن فرصتنا ستأتي، لأننا لم نعد مؤمنَين بأنها ستأتي.

لماذا أفسدوا عليّ تلك الفرصة في الدانمارك؟ كم كانت لعبتهم قذرة يومها! لم يجنوا منها إلا بضع ضحكات إضافية. لكن ما أفسدوه عليّ كان يعني كل شيء.

أخبرت يان فيدار بما جرى، فضحك وقال: «لقد ابتسم لك الحظ. فكيف استطعت أن تكون غبيًا إلى حد إخبار بيورن ويوغّه؟».

قلت: «سار كل شيء مثلما خطّطت له، مثلما خططت له تمامًا! كان كل شيء عظيمًا! ومن ثم... لا شيء».

«هل كانت مليحة؟».

«طبعًا، كانت مليحة. الحقيقة أنها كانت جميلة جدًا».

«هل هي أجمل من حنّة؟».

«لا، لا، لا تقارن. إنهما كالتفاح والإجّاص».

«ماذا؟».

«من المستحيل أن تقارن بين حنّة وفتاة دانماركية وددت أن أضاجعها. لا بد أنك قادر على فهم هذا؟».

«وماذا ستفعل مع حنّة؟».

«حسنًا... على سبيل البداية، لا أقبل الحديث عنها بهذه الطريقة».

ابتسم، ثم أغمض عينيه.

ذهبت إلى بيت أبي بعد ظهر اليوم التالي. ارتديت قميصًا أبيض وبنطلونًا قطنيًا أسود، ومعهما حذاء كرة السلة الأبيض. وحتى لا أحس بنفسي عاريًا تمامًا، مثلما يحدث عندما أرتدي القميص وحده، أخذت سترتي معي، فوضعتها على كتفي شابكًا إصبعي بمكان التعليق عند ياقتها وكأن حرارة الطقس تجعلني غير قادر على ارتدائها.

قفزت من الباص بعد جسر لوندزبرو، وسرت متمهلًا في الشارع الصيفي المهجور الناعس، حتى بلغت البيت الذي استأجره أبي، البيت الذي أقمت فيه ذلك الشتاء.

وعندما وصلت، وجدته في الحديقة الخلفية يسكب سائل الإشعال على فحم وضعه على المشواة. صدر عارٍ، وسروال سباحة أزرق اللون. قدماه في حذاء رياضي متّسخ من غير رباط. من جديد، كانت هذه الهيئة لا تشبه أبي.

قال لي: «مرحبًا».
قلت: «مرحبًا».
«اجلس». قال هذا مشيرًا برأسه صوب مقعد عند الجدار.
كانت نافذة المطبخ مفتوحة. أتى من الداخل صوت قعقعة القدور والأوعية الزجاجية.
قال لي: «أوني منشغلة في الداخل. سوف تكون هنا بعد قليل».
كانت عيناه زجاجيتَين.
تقدّم مقتربًا مني، وأخذ القداحة عن الطاولة، ثم أشعل الفحم. شعلة لهب واطئة تكاد تكون شفافة، زرقاء في الأسفل، وردية داخل المشواة. لم يبد لي أن لها أي اتصال بالفحم. كانت كأنها سابحة فوقه.
«هل لديك أخبار عن إنغفه؟».
قلت: «نعم. لقد عرّج علينا قليلًا قبل سفره إلى بيرغن».
قال أبي: «لماذا لم يأت إلينا».
«قال إنه يحب أن يأتي حتى يرى كيف تعيشان هنا. لكن وقته كان ضيقًا».
حدّق أبي في النار التي كانت قد انخفضت شدّتها. ثم استدار وأتى في اتجاهي. جلس على كرسي الرحلات. أخرج كأسًا وزجاجة نبيذ أحمر؛ لست أدري من أين أخرجهما؛ لا بد أنهما كانتا على الأرض، إلى جوار الكرسي.
قال: «كنت اليوم أسترخي مع قطرة نبيذ. ففي آخر المطاف، نحن في فصل الصيف كما تعرف».
قلت: «صحيح».
قال لي: «أمك لم تكن تحب ذلك».
قلت: «أوه».
قال: «لا، لا، لا. ترى أن ذلك لم يكن حسنًا».
قلت: «لم يكن حسنًا!».
«صحيح». أفرغ الكأس بجرعة واحدة، وقال: «كان غونار هنا. كان

مكتبة
t.me/soramnqraa

يتجسّس علينا وبعد ذلك، ذهب مباشرة إلى جدك وجدتك وأخبرهما بما رآه عندنا».

قلت: «أنا واثق من أنه جاء لرؤيتكما فقط».

لم يجبني أبي. ملأ الكأس من جديد.

صاح: «هل أنت آتية، يا أوني؟ إن لدينا ابني هنا».

سمعنا صوتها من الداخل: «حسنًا، أنا قادمة».

كرر أبي ما قاله: «لا، كان يتجسّس. ثم ذهب بالأخبار لكي يكتسب حظوة لدى جدك وجدتك».

جلس محدّقًا في الفراغ؛ كأسه مستقرة في يده.

أدار رأسه في اتجاهي: «ألا تحب أن تشرب شيئًا؟ كوكا كولا؟ أظن أن لدينا كوكا كولا في البراد. اذهب واسأل أوني».

نهضت واقفًا. أسعدني أن أبتعد عنه.

كان غونار رجلًا منطقيًا، مهذبًا، حسن الطباع من كل ناحية. هكذا كان دائمًا، ولا شك عندي في هذا أبدًا. فلماذا بدأ أبي يغتابه فجأة؟ من أين أتى هذا؟

بعد الضياء الشديد في الحديقة، لم أستطع أول الأمر رؤية يديَّ أمام وجهي عندما دخلت إلى المطبخ. وضعت أوني فرشاة غسل الأطباق من يدها عندما دخلت، ثم أتت إليَّ وعانقتني.

ابتسمت وقالت: «تسعدني رؤيتك من جديد، يا كارل أوفه».

ابتسمت لها. كانت أوني شخصية دافئة. وفي كل مرة ألتقيها، كنت أراها سعيدة، بل تكاد تتوهّج سعادة. كانت تعاملني كأنها تعامل شخصًا راشدًا. وبدا عليها أنها تود أن تكون قريبة مني. أعجبني هذا، ولم يعجبني.

قلت لها: «وأنا سعيد بلقائك أيضًا. قال بابا إن لديكم كوكا كولا في البراد». فتحت باب البراد وتناولت زجاجة. جفّفت أوني كأسًا ثم ناولتني إياها.

قالت: «أبوك رجل جيد. لكنك تعرف هذا، ألا تعرفه؟».

لم أجبها. اكتفيت بابتسامة. وعندما صرت متأكدًا من أنها لم تفسر صمتي على أنه رفض لما قالته، عدت إلى الحديقة.

أبي لا يزال جالسًا هناك.

سألني وهو مستمر في النظر في الفراغ: «ماذا تقول ماما؟».

أجبته: «عن ماذا؟»، ثم جلست وفتحت غطاء زجاجة الكوكا كولا وملأت الكأس إلى حافتها، فصار عليَّ أن أحملها بعيدًا عن جسمي حتى تفور وتنسكب الرغوة على الأرض الحجرية.

لكن أبي لم ينتبه إلى شيء من هذا.

قال لي: «ممم... عن الطلاق».

قلت: «لم تقل شيئًا مهمًا».

قال: «أظنني أنا الوحش. هل جلستم معًا وتحدثتم في هذا؟».

«لا، على الإطلاق. أقسم لك».

حلّت فترة صمت.

كانت أجزاء من الغابة مرئية من فوق السياج الخشبي الأبيض، أجزاء مخضرّة في ضياء الشمس الساطع، وكذلك سقوف البيوت الواقعة إلى الناحية الأخرى. أشجار في كل مكان. هذه الكائنات الجميلة الخضراء التي لا ينتبه إليها المرء انتباهًا حقيقيًا، بل يمر بها مرورًا. يلاحظ وجودها، لكنها لا تترك في نفسه أثرًا كبيرًا مثلما تفعل الكلاب والقطط. إلا أنها تكون حاضرة، في حقيقة الأمر، وإذا فكّر المرء في هذا قليلًا، تكون حاضرة بطريقة أكثر إبهارًا وأكثر قوة.

كانت ألسنة اللهب في المشواة قد اختفت تمامًا. توهّج بعض قطع الفحم بلون برتقالي؛ وتحوّل بعضها الآخر إلى كرات هشّة بيضاء رمادية؛ وظل قسم منها أسود اللون مثلما كان من قبل. تساءلت إن كنت أستطيع إشعال سيجارة. كانت في جيب سترتي علبة سجائر. لم يعترض أبي عندما دخنت في حفلتهما. لكن هذا لا يعني أن التدخين صار مسموحًا به الآن.

ظلّ أبي يشرب. كان يربّت على الشعر الكثيف على جانب رأسه. صبَّ

نبيذًا في كأسه، لكنها لم تمتلئ لأن الزجاجة فرغت. رفعها في الهواء ونظر إلى لصاقتها، ثم نهض واقفًا ودخل إلى البيت.

قرّرت أن أكون طيبًا معه إلى أقصى حد أستطيعه. بصرف النظر عما حصل، فسوف أكون ابنًا صالحًا.

أتاني هذا القرار في اللحظة عينها التي هبت فيها نفحة ريح آتية من البحر. وعلى نحو غريب، صارت الظاهرتان مرتبطتَين معًا في داخلي. كان في هذا شيء منعش، وكان فيه انفراج وراحة بعد يوم طويل من السلبية والجمود.

عاد وشرب ما بقي في كأسه، ثم ملأها من جديد.

قال بعد أن جلس على كرسيه: «أموري جيدة الآن، يا كارل أوفه. إننا نمضي وقتًا جيدًا جدًا».

قلت: «أستطيع رؤية أنكما بخير».

قال: «صحيح»، ثم نسي وجودي.

شوى أبي عددًا من شرائح اللحم، ثم أخذها إلى غرفة المعيشة حيث كانت أوني قد أعدّت الطاولة: مفرش أبيض وأطباق وكؤوس جديدة لامعة. لست أدري لماذا لم نجلس لتناول الطعام في الخارج؛ لكنني افترضت أن للأمر علاقة بالجيران. لم يكن أبي في يوم من الأيام يحب أن يراه الناس؛ وبالتأكيد لم يكن يحب أن يُرى في أوضاع لها خصوصيتها، والأكل واحد من هذه الأوضاع بالنسبة إليه.

انسحب بضع دقائق، عاد بعدها مرتديًا القميص الأبيض ذا الأكمام المزينة الذي ارتداه في حفلتهما، ومعه بنطلون أسود.

عندما كنا جالسين في الخارج، سلقت أوني قليلًا من البروكولي، وطهَت بطاطس في الفرن. صبَّ أبي نبيذًا أحمر في كأسي، وقال إن في وسعي تناول كأس واحدة مع الطعام. كأس واحدة، لا أكثر.

امتدحت الطعام. كان الشواء لذيذًا جدًا لأن اللحم كان من نوعية ممتازة.

قال أبي: «سكال. في صحة أوني!».

رفعنا كؤوسنا ونظر كل منا إلى الآخرين.

قالت أوني: «وفي صحة كارل أوفه».

ضحك أبي وقال: «إذًا، نستطيع أن نشرب في صحتي أيضًا».

كانت هذه أول لحظة استرخاء، فسرى دفؤها في نفسي. ظهرت التماعة مفاجئة في عينَي أبي، وازدادت سرعة أكلي لأنني كنت مسرورًا.

وضع يده على كتف أوني وقال لها: «إننا نمضي وقتًا دافئًا جدًا، نحن الاثنان».

ضحكت أوني.

في ما مضى، لم يكن ممكنًا أن يستخدم أبي تعبيرًا من قبيل كلمة *دافئ*.

نظرت إلى كأسي. كانت فارغة. تردّدت، وانتبهت إلى تردّدي. غرست الملعقة الصغيرة في قطعة بطاطس حتى أخفي توتري، ثم مددت يدي بحركة اعتيادية وتناولت الزجاجة.

لم ينتبه أبي. أنهيت الكأس سريعًا وسكبت لنفسي كأسًا أخرى. لف أبي سيجارة؛ ولفت أوني سيجارة. استرخى الاثنان في مقعدَيهما.

قال أبي: «نحن في حاجة إلى زجاجة أخرى»، ثم ذهب إلى المطبخ. وعندما عاد، أحاط وسط أوني بذراعه.

أخرجت علبة السجائر من جيب سترتي، ثم جلست وأشعلت سيجارة. وهذه المرة أيضًا، لم ينتبه أبي.

نهض من جديد وذهب إلى المرحاض. كانت مشيته غير ثابتة. ابتسمت لي أوني.

قالت: «سأقوم هذا الخريف بتدريس اللغة النرويجية للصف الأول في المدرسة الثانوية. لعلك قادر على إعطائي بضع نصائح. إنها تجربتي الأولى».

«نعم، بالطبع».

ابتسمت ونظرت في عينيّ. خفضت بصري وتناولت رشفة من كأس النبيذ.

تابعت قائلة: «أقول هذا لأنك مهتم بالأدب. ألست مهتمًا به؟».
أجبتها: «إلى حد ما، من بين أمور أخرى».
قالت، «وأنا أيضًا مهتمة بالأدب. لم أقرأ في حياتي بقدر ما قرأت عندما كنت في سنك».
قلت: «صحيح».
«كنت أقرأ كل ما تقع عليه عينَي. أظن بأن هذا كان نوعًا من بحثٍ وجوديّ. لقد كان في أوجّه آنذاك».
قلت: «مممم».
قال أبي من خلفي: «أرى أن كلًا منكما قد عثر على الآخر. هذا جيد. يا كارل أوفه، عليك أن تعرف أوني جيدًا. إنها شخص رائع. تضحك طيلة الوقت. أليس ما أقوله صحيحًا، يا أوني؟».
قالت: «لا أضحك طيلة الوقت». ثم ضحكت.
جلس أبي وشرب جرعة من كأسه. وعندما فعل هذا، كانت عيناه خاويتَين كعينَيّ حيوان.
انحنى إلى الأمام.
«لم أكن على الدوام أبًا جيدًا لك، يا كارل أوفه. أعرف أن هذا ما تعتقده».
«لا، لا أعتقد هذا».
«لا، لا، لا تتغابى الآن! ما عدنا في حاجة إلى التظاهر بأي شيء. أنت تعتقد بأنني لم أكن أبًا جيدًا على الدوام. وأنت محق في هذا. لقد أخطأت في أمور كثيرة. لكن عليك أن تعرف أنني فعلت أفضل ما أستطيع فعله. فعلت أفضل ما أستطيع فعله».
أطرقت برأسي. لقد ظهرت في صوته نبرة توسّل عندما قال جملته الأخيرة.
«عندما ولدت، يا كارل أوفه، كانت هناك مشكلة في إحدى ساقيك، هل لك علم بهذا؟».
قلت: «على نحو غامض».

«جريت إلى المستشفى في ذلك اليوم. وعندها، رأيت ساقك. كانت ساقك معوجّة. وضعوها في الجبس. ظللت راقدًا هناك، صغيرًا جدًا، والجبس على ساقك كلها. وعندما أزالوا الجبس، صرت أدلك ساقك مرات كثيرة في اليوم كلّه على امتداد شهور كثيرة. كان لا بد لنا من هذا حتى تصير قادرًا على المشي. كنت أمسّد ساقك يا كارل أوفه. تعرف أننا كنا من سكان أوسلو آنذاك».

تدحرجت دموعه على خدَّيه. ألقيت نظرة سريعة في اتجاه أوني. نظرتْ إليه وشدّت على يده.

قال: «لم يكن لدينا مال، فوجدنا أنفسنا مضطرّين إلى الخروج لجني الفراولة. كان عليَّ أيضًا أن أذهب لصيد الأسماك حتى نستطيع تدبر أمرنا. هل تستطيع تذكر هذا؟ عليك أن تفكر فيه عندما تفكّر في أحوالنا، وكيف كانت. لقد فعلتُ كل ما أستطعته؛ وعليك ألا تصدق أي كلام آخر».

قلت: «أعرف. لقد حدث الكثير؛ لكنه انقضى ولم تعد له أهمية الآن».

رفع رأسه فجأة. قال لي: «بل له أهمية. لا تقل هذا!».

ثم انتبه إلى السيجارة بين أصابعه. لقد انطفأت. أخذ القداحة عن الطاولة، وأشعل السيجارة، ثم استند إلى ظهر مقعده.

قال: «لكننا نعيش الآن وقتًا لطيفًا دافئًا».

قلت، «صحيح. لقد كانت وجبة رائعة».

قال أبي: «هل تعرف أن لدى أوني ابنًا أيضًا. إنه في مثل سنك تقريبًا».

قالت أوني: «دعنا لا نتحدث عنه الآن. لدينا كارل أوفه هنا».

أجابها أبي: «لكني واثق من أن كارل أوفه يحب أن يسمع. سوف يكونان كأنهما شقيقان. أليس هذا صحيحًا؟ ألا توافقني على هذا، يا كارل أوفه؟».

أومأت برأسي. فقال: «إنه فتى ممتاز. التقيته هنا منذ أسبوع».

ملأت كأسي من جديد، وحاولت إلى أقصى حد استطعته ألا يلاحظ أبي هذا.

رُن جرس الهاتف في غرفة المعيشة. نهض أبي. كاد يفقد توازنه. قال مخاطبًا الهاتف: «نعم، نعم، أنا آتٍ».

رفع السماعة.
قال: «مرحبًا، يا آرنه».
تكلّم بصوت مرتفع، وكنت قادرًا على سماع كل كلمة يقولها لو أردت ذلك.
همست أوني: «لقد كان شديد التوتر في الآونة الأخيرة. وهو في حاجة إلى التنفيس عن شيء من ذلك».
قلت: «أفهم هذا».
قالت: «من المؤسف أن إنغفه لم يأت».
إنغفه؟
أجبتها: «كان عليه أن يعود إلى بيرغن».
كان أبي يقول: «نعم، يا صديقي العزيز، أنا واثق من أنك تفهمني».
قلت: «من هو آرنه؟».
قالت: «واحد من أقاربي. التقيناهم في الصيف. إنهم في غاية اللطف. لا بد أن تلتقيهم ذات يوم».
أجبتها: «حسنًا».
عاد أبي إلى الغرفة ورأى أن الزجاجة توشك على الانتهاء.
قال: «فلنتناول كأس براندي، ما رأيكِ يا أوني؟».
نظرت أوني إليَّ وسألتني: «أنت لا تشرب البراندي، أليس كذلك؟».
أجابها أبي: «لا، لا يجوز أن يشرب الصبي مشروبات روحية قوية».
قلت: «لقد جربت البراندي من قبل. في الصيف، في معسكر تدريبي لكرة القدم».
نظر أبي إلي وقال: «هل تعرف ماما بهذا؟».
قالت أوني: «ماما!».
قال أبي: «يمكنك أن تشرب كأسًا واحدة، لا أكثر. ما رأيكِ في هذا؟».
طرح السؤال الأخير وهو ينظر إلى أوني. فأجابته: «نعم. هذا جيد».
جلب زجاجة البراندي، وجلب معها كأسًا. ملأ الكأس وجلس على

الأريكة العميقة البيضاء تحت النوافذ المشرفة على الطريق، حيث كان ضياء الغسق الآن معلّقًا مثل خمار فوق جدران البيوت البيضاء في الجهة المقابلة.

أحاطته أوني بذراعها ووضعت يدها على صدره. ابتسم أبي.

قال: «أرأيت كم أنا محظوظ، يا كارل أوفه؟».

قلت: «نعم». وسرت رعدة في جسدي عندما مسّ البراندي لساني. ارتعش كتفاي.

قال لي: «لكن لديها مزاجها الصعب أحيانًا. أليس هذا صحيحًا؟».

ابتسمت وقالت: «صحيح بكل تأكيد».

قال: «ذات مرة، قذفتْ بالساعة المنبّهة إلى هذا الجدار».

قالت أوني: «أحب أن أفرّج عن صدري من غير تأخير».

قال أبي: «ليست مثل أمك».

قالت أوني: «هل عليك أن تتحدّث عنها طيلة الوقت؟».

أجابها أبي: «لا، لا، لا، على الإطلاق. لا تكوني حسّاسة إلى هذا الحد. ففي نهاية المطاف، أنجبتُ هذا الفتى منها». قال هذا مومئًا برأسه في اتجاهي: «إنه ابني. وعلينا أيضًا أن نكون قادرين على تبادل الحديث».

قالت أوني: «لا بأس. تبادلا الحديث. أنا ذاهبة لكي أنام».

نهضت واقفة. فقال لها أبي: «لكن، يا أوني...».

دخلت أوني الغرفة المجاورة. نهض أبي واقفًا وتبعها من غير أن ينظر إليّ. سمعت صوتَيهما، مكتومَين، حانقَين. أنهيت كأس البراندي، ثم ملأتها من جديد، وحرصت كثيرًا إلى إعادة الزجاجة إلى حيث كانت بالضبط.

أوه، يا إلهي!

كان أبي يصرخ.

عاد إلى الغرفة بعد ذلك مباشرة.

سألني: «متى ينطلق الباص الأخير؟ هل قلت لي هذا؟».

أجبته: «في الحادية عشرة وعشر دقائق».

قال: «كاد يحين موعده. أظن أن من الأفضل أن تذهب الآن. اذهب حتى لا يفوتك الباص».

نهضت واقفًا وقلت: «حسنًا». كنت مضطرًا إلى المباعدة بين قدميّ حتى لا أترنح في مشيتي. ابتسمت وقلت له: «شكرًا على كل شيء».

قال لي: «فلنبق على اتصال. مع أننا لا نعيش معًا الآن، من الواجب ألا يتغير شيء بيننا. هذا أمر مهم».

قلت: «نعم».

«هل تفهمني؟».

أجبته: «نعم. أمر مهم أن نظل على اتصال».

«أنت لا تكذب علي، أليس كذلك؟».

قلت: «لا، لا، بالطبع أنا لا أكذب عليك. الأمر مهم الآن بعد طلاقكما».

قال لي: «صحيح. سوف أتّصل بك. وما عليك إلا أن تعرّج لزيارتنا عندما تكون في المدينة. هل اتفقنا؟».

قلت: «نعم».

كدت أسقط عندما أردت وضع قدميّ في حذائي، فكان عليَّ أن أستند إلى الجدار. كان أبي جالسًا على الأريكة، مستمرًا في الشرب، فلم ينتبه.

صحت عندما فتحت الباب: «إلى اللقاء».

«مع السلامة، يا كارل أوفه»، قال أبي هذا من الداخل، فخرجت إلى الظلمة وسرت متّجهًا إلى موقف الباص.

انتظرت نصف ساعة إلى أن جاء الباص. كنت جالسًا على درج حجريّ أدخن وأرقب النجوم وأفكر في حنّة.

رأيت وجهها أمامي. وجهها ضاحك. عيناها متألقتان.

سمعت صوت ضحكها.

إنها تضحك طيلة الوقت، تقريبًا. وعندما لا تضحك، يكون صوتها نفسه ضاحكًا.

رائع! هذا ما تقوله كلما حدث أمر غريب أو مضحك.

فكّرت في مظهرها عندما تصير جادة. عندها، أحس أن لي اليد العليا، وأحس بأنني سحابة كبيرة سوداء ملتفّة من حولها، سحابة أكبر منها دائمًا. لكن هذا لا يكون إلا عندما تصير جادة، لا في أي وقت آخر.

أضحك طيلة الوقت عندما أكون مع حنّة، طيلة الوقت تقريبًا.

أنفها الصغير!

كانت فتاةً أكثر منها امرأة مثلما كنت صبيًا أكثر مني رجلًا. كنت أقول لها إنها مثل قطة. وكان هذا صحيحًا لأن فيها شيئًا يذكّر بالقطط، في حركاتها، لكن فيها أيضًا نوعًا من الرقة والنعومة الراغبة في أن تكون قريبة منك. انتظرت الباص، وكنت قادرًا على سماع ضحكها. جلست أدخن وأنظر إلى النجوم. ثم سمعت هدير الباص العميق مقتربًا بين البيوت. رميت السيجارة في الشارع، ونهضت واقفًا. أحصيت القطع النقدية في جيبي، ثم قدمتها إلى السائق عندما صعدت إلى الباص.

أوه... الأنوار الخافتة في الباصات ليلًا، والأصوات الخافتة، الركاب القلائل، وكلٌ في عالمه. هدير المحرك، والمشهد الليلي يتحرك في الظلمة. تجلس هناك مفكرًا في أفضل ما تعرفه، وفي أعز الأشياء إلى قلبك، ولا تريد إلا أن تكون هناك، خارج هذا العالم، في انتقالك من مكان إلى مكان آخر. ألا تكون حاضرًا حقًا في هذا العالم عند تلك اللحظة وحدها؟ ألا تعيش العالم حقًا في تلك اللحظة وحدها؟

أوه، هذه هي الأغنية التي تتحدّث عن فتى يحب فتاة. هل من حقّه أن يستخدم كلمة «حب»؟ هو لا يعرف شيئًا عن الحياة، وهو لا يعرف شيئًا عنها. وهو لا يعرف شيئًا عن نفسه. لا يعرف إلا أنه لم يحسّ من قبل شيئًا بهذه القوة كلها وبهذا الوضوح كله. يؤلمه كل شيء، وما من شيء حسن جدًا. أوه، إنها الأغنية التي تتحدّث عن أن يكون المرء في السادسة عشرة، ويكون جالسًا في الباص، مفكّرًا فيها، في تلك الفتاة، من غير معرفة بأن هذه المشاعر سوف تضعف بطيئًا بطيئًا، وسوف تخبو، وبأن الحياة، الحياة التي هي الآن في أقصى اتساعها، في أقصى ترحيبها، سوف تتضاءل تضاؤلًا لا سبيل إلى وقفه أو إبطائه، وسوف تنكمش وتتقلّص إلى أن تصير كيانًا يستطيع أن يتعامل معه، إلى أن تصير كيانًا لا يؤلمه كثيرًا، لكنه ليس حسنًا حقًا.

لا يمكن أن يكتب هذا إلا رجل في الأربعين. أنا في الأربعين الآن، في مثل سن أبي في ذلك الوقت. وأنا جالس في شقتنا في مالمو، وأسرتي نائمة في غرف من حولي. ليندا وفانيا في غرفة نومنا، وهيدي وجون في غرفة الأطفال. إنغريد، جدة أطفالي، نائمة على فراش في غرفة المعيشة. نحن الآن في الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني من سنة 2009. صارت أواسط الثمانينيات بعيدة مثلما كانت الخمسينيات آنذاك. لكن أكثر الناس في هذه القصة لا يزالون موجودين. حنّة لا تزال موجودة؛ ويان فيدار لا يزال موجودًا. ويوغّه لا يزال موجودًا. أمي وأخي إنغفه لا يزالان موجودين. لقد اتصل بي هاتفيًا قبل ساعتَين، وتحدثنا عن رحلة صيفية إلى كورسيكا نخطّط لها الآن. إنه مع أطفاله. أنا وليندا مع أطفالنا. لكن أبي قد مات. أبوه وأمه ماتا أيضًا.

من بين الأشياء التي تركها أبي ثلاثة دفاتر ملاحظات، ودفتر مذكّرات واحدًا. ظل ثلاث سنين يكتب اسم كل شخص يلتقيه في يومه، وكل شخص يتحدّث معه بالهاتف، وكل مرة يضاجع فيها أوني، ومقدار ما يشربه. من حين لآخر، يكون هناك إيجاز صغير لمجريات اليوم. وفي أكثر الأحيان، ما من إيجاز أبدًا.

كثيرًا ما تظهر في الدفاتر عبارة: «حسنًا. لقد زارنا». أنا المقصود بهذا.

ويرد أحيانًا: «حسنًا. شيء مبهج». يكون هذا بعد زيارتي.

وأحيانًا: «حديث جيد».

وأحيانًا: «جوّ مقبول».

وأحيانًا، لا شيء.

أفهم سبب تدوينه أسماء كل من يلتقيهم ويتحدّث إليهم في مجرى يومه، ولماذا يسجل المخاصمات والمصالحات كلّها. لكني لا أفهم سبب توثيقه مقدار ما كان يشربه. كان هذا كأنه يضع سجلًا لنهايته، لزواله.

كانت العودة إلى المدرسة بعد العطلة الصيفية أشبه بالعودة إلى الشيء نفسه من جديد: اتضح أن كل شيء لا يزال مثلما كان عندما بدأت المدرسة

الثانوية في السنة الماضية. كان صفًا جديدًا؛ تلاميذ ومعلمون لا أعرفهم. الاختلاف الوحيد هو أن الصف الأول في الثانوية كان فيه ست وعشرون فتاة، بينما كان لدينا في الصف الثاني أربع وعشرون فتاة فقط.

جلست في المقعد نفسه، في الزاوية اليسرى في آخر صف من المقاعد. وسلكت المسلك نفسه: أتكلّم أثناء الدروس، وأناقش ما يقوله المعلمون، وأخوض مع بقية التلاميذ مشاجرات من أجل أمور سياسية أو دينية. وعندما يأتي وقت الاستراحة، ينضمّ كل واحد في الصف إلى الناس الذين كان معهم من قبل، أو إلى الأصدقاء الذين كانوا له من قبل. وكنت أوظّف كل ما لديّ من قوة جسدية وذهنية حتى أتفادى مذلّة بقائي وحدي.

كنت أذهب إلى المكتبة وأقرأ كتبًا، من قبيل «*برج الصقر*» لإيريك فوسنس الذي كان عمره عشرين سنة، وأقول في نفسي إنني سأصير كاتبًا في العشرين، بعد أربع سنين فقط، فهل سيكون اسمي مطبوعًا على غلاف كتاب في ذلك الوقت؟ أجلس في الصف متظاهرًا بأنني أكتب واجباتي. أسير صاعدًا إلى محطة الوقود قبالة مبنى المدرسة، فأشتري شيئًا، أي شيء. أشتري أكثر الأحيان واحدة من صحف أوسلو، لأنني لا أستطيع القراءة في كتاب عندما يكون الآخرون من حولي، ولأن هذا يصير تفسيرًا منطقيًا لجلوسي وحيدًا في صالة الطعام خلال استراحة الغداء الطويلة، التي لا تنتهي. أو أتظاهر بأنني أبحث عن أحدهم. أصعد السلم، ثم أنزل، وأسير في الممرّات الطويلة، وأذهب أحيانًا إلى الصالة الرياضية، أو إلى مدرسة الأعمال، ملاحقًا شخصًا لا وجود له، شخصًا أبحث عنه في كل مكان – لكني أقف عادة عند المدخل وأدخِّن لأن التدخين، بطبيعته، يقرر مكان الوقوف هذا، يقرّر حيث يجب أن أكون، وحيث يحق لي أن أكون، وحيث يقف آخرون أيضًا، إنهم «أصدقائي» في عين من ينظرون ويتساءلون. لم تكن خشيتي من أن يراني الآخرون شخصًا من غير أصدقاء خشية لا مبرر لها. في يوم من الأيام، كانت على لوحة الإعلانات ورقة جديدة. طالب لا يعرف أحدًا هنا لأنه انتقل إلى المدينة مؤخرًا يريد أن يكون له أصدقاء. إن

كان أحد مهتمًا بهذا، فهو يستطيع لقاءه عند سارية العلم في الساعة الثانية عشرة غدًا.

أتى اليوم التالي، فكانت المنطقة من حول سارية العلم غاصة بالتلاميذ في الساعة الثانية عشرة. أراد كل واحد منهم أن يرى هذا المخلوق الذي لا أصدقاء له، هذا المخلوق الذي كان أمرًا طبيعيًا ألّا يأتي إلى موعده.

هل كانت هذه خدعة؟ أم إن ذلك المخلوق الذي لا أصدقاء له أصابه الذعر عندما رأى هذا الحشد كله؟

عانيت معه... كائنًا من كان.

ذهبت ذات يوم إلى صحيفة نيو سورلاند وطلبت مقابلة الشخص المسؤول عن قسم الموسيقى في الصحيفة. أدخلوني إلى مكتب شخص اسمه ستينار فيندسلاند. كان في بداية الشباب له شعر غزير داكن اللون، مقصوص قصيرًا من الخلف ومن الجانبَين، على نحو يشبه كثيرًا شعر عازف الجيتار الشهير في فرقة سمبل *مايندز*. شعر ذقنه نابت قليلًا، وعيناه لامعتان. قلت له اسمي وما أريده.

قال: «حسنًا، ليس لدينا من يكتب مراجعات التسجيلات على نحو منتظم. عادة أكتبها بنفسي، لكن عندي مهمات كثيرة جدًّا لا بد من إنجازها؛ وسوف يكون شيئًا عظيمًا إن توفَّر لنا شخص يستطيع فعل ذلك».

نظر إليّ نظرة فاحصة.

كنت قد ارتديت ما ظننته ملائمًا لهذه المناسبة: قميصي ذا الخطوط المتقاطعة، البيضاء والسوداء، الذي كان مثل القميص الذي يرتديه واحد من أعضاء فرقة إيدج، وحزامًا مرصعًا بمسامير معدنية، وبنطلونًا أسود.

«ما الفِرَق التي تعجبك؟».

ذكرت له تلك الفِرق، فأومأ برأسه.

قال: «سوف أعطيك فرصة. انظر...». بدأ يبحث في كومة التسجيلات الكثيرة على مكتبه «خذ هذه معك واكتب عنها. إن كانت كتابة جيدة، فأنت مراجع التسجيلات الجديد لدينا».

جلست وكتبت طيلة عطلة نهاية الأسبوع، مسوَّدة بعد مسودة. ثم جاء يوم الاثنين فذهبت إلى الصحيفة بعد المدرسة وقدّمت ست صفحات مكتوبة باليد. قرأها واقفًا في مكتبه، قرأها بسرعة كبيرة أقلقتني. حدّق فيَّ بعد ذلك بنظرة ثابتة.

قال لي: «إنني أنظر الآن إلى مراجع التسجيلات الجديد في الصحيفة».

«هل أعجبتك؟».

«إنها جيدة. ألديك بضع دقائق؟».

«نعم».

«سألتقط لك عدّة صور، وأعدّ ملفًا صغيرًا. سأطرح عليك بضعة أسئلة. هل أنت في كاتدرالسكولن؟»[1].

أومأت برأسي. تناول آلة التصوير عن الطاولة. رفعها إلى وجهه ووجَّهها صوبي.

قال لي، مشيرًا إلى زاوية الغرفة: «اجلس هناك».

سرت البرودة في عمودي الفقري عندما سمعت طقطقة آلة التصوير.

قال: «خذ! أمسك هذه الأسطوانات وارفعها بيدك قبالتي».

ناولني ثلاث أسطوانات كبيرة فحملتها، ونظرت إلى عدسة آلة التصوير محاولًا جعل تعبير وجهي جادًا إلى أقصى حد استطعته.

«قلت لي إنك تحب فرقة ‘u2’، مَنْ أيضًا؟».

«بيغ كاونتري. سمبل مايندز. ديفيد بوّي. وإيغي، بالطبع. توكينغ هيدز وren. كرونيك تاون، هل سمعت بها؟ فرقة مثيرة جدًا. إنها عظيمة حقًا».

«أوه، نعم. هل لديك إيجاز مكتوب عن مشاريعك وطموحاتك؟».

أحسست بوجهي يحمّر خجلًا.

قلت: «لا».

«هل لديك ما تتحدّث عنه؟ أعني، من الناحية الموسيقية. الحفلات التي

(1) كاتدرالسكولن: المدرسة الثانوية.

تقام عندنا في المدينة؟ البرامج الموسيقية في الراديو الوطني؟ ألديك أية آراء في هذه الأمور؟».

«لدي آرائي، نعم... من المفاجئ أن هناك برنامجًا موسيقيًا واحدًا في الراديو. وما من برنامج موسيقي في التلفزيون».

قال: «عظيم. أنت لا تزال في السادسة عشرة، هل ما أقول صحيح؟».

«صحيح».

«إذًا، هكذا هو الأمر. سوف ننشر هذه غدًا. تبدأ عملك الأسبوع القادم. هل أنت موافق على هذا؟».

«أجل».

«عد إلينا في... عد يوم الخميس؛ وسوف نناقش التفاصيل».

صافحني وقال قبل خروجي: «وبالمناسبة...».

«ماذا؟».

«لا يجوز أن تقدم كتابتك بخط اليد. هذا غير حسن. إن لم تكن لديك آلة كاتبة، فاحصل على واحدة».

قلت: «حسنًا، أشكرك».

ثم خرجت وصرت في الشارع.

كان هذا شيئًا لا أستطيع تصديقه. لقد صرت مراجع التسجيلات الموسيقية في صحيفة! عمري ستة عشر عامًا! أشعلت سيجارة وانطلقت. الأسفلت الجاف، والنوافذ المسودّة في بعض الأماكن بفعل دخان المدافئ، والسيارات كلها جعلتني أتصوّر نفسي في مدينة حقيقية كبيرة. رأيت نفسي صحافيًا موسيقيًا ماضيًا عبر شوارع لندن، عائدًا بخطوات سريعة من مكتب تحرير متفجّر نشاطًا.

لقد وجدت ستينار فيندسلاند تمامًا مثلما أتخيل أن الصحافي ينبغي أن يكون: سريع سرعة لا تصدق. كل شيء يحدث سريعًا. لديهم مواعيد نهائية؛ وهذا ما يجعلهم ينجزون مقالاتهم بسرعة خاطفة.

ثم إنه على معرفة بالموسيقى. لعلّه على معرفة بهارالد همبل. بل لعله يعرف أيضًا بعض الفرق في أوسلو.

صرت الآن قادرًا على لقائهم!

لم أكن قد فكّرت في ذلك من قبل. لكني صرت الآن صحافيًا موسيقيًا قادرًا على قضاء الوقت مع الفرق الموسيقية عندما تأتي إلى المدينة.

لا مزاح في هذا!

على مسافة خمسة عشر مترًا أمامي كان تقاطع شارعي درونينغنز غيت ألفيغاتن. وبما أنني في المنطقة، فإن عليَّ أن أذهب لرؤية أبي، أو أن أذهب لرؤية جدي وجدتي.

كانت لديّ مشكلة واحدة فقط: لا مال معي إلا سبعة كرونات. بعد الساعة الخامسة، أصير غير قادر على الاستفادة من بطاقة الطالب في الباص.

لكن أظنني كنت قادرًا على اقتراض ما يلزمني. ففي آخر المطاف، صارت لديَّ الآن وظيفة.

توقّفت عند إشارة المرور الضوئية. كانت الإشارة حمراء. ضغطت المفتاح في العلبة الزرقاء وأغمضت عيني لكي أستطيع تخيّل كيف يحس شخص كفيف عندما يقف هنا.

لعل من الأكثر أهمية أن أزور جدتي وجدي! لم أذهب لرؤيتهما منذ انتقال أبي من البيت. لعلهما الآن يخشيان -بعد طلاق أبي- أن يفقدا اتصالهما بي، أو أن أظل ملتصقًا بأمي.

تذكّرت أبي يوم الخميس بعد لقائه مع ستينار.

ستينار!

بدأ صوت التكتكة عند ذلك. الإشارة الصوتية الخاصة بالمكفوفين. فتحت عينيّ وسرت على ممر المشاة، ثم اجتزت المبنى الضخم المربع الذي يضم السوبرماركت، ثم دخلت جسر لوندزبرو حيث تكون رائحة البحر دائمًا أشد قوة، وحيث يبدو الضوء أيضًا أشد قوة. لعل هذا نتيجة انعكاسه على صفحة الماء التي تتسع في هذه النقطة.

زوجان من أشرعة بيضاء يلوحان في الأفق. زورق مزدوج في طريقه صوب اليابسة. توقّفت، ووضعت يدي على السور الحجري، وانحنيت. كان الماء من حول أعمدة الجسر ذا لون أخضر داكن.

لقد سقط أبي هنا ذات مرة. أظنها القصة الوحيدة التي سمعناها عنه من أيام طفولته. كان جدي قد ضربه ضربًا مبرحًا -هكذا قال أبي- وحبسه تحت السلم حيث بقي ساعات كثيرة. لست أدري إن كان هذا صحيحًا أم غير صحيح. لقد قال أبي أيضًا إنه كان لاعب كرة واعدًا في يوم من الأيام، وإنه لعب مع نادي «آي كي ستارت»؛ لكن تلك كانت كذبة. وقد قال في مرة أخرى إن كل ما قدمته فرقة بيتلز ليس إلا انتحالًا لأنهم سرقوا أغانيهم من مؤلف ألماني غير معروف. كنت آنذاك في الثانية عشرة وكنت شديد الإعجاب بفرقة بيتلز، فسألته كيف علم بهذا. قال لي إنه كان يعزف البيانو في أول شبابه؛ وإنه عزف في يوم من الأيام ألحانًا لذلك المؤلف الألماني الذي لم يعد قادرًا على تذكر اسمه، فاكتشف أنها مثل أغاني فرقة بيتلز. قال إن نوتة تلك الموسيقى لا تزال عنده في البيت. وبطبيعة الحال، صدّقت ذلك: أبي هو من قاله. وعندما ذهبنا إلى بيت جدّي وجدتي، طلبت منه أن يبحث عن تلك الموسيقى وأن يعزفها على البيانو. طلبت منه هذا. لا، إنها في مكان بعيد في المستودع في علية البيت، وسوف يستغرق البحث عنها زمنًا طويلًا جدًا. عندها، أدركت الأمر كله. أدركت أنه كاذب! كان أبي كاذبًا!

كان هذا الاكتشاف انفراجًا، لا عبئًا، لأنه حفظَ ماء وجه فرقة بيتلز!

تابعت السير، وانعطفت يمينًا في طريق مختصرة خرجت منها إلى كوهولمسفيلم، ثم سرت في الشارع الصاعد صعودًا هينًا، فبدأت تتكشّف أمامي مساحة متزايدة من البحر، مساحة شديدة الزرقة، خالية تمامًا.

ولكن، لماذا قال لي إننا كنا في فقر شديد؟ ما علاقة هذا بأي شيء؟

هززت رأسي، وعبرت الحديقة المحاطة بسلك شائك. كانت في الحديقة ثلاث شجرات تفاح تنوء بحمل ثقيل من تفاحات حمراء داكنة. سيارة نقل مغلقة زرقاء متوقفة في الممر المجاور. كانت لامعة تحت ضياء الشمس.

أطلَّ رأس جدتي من النافذة عندما قرعت الجرس، ثم اختفى، ظهرت بالباب بعد دقيقة من ذلك. قالت لي: «أهلًا... انظروا من لدينا هنا! ادخل».

انحنيت عليها وعانقتها. تجمَّدتْ لحظة. قلت في نفسي إنني كبرت على هذا، فنصبت ظهري من جديد. رائحتها كما هي دائمًا. أحسست عندما شممتها بأن طفولتي كلها قد انفتحت في داخلي. نحن ذاهبون إلى جدتي! جدتي آتية إلينا! جدتي هنا!

قالت لي: «ما هذا الذي في أذنك؟».

لقد نسيته.

عندما أتيت لزيارتهما في المرتَين السابقتَين، تذكرت أن أنزع الصليب من أذني. لكني نسيته اليوم.

قلت لها: «إنه صليب، لا أكثر».

قالت: «نعم، الزمن يتغير. صار الأولاد يضعون حليًا في آذانهم. ولكن، هكذا هو الأمر الآن».

قلت: «صحيح، هكذا هو الأمر».

استدارت فتبعتها وصعدنا السلم. كان جدي جالسًا على كرسي المطبخ حيث يجلس دائمًا.

قال لي: «حسنًا، انظروا من أتانا؟».

رأيت تحت الساعة المعلّقة على الجدار الكرسي الأزرق المرتفع ذا مسند القدمَين، الكرسي الذي كنت أحبه دائمًا. ورأيت على الطاولة إبريق القهوة فوق منصب معدني صغير موجود على تلك الطاولة دائمًا.

سألني جدي: «هل ثقبت أذنك؟».

ردّت جدتي: «نعم. يرونه أمرًا حسنًا في هذه الأيام». ابتسمت وهزّت رأسها. اقتربت مني وداعبت شعري.

قلت لها: «لقد حصلت اليوم على وظيفة».

قالت جدتي: «هل حصلت على وظيفة منذ الآن؟».

هززت رأسي:: «إنها في نيو سورلاند، الصحيفة. سأعمل فيها مراجعًا للتسجيلات الموسيقية».

قال جدي: «هل تعرف شيئًا عن التسجيلات الموسيقية؟».

«قليلًا».

قال عند ذلك: «كيف يطير الزمن طيرانًا! لقد صرت الآن كبيرًا جدًا».

قالت جدتي: «إنه يذهب إلى المدرسة الثانوية. ولعل له صديقة الآن، ألا تظن هذا». غمزت لي بعينها.

قلت: «لا، ليست لديَّ صديقة».

قالت جدتي: «ستكون لديك صديقة. أنت شاب وسيم».

عقَّب جدي: «إن نزعت ذلك الصليب من أذنك، فسوف تجري الفتيات خلفك».

قالت جدتي: «يعني هذا أنك لا تظنهن معجبات بالصليب!».

لم يجبها جدّي، حمل صحيفته التي كان قد وضعها من يده عند وصولي. كان قادرًا على قضاء ساعات طويلة في قراءة الصحيفة. يتشرب كل شيء فيها، وكل إعلان صغير.

جلست جدتي على كرسيها ومدت يدها إلى كيس التبغ الموضوع على الطاولة.

قالت: «لكنك لم تبدأ التدخين بعد... على ما أظن».

قلت: «الحقيقة أنني بدأت التدخين».

نظرت إليّ نظرة فاحصة: «هل تدخّن؟».

«ليس كثيرًا. لكني جربت».

«لكنك لا تبتلع الدخان، أليس كذلك؟».

«لا».

«أقول هذا لأن عليك ألّا تبتلع الدخان. أنت تعرف هذا». نظرت إلى جدي.

قالت: «أنت، أيها الجد! هل تتذكّر من جعلنا نبدأ التدخين؟».

لم يجبها جدي. لعقت حافة الورقة بلسانها ثم لفت السيجارة.

قالت: «إنه أبوك».

«أبي!؟».

«نعم. كنا في بيتنا الجبلي. أتى معه ببعض السجائر. طلب منا أن نجرب سيجارة، فجربناها. ألم يحدث هذا، يا جد؟».

غمزت لي بعينها عندما لم تأتها إجابة من جدي هذه المرة.

قالت: «أظنه صار خرفًا بعض الشيء». وضعت السيجارة بين شفتَيها، ثم أشعلتها ونفثت من فمها غيمة دخان كثيفة.

«لا... إنها لا تبتلع الدخان. لم أفكر في هذا من قبل».

قالت جدتي: «هل أنت جائع؟ لقد أكلنا قبل قليل. لكني أستطيع تسخين شيء من أجلك إن أردت أن تأكل».

قلت لها: «أوه، من فضلك. الحقيقة أنني جائع جدًا».

وضعتْ السيجارة على حافة طبق السجائر، ثم نهضت وذهبت إلى البراد بشبشبها البيتي. كانت ترتدي فستانًا أزرق طويلًا حتى منتصف ربلتي ساقيها اللتين كان لونهما بنيًا خفيفًا من تحت جواربها.

قلت لها: «إن كان في البراد، فلا حاجة إلى تسخينه من أجلي».

قالت: «لا تهتم. لا مشكلة في ذلك».

بدأت جدتي تحضّر الطعام. نظرت إلى جدي. كان مهتمًا بالسياسة وبكرة القدم. كنت مهتمًا بهما مثله.

سألته: «من تظنه سيفوز في الانتخابات؟».

قال: «ماذا؟»، ثم أنزل الصحيفة.

«من تظنه سيفوز في الانتخابات؟».

«يصعب قول هذا. لكني آمل أن يفوز فيلوخ. لا نستطيع أن نتحمّل مزيدًا من الاشتراكية في هذه البلاد».

قلت: «أنا أتمنى أن تفوز كفانمو»[1].

---

(1) فيلوخ: سياسي نرويجي كان على رأس الحزب المحافظ، وصار رئيسًا لحكومة النرويج بين عامي 1981 و1986.

حنَة كفانمو: سياسية نرويجية من حزب اليسار الاشتراكي، كانت زعيمة المجموعة البرلمانية لحزبها وعضوًا في جائزة نوبل النرويجية، ثم صارت نائب رئيس اللجنة.

نظر لي جدي نظرة متمعّنة. اكتسى وجهه تعبيرًا وقورًا، صارمًا. لا، لا... لم يكن الأمر كذلك لأنه ابتسم بعد لحظة واحدة.

«يعني هذا أنك مثل أمك».

أجبته: «صحيح، لا أريد أن يسيطر المال على حياة الناس؛ ولا أريد أن ينصبّ اهتمامنا على أنفسنا فقط ونحن جالسون في حدائق بيوتنا».

قال جدي: «على أي شيء ينبغي أن ينصبَّ اهتمامنا إن لم يكن على أنفسنا».

«على من يعيشون أوضاعًا مزرية. على الفقراء. على اللاجئين».

قال لي: «لكن، لماذا يأتون إلينا حتى نعتني بهم؟ اشرح هذا لي».

قالت جدتي وهي تضع القِدر على النار: «لا تصغِ إليه. إنه يعبث معك فحسب».

قلت: «لكن علينا أن نساعد من هم أسوأ منا حالًا، أليس كذلك؟».

قال: «صحيح. لكن علينا أن نهتم بأنفسنا أولًا. نستطيع بعد ذلك أن نساعد الآخرين. ولكن ما يريدونه هو العيش هنا. هم لا يريدون عونًا منا. لقد تعبنا كثيرًا؛ عملنا كثيرًا وحققنا نتائج طيبة. يريدون الآن أن يأخذوها منا من غير أن يبذلوا أي جهد. لماذا يتعيّن علينا أن نقبل هذا؟».

جلست جدتي على كرسيها. قالت: «لماذا يرفض رجل يعمل في المختبر أن يدخل متاهة؟».

قلت: «لست أدري»؛ لكنني كنت أعرف ما ستقوله.

«لأنه سيتوه فيها!». قالت هذا وضحكت.

حمل جدي صحيفته من جديد.

حلّت فترة صمت. صوت القِدر تغلي على النار. لفَّت جدتي سيجارة أخرى ثم أشعلتها، ثم وضعت إحدى يدَيها على ذراعَيها وراحت تصفّر لحنًا لنفسها.

قلب جدي الصفحة.

لقد استنفدتُ كل ما لدي من موضوعات للحديث. لم نتكلم في أمر وظيفتي الجديدة إلا قليلًا جدًا، أقل مما توقعت.

هل أجرؤ الآن على إخراج سجائري من جيب سترتي؟

هل سيكون التدخين، بعد الصليب الذي في أذني، كثيرًا عليهما؟

دخلت رأسي صورة لأبي. قد يكون التدخين صلة الوصل... تدخيني أمامه مرتَين من غير أن ينطق بأية كلمة!

أخرجت علبة السجائر.

نظرت جدتي إليّ. قالت لي: «هل صرت تحمل علبة سجائر؟».

أومأت برأسي. لم أحب استخدام قداحتها لأن من شأن هذا أن يبدو اقترابًا زائدًا منها، أو أمرًا مزعجًا لها. لذا، وضعت يدي في جيبي وأخرجت قداحتي. أشعلت سيجارة.

قلت: «كنت عند بابا منذ بضعة أيام. أموره تسير سيرًا حسنًا».

قالت جدتي: «نعم، لقد زارنا البارحة».

قلت: «نحاول الآن أن نحافظ على مستوى التواصل بيننا مع أننا صرنا نعيش في مكانَين مختلفَين. أظنه كان تحت شيء من الضغط خلال هذا الصيف. الطلاق، وتلك الأمور».

قالت جدتي ناظرة إليَّ وهي تنفث دخان سيجارتها: «أتظن هذا؟».

قلت: «نعـــم. ظلا متزوجين زمنًا طويلًا جدًا. الانفصال ليس مسألة بسيطة».

قالت جدتي: «صحيح. بالتأكيد، ليس مسألة بسيطة».

قلت: «سأحاول أيضًا أن أظل على تواصل معكما. فمثلًا، ما من صعوبة في المرور عليكما بعد المدرسة. الآن، بعد أن صار لديَّ عمل، أستطيع المجيء لكي أتناول طعام العشاء هنا من وقت إلى آخر».

ابتسمت لي جدتي. ثم التفتت ونظرت إلى القِدر التي بدأت تطلق صوت خرخرة مكتومًا. نهضت وأزاحت القدر جانبًا، ثم أطفأت النار وأخرجت طبقًا وشوكة وسكينًا. وضعت ذلك كله على الطاولة أمامي.

أطفأت سيجارتي التي لم أدخن إلا نصفها. حملتْ جدتي القدر ممسكة إياها من مقبضها، وأدخلت فيها مغرفة ثم أخرجتها بثلاث كرات من اللحم وضعتها في طبقي، وأضافت فوقها حبّتَي بطاطس وقليلًا من البصل.

قالت لي: «طهوتها بأسهل طريقة. وسخنت البطاطس في المرق».

قلت لها: «تبدو رائعة».

لم يقل أحد شيئًا عندما كنت آكل. فرغت من الأكل سريعًا.

قلت بعد أن أتيت على كل شيء ووضعت السكين والشوكة في الطبق: «أشكرك. كان طعامًا ممتازًا».

قالت جدتي: «جيد». ثم نهضت وأخذت الطبق إلى المجلى، فغسلته بالماء وفتحت باب آلة غسل الأطباق ووضعته في السلة الصغيرة ذات النتوءات البلاستيكية الصغيرة التي تشبه عمودًا فقرية لسمكة. وضعت الطبق في الآلة ثم أغلقت بابها من جديد.

نظرت إلى الساعة الجدارية. صارت الخامسة ودقيقتَين.

إن كنت سأطلب اقتراض مالٍ، فلا ينبغي أن يظهر أنني خططت لهذا، ولا حتى أنني معتمد عليه. الحقيقة أنني كنت قادرًا على البقاء عندهما وقتًا أقصر لكي أعود بالباص إلى البيت مستخدمًا بطاقتي. ينبغي أن يبدو الأمر عفويًا.

لكني لست مضطرًا بعدُ إلى فعل ذلك.

ألا أستطيع تدخين سيجارة أخرى؟

قال لي حدسي إن هذا سيكون غلطة، سيكون إفراطًا.

قالت جدتي: «ما الذي في الصحيفة مما يثير اهتمامك إلى هذا الحد؟ قرأْتها صباح اليوم، فلم أجد فيها شيئًا له قيمة».

قال جدي: «إنني أقرأ صفحة الوفيات».

«هذا ما يثير اهتمامك الآن، أليس كذلك؟». قالت جدتي هذا والتفتت إليَّ ثم ضحكت «صفحة الوفيات».

ابتسمت لها.

قلت لها: «هل رأيتِ صديقة أبي الجديدة؟».

«أوني؟ نعم. لقد رأيناها. فتاة لطيفة».

قلت: «هذا صحيح. أظنها مناسبة لأبي. لكن عليَّ الاعتراف بأنني أجد الأمر غريبًا بعض الشيء».

قالت جدتي: «أستطيع تخيّل هذا».
قلت: «مع ذلك، لا أهمية للأمر كله».
قالت جدتي: «يا إلهي، لا. أنا واثقة من أن ما من أهمية له».
عادت تصفّر من جديد، ثنت أصابعها حتى صارت كفها مثل مجرفة. نظرت إلى أظافرها.
سألتها: «هل الفاكهة وافرة هذه السنة؟».
قالت: «نعم. ليست سيئة أبدًا. ألا تحب أن تأخذ معك بضع تفاحات؟».
«إن كان هذا ممكنًا. إنها تذكّرني بطفولتي».
قالت جدتي: «أفهم هذا. سأضعها في كيس لتستطيع حملها». رفعت عينيّ إلى الساعة الجدارية وحدّقت فيها بطريقة واضحة.
قلت: «أوه، لا! هل الساعة صحيحة؟ هل هي الخامسة وعشر دقائق؟».
نهضت، وبحثت عن المال في جيوبي. أخرجت ما لديَّ من قطع نقدية. أحصيتها. ضغطت شفتيّ معًا بشدة وقلت: «يمر الباص الأخير في الخامسة. بطاقتي غير صالحة بعد الخامسة. المال الذي معي غير كافٍ».
ألقيت على جدتي نظرة سريعة، ثم خفضت عينيّ.
قلت: «لكني أستطيع استيقاف سيارة عابرة».
قالت جدتي: «سأرى إن كان لدي ما تستطيع أخذه. المسافة طويلة جدًا، وعليك أن تذهب بالباص». ونهضَت واقفة.
قلت لجدي: «إذًا، سأذهب الآن».
وضع الصحيفة من يده وقال لي: «مع السلامة».
قلت: «إلى اللقاء»، ولحقت بجدتي إلى الممر. أخرجت محفظة نقود صغيرة من جيب معطفها المعلّق هناك. فتحت المحفظة ونظرت إليّ.
«ما ثمن بطاقة الباص».
قلت: «أربعة عشر كرونًا».
ناولتني ورقتَين نقديتَين من فئة عشرين كرونًا.
قالت لي: «تستطيع أن تشتري لنفسك ببقية المال أي شيء يعجبك».

أجبتها: «إنني أقترض هذا المال. وسوف أعيده إليك في المرة القادمة».
ضحكت جدتي ضحكة صغيرة. لم تقل شيئًا.

وقفنا وحدنا في الممر من غير أية حركة. كنت قادرًا على الإحساس بأنها تنتظر ذهابي.

هل نسيَتِ التفاحات؟ ظللت بضع ثوانٍ حائرًا لا أعرف ما أفعله. لقد قالت لي إنني سآخذ تفاحًا معي، لذا لن يكون تذكيرها بالتفاحات تصرّفًا غير منطقي!

لكنها أعطتني قبل قليل مالًا من أجل الباص. لا أريد الإثقال عليها.

التفتت إلى المرآة. نظرت إلى نفسها فيها، ورفعت يدها إلى شعرها.

«ألم تقولي لي إن لديك تفاحًا؟ أستطيع أخذ بضع تفاحات معي، وسوف تتذوّقها أمي. أنا واثق من أنها مشتاقة إليها مثلي».

قالت جدتي: «أوه، صحيح، نسيت التفاح».

فتحت بابًا إلى جانب السلم. كان بابًا يؤدّي إلى القبو. وفي أثناء ذلك، نظرت إلى نفسي في المرآة. جذبت قميصي من الخلف حتى لا يظل متهدلًا عند رقبته. أجريت أصابعي في شعري لكي أجعله أكثر انتصابًا. ابتسمت. اتخذت هيئة جادة. ابتسمت من جديد.

قالت جدتي وهي تصعد درجات السلم: «ها هو التفاح. لقد وضعت لك هنا بضع تفاحات».

ناولتني كيسًا، فأخذته وخرجت من الباب. وقفت عند العتبة، والتفتّ إلى جدتي، قلت لها: «والآن، إلى اللقاء».

قالت: «مع السلامة».

استدرت وانطلقت. أُغلق الباب من خلفي.

عند متجر روندينغن، أشعلت سيجارة وانتظرت وصول الباص. يأتي الباص كل ساعة. سوف يصل الباص التالي بعد بضع دقائق فقط. صعدت إلى الباص. وقفت منتظرًا استلام التذكرة وبقية النقود. نظرت في الباص.

أليس هذا يان فيدار؟

نعم، إنه هو!

كان جالسًا ينظر من النافذة وقد استقرّت ذقنه على كف يده. لم ينتبه إلى وجودي حتى بلغت مقعده. أبعد سماعة الووكمان عن أذنيه.

قال: «مرحبًا».

قلت: «مرحبًا»، ثم تهاويت جالسًا على المقعد، «ماذا تسمع؟».

قال: « إنه بي بي كينغ».

قلت: «بي بي كينغ! هل فقدت عقلك؟».

قال: «إنه عازف جيتار جيد جدًا. ولك أن تصدق هذا أو لا تصدقه».

قلت: «هو عازف جيتار جيد!؟».

أومأ يان فيدار برأسه.

قلت له: «إنه جيد إلى درجة أنه عندما يعزف يصير جيتاره أفقيًا. ألم تر هذا؟ يصير كأنه يعزف على جيتار فولاذي»[1].

قال: «من أين تظن فرقة ليد زيبلينغ قد حصلت على كل شيء؟ إنهم فتيان موسيقى البلوز».

قلت: «صحيح، بالطبع صحيح. أعرف هذا. لكنه لا يعني أن علينا نحن أن نستمع إلى هذه الموسيقى. موسيقى البلوز شيء تافه، إن سألتني. هي جيدة لكي تلهمك وتوجّهك إلى شيء آخر، لكنها غير جيدة في حد ذاتها. الأغنية اللعينة نفسها مرة بعد مرة، أليس كذلك؟».

قال يان فيدار: «إن كنت قادرًا على العزف مثله فأنت قادر على العزف على أي شيء. أنت من يتحدّث دائمًا عن المشاعر. من قال إن هذا هو السبب الذي جعل جيمي بيج أفضل من ريتشي بلاكمور، أو من أونغوي مالمستين؟ أنا متفق معك الآن. لسنا في حاجة إلى مزيد من مناقشة هذا

(1) جيتار فولاذي: نوع من الجيتار يتم العزف عليه عن طريق تمرير قضيب معدني على أوتاره، مثل قوس الكمان.

الأمر. وأما من أجل المشاعر، يا أخي، فما عليك إلا أن تستمع إلى هذا الرجل».

ناولني السماعة فوضعتها على أذني. ضغط على زر التشغيل. استمعت ثانيتَين اثنتَين قبل أن أُبعد السماعة عن أذني.

قلت له: «إنها الأغنية نفسها».

بدا عليه شيء من الانزعاج.

سألته، «هل انزعجت، أم ماذا؟».

قال: «لا. لماذا أنزعج؟ أعرف أنني على حق».

قلت: «ها ها».

توقف الباص عند إشارة المرور قبل الطريق e18.

قال يان فيدار: «لماذا كنت في روندونغين؟ هل كنت في زيارة إلى منزل جدّيك؟».

أومأت برأسي وقلت: «لكني كنت قبل ذلك في صحيفة نيو سورلاند».

«ماذا كنت تفعل هناك؟».

«حصلت على وظيفة لديهم».

«وظيفة؟».

«نعم».

ضحك يان فيدار: «وظيفة ماذا؟ هل ستصير موزع صحف؟».

ضحكت مثلما ضحكت قبل قليل، «ها ها. لا. سأكون صحافيًا موسيقيًا. سوف أكتب مراجعات التسجيلات».

«هل هذا معقول؟ خبر رائع! أصحيح ما تقول؟».

«إنه صحيح. أبدأ العمل الأسبوع القادم».

ثم صمتنا. رفع يان فيدار ركبتَيه ووضع يديه على المقعد المقابل.

«وأنت، أين كنت؟».

«كنت مع صديق. كنا نجري تمرينات على العزف».

«إذًا، أين جيتارك؟».

أشار برأسه خلفًا: «على المقعد الذي خلفي».

«هل صديقك عازف جيد؟».

قال: «أفضل منك، على أية حال».

قلت: «هذا ليس جديدًا».

ابتسم كل منا. ثم نظر يان فيدار من النافذة. ألقيت نظرة إلى الخلف لأرى إن كان هناك أحد أعرفه، لم أر في الباص غير صبي لم أره من قبل -لعله في السابعة- وامرأة في نحو الخمسين عامًا، معها كيس أبيض من أكياس متاجر الأحذية وضعته في حضنها. كانت تمضغ علكة؛ وكان هذا غير صحيح، لأن مضغ العلكة غير منسجم مع نظارتها ومع شعرها!

قال يان فيدار: «هل تتذكّر يوم حللت محلي في العمل؟».

«بالطبع».

لقد كان يعمل في توزيع الصحف. ومع مرور الزمن، صار ينجز جولة طويلة جدًا. وعندما أراد أن يحظى بعطلة، حللت محله في تلك الوظيفة مدة أسبوع واحد. لم يسافر إلى أي مكان، بل اكتفى بقضاء الوقت متكاسلًا هنا وهناك بينما كنت أعمل. وبعدها، نذهب إلى السباحة أو نركب دراجتَينا إلى بيت واحد من أصدقائنا. لكن ثلاثة أيام مرت فتراكمت شكاوى كثيرة من الناس الذين كان يان فيدار يوصل إليهم صحفهم. اضطرَّ إلى العودة إلى العمل. قال يومها إنها كانت عطلة بائسة جدًا. لكنه لم يُظهر أي انزعاج مني.

قال الآن: «لا أزال غير قادر على فهم كيف استطعت ارتكاب تلك الأغلاط كلها».

رفعت كتفي: «الحقيقة أنني بذلك أقصى ما استطعته من جهد».

قال: «شيء لا يصدّق!».

لقد رافقني في تلك الجولة مرتَين. وكان هناك أمران أو ثلاثة أمور ينبغي أن أنتبه إليها: أراد بعضهم أن يستلم الصحيفة عند الباب؛ وأراد البعض الآخر وضعها في صناديق بريدهم - لكني كنت أقف هناك فلا أستطيع تذكر هذه الفوارق مع أنه كررها على مسامعي مرات كثيرة. لذا، كنت أرتجل

وأفعل ما أحسّه صحيحًا.

قلت: «تخيّل، كان هذا في السنة الماضية! في البداية، حسبت أنه كان منذ عدة سنين».

قال: «لقد كان صيفًا طيبًا. كان طيبًا».

«صحيح، لقد كان كذلك».

دخلنا الغابة الواقعة بعد تقاطع الطرق عند تيمينز. كانت الشمس ساطعة فوق الأشجار عند قمة المرتفع، لكنها غائبة تمامًا هنا. أتذكّر بيلي آيدول كلما مررت بموقف الباص هذا. لقد ذهبنا إلى واحدة من تلك الحفلات المرتجلة التي ينتهي بنا الأمر إليها بعض الأحيان. وعندما عدنا إلى البيت في ذلك البرد الشديد، كنت أدندن بأغنية «ريبل يِل».

قلت: «أظنني قادرًا على ربط ذكرى بعينها بكل موقف باص، من هنا حتى البيت».

أومأ برأسه.

إلى جهة اليمين، انبسط أمامنا توبدالسفيورد. كان الماء أزرق لامعًا على مقربة من البر، لكن الريح جعلت للأمواج قممًا مزبدة على مسافة من الشاطئ. رأيت أسرتَين جالستَين عند البحر هناك. كان الأطفال يخوضون في الماء.

سرعان ما يأتي فصل الخريف.

قلت: «هل لديكم فتيات جميلات في المدرسة؟».

«لم أر لدينا فتيات جميلات. ماذا عن مدرستك أنت؟».

«الحقيقة أن هناك فتاة رائعة في صفي. لكن المشكلة أنها مسيحية».

«لم يكن هذا الأمر يردعك من قبل».

«صحيح. لكنها من النوع المثالي. مسيحية من الكنيسة الخَمسية. حسنًا... أنت تعرف هذا النوع من الفتيات، سترات فضفاضة، وملابس من بيك بوك وبوكو لوكو. هذا أولًا».

«وثانيًا؟».

«أنا لا أعجبها».

«إذًا، هل رأيت حنّة؟».

هززت رأسي نفيًا: «تكلمت معها على الهاتف مرة أو مرتَين. هذا كل شيء».

لعل يان فيدار قد سئم حديثي عن حنّة! فكّرت في هذا فلم أزد على ما قلته شيئًا، مع أنني كنت متحرقًا لأن أتحدّث عنها. بدلًا من ذلك، جلسنا صامتَين طيلة الدقائق العشر الباقية. جلسنا يهدهدنا هدير محرك الباص المنتظم الذي كنا نعرفه تمام المعرفة. كان إحساسي أننا نجلس في الباصات طيلة حياتنا. نذهب ونجيء، نصعد وننزل، يومًا بعد يوم، باصات، باصات، باصات. نعرف كل شيء عن الباصات. نحن خبراء باصات مثلما كنا خبراء في ركوب الدراجات من غير هدف، وفي السير من غير نهاية، فضلًا عن جوهر وجودنا نفسه، عن الشيء الذي كنا نعرفه معرفة جيدة جدًا: استخدام الإشاعات والإصغاء إلى القيل والقال حتى نتابع آخر الأنباء عما يحدث. ماذا؟ أصحيح أن لدى أحدهم تسجيل فيديو لمجزرة المنشار الكهربائي في تكساس؟ إذًا، نقود الدراجة إلى حيث نجد ذلك الشخص، إلى بيت متداعٍ أمامه أكوام من المهملات. نرى شخصًا لا نعرفه أبدًا، شابًا مريبًا في العشرين من العمر يبدو عليه أيضًا أنه يتعاطى المخدرات، يكون واقفًا هناك عند وصولنا، واقفًا في وسط الفناء من غير أية غاية لوقوفه. هو واقف هناك فحسب. يتلفت إلينا عند وصولنا.

كان ذلك البيت وسط حقل لعين.

يسأله يان فيدار: «سمعنا أن لديك نسخة من *مجزرة المنشار الكهربائي في تكساس*، هل هذا صحيح؟».

يجيبه: «إنه صحيح. لكني أعرتها لأحدهم قبل قليل».

ينظر يان فيدار ويقول: «فهمت. فمن الأفضل أن نعود».

طفل في الثامنة كان وحده في البيت، وكان قد دعا عددًا من أصدقائه؟ صحيح... ننطلق إلى المكان، وندق الباب، فندعى إلى الدخول. إنهم

يشاهدون التلفزيون، لا شيء للشرب. لا فتيات. ليسوا أكثر من بضعة أغبياء ليس في رؤوسهم شيء. لكننا نبقى هناك لأن البديل ليس بأفضل من هذا. هذه هي الفكرة إن أردنا أن نكون صادقَين تمامًا.

كثيرًا ما كنا صادقَين.

أوه! شخص في مكان ما لديه جيتار جديد.

إذًا، نمتطي دراجتَينا وننطلق لكي نرى الجيتار الجديد.

نعم، كنا ماهرين في الاستفادة من الإشاعات. لكن لم نكن أشد مهارة فيه، لم نكن ملوكًا حقيقيين فيه، كان التجول في الباصات والجلوس معًا في غرفتي، أو في غرفته.

لا يستطيع أحد أن يتفوق علينا في هذَين الأمرَين.

ولا شيئًا من هذا يؤدي إلى أي مكان. حسنًا، لعلنا لم نكن جيدَين جدًا في فعل الأشياء التي يمكن أن تؤدّي إلى مكان من الأماكن، أو إلى نتيجة من النتائج. لم تكن تجري بيننا أية أحاديث جيدة حقًا، ولا يستطيع أحد قول ذلك عنا. المواضيع القليلة التي نتابع الحديث عنها ليست إلّا أشياء نعرف أنها غير مفضية إلى أي شيء آخر. لم يكن أي منا عازف جيتار لامعًا، مع أننا أحببنا أن نكون كذلك أكثر مما أحببنا أي شيء آخر. وأما في ما يخص الفتيات، فقد كان من النادر أن نستطيع العثور على واحدة لا تمانع أن نرفع كنزتها حتى نستطيع أن نخفض رؤوسنا ونقبّل حلمتَي ثدييَها. كانت تلك لحظات عظيمة. كانت بصيص مجد برّاق في عالمنا، عالم العشب المُصفر، والخنادق الرمادية الموحلة، والطرق الريفية المغبرة. نعم. هكذا كنت أرى الأمر. وأظنه كان يراه كذلك أيضًا. ما مغزى هذا كله؟ لماذا كنا نعيش هكذا؟ هل كنا في انتظار أمر من الأمور؟ مهما تكن الحال، كيف أفلحنا في أن نكون صبورَين هكذا؟ لأن... لأن شيئًا ما كان يحدث! لا يحدث شيء! الأشياء نفسها دائمًا. يوم يأتي، ويوم يذهب. مطر وريح، وثلج وجليد، وشمس وعاصفة. هكذا كنا نحن أيضًا. نسمع إشاعة من الإشاعات، فنذهب إلى ذلك المكان، ثم نعود، ثم نجلس في غرفته، ثم نسمع شيئًا آخر، فنذهب

بالباص أو على الدراجة أو على الأقدام، ونجلس في غرفة أحدهم. نسبح في الصيف. هذا كل شيء.

ما كان مغزى هذا كله؟ كنا صديقَين؛ ولم يكن الأمر أكثر من هذا.

والانتظار... لقد كان الانتظار هو حياتنا.

نزل يان فيدار من الباص في سولسليتا؛ علبة الجيتار في يده. تابعت إلى بوين. كنت المسافر الوحيد الباقي في الباص. وهناك، نزلت بدوري وسرت إلى البيت مسرعًا حاملًا حقيبتي على ظهري وكيس التفاح في يدي.

وجدتُ أمي في انتظاري من أجل العشاء.

قالت لي عندما دخلت الباب: «مرحبًا. وأنا، لم أعد إلى البيت إلا قبل قليل».

رفعت كيس التفاح وقلت: «انظري، تفاح من جدتي».

«هل زرتهما؟».

«نعم. يرسلان إليك حبهما».

قالت: «شكرًا لهما».

رفعت غطاء القدر. صلصة الطماطم مع قطع من السمك. لعلها سمكة بولوك.

قلت: «لقد تعشيت هناك».

قالت أمي: «لا بأس في هذا. لكني جائعة كثيرًا».

وضعتِ القط على الأرض، ثم تمطت وتناولت طبقًا.

قلت لها: «اسمعي هذا السؤال: وكيف جرت الأمور في صحيفة نيو سورلاند، يا كارل أوفه؟».

قالت أمي: «أوه! لقد نسيت تمامًا».

ابتسمتُ لها: «حصلت على الوظيفة! قرأ ما كتبته قراءة سريعة، فقبل على الفور أن أعمل لديهم».

«لقد بذلتَ جهدًا كبيرًا في تلك المقالات»، قالت، ووضعت في طبقها

بضع قطع من سمكة البولوك، ثم رفعت غطاء القدر الثانية وأخرجت حبة بطاطس. ترجرجت حبة البطاطس في المغرفة عندما خفضتها، ثم تدحرجت منها عندما أدارتها.

قلت لها: «سوف ينشرون مقالة صغيرة عن هذا الأمر. سوف تُنشر غدًا». استخدمتُ المصطلحات الصحافية الأصيلة.

قالت لي: «جميل جدًا، يا كارل أوفه».

«صحيح، لكن هناك مشكلة».

وضعَت الطبق على الطاولة، وتناولَت من الدرج شوكة وسكينًا، ثم جلسَت. جلستُ على كرسي قبالتها.

بدأت تأكل. قالت لي: «مشكلة؟».

«قال لي إن عليَّ أن أحصل على آلة كاتبة. الكتابة بخط اليد غير مقبولة لديهم. إنها ممنوعة. هذا يعني أن عليَّ أن أشتري آلة كاتبة».

«آلة كاتبة جديدة تكلف مالًا كثيرًا».

«ماذا بكِ؟ يجب أن نكون قادرين على تحمل تكلفة آلة كاتبة. هذا استثمار سوف أكسب مالًا إذا أقدمت عليه. لا بد أنك قادرة على فهم هذا؟».

أومأت برأسها وهي تمضغ لقمتها.

قالت لي: «لعل لديهم آلة كاتبة تستطيع استعارتها!».

ضحكتُ ضحكة ساخرة وقلت: «في أول يوم من أيام عملي؟ هل أدخل عليهم وأقول إنني أريد استعارة آلة كاتبة».

قالت: «حسنًا، لعلها لم تكن فكرة حسنة».

حك القط جسده بساقي. انحنيت وداعبت صدره. أغمض عينَيه وبدأ يطلق خرير السعادة. حملته فتمدّد في حضني واضعًا قائمتَيه الأماميتَين على ركبتي.

قالت أمي: «كم يبلغ ثمن الآلة الكاتبة؟ هل لديك تقدير لهذا؟».

«لا فكرة عندي».

«ينبغي أن أكون قادرة على ذلك عندما أتلقى راتب الشهر القادم. وأما الآن، فأنا مفلسة تمامًا، للأسف».

«لكن الشهر القادم لا يزال بعيدًا جدًا؟».

أومأت برأسها.

قلت لها: «أعرف ما ستقولينِه لي. إن لم يكن لدينا مال، فليس لدينا مال».

قالت: «من المحزن أن يكون الأمر هكذا. لكنك تعرف أنك تستطيع سؤال أبيك أيضًا».

لم أقل شيئًا. كان كلامها صحيحًا لأنني أستطيع أن أطلب منه مالًا. إن لديه مالًا كافيًا. ولكن، هل سيعطيني شيئًا من ذلك المال.

إذا لم يرِد أن يعطيني مالًا فسوف ينشأ وضع محرج. سيحسّ بأنني أطالبه بشيء؛ وإذا قال لا، أو إذا أحس بأنه مرغم على قول لا، فسوف أكون أنا من وضعه في هذه المعضلة. عند ذلك، سيكون الأوان قد فات، ولن يعود قادرًا على أن يقول نعم فجأة بعد أن قال لا.

قلت: «سوف أسأله». داعبت ما خلف أذن القط. أغمض عينَيه وتلوّى مستمتعًا.

قالت أمي: «بالمناسبة، هناك رسالة من أجلك. لقد وضعتها على الطاولة الصغيرة في الممر».

«رسالة!».

وضعت القط على الأرض. لا أحب فعل ذلك عندما يكون مستمتعًا إلى هذا الحد. لكن تلك الوخزة الصغيرة التي أصابت ضميري اختفت بعد ثانية واحدة لأنني نادرًا ما أتلقى أية رسائل.

اسمي على المغلف مكتوب بخط أنثوي.

خاتم البريد يكاد يكون غير مقروء.

لكن الرسالة آتية بالبريد الجوي، والطوابع التي عليها من الدانمارك.

قلت: «أنا ذاهب إلى غرفتي. هل يزعجك أن تأكلي وحيدة؟».

صاحت أمي من المطبخ: «لا، بالطبع لا».

في غرفتي، جلست على كرسي عند طاولة المكتب. مزّقت الغلاف. أخرجت الرسالة وبدأت قراءتها.

1985 /8 /20

مرحبًا يا كارل أوفه،

آمل أن تكون بخير. لست أدري إن كنت بخير لأنك لم تكتب لي شيئًا مع أنك وعدتني بأن تكتب لي. لماذا لم تكتب؟ ليتك كنت قادرًا على رؤيتي أجري إلى صندوق بريدنا كلما استيقظت. حسنًا، إذا لم ترد الكتابة، فلن يضايقني الأمر لأنني أحبك أكثر من ذلك كثيرًا. لكن عليَّ الاعتراف بأنني سأحزن إذا لم أسمع منك شيئًا أبدًا. هل أنت آتٍ إلى الدانمارك؟ إذا كنت آتيًا، فمتى يكون ذلك. كل شيء هنا مضجر بعد رحيلك. أكون في النهار مع أصدقائي وصديقاتي. وأذهب إلى الديسكو في الأمسيات. لكن هذا سينتهي عما قريب لأنني مسافرة إلى إسرائيل في الرابع عشر من أيلول. إني تواقة إلى السفر. لكني أتمنّى أن أراك قبل رحيلي.

لعلك تظنني حمقاء لأنني أبني هذا كله على الوقت القصير الذي أمضيناه معًا! ذلك، على الأرجح، لأنك الفتى الوحيد الذي وقعت في حبه. لذا، لا تخيّب رجائي. اكتب لي الآن.

فتاة تحبك،

ليزبيت

دفعت بالرسالة جانبًا. امتلأ صدري قنوطًا. كنت قادرًا على مضاجعتها. كانت راغبة في ذلك. كتبت تقول إنها تحبني، إنها أحبتني. بالطبع، من المؤكد أنها كانت ستقول نعم.

كانت تدرك وجهة سير الأمور، ولم أكن أفكر فيها. وكنت واثقًا من هذا.

يوغّه الملعون!

أولئك الأغبياء القذرون!

خطر لي فجأة أن أتناول مغلف الرسالة وأنظر فيه.

كانت فيه صورة.

أخرجت الصورة. صورة ليزبيت. كانت مبتسمة تنظر إلى آلة التصوير وقد أمالت رأسها جانبًا. إنها في قميص رياضي أصفر اللون عليه كلمة

«nike» مطبوعة بحروف حمراء كبيرة. خصلة شعر متدلية على جانب جبهتها تغطي إحدى عينَيها.

وخصلة شعر مشعّثة متدلية من خلف أذنها من الناحية الأخرى.

رقبتها عارية. إن لها رقبة طويلة جميلة.

شفتاها جميلتان أيضًا، ممتلئتان، يكاد يكون امتلاؤهما غير متناسب مع وجهها الضيق. أوه، تبدو حزينة حقًا.

لكني كنت قادرًا على تذكّر إحساسي عندما أحتضنها. كيف ضحكت عندما أدخلتْ يدها تحت قميصي ووضعتها على صدري فنصبت ظهري واستنشقت نفَسًا عميقًا.

قالت لي: «هل تحاول أن تزداد طولًا. اهدأ. أحبك كما أنت. أنت رائع».

وقد كانت دانماركية.

أعدت الصورة والرسالة إلى المغلف، ثم وضعته في دفتر اليوميات الذي أحتفظ به في الدرج. نهضت واقفًا.

كانت أمي تغسل الأطباق عندما دخلت المطبخ. قالت لي: «كارل أوفه، لقد تذكّرت الآن شيئًا. كانت لدى بابا آلة كاتبة في ما مضى. أظنّها لا تزال هنا. لا أستطيع تخيّل أن يكون قد أخذها معه. اذهب والق نظرة في الحظيرة، في الصناديق الكرتونية هناك».

«هل كانت لديه آلة كاتبة؟».

«نعم، كانت لديه واحدة. ظل بضع سنين يستخدمها في كتابة الرسائل».

غسلت كأسًا بالماء البارد، ثم وضعتها مقلوبة على السطح المحزز إلى جانب المجلى.

«خلال السنوات الأولى التي عشناها معًا، كان يكتب قصائد أيضًا».

«بابا؟».

«نعم. كان شديد الانشغال بالشعر. كان أوبستفيلدر شاعره المفضل. ويلهيلم كراغ كان يعجبه أيضًا، على ما أذكر. الشعراء الرومانسيون».

كررتِ الكلمة نفسها: «بابا».

ابتسمت أمي، «لكن قصائده لم تكن جيدة جدًا».

قلت: «أصدق هذا»، ثم خرجت إلى الممر فانتعلت حذائي وسرت إلى الجهة الخلفية من الحظيرة، التي كانت جهتها الأمامية في حقيقة الأمر، لأن الباب الكبير كان هناك، ولأن القش كان يُكدّس هناك. يتألف الطابق السفلي الذي كان أبي يستخدمه من غرف صغيرة جرى تحويله إلى شقة في السبعينيات. وأما هنا، فلم يتغير أي شيء.

دخلت الحظيرة وفكرت مثلما فكرت مرات كثيرة من قبل في أن امتلاكنا هذا المكان الضخم أمر غريب حقًا. ثم إننا ما كنا نستخدمه في أي شيء.

بل... استخدمناه مخزنًا، وكان هذا كل شيء.

أدوات الزراعة العتيقة كلّها معلقة على الجدار: عجلات العربة، والأعنَّة، ومناجل صدئة، خراطيم، ومذار. وفي بعض الأماكن، كتب أبي الأسماء التي كان يطلقها عليَّ، كتبها بالطباشير. فعل ذلك عندما انتقلنا إلى هذا البيت، عندما كان لا يزال سعيدًا جدًا بكل شيء.

لا تزال تلك الأسماء هنا.

كاكلوفه... لوفّه... لوفِه... كلوفه... كيكيليكلوفه

الصناديق مكدّسة عند الجدار قبالتي. لم يحدث أبدًا أن نظرت في هذه الصناديق. كان هذا أمرًا غير وارد أبدًا عندما كان أبي يعيش هنا، لأنه كثيرًا ما يجلس في الشقة الواقعة تحت هذه الأرضية الخشبية القديمة؛ ومن المؤكد أنه سيصعد لكي يرى ما يحدث في الأعلى إن سمع وقع خطوات أحد هنا. في هذه الحالة، يكون عليَّ أن أعثر على سبب وجيه جدًا لدخولي هذا المكان، فضلًا عن سبب يبرر بحثي بين هذه المقتنيات القديمة.

وجدت ملابس تذكّرت أن أبي وأمي كانا يرتديانها عندما كنت صغير السن: بنطلونات عريضة من الأسفل لا بد أنهما اشترياها خلال الشتاء الذي أمضياه معًا في لندن، لأن من المستحيل الحصول على هذه البنطلونات الواسعة في النرويج، حتى في السبعينيات. رأيت أيضًا معطف أمي الأبيض،

وسترة أبي البرتقالية الضخمة ذات البطانة البنية، إنها السترة التي كان يرتديها عندما يذهب إلى صيد الأسماك. شالات وتنّورات وأوشحة ونظارات وأحزمة وأحذية وجزمات. وبعدها، صندوق فيه أدوات مطبخ قديمة.

لكن، ما من آلة كاتبة هنا!

فتحت صندوقَين آخرَين، واستعرضت محتوياتهما.

وصلت إلى صندوق بدا لي أن فيه مجلات موضوعة في أكياس من النايلون.

هل هي مجلات مصورة نسيت أنها كانت عندي؟ فتحت الكيس الذي في أعلى الصندوق.

كانت مجلات إباحية.

فتحت الكيس التالي.

مجلات إباحية أيضًا.

صندوق كبير كله مجلات إباحية!

لمن هذه المجلات؟

وضعت عددًا منها على الأرض وبدأت أتصفحها واحدة فواحدة.

كان أكثرها من الستينيات والسبعينيات. صور نساء عاريات على أجسادهن علامات البكيني؛ الأثداء والمؤخرات بيضاء كلها. صور لنساء كثيرات في الطبيعة. واقفات خلف الأشجار، أو مستلقيات في الحقول. ألوان السبعينيات كلها، وأثداء كبيرة بعضها مرتخ، وحلمات كبيرة.

كنت جالسًا هناك، أقلّب الصفحات، وجاءني انتصاب. مجلات قليلة كانت من الثمانينيات، فلم أجد فيها شيئًا غريبًا. أما في مجلات الستينيات، فلم أجد صور فتيات سيقانهن منفرجة.

هل كانت هذه المجلات لديه في البيت خلال ذلك الزمن كله؟ في الأسفل، في مكتبه؟

وأيضًا... هل اشترى هذه المجلات حقًا؟

وضعتها في رزمة واحدة ووقفت أفكر. عليَّ أن أخفي هذه المجلات. فقبل كل شيء، لا يجوز أن تراها أمي. وأيضًا، أود أن أستعرضها من جديد.

أو... هل أود حقًا أن أستعرضها من جديد؟

لقد قرأ أبي هذه المجلات. لقد دقق النظر فيها كلها.

لا أستطيع فعل هذا. شيء مقزّز جدًّا.

قرّرت أن أعيدها مثلما كانت. على أية حال، لن تفتش أمي هذه الصناديق.

لم أستطع فهم هذا. طيلة تلك السنوات الطويلة كلّها، عندما كنت صغيرًا، نعم، أوه، يا إلهي... بل حتى منذ ما قبل ولادتي إلى السنة الماضية، كان أبي يشتري مجلات إباحية ويحتفظ بها في البيت.

بدأت أفتح بقية الصناديق. وجدت الآلة الكاتبة في الصندوق قبل الأخير. كانت آلة كاتبة من نوع يدوي قديم؛ وكان عليَّ أن أتوقّع هذا. لو رأيتها قبل المجلات لخاب أملي، بل لعلّي كنت سأرفضها، وألحّ على أمي وأبي من أجل شراء واحدة أخرى. لكنّي لم أجد الأمر مهمًا بعد عثوري على هذه المجلات.

حملتها وأخذتها إلى أمي لكي تراها. كانت مستلقية على الأريكة.

عيناها نصف مغمضتَين. قالت لي: «إنها تفي بالغرض، أليس كذلك؟».

قلت: «صحيح. ينبغي أن تكون وافية بالغرض. هل ستنامين؟».

«سأغفو قليلًا فقط. هل تستطيع إيقاظي بعد نصف ساعة إذا لم أستيقظ بنفسي؟».

«لا بأس». قلت هذا وصعدت إلى غرفتي حيث أعدت قراءة رسالة ليزبيت.

لقد كتبت قائلة لي من غير مواربة إنها تحبني.

لم يفعل هذا أحد من قبل... أبدًا!

أهكذا كان الأمر بالنسبة إلى حنّة؟ عندما قلت لها إنني أحبها! لم أكن أحب ليزبيت. أعجبني أن تكتب إليَّ قائلة إنها تحبني؛ لكن الأمر لم يعنِ لي

أكثر من ذلك؛ كان شيئًا لطيفًا، وكنت مسرورًا لأنها كتبت إليّ. لكن ذلك كان موجودًا خارجي؛ وهي أيضًا كانت موجودة خارجي... هي ليست مثل حنّة!

أهكذا هي مشاعر حنّة تجاهي؟

نعم، لقد قالت لي هذا.

هل كانت تعبث بي؟

لماذا لا تريدني؟ لماذا لا تريد أن تكون معي؟

أوه، كم أردتها!

كان ذلك كل ما أردت. كانت حنّة هي كل ما أردت.

هذه حقيقة.

لكني لن أتابع الأمر أبدًا إن كانت لا تريدني. لا أهمية لهذا.

قرّرت أن أجعلها تتذوق المرارة التي تسقيني إياها. لم يعد للأمر أية أهمية.

نهضت واقفًا، ونزلت إلى الطابق السفلي، إلى الهاتف. رفعت السماعة وطلبت الرقم، لكني توقّفت قبل إكماله. نظرت من النافذة إلى الخارج. طيران أسودان في أجمة خلف النهر ينقران حبات التوت الصغيرة الحمراء. ميفيستو جاثم ينظر إليهما. ذيله يهتز أمامًا وخلفًا.

أكملت طلب الرقم.

أجابني والد حنّة: «نعم، مرحبًا».

كنت أكره أن يجيبني لأن معنى هذا أن ابنته قد خرجت مع شخص آخر، لا معي؛ ولأنه يعرف ما أحاول فعله. أحيانًا، يستمر كلامنا على الهاتف أكثر من ساعة كاملة. أظنّه لا يحب أن أتصل بهم لهذا السبب وحده.

قلت: «مرحبًا. أنا كارل أوفه. هل حنّة موجودة؟».

«انتظر لحظة، يا كارل أوفه. سوف أبحث عنها».

سمعت صوت خطواته نازلة السلم، وتابعت مراقبة ميفيستو يزحف مقتربًا من الطائرَين الأسودَين اللذَين تابعا التقاط حبات التوت الحمراء

غير آبهين له. ثم أتاني صوت خطوات خفيفة فعرفت أنها خطوات حنّة. تسارعت نبضات قلبي.

قالت: «مرحبًا! مصادفة غريبة أن تتصل الآن. لقد كنت أفكر فيك».

«فيم كنت تفكرين؟».

«فيك. هذا كل شيء».

«ماذا لديك هذا المساء؟».

«إنني أدرس. اللغة الفرنسية. مستوى أعلى من مستوى السنة الماضية. صعب جدًا. كيف تسير أمورك مع اللغة الفرنسية؟».

مثلما كانت السنة الماضية. كنت لا أعرف شيئًا، ولا أزال لا أعرف شيئًا. هل تتذكّرين الاختبار الذي حصلت فيه على تقدير جيد؟».

«طبعًا، أذكره. لقد كنت فخورًا بذلك».

«هل كنت فخورًا به؟ حسنًا... عادة ما أحصل على تقدير ضعيف. لذا، كنت مسرورًا، بالطبع. لكن ما فعلته كان شديد البساطة. كان النص طويلًا فيه كلمات فرنسية كثيرة، فلم أفعل شيئًا أكثر من استخدام تلك الكلمات في إجابتي. حوّرتها قليلًا، وأضفت بضع كلمات أعرفها. نجح الأمر. تقدير جيد».

«أنت ذكي جدًا».

«صحيح. ألست ذكيًا؟».

«وأنت، ماذا تفعل؟».

أجبتها: «الحقيقة... لا أفعل شيئًا محدّدًا. لقد وصلتني رسالة فقرأتها عدة مرات».

«أوه! رسالة! ممن؟».

«إنها فتاة التقيتها في الدانمارك».

«أوه! لم تقل لي شيء عنها».

«صحيح. حدثت أمور كثيرة فظننت... ظننت أن هذا لا يهمك أبدًا».

«بل يهمني. يهمني، بالطبع!».

«لا بأس».

«ماذا تقول لك في رسالتها؟».

«تقول إنها تحبني».

«لكنك أمضيت هناك أسبوعًا واحدًا فقط».

«حدث الكثير في ذلك الأسبوع، مثلما قلت لك. لقد نمنا معًا».

«هل فعلتما ذلك؟».

«نعم».

صمت.

«لماذا تقول لي هذا، يا كارل أوفه؟».

لم أجبها أول الأمر. ثم قلت: «قلت لكِ أظنّ هذا لا يهمك. لكنكِ قلت إنه يهمك. هذا ما جعلني أخبرك بما جرى».

قالت: «ممم».

«وأيضًا... نعم، عندما كان ذلك يحدث، فكّرت كثيرًا فينا نحن الاثنَين. فكرت في أنه ربما... في أنه ليس... حسنًا، أنت تفهمين ما أعنيه. أظنني لا أحس تلك الأشياء كلّها التي قلت لك إنني أحسها. أعني، نحوك أنت. رسائلي في هذا الصيف... أظنني كنت، لا أدري كيف، أحب الحب نفسه. هل تفهمين ما أعنيه؟ عندما التقيت ليزبيت...». توقفت لحظة حتى أتيح للاسم أن يترك أقصى أثر له... «عندما التقيتها، كان ذلك شيئًا حقيقيًا. لحم ودم. ليس أفكارًا فحسب. ثم تلقيت رسالتها فأدركت أنني أحبها. إنه أمر رائع! على أية حال، لم يكن هناك أي شيء بيني وبينك. وما من شيء بيننا الآن. لذا، نعم. فكرت في أن عليَّ أن أقول لك هذا».

قالت: «نعم، أمر جيد أنك أخبرتني. أمر جيد أن أعرف».

«لكننا لا نزال صديقَين».

قالت: «بالطبع، نحن صديقان. في وسعك أن تحب من تريد أن تحبها. نحن لسنا حبيبَين».

«لا، لسنا حبيبَين».

«مع هذا، أنا حزينة قليلًا. كان الأمر رائعًا في الكوخ، على الجزيرة، معك».

قلت: «صحيح، كان رائعًا».

«نعم».

«لا بأس، الآن من الأفضل أن تعودي إلى اللغة الفرنسية».

قالت: «صحيح. إلى اللقاء. أشكرك لأنك اتصلت».

«إلى اللقاء».

أعدت السماعة إلى مكانها.

لقد انتهى الأمر الآن. هذا ما أردته. وقد حدث الآن.

في أول استراحة في اليوم التالي، هرولت إلى محطة الوقود على الطريق e18 لشراء نسخة من نيو سورلاند. أخذت النسخة من منصة العرض وقلّبت صفحاتها الأخيرة.

أحسست بحرارة في وجنتي عندما عثرت على صورتي.

كانت مقالة كبيرة، صفحة كاملة تقريبًا. وقد احتلت الصورة نحو ثلثي تلك المساحة. كنت جالسًا، محدّقًا في القارئ تحديقًا مباشرًا، وأمامي ثلاث أسطوانات.

قرأت النص قراءة سريعة. قال إنني شاب شديد الحماسة للموسيقى، وإن لدي آراءً تنتقد تهميش موسيقى الروك من قبل المجتمع. من الناحية الشخصية، تعجبني الفرق البريطانية المستقلة، لكني أعد بأن أكون منفتحًا على الأنواع الموسيقية كلها، بل حتى على «توب توينتي».

أنا لم أقل هذا؛ لم أقله بهذه الكلمات الكثيرة! بل لعلّي لم أقله على الإطلاق. أدركت هذا بعد أن فكّرت في الأمر. لكني عنيته، ففهمني ستينار فيندزلاند.

كانت الصورة ممتازة.

دفعت ثمن الصحيفة، ثم طويتها وسرت عائدًا إلى المدرسة أحملها في

يدي. وفي غرفة الصف التي كان التلاميذ يعودون إليها في ذلك الوقت، وضعت الصحيفة على الطاولة أمامي، واستندت إلى ظهر الكرسي فأملته خلفًا حتى استند إلى الجدار، مثلما أفعل عادة. بدأت أراقب الآخرين.

كان لديّ شك في أن بينهم من يقرأ نيو سورلاند، إلا في مناسبات نادرة. الصحيفة الوحيدة التي يمكن أحيانًا اعتبارها جيدة هي فادريلاندسفينن. من هنا، فقد يجعل وجود الصحيفة على طاولتي بضع عيون تنظر إليها مستغربة. لماذا أتيت بصحيفة نيو سورلاند معك إلى المدرسة؟

سوف يظنون أنني أتيت بها من البيت... مفاخرة!

انحنيت على الطاولة وطويت الصحيفة. لا، لم آت بها من البيت حتى أفاخر بها هنا. لقد اشتريتها من متجر محطة الوقود، فأين أستطيع أن أضعها؟ هذا ما جعلني آتي بها إلى غرفة الصف.

ولكن... لماذا أهتم بهذا؟ أليس من الأفضل أن أقول لهم؟ أليس من الأفضل أن أقول لهم؟

سأقول لهم شريطة ألا أبدو مباهيًا بنفسي.

لكن هذه ليست مباهاة ولا تشدّقًا... إنها حقيقة. أعمل الآن مراجعًا للتسجيلات. وهناك مقابلة معي منشورة في الصحيفة التي اشتريتها من محطة الوقود قبالة المدرسة.

لا معنى لإخفاء هذا أيضًا.

قلت: «يا لارس». كان لارس أقل الأولاد خطورة في صفنا. التفت إليّ. رفعت الصحيفة بيدي. قلت: «أنا من يكتب مراجعات التسجيلات في هذه الصحيفة. هل تحب رؤية هذا؟».

نهض من مقعده وأتى في اتجاهي. فتحت الصحيفة على الصفحة التي فيها صورتي.

نظر وقال: «هذا ليس سيئًا أبدًا!».

نصب ظهره وصاح في غرفة الصف كله: «انظروا، كارل أوفه في الصحيفة».

كان ذلك أكثر مما أملت به، لأن لارس صار بعد لحظة واحدة واقفًا وسط جمع من التلاميذ. كانوا ينظرون إلى صورتي ويقرأون المقالة.

نقّبت في المساء بين ما لدي من مجلات موسيقية قديمة، ودرست ما فيها من مقالات ومراجعات للتسجيلات. كان هناك ثلاثة أنواع من الكتّاب؛ هذا ما خلصت إليه. هناك كتاب أذكياء، بارعون، خبيثون في أحيان كثيرة، من أمثال كييتيل رولنيس وتورغريم إغّن وفين بييلكه وهيرمان ويليس. وهناك الكتّاب الجادون، المتأملون، كأويفيند هانس ويان آرنه هاندورف وآرفيد سكانسكه كنوتسن وآيفار أورفيدال. ثم هناك النوع الثالث من الكتّاب الأوسع معرفة، أصحاب الأفكار الواضحة، الذين ينفذون إلى لب الموضوع من غير لف ودوران. كان منهم دوره أولسن وتوم سكيكليساتر وغيير راكفاغ وغيرد جوهانسن وويلي بي.

كان ذلك كأنني أعرفهم جميعًا. لكن يان آرنه هاندورف هو الكاتب الذي كان يعجبني حقًا. في واقع الأمر، لم أكن أفهم شيئًا مما يكتبه، لكني أحس بحماسته، أحسها في مكان عميق بين مجاهل تلك الكلمات التي تبدو أجنبية. تتهمه رسائل قراء كثر بأنه غير شامل، لكنه لا يبدو مباليًا بهذا لأنه يمضي في خط مستقيم، ويسير، ويسير في ظلمة ليل كتيمة. كان لدي أيضًا احترام كبير لأولئك القادرين على وخز الخصوم بتعليقات قاتلة. تبنيت هذا الأسلوب في التعامل مع خصومي. أهميته الوحيدة هو أنه أسلوب ناجح. لقد كانت هناك مراجعات كثيرة شديدة القسوة. عندما تغيّر فرقة من الفرق توجّهها وتصير أكثر تجارية –هذا كانت تفعله فرقة سمبل مايندز، على سبيل المثال– وتتخذ مسلكًا هينًا، لم يكن أولئك الكتاب يفكّرون مرتَين قبل أن يواجهوا الفرقة المعنية ويطالبونها بتفسير ما تفعله. لماذا؟ لقد كنتم جيدين جدًا، وكنتم جيدين في كل شيء، فلماذا تبيعون أنفسكم؟ لماذا تقدّمون عروضكم في ملاعب رياضية؟ ما هذا الذي تفعلون؟ أين عقولكم؟ وإذا لم

تستجب الفرقة (لا تستجيب أكثر الأحيان لأن النرويج ليست بلدًا مهمًا في نظر تلك الفرق، أينما كانت)، فهم يواصلون إمطارها بتعليقاتهم اللاذعة.

لم أكتب حتى الآن إلا مراجعات لثلاثة تسجيلات، أي تلك التي قرأها ستينار فيندزلاند. حاولت في كتابتي أن أكون محايدًا، وأن أكون شديدًا أيضًا. انتقصت من قيمة واحد من التسجيلات بتعليقَين لاذعَين في آخر المقالة. إنه التسجيل المنفرد الجديد لفرقة «ستونز». لا تعجبني هذه الفرقة أبدًا، فهي فظيعة باستثناء أسطوانة *«بعض الفتيات»* التي لم تكن سيئة. لقد تجاوزوا الأربعين الآن، ولا يزالون في حالة مزرية، مثلما كانوا.

إن لدي هذه القدرة؛ وما عليَّ إلا أن أفسح لها متسعًا حتى تظهر.

في الخارج ظلمة. كان الخريف يحيط العالم بكفّه. وقد أحببته. الظلمة، والمطر، والتصدعات المفاجئة التي تظهر في الماضي، عندما ترتفع رائحة التراب والعشب الرطب من حفرة في مكان من الأماكن، أو عندما يضيء مصباحا سيارة بيتًا من البيوت، فيجتمع ذلك كله ويتعزز بفعل الموسيقى في الووكمان الذي أحمله معي دائمًا. كنت أستمع إلى «ذيس مورتال كويل» وأتذكّر أيام كنا نلعب في الظلام في تيباكن، فيكبر في داخلي إحساس بالسعادة، لكنها ليست سعادة من النوع المتألق الخفيف خليّ البال، بل سعادة جذورها في مكان آخر؛ وعندما يلتقي جمال الموسيقى الكئيب وجمال العالم الذي يموت من حولي، يكون هذا مثل سهم، مثل حزن جميل، مثل حزن رومانسي يصير جمالًا وألمًا في خليط مستحيل؛ ومن هناك، ينبثق توق جامح إلى عيش المزيد. توق إلى ترك هذه الحياة، وإلى العثور على حياة حيث تعاش الحياة حقًا، في شوارع المدن، في ظلال ناطحات السحاب، في حفلات برّاقة فيها بشر جميلون، في شقق لم آلفها. توق إلى العثور على الحب العظيم الوحيد، وإلى كل ما يشتمل عليه من قلق واضطراب، ثم قبول وارتياح ونشوة.

... تخلّ عنها وجد لنفسك غيرها؛ تخلّ عنها! انهض وكن عديم الشفقة! كن مغويًا للنساء! كن رجلًا ترغب فيه النساء جميعًا، لكنّ أيًا منهن

لا تمتلكه! كوّمت المجلات الموسيقية أسفل رفوف الكتب ونزلت إلى الطابق السفلي. كانت أمي تتحدّث بالهاتف في غرفة الغسيل. كان الباب مفتوحًا. ابتسمت لي. وقفت ساكنًا بضع ثوانٍ حتى أسمع ما تتحدث فيه. إنها واحدة من شقيقاتها.

في المطبخ، أخذت شريحة خبز وأكلتها مستندًا إلى الطاولة. شربت معها كأس حليب. عدت إلى الطابق العلوي، وبدأت كتابة رسالة إلى حنّة. كتبت لها قائلًا إنني أظن من الأفضل ألا يرى أحدنا الآخر من بعد الآن. انتابني إحساس بالرضا عندما كتبت ذلك. لسبب من الأسباب، أردت الانتقام لنفسي منها، أردت جرحها، وأردت جعلها تعتبرني شخصًا خسرته.

وضعت الرسالة في مغلف وأسقطتها في حقيبتي المدرسية حيث ظلت راقدة هناك إلى أن اشتريت طوابع لها بعد انتهاء المدرسة في اليوم التالي.

أرسلتها قبل الصعود إلى الباص. وكنت مقتنعًا بأن هذا هو التصرّف الصحيح.

كنت راقدًا على الأريكة في المساء أقرأ كتابًا استعرته من مكتبة المدرسة -كتاب بيورني بوّه *«قبل صياح الديك»*- فصدمني ما فعلته، صدمني فجأة.

لقد أحببتها، فلماذا أقول إنني لا أريد لقاءها بعد الآن؟ تفجّر الندم في داخلي.

لا بد لي من استعادة تلك الرسالة.

وضعت الكتاب على ذراع الأريكة وجلست. هل أكتب لها رسالة أخرى أقول لها فيها إنني لا أعني ما كتبته في الرسالة الأولى؟ أأقول إنني أريد رؤيتها بصرف النظر عما كتبته لها؟

سوف يبدو هذا غباء مطلقًا.

عليَّ أن أتصل بها.

وقبل أن تسنح لي فرصة لتغيير رأيي، مضيت إلى حيث الهاتف وطلبت رقمها.

كانت هي من رد على اتصالي.

قلت لها: «مرحبًا. أريد الاعتذار عما قلته عندما اتصلت بك آخر مرة. لم أرد أن أتصرّف مثلما تصرّفت».

«لم تفعل شيئًا يستدعي الاعتذار».

«بل فعلت. لكن هناك شيئًا آخر. حتى أختصر الكلام... بعثت إليك اليوم برسالة».

«حقًا!».

«نعم. لكني لم أعن ما كتبته فيها. لست أدري ما جعلني أكتب هذه الرسالة. على أية حال، إنها تفاهة، لا أكثر. لذا، أتساءل إن كنت تقبلين أن تفعلي شيئًا من أجلي. لا تقرئي الرسالة. ارميها فحسب».

ضحكت وقالت: «لقد أثرت شهيتي الآن! تريد ألّا أقرأها! هل تتخيل حقًا أنني قادرة على ألّا أقرأها. ماذا كتبت فيها؟».

«لا أستطيع القول. لهذا السبب أكلّمك».

ضحكت من جديد.

قالت: «أنت غريب! لكن، لماذا كتبت ما في تلك الرسالة إن كنت لا تعنيه؟».

«لست أدري. كنت في مزاج غريب. لكن، يا حنه، أرجوك أن تعديني بأنك لن تقرئيها. ارميها وتظاهري بأنها غير موجودة. الحقيقة أنها غير موجودة بأي شكل من الأشكال لأنني لا أعني أي شيء مما كتبته فيها».

قالت لي: «سأرى ما سأفعله بتلك الرسالة. لكنها موجّهة إليّ. أنا من أقرِّر ما أفعل بها».

«نعم. بالطبع. لكني أطلب منكِ فقط أن تكوني لطيفة جدًا معي».

«هل في تلك الرسالة شيء غير لطيف؟ نعم، لا بد أن فيها شيئًا من هذا القبيل، بالطبع».

قلت: «على أية حال، صرتِ الآن على علم بالأمر. ولكن، إذا كنت تحبين أن أركع وأتوسّل إليك، فسوف أفعل هذا. سوف أركع الآن. أنا راكع الآن. أرجوك، ارمِ تلك الرسالة بعيدًا».

ضحكَت. وقالت: «انهض واقفًا يا فتى».

قلت: «ماذا ترتدين الآن؟».

مرت ثوانٍ قبل أن تجيبني: «قميصٌ قصير الكمَّين، وبنطلونٌ رياضيٌّ قصيرٌ. لم أكن أعرف أنك ستتصل. ماذا ترتدي أنت؟».

«أنا؟ قميص أسود، وبنطلون أسود، وجوارب سوداء».

قالت: «لا أعرف لماذا سألتك...». ضحِكت. «سوف أهديك في عيد الميلاد قبعة صاخبة الألوان تجد نفسك محرجًا من وضعها على رأسك في الشارع. لكنك ستفعل هذا لأنها هدية مني. عندما تراني، على الأقل».

قلت: «هذا شرٌّ خالص».

قالت: «صحيح. لست وحدك من يحتكر الشر».

«ماذا تعنين بهذا؟ أنا واثق من أنك لا تعتبرينني شريرًا لمجرد أنني غير مؤمن بالرب».

«كان هذا مزاحًا. لا، أنت لست شريرًا أبدًا. لكنهم ينادونني الآن. أظنّهم قد طهوا شيئًا يريدون أن أتذوقه».

«إذًا، سوف ترمين تلك الرسالة، أليس كذلك؟».

ضحكت وقالت: «مع السلامة».

صحت: «يا حنّة». لكنها كانت قد أنهت المكالمة.

كان اجتماعي مع ستينار فيندزلاند قصيرًا. ما فعلناه، من حيث الأساس، هو أنه أراني كيف تُكتب المراجعات الصحافية. كانت لديهم قوالب خاصة يستخدمونها في الصحيفة، بضع مستطيلات في الأعلى ينبغي ملؤها بطريقة خاصة. أعطاني عدة نماذج. ثم قال لي إن عليَّ اختيار ثلاثة إصدارات جديدة كل أسبوع، وذلك من متجر لبيع التسجيلات اتفقوا معه. أستطيع الاحتفاظ بالتسجيلات بعد ذلك، وسيكون هذا أجري عن العمل، فهل أنا موافق؟ قلت، بالطبع. قال: تسلّمني المراجعات التي تكتبها، وسوف أكمل العمل عليها بنفسي.

غمز لي بعينه وصافحني. ثم استدار وبدأ يقرأ أوراقًا كانت على مكتبه. خرجت إلى الشارع وجسدي لا يزال محتفظًا بتوتر ذلك الاجتماع. كانت الساعة لا تزال الثالثة والنصف، فذهبت لأرى إن كان أبي في البيت. توقّفت وقرعت الجرس. ما من إجابة. نظرت من النافذة فبدا لي البيت خاليًا. وعندما هممت بالتوجه إلى موقف الباص، ظهرت سيارته، سيارة أسكونا لونها أخضر فاتح.

توقّف عند الرصيف.

حتى قبل خروجه من السيارة، استطعت رؤية أنه كان مثلما يكون دائمًا: متصلبًا، حادًّا، حركاته محسوبة. فكّ حزام الأمان، وتناول كيسًا كان موضوعًا إلى جانبه، ووضع قدمًا على الإسفلت. لم ينظر إليَّ أثناء اجتيازه الشارع.

قال لي: «أرى أنك في انتظاري».

قلت: «نعم. فكّرت في المرور عليك».

قال: «تعرف أن عليك أن تتصل قبل مجيئك».

قلت: «نعم. لكني كنت في الجوار، فـ...». رفعت كتفي.

قال: «ما من شيء يحدث هنا. لذا، من الأفضل أن تذهب إلى البيت».

قلت: «حسنًا».

«اتصل في المرة القادمة. هل اتفقنا؟».

«لا بأس، سأتصل».

أولاني ظهره وأدخل المفتاح في القفل. بدأت السير في اتجاه موقف الباص. كان ما قاله صحيحًا: أستطيع الذهاب إلى البيت. لم أكن آتيًا لزيارته من أجلي، بل من أجله هو. وإذا كان هذا غير ملائم، فلست مستاء أبدًا، على العكس تمامًا!

اتصل في العاشرة والنصف من مساء ذلك اليوم. أدركت من صوته أنه ثمل.

قال لي: «مرحبًا، أنا بابا. ألم تنم بعد؟».

قلت: «لا. أحب السهر».

«من المؤسف أنك أتيت لزيارتي في لحظة غير مناسبة. لكن قدومك لزيارتنا لطف كبير منك. الأمر ليس مثلما بدا آنذاك. هل تفهمني؟».

«أفهمك. بالطبع أفهمك».

«لا تقل لي *بالطبع أفهمك*. أمر مهم أن يفهم كل منا الآخر».

قلت: «صحيح، أعرف أنه مهم».

«أنا جالس هنا لكي أجري بضعة اتصالات وأرى كيف حال الناس. وأنا مسترخ الآن مع...».

وعندها، استخدم تعبيرًا من منطقة أوستلاند، «*بيال*»، كلمة تعني شرابًا كحوليًا بدأ يستخدمها في الآونة الأخيرة. بدأ أيضًا يستخدم كلمة أخرى، كلمة «*سلاك*»، باهت اللون، أو من غير عزيمة. تعلّم هاتَين الكلمتَين من أوني. قال لي مرة، أحس بأنني سلاك قليلًا، فنظرت إليه لأنه... لأنه بدا لي أنه لم يقل تلك الكلمة، بل قالها شخص غيره.

«سوف يأتينا بضعة أشخاص مساء الغد لكي نتناول طعام العشاء معًا. إنهم زملائي. أظنك التقيتهم في سانز. سيكون أمرًا لطيفًا أن تأتي، إن كان لديك وقت».

قلت: «نعم، سوف آتي. في أي وقت؟».

«في السادسة، في السادسة والنصف، نفكّر في هذا التوقيت».

قلت: «جيد».

«حسنًا... لكننا لن ننهي المكالمة بهذه السرعة. أم أنك تريد إنهاءها؟».

قلت: «لا».

«أظن أنك تريد إنهاءها. أنت لا تريد الحديث مع أبيك العجوز».

«بل أريد».

لحظة صمت قصيرة. أخذ جرعة من كأسه.

قال لي بعد ذلك: «سمعت أنك زرت جدك وجدتك».

قلت: «صحيح».

«هل قالا شيئًا عني وعن أوني؟».
«لا. لم يقولا شيئًا ذا أهمية خاصة».
«عليك أن تكون أكثر تحديدًا. لقد قالا شيئًا، لكنه لم يكن ذا أهمية خاصة. أليس هذا ما تعنيه؟».
«قالا إنكما كنتما عندهما في اليوم السابق. ثم قالا إنهما التقيا أوني، وإنها شخصية لطيفة».
«أوه... إذًا، هذا ما قالاه».
«نعم».
«هل فكرت أين تحب أن تمضي عطلة عيد الميلاد؟ معنا هنا، أم مع أمك؟».
«لا، لم أفكر في الأمر بعد. لا يزال أمامنا وقت طويل حتى عيد الميلاد».
«هذا صحيح. لكن علينا أن نضع خططًا. أنت تدرك هذا. لم نقرر بعد إن كنا سنذهب جنوبًا، إلى الشمس أم سنحتفل هنا. إن كنت آتيًا إلينا، فسوف نبقى هنا. لكن علينا أن نعرف هذا عما قريب».
قلت: «سوف أفكر في هذا. وقد أتحدّث مع إنغفه».
«تعرف أنك تستطيع أن تأتي وحدك».
«صحيح. أعرف هذا. هل من الممكن أن ننتظر لنرى؟ لم أفكر في الأمر أبدًا، حتى الآن».
قال: «بكل تأكيد. أنت في حاجة إلى وقت للتفكير. لكني أظن أنك تفضل أن تظل مع أمك».
قلت: «ليس بالضرورة».
قال: «لا بأس، حسنًا. أراك غدًا».
أغلق الهاتف. فذهبت إلى المطبخ وغليت قليلًا من الماء.
صحت مخاطبًا أمي التي كانت جالسة في غرفة المعيشة طاوية ساقيها تحتها: «أتريدين شايًا؟». كان القط مستلقيًا في حضنها؛ وكانت تحوك شيئًا وتستمع إلى الموسيقى الكلاسيكية في الراديو.

في الخارج، كانت ظلمة الليل سوداء تقريبًا.

أجابتني أمي: «نعم، من فضلك».

عندما دخلت غرفة الجلوس بعد خمس دقائق من ذلك حاملًا فنجانًا في كل يد، وضعت أمي ما تحوكه على ذراع الأريكة، ثم رفعت القط من حضنها وتركته يستلقي إلى جوارها. مدّ ميفيستو قائمتَيه أمامه، ثم تمطّى، فبرزت مخالبه. أنزلت أمي ساقيها ووضعت قدميها على الأرض، ثم دعكت كفيها معًا بضع مرات مثلما تفعل عادة بعد أن تظل جالسة في سكون فترة من الوقت.

قلت: «أظن أن بابا صار يكثر من الشرب»، وجلستُ على الكرسي الهزاز تحت النافذة. صرّ الكرسي تحت ثقلي. نفختُ على الشاي، ثم أخذت رشفة من فنجاني ونظرت إلى أمي. وقف ميفيستو أمامي، ثم قفز بعد لحظة وجلس في حضني.

قالت أمي: «أهو من كنت تكلّمه قبل لحظات».

قلت: «إنه هو».

«هل كان ثملًا؟».

«ممم... قليلًا. لكنه كان ثملًا تمامًا عندما تعشيت عندهما آخر مرة».

قالت: «ما شعورك إزاء ذلك؟».

رفعت كتفي وقلت: «لست أدري. لعل الأمر يبدو غريبًا بعض الشيء. عندما ذهبت إلى الحفلة التي أقاماها هنا، كانت تلك أول مرة أرى فيها أبي ثملًا. وأما الآن، فقد حدث هذا مرتيَن خلال فترة قصيرة جدًا».

قالت أمي: «قد لا يكون الأمر غريبًا جدًا. لقد حدثت تغيّرات كبيرة في حياته».

قلت: «صحيح. هذا صحيح. لكنه صار صعبًا، صار شديد الصعوبة. يسألني دائمًا إن كان قد فعل أشياء خاطئة عندما كنا نكبر هنا، ثم يصير عاطفيًا جدًا، ويتحدّث عن الوقت الذي كان فيه يدلك قدميّ عندما كنت صغيرًا جدًا».

ضحكت أمي.
كان هذا شيئًا نادر الحدوث. نظرت إليها وابتسمت لها.

قالت: «أهذا ما يقوله لك؟ لعله دللك ساقك ذات مرة! لكنه كان شديد الرقة معك. لقد كان رقيقًا بالفعل».

«لكنه لم يبق هكذا بعد ذلك!».

«بل بقي كذلك، بالطبع. لقد ظلت مشاعره رقيقة، يا كارل أوفه».

نظرت إليّ عندما قالت هذا. حملْتُ ميفيستو ونهضت واقفًا.

سألتها: «ألديكِ رغبة في الاستماع إلى شيء؟».

ركعتُ أمام مجموعة التسجيل الصغيرة التي كنت قد وضعتها عند الجدار. سار ميفيستو بخطوات بطيئة مثلما يفعل عندما يكون مستاء، ثم ذهب إلى المطبخ.

قالت أمي: «أسمعني ما شئت».

أغلقت الراديو، ووضعت واحدًا من تسجيلات سِيْد، التسجيل الوحيد عندي الذي من المحتمل أن يعجبها، ولو قليلًا.

بعد أن ملأت الموسيقى الغرفة بضع دقائق سألتها: «هل يعجبك هذا؟».

أجابت: «نعم. شيء لطيف جدًا». وضعت فنجانها على طاولة إلى جوار الأريكة، ثم استأنفت الحياكة.

في اليوم التالي، ذهبت بعد المدرسة إلى متجر التسجيلات في بلاتبورسن، وقلت للشخص الذي يعمل فيه إن لدي اتفاقًا مع ستينار فيندزلاند من صحيفة نيو سورلاند، اتفاقًا من أجل أخذ ثلاث أسطوانات. أومأ الرجل برأسه، فأمضيت نصف ساعة في اختيار الأسطوانات التي سأكتب عنها. أردت أن أختار أسطوانات لأشخاص أعرف أغانيهم؛ ومن الأفضل أن تكون هناك مراجعات مكتوبة عنهم في صحف أخرى حتى يكون لديَّ نموذج أستطيع الاستفادة منه.

وأيضًا، اشتريت أسطوانة أخرى بمالي الخاص الذي أعطتني إياه أمي ذلك الصباح. وحتى أهدئ جوعي، ذهبت إلى «غيهيب» واشتريت

فطيرة بالكاسترد والقرفة، ثم مضيت عبر بوابة ماركنز حاملًا الفطيرة بيد، والأسطوانات بيد أخرى. أنهيت الفطيرة ورميت الكيس الورقي في الشارع. كنت أمسح يدي عندما صاح بي كهل ممتلئ قليلًا، لكنه حسن الملبس: «أنت! نحن لا نرمي الفضلات في هذه المدينة! ارفع الكيس الذي رميته!».

استدرت بقلب خافق. نظرت إليه بأقصى ما استطعت من برودة. كنت مذعورًا، لكني تحدّيت خوفي وتقدّمت منه بضع خطوات.

قلت له، «ارفعه بنفسك إن كان الأمر مهمًا عندك إلى هذا الحد».

ثم استدرت -قدماي ترتعشان خوفًا، وقلبي ينتفض في صدري- وتابعت سيري في الشارع.

توقعت أن يجري خلفي ويمسك بي ويصفعني، بل حتى أن يسدد لكمة إلى بطني، لكن شيئًا من هذا لم يحدث.

مع ذلك، تابعت سيري بخطوات سريعة إلى أن اجتزت عدة كتل سكنية قبل أن أجد ما يكفي من الجرأة على الالتفات والنظر خلفي.

ما من أحد هناك.

كيف تجرّأت على هذا؟

كيف تجرّأت على الرد عليه هكذا؟

لقد أعطيته شيئًا يستطيع التفكير فيه. ماذا يفعل، بحق الجحيم؟ هل يحاول أن يأمرني؟ من أعطاه هذا الحق؟ ألست شخصًا حرًّا؟ لا يحق لأي شخص أن يملي عليَّ ما أفعله وما لا أفعله. ما من أحد يحق له هذا أبدًا!

كانت هذه الجمل تغلي في داخلي عندما واصلت سيري متجاوزًا فندق كاليدونيان. قاربت الساعة الرابعة؛ ولا يزال عليَّ أن أقتل ساعتَين من الوقت. سرت في اتجاه المكتبة العامة، لكني سلكت طريقًا عبر شوارع فرعية حتى أقلل احتمال مصادفتي ذلك الشخص من جديد. صرت في المكتبة، فجلست في غرفة القراءة، ونظرت إلى أسطواناتي بعض الوقت، قبل أن أنهض لكي أبحث عن كتاب في الرفوف التي خلفي. وجدت الجزء الأول من ثلاثية بيورني بوّه عن تاريخ البهيمية، ذلك الكتاب الذي

تحدّثت عنه هيلدِه من صفنا بحماسة شديدة. قبل الآن، لم أقرأ شيئًا من أعمال بيورني بوّه غير كتاب *«أسماك القرش»*، الذي قرأته عندما كنت في الثانية عشرة مثلما قرأت كتب جاك لندن، اللهم إلا بضع صفحات من رواية *«حيث يصيح الديك»*، استطعت قراءتها يوم أمس. لكني مضيت عبر الصفحات الأولى من هذه الثلاثية، فأدركت أنني لم أفهم شيئًا مما قرأته لهذا الكاتب من قبل. كان عميقًا؛ وكان مؤلمًا. افتتاحية الكتاب، حديثه عن ريح الجنوب. كان ذلك رائعًا.

هل يأتي الشر من الخارج؟

هل يأتي مثل ريح تجرّ الناس وتحملهم معها؟

أم إنه يأتي من الداخل؟

نظرت إلى الساحة المربّعة أمام الكنيسة حيث بدأت تتجمّع على الأرض أوراق أشجار صفراء وبرتقالية. وفي الشارع خلف الساحة، كان الناس يسيرون تحت مظلاتهم.

أمن الممكن أن أصير شريرًا؟. أأجد نفسي وقد حملتني ريح لا إنسانية فأقدِمُ على تعذيب واحد من الناس؟

أم إنني... هل كنت شريرًا بالفعل؟ لم يكن التعذيب أمرًا مهمًا من هذه الناحية؛ ليس الآن. هكذا فكّرت، ثم تابعت القراءة. لكنّ هذا كان كتابًا لا تكاد تنظر إليه قبل أن ترفع عينَيك عنه من جديد، وتفكّر. التعذيب حالة قصوى؛ وإبادة اليهود حالة قصوى أيضًا. لكن من نفّذوا ذلك كانوا أشخاصًا عاديين! فلماذا فعلوا ما فعلوه؟ أما كانوا مدركين أنه غير صحيح؟ بلى، كان ذلك واضحًا لهم، بالطبع! أهذا ما كانوا راغبين فيه؟ في أعماق قلوبهم؟ عندما كانوا يسيرون في مدنهم الصغيرة الأنيقة ويحرصون على التأكد من أن كل شخص يفعل ما يتعيّن عليه فعله، مؤمنين بأنهم أخيار جدًا. فهل كان الشر هو ما يريدونه حقًا إن سنحت لهم فرصة؟ حتى من غير أن يدركوا ذلك؟ أم كان شيئًا حملوه في أنفسهم، شرًا لا شكل له لم يلبث أن انبثق عندما واتته الفرصة؟

أوه... كم كان غبيًا أن يمضوا في حياتهم مؤمنين بالرب وبالآخرة. لقد

كان في هذا قدر كبير من الغرور! غرور غير معقول! فلماذا يكون الرب قد اختارهم؟ لماذا يختار بشرًا منشغلين ذلك الانشغال كلّه، طيلة الوقت، بالتأكد من أن كل شخص يفعل ما هو صواب؟ أولئك الحمقى، صغار العقول! لماذا يكون الرب مهتمًّا بهم؟ لماذا يهتمّ بهم من دون الناس جميعًا؟

كدت أضحك بصوت مرتفع في المكتبة، لكني استطعت ضبط نفسي في اللحظة الأخيرة فكتمت ضحكتي. ضحكت ضحكة صغيرة.

نظرت من حولي، فرأيت أن أحدًا لم ينتبه إلى ضحكتي. وبعدها، حتى أخفي حقيقة أنني كنت أنظر من حولي، ألقيت نظرة عبر النافذة مائلًا برأسي قليلًا حتى أبدو كأنني أفعل شيئًا مقصودًا، كأنني أبحث عن شيء هناك.

أليست هذه رينيت؟

نعم، إنها رينيت!

رأيتها تدخل متجر ببّيز بيتزا. ولعل تلك التي معها موني! إنها موني!

لحظة جامحة واحدة فكّرت خلالها في اللحاق بهما. أراهما هناك، كأنها مصادفة، وأسألهما إن كنت أستطيع مرافقتهما، فنجلس معًا، وألفّهما بسحري، بطريقة عادية، ثم نذهب بالباص إلى البيت، أذهب معهما. نحن في يوم الجمعة. إن لهما شعبية كبيرة، ولا بد أنهما ذاهبتان إلى حفلة. من الممكن أن نحتسي بضع كؤوس من البيرة. ومن الممكن أن أرافق رينيت إلى بيتها. قد تمسك بيدي؛ وقد تسألني إن كنت أحب الدخول. سأقول نعم. وعندما نصير داخل البيت، أخلع عنها قميصها وبنطلونها وألقيها على الفراش وأضاجعها حتى تفقد وعيها.

ها ها!

أضاجعها حتى تفقد وعيها! أوه، نعم، نعم يا كارل أوفه!

خارت ركبتاي لمجرد التفكير في هذا. نعم، من المحتمل أن أستطيع خلع ثيابها عنها. إذا كنت محظوظًا، محظوظًا جدًا، فقد أكون قادرًا على فعل ذلك. لكني لن أستطيع فعل ما هو أكثر منه. هناك أتوقف. هناك تخور ركبتاي.

كانت رينيت تصغرني بسنتَين. وكان لها جسد يسيل لعاب المرء عندما ينظر إليه. حيث كنت أعيش، كانت رينيت هي الجسد.

سخرتا مني ذات مرة عندما كنا في الباص. ليست هي من سخرت مني، فقد اكتفت بأن تستمع فقط. موني هي التي سخرت مني. كانت تصغرني بثلاث سنين!

لقد قالت لي: «أنت وسيم جدًا، يا كارل أوفه. لكنك لا تقول شيئًا أبدًا. لماذا لا تقول شيئًا أبدًا؟ وما أمر خدّيك؟ لماذا يحمران هكذا؟ هل أنت آتٍ معنا؟ نحن ذاهبتان إلى بيت رينيت. سيكون هذا شيئًا جميلًا، أليس كذلك؟ أم لعلك من المثليين! أهذا ما يجعلك تظل صامتًا؟».

كانت فتاة تافهة وقحة لها فم كبير كثير الكلام؛ وكان إيمانها بنفسها أكبر من فمها.

كنت واقعًا في حب أختها طيلة الصف الثامن، ولم تكن لي معها أية فرصة على الإطلاق. كنت أكبر منهما كثيرًا، وكنت عاجزًا عن الإجابة عن أي شيء. إنها قادرة على إرباكي. كانت رينيت حاضرة أيضًا لكنها، على الأقل، ليست أصغر مني بثلاث سنين، بل بسنتَين فقط. لقد كانت في الصف الثامن، وكانت... لكن لا، كانت مصغية إلى ذلك كله، ورأتني أتجمّد وأنظر من النافذة محمرّ الخدّين، كأنني أتخيّل أن التخلّص من ذلك الوضع ممكن إذا تظاهرت بأنني لا أراهما ولا أسمعهما.

لا أملّ أبدًا! ولكن، ألا أستطيع مضاجعتهما؟ طيب، لا أريد مضاجعة موني... وأما رينيت؟

لا. لا أستطيع فهذا هو -على وجه التحديد- ما لا أستطيع فعله.

خفضت ناظري، وواصلت القراءة. لم تمض ثوانٍ كثيرة قبل أن تغيب عن ذهني أية كلمات غير الكلمات التي كتبها بيورني بوّه. كنت شاكرًا لهذا.

أتى ستة ضيوف غيري إلى العشاء في بيت أبي وأوني. جلسنا من حول الطاولة الكبيرة في غرفة المعيشة. كان عليها مفرش أبيض وشموع ومناديل

طعام وسكاكين وشوكات وملاعق فضية. قال لي أبي أن أشرب مع الطعام كأس نبيذ أحمر. فشربت. لم أتكلم إلّا قليلًا جدًا. جلست معظم الوقت أنظر إليهم، ورأيت مزاجهم يعلو وهم يتجاذبون أطراف الحديث ويضحكون. أنهيت الكأس، ومددت يدي إلى زجاجة النبيذ. حملت الزجاجة. رآني أبي فهز رأسه مرة واحدة. فأعدت الزجاجة مكانها. قال أحدهم إن لديهم في البيت طفل رضيع بلغ عمره ستة شهور؛ وقال إنهم يناقشون الآن إن كانوا سيعمّدونه في الكنيسة أم لا. لم يكن الرجل مؤمنًا؛ ولا حتى زوجته مؤمنة. لكن التقاليد كانت مهمّة في نظرهما. وكان السؤال الذي طرحه على الجميع: هل هذا كافٍ؟

تسارع نبض قلبي. قلت: «لقد عمّدوني من أجل المال. لكني تركت الكنيسة الرسمية يوم بلغت السادسة عشرة».

نظر الجميع إليَّ. ابتسم أكثرهم ابتسامة صغيرة. قال أبي: «هل تركت الكنيسة؟ أتركتها سرًّا؟ من سمح لك بهذا؟».

قلت: «هذا من حق أي شخص عندما يبلغ السادسة عشرة؛ وأنت تعرف أني صرت في السادسة عشرة».

قال أبي: «قد يكون هذا قانونيًا، لكن ذلك لا يعني أنه صحيح».

قالت أوني ضاحكة: «لكنك تركت الكنيسة أيضًا. لذا، لا تستطيع القول إن ابنك لا يستطيع أن يفعل ما سبقته إلى فعله».

أخفى انزعاجه بابتسامة، لكني أعرفه. لم يعجبه هذا. كنت قادرًا على الإحساس ببرودته. لكنها لم تلحظ شيئًا. تابعت أوني الثرثرة والضحك.

بدأ أبي يزداد دفئًا شيئًا بعد شيء. وواصل الشرب فتبخر ما به من جمود. وما كان مهمًا صار الآن غير مهم، ولم تعد كأس نبيذ واحدة كل ما هو مسموح لي بشربه. هكذا توقّعت. لقد كنت مصيبًا لأنني تناولت الزجاجة فلم يلحظ أبي شيئًا. ملأت الكأس. صارت أمامي كأس مترعة حتى حافتها.

صار أبي منطلقًا، وصارت من حوله هالة كبيرة، بل صارت له هالة ضخمة ملأت الغرفة كلها. صار الشخص الأكثر ظهورًا، وصارت الأعين

تنظر إليه. لكن، ليس على نحو دافئ. لم يكن في عينيه دفء. كان كل شيء فيه زائدًا، وكان عالي الصوت أكثر مما ينبغي. كان يقاطع الناس في مواضع غير صحيحة، ويضحك للا شيء، ويتفوّه بالتفاهات، ولا يصغي إلى أحد. يشعر بالإساءة، فيغيب برهة، ثم يعود كأنّ شيئًا لم يحدث. قبّل أوني قبلة طويلة أمام الجميع. ابتعد الآخرون بأعينهم، وابتعدت تعابير وجوههم. صاروا غير راغبين في سماع ما يقوله، لأن ما يقوله تجاوز قبولهم. صار سلوك أبي غير لائق. وصرت قادرًا على ملاحظة هذا، فوجدت نفسي أفكر في أن أولئك الحمقى الملعونين لا يعرفون شيئًا، ولا يفهمون شيئًا. صرت أقول في نفسي إنهم تافهون وإنهم لا يعرفون إنهم تافهون. كان هذا أسوأ ما في الأمر لأنهم يرون أنفسهم شيئًا عظيمًا في حين أنهم ليسوا أكثر من تافهين.

في ذلك الخريف، بدأ يظهر نموذج متكرر لسير الأمور. يشرب أبي كل عطلة نهاية أسبوع. لا فرق إن زرته في الصباح أو بعد الظهر أو في المساء، يوم السبت أو يوم الأحد. لكنه لم يكن يشرب في بداية الأسبوع، أو أنه يقلّل الشرب خلال الأسبوع، باستثناء مرة واحدة في أمسية من الأمسيات، أي عندما يتصل بالهاتف مع كل من يعرفه (بمن فيهم أنا)، ويثرثر عن هذا الشيء أو ذاك. يكون صارمًا عندما لا يشرب، ويكون رسميًا جدًا، تمامًا مثلما كان دائمًا، ويطرح عليّ بضعة أسئلة عن المدرسة، وقد يسألني عن إنغفه، ثم نجلس ونتابع التلفزيون ولا نتبادل أية كلمة، إلى أن أنهض واقفًا وأقول إنني ذاهب. لم يكن يريد وجودي عنده. هذا ما أحسسته. لكني واصلت الاتصال به وسؤاله إن كنت أستطيع الذهاب إليه في هذا الوقت أو ذاك، فيجيبني إنه سيكون في البيت وقتها؛ تعال. لكن الحابل يختلط بالنابل عندما يسكر، فيحدّثني ويقول لي إنه يمضي وقتًا رائعًا مع أوني، ثم لا يتردّد في الخوض في تفاصيل حياته مع أمي، وكيف كانت تلك الحياة إن هي قورنت بالحياة التي يعيشها الآن مع أوني. ثم يبكي، أو تقول أوني شيئًا من غير تفكير، فيترك الغرفة وقد غضب وساء مزاجه، أو يتركها حزينًا أشد

الحزن. لم يكن عليها إلا أن تذكر اسم رجل حتى ينهض أبي واقفًا ويخرج. كانت تفعل ما يفعله إن ذكر اسم امرأة. تنهض وتخرج من الغرفة.

في مجرى تلك الأمسيات، يتحدّث أبي عن طفولتي مرة واحدة على الأقل؛ لكن حديثه عن طفولتي لا يلبث أن يتداخل مع طفولته، فيقول لي إن جدي كان يضربه. يكرر أنه لعله لم يكن أبًا جيدًا لي، لكنه فعل دائمًا أفضل ما يستطيع فعله. يقول هذا دامع العينَين. يكون دامع العينَين دائمًا كلما قال إنه فعل أفضل ما استطاع فعله. كثيرًا ما يعود إلى ذكر تدليك ساقي ويتذكّر كم كانا فقيرَين تلك الأيام. لم يكن لديهما أي مالٍ تقريبًا. يكرّر قول هذا كثيرًا.

أخبرت أمي ببعض ما يقوله أبي، وببعض ما يفعله. كانت حياتي معها مختلفة كل الاختلاف. كانت حياة حقيقية. وكنت أناقش معها كل ما يدور في رأسي باستثناء أي أمر متصل بالفتيات، وباستثناء ذلك الشعور الفظيع بأن لا أصدقاء لي في المدرسة، وكذلك باستثناء أجزاء كبيرة مما يقوله أبي. لكني كنت أقول لها كل شيء آخر، وكانت تصغي إليَّ ويرتسم على وجهها أحيانًا تعبير دهشة حقيقي، كأنها لم تفكر في حياتها كلها بشيء يشبه ما أقوله لها. ومع أن ما أقوله ليس جديدًا عليها، بالطبع ليس جديدًا عليها، فإن تعاطفها معي كان عظيمًا إلى حد يجعلها تنسى نفسها وتنسى أفكارها. كنت أحسّ أحيانًا بأننا عقلان يتخاطبان؛ أو أحس كأننا ندّان، على الأقل. ثم تغير أمر ما فبدأت المسافة بيننا تصير واضحة. فخلال الأسابيع التي أمضيتها في قراءة بيورني بوّه وأمضيت بضع أمسيات متتالية منها في الحديث عن انعدام المعنى في كل شيء إلى أن انفجرت أمي ضاحكة. داهمتها نوبة ضحك مزعجة، وقالت لي دامعة العينَين لشدة ضحكها (تمامًا مثلما يحدث لأبيها)، إن الحياة ليست هكذا. قالت: انظر من حولك! ما أشد ما بقيت مستاء منها طيلة ذلك الأسبوع! لكنها كانت محقة. الأمر الغريب، هو حقيقة أننا تبادلنا المواقع. عادة ما أكون أنا من يقول إن المتعة هي جوهر الحياة، وإنني لن أقع أبدًا في تلك الشراك، شراك الواجب والعمل من التاسعة حتى الرابعة؛ فتقول لي أمي إن الحياة كفاح، وإن تلك هي حقيقتها. لقد صرت متمسّكًا

بتشاؤم بيورني بوّه وبجدار اللامعنى الذي تراه لحظة تبدأ التفكير في تلك السطور. صرت مدركًا بؤس العالم. على أن هذا ظل من غير أثر على حياتي نفسها، وعلى الخطط التي كانت عندي، تلك الخطط الإيجابية المتينة. مع هذا، كانت هناك صلة بين الأمرَين، لأن الحياة البديلة، الحياة خارج القيم البرجوازية، تأتي معها بشيء من التبصّر في اللامعنى. أوَليس هذا هو أساس كل تفكير في إمتاعك نفسك، في عدم العمل، في عدم المبالاة، وفي الاحتجاج على الواجبات؟ كان دفتر مذكراتي خلال سنوات المدرسة الثانوية مفعَمًا بهذا النوع من المناقشات. هل الربّ موجود؟ كتبت هذا في رَأس واحدة من الصفحات؛ لا، على الأرجح لا؛ كتبت هذا بعد ثلاثة سطور. لم أكن شخصًا فوضويًا إلى درجة القول «اللعنة عليهم جميعًا»، بل كنت أكثر وضوحًا من ذلك، وأكثر اتساقًا. لا يجوز أبدًا أن يكون إنسان أعلى من أي إنسان آخر، ولا يجوز أن تكون هناك دولة وطنية، بل نوع من اتحاد فضفاض بين الأفراد على مستوى محلي. هكذا كنت أرى. لا شركات متعدّدة الجنسية، ولا رأسمالية؛ وبالتأكيد، لا دين. كنت مع الحرية، مع بشر أحرار يؤدّون أفعالًا حرة. تعترض أمي قائلة، من يعتني بالمرضى؟ حسنًا، من الممكن فعل هذا على مستوى محلي، ألا يمكن إنجازه؟ تجيبني بسؤال آخر: ومن يدفع لقاء ذلك، وبأية عملة؟ لا شك في أنك ستكون في حاجة إلى عدد من المؤسسات على المستوى الوطني. أم إنك تريد إلغاء النظام المالي كله؟ لم لا؟ ما العيب في الاقتصاد المنزلي؟ كان هذا ما أقوله لها. ولكن، لماذا نفعل ذلك؟ كيف سيجري إنتاج تسجيلاتك كلها في نظام من ذلك النوع؟ أصير عند ذلك في وضع مهزوز، ويتهاوى اثنان من عوالمي: عالم يضم كل ما هو حسن، وكل ما هو ممتع؛ وعالم يشتمل على المبادئ. أو... أستطيع التعبير عن هذا بطريقة أخرى: يتهاوى عالم ما أنا راغب فيه وعالم ما أنا مؤمن به. لم أكن واحدًا من أولئك النباتيين البيئيين، بحق الرب! لم يكن الأمر هكذا. إلا أن تلك هي نهاية المطاف إن أردت متابعة منطق مبادئي الأساسية إلى نهايته.

استقبلتْ أمي بضع مرات صديقاتٍ أتين لزيارتها في أرندال؛ واستقبلت بضع مرات عددًا من زملاء الدراسة في أوسلو؛ واستقبلت بضع مرات صديقات لها في كريستيانساند. في نظرهنّ جميعًا، كنت الابن الذي كبر. كنت أجلس معهنّ وأتحدّث حتى أفاجئهن وأثير إعجابهنّ. تقلن لأمي دائمًا إنني كبرت كثيرًا؛ تقلن هذا بعد خروجي. كان سهلًا إلى حد عجيب أن أجعلهنّ يعتقدن ذلك.

أمضيت معظم وقتي خارج المدرسة في كتابة مراجعات التسجيلات الثلاثة. وبما أنني لم أكن أتلقى أي مالٍ مقابل ذلك، فقد عملت أمسيات كثيرة في مصنع الأرضيات. وخلال تلك الشهور، حرصت خاصة على مواصلة زيارة جدتي وجدي لأنهما يعرفان ما يفعله أبي، ولأن من واجبي أن أبيّن لهما أنني لا أزال مثلما كنت، إضافة إلى تمثيلي أبي في الوقت عينه: إذا كانت حياتي تسير على نحو حسن، فإن هذا مفيد في تبديد الانطباع الذي تخلقه حياة أبي!

تعرفت على بضعة أشخاص جدد في المدرسة. كان باسن رفيقًا لشخص اسمه إسبن أولسن منذ الصف الثاني. وكان إسبن هذا طفلًا مغرورًا من منطقة هانز لديه قدر من الثقة بالنفس يصعب احتماله، وكان يعرف كل ما يستحق أن يعرفه المرء! كنت أدرك وجوده لأنه واحد من أولئك الذين تدرك وجودهم: طريقة صعوده إلى منصة الخطابة من غير تردّد عندما يأتي وقت الانتخابات، وتحدّثه في صالة المطعم الغاصة بالتلاميذ، وثقته التامة بنفسه عندما كان رئيس جمعية «آيدون» في مدرستنا الثانوية. وقفت إلى جواره في واحدة من الاستراحات. قال لي: «أرى أنك تكتب مراجعات لصالح صحيفة نيو سورلاند».

قلت: «صحيح».

قال: «رأيتك مرة عندما كنا في الصف الأول، فكان لا بد لي من الضحك. لقد وضعت شارة بول يونغ إلى جانب شارتَيّ فرقة إيكو وفرقة باليمن! كيف يكون هذا ممكنًا. بول يونغ رديء جدًا».

فقلت له: «إن الناس يقدّرونه بأقل مما يستحق».

أطلق ضحكة ساخرة وقال: «لكن r.e.m. فرقة جيدة. هل سمعت أغنية 'أخضر على أحمر'؟». أجبت: «بالطبع». وسألته إن كان قد سمع أغنية وول أوف فودو. هل أنت جاد في هذا السؤال؟ ستان ريدغواي هو الملك!

وبعد بضعة أسابيع، على غير انتظار، دعاني إلى حفلة سكر في بيته. لماذا دعاني؟ أثار هذا عجبي. لم يكن لديّ شيء أقدمه؛ ولم أتوقّع أنه في حاجة إلى أي شيء. قال لي إنه سيجلب البيرة، وإن علي ألا أشغل نفسي بهذا الأمر لأنني أستطيع أن أدفع نصيبي عندما أكون هناك. صعدت إلى الباص في وقت مبكر من مساء يوم السبت، ونزلت عند موقف «ريبل يِل»، ثم سرت صاعدًا تلة هانز حيث يعيش. كان المكان غير بعيد عن مركز التسوّق الذي قدّمنا فيه عرضنا الكارثي في السنة السابقة.

اتضح أنه يعيش في واحد من مجموعة بيوت متصلة من طابقَين. فتح لي الباب رجل ينبغي أن يكون والده.

سألته: «هل إسبن هنا؟».

أجابني: «إنه هنا. ادخل. هو في الأعلى». ثم تنحّى جانبًا.

امرأة، ينبغي أن تكون أمه، كانت خلف أبيه في الممر. كانت منحنية تضع قدمها في حذائها.

قال الأب: «لا أظننا التقينا من قبل».

أجبته: «لم نلتق. اسمي كارل أوفه». صافحت يده.

قال لي: «إذًا، أنت كارل أوفه».

ابتسمت لي الأم وصافحتني بدورها.

قالت: «نحن خارجان الآن، مثلما ترى. أتمنى لكما أمسية طيبة».

ذهب الأبوان، وصعدت السلم بشيء من التردّد، فهذا بيت لا أعرفه.

صحت بصوت مرتفع: «إسبن!».

أجابني صوته: «أنا هنا». فتحت الباب الذي سمعت الصوت آتيًا من خلفه.

كان مستلقيًا في حوض الاستحمام، ذراعاه مسدلتان إلى جانبَيه وعلى وجهه ابتسامة عريضة. لحظة رأيته هناك، عاريًا، استنجدت بكل ما لدي من تركيز حتى أنظر في عينَيه. لم أكن قادرًا -ولو من أجل أي شيء في هذا العالم- على أن أنظر إلى قضيبه الذي كان عائمًا على سطح الماء. لم أكن قادرًا على النظر إليه، مع أن تلك كانت ردة فعلي الأولى. لا تنظر إلى قضيبه. لا تنظر إلى قضيبه. ظلّت نظرتي ثابتة، وظللت محدقًا في عينَيه. ظللت واقفًا هناك أقول في نفسي إنني لم أنظر قبل الآن أبدًا في عينَي أي شخص هذه المدة الطويلة كلّها.

قال مع ابتسامة: «أرى أنك عرفت كيف تعثر على الطريق إلى هنا!». كان مستلقيًا في الحوض مرتاح الأعصاب تمامًا كأن العالم كلّه ملك له.

قلت: «نعم، لقد كان الأمر سهلًا».

قال ضاحكًا: «الظاهر أنك سريع الانزعاج. أهناك شيء غير سليم؟».

قلت له: «لا».

ضحك من جديد: «أنت تنظر إليَّ نظرة غريبة».

قلت: «لا، لا أنظر إليك مثلما تقول». واصلت التحديق في عينيه.

«ألم تر قضيبًا في حياتك كلّها؟ أهذا هو الأمر إذًا؟».

بقيت مصرًا على التجاهل: «متى يصل الآخرون؟».

«يصلون في الساعة الثامنة، بالطبع. هذا ما قلته لك. لكنك أردت أن تأتي في وقت مبكر كثيرًا».

«أنت قلت لي إن الموعد في الساعة السابعة».

«بل في الثامنة».

«السابعة».

«اسمع، يا صاحب الرأس اليابسة. أعطني المنشفة، من فضلك».

تناولت المنشفة ورميتها إليه. استدرت وخرجت من الحمام قبل أن يتسنى له وقت لأن ينهض واقفًا. تصبب العرق من جبهتي.

قلت له: «هل هناك مشكلة إن انتظرت في الأسفل إلى أن تصير جاهزًا؟».

ردَّ من الداخل: «كما تريد. لكن، لا تجلس في أي مكان».

أدركت أنه يحاول مضايقتي. لكني لم أجلس في أي مكان، بل اكتفيت بالتجول بخطوات حذرة وبتفحّص كل شيء.

لقد قال إن الموعد في الساعة السابعة، ألم يقل هذا حقًا؟

رأيت على أحد الجدران صورًا له، طفلًا صغيرًا، ثم مراهقًا. ثم رأيت صورًا لطفل آخر لا بد أن يكون أخاه.

عندما نزل آخر الأمر، كان يرتدي بنطلون جينز وقميصًا أبيض قصير الكمَّين من غير جوارب في قدميه. اتجه على الفور إلى جهاز الاستيريو ووضع أسطوانة. ألقى نظرة سريعة في اتجاهي عندما تردّدت أولى النغمات في أرجاء الغرفة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

قال لي: «أتعرف من هذا؟».

قلت: «طبعًا».

قال: «إذًا، لمن هذه الموسيقى؟».

«فرقة فايولينت فيمز».

أومأ برأسه ثم انتصب واقفًا. قال: «أليست فرقة لامعة جدًا؟».

«إنها كذلك».

«هل تريد بيرة؟».

«هذا شيء جيد».

لم أعرف أحدًا من الأشخاص الآخرين الذين أتوا. لكني كنت قد سمعت عنهم في المدرسة الثانوية. تروند، الطويل النحيل ذو الشعر الأشقر والوجه المثلث والفم الكبير الذي يلفت النظر، وكذلك قدراته الكلامية التي تلفت النظر بدورها. كان يعرف كيف يعبّر عن نفسه من غير أن يعجز عن العثور على الكلمات اللازمة، وذلك بقدر ما أستطيع تأكيده. وأيضًا غيزله الذي كان نقيضًا له: قصير، أسود الشعر، له عينان داكنتان ذكيتان، لا يقول الكثير لكن ما يقوله مباشر أكثر مما هو فصيح أو بارع. أتى أيضًا أخان

شقيقان، توره وكيرلينغ. لم أعرف كيف أميّز بينهما إلا بعد شهور كثيرة. كانا مهووسَين بالموسيقى؛ وكانا سعيدَين دائمًا، متحمّسَين دائمًا، يقاطع كل منهما الآخر وينظر إلى الناس من حوله بعينَين دافئتَين. قالا إنهما شاهداني الشتاء الماضي في القطار الذاهب إلى درامّن عندما كنت في طريقي إلى حفلة فرقة u2. لم يذكرا شيئًا عن ذهابي عن تلك الحفلة وحدي، وعن وقوفي وحدي لمشاهدة U2، ولم يقولا إن ذلك كان أمرًا غريبًا جدًا. كان باسن على معرفة بأولئك جميعًا، وكان واحدًا من المجموعة نفسها. إلا أن أمرًا حدث بينه وبين إسبن فصار الواحد منهما لا يطيق الآخر. لكني لم أستطع أبدًا أن أكتشف سبب خلافهما.

لم يكن باسن موجودًا معنا في تلك الليلة. ولما كنت لا أعرف أحدًا، فقد جلست صامتًا طيلة الوقت، ولم أكد أكلّم أحدًا غير إسبن.

كان إسبن مفعَمًا هُزءًا وسخرية، وكان يحاول تنشيطي وتحريكي. فهمت هذا، لكن نتيجته الوحيدة كانت أنني صرت أكثر انتباهًا إلى صمتي الذي خيّم على أفكاري، وصار كأنه يمتصّها إلى داخله. لكني شربت؛ وكلما شربت، كلما تراجع إحساسي بعدم الارتياح. وعندما سكرت آخر الأمر صرت هناك، في تلك الغرفة معهم، أثرثر كثيرًا وأغنّي مع الأغاني بأعلى صوتي، وأصيح قائلًا، أوه، تلك أغنية عظيمة! أوه، يا للهول! ما أروع هذه الأغنية! هذه فرقة ممتازة!

كان هذا ما أردت أن أكونه؛ وكان هذا ما أردت أن أكون فيه... أن أسكر وأغني وأسير إلى موقف الباص مترنّحًا، وأتمايل في الديسكوتيك أو في البار، وأشرب، وأثرثر، وأضحك.

استيقظت عند الساعة الثانية عشرة من اليوم التالي. لم أستطع تذكّر أي شيء عما حدث بعد خروجنا من بيت إسبن وصعودنا إلى الباص، باستثناء شذرات معدودة كانت -لحسن الحظ- على قدر كبير من الطول والوضوح في ذهني، بحيث استطعت تحديد أماكنها، وإن لم أستطع تحديد توقيتها.

ولكن، كيف وصلت إلى البيت؟ قولوا لي إنني لم أعد بسيارة تاكسي! تكلّف سيارة التاكسي 250 كرونًا؛ وهذا يعني أنني سأنفق كل ما لدي من مال.

لا، لا، لم يحدث هذا. أعرف أنني كنت في الباص الليلي لأنني نظرت من نافذته إلى منحدر التزلج الصغير الواقع خلف المدرسة.

لا يزال أثر الكحول في جسدي. نزلت إلى المطبخ شاعرًا بقدرَين متساويَين من الغبطة والنفور اللذين أعرفهما من مناسبات سابقة كنت فيها ثملًا. لا يزال طعام الإفطار على الطاولة. كانت أمي تحضّر دروسها جالسة إلى طاولة المكتب في غرفة المعيشة.

قالت لي: «هل أمضيت أمسية جيدة يوم أمس؟».

قلت: «كانت جيدة»، ثم وضعت الماء على النار من أجل الشاي، ووجدت كرات لحم في البراد، فقليتها، وأتيت بصحيفة اليوم السابق، ثم جلست إلى الطاولة آكل وأقرأ وأنظر من النافذة إلى مشهد الطبيعة الذي صار، كله تقريبًا، باللونَين الأصفر والبرتقالي. بقيت جالسًا ساعتَين. ليس استيقاظ المرء وهو لا يزال ثملًا أمرًا جيدًا مثل أن يسكر، لكنه ليس شديد البعد عن السكر نفسه. هكذا فكّرت لأن إحساس المرء بأنه يعود إلى نفسه، وبأن جسده يستعيد طاقته بطيئًا، يستعيد طاقته الحركية، إحساس من الممكن أن تكون فيه لحظات من البهجة.

السماء رمادية ثقيلة فوق الأشجار التي اصفرّت أوراقها وفوق أشجار الصنوبر الخضراء. ذلك اللون الرمادي، وحقيقة أن الرؤية تتوقّف هناك، بضعة أمتار فقط فوق الأشجار، حقيقةٌ تزيد كثافة الألوان ووضوحها: اللون الأصفر، واللون الأخضر، واللون الأسود، متزاحمة كلّها ضمن ذلك الحيز كأن السماء الرمادية قد حبستها تحتها. لا بد أن هذا هو ما يجعل للألوان هذا الوضوح المتهوّر كلّه. إن لها قدرة على الارتفاع والاختفاء في الأبدية، لكنها الآن غير قادرة على ذلك. لهذا، تنفق طاقتها وتستهلكها حيث هي.

رُن جرس الهاتف. إنه إسبن.

فرحت لأنه لم يتصل بي قبل ذلك أبدًا.

قال لي: «هل وصلت إلى البيت سالمًا؟».

«نعم؛ لكن لا تسألني كيف؟».

ضحك وقال: «لن أسألك. يا إلهي، لقد سكرنا».

«صحيح. هذا ما جرى. وأنت، كيف عدت إلى بيتك؟».

«سيارة تاكسي. ليس لدي مال من أجل سيارة التاكسي، لكن الأمر يستحق ذلك».

«صحيح. ماذا تفعل الآن، هناك، في تلك المنطقة الريفية؟».

«لا شيء. عليَّ أن أكتب مقالة عن إحدى الأسطوانات. لذا، سألزم البيت اليوم».

«أوه! أسطوانة لأية فرقة؟».

«توكسيدومون».

«توكسيدومون، أوه! نعم. ليست أكثر من واحدة من الفرق الطليعية الأوروبية. ألا تعرف هذا؟».

«الحقيقة أنها فرقة جيدة جدًا. هوائية جدًا».

نخر بأنفه ساخرًا: «هوائية! يعني هذا أنك تستطيع انتقادها على هواك. أراك يوم الاثنين».

قرابة الساعة الرابعة، عندما بدأت الظلمة ترخي سدولها، جلست إلى طاولة المكتب في غرفة المعيشة وعملت على المقالة حتى الساعة الثامنة، ثم نهضت وذهبت فجلست على الأريكة إلى جانب أمي وتابعت التلفزيون ساعتَين. لم يكن ينبغي لي فعل ذلك لأن المسلسل البريطاني الذي تابعناه كانت فيه شخصية مثلية. يحمرّ وجهي كلما ذُكر ذلك أو أشير إليه. لا لأنني مثليٌّ ولا أستطيع إخبارها بذلك، بل لأنها قد تظنّ أنني مثليٌّ. كان هذا شيئًا مضحكًا لأن من شأن احمرار وجهي كلما وردت كلمة «المثلية» أن يجعلها تظن أنني مثلي، ولأن الفكرة في حد ذاتها تجعل وجهي يزداد احمرارًا.

في أسوأ ساعاتي على الإطلاق، كنت أتخيّل أنني مثليٌّ فعلًا!

بعض الأوقات، تمامًا قبل أن أغفو، أبدأ التساؤل في نفسي إن كنت ولدًا أم بنتًا. عندها، لا أجد إجابة! يبذل وعيي جهدًا عنيفًا لاستجلاء هذه المسألة، لكن جدران عقلي تكون زلقة فلا أستطيع أن أعرف شيئًا: من الممكن تمامًا أن أكون بنتًا، ومن الممكن تمامًا أن أكون صبيًا! يستمر هذا إلى أن أعثر أخيرًا على أرض صلبة وأصير موقنًا (بعينَين مفتوحتَين على اتساعهما وذعر عميق في صدري) أنني لست بنتًا. أنا صبي!

إذا كان حدوث هذا ممكنًا، وإذا كانت هذه الشكوك قادرة على الظهور، فمن عساه يعلم ما قد يكون خبيئًا غير ذلك؟ ماذا يمكن أن يكون مستترًا في داخلي؟

كان هذا الذعر قويًا إلى حدٍّ بدا لي معه أنني أراقب نفسي عندما أحلم، وكأن في داخلي شيء منفصل عن الحلم مهمّته أن يرى ما أحلم به، وأن يرى إن كنت أشتهي صبيًا أو بنتًا أثناء نومي. لكني لم أرَ أي صبيّ أبدًا. لا أحلم بغير البنات؛ لا أحلم إلا بهنّ، في منامي وفي يقظتي.

كنت واثقًا تمام الثقة من أنني لست مثليًا. وما كان الأمر أكثر من شك صغير جدًا كأنه ذبابة ضئيلة تطنّ في فضاء وعيي الواسع. لكن وجودها كان كافيًا. لذا، كان عذابي شديدًا عندما يأتي ذكر المثلية الجنسية في المدرسة. إذا احمرّ وجهي عندها، فسوف تكون تلك كارثة حقيقية حقًا، كارثة لا أجرؤ حتى على التفكير فيها. تكون النجاة من ذلك في أن أفعل شيئًا آخر، أن أفعل أي شيء حتى إن لم يكن أكثر من دعك عيني أو حك رأسي، أي شيء قادر على صرف الأنظار عن وجنتيّ المحمرّتين أو تفسيرًا لاحمرارهما.

عندما نلعب كرة القدم، تكون كلمة «مخنَّث» أكثر الكلمات استخدامًا: هل أنت مخنّث، أم ماذا؟ أو، أنت، أيها المخنث اللعين! لكن هذا لم يكن خطرًا لأنها كلمة يستخدمها الجميع ولا يمكن أن يخطر في ذهن أحدهم بيننا من هو مخنث حقًا.

وبطبيعة الحال، لم أكن مخنّثًا.

أعدّت أمي شايًا عندما انتهى المسلسل، وعادت إلى غرفة المعيشة تحمل فنجانَين، فجلسنا نتحدث في أمور شتّى. كان أكثر حديثنا عن شؤون عائلية. لقد اتصلت اليوم بشقيقتَيها كيلوغ وإنغون، فبدأت تخبرني الآن عما قالته كل منهما عن عملها، وعن عمل زوجها، وعما يفعله أطفالها. لقد اتصلت أيضًا بشقيقها كيارتان. أمضينا معظم الوقت في الحديث عن كيارتان. لقد وافقت مجلة أدبية على نشر أربع من قصائده. سوف ينشرونها في الربيع. هو لا يزال يفكر في الانتقال إلى بيرغن ودراسة الفلسفة هناك. لكن صحة جدتي تراجعت كثيرًا، ولا يستطيع جدي أن يتدبر أمورهما وحده؛ كما أن كيلوغ تعيش بعيدة عنهما إلى حدٍّ لا يسمح لها بالذهاب إليهما إلا في عطلات نهاية الأسبوع، لأنه لا بد لها من الاهتمام بأسرتها وبالمزرعة، فضلًا عن وظيفتها.

قالت أمي: «لكنه يدرس الفلسفة في البيت الآن، على أية حال. لعل هذه فكرة معقولة جدًا. لم يعد كيارتان في العشرين من عمره. ولست أظن بأن الحياة الجامعية هيّنة عليه مثلما يتخيّل».

قلت: «صحيح، لكنكِ درست سنة كاملة منذ فترة غير بعيدة، أليس هذا صحيحًا؟ وأنت أيضًا لم تعودي في العشرين من عمرك».

ضحكت أمي، وقالت: «أظن هذا. لكن لدي أسرتي. عندي ولدان. هويتي لا تعتمد على الحياة الجامعية، إن كنت تفهم ما أعنيه. إن تطلعات كيارتان كبيرة جدًا».

«هل قرأتِ قصائده؟».

«نعم، لقد أرسلها لكي أقرأها».

«هل فهمتِ منها شيئًا؟».

«أظن هذا. فهمت قليلًا».

«لقد أراني في الصيف الماضي واحدة من قصائده. لم أفهم شيئًا. كان فيها شخص سائر على حافة الحياة الآخرة. ما معنى هذا؟».

نظرت إليَّ وابتسمت.

قالت: «حسنًا، ماذا يمكن أن يعني هذا».

قلت: «ليست لدي أدنى فكرة. أليس شيئًا فلسفيًا؟».

«صحيح، لكن الفلسفة التي يقرأها كيارتان تتحدّث عن الحياة. كل إنسان يعرف شيئًا عن هذا».

«لماذا لا يستطيع أن يكتب عن الأمور كما هي، بطريقة مباشرة؟».

قالت: «هذا ما يفعله البعض. لكن هناك أشياء لا تستطيع قولها بطريقة مباشرة».

«مثل ماذا؟».

تنهّدت أمي. داعبت رأس القط فرفع رأسه على الفور وأغمض عينَيه مستمتعًا.

«عندما كنت طالبة، درست فيلسوفًا دانماركيًا اسمه لوغستروب. إنه شديد الشغف بالفيلسوف الذي يعني الكثير بالنسبة إلى كيارتان: هَيْدِغر».

ضحكتُ وقلت: «صحيح، أتذكر هذا الاسم».

تابعت أمي: «وهو يستخدم مفهومًا كتب عنه هَيْدِغر. فورسورغ. الرعاية. هذه الفكرة موجودة في جوهر علم التمريض، بالطبع. فالتمريض هو رعاية الناس. ولكن، ما معنى الرعاية في حقيقة الأمر؟ وكيف نوفّر الرعاية؟ إنها أن يكون المرء بشريًا مع البشر الآخرين. لكن، ما معنى أن تكون بشريًا؟».

قلت: «أظن أن هذا يعتمدُ على الشخص الذي توجّهين إليه السؤال».

أومأت برأسها وقالت: «صحيح، بالضبط. فهل من سمة مشتركة بيننا جميعًا؟ هذا سؤال فلسفي. وهو مهم أيضًا في العمل الذي أمارسه».

قلت: «فهمت هذا. لكني لا أفهم لماذا كان ذلك الشخص سائرًا على حافة العالم الآخر».

«هل المطلوب أن تفهم؟».

«لماذا أقرأ إذا كنت لا أفهم شيئًا؟».

«لعل عليك أن تسأل كيارتان عندما تراه في المرة القادمة».

«أسأله عما يعنيه ذلك؟».

«طبعًا. لم لا؟».

«لا. لا أستطيع سؤال كيارتان. إنه غاضب دائمًا. أو لعله ليس غاضبًا، بل متأففٌ، أو غريب الطبع».

«صحيح، إنه مثلما تقول. لكنه ليس خطيرًا، إن كان هذا ما تظن».

قلت: «لا، لا».

ثم صمتنا.

أجهدت ذهني في البحث عن شيء آخر أقوله لأن الوقت تأخّر ولأنني أعرف أن هذا الصمت سيجعل أمي تفكّر في الذهاب إلى فراشها. أنا لا أريد هذا، بل أريد متابعة الحديث. من ناحية أخرى، كانت عليَّ مراجعة أسطوانة ينبغي أن أكتبها. كلما طال جلوسي هنا من غير أن أفعل شيئًا، صرت مضطرًا إلى العمل حتى ساعة متأخّرة.

قالت: «حسنًا. لقد صرنا الآن في ساعة متأخّرة».

قلت: «صحيح».

«هل ستبقى ساهرًا لكي تعمل؟».

أومأت برأسي. فقالت: «لا تطل السهر كثيرًا».

قلت: «سأعمل ما يستلزمه العمل من وقت».

قالت وهي تنهض واقفة، «هذا ما أظنه. إذًا، تصبح على خير».

«تصبحين على خير».

قبل خروجها من غرفة المعيشة، وقف القط إلى جانب الأريكة وتمطى. نظر إليَّ.

هزرت رأسي وقلت: « لا، يا ميفيستو. تعرف أن عليَّ الآن أن أعمل».

جلست أكتب مسوَّدة بعد مسودة بينما كانت الأسطوانة التي أعمل عليها تدور على قرص الفونوغراف. أقرأ ما أكتبه، فلا يعجبني. أجعّد الورقة وأرميها. صارت الأوراق على الأرض كومة متزايدة الحجم. لم أصل إلى شيء يرضيني إلى أن صارت الساعة الثانية بعد منتصف الليل. أخرجت

الورقة من الآلة الكاتبة، ودفعت بالكرسي إلى الخلف، ونظرت إلى ما كتبته؛ قرأته مرة أخيرة.

توكسيدومون

هولي وورز (كرامبوي)

مراجعة بقلم كارل أوفه كناوسغارد

كانت انطلاقة فرقة توكسيدومون في مدينة سان فرانسيسكو، لكنها تستقر الآن في بروكسل. من المقرر أن يكون لهذه الفرقة عرض في النرويج خلال الشتاء. سوف يقدمون «الأوبرا النرويجية» في أوسلو في الأول من كانون الأول.

كان بلين رينيغر الشخص الأبرز في فرقة توكسيدومون، لكنه تركها وبدأ مسارًا فنيًا منفردًا واعدًا. «هولي وورز» هي أول أسطوانة من غير رينيغر. صحيح أنها لا ترقى أبدًا إلى السوية الرفيعة التي بلغتها أسطوانة «ديزاير» لكنها ليست سيئة على الإطلاق.

لقد تلقى أعضاء فرقة توكسيدومون تدريبًا كلاسيكيًا؛ ثم تطوّروا مع تطوّر موسيقى الروك. من المستحيل تصنيف النتيجة التي وصلوا إليها، لكنها شيء واقع بين الروك الطليعي، والمستقبلية، والحداثة.

تستكشف الفرقة أرضًا مجهولة، وتفتتح دروبًا موسيقية غير مطروقة. إن ألبوم «هولي وورز» جميل، هوائي، وإن كنت أجده مستعصيًا بعض الأحيان، فهو يطاول حالات مزاجية مشتتة في الماضي، لكنها ممتزجة بالمستقبل. آلات موسيقية كهربائية مع آلات موسيقية تقليدية. واحدة من أغاني هذه الأسطوانة مترجمة من الفرنسية. اسم هذه الأغنية «سان جون»؛ وأرى أنها أقوى أغنية في الألبوم، ففيها افتتاحية قوية بآلة الأورغن، فضلًا عن توزيع موسيقي لا يقلّ عن تلك الافتتاحية قوة. إلى جانب أغنية «*على سبيل القول*»، تبيّن هذه الأغنية الجانب الأكثر تألقًا لدى الفرقة. ومن الأغنيات الأخرى، أخص بالذكر أغنية «مرحبًا، يا حزن»، وأغنية «*الفالس*» التي تخلو من استخدام الآلات الموسيقية الكهربائية.

قبل ذهابي إلى النوم، كتبت ورقة لأمي قلت فيها إنني عملت لساعة متأخرة من الليل وأن عليها ألا توقظني باكرًا. عادة تستيقظ قبلي بساعة كاملة، فتتناول إفطارها، وتشرب قهوتها، وتدخّن سيجارة وهي تستمع إلى الراديو، ثم توقظني. تأخذني معها بالسيارة عندما يكون موعد بدء دروسي في المدرسة متّفقًا مع موعد خروجها. تقع مدرستها بعد كيلومتر واحد من مدرستي. لا نقول الكثير خلال الرحلة التي تستمر نصف ساعة. وغالبًا ما يدهشني كم يكون صمتنا مختلفًا عن الصمت الذي كنت أعانيه عندما أجلس مع أبي إذ يشعل صمته في داخلي نارًا كأنها حمّى. مع أمي، كان الصمت من غير ألم.

استيقظت هذا الصباح متأخّرًا نصف ساعة عن موعد الباص. اكتشفت أنني احتلمت في نومي، فخلعت سروالي التحتي الدبق وسرت عاريًا إلى غرفة الملابس حيث اكتشفت -يا للهول- أن ما من سراويل تحتية نظيفة هناك.

لماذا لم تغسلها أمي؟ كانت لديها عطلة نهاية الأسبوع كلّها، لكنها لم تغسلها!

دخلت الحمام فرأيت وعاء الغسيل على الأرض. كان ممتلئًا ملابس، لكنها رطبة. أدركت أنها غسلتها في الليلة السابقة، لكنها نسيت أن تعلّقها لكي تجف. قد تكون غسلتها صباحًا، وكانت على عجلة من أمرها.

أوه، ما أكثر ما تكون أمي شاردة الذهن!

الآن عليَّ أن أختار بين العثور على سروالي تحتي متسخ في سلة ملابس الغسيل وبين ارتداء سروال تحتي رطب، لكنه نظيف.

ترددت كثيرًا. كان الطقس باردًا في الخارج، ولن يكون لطيفًا على الإطلاق أن أسير كيلومترًا كاملًا حتى موقف الباص وأنا أرتدي سروالًا تحتيًا رطبًا.

من ناحية أخرى، أنت لا تعرف أبدًا كم يمكن أن تقترب من أشخاص آخرين خلال النهار. لم أتخيل أن رائحتي ستكون فائحة، لكنني قد أظنّها فائحة، فيجعلني هذا الظن أكثر جمودًا من المعتاد، وأكثر بعدًا عن المسلك الطبيعي.

وماذا لو أن ميريت، ميريت التي في صفي، التي هي كثيرة الميل إلى المغازلة والعبث، ماذا لو قررت ميريت اليوم، من بين الأيام كلّها، أن تنظر إليَّ بعينَيها الزرقاوَين الفاتحتَين، وأن تقترب مني كثيرًا، وأن تضع يدها الناعمة، على كتفي، أو على صدري؟

لا... لا بد لي من تحمّل ارتداء سروال تحتي رطب.

أحذت دوشًا وفطرت، ثم رأيت أنني لن ألحق بالباص التالي إلا إذا استعجلت كثيرًا، فقررت أن أنتظر الباص الذي بعده.

السماء زرقاء في الخارج؛ والشمس واطئة؛ وفي الظلال تحت الأشجار على امتداد ضفة النهر، يعوم الضباب المتجمّد سابحًا فوق مياه النهر الهادئة.

كان الدرس الثالث يوشك على الانتهاء عندما أبطأ الباص سرعته عند الموقف القريب من المدرسة. وبما أنني لم أجد معنى لدخول المدرسة الآن، فقد بقيت في الباص حتى بلغت المدينة فذهبت إلى «نيو سورلاند» حاملًا المراجعات الثلاث التي كتبتها.

وجدت ستينار في مكتبه. سألني: «هل تخلّفت عن المدرسة؟».

أومأت برأسي. فقال: «توت توت»، ثم ابتسم، «هل جلبت لي شيئًا؟».

أخرجت الأوراق من حقيبتي. فقال لي مشيرًا إلى الطاولة: «ضعها هناك».

«ألن تلقي نظرة عليها؟».

في الأحوال العادية، كان يلقي على ما كتبته نظرة سريعة قبل ذهابي.

«لا. إنني أثق بك. أنت تقوم بعمل جيد، حتى الآن. فما الذي يجعل الأمر مختلفًا اليوم؟ إلى اللقاء!».

قلت: «إلى اللقاء»، ثم خرجت.

كنت فرحًا كثيرًا بما قاله، فقرّرت أن أذهب لشراء بعض التسجيلات. جلست في «غيهيب» وأكلت فطيرة بالقرفة والكاسترد، وشربت كوكا كولا، وألقيت نظرة متمعّنة على أغلفة التسجيلات التي اشتريتها. كان الوقت قد

تأخّر عندما فرغت من ذلك. لا معنى للذهاب إلى المدرسة! تجوّلت في الشوارع بعض الوقت، ثم عدت بالباص إلى البيت في وقت مبكر. توقّفت عند صندوق البريد، هناك، عند التقاطع: كانت في الصندوق ثلاث رسائل، والصحيفة أيضًا. رسالتان موجهتان إلى أمي كل منهما في مغلف فيه مساحة شفافة: إنها فواتير. ورسالة لي؛ رسالة بالبريد الجوي!

عرفت الخط المكتوب به العنوان على المغلف، ورأيت من ختم البريد أن الرسالة من إسرائيل. انتظرت، فلم أفتحها إلى أن دخلت غرفتي وجلست إلى مكتبي. فتحت المغلف، وأخرجت الرسالة منه، ونهضت واقفًا، وشغّلت أغنية، وجلست من جديد. بدأت القراءة.

تل أبيب، 9/ 10/ 1985

مرحبًا يا كارل أوفه،

وصلت إلى تل أبيب منذ شهر واحد. كان ذلك رائعًا، لكنه كان صعبًا أيضًا. في حياتي كلّها، لم أقم بقدر من أعمال التنظيف يعادل ما قمت به خلال الأسابيع الأربعة الماضية. الحرارة هنا ثلاثون درجة؛ وأنا مستلقية على الشرفة أكتب هذه الرسالة. ذهبت مرتَين للسباحة في البحر المتوسط. وقد علمني بعض الفتيان كيف ألعب الفريزبي، وكيف أتزلج على الماء. لكن من المستحيل أن تستطيع فتاة أن تثق بالفتيان هنا إن كان شعرها أشقر اللون. يفترضون أنها آتية في إجازة، وبالتالي، آ ها- هكذا يظنون- فهي هدف سهل. لكني غير قادرة على نسيانك. وأنا غير قادرة على فهم نفسي. لكني أظنّ السبب هو أنك كنت - ولا تزال -الفتى الذي أحببته أكثر من أي فتى آخر في حياتي كلّها. لذا، يا كارل أوفه، لا تنسني مهما كثرت الفتيات في حياتك. تعال إلى الدانمارك في السنة القادمة. وإذا كنت لطيفًا وقررت أن ترد على رسالتي سريعًا هذه المرة، فأنت «très bien».

المعجبة بك،

ليزبيت

نهضت واقفًا، وذهبت إلى النافذة. فتحت النافذة، ووضعت مرفقي على حافتها، وانحنيت إلى الخارج. كان الهواء باردًا، لاذعًا، وحرارة الشمس المشعة عليّ غير محسوسة تقريبًا.

إنها تعني هذا. إنها جادة.

نهضت واقفًا، وخرجت من البيت حاملًا الرسالة معي. جلست على المقعد تحت النافذة، وقرأت الرسالة من جديد. وضعتها على المقعد إلى جانبي. أشعلت سيجارة. أستطيع الذهاب إلى الدانمارك في الصيف. ولست مضطرًا إلى العودة. *لست مضطرًا إلى العودة!* لم تأتني هذه الفكرة قبل الآن أبدًا، فكرة غيّرت كل شيء.

النور البارد الحاد ساطع أمام وجهي، وأنا تحت سماء الخريف الزرقاء الداكنة. وسط الضباب السابح فوق النهر، كان المستقبل كأنه ينفتح أمامي. لم يكن مستقبلًا يشبه ما هو متوقع مني، كما لم يكن شيئًا يشبه ما يفعله الجميع. الخدمة العسكرية في شمال النرويج أولًا، ثم الجامعة في بيرغن أو في أوسلو، والبقاء هناك ست سنين، والعودة إلى البيت في العطلات، والعثور على عمل، والزواج، وإنجاب أطفال يصيرون أحفاد أبي وأمي.

بدلًا من ذلك، سوف أذهب وأختفي عن الأنظار. نعم، سوف أختفي. لن أفعل هذا «في غضون بضع سنوات». سأفعله الآن. أقول لأمي في الصيف: اسمعيني، أنا ذاهب، ولن أعود أبدًا. لن تمنعني، ولن تكون قادرةً على إيقافي. لن تستطيع ذلك. أنا روح حرة، وهي تعرف هذا. أنا رجل ملك نفسه. والمستقبل مفتوح أمامي كأنه باب.

أشجار الشاطئ في الدانمارك. والبيوت الواطئة الصغيرة. وليزبيت.

لن يعرف أحد من أكون. سأكون مجرّد شخص ظهر على الشاشة ولن يلبث أن يذهب من جديد. لست في حاجة إلى العودة! ولا حاجة إلى أن يعرف أي شخص أي شيء عني. أستطيع الذهاب. أستطيع الاختفاء.

أستطيع هذا حقًا! أستطيعه!

أتت سيارة واجتازت المنعطف تحت البيت. عرفت صوتها: إنها سيارة

الغولف؛ سيارة أمي. أطفأت سيجارتي، ودفنتها تحت العشب، ونهضت واقفًا على قدميّ لحظة سمعت صوت عجلات السيارة على الحجارة الصغيرة أمام البيت.

نزلت أمي من السيارة، وفتحت صندوقها، وأخرجت اثنين من أكياس التسوّق.

قلت لها: «هل عثرت على مال؟».

قالت: «نعم. إنه يوم استلام الراتب».

«ماذا اشتريت من أجل العشاء؟».

«فطائر السمك».

«عظيم. أنا جائع جدًا».

كانت أسئلة أبي عن عيد الميلاد ستارًا من دخان. فالحقيقة هي أنه لم يرد ذهابنا إليه؛ بل إنه حجز مكانين في رحلة ذاهبة إلى ماديرا: له ولأوني... فعل هذا من غير أن ينتظر سماع شيء عما اعتزمنا فعله، أنا وإنغفه.

سوف نذهب مع أمي لقضاء العطلة مع والديها في سوربوفاغ. كانت تلك أول عطلة عيد ميلاد من غير أبي. وكنت في شوق إليها: في المرات القليلة التي اجتمعنا ثلاثتنا فيها بعد الطلاق، كان كل شيء حرًا، وكان يسيرًا.

يوم انتهاء المدرسة، ذهبت إلى جدي وجدتي لكي أتمنّى لهما عيد ميلاد سعيدًا. سأطير إلى بيرغن مع أمي صباح اليوم التالي. نلتقي هناك بإنغفه، ثم نذهب بالسفينة معًا إلى سوربوفاغ.

فتحت جدتي باب البيت مثلما تفعل دائمًا.

قالت مع ابتسامة: «أوه، أنت هنا!».

«نعم، كنت في الجوار، وقلت في نفسي إنني أستطيع أن أعرّج لكي أتمنى لكما عيد ميلاد سعيدًا». قلت هذا وسرت خلفها صاعدًا السلم من غير أن أعانقها. كان جدي جالسًا في مقعده. أشرقت عيناه لحظة قصيرة عندما رآني. على الأقل، هذا ما بدا لي.

قالت جدتي: «لم ينضج الطعام بعد. لكني أستطيع تسخين بعض الشطائر من أجلك إن كنت جائعًا».

«إنني جائع. أشكرك. سيكون هذا شيئًا لطيفًا».

قلت هذا وجلست، ثم أخرجت سيجارة من جيب قميصي. أشعلت السيجارة.

قالت جدتي: «أظنك لم تبدأ ابتلاع الدخان، أليس كذلك؟».

قلت: «لا».

«هذا حسن. تعرف أن ابتلاع الدخان خطير».

قلت: «أعرف».

وضعتْ على الموقد وعاء معدنيًا صغيرًا، ثم شغّلت الموقد ووضعت شطيرتَين. وضعت عليهما قليلًا من الزبدة، ثم أضافت جبنًا طريًا أبيض وجبن الماعز البنيّ.

قلت لها: «ذهب أبي إلى ماديرا هذا الصباح».

قالت جدتي: «نعم، سمعنا بهذا».

قلت: «سيمضيان هناك وقتًا لطيفًا. هل ذهبتما إلى ماديرا من قبل؟».

قالت جدتي: «لا، لم نذهب. لم نذهب إلى ماديرا أبدًا».

قال جدي: «بل ذهبنا... ذهبنا إلى لاس بالماس».

قلت له: «أتذكر هذا. أتيتما لكل منا بقميص قطني: لون أزرق فاتح، وحروف زرقاء داكنة. كان مكتوبًا على القميصَين: لاس بالماس. أظن أن صورة نخلات جوز الهند كانت موجودة على القميص أيضًا».

قالت جدتي: «هل تتذكّر هذا حقًا؟».

أجبتها: «أجل».

قلت هذا لأنني أتذكره فعلًا. بضعة حوادث ظلّت باقية منذ ذلك الوقت، ظلّت محفورة في وعيي. لكن حوادث أخرى كانت أقل وضوحًا. أظنني أتذكّر كيف قالت جدتي مرة إن في الطابق السفلي رجلًا، في الصالة... شخصًا غريبًا لعله كان لصًا متسللًا. ذكرت هذا الأمر أمام جدتي في

وقت لاحق، فنظرت إليَّ بدهشة وهزّت رأسها نفيًا. لا، لم يدخل الصالة متسلل غريب، أبدًا! فمن أين أتتني تلك الفكرة؟ قصص أخرى بدا لي أنني أتذكرها، لكنهم نفوها عندما تحدّثت عنها. تذكرت أنهم قالوا لي ذات مرة إن واحدًا من أجدادي، أو واحدًا من أعمام أجدادي، قد هاجر إلى أميركا وتزوج هناك مع أنه لم يطلّق زوجته التي ظلت هنا طلاقًا رسميًا. بكلمات أخرى، صار متزوجًا من امرأتَين في وقت واحد. ذكرت هذه القصة عندما كنا نتناول الطعام في ذلك الخريف جالسين إلى الطاولة في يوم من أيام الأحد: جدّي وجدتي، وأمي وأبي وأنا. لكن أحدًا لم يسمع بتلك القصة من قبل! هزّت جدتي رأسها وبدت كأنها غاضبة. تذكرتُ أيضًا شيئًا عن حادثة طعن بالسكين، بدا لي أنني أتذكّرها. لكن ذلك الأمر لم يحدث أبدًا: كان شيئًا ظننت أنه حدث؛ فكيف تشكّل ذلك الشيء في عقلي؟ هل روى لي أحدٌ هذه القصة في منامي؟ هل كانت قصة في واحدة من روايات كثيرة جدًا قرأتها أيام كنت أذهب إلى المدرسة الابتدائية ثم أعدت تركيبها -لست أدري كيف- فأدخلت فيها شخصيّات من أسرتي حتى أصير في قلب تلك الحكاية؟

لست أدري.

كل هذا لم يكن أمرًا حسنًا، لأنه جعلني شخصًا غير موثوق: صرت شخصًا يكذب ويختلق أشياء لا أصل لها. بكلمات أخرى، صرت مثل أبي. كانت هذه مفارقة مضحكة لأنني كنت -بسبب أبي تحديدًا- قد اتخذت قرارًا بألا أكذب أبدًا. الحقيقة هي أنني... نعم... قد أستخدم كذبات بيضاء إن كان هناك شيء لا أريد أن يعرفه الآخرون، أمي أكثر الأحيان. لكن، أبي يفعل هذا أيضًا. إلا أنني لا أخفي شيئًا إلا من أجلهم، مهما يكن ذلك الذي أخفيه، لا أخفي شيئًا إلا من أجلهم، لا من أجل نفسي. لذا، على الأقل، لم أكن أرى هذا سلوكًا غير أخلاقي من جانبي.

قلت: «أمر حسن أن نحظى الآن بعطلة تمتد بضعة أيام».

قالت جدتي: «هذا صحيح».

سألتها: «هل سيأتي غونار مع الآخرين ليلة عيد الميلاد؟».
«لا. إنهم باقون هناك. لكن أظننا سنزورهم نحن».
قلت: «جيد».
قالت جدتي: «صار الطعام جاهزًا». نقلَت الشطيرتَين إلى طبق وضعته على الطاولة أمامي ثم جلست.
نسيت جدتي أن تضع السكين ومبشرة الجبن. نهضت لكي أجلبهما.
سألتني: «ما الأمر؟ هل نسيت شيئًا؟».
أجبت: «السكين ومبشرة الجبن».
«ابق جالسًا في مكانك. سوف أجلبهما».
جاءت بهما جدتي من الدرج. وضعت أمامي السكين ومبشرة الجبن.
قالت، «كل شيء جاهز. صار لديك الآن كل ما يلزمك».
ابتسمَت لي. ابتسمتُ لها.
كانت قشرة الشطيرتَين هشّة، فالتصق الفتات بشفتي. أكلت سريعًا ليس فقط لأن هذا كان من عادتي، بل لأن جدي وجدتي لا يأكلان معي: كانا جالسين بهدوء وأنا أمضغ طعامي. جعل هذا حركاتي كلّها، بل حتى أصغر حركة منها، حتى إن التقطت الفتات المتساقط على الطاولة، واضحة وضوحًا شديدًا.
قلت وأنا أضع المارغرين على الشطيرة الثانية: «ماما في شوق إلى العطلة أيضًا».
قالت جدتي: «نعم، أفهم هذا».
«لم تذهب إلى سوربوفاغ منذ الصيف. أبوها وأمها يتقدّمان في السن. أمها خاصة. إنها مريضة جدًا».
أومأت جدتي برأسها وقالت: «صحيح. صحيح. إنها مريضة».
قلت: «لم تعد قادرة على المشي».
سألت جدتي: «ألا تستطيع المشي؟ هل ساء الأمر إلى هذا الحد؟».
أجبت: «لكنّ لديها جهازًا يساعدها على المشي». ابتلعت ما في فمي،

ثم أزلت الفتات الذي التصق بشفتيّ... «لذا، لا تزال قادرة على الحركة داخل البيت. لكنها صارت لا تخرج أبدًا».

لم أفكر في الأمر قبل الآن. صارت لا تخرج من البيت أبدًا. تظلّ دائمًا داخل البيت، في تلك الغرف الصغيرة.

سأل جدي: «لديها داء باركنسون، أليس كذلك؟».

أومأت برأسي.

قلت: «لكن ماما مستمتعة بعملها. لم يعد فيه كثير من الأمور الجديدة».

وقفت جدتي فجأة. أزاحت الستار ونظرت إلى الخارج. قالت: «ظننت أنني سمعت أحدًا في الخارج».

قال جدي: «أنت تتخيّلين هذا. لا ننتظر أحدًا».

جلست جدتي من جديد. مررت أصابعها في شعرها. نظرت إليّ.

«أوه، نعم...». قالت هذا ونهضت واقفة من جديد، «علينا ألا ننسى هدايا عيد الميلاد».

غابت برهةً نظرت خلالها إلى جدّي الذي كانت عيناه تنظران إلى صحيفة كرة القدم المطوية على الطاولة إلى جواره.

أتى صوت جدّتي من الممر، «ها هي...». ثم دخلت حاملة بيدها مغلفَين اثنَين. «حسنًا، هذا ليس كثيرًا. لكنه يساعد بعض الشيء. واحد لك وواحد لإنغفه. هل تظن أنك تستطيع أخذهما معك إلى سوربوفاغ؟».

كانت تبتسم لي.

قلت: «نعم، بالطبع. شكرًا جزيلًا».

قالت جدتي: «هذا يسرنا».

نهضت واقفًا وقلت: «أتمنى لكما عيد ميلاد سعيدًا».

قال جدي: «عيد ميلاد سعيد لك أيضًا».

نزلت جدتي معي حتى باب البيت. وقفت تحدّق في الهواء ريثما ارتديت سترتي، ووضعت الشال الأسود حول رقبتي. نظرتُ إليها وقلت: «هل أستطيع أن أشتري من هديتي بطاقة الباص للعودة إلى البيت».

قالت جدتي: «لا. لا يجوز هذا. الفكرة هي أن تشتري لنفسك شيئًا يعجبك. أليس لديك أي مال؟».

«لا مال معي».

قالت لي: «سأرى إن كانت لدي هنا بضع قطع من النقود». أخرجت محفظتها وناولتني قطعتَين معدنيتَين من فئة عشرة كرونات.

قلت لها: «عيد ميلاد سعيد».

قالت: «عيد ميلاد سعيد». ابتسمت لي، ثم أغلقت الباب.

عندما ابتعدت وصرت خارج مرمى النظر، فتحت المغلف الذي عليه اسمي. كانت فيه ورقة نقدية من فئة مئة كرون. رائع! أستطيع الآن أن أعرّج لشراء تسجيلَين إضافيَين قبل ذهابي إلى البيت.

فوجئت في المتجر عندما اكتشفت أنه يمكنني شراء أربعة تسجيلات، لا اثنَين فقط. معي مئة كرون من أجل إنغفه، أليس كذلك؟ نعم. إن له مئة كرون.

أستطيع إعطاءه المئة من مالي الخاص. ورقة المئة التي معي ليست معلّمة!

وصلنا إلى سوربوفاغ وقت المساء. مطر؛ ودرجتان فوق حدّ التجمد. كانت الظلمة أمامنا صلبة كأنها جدار حجري عندما حملنا أمتعتنا وسرنا إلى البيت المُنار. كان كل شيء من حولنا غارقًا، مشبعًا بالماء الذي يقطر ويجري مترقرقًا في كل مكان.

توقّفت أمي. وضعت حقيبتها على الأرض وفتحت الباب الخشبي البني ذا الأخاديد الطويلة والنافذة الصغيرة في أعلاه. الرائحة... أتتني رائحة الملابس التي يستخدمها جدّي في حظيرة الأبقار. كانت معلّقة في الممر. أتتني تلك الرائحة مع شكل الباب والجدار الأبيض في آخر الممر، فانفتحت طفولتي في لحظة واحدة.

في تلك الأيام، أيام كنت طفلًا، كانا يخرجان لملاقاتنا أمام البيت، أو ينزلان إلى الأسفل لحظة انفتاح الباب. وأما الآن، فلم يحدث شيء:

وضعنا حقائبنا على الأرض، وخلعنا ستراتنا. لم نكن نسمع شيئًا غير أنفاسنا وحفيف الملابس.

قالت أمي: «جيد. هل نصعد الآن؟».

كان جدي جالسًا على الأريكة فنهض مبتسمًا لكي يرحّب بنا.

نظر إلى إنغفه، ونظر إليّ، وقال: «الشعب النرويجي يشهد طفرة نمو... هذا ما أراه!».

ابتسمنا له.

كانت جدّتي جالسة على كرسي في الزاوية. نظرت إلينا. جسدها كله يرتعد ويهتز. لقد أحكم المرض قبضته عليها. فكاها، وذراعاها، وقدماها، وساقاها... كل ما فيها يرتعش.

جلست أمي على كرسي صغير إلى جوارها، وضمّت يديها بين كفَيها.

حاولت جدتي أن تقول شيئًا، لكني لم أسمع غير همس أجش.

قال إنغفه: «سوف نأخذ حقائبنا إلى الأعلى. أظننا سننام في الغرفة العلوية، أليس كذلك؟».

قال جدي» «تستطيعان فعل ما تشاءان».

صعدنا درجات السلم ذات الصرير. أخذ إنغفه غرفة كيارتان القديمة، وأخذت الغرفة التي كانت غرفة الأطفال. أنرت المصباح الكبير، ووضعت حقيبتي الظهرية على السرير القديم، وفتحت الستارة محاولًا النظر عبر الظلمة في الخارج. كانت الظلمة دامسة لا يخترقها النظر، لكني أحسست المشهد الذي في الخارج. بدت هبات الريح كأنها تفتحه أمامي. حشرات ميتة على طوار النافذة. وشبكة عنكبوت في الزاوية، تحت السقف. كانت الغرفة باردة. رائحة البرد فيها... ورائحة الماضي.

أطفأت المصباح ونزلت إليهم، في الأسفل.

كانت أمي تقف وسط الغرفة. وكانت جدتي تنظر إلى التلفزيون.

قالت أمي: «إذًا، هل نعدّ طعام العشاء؟».

قلت: «لا بأس».

كان جدّي هو من يعدّ الطعام في هذا البيت. لقد تعلّم الطبخ عندما ماتت أمه. كان في الثانية عشرة عندما صار مسؤولًا عن كل شيء. قلّة من رجال جيله مرّت بهذه التجربة. كان يعتزّ بأنه استطاع اجتيازها بنجاح. لكنه ظلّ قليل الاهتمام بغسل القدور والأواني والمغارف، وتلك الأشياء. بدا لي أن الدهون التي تجمّعت فشكلت طبقة كثيفة بيضاء مصفرّة في قعر المقلاة قد ذابت ثم تصلّبت مرات كثيرة جدًا. كانت من تحت حواف القدور التي في الخزانة علامات باقية من سلق الأسماك؛ وكانت في واحد منها قطع بطاطس صغيرة محترقة ملتصقة بقعره. في ما عدا ذلك، لم يكن المطبخ قذرًا لأن امرأة تأتي مرتَين كل أسبوع لكي تنظّفه. لكنه بدا لي متداعيًا.

قلينا بيضًا، أنا وأمي، وأعددنا الشاي، وأخرجنا تشكيلة من اللحوم المقدَّدة والأجبان المقطّعة إلى شرائح. أتى إنغفه وجلس إلى الطاولة. صار الطعام جاهزًا، فذهبت لأنادي كيارتان الذي كان قد بنى لنفسه بيتًا صغيرًا إلى جانب البيت القديم. بناه منذ بضع سنين. تساقطت قطرات مطر خفيفة على وجهي خلال اجتيازي الأمتار الثلاثة إلى بابه. قرعت الجرس. فتحت الباب ودخلت الممر. صحت قائلًا إن العشاء جاهز.

جاءني صوته من الأعلى: «حسنًا، حسنًا. أنا قادم».

وعندما عدت، كانت أمي تقف إلى جوار جدتي. تمسكها من ذراعها وتقود خطواتها البطيئة صوب الطاولة حيث كان جدي وإنغفه جالسَيْن. جدي يحدّث إنغفه عن أساليب إكثار عدد من أنواع أسماك السالمون. قال إن هذا ما يحب أن يفعله لو كان أصغر سنًا. كان واحد من الجيران يقوم بذلك. هناك محطة صغيرة لإكثار أسماك السالمون، هناك، أسفل الفيورد. يكسب ذلك الرجل مالًا كثيرًا كأنه ربح بطاقة يانصيب.

جلست وسكبت لنفسي فنجان شاي. أتى كيارتان من ناحية الممر، ثم أغلق الباب من خلفه ومضى مباشرة إلى واحد من الكراسي فجلس عليه.

سأل إنغفه: «هل تدرس العلوم السياسية؟».

ردّ إنغفه: «مرحبا، يا كيارتان». وعندما لم يستجب كيارتان إلى هذا

التأنيب المضمَر، اكتفى إنغفه بأن أومأ برأسه، ثم قال، «أو... علم السياسة المقارن، مثلما يدعونه في بيرغن. لكن هذا وذاك أمر واحد».

ردّ كيارتان على إيماءته بإيماءة مماثلة. قال لي: «وأنت، هل أنت في المدرسة الثانوية؟».

أجبته: «صحيح».

نهضت واقفًا، وسحبت كرسيًا حتى تجلس جدتي. جلستْ عليه بحركة بطيئة، ثم دفعت أمي الكرسي صوب الطاولة وجلست إلى جانب جدتي من الناحية الأخرى. كان كيارتان قد بدأ الكلام. تكلّم من غير أن ينظر إلينا. كانت يداه تتناولان الخبز واللحم، ثم تضعان الزبدة على الخبز، ثم ترفعان الطعام إلى فمه، وتصبّان الشاي والحليب في فنجان ترفعانه إلى فمه أيضًا. يداه تعملان كأنهما مستقلتان عن ذاته وعما يقوله، عن تيار الكلمات المتدفّق النابع من بين شفتيه. ومن حين لآخر، كان يصحح شيئًا قاله، ويطلق ضحكة صغيرة، بل حتى ينظر إلينا لحظة. وأما غير ذلك، فقد كان كأنه مختفٍ حتى يتيح للمتحدّث الذي فيه حرية الكلام. تحدث عن هَيْدِغر وانخرط لعشر دقائق كاملة في مونولوج عن الفيلسوف الألماني العظيم وعن الصعوبة التي يجدها معه، ثم توقّف وصمت تمامًا. تابعت أمي الحديث انطلاقًا من شيء قاله وسألته إن كان ذلك ما يعنيه، وإن كانت قد فهمَته فهمًا صائبًا. نظر إليها، وابتسم ابتسامة سريعة، ثم تابع المونولوج نفسه. وأما جدي الذي اعتدنا أن يكون الشخص المسيطر على ما يدور من أحاديث من حول الطاولة فلم يقل شيئًا. كان جالسًا يأكل طعامه مطرق الرأس ينظر إلى الطاولة أمامه ويلقي من وقت لآخر نظرة سريعة صوب الجالسين إلى الطاولة، ويكتسي وجهه تعبيرًا فرحًا كأنه تذكر شيئًا ويوشك أن يخبرنا بذلك الشيء، لكنه يتراجع ويخفض عينَيه من جديد.

قال إنغفه، باندفاعة غير متوقعة: «لم يسمع الجميع هنا بهيدِغر. أنا واثق من أن هناك مواضيع أخرى نستطيع مناقشتها بعيدًا عن واحد من الفلاسفة الألمان الغامضين».

قال كيارتان: «نعم. أظن أن هناك ما نستطيع مناقشته. يمكننا الحديث عن الطقس. ولكن، ما الذي نستطيع قوله في تلك الحالة؟ الطقس هو الطقس دائمًا. الطقس هو ما يكشف الوجود عن نفسه من خلاله، تمامًا مثلما نكشف عن أنفسنا من خلال المزاج الذي نكون فيه، ومن خلال ما نشعر به في أية لحظة من اللحظات. ليس ممكنًا تخيّل عالم من غير طقس؛ وليس ممكنًا أن نتخيل أنفسنا من غير أحاسيس؛ لكنّ العنصرَين معًا يحكمان 'داس مان'. يتحدث 'داس مان' عن الطقس وكأن ما من شيء خاصّ فيه. بكلمات أخرى، هو لا يراه. وحتى يوهانز نفسه... »، قال كيارتان هذا مومئًا برأسه صوب جدي... «يوهانز الذي ينفق ساعة من كل يوم في الإصغاء إلى تنبوءات الطقس، يوهانز الذي يفعل ذلك دائمًا، الذي يتشرّب التفاصيل كلها... يوهانز نفسه لا يرى الطقس بل يرى المطر أو الشمس، الضباب أو المطر المتجمّد، لكنه لا يرى الطقس شيئًا فريدًا في حد ذاته، لا يراه شيئًا يكشف عن نفسه أمامنا، الطقس الذي يكشف كل شيء آخر عن نفسه من خلاله في لحظات... حسنًا، لعلها لحظات الجلال. نعم. هيدِغر قريب من الرب ومما هو مقدّس؛ لكنه لا يتبناه تبنّيًا تامًا، ولا يمضي الشوط كلّه أبدًا، لكنه هناك، على مسافة قريبة، بل لعل الربّ عنده شرط مسبق للتفكير. ما قولك في هذا، يا سيسيل؟».

قالت له: «حسنًا... ما تقوله يبدو شبه ديني».

كان إنغفه قد فتح عينَيه على اتساعهما عندما راح كيارتان يتحدّث عن الطقس. بسط الآن قطعة من سمك السالمون مستخدمًا شوكته ثم وضعها في طبقه.

قال إنغفه: «هل سنأكل أضلاع الخروف ولحمًا مفرومًا هذه السنة أيضًا؟».

نظر جدي إليه وقال: «نعم. هذا ما سوف نتناوله. لقد جففنا لحم الخروف في العليّة. ويوم أمس، اشترى كيارتان اللحم المفروم».

قال إنغفه: «أحضرت معي قليلًا من الأكوافيت. أنت في حاجة إليه».

رفعت أمي كأس حليب إلى فم جدتي. شربت جدتي. انساب خيط أبيض من زاوية فمها.

كان خارج البيت أشبه بحوض كبير ممتلئ ظلمة حتى حافته. وفي صباح اليوم التالي، بدأ أسفل الحوض يصير مرئيًا مع انسكاب النور فيه، النور الذي كان كأنه يخالط الظلمة فيخفّفها. قلت في نفسي إن من المستحيل أن يشهد المرء هذا من غير أن يحسّ تلك اللحظة تملأه. ألم يكن جبل ليهيستن، ذلك الجدار الصخري الرأسي الضخم، يزحف مقتربًا مع ضوء النهار؟ ألم يكن الفيورد الرمادي يرتفع من أعماق الظلمة التي ظلّ مختبئًا فيها طيلة الليل؟ أشجار البتولا العالية الواقعة إلى الناحية الأخرى من المرج حيث سور أرض الجيران، ألم تكن تقترب مترًا بعد متر؟

أشجار البتولا: خمسة فرسان، أو ستة فرسان، ظلّوا يحرسون البيت طيلة النهار وصار عليهم الآن أن يجذبوا أعنّة خيولهم جذبًا شديدًا حتى تظل هادئة من تحتهم.

ازدادت كثافة الضباب من جديد خلال فترة الصباح. صار كل شيء رماديًا. حتى أشجار السرو التي تظلّ خضراء طيلة الشتاء، الأشجار النامية عند الحافة خلف البحيرة، صارت رمادية بدورها. صار كل شيء غارقًا في الرطوبة. رذاذ المطر الدقيق في الهواء، وقطيرات تتجمّع تحت الغصون، وتسقط على الأرض مصدرة صوتًا خافتًا لا يكاد يُسمع، والبلل في تربة المرج الذي كان مستنقعًا في ما مضى، وصوت تعصُّر الماء منها عندما يدوسها المرء فيغرق حذاؤه فيها، وينبثق الطين من تحته فيغطّيه.

عند الساعة الحادية عشرة، سرت مع إنغفه إلى سيارة كيارتان. لقد استعار إنغفه تلك السيارة. سنذهب إلى فاغن لكي نشتري آخر ما يلزمنا من أجل عشاء عيد الميلاد. الشمندر، والملفوف الأحمر، ومزيد من البيرة، وفاكهة ومكسرات، ومشروبات غازية لإطفاء الظمأ الذي يأتي دائمًا بعد تناول أضلاع الخروف. بعض الصحف أيضًا، إن وجدنا صحفًا... كنت في

حاجة إليها لكي أقتل الوقت حتى يحين المساء، فأعياد الميلاد في طفولتي كانت منغرسة عميقًا في نفسي بحيث ظللت أترقّبها.

ماسحات زجاج السيارة تتأرجح يمينًا وشمالًا؛ ونحن نتحرّك عبر الفناء، ونخرج من البوابة، وننزل إلى الطريق أمام المدرسة حيث انعطفنا يمينًا، وانطلقنا على طريق العربات الضيّق مسافة كيلومترَين حتى فاغن... مسافة كانت تبدو لي في طفولتي رحلة لا نهاية لها. كل متر على الطريق، تقريبًا، كان مكانًا خاصًّا في ذاكرتي؛ وكان أكثر تلك الأماكن إثارة الجزء الذي يسبق الجسر الممتد فوق النهر، حيث أَلِفتُ أن أقف عند سوره ساعات من غير أن أفعل شيئًا غير النظر.

أما بالسيارة، فقد استغرقت المسافة ثلاث دقائق، أو لعلّها أربع دقائق. لو لم تكن لي صلة سابقة بالمنطقة لما لاحظت فيها شيئًا. ستكون أشجارها مثل أية أشجار، ومزارعها مثل أية مزارع، وسيكون الجسر مثل أي جسر غيره.

قال إنغفه: «كيارتان شخص غير معقول. إنه لا يعير الآخرين أي اهتمام، أبدًا. هل يظن حقًا أن الآخرين جميعًا مهتمون بما يقوله لهم؟».

« من ناحيتي، ليست لدي أدنى فكرة عمّا يتحدث عنه. هل لديك فكرة؟».

«قليلًا. لكن الأمر ليس مثيرًا للاهتمام مثلما يبدو. موضوع للقراءة، لا أكثر».

انعطف بالسيارة، ثم أوقفها. مشينا صوب المتجر التعاوني. خرجَت من الباب امرأة في معطف مطري طويل ومعها طفل صغير. أجفلت المرأة عندما رأتنا.

قالت: «يا إلهي... إنغفه! هل هذا أنت؟».

من هي؟

تعانقا.

قال إنغفه: «هذا أخي، كارل أوفه».

مدّت المرأة يدها إليّ، وقالت: «إنغي غيرد».

ابتسمت لها. تشبث الطفل بها.

قالت: «إن جدك وجدتك يعيشان هنا. أتذكّر هذا الآن. أمر غريب أن أراك هنا».

ابتعدتُ عنهما قليلًا ونظرت إلى فاغن. كان الماء ساكنًا تمامًا. بضعة قوارب مربوطة إلى العوامات المتألّقة بلونها الأحمر وسط الفيورد ووسط ذلك اللون الرمادي في كل مكان. كانت السفينة التي تُبحر إلى بيرغن ترسو هنا عندما كنا صغارًا. وذات مرة، صعدنا إليها في الليل، ونمنا على مقعد صلب. كانت فيها رائحة بترول وقهوة وبحر. يا لها من مغامرة! كان اسم السفينة كوماندورن. وأما الآن، فقد حلّت محلها سفينة سريعة اسمها هورتيغبوت. لم تعد السفينة تتوقّف في هذا المكان.

قال إنغفه من خلفي: «هل أنت آتٍ؟».

التفتُّ إليه. كانت المرأة في طريقها إلى إحدى السيارات مع الطفل.

سألته: «من هي؟».

قال: «أعرفها من بيرغن. إنها تعيش مع هيلغه».

عندما عدنا، كان البيت يفوح برائحة الصابون الأخضر. لقد غسلت أمي الأرض. واهتمامها الآن منصب على إطارات النوافذ. كانت جدّتي نائمة في كرسي قريب. عصرت أمي الخرقة فوق الدلو، ثم انتصبت واقفة ونظرت إلينا.

قالت: «ألا تضعان العصيدة على النار؟».

قال إنغفه: «نعم، أستطيع أن أفعل هذا».

سألتها: «هل سننصب شجرة عيد الميلاد عما قريب؟».

أجابتني: «يمكنك أن تحضرها، إن أحببت».

سألتها: «أين هي؟».

ردّت أمي: «الحقيقة أنني لا أدري، اسأل كيارتان».

دسست قدميَّ في شبشبٍ منزليٍّ صغيرٍ جدًا، وسرت بصعوبة صوب

البيت الآخر. قرعت الجرس، وفتحت الباب، وصحت مناديًا كيارتان. لكن لا إجابة.

صعدت السلم بخطوات هادئة.

رأيته مستلقيًا على ظهره في «كرسي الاسترخاء» ينظر إلى الفيورد وسماعتان ضخمتان على أذنَيه. وكان ينقر بقدمه مع الموسيقى.

واضح أنه لم يسمعني. سوف أجعله يجفل إذا وقفت أمامه. لا فائدة من الصياح لأن صوت الموسيقى مرتفع، فأنا أسمعه من حيث كنت واقفًا.

خرجت وعدت أدراجي.

رأيت جدي سائرًا من الحظيرة إلى البيت. قطة تقفز من خلفه.

سألتني أمي عندما رأتني عائدًا: «هل سألته؟».

أجبت: «لا وقت لديه. كان يستمع إلى الموسيقى».

تنهد إنغفه، وقال: «سوف أذهب أنا لرؤيته».

عاد إنغفه بعد خمس دقائق حاملًا شجرة عيد ميلاد ضخمة مترهّلة. وجد مشقّة في جرّها عبر الممر. ثبتنا الشجرة إلى قاعدة معدنية صدئة، ثم انهمكنا في تعليق الزينات عليها. كانت الزينات في علبة أفلحت أمي في العثور عليها عندما كنا منشغلين بتثبيت الشجرة. وبعد أن أكلنا، خرجت لكي أتجوّل في المزرعة. ذهبتُ إلى حظائر المِنك العتيقة المتهالكة، ثم نزلت إلى البركة الصغيرة السوداء، ومررت بالموضع الذي كانت فيه خلايا النحل. بعد ذلك، بلغت بقايا أساسات البيت الذي كان قائمًا ذات يوم. دخنت سيجارة. ما من صوت يسمعه المرء هناك؛ وما من أحد يراه. رميت عقب السيجارة بين الأعشاب الرطبة وسرت عائدًا إلى البيت. حذائي لامع لشدة الرطوبة. في حمام الطابق الأرضي كانت أمي تساعد جدتي في الاستحمام. إنغفه جالس على كرسي يستمع إلى جدي الذي كان يجلس على الأريكة منحنيًا إلى الأمام، وقد استقرّت ذراعاه على ركبتَيه. كان مسترسلًا في كلامه مثلما يفعل دائمًا.

جلست على الكرسي الآخر.

كان جدي يتحدّث عن الفترة التي أمضاها في اصطياد أسماك الرنجة مع أبيه في العشرينيات، وكيف كان يمكن أن يلقي المرء بالشبكة مرة واحدة حتى يخرج بصيد وافر. قال إن هذا حدث فعلًا ذات مرة. تألّقت عيناه وهو يتذكّر تلك الأوقات. حكى لنا عن البحّار الذي وقف ذات مساء على مقدمة المركب أثناء اقترابه من تروندهيم. قال جدي ضاحكًا إنه كان أشبه بكلب يعوي... يعوي من أجل النساء. لقد أمضى وقتًا طويلًا في التأنّق، ثم وقف في مقدمة المركب يتشمم الهواء وهم يقتربون من البلدة ذات الأنوار المتلألئة. ثم حدّثنا جدي عن فترة كان فيها مسؤولًا عن التفجيرات في مشروع لإنشاء طريق: كانوا يلعبون البوكر في الأماسي في سقيفة العمال؛ وكان يربح مرة بعد مرة، لكنه ظلّ غير قادر على إنفاق المال لأنه كان يريد شراء خاتم زواج من أجل جدتي، ولم يرد أن يشتريه بمال ربحه في القمار. هذا ما جعله يواصل وضع المال على الطاولة فيرى العرق يتصبب من جباه الآخرين لأن المبلغ صار كبيرًا جدًا. ضحك جدي كثيرًا، ضحك إلى أن دمعت عيناه وهو يصف لنا كيف بدا الآخرون آنذاك. ضحكتُ أيضًا، وضحك إنغفه، لأن ضحك جدي كان مُعديًا جدًا، بحيث لا يستطيع المرء أن يمنع نفسه من الضحك معه. انثنى على نفسه لشدة الضحك وصار غير قادر على الكلام. تدحرجت دموعه على خدَّيْه. لكنه لم يكتف بتسليتنا بتلك القصص عن الماضي، فهو ليس حبيس حنينه إليه: لم يلبث أن استعاد هدوءه وبدأ يحكي لنا عن رحلته إلى أميركا لزيارة شقيقه ماغنوس. حدثنا كيف جلس وحيدًا في الليل يتجوّل بين ما لدى ماغنوس من قنوات تلفزيونية كثيرة جدًا. كان شيئًا يصعب تصديقه، أعجوبة. ابتسمت لأن جدي لا يتكلّم الإنكليزية، ولأنه غير قادر على فهم شيء مما يقال في التلفزيون وهو جالس هناك مذهولًا أمام الشاشة، ليلة بعد ليلة.

رمقني إنغفه بنظرة، ثم نهض واقفًا. قال: «ألا نخرج لكي نستنشق هواء نقيًا؟».

استند جدي بظهره إلى الأريكة، وقال لنا: «نعم... افعلا ذلك، أيها الفتيان».

كان الجو ماطرًا في الخارج، فاحتمينا تحت حافّة سقف بيت كيارتان البارزة، وأشعل كل منا سيجارة.

قال لي إنغفه: «كيف تسير أمورك مع حنّة؟ لم تذكرها أمامي منذ وقت طويل».

قلت: «ما من تقدّم أبدًا. نثرثر على الهاتف من وقت لآخر؛ لكن هذا ليس حسنًا أبدًا. إنها لا تريد الخروج معي».

قال إنغفه: «فهمت. لعل من الأفضل أن تنسى أمرها. ما رأيك؟».

«هذا ما أحاول فعله».

ضغط بكعب حذائه على الحصى الناعم. توقّف ونظر إلى الحظيرة. كانت متداعية؛ وكان طلاء جدرانها متقشرًا. أعشاب طويلة نامية فوق المنصة القائمة أمام مخزن القش. لكن مظهر الحظيرة ظلّ متميزًا هناك على الرغم من قِدَمها وتآكلها، لأن خلفية المشهد كله كانت كأنها تدفع بها إلى الأمام، كأنها تعلي من شأنها: المروج الخضراء، والفيورد الرمادي، والسماء الرصاصية الثقيلة.

أو لعل الأمر بدا لي كذلك لأن الحظيرة كانت مهمّة جدًّا في طفولتي، لأنها كانت واحدًا من المباني التي احتلت مكانة مركزية في صغري.

قال إنغفه: «بالمناسبة... لقد التقيت فتاة».

قلت: «أوه... هل هذا صحيح؟».

أومأ برأسه. وقال: «في بيرغن».

هزّ رأسه نفيًا. أخذ من سيجارته نفَسًا عميقًا جدًّا جعل وجنتَيه تنخمصان.

«الحقيقة أن ذلك كان في أرندال. حدث الأمر هذا الصيف. لم أرها منذ ذلك الوقت، لكننا نتبادل الرسائل. وسوف أراها ليلة رأس السنة».

«هل أنت واقع في حبها؟».

نظر إليّ مليًّا. من الممكن أن يستقبل هذا السؤال المباشر استقبالًا

حسنًا، أو غير حسن. لا يرغب إنغفه دائمًا في الكلام في أمور من هذا النوع. لكنه كان عاشقًا، بالطبع. يتألّق ذلك التألّق الداخلي الغريب كلما أتى على ذكرها؛ ولعله يكون طيلة الوقت راغبًا في الكلام عنها. على الأقل، سيكون راغبًا إن كان مثلي. وهو مثلي بالفعل.

قال: «نعم. هذا صحيح. هذه هي خلاصة الأمر. خلاصة من بضع كلمات، بل من كلمة واحدة. هذه هي الحقيقة».

«إذًا، كيف هو شكلها؟ وما سنّها؟ وأين تعيش؟».

«ألا نستطيع البدء باسمها؟ سيكون هذا عمليًا أكثر».

«لا بأس».

«اسمها كريستين».

«وماذا أيضًا؟».

«هي أصغر مني بسنتَين. تعيش في ترومويا. لها عينان زرقاوان وشعر متموّج أشقر. إنها قصيرة القامة. كنتما تذهبان إلى المدرسة نفسها. كانت متقدّمة عليك بصفَين اثنَين».

«كريستين؟ لا يذكّرني اسمها بأي شيء».

«سوف تعرفها عندما تراها».

«إذًا، ينبغي أن تكونا معًا ليلة رأس السنة».

«تلك هي الفكرة...». نظر إليّ... «لماذا لا تأتي إلى الحفلة؟ ستكون حفلتنا في كابين فين ديل هيتا... أعني، إن لم تكن ذاهبًا إلى حفلة أخرى».

قلت: «ليست لدي أية خطط خاصة. قد أستطيع أن آتي».

«أنا ذاهب على أية حال. تعال معي».

أومأت برأسي، ثم أشحت بوجهي جانبًا حتى لا يرى كم كنت سعيدًا.

عندما عدنا إلى البيت، وجدنا جدي نائمًا في جلسته وقد استندت ذقنه إلى صدره. ذراعاه متشابكتان عند بطنه.

بلغت الساعة الخامسة؛ وكان مسلسل «الفتيان الفضيون» قد بدأ في التلفزيون. نزلت من غرفتي مرتديًا ملابسي، مستعدًا. قميص أبيض، وبدلة سوداء، وحذاء أسود. البيت يفوح كله برائحة لحم الخروف. جدّتي مرتدية

أجمل فساتينها. شعرها مسرّح. جدي مرتَدٍ بدلة زرقاء. كيارتان في بدلة رمادية من النوع الذي كان رائجًا في السبعينيات. الطاولة مُعدّة: مفرش أبيض، وأفضل مجموعة من أطباق العشاء، ومنديل طعام أخضر إلى جانب كل طبق. أربع زجاجات بيرة بحرارة الغرفة: هكذا يشربونها هنا. وزجاجة أكوافيت وسط الطاولة. كل شيء في مكانه عدا الطعام الذي كان إنغفه قد خرج لإحضاره. لقد طها جدي الطعام بنفسه.

قال إنغفه: «ليست لدينا إلا خمس حبات بطاطس، لا تكفي حتى لأن يحصل كل منا على واحدة».

قالت أمي: «أستطيع الاستغناء عنها. عندها، يأخذ كل واحد منكم واحدة منها».

قال إنغفه: «حتى في هذه الحالة... حبة بطاطس صغيرة جدًا من أجل عشاء عيد الميلاد...».

ساعدته في جلب أطباق الطعام. أضلاع الخروف التي يتصاعد البخار منها، وقطع اللحم المحمّص التي لا يزال الدهن يفرقع ويئز فيها، ولا يزال بعضها محتفظًا بشعرات صغيرة غير محترقة، اللفت الأصفر المهروس، والملفوف المخلّل، والملفوف الأحمر، وخمس حبات بطاطس.

كان لحم الخروف لذيذًا. لقد عالجه جدي، ونقعه ثم طهاه حتى اكتمال النضج. وأما الانتقاد الوحيد الذي يمكن توجيهه إلى تلك الوجبة، الانتقاد الأكثر أهمية في تلك السنة كلها، فهو قلّة البطاطس. لا يجوز أبدًا أن يقتّر المرء في أي شيء، وبالتأكيد، لا يجوز التقتير في البطاطس! لكني استطعت تجاوز خيبتي؛ وبدا لي أن ما من أحد غيري قد اهتم لهذه المشكلة. كانت جدتي جالسة إلى الطاولة، منحنية فوقها، مرتعشة؛ لكن ذهنها كان صافيًا، وعيناها صافيتَين. كانت ترانا؛ وكانت مسرورة لأننا عندها. استطعت رؤية هذا. مجرد حقيقة أننا هناك كانت كافية لها... كانت كافية لها دائمًا. كان جدي يلتهم اللحم والدهن يسيل على ذقنه لامعًا. لم يقرب كيارتان الطعام إلا قليلًا؛ لكنه ظلّ يتحدث عن هيدِغر ونيتشه، وعن شاعر اسمه

هولدرلين، وشخص اسمه آرنِه روستِه، قال إنه أرسل إليه قصائدَ؛ فأجابه ببضع ملاحظات لطيفة. ذكر خلال مونولوجه الطويل بضعة أسماء أخرى نطقها كلّها بألفة توحي بأنه يفترض جميع مَن هنا يشاطره إياها.

وعندما فرغنا من تناول الطعام، رفعت الأطباق مع إنغفه، وأخذناها خارج الغرفة، في حين كانت أمي تخفق الكريما من أجل حلوى الأرز. ظلّ كيارتان جالسًا مع أبيه وأمه. وظلّ صامتًا.

قال إنغفه: «أقترح إقامة منطقة خالية من هيدِغر».

ضحكت أمي وقالت له: «لكن الحديث كان مسليًا جدًا».

قلت لها: «ربما ليس في ليلة عيد الميلاد».

أجابت: «لا، أظنّك محقًا في هذا».

قال إنغفه: «ألا نستطيع تأجيل تناول الحلوى بعض الوقت؟ لقد أُتخمت».

قلت: «وأنا أيضًا. كان لحم الخروف جيدًا هذه السنة».

قالت أمي: «صحيح، كان جيدًا. لكن، لعله كان مالحًا بعض الشيء».

قال إنغفه: «لا، لا. كان كل شيء صحيحًا. كان طعامًا ممتازًا».

قلت: «إذًا، هل نبدأ توزيع الهدايا؟».

قال إنغفه: «هذا جيد».

«هل تتولى تقديمها؟».

«لا بأس».

تلقيت من إنغفه أسطوانة لفرقة *«ذا ديوكس أوف ستراتوسفير»*، ومن أمي كنزة ومعها كتاب السيرة الذاتية لبيورني بوّي، ومن كيارتان مصباحًا كاشفًا، ومن جدي وجدتي قطعة كبيرة من لحم السالمون، فضلًا عن شيك بقيمة مئتي كرون. قدّمت إلى أمي كاسيت موسيقى لفيفالدي حتى تستمع إليه في السيارة؛ وقدّمت إلى إنغفه قرص سي دي فيه أغانٍ منفردة لمارتي ويلسون بيبر، عازف الجيتار في فرقة «ذا تشيرتش». أهديت كيارتان رواية ليان كيارستاد. قرأ إنغفه الأسماء بصوت مرتفع واثق، ووزع الهدايا بيد ثابتة. أما

أنا، فكنت أجعِّد أوراق التغليف وأرمي بها في نار مدفئة الحطب المستعرة، وأتناول رشفات من الكونياك الذي أتى به جدي. ناوله إنغفه هدية من كيلوغ ومن إنغريد، ابنة ماغنِه الصغرى المولودة بعد أشقائها وشقيقاتها بسنوات كثيرة. تجمَّد جدّي عندما فتح تلك الهدية ورأى ما فيها. وفجأة نهض واقفًا واتجه صوب مدفئة الحطب.

قالت أمي: «ما هي هديتك؟ لا ترمها في النار!».

فتح جدي باب المدفئة. أسرعت أمي إليه. قالت له: «لا يجوز أن تحرقها». أخذت الهدية منه.

بدا جدي حائرًا، وبدا غاضبًا أيضًا في وقت واحد.

قلت: «دعني أراها. ما هي؟».

قالت أمي: «إنها طبعة جَصّية لكف يدها».

طبعة يد صغيرة على الجص، فلماذا يريد أن يحرقها؟ ضحك كيارتان، وقال: «يوهانز شخص متطيّر. فعل هذا لأنها تعني الموت».

قال جدي: «صحيح، تعني الموت. لا أريد رؤيتها».

قالت أمي: «إذًا، سوف نضعها هناك». وضعت قطعة الجص بعيدًا عن الأنظار. «لقد صنعتْها في حضانة الأطفال وأرسلتها إليك. لا يجوز أن ترميها. أنت تعرف هذا».

لم يقل جدي شيئًا.

أهي ابتسامة تلك التي أراها على شفتَيّ جدتي؟

قدّم إنغفه إلى كيارتان زجاجة نبيذ. إنها هديته إليه.

قال كيارتان: «نبيذ جيد». كان جالسًا على كرسي في آخر الغرفة حاملًا بيده كأس الكونياك وقد اكتسى وجهه الآن تعبيرًا أكثر لطفًا، أكثر تصالحًا.

قلت: «ألا نستطيع الاستماع إلى تسجيلاتنا غدًا على جهاز الستيريو الذي لديك؟».

«طبعًا... مثلما تحبان».

كان كيارتان جالسًا إلى جانب شجرة عيد الميلاد التي لم تكن في وضع

رأسي تمامًا. كانت مائلة فوقه. وبينما كنت أنظر في عينَيه، رأيت أن الشجرة قد بدأت تتحرّك. أدار كيارتان رأسه. اشتعل الذعر في عينَيه. وفي الثانية التي تلت ذلك، سقطت الشجرة فوقه.

انفجر جدي ضاحكًا. ضحك إنغفه؛ وضحكت أمي، وضحكت أيضًا. قفز كيارتان من كرسيه. نهضت مع إنغفه فأعدنا تثبيت الشجرة من جديد إلى أن صارت منتصبة. ثم أزحناها إلى جانب الجدار.

قال كيارتان وهو يمرّر أصابع يده في شعره ثم يجلس من جديد: «حتى الشجرة لا تريد أن تتركني في سلام».

قال إنغفه: «في صحتكم، عيد ميلاد سعيد لكم جميعًا».

بعد عيد الميلاد، عدنا إلى بيرغن بالسفينة السريعة، ثم طرنا من بيرغن إلى كيبفك. كان ميفيستو في شوق شديد لرؤيتنا، فكاد يمزق بنطلوني بمخالبه عندما سمحت له بأن يرقد في حضني أثناء تناولنا عشاء مبكرًا.

أمر حسن أن نكون في بيتنا وأن يكون إنغفه معنا.

قرر أن يذهب في اليوم التالي لرؤية جدّينا، والديّ أبي، فهو لم يزرهما منذ الصيف الماضي. وقد ذهبت معه. ابتسمت جدتي ابتسامة كبيرة عندما رأتنا واقفَين بعتبة الباب. قالت لنا عندما صعدنا السلم إن جدّي في مكتبه، فما كان من إنغفه إلا أن جلس في كرسيه. في وجود إنغفه، لا تكون جدتي متحفظة مثلما تكون عندما أزور بيتها وحدي: كان إنغفه أفضل مني كثيرًا في العثور على النغمة الصحيحة في عائلتنا: يمزح ويجعل جدتي تضحك، ويمضي معها وقتًا طيبًا بطريقة لا أستطيع مجاراتها حتى إن تدرّبت عليها مئة عام.

فجأة، من غير توقّع أبدًا، نظرت جدتي إلى إنغفه وسألته إن كان قد اشترى شيئًا لطيفًا بالمال الذي أرسلته إليه.

قال لها: «أي مال؟».

احمرَّ وجهي كثيرًا.

قالت جدتي: «المال الذي أرسلته لك».

قال إنغفه: «لم يصلني أيّ مال منكِ».

قلت: «نسيت إعطاءك ذلك المال. إنني آسف».

نظرت جدتي إليّ كأنها لا تستطيع تصديق عينيها. قالت: «ألم تعطه المال؟».

«أنا آسف حقًا، لقد نسيت».

«وهل أنفقته؟».

«لقد أنفقته... لكنني اعتبرته دينًا. اعتزمت إعطاءه المال عندما نعود إلى سوربوفاغ، لكني نسيت».

نهضت جدتي وخرجت من الغرفة. نظر إليّ إنغفه متسائلًا.

قلت له: «أعطتني مئة كرون لكل منا. لكني نسيت إعطاءك نصيبك. سوف أعطيك إياه لاحقًا».

عادت جدتي بمئة كرون قدمتها إلى إنغفه.

قالت له: «انتهينا من الأمر. دعونا الآن ننساه تمامًا».

أمضى إنغفه ليلة رأس السنة الجديدة مع كريستين. رأيت ذلك كله. نظرتْ إليه لحظة لقائهما، ومالت برأسها. قال لها شيئًا، وبدا خجولًا على نحو غريب. ضحكت في سرّي. إنه عاشق! لم يتكلما بعد ذلك، لكنهما ظلا يتبادلان نظرات عارضة، من حين لآخر.

وفجأة، رأيتهما جالسَين متقابلَين إلى طاولة خشبية طويلة. كان إنغفه يتحدّث مع تروند؛ وكانت تتحدّث مع واحدة من صديقاتها. كان كل منهما يرمي الآخر بنظرات محمومة.

نهض إنغفه وابتعد وقتًا قصيرًا، ثم عاد فجلس وتابع حديثه مع تروند. تناول ورقة وقلمًا، وكتب شيئًا. ثم دفع بالورقة إلى كريستين.

نظرت كريستين إليه، ثم نظرت إلى الورقة، وقرأت ما كتبه. نظرت إليه. ضمت سبابتها وإبهامها معًا، ثم كررت ذلك بضع مرات إلى أن ناولها القلم. كتبَتْ شيئًا، ودفعت بالورقة إليه فقرأها. نهض واقفًا وذهب إليها؛

وسرعان ما غرقا في حديث عميق. لم يعد في الغرفة أحد غيرهما. وبعد ذلك، رأيتهما يتبادلان القبل. لقد أفلح في ذلك!

بعد تلك الأمسية، صارت كريستين كل شيء في عالمه. ذهب إلى بيرغن في الثاني من كانون الثاني، فأحسست بأن البيت قد صار خاليًا. لكني لم ألبث أن اعتدت الأمر بعد يوم، أو يومَين؛ وواصلت الحياة سيرها مثلما كانت بما فيها من تطوّرات صغيرة في هذا الاتجاه أو ذاك، تلك الحوادث غير المتوقّعة التي تملأ حياتنا، فيؤدي بنا بعضها إلى باب مقفل أو غرفة مهجورة، في حين قد يكون لبعضها الآخر نتائج لا تظهر ثمارها إلا بعد سنين كثيرة.

بدأت مع إسبن بثًا إذاعيًا محلّيًا. كنا نبث برنامجًا واحدًا في الأسبوع: برنامج حي قائم على إذاعة أغانٍ لفرقنا المفضّلة، ثم الحديث عنها. أخبرت كل من أعرفه بأن عليه أن يستمع إلى برنامجنا. استمع إليه كثيرون من الناس. ومن وقت لآخر، صار مألوفًا أن يعلّق الناس، في المدرسة أو في الباص، على شيء قلناه، أو على أغنية اخترناها. كان «راديو 1» محطة صغيرة لا يستمع إليها أشخاص كثيرون في عطلة نهاية أسبوع عادية؛ وكانت *«ناي سورلاند»* صحيفة صغيرة بدورها، لكنهما منحتاني معًا إحساسًا بأنني سائر في الاتجاه الصحيح.

كان معنى عملي في ذلك البرنامج الإذاعي أن أظلّ مضطرًا إلى البقاء في المدينة بعد المدرسة، إذ لا معنى للذهاب إلى البيت ثم العودة مرة أخرى، فجعلت التعريج لرؤية جدتي وجدي عادة يومية عندي. فمن ناحية الطعام، كانا رهانًا أكثر أمانًا من الرهان على أبي، فضلًا عن أن ذهابي إليهما يجنّبني ما قد تنطوي عليه زيارة أبي من أمور غير مؤكدة: هل يدعوني إلى الدخول، أم لا؟ وهل تكون زيارتي إثقالًا عليه، أم لا؟

بعد هذه الأمسيات الطويلة في المدينة، وتناول طعام العشاء أول الأمر مع جدّي وجدتي، ثم التقائي إسبن في محطة الإذاعة، ووضع خطة البرنامج معه، ثم تقديمه، كنت أصعد إلى الباص وأصغي إلى الموسيقى طيلة الرحلة

المرهقة حتى البيت، بما فيها الكيلومتر الأخير منها، فأكون كأنني أقفل نفسي داخل نفسي ولا أكاد ألحظ العالم الأبيض الذي أمرّ عبره، إلى أن أُبعد السماعتَين عن أذنيّ وأفتح الباب، وأحلّ رباط حذائي وأعلق سترتي وأذهب إلى المطبخ من أجل تناول عشاء خفيف.

كانت أمي في الطابق الأول تتابع التلفزيون. أغلقت الجهاز ونزلت عندما سمعتني. مكتبة سُر مَن قرأ

سألتها: «هل استمعت إلى البرنامج؟».

أجابت: «استمعت إليه».

«هل كان الأمر محرجًا عندما ضحكنا كثيرًا، أم كان لا بأس به؟».

«لا، لم يكن محرجًا. كان مضحكًا فحسب. اسمع يا كارل أوفه، اتصلت جدتك عندما كنت في الخارج».

«أوه!».

«نعم. يؤسفني القول إنها لم تكن مكالمة بهيجة. لقد قالت... حسنًا... قالت لي إن عليك أن تكفّ عن الذهاب إليهما. قالت إنك لن تحصل أبدًا على شيء تأكله إذا زرتهما؛ وقالت إن ملابسك مهملة دائمًا، وإنك لا تنقطع عن طلب المال منها».

«ماذا!؟».

«نعم. قالت إن الاهتمام بك مهمّتي أنا، لا مهمتهما. إنها مسؤوليتي. لذا، فهما الآن لا يريدان أن تذهب إليهما».

بدأت أبكي. لم أستطع منع نفسي من البكاء لأن الدموع تدفقت بقوة كبيرة. استدرت مبتعدًا عنها وقد شوَّهت وجهي تكشيرة بشعة أخفيتها بكفيّ. ومع أنني لم أرد البكاء، فقد تواصل نشيجي.

تناولت أمي وعاءً من الخزانة وملأته ماء. قالت لي: «أنت لا علاقة لك بهذا الأمر. ينبغي أن تفهم هذا. أنا المقصودة به. أنا من يريدان جرحه».

وضعَت الوعاء على الموقد. كنت شبه عاجز عن الرؤية بسبب دموعي. سترت وجهي بيدي من جديد، وخفّضت رأسي. موجة نشيج جديدة اجتاحتني وهزّتني هزًا.

إنها مخطئة؛ وأنا أعرف هذا. الأمر كله متعلّق بي أنا. لقد كنت هناك. وقد أحسست إحساسًا جسديًا بفترات الصمت كلّها وبكل ما يرافق حضوري من ضيق. بطريقة من الطرق، فهمت موقفهما.

لكني لم أقل شيئًا. تراجعَت التشنجات التي كانت تشوّه وجهي. استنشقت نفسًا عميقًا، عدة مرات؛ ثم مسحت عيني بكُمّ كنزتي. جلست على الكرسي. لم تتحرّك أمي.

قالت لي: «أنا غاضبة جدًا. لا أظنني غضبت هذا الغضب كلّه من قبل. أنت حفيدهما. والأمر صعب عليك الآن. إن من واجبهما أن يسانداك... بصرف النظر عن أي شيء».

قلت: «الأمر ليس صعبًا. أنا بخير».

«أنت لا تكاد تجد أحدًا من حولك. لا يجوز للأشخاص القلائل الذين هم لديك أن يديروا ظهورهم إليك».

قلت: «أنا بخير تمامًا. لا تهتمي بالأمر أبدًا. سوف تسير أموري بخير من غيرهما».

قالت أمي: «أنا واثقة من هذا. لكنهما يديران ظهريهما لحفيدهما! هل تتخيّل هذا؟ لا أستغرب أن أباك قد عانى معهما».

قلت: «إذًا، أنت لا تظنين أنه مِن خلف هذا القرار».

نظرت أمي إليّ. لم أرها من قبل حانقة إلى هذا الحد. كانت عيناها مشتعلتَين.

«لا. لا أظن هذا أبدًا. إلا إذا كان قد تغيّر تغيرًا تامًا خلال الشهور الستة الماضية».

قلت: «لقد تغيّر. إنه شخص مختلف الآن، مختلف تمامًا».

جلست أمي.

قلت لها: «هناك أمر آخر. أمر لا علم لك به. أعطاني جدي وجدتي مئة كرون لي ومئة كرون لإنغفه من أجل عيد الميلاد. كان عليَّ أن أعطيه نصيبه،

لكني أنفقته. وبعد ذلك، نسيت الأمر كله. وعندما كنا هناك في عيد الميلاد، صار كل شيء واضحًا».

تنهدت أمي وقالت: «ولكن، يا كارل أوفه، حتى إن كنت قد سرقت ذلك المال، فهذا ليس سببًا كافيًا لجعلهما يديران ظهريهما لك. ليس من حقّهما أن يعاقباك».

قلت: «عليك أن تفهمي الأمر. من الواضح أنهما كانا غاضبَين. ما قالته جدتي صحيح. إنني آكل كلما ذهبت إليهما. وهما يعطياني مالًا من أجل الباص».

قالت أمي: «أنت لست مخطئًا في شيء. لا تفكّر هكذا أبدًا».

لكني فكّرت هكذا... بالطبع! استلقيت مستيقظًا طيلة الساعات الأولى من تلك الليلة بينما كان البرد يحكم قبضته على ما هو خارج البيت ويجعل أخشاب الجدران تطقطق، وكذلك جليد النهر. ثم، في تلك الظلمة، صرت قادرًا على رؤية الأمر كلّه في ضوء أكثر وضوحًا، وأكثر برودة. إن كانا غير راغبين في رؤيتي، لا بأس. إذًا، فلن يرياني. لم أكن أذهب لزيارتهما من أجل مصلحتي الخاصة؛ ولم أكن لأخسر شيئًا إن بقيت بعيدًا عنهما. وجدت حلاوة في قراري بألّا أراهما بعد الآن. لن أراهما حتى عندما يكونان راقدَين على فراش الموت. لن أذهب لرؤيتهما. وحتى عندما يموتان، ويكون وقت دفنهما، حتى عندها، لن أذهب لرؤيتهما. لن أفعل ما فعله أبي الذي قاطعهما عدة مرات أثناء سنوات طفولتي. كان يقطع كل صلة بهما، شهرًا أو شهرَين، لكنه يستأنف العلاقة بعد ذلك وكأن شيئًا لم يحدث بينه وبينهما. لا، سوف أظل ثابتًا على موقفي. لن أراهما بعد الآن. لن أكلمهما بعد الآن أبدًا.

إن كان هذا ما يريدان، فهذا ما سيحصلان عليه. لست في حاجة إلى جدتي؛ ولست في حاجة إلى جدي. هما في حاجة إليّ. وإن لم يستطيعا فهم هذا، فلا بأس... حظًا طيبًا لهما.

بعد ظهر أحد الأيام، ذهبت وحدي بالقطار إلى درامّين، حيث كانت فرقة «سيمبل مايندز» تقدّم عرضها في المكان نفسه حيث كانت فرقة «U2» قد قدّمت عرضها في السنة السابقة. لقد أعجبتني أسطوانتهم الجديدة لأن

الصوت كان رائعًا، والأغاني متألّقة جدًا. استمعت إلى تلك الأغاني مرات كثيرة خلال فصل الخريف. لعلها كانت أسطوانة تجارية بعض الشيء؛ ولعل أغنياتها لم تكن قوية مثل أغنيات أسطوانة «نيو غولد دريم»، لكني أحببتها على الرغم من ذلك كله. لكني خرجت من تلك الحفلة، فكنت خائب الأمل بعض الشيء؛ خاب أملي في جيم كير خاصة، لأنه صار مترهلًا جدًا، ولأنه أوقف الأغنية -أوقفها فعلًا- عندما جرى أحد المعجبين فصعد المنصة واختطف قبعته الحمراء. جلس جيم كير على حافة المنصة، وقال إنه لن يعزف بعد ذلك إلا إذا عادت قبعته إليه. لم أستطع تصديق عينيّ. ومنذ تلك اللحظة، لم يعد يهمّني كم تكون أغنية من أغنياتهم جيدة؛ ففي نظري، صارت فرقة «سيمبل مايندز» شيئًا من الماضي.

وصل القطار إلى كريستيانساند عند منتصف الليل. لا باصات في ذلك التوقيت. الذهاب إلى البيت بسيارة تاكسي مكلف جدًا. لذا، كنت قد اتفقت مع أوني على أن أنام في شقتها. لقد أعطتني المفتاح: ليس عليَّ إلا أن أفتح الباب وأدخل. وهكذا، أدخلت المفتاح في قفل الباب بعد نصف ساعة من نزولي من القطار، ودخلت الشقة. كانت الشقة في بناية عائدة إلى الخمسينيات أو الستينيات مؤلفة من غرفتَين اثنتَين ومطبخ وحمّام مع إطلالة على المدينة من غرفة الجلوس. كنت في تلك الشقة من قبل مرتَين أو ثلاث مرات، لتناول طعام العشاء معها ومع أبي. وقد أعجبتني لأنها شقة أنيقة. لوحات لطيفة على الجدران. وحتى مع عدم اهتمامي بفناجين السيراميك واللوحات المنسوجة وفق أسلوب حزب فينستريبارتي الاشتراكي -هذا هو أسلوبها- فقد كان الانسجام هو ما لفت نظري في المكان.

كانت أوني قد أعدّت مكانًا لنومي على الأريكة التي مدّت عليها ملاءة ولحافًا. وجدت على الرف كتابًا ليوهان بوير اسمه *«الفايكينغ الأخير»*، فقرأت بضع صفحات، ثم أطفأت النور وغرقت في النوم. وفي صباح اليوم التالي، استيقظت على صوت حركتها في المطبخ. نهضت وارتديت ملابسي. أعدّت أوني الطاولة في غرفة المعيشة وجلبت طبقًا من البيكون مع

البيض، وشايًا، وفطائر حارة. جلسنا نتحدث طيلة ذلك الصباح. كان أكثر الحديث عني، لكننا تحدثنا عنها أيضًا، عن علاقتها بابنها فريدريك الذي كان يعاني من شيء من صعوبة تقبل دخول أبي حياتها. تحدّثنا أيضًا عن عملها كمعلّمة، وعن حياتها في كريستيانساند قبل أن تلتقي أبي. أخبرتها عن حنّة وعن خططي للتوجه إلى الكتابة بعد إنهائي المدرسة الثانوية. قبل ذلك، لم أقل شيئًا لأي إنسان، لأن الفكرة لم تكن واضحة الصياغة في ذهني. على الأقل، لم أحدّث أحدًا بالأمر مستخدمًا هذا العدد الكبير من الكلمات. وأما الآن، فقد انصبَّت الكلمات من فمي انصبابًا. أريد أن أكتب، أريد أن أصير كاتبًا.

عندما غادرت الشقة، كان الوقت متأخّرًا كثيرًا على ذهابي إلى المدرسة، فعدت إلى البيت بالباص. كانت الشمس باردة، خفيضة في السماء، والأرض عارية رطبة. كنت سعيدًا، لكن سعادتي لم تكن من غير حد، لأن ثرثرتي مع أوني وانفتاحي وصدقي معها جعلاني أحس كأنني ارتكبت خيانة. من خنت بهذا؟ لست أدري!

انقضى شهران بعد ذلك، وبدأ شهر نيسان، فسافرت أمي في عطلة من عطلات نهاية الأسبوع لكي تزور صديقة لها في أوسلو. بقيت في البيت وحدي.

عدت من المدرسة فوجدت في البيت ورقة تركتها لي أمي في المطبخ.

عزيزي كارل أوفه،

انتبه لنفسك – وكن طيبًا مع القط.

أحبك،

ماما

قلَيْت بضع بيضات مع كرات اللحم من أجل العشاء، وشربت فنجان قهوة، ودخّنت سيجارة، ثم جلست في غرفة المعيشة حاملًا كتاب تاريخ، وبدأت أقرأ. خارج البيت، لم تكن الطبيعة قد خرجت بعد من تلك الفترة الفاصلة الغريبة بين الشتاء والربيع عندما تكون الحقول عارية رطبة، وتكون

السماء رمادية والأشجار من غير أوراق. تكون كلّها لا شيء في ذواتها، ويكون كل شيء مشحونًا بما سوف يكون. لعل الأمر قد بدأ يحدث بالفعل، قد بدأ يحدث لكنه غير مرئي في الظلمة. أوَلَم يبدأ الهواء -بطيئًا- يزداد دفئًا هناك، في الغابة؟ أوليست هناك زقزقات طيور متفرّقة آتية من الأشجار بعد شهور الصمت الطويلة التي لا يخرق صمتها شيء غير صرخات جشّاء عارضة يطلقها غراب أو عقعق؟ أوَلم يبدأ الربيع تسلّله مثلما يفعل شخص يريد أن يفاجئ صديقًا؟ أوَليس الربيع هناك مستعدًا، في أية لحظة الآن، لأن يتفجر خضرة متوهجة، ولأن يطلق أوراقه وحشراته في كل مكان؟

هكذا كان إحساسي: الربيع بات وشيكًا جدًا. لعل هذا ما جعلني غير قادر على الاستقرار. قرأت ساعة، أو نحو ذلك، ثم نهضت وتجولت في البيت. فتحت الباب للقط الذي اتجه فورًا إلى طبق طعامه. فكرت في حنّة؛ وقبل أن أُفلح في تغيير رأيي، وجدت نفسي واقفًا عند الهاتف أطلب رقمها.

قالت لي: «هل أنت جالس في البيت مساء يوم جمعة؟ هذا ليس من عادتك. ماذا تفعل؟».

حقيقة الأمر أن هذا كان من عادتي، بل من عادتي جدًا؛ لكن، لعلي بالغت كثيرًا عندما حدثتها عن حياتي الاجتماعية، بحيث صارت مبالغاتي تلك جزءًا من الصورة التي كوّنتها عني في ذهنها.

«إنني أستعد من أجل امتحان. وأنا وحدي هنا لأن أمي لن تعود حتى يوم غد. لهذا... الحقيقة... وجدت نفسي ضجرًا قليلًا. لقد فكّرت فيكِ. ماذا تفعلين؟».

«لا أفعل شيئًا خاصًا. وأنا أيضًا ضجرة قليلًا».

قلت: «نعم».

قالت: «أستطيع أن أعرّج عليك قليلًا».

«تعرّجين قليلًا؟».

«نعم. صارت معي الآن رخصة قيادة السيارة. لذا، نستطيع أن نشرب الشاي وأن نتحدث حتى ساعة متأخرة من الليل».

«يبدو هذا عظيمًا. لكن، هل تستطيعين فعله؟».

«لماذا لا أستطيع فعله؟».

قلت: «لست أدري. إذًا، تعالي. أنا في انتظارك».

بعد ساعة ونصف الساعة، دخلت المنعطف سيارة البيتل الخضراء القديمة التي استعارتها حنّة من أختها. وضعت قدمي في حذائي، وخرجت لملاقاتها. بدا لي شكلها غريبًا تمامًا خلف مقود السيارة. فاجأتني هذه الفكرة عندما كانت السيارة صاعدة في الطريق لأن القيادة تتطلّب مجموعة حركات وأفعال اعتبرتها لا تتّفق مع سحرها البنّاتي الأخرق قليلًا. لقد أدّت كل حركة مثلما ينبغي أن تؤدّى -المشكلة ليست هنا- لكني أحسست شيئًا زائدًا حقن دمي بتيار من فرح شفاف. أوقفت السيارة أمام باب المرأب، ثم نزلت منها. كانت ترتدي بنطلون الستريتش الأسود، الذي قلت لها ذات مرة إنه يبدو عليها مثيرًا إلى حدّ يصعب تصديقه. ابتسمت لي وعانقتني. دخلنا البيت. أعددت الشاي وشغّلت واحدًا من التسجيلات. جلسنا نتحدّث حينًا من الزمن. أخبرتني عما كان يحدث في المدرسة، وأخبرتها عما كان يحدث في مدرستي. تبادلنا قصصًا ونكاتًا عن أصدقائنا المشتركين.

لكننا لم نكن منسجمين تمامًا.

نظر كل منا إلى الآخر، ثم ابتسمنا.

قلت لها: «لم أكن أتخيل هذا الأمر عندما استيقظت صباح اليوم. لم أتخيل أنك ستكونين جالسة هنا هذا المساء».

قالت: «ولا أنا».

مرّت طائرة فوق المرتفع خلف بيتنا. بدا المكان كلّه كأنه يرتعش.

قلت: «إنها على علوٍّ منخفض كثيرًا».

قالت وهي تنهض واقفة: «صحيح. لن أغيب أكثر من دقيقة واحدة».

أشعلت سيجارة، واستندت إلى ظهر الأريكة، وأغمضت عينَي.

عند عودتها، توقفتْ عند باب الحديقة ونظرت إلى الخارج. نهضت

وذهبت إليها. وقفت خلفها. وبرفق، طوّقتها بذراعي ووضعت كفَّي على بطنها. وضعتْ كفيها فوق كفيّ.

قالت لي: «المكان هنا جميل جدًا».

النهر جارٍ أمامنا لامعًا، أسود اللون. لقد فاض وغمر ملعب كرة القدم فلم يبق مرئيًا منه غير المرميَيْن اللذين صنعناهما بأنفسنا. كان الهواء فوق الوادي قد ازداد كثافة في ضوء الغسق. شعّت أنوار البيوت في الناحية الأخرى من الوادي. قطيرات مطر جرت متدحرجة على لوح الزجاج أمامنا.

قلت: «صحيح، إنه جميل». ابتعدت عن النافذة. إن لها علاقة مع شخص آخر؛ وهي مسيحية... لست إلا صديقًا عزيزًا عليها.

جلست في الكرسي الهزاز، وأزاحت جانبًا شعرها المتدلي على جبهتها، ثم حملت فنجان الشاي الفاتر إلى فمها. لعل شفتَيها هما أروع ما فيها: تقوّس لطيف؛ وفي الأعلى، تبدو شفتها متقلصة كأنها غير راغبة في التلاؤم مع بقية تقاطيع وجهها التي لا تشوبها شائبة. وعيناها... عيناها اللتان أتخيّل أحيانًا أن لونهما أصفر لأن في وجهها ما يوحي لي بقطة، لكن... بالطبع... ليست عيناها صفراوين. إنهما خضراوان رماديتان.

قالت: «بدأ الوقت يتأخر».

قلت: «لست مضطرة إلى الذهاب منذ الآن، أليس كذلك؟».

قالت: «في الحقيقة، لا. ليس لدي شيء خاص أفعله غدًا. هل لديك أنت؟».

«لا».

«متى تعود ماما؟».

ماما!...

حنّة وحدها تستطيع قول شيء كهذا وكأن فيها بقية من طفولة لم تتلاش بعد.

ابتسمت.

«ماما؟ أنت تجعلينني أحس كأنني لا أزال في العاشرة».

قالت: «إذًا، متى تعود أمك؟».
«لن تعود أمي حتى ليل الغد. لماذا تسألين؟».
«كنت أفكر في أنني قد أنام هنا. لا أحب كثيرًا أن أقود السيارة ليلًا».
«هل تستطيعين فعل هذا؟».
«ما هو؟».
«النوم هنا؟».
«ولماذا لا أستطيع النوم هنا؟».
«على سبيل البداية، أنت في علاقة مع شخص آخر».
«لم أعد كذلك».
«لماذا؟ هل هذا صحيح؟ لماذا لم تقولي شيئًا؟».
قالت ضاحكة: «أنا لا أخبرك كل شيء، أيها الشاب».
«لكني أقول لك كل شيء».
«صحيح. أعرفك، إنك تقول لي كل شيء. لكن، لا شأن لك بانتهاء علاقتي».
«بل هو من شأني. هو من شأني كثيرًا جدًا».
هزّت رأسها.
«لا؟».
«لا».
كانت هذه ال- «لا» موجّهة إليّ... ما من طريقة أخرى لتفسيرها. على أية حال، كنت قد تخليت عن أي أمل منذ زمن بعيد. ولم تعد حنّة تملأ كلفكرة من أفكار يقظتي. مضت شهور كثيرة منذ ذلك الوقت.
صرّ الكرسي عندما عدّلت جلستها ورفعت ساقَيها فضمتهما تحتها. تعجبني. يعجبني وجودها هنا، في بيتنا القديم. كان هذا كافيًا. ألم يكن كافيًا؟
جلسنا هناك ساعة إلى أن اكتملت الظلمة في الخارج ولم يعد شيء مرئيًا عبر النوافذ، إلا انعكاس صورة غرفة المعيشة على زجاجها.

قلت: «بدأ الوقت يتأخر. أين تحبين أن تنامي؟».

قالت: «لست أدري. أأنام في غرفتك؟».

ابتسمت لي وتابعت: «لا أحب أن أنام وحدي في بيت لا أعرفه؛ هنا خاصة نكاد نكون وسط الغابة».

قلت: «لا بأس. سوف أجلب فراشًا».

أخذت فراش سرير إنغفه ووضعته على الأرض إلى جانب سريري. أتيت بوسادة وملاءة ولحاف وغطاء إضافي فوضعتها كلها على الفراش في حين كانت تنظف أسنانها في حمام الطابق السفلي.

دخلت الغرفة مرتدية سروالها الداخلي وقميصًا قطنيًا قصير الكمَّين.

تقلّص بلعومي.

كان ثدياها واضحين تمامًا من تحت القميص فلم أعد أدري أين أنظر.

قالت لي: «ها نحن هنا. أنا جاهزة. ألن تنظف أسنانك؟».

كانت عيناي متعلقتَين بعينَيها عندما قلت: «نعم، بالطبع. سوف أنظفها الآن».

وعندما عدت، وجدتها جالسة على الكرسي عند المكتب. كانت تنظر إلى بضع صور أرسلها إليّ إنغفه. كانت الصور متروكة على طاولة المكتب. صور دراماتيكية بالأبيض والأسود. وفي عدد منها، كنت متخذًا وضعيات مبالغ فيها.

رفعت واحدة من الصور وقالت: «كم تبدو وسيمًا!».

أطلقت ضحكة قصيرة ساخرة، وقلت: «ألن ننام؟».

سرت رعدة في جسدي عندما نهضت عن الكرسي.

فخذاها العاريتان.

قدماها الصغيرتان العاريتان.

ثدياها الجميلان من تحت قميصها القطني.

استلقت على الفراش الموضوع على الأرض؛ واستلقيت إلى جوارها، على سريري.

مدّت الملاءة فوقها ورفعتها حتى ذقنها، ثم ابتسمت لي. ابتسمت لها. ثرثرنا قليلًا. انتصبَت جالسة وقرّبت فراشها إلى أن صار تحتي مباشرة.

فكرت في الإضجاع إلى جانبها، في الاستلقاء قريبًا منها، فكرت في مداعبة ثديَيها، في مداعبة فخذَيها، في مداعبة مؤخرتها.

لكنها مسيحية! وهي بريئة جدًا. لا تعرف من هي، ولا شدّة تأثيرها على الآخرين. هي قادرة على طرح أغرب الأسئلة؛ وهذا الجانب من طبعها، الجانب الذي أحبه كثيرًا، كان أيضًا سببًا يجعل لزامًا علي أن أبقى في مكاني.

قلت: «تصبحين على خير».

قالت: «تصبح على خير».

مكتبة
t.me/soramnqraa

كنا راقدَين هناك، نتنفّس، ساكنَين تمامًا.

قالت بعد برهة: «هل نمت؟».

قلت: «لا».

«هل يمكنك أن تدلّك ظهري قليلًا؟ إنني أحب هذا».

قلت: «بالطبع».

أزاحت الغطاء جانبًا، ثم كشفت عن ظهرها. ابتلعت ريقي بصعوبة، ثم جرت يداي على ظهرها جيئة وذهابًا، جيئة وذهابًا.

لست أدري كم طال ذلك، كم طال زمن فعلي ذلك... لعله طال دقيقتَين! ولكن، كان لا بد لي من التوقّف وإلّا فقدت عقلي.

أبعدت يدي عن ظهرها: وقلت: «هل صرت الآن قادرة على النوم؟».

قالت وهي تنزل قميصها: «نعم. تصبح على خير».

قلت: «تصبحين على خير».

انصرفتْ صباح اليوم التالي. أمضيت النهار كله جالسًا على الأريكة. أكلت بيتزا في المساء وتابعت التلفزيون مع أمي. كانت جالسة وقد وضعَت القط في حضنها وعلى الطاولة أمامها فنجان قهوة. أكلت أفضل جزء من البيتزا، ثم جلست واضعًا قدميّ على الطاولة، حاملًا بيدي كأس كوكا كولا، وتابعت مسلسل *«ألبرت وهربرت»* السويدي. كان من غير معنى أبدًا؛

وأعتقد بأن أمي أيضًا وجدته من غير معنى. لكننا كنا جالسَين هناك، وكانت أية حركة تتطلب جهدًا.

ملأتني حنّة كلّي؛ ملأتني حتى الحافّة. لقد فكرت فيها طيلة اليوم. مرّ زمن طويل منذ أن محوتها من ذهني، فهي لا تريد أن تكون معي. وأما الآن، فقد عاد الألق القديم كله، عاد لامعًا متوهّجًا، عاد من جديد.

ماذا كان يمكن أن يحدث لو أنني اندسست إلى جانبها ليلة أمس؟

على غير انتظار، رأيت كل شيء في ضوء جديد. على غير انتظار، رأيت ما حدث حقًا.

أوه، يا إلهي.

لقد أرادت حنّة ذلك طيلة الوقت.

أوه، كم كان هذا واضحًا! أوه، يا إلهي. أوه، يا إلهي.

أو، هل كان واضحًا؟ أم إنه في ذهني فقط؟

كدت أنهض لأن عليَّ أن أتصل بها. ثم عدت إلى جلستي المسترخية على الأريكة.

قالت أمي: «ماذا بك؟».

قلت، «لا شيء. فكرة مرّت ببالي».

* * *

هناك، في بيت أبي، كانت وجبات العشاء قد انقطعت تمامًا. ففي عطلات نهاية الأسبوع، يجلس وحده عادة، ويشرب... إلا في أوقات عصر قليلة حين يكون صاحيًا ويستقبل زائرين من أقاربه. كنت قد أخبرته باتصال جدتي: نعم، يعلم هذا، هكذا قال لي. قال أيضًا إنهما محقّان، وإن على أمك أن تهتم بك أكثر. تعرف أنني أدفع لها مالًا كثيرًا من أجل نفقتكما. نعم، نعم، أعرف هذا. لكن حقيقة أنني كنت شديد الانزعاج لأنهما لم يعودا يسمحان لي بالذهاب إليهما لم تلفت نظره أبدًا، ولم تبدُ له مهمة على الإطلاق... أو لعله كان منتبهًا إليها لأنه لم يقل شيئًا عندما أخبرته أنني اعتزمت المجيء إلى بيته من أجل الاحتفال معه بعيد ميلاده. سوف يبلغ الثانية والأربعين.

وسوف يكون جدّي وجدتي هناك. شممت رائحة عطرها في الممر، لكن الوقت كان قد فات وصرت غير قادر على الانصراف. فتحت باب غرفة المعيشة حيث كان شقيق جدي، آلف، وزوجته سولفي جالسَين ومعهما جدي وجدتي وغونار وتوفِه وأطفالهما. لم أنظر إلى جدتي عندما ألقيت التحية، ولا عندما جلست إلى الطاولة. أبقيت عينيّ مثبتَتين على طعامي عندما أكلت قطعة حلوى وشربت فنجان قهوة. تفرّق الجمع: جلس بعضهم على الأريكة، وحمل بعضهم أطباقهم إلى الخارج، وراحت الأحاديث تتقلّب من موضوع إلى موضوع. وبالطبع، لم يُقدَّم أي كحول. نهضت وذهبت إلى الحمام. وفي طريق عودتي كانت جدتي في المطبخ.

قالت جدتي: «لم يكن ذلك ما عنيناه، يا كارل أوفه. لم يكن ذلك قصدنا».

قلت لها: «فهمت»، وتابعت سيري.

إذاً الآن، ومن غير مقدّمات، تزعم أنها لم تقل ذلك!

أظنها ستزعم أنها لم تتّصل بأمي أيضًا.

فاجأتني في تلك اللحظة فكرة أن الموجودين هنا جميعًا قد سمعوا بما حدث. لعلّهم ناقشوا الأمر أيضًا! أنا، وسلوكي! لقد ناقشوا السؤال: ما الطريقة الأفضل للتعامل مع هذا الأمر؟

وأما أبي الذي يشرب عدة مرات كل أسبوع حتى يسكر ويفقد وعيه، فقد بات قادرًا على دعوتهم وعلى التظاهر بأن شيئًا لم يحدث، وبأن كل شيء على أحسن ما يرام.

أوه، خراء، لماذا إنغفه ليس هنا؟

لماذا يتعيّن عليَّ أن أحتمل هذا كله بمفردي؟

بقيت ثابتًا على موقفي ضدّ جدي وجدتي، واستمر الأمر بضعة أسابيع أخرى. وبعد ذلك، في عصر أحد الأيام عندما كنت في بيت أبي، طلب مني أن أذهب إليهما معه، وقال لي إن عليّ ألا أكون طفوليًا هكذا: لقد كبرت كثيرًا على هذا السلوك؛ وبالطبع، عليّ أن أزورهما.

زرتهما، وكان كل شيء كما اعتدت أن يكون دائمًا.

أبي رسمي، وجدي رسمي. جدّتي هي من تُبقي العجلات دائرة، جدتي التي تغمز بعينها متشاقية وتقدم إلينا الطعام وتأخذ أبي معها إلى الحديقة بعد ذلك. لم يكن يعنيني أن أبي قد انقسم انقسامًا واضحًا إلى شخصيتَين اثنتَين، واحدة عندما يشرب وواحدة عندما لا يشرب، أي الشخصية التي كنت أعرفها وكنت قد ألفتها: هكذا هو الأمر، وهو ليس شيئًا يستحق أن أفكر فيه كثيرًا.

طيلة السنة كلها، منذ رحيله عنا، وخلال ثرثراته العاطفية الثملة كلها، والمشاجرات والمصالحات كلها، والمشاحنات الغيور كلها، وكل ما كان يخلقه من فوضى، لم يتعب أبي أبدًا من إخبارنا عن يوم انفصاله عن أمي، ذلك اليوم الذي سيجعله حرًّا آخر الأمر بحيث يفعل ما يريد فعله. سوف يتزوج من أوني لحظة إتمام الطلاق. قال: علاقتي بأوني جيدة جدًا؛ وأكون في غاية السعادة عندما أستيقظ فأجدها إلى جواري. أريد أن أفعل هذا طيلة ما بقي من عمري. لذا، فسوف نتزوج يا كارل أوفه. ولعل عليك أن تستعد لذلك. لولا القانون اللعين، لتزوجنا منذ سنة كاملة. الأمر كبير جدًا في نظري، كبير إلى هذا الحد.

كنت أجيبه قائلًا إن هذا لا بأس به... إلا إذا كنت ثملًا، أنا نفسي، واكتفيت بابتسامة غبية ربما تتبعها دموع منسكبة من عيني لأن هذا كان يحدث أيضًا، فأنا عاطفي مثله! يكون كل منا جالسًا على كرسيه، وتكون عينا كل منا دامعتين.

وفى أبي بوعده عندما جاء صباح اليوم التالي ليوم انفصاله القانوني عن أمي. كنا في شهر تموز. وفي الصباح، ذهبت إلى شقة أبي مع إنغفه وكريستين حيث وجدنا أبي وأوني يتحرّكان بخطوات متوترة: أبي يرتدي قميصًا أبيض صارخ البياض؛ وأوني في فستان أبيض مصنوع من قماش خشن. هما غير مستعدَّين تمامًا بعد. سألتنا أوني إن كنا راغبين في شراب أثناء انتظارنا، فألقيت نظرة سريعة في اتجاه أبي؛ كان واقفًا وفي يده زجاجة

بيرة. قال: انظروا في البراد وخذوا ما يعجبكم. قلت له: فهمت هذا! ذهبت إلى المطبخ وعدت حاملًا ثلاث زجاجات بيرة. نظر أبي إليَّ. قال: لعل من الأفضل أن ترجئ البيرة قليلًا. لا يزال الوقت مبكرًا؛ وسوف يكون يومنا طويلًا. قالت له أوني: لكنك تشرب البيرة منذ الآن! ابتسم أبي وقال: نعم، كلامك صحيح! لا بأس، أظن أن ما من مشكلة في هذا!

طالت استعداداتهما أكثر مما توقّعا. فكان لديّ وقت لشرب زجاجتَيّ بيرة قبل خروجنا لانتظار سيارة التاكسي التي ستأخذنا إلى مكتب تسجيل الزواج. كانت السماء مدلهمة بالغيوم. وكان الطقس باردًا. بدأت أحس أثر الكحول الذي صار كأنه غشاء يغلف أفكاري... مظلة من مشاعر مختلطة. وقف إنغفه وكريستين متجاورَين، ذراع كل منهما حول وسط الآخر. ابتسمت لهما وأشعلت سيجارة ورحت أنظر إلى النهر في الأسفل. بدا لي ماء النهر ثقيلًا تحت تلك السماء العابسة. وصلت سيارة التاكسي قبل أن أفلح في أخذ أول نفس من سيجارتي. لا تتسع السيارة لجلوسنا جميعًا؛ ولم يكن أحد منّا قد فكّر في هذا الأمر قبل وصولها. قال أبي إنه يستطيع الذهاب ماشيًا لأن المكتب قريب، خلف زاوية الشارع. رفضت أوني ذلك: لن تذهب على قدمَيك في يوم زفافك.

قالت كريستي: «نحن نستطيع أن نمشي. ما رأيك، يا إنغفه؟».

قال إنغفه: «بالطبع».

وهكذا، تقرّر الأمر. ذهبت إلى مكتب تسجيل الزواج مع أوني وأبي حيث وجدنا الشاهدَين في انتظارنا. تذكّرت وجهَيهما تذكرًا غامضًا لأنهما كانا في الحفلة التي أقامها أبي في بيتنا الصيف الماضي. رجل أصلع قصير وامرأة ضخمة كبيرة الثديين على رأسها كتلة من شعر غزير. سلّمت عليهما. ابتسما لي. وقفنا في الصالة منتظرين. كان أبي يلقي على ساعة يده نظرات نافدة الصبر. سوف يأتي دورهما بعد قليل. لكن بضع دقائق انقضت قبل أن يصل إنغفه وكريستين.

دخلا الصالة مسرعَين، وجناتهما محمرّة، مستعدَّين لكل شيء. نظر أبي

إليهما من غير اهتمام؛ ثم دخلنا. وقفا أمام الموظف الذي يُجري مراسم الزواج؛ وكان إلى جانب كل منهما شاهده. قال أبي «نعم»، وقالت أوني «نعم»، وتبادلا خاتمَيّ الزواج. بعد ذلك، صار أبي متزوجًا من جديد. اختارا اسمًا جديدًا لكل منهما؛ بل اختارا اسمَين مركّبَين كل جزء من كل واحد منهما جيد في حدّ ذاته، وجذاب أيضًا. لكن الجمع بينهما بدا لي سخيفًا، متكّلفًا، مدَّعيًا.

وفي طريقنا إلى مطعم سيوهوست حيث سنتناول طعام الغداء، قال أبي إن واحدًا من جزأَيّ الاسم الذي اختاره لنفسه -اسم ذو أصل اسكوتلندي- له صلة بعائلتنا لأننا أتينا من اسكوتلندا في الماضي البعيد. ومن ناحيتها، قالت أوني إن الاسم الذي اختارته موجود في عائلتها منذ زمن بعيد. كنت قادرًا على تصديقها. لكن ما قاله أبي كان كلامًا فارغًا، لا أكثر! كنت واثقًا من هذا كل الثقة.

كان إنغفه يشاطرني الرأي، فقد تلاقت عيوننا عندما بدأ أبي كلامه.

أجلسونا إلى طاولة في آخر المطعم الذي كان ديكوره ذا طابع بحري. طلبنا جمبري وبيرة. ابتسم أبي وأوني وقالا: «سكال». إنه يومهما!

شربت في المطعم خمس زجاجات بيرة. لاحظ أبي ذلك، وقال لي أن أتروّى قليلًا؛ لكنه لم يقلها بطريقة غير ودّية. أجبته بأنني سأفعل ما طلبته مني، لكنني منتبه إلى نفسي. كان إنغفه مصابًا بالأنفلونزا، فلم يشرب كثيرًا. ثم إن كريستين كانت هناك. ظل يلتفت وينظر إليها. كانا جالسَين هناك يضحكان ويتحدّثان في هذا الأمر أو ذاك.

من حين لآخر، كنت أحسّ كأنني أطير - لا بد أن هذا من أثر الكحول: على الأقل، كنت قادرًا على المبادرة وعلى الحديث مع الجميع بيسر وبتلك الطريقة المتعالية التي تهيمن على كلامي بعض الأحيان. وفي لحظات أخرى، كنت كأنني أخرج من دائرة الجالسين إلى الطاولة فيبدون لي جميعًا -إنغفه أيضًا- غرباء عني تمامًا. ليس هذا فقط... يصير وجودهم لا أهمية له إطلاقًا.

لا بد أن كريستين قد لاحظت هذا لأنها كانت تقطع كلامها مع إنغفه

-مرة بعد مرة- وتقول لي شيئًا لكي تلفت انتباهي، فأعود إلى المشاركة في ما يدور من أحاديث. إنها تفعل هذا منذ بداية علاقتها مع إنغفه. صارت كأنها أختي الكبرى، كأنها شخص أستطيع الكلام معه في أي شيء، شخص يفهمني. لكنها لم تكن أكبر مني كثيرًا، بمعنى أن صورة الأخت الكبرى كانت قابلة لأن تختفي من غير سابق إنذار فنصير وجهًا لوجه، شخصَين متساويَين، ندَّين تقريبًا.

خرجنا من مطعم سيوهوست وعدنا إلى شقة أبي. انصرف الشاهدان الآن، لكنهما سوف يأتيان لتناول العشاء معنا في المساء. لقد حجز أبي طاولة للعشاء في مطعم فريغاتن عند بوابة درونينغينز. واصلت الشرب في شقة أبي. بدأت أصير ثملًا بكل ما في الكلمة من معنى. كان هذا إحساسًا رائعًا، غريبًا بعض الشيء لأن ضياء النهار لا يزال موجودًا في الخارج، ولأن الناس في الشارع لا يزالون يتابعون نشاطاتهم اليومية المعتادة. لكني كنت جالسًا هناك تزداد عيناي احمرارًا وتورمًا من غير أن ينتبه أحد إلى ذلك -بقدر ما كنت قادرًا على الحكم، على الأقل- لأن العلامة الوحيدة على سكري كانت أن لساني صار أكثر انطلاقًا من المعتاد. فكما يحدث دائمًا، منحني الكحول إحساسًا قويًا بالحرية وبالسعادة، وحملني فوق موجة كل ما فيها حسنٌ. وحتى أَحول دون انتهاء ذلك -كان هذا وحده ما أخشى حدوثه- واصلت الشرب، وشربت أكثر فأكثر. وعندما أتى موعد العشاء، طلب أبي سيارة تاكسي، فنزلت السلم بخطوات متعثرة إلى أن بلغت السيارة التي ستأخذنا إلى مطعم فريغاتن الواقع على مسافة خمسمئة متر فقط. هذه المرة، لم يطرح أحد أي سؤال عن إمكانية أن تتّسع السيارة لنا جميعًا. وعند وصولنا، أجلسونا إلى طاولتنا القريبة من النافذة. كانت صالة المطعم كبيرة؛ وكانت شبه خالية. إنني أشرب منذ الساعة العاشرة صباحًا؛ وقد صرنا الآن في السادسة مساء. عناية الرب وحدها حمتني من السقوط من النافذة عندما مضيت لكي أزيح الكرسي وأجلس عليه. صرت شبه عاجز عن الإحساس بوجود الآخرين من حولي، وصرت لا أسمع شيئًا مما

يقولون. وجوههم غائمة، وأصواتهم حفيفة خافتة كأن من حولي أشجارًا تشبه البشر، وأجمات عجيبة في غابة واقعة في مكان لا أعرف عنه شيئًا، لا في مطعم في كريستيانساند يوم زفاف أبي.

جاء النادل إلينا. لقد حدّد أبي مسبقًا أنواع الطعام التي سنتناولها؛ لكن النادل أراد الآن أن يعرف ماذا نحب أن نشرب. طلب أبي زجاجتَي نبيذ أحمر. أشعلت سيجارة ونظرت إليه بعينَيّ الكابيتَين.

سألني أبي: «كيف الأحوال عندك، يا كارل أوفه؟ هل أنت على ما يرام؟».

أجبته: «نعم. أهنئك يا أبي. عليّ أن أقول هذا. أوني تعجبني كثيرًا».

قال: «هذا جيد».

نظرت أوني إليّ وابتسمت.

قلت: «ولكن، بماذا أدعوها؟ إنها الآن زوجة أبي، أليس هذا صحيحًا؟».

قال أبي: «خاطبها باسمها -أوني- بالطبع».

سألتني أوني: «بم كنت تدعو سيسيل؟».

نظرت إليها. قلت لها: «ماما».

قالت أوني: «إذًا، يمكنك أن تدعوني ماما، فما رأيك؟».

قلت: «سوف أفعل هذا، يا ماما».

قاطعنا أبي: «ما هذا الكلام الفارغ؟».

نظرتُ إلى أوني وقلت: «هل أعجبك النبيذ، يا ماما؟».

قالت: «نعم، أعجبني».

نظر أبي في عينَيّ وقال: «كف عن هذا الآن، يا كارل أوفه».

قلت: «لا بأس».

قال إنغفه: «أين ستمضيان شهر العسل؟ لم تقولا لنا شيئًا عن هذا».

قالت أوني: «الحقيقة أنه... لن يكون هناك شهر عسل. لكننا حجزنا في هذا الفندق غرفة لهذه الليلة».

جاء النادل ووضع زجاجة نبيذ أمام أبي. أومأ أبي برأسه من غير إبداء أي اهتمام بها.

صبَّ النادل رشفة صغيرة في كأس.

تذوَّق أبي النبيذ وتمطّق بشفتَيه. قال للنادل: «ممتاز».

قال النادل: «عظيم». ثم ملأ كؤوسنا جميعًا.

أوه، كم كان طعم النبيذ الدافئ الداكن مريحًا بعد البيرة الباردة اللاذعة!

أفرغت كأسي بأربع جرعات طويلة. كان إنغفه يجلس مسندًا رأسه إلى أحد كفَّيه. كان ينظر إلى الخارج عبر النافذة. لا بد أن يده الأخرى مستقرّة على فخذ كريستين. استنتجت هذا من وضع ذراعه. كان الشاهدان يجلسان صامتَين إلى جوار أوني وأبي.

قال أبي: «طلبنا تقديم العشاء عند السادسة والنصف». نظر إلى أوني: «ما رأيك في أن نذهب لتفقد غرفتنا قبل موعد العشاء؟».

ابتسمت أوني وأومأت برأسها.

قال أبي: «لن نغيب طويلًا. اجلسوا واستمتعوا بالنبيذ».

تبادلا قبلة، ثم خرجا من قاعة المطعم يدًا بيد.

نظرت إلى إنغفه فنظر إليَّ ثم أشاح بوجهه. لا يزال زميلا أبي، الشاهدان، صامتَين مثلما كانا. لو كنت في حالتي الطبيعية لنشأ لدي إحساس بأنني مسؤول عنهما ولطرحت عليهما بضعة أسئلة عابرة أملًا في أن تثير اهتمامهما - حتى وإن لم تكن مهمة في نظري. وأما الآن، فقد وجدت نفسي غير مبالٍ بهما أبدًا. إن كانا راغبين في البقاء جالسَين هناك ينظران إلينا، فليكن لهما ما يريدان.

ملأت كأسي نبيذًا أحمر. شربت نصف الكأس في جرعة واحدة، ثم ذهبت لكي أبول. وجدت نفسي في ممر طويل سرت فيه إلى آخره من غير أن أعثر على مرحاض في أي مكان. عدت أدراجي ونزلت سلمًا، ووجدت نفسي في مكان كأنه قبو، مكان أبيض اللون فيه إنارة باهرة وبضعة أكياس مصفوفة عند الجدار. صعدت السلم من جديد. هل هو هنا؟ ممر آخر، لكنه مفروش بسجادة. لا. انتهى بي ذلك الممر إلى مكتب الاستقبال. سألتهما،

أين المرحاض؟ قال موظف الاستقبال، عفوًا، ماذا قلت؟ أجبته، آسف. لكن... هل تعرف أين المرحاض؟ من غير أن ينظر إليّ، أشار إلى باب يقع إلى الناحية الأخرى من الصالة. اندفعت صوب ذلك الباب متعجّلًا فكان عليَّ أن أسير خطوة إضافية حتى أمنع نفسي من السقوط. فتحت الباب. استندت إلى الجدار. ها هو المرحاض. الشكر للرب. دخلت واحدة من الحجرات وأقفلت بابها من خلفي. غيرت رأيي، وفتحت الباب. المرحاض خالٍ، أليس كذلك؟ نعم، إنه خالٍ، وما من أحد هنا. أسرعت إلى حيث المغاسل. أنزلت سحاب بنطلوني، وأخرجت قضيبي، وبلت في المغسلة. ملأ تيار السائل الأصفر أسفل المغسلة كله. وبعد لحظة وجيزة، ابتلعته الفتحة في أسفل الحوض. وبعد أن انتهيت، عدت إلى حجرة المرحاض. أقفلت الباب. جلست على كرسي المرحاض. أرحت رأسي على كفَيَّ، وأغمضت عينَيّ. وفي اللحظة التي أعقبت ذلك، غبت تمامًا.

في لحظة من اللحظات، بدا لي أنني أسمع صوتًا يناديني، كارل أوفه، كارل أوفه. سمعت الصوت فتخيّلت نفسي واقفًا فوق هضبة، وتخيّلت أن هناك من أُرسل لكي يبحث عني. كارل أوفه، كارل أوفه! ثم غبت من جديد. وفي المرة الثانية، استيقظت مجفلًا. اصطدم رأسي بجدار الحجرة. كان المكان صامتًا تامًا.

ماذا حدث؟ أين أنا؟

أوه، لا. إنه يوم الزفاف! هل غرقت في النوم؟ أوه، لا. لقد نمت هنا!

خرجت مسرعًا. غسلت وجهي بماء بارد. سرت مجتازًا مكتب الاستقبال ودخلت صالة المطعم.

لا يزالون جالسين هناك. نظروا إليّ جميعًا.

قال أبي: «أين كنت، يا كارل أوفه؟».

قلت: «أظنني غفوت قليلًا». جلست... «هل أكلتم؟».

قالت أوني: «نعم. لقد أكلنا. انتهينا من الطعام قبل قليل. هل تحب الآن أن تأكل شيئًا. نحن في انتظار الحلوى».

قلت: «لا بأس بالحلوى. لست جائعًا كثيرًا».

قال أبي: «بعد الحلوى، سيكون لدينا قهوة وبراندي. سوف تستعيد توازنك عندها... سترى».

أنهيت النبيذ الذي في كأسي، ثم ملأت الكأس من جديد. صداع خفيف في رأسي... ليس شديدًا. كان ذلك كأن بابًا قد انفتح قليلًا لكي يدخل الألم منه. أدركت أن للنبيذ أثرًا حسنًا عليّ. كان كأنه يغلق ذلك الباب من جديد.

لم تتجاوز الساعة التاسعة والنصف عند خروجنا من المطعم. كنت ثملًا، لكن ليس مثلما كنت عندما وصلت. لقد خفّف النوم أثر الكحول؛ ولم يستطع النبيذ والبراندي إعادته مثلما كان. لكن سُكر أبي كان واضحًا تمامًا. كان واقفًا في انتظار التاكسي، محيطًا أوني بذراعَيه. لم تخطر في ذهنه أبدًا إمكانية السير مسافة خمسمئة متر. وجد مشقة كبيرة في الجلوس على كرسي السيارة الجلدي الأسود.

عندما وصلنا إلى البيت، أحضر أبي من البراد بضع زجاجات بيرة. وضعت أوني قليلًا من الفستق في طبق مقعّر. ازدادت حال إنغفه سوءًا: ارتفعت حرارته فاستلقى على الأريكة. كانت كريستين جالسة على كرسي إلى جواري.

أحضرت أوني بطانية غطّت بها إنغفه. وقف أبي على مسافة منها ناظرًا إليها.

قال: «لماذا تهتمّينَ بإحكام الغطاء عليه؟ أليس شخصًا كبيرًا قادرًا على أن يفعل ذلك بنفسه؟ لم يحدث أبدًا أن غطيتني ببطانية عندما أكون منحرف الصحة قليلًا».

قالت أوني: «أوه، بل فعلت ذلك».

«أوه، لا، لم تفعلي». كان صوته مرتفعًا، يكاد يكون صياحًا.

قالت أوني: «اهدأ الآن».

قال أبي: «ما ألطف أن تقولي هذا!».

ذهب إلى ناحية المطبخ فجلس على كرسي مديرًا ظهره إلينا. ضحكت

أوني. ثم ذهبت إليه لكي تهدّئه. شربتُ نصف زجاجة البيرة في جرعة واحدة، ثم تجشأت لكثرة الزبَد عليها. انتبهت إلى وجود كريستين، فابتلعت ريقي عدة مرات مغطيًا فمي بيدي.

قلت: «آسف».

ضحكت كريستين وقالت: «بالتأكيد، هذا ليس أسوأ ما حدث في هذه الليلة». قالت ذلك بصوت منخفض لا يستطيع سماعه إلا من كان جالسًا إلى الطاولة (أنا وهي)، ثم ضحكَت بصوت منخفض أيضًا.

ابتسم إنغفه. قمت إلى البراد لكي آخذ زجاجة بيرة جديدة. وعندما مررت بالعريسَين، نهض أبي وعاد إلى غرفة المعيشة.

قال: «سوف أتصل بجدتكما. لم يهتما حتى بأن يرسلا لي زهرة واحدة!».

فتحت باب البراد وأخذت زجاجة بيرة. وفجأة، وجدت نفسي قد عدت إلى غرفة المعيشة، ووجدت يدي تمتد إلى أداة فتح الزجاجات الموضوعة على الطاولة.

كان إنغفه وكريستين ينظران في الهواء، ينظران إلى لا مكان، نظرة غريبة. وكان أبي يتكلّم في الهاتف بصوت مرتفع.

قال: «لقد تزوجت اليوم. هل تدركان هذا؟ هذا يوم كبير في حياتي».

رمّيت غطاء الزجاجة على الطاولة، وأخذت رشفة بيرة، ثم جلست.

«على الأقل، كنتما تستطيعان إرسال بعض الزهور! على الأقل، كنتما تستطيعان إظهار أنكما مهتمان بي».

صمت.

صاح أبي: «أمي! نعم، لكن... أمي، من فضلك!».

التفتّ إليه. رأيته يبكي. رأيت الدموع متدحرجة على خدَّيه.

وعندما تكلّم من جديد، تقلّص وجهه في تكشيرة ضخمة.

«لقد تزوجت اليوم. أنتما لم ترغبا في المجيء. أنتما لم ترسلا إليّ زهورًا! إنه يوم زواج ابنكما!».

ثم وضع سماعة الهاتف بعنف وحدّق في الفراغ بضع لحظات.

واصلت دموعه جريانها على خدّيه.

وفي آخر الأمر، نهض واقفًا وذهب إلى المطبخ.

تجشّأتُ ونظرت إلى أوني. نهضَتْ وجرت خلفه. ومن المطبخ، أتى صوت نشيج وبكاء، وكلام بصوتَين مرتفعَين.

نظرت إلى إنغفه بعد برهة، وقلت له: «ماذا تظن؟ طالما أن الأمر هكذا، فما رأيك في الخروج لكي نقوم بجولة في المدينة؟».

انتصب إنغفه جالسًا.

قال: «لست في أحسن حال. أظن أن حرارتي سترتفع كثيرًا. من الأفضل أن أذهب إلى البيت. ألا نطلب سيارة تاكسي؟».

قلت: «هل نذهب من غير أن نخبر أبي أولًا؟».

«من غير أن تخبروني بماذا؟». قال أبي هذا بينما يقف عند الباب الفاصل بين الغرفتَين.

قال له إنغفه: «كنا نفكر في الانصراف بعد قليل».

قال أبي: «لا. ابقوا قليلًا. لا يتزوج أبوكما كل يوم. هيا... لا يزال لدينا قليل من البيرة. نستطيع أن نواصل استمتاعنا بالوقت هنا».

قال إنغفه: «لست في حال حسنة، كما ترى. أظن أن عليَّ أن أذهب».

قال أبي ناظرًا إليّ بعينَيه المضببتَين شبه الخاليتَين من أي تعبير: «وأنت، يا كارل أوفه، ماذا عنك؟».

قلت: «سوف نتشارك سيارة التاكسي. إذا ذهبا، فعليّ أن أذهب معهما».

قال أبي: «لا بأس! إذًا، سأذهب إلى فراشي. تصبحون على خير. أشكركم لأنكم أتيتم اليوم».

وبعد ذلك، سمعنا وقع خطواته على السلم. دخلت أوني لكي ترانا.

قالت لنا: «هكذا يكون الأمر أحيانًا. مشاعر كثيرة. أنتم ترون هذا. لكن، اذهبوا الآن. سنلتقي قريبًا. أشكركم على حضوركم».

نهضنا واقفين. عانقتني أوني، ثم عانقت إنغفه وكريستين.

صرنا في الخارج فوجدت نفسي مضطرًا إلى الجلوس على حافة الرصيف. كنت في غاية التعب فلم أستطع البقاء واقفًا بضع دقائق إلى أن تصل سيارة التاكسي.

عندما استيقظت في فراشي صباح اليوم التالي، كان كل ما حدث محاطًا بشيء سريالي، لم أكن واثقًا من شيء إلا من أنني كنت أشدّ سكرًا مما كنته في أي وقت مضى. كنت واثقًا من أن أبي قد سكر أيضًا. أعرف كيف يبدو السكر في أعين الصاحين. أصابني الذعر عندما تذكّرت هذا: لقد رأى الجميع كم كنت ثملًا يوم زفاف أبي. لا يفيدني شيئًا أنه قد كان ثملًا مثلي، لأن السكر لم يظهر عليه إلا في النهاية، بعد أن صرنا وحدنا في شقته وبدأت مشاعره تتدفق من غير عائق.

لقد ألحق ما فعلتُه العار بهم جميعًا.

لقد فعلت هذا.

هل يشفع لي أنني لم أرد إلا خيرًا؟

أقمت في أرندال طيلة الأسابيع الأخيرة من ذلك الصيف. كان لدى رونه، مدير البرامج في محطة الإذاعة، نوع من وكالة تجارية: يوزّع الكاسيتات على محطات الوقود. اشتكيت أمامه ذات مساء من أنني لم أستطع الحصول على عمل في الصيف فاقترح أن أبيع كاسيتاته في الشارع. أشتريها منه بسعر ثابت (لم يكن مهتمًا إلا بتحقيق ربح بسيط)، ثم أكون قادرًا على بيعها بأي سعر يعجبني. كان السائحون يملأون بلدات سورلاند في فصل الصيف: أزمّة محافظهم محلولة! وإذا كنت تبيع كاسيتات موسيقى أصلية، فإن من المحتمل كثيرًا أن تصيب حظًا طيبًا.

قلت له: «هذه فكرة حسنة. يقيم أخي في أرندال هذا الصيف. ربما أستطيع بيع الكاسيتات هناك».

«ممتاز!».

وهكذا، وضعت ملابسي في حقيبة ذات صباح، وأخذت كرسيًا وطاولة قابلَين للطي، وآلة تسجيل ذات مكبر صوت قوي، وصندوقًا من الكاسيتات.

وضعت ذلك كله في سيارة أمي التي كانت تحت تصرف إنغفه طيلة فصل الصيف. جلست إلى جواره ووضعت نظارتي الشمسية الجديدة على عينَي، ثم استندت إلى ظهر المقعد في حين وضع إنغفه مقبض القيادة على السرعة الأولى وانطلق نازلًا في الطريق.

كانت الشمس مشرقة. لقد ظلت مشرقة طيلة شهر أيلول. حركة السيارات قليلة على هذه الناحية من النهر. أنزلت زجاج النافذة، وأخرجت مرفقي منها، ورحت أغني بصوت مرتفع مع فرقة بوّي بينما كانت السيارة تمضي بنا عبر غابة الصنوبر. كان النهر اللامع يظهر من بين الأشجار ثم يختفي. ومن وقت لآخر، نرى ضفافًا رملية يلعب الأطفال عندها، ويسبحون، ويتصايحون.

تحدثنا عن جدي وجدّتي اللذَين زرناهما في اليوم السابق، وكيف يبدو الوقت هناك كأنه قد تجمّد إذا ما قورن بالوقت في بيتنا في سوربوفاغ، حيث كان يبدو كأنه في تسارع، كأنه يجعل كل شيء متقادمًا.

مضينا عبر مركز بلدة بيركيلاند الصغيرة، ثم بلغنا ليليساند، وبعدها سرنا على الطريق e18: مرحلة أعرفها عن ظهر قلب بعد رحلات كثيرة جدًا، جيئة وذهابًا، طيلة زمن طفولتي.

شغّلت كاسيتًا لفرقة «بسايكيديليك فورز»، أفضل أسطوانة تجارية لتلك الفرقة، أغنيات تعجبنا.

قال إنغفه: «هل أخبرتك عن الفتاة التي أتت إليّ في لندن؟».

قلت: «لا».

«قالت لي، ’أنت شديد الشبه بالمغني الأول في فرقة بسايكيديليك فورز‘؛ ثم طلبت من أحدهم أن يلتقط لنا صورة معًا».

نظر إليّ وضحك.

قلت له: «ظننت أنك تشبه أودون أوتومان من فرقة ترامتياترت!».

قال: «نعم، لكن هذا ليس إطراء حقيقيًا».

مررنا ببيت كنوت هامسون في نورهولم، فانحنيت إلى الأمام حتى أنظر

إلى ذلك المكان. لقد زرته مرة مع زملائي عندما كنا في رحلة مدرسية. كنت في التاسعة. تجوّل بنا ابن هامسون في ذلك المكان، فرأينا الكوخ الذي كان والده يكتب فيه. رأينا أيضًا بضع قطع أثاث صنعها بنفسه.

الآن، يبدو المكان خاليًا. طالت الأعشاب فيه كثيرًا.

«هل تتذكّر عندما قال لنا أبي إنه رأى هامسون في الباص الذاهب إلى غرينستاد؟».

قال إنغفه: «لا. هل قال هذا؟».

«نعم... رجل عجوز له عكاز ولحية بيضاء».

هز إنغفه رأسه وقال: «تخيل كثرة الأكاذيب التي قالها لنا طيلة تلك السنين. أظننا لا نزال مصدّقين قسمًا منها من غير أن ندرك ذلك».

قلت: «صحيح. لا أستطيع القول إنني حزين لأنه راحل».

قال إنغفه: «لا. ولا أنا».

لقد حصل أبي وأوني على وظيفتَين في شمال النرويج. وسوف يعملان في مدرسة ثانوية واحدة. خلال الأسابيع الماضية، حزما ممتلكاتهما كلّها وأرسلاها شمالًا. سوف يذهبان بالسيارة بعد يومَين.

قلت: «هل استطاعت كريستين تجاوز ما جرى يوم الزفاف؟ أظنّها كانت صدمة بالنسبة إليها».

قال: «صحيح. كان ذلك شيئًا غير مألوف أبدًا».

بلغنا غرينستاد، ومررنا بمول أودنستر وبفندق «هوتيل نورغه» القديم حيث كتب هامسون بعض أعماله. سرنا في طريق صاعدة، ثم دخلنا سهلًا واسعًا.

قلت: «وكيف كان ذلك الأمر في الفندق؟ لقد حجزا غرفة في الفندق، حيث تعشينا. بل إنهما صعدا لرؤيتها. لكنهما لم يناما هناك!».

رفع إنغفه كتفيه.

قال: «لعلهما عادا إلى الفندق بعد انصرافنا».

«لم يبدُ لي الأمر كذلك».

أجابني: «صحيح، لكن في حياتهما أشياء لا يخططان لها. لقد قالا -إن كنت تتذكر هذا- إنهما لن يذهبا في شهر عسل. لكنهما صعدا في اليوم التالي إلى سفينة ذاهبة إلى الدانمارك، وأقاما في فندق في سكاغن».

قلت: «صحيح».

مررنا بعد ذلك بكوكبلاسن حيث كانت أمي تعمل في ما مضى، وحيث أمضيتُ بضع سنين في حضانة الأطفال. رفعت رأسي لكي أنظر إلى الجرف الذي هناك، الجرف الذي كنا نتسلّق كل يوم شجرة منتصبة فوقه... هذا ما تذكّرته. لكني رأيت الآن أنه لم يكن جرفًا، بل منحدرٌ صغيرٌ فقط. لا بد أن الشجرة التي فوقه قد قُطعت. ثم انحدرنا نازلَين في اتجاه أرندال التي بانت من تحتنا، ومن خلفها جزيرة ترومويا بكل روعتها، روعة الحنين إلى الماضي. رأيتها سابحة في ضياء الشمس.

قال إنغفه: «ماذا تريد أن تفعل؟ هل ستبدأ البحث عن موقع البيع منذ الآن؟».

أجبته: «هذا ممكن».

ما من شيء مرتب مسبقًا. كان رأي رونه أن ما عليَّ إلا أن أسأل العاملين في متجر من المتاجر هناك إن كانوا يقبلون أن أقف في الشارع أمام بابهم، وأن أستخدم الكهرباء من عندهم، وأن آمل بألا يطالبونني بعمولة مقابل ذلك. كانت نصيحته لي: أعرض عليهم مئتي كرون إذا رأيتهم متردّدين.

أوقف إنغفه السيارة، ثم سرنا في شارع مخصّص للمشاة. دخلت متجرًا للملابس اخترته عشوائيًا، وسألتهم إن كان يزعجهم أن أبيع الكاسيتات في الشارع أمام متجرهم، وإن كان لديهم مأخذ كهربائي أستطيع استخدامه. قلت لهم إن هذا قد يجتذب الزبائن إليهم أيضًا.

لا مشكلة. ممتاز!

بعد إنجاز ذلك، عدنا إلى السيارة واتجهنا إلى الغرفة التي استأجرها إنغفه هناك. كان قد أنهى الامتحانات الأولى في فصل الربيع بعد أن أنجز السنة التحضيرية في العلوم السياسية المقارنة قبل عيد الميلاد. وهو يعمل

الآن في «سنترال هوتيل» وسط المدينة لكي يجني بعض المال من أجل رحلة إلى الصين يخطط لها مع كريستين. سوف يذهبان في الخريف.

كانت الغرفة التي استأجرها عند لانغسا القريبة من أرندال. سوف أقيم فيها ثلاثة أسابيع وأنام على فراش هوائي أضعه على الأرض.

لم نمض معًا فترة طويلة إلى هذا الحد منذ أن كنا صغارًا.

وفي اليوم التالي، أخذني بالسيارة إلى مركز المدينة ومعي مستلزماتي كلها. ما أروع الوقوف هناك، في هدوء الشوارع الصباحي والبحر شديد الزرقة، ثقيلًا، ساكنًا من أمامنا! نصبت طاولة التخييم القديمة الصفراء التي اشتراها أبي وأمي في السبعينيات، ورتبت الكاسيتات عليها -جينيسيس، فالكو، إيريث ويكس، مادونا... وكل شيء غيرها مما كان يحقق مبيعات جيدة في تلك الشهور- مددت سلك الكهرباء من المتجر، ثم وصلت آلة التسجيل وجلست على الكرسي. وضعت نظارتي الشمسية، وشغّلت كاسيتًا.

ملك أرندال... إنه أنا!

كان على مقربة من طاولتي كشك يبيع الآيس الكريم. وبعد وصولي بقليل، بدأت فتاة عملها هناك. كنست الشارع أمام الكشك، ونقلت بضعة صناديق، ثم خرجت حاملة بيدها خرقة ومسحت زجاج واجهة الكشك الخارجي قبل أن تعود وتجلس فيه.

بدت لي رائعة. شعر محمرّ، ونمش، واستدارات كبيرة. عندما رأيتها في المرة التالية -بعد نصف ساعة من ذلك- كانت ترتدي مريلة بيضاء... رائع!

لكنها لم تنظر في اتجاهي ولا مرة واحدة.

أستطيع أن أجد حلًا لهذا.

بدأ الناس يتقاطرون، شيئًا بعد شيء. كانوا يسيرون في ذلك الشارع الصغير، جيئة وذهابًا، ويمرون بطاولتي مرات كثيرة. كنت منتبهًا إليهم؛ وكنت سريعًا في التعرف على الوجوه والأجساد. بدأ بعضهم يتوقف ويتفحص مجموعة الكاسيتات التي عندي. عندما يشير أحدهم إلى

كاسيت، أقفز وأُخرج من الصندوق الذي وضعته إلى جوار الطاولة كاسيتًا غير مفتوح، ثم أضع المال في جيبي وأشكر المشتري، وأضع علامة على ورقة أحملها معي، ثم أجلس من جديد.

يا له من عمل!

بدأت المبيعات تزداد زيادة واضحة عندما بلغت الساعة الحادية عشرة. ولم تبلغ الساعة الواحدة إلا وقد بعت كمية كبيرة من الكاسيتات؛ ثم تباطأت المبيعات إلى أن أغلقت «متجري» قبل الرابعة ببضع دقائق لأن إنغفه جاء لكي يأخذني.

في غرفته، أحصيت المال، واقتطعت منه المبلغ المستحق لرونه، ثم وضعته في كيس من النايلون. أنفقت الباقي عندما خرجنا في المساء. اشتريت زجاجات نبيذ أبيض في دلاء من قطع الجليد، ورقصت، وتحدّثت مع كل من جاء إلى طاولة إنغفه. نبيذ أبيض... ذلك كان اكتشاف الصيف بالنسبة إلي، فهو ينساب في الفم كأنه ماء. كانت الفقاعات التي يحدثها تجعلني أحس بنفسي خفيفًا، سعيدًا.

وفي اليوم التالي، ابتسمت لي فتاة الآيس كريم عند وصولها. صحيح أنها كانت ابتسامة صغيرة لكن عينيّ لم تخطئها. ذهبت إليها في الساعة الحادية عشرة وسألتها إن كنت أستطيع الحصول على كأس ماء.

ناولتني كأس ماء.

قلت لها: «نحن جاران. ما اسمك؟».

قالت: «سيغريد».

كانت لهجتها غريبة. حرف الراء ثقيل. ثم إنها لفظت حرف الدال في آخر اسمها.

«من أين أنت؟».

قالت: «من أيسلندا»؛ وابتسمت ابتسامة كبيرة.

كان هذا أقصى ما بلغه الأمر. لم تخرج بعد ذلك لكي نتحدّث قليلًا. ابتسامة صغيرة وإيماءة بالرأس كانت كافية. لقد بدأ يوم العمل.

وبعد أمسيتَين، فوجئت عندما وجدتها واقفة أمامي في الديسكو. كنت ثملًا إلى حد جعل كل شيء أمامي مشوَّشًا، عدا وجهها. وعندما استيقظت في فراشها صباح اليوم التالي، عجزت عن تذكّر كيف وصلت إلى ذلك المكان، وعجبت كيف نجح الأمر. كان كل شيء في ذاكرتي ظلامًا عدا مشهدَين اثنَين في غرفتها: هي مستلقية على السرير مرتدية سروالها التحتي فقط؛ وأنا فوقها. كنا متعانقين. قبلت ثدييها الرائعين. دسست يدي بين فخذَيها فقالت لا، قطعًا لا! نهضت واقفًا، وخلعت سروالي التحتي ووقفت أمامها بكل مجْدي؛ لكن أثر هذا عليها لم يكن كبيرًا مثلما توقعت أن يكون لأنها ضحكت ساخرة وقالت لا من جديد.

انتابني خجل شديد. أمسكت رأسي بكفيّ. بالطبع، انتبهت منذ استيقاظي إلى أنها ليست هناك، لكني لم أتساءل عن مكان وجودها إلا بعد لحظة من ذلك عندما انتصبت جالسًا وناديتها في تلك الغرفة الخالية.

لا إجابة. لعلها الآن في المرحاض!

نهضت واقفًا.

أوه، لا! إنني عارٍ تمامًا.

رأيت ورقة على طاولة وسط الغرفة.

مرحبًا، يا ملك أرندال!

عليَّ أن أذهب لبيع الآيس كريم.

أراك مجددًا... ربما.

س

(أقفل الباب عند خروجك)

بحق الرب... لماذا وضعت خطًا تحت كلمة ربما؟

ارتديت ملابسي، ودسست رسالتها في جيبي الخلفي. أقفلت الباب مثلما طلبت مني ونزلت السلم الضيّق المظلم ذا الهواء المكتوم. لم تكن لديَّ أدنى فكرة عن مكان وجودي. من الممكن أن أكون على مسافة كيلومترات من البلدة.

صفع ضياء الشمس عينَيّ لحظة خروجي.

شارع، وبيت واحد في الناحية الأخرى.

أين هي البلدة؟ سرت في الشارع، ثم عبرت منعطفًا فأدركت فجأة أين كنت. إنه مكان قريب من سكايتيبانن.

سرت إلى مركز المدينة. ودرت دورة واسعة من حول كشك الآيس كريم، ثم جلست في بولن ومعي زجاجة كوكا كولا وكيس من المعجنات. جعلتني رائحة ماء البحر في مزاج حسن.

بعد الجلوس والنظر إلى القوارب داخلة إلى الميناء، خارجة منه، وإلى النوارس محوّمة في السماء، وإلى السيارات المنطلقة في لانغبريغا إلى الناحية الأخرى، ذلك كله تحت سماء ساكنة داكنة الزرقة، ذهبت لرؤية إنغفه في الفندق. رأيته يتحدّث مع بعض الزبائن، فجلست على الأريكة وتابعت حركاته، ابتسامته الصبور وإيماءة رأسه المهذبة. كان يكلّمهم بالإنكليزية مرتديًا ملابس الفندق الموحَّدة التي لا أستطيع القول إنها ملابس لا تشوبها شائبة.

أتى إليّ بعد انصراف الزبائن عنه.

«قل لي، أين ذهبت؟».

«ذهبت إلى غرفة فتاة الآيس كريم». استطعت سماع كم كان قول تلك الجملة رائعًا.

«وكيف جرى الأمر؟ هل أنتما الآن في علاقة؟».

«لا أظن. لم تكن موجودة عندما استيقظت. لكنها تركت لي رسالة وضعت فيها خطًا تحت كلمة ربما. *أراك مجددًا*... *ربما*. ما معنى هذا، في رأيك؟».

رفع كتفَيه. بدا لي غير مهتم بالأمر.

«بالمناسبة، سوف تكون كريستين في غرفتي الليلة.

«وأين أنام... أنا؟».

«في الحمام».

«هل أنت جاد؟».

«نعم. هل يزعجك هذا؟».

«لا، بالطبع لا. كنت أفكر فيكما، أنتما الاثنان معًا».

«لا تقلق. سيكون كل شيء على أحسن حال. لقد أخبرتها بهذا. على أية حال، لقد بتُّ الليلة الماضية في بيتها».

لم أجد مشكلة في نومي هناك. لكن استلقائي على فراش في الحمام مصغيًا إلى إنغفه وكريستين يضحكان ويقهقهان ويتحدثان بصوتَين منخفضَين في سريرهما كان فيه شيء من الغرابة.

كنت مسرورًا عندما سرت في شارع المشاة صباح اليوم التالي. لقد بكّرت في الاستيقاظ حتى أصل المكان قبلها، لأنني ظننت أن هذا سيمنحني فرصة أفضل. وصلتُ، وابتسمت لي ابتسامتها الصغيرة، ثم دخلَت كشكها. بقيتُ حيث كنت؛ وبعتُ كاسيتات كثيرة. وعندما ذهبت إليها آخر الأمر، كان ذلك لكي أطلب منها كأس ماء.

أعطتني كأس ماء. قلت لها: «أشكرك على تلك الليلة».

قالت: «وأنا أشكرك».

«ما رأيكِ في أن نخرج معًا مساء اليوم؟ هل تريدين الذهاب معي؟».

هزت رأسها.

«إذًا، ليلة غد؟».

هزت رأسها من جديد وقالت لي مبتسمة: «أنت لست من النوع الذي أفضّله. مع هذا، من الممكن أن أقابلك».

«متى؟».

رفعت كتفيها وابتسمت من جديد.

عدت إلى طاولتي؛ ومرّ النهار. تابعَت عملها في كشكها؛ وتابعتُ عملي. ومن حين لآخر، تتلاقى أنظارنا فيبتسم كل منا للآخر... لا بأس بهذا!

اشتريت من مكتبة قريبة قلم تخطيط وقطعة ورق مقوى، وعلّقت على الشجرة إلى جانب طاولتي لافتة كتبت عليها «كاسيتات أصلية»؛ ثم سجلت

أسماء عدد من الفنانين البارزين، وكتبت الأسعار. لم يمض وقت طويل قبل أن يتوقّف رجل أمامي في أواسط الأربعينيات ويقول لي إن كلمة «أصلية» تُكتب «original»، لا «orginal». كنت جيدًا في الكتابة؛ وكانت تهجئتي ممتازة. قلت للرجل إنه مخطئ، وإن تهجئة الكلمة صحيحة. قلت له إن لا وجود لحرف «i» ثانٍ في كلمة «orginal». بقيت مصرًا على رأيي، وبقي مصرًا على رأيه. وفي آخر الأمر، هزّ رأسه عجبًا وسار مبتعدًا.

كان المال ينهمر عليَّ انهمارًا. كان الناس معجبين بالكاسيتات. يأتي الواحد منهم يشتري أربعةً، أو خمسة. لم أحاول أبدًا أن أمسك نفسي عن شيء عندما جاء المساء وخرجت مع إنغفه. شربت حتى سكرت مثلما لم أسكر من قبل. إذا نفد ما لديَّ من مال، فما عليَّ إلا أن أبيع مزيدًا من الكاسيتات في اليوم التالي. كان رونه يأتي مرة في الأسبوع بسيارته الحمراء ويجلب معه كمية جديدة من الكاسيتات. ومن وقت لآخر، كان يمرّ أمامي شخص ممن عرفتهم في ما مضى. على سبيل المثال، داغ لوثار الذي كانت لديه وظيفة صيفية في مصرف، وكان باقيًا على حاله كما عرفته دائمًا. غير برستباكمو الذي يدرس في معهد مهني ويقود دراجة آلية جديدة. هو أيضًا لا يزال مثلما كان. ثم رأيت يون، فتى صفّنا القوي الذي قال لي إنه لا يفعل شيئًا غير التسكّع. وفي يوم من الأيام، ذهبت مع إنغفه إلى الناحية الأخرى من ترومويا، إلى مكان كان أبي يأخذنا إليه لكي نسبح. أوقف إنغفه السيارة عند ميدان رماية، ثم سرنا نازلَين عبر أجمات شائكة كثيفة. استمتعت برائحة الأعشاب البرية التي لا نظير لها، وبرائحة أوراق الصنوبر الإبَرية وماء البحر، وبرؤية الحافة الصخرية الرمادية الضخمة المنتصبة هناك منذ ملايين السنين، ثم برؤية البحر في الأسفل. كانت في الهواء حشرات طائرة كثيرة. رحت أضرب الأرض بقدمي مع كل خطوة لأن في تلك المنطقة أفاعي سامة كثيرة. على الأقل، هكذا كانت في طفولتي.

كنت مع أبي مرةً عندما رأينا أفعى في مكان لا يبعد عن هذا المكان إلّا بضع مئات من الأمتار. كان الوقت ربيعًا؛ وكانت الأفعى ممددة على صخرة

مسطحة، في الشمس. أظنني كنت في العاشرة. جن جنون أبي. وبدأ يقذفها بالحجارة. بدت لي الحجارة كأنها تنغرس في جسد الأفعى عندما تصيبها. حاولت الأفعى الفرار، لكنه أصابها مرة بعد مرة إلى أن رقدت ساكنة تحت كومة الحجارة. إلا أنها بدأت تتلوى من جديد لحظة واصلنا سيرنا. اقترب أبي منها وعاد إلى رميها بالحجارة. أراد أن أفعل مثله، لكني كنت موشكًا على التقيؤ. كفّت الأفعى عن الحركة، فاقترب منها أبي وسحق رأسها بحجر كبير كان في يده.

استدرت. كان إنغفه خلفي. سرنا على قمم الصخور التي نحتها ماء البحر فجعلها ملساء. وجدنا بقعة دافئة عند الشاطئ. نزلت لكي أتفحص الحفرة المائية في تلك الصخرة، لكنها لم تعد الآن كبيرة مثلما كانت. غطست في مائها المزبد. سبحت إلى الجزيرة الطويلة التي تبعد نحو مئة متر، ثم عدت أدراجي. استلقيت في الشمس لكي أجف. أكلنا بسكويتًا وبرتقالًا، ودخّنا، وشربنا قهوة. اقترح إنغفه أن أذهب معه بعد ذلك إلى بيت كريستين لأن هذا يوفر عليه مشقة إعادتي إلى مركز المدينة. سألته، ألن يزعجهم هذا؟ قال، لا... إنهم في غاية اللطف والانفتاح. على أية حال، سافرت العائلة في عطلة، وليس في البيت الآن أحد غيرها.

توقفنا عند بيتهم بعد بضع ساعات من ذلك. دخلنا. أكلنا بيتزا، وتابعنا فيلمًا على الفيديو. لقد ذهب إنغفه إلى ذلك البيت مرات كثيرة خلال الأشهر الستة الماضية. كان معجبًا بأبيها وأمها وأخيها وأختها. وقد أحبّوه كلهم. صار كأنه ابن في ذلك البيت. كان هذا واضحًا لي.

أختها اسمها سيسيليه. أصغر مني بسنة واحدة. رأيت بضع صور لها، فأعجبتني. أخوها أصغر منهما كثيرًا، فهو لا يزال في المدرسة الابتدائية.

أمضيت ليلتي هناك. نمت في سرير سيسيليه. قررنا أن نخرج معًا في الليلة التالية؛ وسوف تدعو كريستين بعض صديقاتها. لكننا سنذهب قبل ذلك لتناول الطعام في مطعم... ثلاثتنا فقط.

شربت مع الطعام زجاجتَيّ نبيذ أبيض. وعندما ذهبنا إلى الديسكوتيك، شربت ثلاث زجاجات غيرها.

ومن قابلت هناك؟ إنها فتاة كشك الآيس كريم!

ذهبنا معًا، أربعتنا، إلى ترومويا. ذهبنا بسيارة تاكسي. جلست في المقعد الأمامي. أثناء انتظار السيارة، وقفنا متلاصقَين وتبادلنا قبلًا كثيرة. والآن، لا يزال في رأسي دوار بعد تلك القبل كلّها. مددت ذراعي إلى الخلف، إليها. أمسكت بيدي وراحت تداعبهما. لاحظت أن يدَيها خشنتَين كثيرًا.

قال إنغفه من خلفي: «أوه، يا كارل أوفه!».

ضحكوا جميعًا.

غضبت، فسحبت ذراعي.

قال إنغفه: «قل لي، كم شربت؟».

قلت، «خمس زجاجات».

قال إنغفه: «خمس زجاجات من النبيذ! هل هذا مزاح؟».

قلت: «لا».

«لا عجب إذًا في أن تكون تصرفاتك غريبة هكذا. لو شربتُ خمس زجاجات، لكنت الآن مستلقيًا في الشارع، أشخُر».

أجبته: «هذا صحيح».

توقفت السيارة. دفعت الأجرة. ودخلنا البيت.

حدث الأمر نفسه هنا مع استثناء وحيد هو أنها كانت هذه المرة عارية تمامًا. لكن، لا... هي لا تريد ذلك. جلد مرمري، وصدر ممتلئ جميل. لكنها ظلّت مستلقية هناك تقول لا، لا، لا.

كانت قد ذهبت عند استيقاظي صباح اليوم التالي. لا أزال ثملًا. صعدت إلى الأعلى، ودخلت المطبخ حيث وجدت إنغفه وكريستين يفطران.

قالت كريستين: «لقد ذهبَتْ بالباص منذ مدة. قالت لي أن أسلّم عليك وأبلغك شكرها من أجل ليلة أمس».

كانت السماء ملبّدة بالغيوم. على سبيل التغيير، قررت ألا أعمل في هذا

اليوم. استلقيت على الأريكة وقرأت إلى أن جاء إنغفه للاستعداد من أجل نوبة عمله الليلة. لم أجدها في اليوم التالي. وجدت بدلًا منها فتاة أخرى في العشرينيات. سألتها عن سيغريد، فقالت إن عملها قد انتهى هناك. كان يوم أمس آخر يوم لها. أليست لديكِ أية فكرة عن مكانها الآن؟ قالت: «لا».

بعد ذلك، ذهبت إلى بيت كريستين بضع مرات. وفي المرة الأخيرة، كانت الأسرة قد عادت من عطلتها. سلّمت عليهم ووجدتهم أشخاصًا لطيفين مثلما قال لي إنغفه. استأجرنا فيلم *«القيامة الآن»*، وجلست كريستين ملتصقة بإنغفه في حين جلستُ إلى جوار سيسيليه. تبادلنا التفاتات عابرة، وابتسمنا. كان واضحًا أننا الأخ الأصغر والأخت الصغرى، وأننا في «طابق» أدنى من شقيقَيْنا اللذَين كان ممكنًا أن يقرّرا الزواج فلا يثير ذلك دهشة أحد.

كان في الجو توتّر أحسسته طيلة تلك الأمسية. لكن، أي توتر هو؟

كان لدى كل منا بعض الخجل من الآخر. لعل هذا هو سبب التوتّر!

رأيت كيف كانت سيسيليه تحاول أحيانًا أن تمسك زمام المبادرة كأنها تريد إثبات أنها ليست مساويةً لأختها فحسب، بل شديدة التميّز عنها أيضًا.

أعجبتني رؤية هذا. أعجبتني قوة إرادتها، وكيف تفتح لها طريقًا فتسير فيه.

كانت ترقص الباليه؛ وكانت بارعة فيه. هكذا قالت كريستين. عندما تنهي المدرسة، سوف تتقدّم إلى امتحان القبول في مدرسة الباليه.

إلقاؤها بنفسها على الأريكة، وكيف يصير وجهها -فجأة- منفتحًا تمامًا، بريئًا، عندما تبتسم.

لكن هذا لم يكن أمرًا حسنًا. لا معنى أبدًا حتى لأن أفكر فيه.

لكني فكرت فيه.

بقيَ أسبوع واحد على انتهاء عملي الصيفي؛ وكنت أرافق إنغفه كلما قاد سيارته إلى بيت كريستين. أنا أيضًا، أحببت أن أكون في بيتها، لأن جوّه لطيف جدًا، ولأنهم أشخاص طيّبون، ولأن هذا كان ظاهرًا في كل مكان في البيت.

رأيت كيف يعاملون إنغفه؛ ورأيت مقدار سعادته. قلت في نفسي: كفاك الآن! لا تكن غبيًا! دعه يستمتع بذلك كله!

لكني فكّرت أيضًا في سيسيليِه لأنني أحسّ بحضورها عندما تكون في الغرفة، أحسّه بجسدي كله.

كنت عارفًا أن إحساسها مثل إحساسي.

نهض أبوها وأمها، وذهبا لكي يناما. ثم ذهب إنغفه وكريستين إلى فراشهما.

بقينا وحدنا جالسَين في غرفة المعيشة. كنا على جانبَين متقابلَين إلى الطاولة. تحدّثنا في أشياء مختلفة لأننا كنا غير قادرَين على التحدث عن أنفسنا أو عما نحسّه... أو، عما أحسّه، وعما أتخيّل أنها تحسّه.

قلت لها: «كنتُ هناك عندما التقيا. في فينديلهوتا. ليتك رأيت ذلك! كان شيئًا حلوًا حقًا».

قالت: «صحيح، إنهما جميلان».

قلت: «نعم».

أيّ وضع هذا الذي وجدت نفسي فيه على غير انتظار؟ في بيت، في جزيرة ترومويا، وحدي مع شقيقة صديقة إنغفه؟

ما من شيء خاطئ في هذا الوضع. المشكلة في مشاعري فقط.

تثاءبت وقالت: «حسنًا... حان وقت الذهاب إلى الفراش».

قلت: «سوف أبقى لبعض الوقت».

«إذًا، أراك على الإفطار».

«نعم. تصبحين على خير».

«تصبح على خير».

ذهبَتْ، ونزلت السلم متحرّكة بطريقتها تلك، بخطواتها الرشيقة الواثقة. أشكر الرب لأنني عائد إلى البيت عما قريب، ولأنني سأصير قادرًا على وضع هذا كله خلف ظهري.

وفي مساء اليوم التالي، اليوم الذي كان آخر يوم لنا، مضيت لرؤية إنغفه لأن لديه نوبة عمل ليليّة. قدم إليّ بيتزا ضخمة، أكلتها جالسًا إلى الطاولة في ردهة الفندق. وأما هو فكان يعمل حينًا ويأتي إليّ حينًا، فيتحدث معي، كلما استطاع. قال لي إن سيسيليه وكريستين في المدينة. سوف تصل كريستين بعد قليل. لا فكرة لديه عما تفعله سيسيليه. لكنها أتت مع أختها، فانضممت إليهم. كانت تلك آخر ليلة. وبعد ساعات قليلة، سأصير في البيت من جديد. مع هذا، ومع معرفتي أنه تصرّف غبي، سرت مع سيسيليه. مشينا جنبًا إلى جنب وما كان لدى الواحد منا ما يقوله للآخر. مشينا فحسب وكل منا مصغٍ إلى أنفاس الآخر... أنفاس عميقة، أنفاس مرتعشة. ثم توقّفنا وتعانقنا وتبادلنا القبل، ثم تبادلنا القبل من جديد، ومن جديد.

سألتها: «ما هذا الذي نفعله؟ هل يجوز لنا فعل هذا؟».

وطوقت وجهي بكفّيها وأجابت: «إنني أفكر في هذا منذ رأيتك أول مرة».

«وأنا أيضًا».

وقفنا متعانقَين زمنًا طويلًا، ذراعا كل منا تحتضن الآخر.

قالت سيسيليه: «في اللحظة الأخيرة».

قلت: «نعم».

قالت: «الآن، لا ينبغي أن يكون لديك أي أسف. أو، بالأحرى، يمكن أن تأسف، بالطبع. لكن، أخبرني إن أسفت. هل تعدني بهذا؟».

«لن آسف أبدًا. أعدك. هل ستكونين في البيت خلال عطلة نهاية الأسبوع القادمة؟».

أومأت برأسها.

«هل أستطيع المجيء لرؤيتك؟».

أومأت برأسها من جديد. ثم تبادلنا آخر قبلة، وبعدها ذهبت. استدارت في سيرها ولوّحت لي بيدها. لوَّحت لها.

كان إنغفه واقفًا خلف مكتب الاستقبال ينظر في ورقة عندما دخلتُ

الفندق لكي آخذ المفاتيح. لم أقل له شيئًا عما حدث. هل بدأت علاقة بيننا الآن؟ تساءلت في نفسي عندما سرت صاعدًا تلال أرندال المنحدرة وسط الظلمة الضبابية في تلك الليلة من أواخر الصيف. إن كان الأمر هكذا، فكم سيكون غريبًا بالنسبة إلى إنغفه، وبالنسبة إليّ، أن نخرج مع شقيقتَيْن! ألم يكن في هذا شيء يشبه السيرك؟ أسرعوا، أسرعوا، تعالوا لكي تروا الشقيقَيْن اللذين يخرجان مع شقيقتَين! لكن، لماذا أشغل بالي بهذا؟ هو يعيش في بيرغن، في حين أعيش في كريستيانساند. وسرعان ما سيذهب مع كريستين إلى الصين.

لقد هزّني ما حدث هزًّا عنيفًا.

وهي الآن ذاهبة إلى بيتها أيضًا، مهزوزة هزًّا عنيفًا، مثلي.

صباح اليوم التالي، أخذني إنغفه بسيارته إلى محطة الباص. لم أقل له شيئًا. كان قد انطلق في الشارع عندما جلست في مقعد عند النافذة ونظرت إليه.

أغمضت عينيّ وأحسست كم كنت مرهقًا. نمت عندما بلغ الباص مركز بلدة غرينستاد، ولم أستيقظ إلى أن تجاوزنا حديقة الحيوان في كريستيانساند. نزلت عند تقاطع الطرق في تيمينز، وأخذت باصًا آخر لكي أجتاز الجزء الأخير من طريقي حتى بوين. وبحكم العادة، نظرت أثناء مروري علّني ألمح يان فيدار عبر نافذة بيته أثناء عبور الباص سولسليتا؛ لكنه لم يكن هناك، ولم أر سيارته أمام البيت.

أخرجت سيجارة ونظرت إلى الشلال في الأسفل. كان الكيلومتر الأخير الذي عليّ أن أجتازه سائرًا على قدميّ رحلة عذاب بطيئة؛ لكني أفلحت آخر الأمر في استجماع قواي وانطلقت حاملًا حقيبتي على ظهري.

عند ارتقائي قمة التل الأخير، رأيت أمي واقفة عند البرميل الذي نستخدمه لحرق الورق. شعلة نحيلة تكاد تكون شفافة رأيتها تتراقص عند حافة البرميل. رأتني أمي فأتت في اتجاهي.

قالت مبتسمة: «مرحبًا. كيف كانت رحلتك؟».

قلت: «جيدة. هل كل شيء بخير هنا؟».

أومأت برأسها وقالت: «إنني بخير».

«جيد. أظنني سأدخل لكي أستحم وأغيّر ملابسي».

«لقد أعددت طعام العشاء. لكن عليَّ أن أسخنه. هل أنت جائع؟».

«نعم: أكاد أموت جوعًا».

وفي المساء، جلست إلى مكتبي لكي أقرأ، لكنني لم أطِقْ استقرارًا لأن أفكاري كانت تجري هنا وهناك. وحيثما اتجهتْ، كانت تحيّرني وتربكني لأنها لم تكن مثلما اعتادت أن تكون. كنت أنظر من النافذة بين الفينة والأخرى، فأرى الحديقة تختلط اختلاطًا، يكاد لا يمكن تمييزه، بالغابة الكثيفة من خلف رقعة البطاطس الصغيرة. أحسست كأن الأشجار قريبة منا، منتظرة، أو مصغية. تخلق الظلمة هذا الإحساس في نفسي، دائمًا. ومع اشتداد هبّات الريح اللطيفة، بدأت أوراق الأشجار ترتعش، وأغصانها تتمايل. قبل أسبوع واحد، لم أكن قد رأيت سيسيليِه، ولم أكن أعرف شيئًا عنها. لكننا صرنا الآن نخرج معًا.

ماذا عن حنّة؟

والفتاة في كشك الآيس كريم... ماذا كان ذلك؟

كنت كأنني في مواجهة أحجية معقّدة مكوّنة من قطع من أحجيات مختلفة. أجزاء لا توافق بينها ولا أفهم منها شيئًا.

نزلت إلى الأسفل، إلى أمي في غرفة المعيشة. قلت لها: «هل أنت واثقة من أنك كنت على خير ما يرام أثناء غيابي؟».

أغلقت الكتاب الذي كان في يدها ووضعته على الطاولة.

قالت لي: «نعم، كنت بخير تمامًا».

«ألم تشعري بالوحدة؟».

ابتسمت: «لا، أبدًا. كنت في العمل. لدي عمل كثير أنجزه. وبعد ذلك العمل كله، كانت العودة إلى البيت أمرًا رائعًا».

أتى القط سائرًا على أرض الغرفة. وجهه ناعس. أظن أن صوتَيْنا أيقظاه. قفز إلى حضني مباشرة، وأراح رأسه الثقيل على فخذي.

سألتني أمي: «وماذا عنك؟».

رفعت كتفي، وقلت: «كان كل شيء على أحسن ما يرام. أعجبني بيع الكاسيتات في الشارع. يمكنك القول إنني عشت من اليد إلى الفم. أكسب المال في النهار، وأنفقه في الليل».

قالت أمي: «أوه! فيم كنت تنفق المال؟».

قلت: «حسنًا... أشياء متنوعة. كان يحدث كثيرًا أن أتناول الطعام في الخارج على سبيل المثال. هذا يكلف مالًا! ثم قد أشرب زجاجة بيرة مع إنغفه. لكني ادّخرت القليل أيضًا. أتيت معي بكيس من النقود. كيس فيه قرابة ثلاثة آلاف كرون».

لم أكن قد أحصيت المال. الحقيقة أنني نسيت أمره تمامًا. نهضت واقفًا وذهبت إلى الممر لكي أتأكد، ولكي أضعه في مكان أكثر ملاءمة من كيس النايلون.

لكني لم أجد المال هناك. لقد أسقطته على الأرض لحظة دخولي الباب. أليس هذا ما حدث؟

نعم. وضعته فوق حذائي. كان كيسًا أبيض من متجر بيسلاند مليئًا بأوراق نقدية غير مرتبة.

هل رمته أمي؟

عدت إلى غرفة المعيشة.

قلت: «الكيس الذي كان في الممر. هل وضعته في مكان آخر؟».

رفعت رأسها ونظرت إلي بعد أن وضعت إصبعها على الصفحة التي كانت تقرأها.

قالت: «كيس نايلون في الممر! لقد رميته».

«رميت الكيس؟! هل أنت مجنونة؟ إن فيه ثلاثة آلاف كرون».

ثم إن المال ليس مالي. إنه مال رونه. في الواقع، ينبغي أن يحصل على

أكثر من ذلك المال لأنني أنفقت قدرًا غير قليل من حصته خلال أيامي الأخيرة هناك.

ابتسمت أمي: «هل وضعت مالًا في ذلك الكيس... ثم تركته على الأرض؟ كيف لي أن أتوقع ذلك؟».

«أين رميت الكيس؟».

«في البرميل... حيث نحرق الورق».

«هل أحرقت الكيس؟ كيف فعلت هذا؟ هل أحرقت المال؟».

كنت ألوح بيدي في الهواء كأنني مجنون. ثم اندفعت خارجًا من الممر. وضعت قدمي في حذائي، وجريت صاعدًا المنحدر. وجدت الكيس هناك. ولكن، هل المال فيه؟

فتحته سريعًا وألقيت نظرة داخله. أوه، شكرًا يا ربي! ها هو المال هنا.

أخذت الكيس إلى الداخل. أفرغت المال على أرض غرفتي. ثم أحصيته. كان في الكيس أكثر قليلًا من ثلاثة آلاف ومئتي كرون. وضعته في الدرج، ثم نزلت إلى غرفة المعيشة.

قالت أمي: «هل وجدت المال؟».

أومأت برأسي. شغّلت أسطوانة، واستعرضت رف الكتب قليلًا قبل أن آخذ منه كتاب «مقلاة» لهامسون. جلست على الأريكة، وبدأت أقرأ.

بقيَ أسبوع قبل العودة إلى المدرسة. قرّرت قضاء ذلك الأسبوع في كتابة بعض المراجعات فذهبت إلى المدينة ومررت على ستينار فيندزلاند. قال إنه مسرور لمجيئي لأنه كان يحاول الوصول إليَّ. اتصل عدة مرات، لكنه لم يجدني.

«المسألة هي أن عملي هنا قد انتهى. حصلت على وظيفة جديدة في فادرهلاندزفينن. أظنك تستطيع مواصلة العمل هنا، لكنني غير قادر على ضمان هذا. ففي آخر المطاف، أنا من عيّنك هنا».

قلت: «هذا مؤسف».

قال: «نعم، هذا صحيح. على أية حال، لديّ عرض من أجلك. سوف

أكون مسؤولًا عن قسمَي الناشئين والموسيقى. ما رأيك في الكتابة لصالح فيفيِّن؟ لن يكون ما تكتبه هناك مراجعات للتسجيلات الموسيقية لأن زيغبيورن ميدلاند يكتبها. أنا واثق من أنك تعرف هذا. لكن من الممكن أن تكتب موادَّ من أجل الناشئين. ومن الممكن أيضًا أن تكتب مراجعات للأغاني الناجحة، وأن تجري مقابلات مع الفرق الموسيقية».

قلت: «نعم، سأفعل هذا».

قال لي: «عظيم، سنلتقي».

لقد كانت صحيفة *نايسورلاند* مركبًا غارقًا. كان هذا معروفًا لدى الجميع. بالتالي، هذه أخبار طيبة. يقرأ الناس كلهم صحيفة *فادرهلاندزفينن*. إذا كتبت فيها شيئًا فسوف يراه الجميع.

ذهبت إلى متجر بلاتيبورسن واشتريت خمس أسطوانات احتفالًا بترقيتي. هكذا اعتبرت الأمر، ترقية! أخذت المال من كيس النايلون. على أية حال، لن تسبب مئتا كرون اختلافًا كبيرًا لأن عليّ الآن أن أعثر على مالٍ، بطريقة من الطرق، لكي أسدد نصيب رونه.

تلقيت اتصالًا من إنغفه بعد عودتي إلى البيت. كان تواقًا إلى معرفة ما جرى في تلك الأمسية الأخيرة. سيسيليه في حالة غريبة: متكتمة، تكتب إليَّ رسالة.

أخبرته.

«هل يعني هذا أنك بدأت تخرج مع سيسيليه؟».

«نعم. من الممكن أن نقول هذا».

«ألا تجد الأمر غريبًا بعض الشيء؟».

«نعم. هل لهذا أهمية؟».

«لا. لا أظنه مهمًّا».

«جيّد».

لكني لم أجد معنى في ذلك كله. وصلت الرسالة بعد يومَين. إنها مرتبكة، حائرة. كتبتْ قائلة إن ذلك كان كأنه حلم. تظن أنه لا ينبغي أن

تقول لي هذا، لكن دموعها ظلت تجري على خدَّيها بعد أن تركتني في ذلك المساء. ذهبتُ لرؤيتها يوم الجمعة. كنا وحدنا. وكان علينا أن نتابع طريقنا. تحدّثنا عما جرى فعلًا. قالت إنها كانت مفتونة بي بعد كل ما سمعته عني من كريستين، وبعد الصور التي شاهدتها. كانت تتساءل إن كان سيحدث بيننا شيء. وبعد أن رأتني، أرادت أن يحدث بيننا شيء؛ لكنه لم يحدث. ففي آخر المطاف، لسنا أكثر من شقيق أصغر وشقيقة صغرى. قلت لها إن إحساسي كان مثل إحساسها. قالت إن إنغفه نظر إلينا ذات مساء: نظر إليها أولًا، ثم نظر إليَّ، ثم نظر إليها من جديد. كان ذلك حاضرًا في الجو! صحيح... قلت لها هذا، وتألّمت. لم تكن هناك معرفة بيننا، وما عرفنا معنى ما حدث. لكنّه حدث من جديد لأننا -فجأة- تعانقنا، وقبّل كل منا الآخر، ثم مضينا إلى الفراش...

لكننا لم نمارس الجنس. فكّرت في أنها صغيرة جدًا، وفي أننا لسنا على معرفة جيدة بعد، وفي أن عليَّ أن أخطو خطوات حذرة.

لا؛ ليس هذا هو السبب الحقيقي.

السبب الحقيقي هو أنني بلغت القذف قبل أن يحدث أي شيء.

أخجلني الأمر كثيرًا فاستلقيت ساكنًا حتى لا أفضح نفسي.

ليس في تلك المرة وحدها: ظل هذا يحدث خلال الأسابيع التالية، كلما استلقينا معًا.

في أول اجتماع لهيئة التحرير حضرته في *فادرهلاندزفينن*، اقترحت كتابة مقالة عن ظاهرة سيسيل كيركيبو. كانت الصحف كلّها تمتدحها؛ وقد باعت كمية خيالية من التسجيلات. لكن، لماذا؟ طرحت عليهم هذا السؤال.

قال ستينار: «هذه فكرة حسنة. عليك بها!».

جعلت عنوان المقالة: «لماذا تحقّق سيسيل مبيعات جيدة؟». كتبت: «تأمّلوا نكهة هذا الاسم، سيسيل كيركيبو». ثم رحت أسخر من كل ما يمكن أن يكون له ارتباط باسمها: سخرت من المسيحية، ومن بيئة المزارعين، ومن النزعة الوطنية. بل إنها ظهرت على غلاف أحد أسطواناتها

مرتدية زيًا وطنيًا! أليس هذا صحيحًا؟ كانت تمثّل كل ما لا يعجبني؛ وكان ذلك كله زائفًا، مكرورًا، متلاعبًا بالعواطف؛ كان بطاقة مصورة فظيعة مقدّمة إلى العالم. فمن يستطيع احتمال هذا الجمال كله؟ وفوق هذا، كان كل شيء لديها يتّخذ صيغة هيّنة، رخوة!

تلقى المحرر رسائل كثيرة في الأيام التي أعقبت صدور تلك المقالة. جاء في بداية واحدة من تلك الرسائل: «كارل أوفه كناوسغارد... تأمّلوا هذا الاسم...». ثم أعقب هذا استعراض مسهب لما يوحي به اسمي من ارتباط بعقم الحجارة (كناوس) وسوء محصول المزرعة (غارد). كانت *فادرهلاندزفينن* صحيفة ذات شعبية؛ وكانت مخلصة لقرائها؛ فالصفات التي أفضّلها- الابتكار، والطليعية، والاستفزاز- ليست مما يحبّه أولئك الناس. في الشهور التي أتت بعد ذلك، ظهر عدد كبير من المقالات المتألقة عن سيسيل كيركيبو.

أعجبني هذا: أخيرًا، ارتفع اسمي وعلا فوق مرتبة جمع الناس الذين لا يعرف أحد أسماءهم. ليس كثيرًا، لكن ليس قليلًا أيضًا.

أتاني إنغفه زائرًا في الأسبوع الذي تلا ظهور المقالة في الصحيفة. وعلى مألوف عادتنا، عرّجنا لزيارة جدنا وجدتنا. وجدنا غونار هناك هذه المرة. نهض واقفًا على قدمَيْه وهاجمني فور دخولنا المطبخ.

قال: «حسنًا، حسنًا، ها هو بطل العالم هنا، عندنا».

ابتسمت له ابتسامة لا معنى لها.

قال: «من تظن نفسك؟ هل تدرك حقيقة أنك تجعل من نفسك أضحوكة؟ لا، أنت لا ترى هذا! تظن نفسك شيئًا خاصًا، مختلفًا عن الآخرين».

غمغمت قائلًا: «ماذا تعني بهذا؟». لكني كنت مدركًا تمام الإدراك ما يعنيه بقوله.

«ما الذي يجعلك تحسب نفسك محقًا، دونًا عن الناس جميعًا، وتحسب الآخرين جميعًا مخطئين؟ أنت، صبي المدرسة الذي لم يتجاوز سبعة عشر

عامًا! أنت لا تعرف شيئًا أبدًا. مع هذا، تتخذ ذلك الموقف المتعالي، تتخذ موقع الحكم على أذواق الناس. أوه، هذا يثير تقزّزي!».

لم أقل شيئًا. اكتفيت بالنظر إلى الأرض. فعل إنغفه مثلما فعلت.

«سيسيل كيركيبو فنانة ذات شعبية يحبّها الجميع. وقد كُتبت عنها مقالات جيدة كثيرة. ثم تأتي أنت وتقول إنهم مخطئون جميعًا! أنت! لا! لا، لا، لا!». قال هذا وهزّ رأسه آسفًا.

في حياتي كلها، لم أره غاضبًا هكذا، ولم أره متأذيًا هكذا. صدمني موقفه.

قال: «حسنًا، الحقيقة أنني كنت في طريقي إلى الخروج. تسرّني رؤيتك، يا إنغفه. أليس صحيحًا أنك لا تزال مقيمًا في بيرغن؟».

قال إنغفه: «صحيح. في الوقت الحاضر. لكني ذاهب في الخريف إلى الصين».

قال غونار: «اذهب، انطلق لرؤية العالم!».

ثم خرج، فالتفتنا إلى جدي وجدتي اللذين كانا خلال ذلك الاستقبال العاصف جالسَين إلى طاولة المطبخ غير مهتمَّين بما يجري.

قال لي إنغفه عندما صرنا في السيارة عائدَين إلى البيت: «على أية حال، أنا متفق معك. وأرى ما كتبته منطقي تمامًا».

قلت ضاحكًا: «نعم، إنه منطقي، بالطبع». كان في هذا كله شيء أبهجني.

كنا نتكلّم ساعات على الهاتف، أنا وسيسيليه. إنها تبذل جهدًا كبيرًا في تدريبات الباليه: فتاة مصمّمة، منضبطة إلى حدّ كبير؛ فتاة منفتحة على الحياة، لا تجد صعوبة في شيء. إلا أن فيها أيضًا شيئًا مغلقًا، أو صامتًا، لم أستطع تحديده تحديدًا واضحًا، لكني لاحظته. كنت استوقف السيارات العابرة لكي أذهب إليها في عطلة نهاية الأسبوع، إلا إذا أتت إلى بيتنا. على أنني كنت أفضل الذهاب إلى بيتها لأنهم يعاملونني هناك كأنني ابن البيت، لكني لم أحظ بالقبول نفسه الذي يحظى به إنغفه. هذا ما أحسسته. نحن أصغر من الاثنَين الآخرين، ونحن شقيقاهما. يعني هذا أحيانًا أننا لا نؤخذ

على محمل الجد مثلما يؤخذ إنغفه وكريستين -هكذا كان إحساسي- وكأننا نسخة مقلّدة؛ وكأننا لسنا نحن نفسَينا، أو لسنا شخصَين قائمَين بذاتهما.

لكننا نكون كذلك عندما نصير وحدنا. بالطبع! أتانا فصل الخريف. نسير في العتمة المتزايدة عمقًا، نسير يدًا بيد، أو متلاصقَين. سيسيليِه رقيقة، لكنها ذات إرادة قوية؛ منفتحة، لكنها مغلقة؛ مفعمة بكل ما هو اعتيادي أو مألوف، لكنها متحمّسة لأن تكون هي نفسها.

ذهبنا ذات مساء إلى المدرسة الابتدائية التي كنت في ما مضى تلميذًا من تلاميذها. كانت المدرسة غير بعيدة عن بيتهم. تركت هذه المدرسة في سن الثانية عشرة؛ وأنا الآن في السابعة عشرة. بدت لي تلك السنين الخمس زمنًا أبديًا؛ وبدا لي أنه لا يكاد يربطني شيء بالشخص الذي كنته تلك الأيام. تقريبًا، لم تكن عندي ذكريات عن أي شيء مما فعلته في هذه المدرسة.

لكنا اقتربنا، ورأيت المدرسة أمامنا تلوح وسط الضباب والظلمة فتفجّرت مشاعري في داخلي. أفلتّ يد سيسيليِه واقتربت من المبنى، وضغطت بيدي على الجذوع الخشبية السوداء. المدرسة موجودة حقًا. هي ليست مجرّد مكان موجود في مخيلتي. اغرورقت عيناي لشدّة مشاعري. أحسست كأن ذلك العالم الغني الوافر كله، العالم الذي كان عالم طفولتي، قد عاد إليّ، عاد كله في لحظة واحدة.

ثم... كان هناك ضباب أيضًا. كنت أحب الضباب، وأحب ما يفعله بالعالم من حولنا.

تذكّرت غيير؛ وتذكّرت كيف كنت أجري، في الضباب، هنا وهناك مع آنه ليزبيت وسولفيغ؛ وكانت في ذلك التذكر طاقة كبيرة فكاد يصير مؤلمًا. مزّقني التذكّر نتفًا - الحصى الناعم؛ والرطوبة متألقة على الأشجار؛ وأضواء تتلألأ... تتلألأ.

قالت سيسيليِه: «ما أغرب التفكير في أنك كنت في هذه المدرسة فعلًا. لا أجد أبدًا ما يربط بينك وبين ساندنس».

قلت: «ولا أنا». أمسكت يدها من جديد. سرنا على طول المبنى متّجهَين

إلى الأبنية الملحقة التي كانت، في مخيلتي، جديدة كل الجدة. كنت أنظر من حولي طيلة الطريق فتجري عيناي على كل شيء أستطيع رؤيته، تتشرّبانه كله.

قلت عندما نزلنا المنحدر «الشديد» المفضي إلى ملعب كرة القدم، «لا بد أننا كنا هنا في الوقت نفسه. ماذا تظنين؟».

قالت: «صحيح. كنت في الصف السادس عندما كنتَ في الصف الخامس».

قلت: «وكانت كريستين في الصف الثامن، وإنغفه في سنته الأولى في المدرسة الثانوية».

قالت: «وأنا الآن في السنة الثانية في المدرسة الثانوية».

قلت: «تمامًا. إنه عالم صغير».

ضحكنا وسرنا مجتازَين مساحة خالية، ثم اتخذنا طريقًا ترابيًا عبر الغابة إلى أن بلغنا كونغشافن. لم نسِر إلا بضع مئات من الخطوات حتى اختفى إحساسي بالعودة إلى موطني القديم، إحساسي بأنني أعرف الأشياء. كنا نخطو صوب ما هو واقع خارج طفولتنا، صوب مكان لم أذهب إليه من قبل إلا مرات قليلة، مكان بدت لي مشاهده كأنها مشاهد مما رأيته في أحلامي: أعرفها، وأكتشفها من جديد.

كان كل شيء غريبًا. غريب جدًا أن أكون هنا؛ وغريب جدًا أن أكون مع سيسيليه، مع شقيقة صديقة إنغفه. كان غريبًا أيضًا أن أعود إلى البيت، إلى أمي، وإلى حياتنا هناك... حياة شديدة الاختلاف عن الحياة التي أعيشها بعيدًا عن البيت.

كنت قد بدأت العمل في محطة إذاعة محلية أخرى، محطة أكبر حجمًا... تجهيزاتها جديدة كلها، وغرفها رائعة. سألوني إن كنت أحب أن أعمل معهم، فقلت إنني أحب ذلك. لا أزال ألعب كرة القدم. ولا أزال أكتب في الصحيفة. صرت أخرج أكثر فأكثر. عندما لا أكون مع هيلدِه وإيريك ولارس، أشرب مع إسبن وأصدقائه، أو مع زملاء من محطة الإذاعة، إلا إذا

خرجت للتسكع مع يان فيدار. كان صعبًا أن آخذ سيسيليِه إلى هذا العالم. في نظري، كانت سيسيليِه شيئًا مختلفًا. أجلس في كييليرن وأشرب، فتكون بعيدة عني بعدًا لا نهائيًا. وعندما أجلس إلى جوارها، تكون قريبة قربًا لا نهائيًا.

لكن هيامها بي كان مشكلة، لأنه يضعني في موقع متفوّق، في موقع لا أريده. على أنني كنت أقلّ منها، بل أقلّ منها إلى أقصى حد. هكذا كنت خلال الأسابيع التي استطالت فصارت شهورًا. لماذا؟ لأني لم أكن بطيئًا في إدراكه، ذلك الواقع المخيف الذي كشفته علاقتي بها، هي أنني غير قادر على ممارسة الجنس. كنت غير قادر على فعل ذلك. نهدٌ عارٍ، أو مداعبة عجلى لباطن فخذ، كانت كافية لأن أقذف قبل أن يبدأ أي شيء.

في كل مرة!

وهكذا، كنت أنبطح إلى جانبها، إلى جانب هذه الفتاة التي هي بهجة خالصة، وأضغط بصلبي على الفراش محاولًا إخفاء سري المذلّ.

كانت صغيرة السن، فبقيت زمنًا طويلًا متمسكًا بأمل مفاده أنها غير منتبهة إلى هذا. لعلّها كانت منتبهة، لكني لا أظنها تخيلتْ أن تكون تلك حالة دائمة عندي.

قالت لي ذات مساء إن أمها سألتها عما إذا كانت قد فكرَتْ في الذهاب إلى الطبيب للحصول على أقراص منع الحمل.

قالت هذا مبتسمة؛ لكني لمست ترقّبًا في صوتها. حاولتُ كبت ذلك الإحساس، أو حاولت مخادعة نفسي لجعلها تعتقد بأن هذا لا يحدث معي فعلًا. بدأت أبحث عن سبيل للخروج من هذا الوضع. لا أعني أنني لم أكن أريده؛ فقد أردته، بالطبع! أردت أن أكون معها. لا، كانت هناك مشكلات أخرى، مشكلات أكبر. فعلى سبيل المثال: نعيش في مدينتَين مختلفتَين؛ وأنا لا أستطيع قضاء عطلات نهاية الأسبوع كلّها معها. هكذا كانت أفكاري. وفي الوقت نفسه، كنت أفكّر في شدّة تعلّقها بي... تعلق هائل! كانت مستعدة لفعل أي شيء من أجلي؛ وكنت أدرك هذا من خلال

رسائلها، على الأقل، تلك الرسائل المفعمة شوقًا حتى عندما تكتبها بعد ساعات قليلة من افتراقنا.

لا. لا بد لي أن أخرج من هذه العلاقة.

أتت صباح يوم سبت في أوائل كانون الأول معتزمة البقاء حتى اليوم التالي إلى أن يأتي أبواها لأخذها. كانا يريدان التعرّف على أمي. فبعد كل حساب، سوف تكون أمي حماة ابنتَيهما. كان ذلك نوعًا من الاعتراف بعلاقتنا؛ ولعلّي لم أكن أريد هذا. خرجنا في نزهة. كانت الطبيعة متجمدة، وقشرة من صقيع على العشب تحت بيتنا تلمع في ضوء مصابيح الشارع. وبعد ذلك، تناولنا العشاء مع أمي، ثم ذهبنا بالباص إلى فندق كاليدونيان. كانت سيسيلِيه ترتدي فستانًا أحمر. ورقصنا على أنغام أغنية «السيدة ذات الثوب الأحمَر» لكريس دو بورغ. عندها، قلت في نفسي: لا، لا أستطيع إنهاء هذا؛ لا أريد أن ينتهي هذا!

عدنا إلى البيت في آخر باص، وسرنا متشابكي الأيدي طيلة المسافة الباقية من الطريق. كان الطقس باردًا فالتصقت بي. دخلنا البيت، خلعنا معطفينا. قلت في نفسي، سوف أفعلها الآن. صعدنا إلى الطابق العلوي. تقدّمتني سيسيليه. فتحت باب غرفتي.

قلت لها: «ماذا تفعلين؟».

استدارت ونظرت إليَّ بعينَين كلّهما دهشة.

قالت لي: «ألن نذهب إلى السرير؟».

قلت: «سوف تنامين هناك»، وأشرت إلى غرفة إنغفه التي كانت إلى جوار غرفتي.

نظرت إليَّ بعينَين متّسعتين. قالت لي: «لماذا؟».

قلت: «انتهى الأمر. إنني أنهي علاقتي بك. أنا آسف. لكن هذا ليس حسنًا».

«ماذا قلت؟».

قلت: «انتهى الأمر. عليك أن تنامي هناك الآن».

فعلَت مثلما قلت لها.

كانت كل حركة من حركاتها ثقيلة كالرصاص. خلعت ملابسي واستلقيت في فراشي. كانت تبكي. سمعت بكاءها بكل وضوح لأن الجدار رقيق. وضعت إصبعي في أذني، ونمت.

كان اليوم التالي عذابًا.

سيسيليهِ تبكي، وأمي تتساءل عما حدث. كان هذا واضحًا لي. لكنها لم تسأل، ولم يكن أي منا راغبًا في قول شيء لها. وصل أبواها بعد برهة. كانت أمي قد حضّرت وجبة ضخمة. صار علينا الآن أن نجلس هناك، وأن نمضي معهم وقتًا ممتعًا: الأسرتان معًا. لكن سيسيليه ظلت صامتة. عيناها محمرّتان. دارت أحاديث بين أمي ووالدَيها. وكنت أَشارك في الحديث بين حين وآخر. بطبيعة الحال، أدركوا أن هناك شيئًا غير سليم؛ لكنهم لم يعرفوا ذلك الشيء. لعلهم ظنوا أننا تشاجرنا.

لكن، لم نتشاجر في يوم من الأيام. كنا نضحك ونلعب ونتحدّث ونتبادل القبل، ونذهب إلى النزهات معًا، ونشرب النبيذ معًا ونستلقي عاريَين في السرير معًا.

لم تبك سيسيليه عندما كان أبواها عندنا بل ظلّت صامتة وأكلت ببطء شديد. كانت حركاتها متخشّبة. وكان واضحًا لي أن أبوَيها قلقان كثيرًا. كانا كأنهما يحتضنانها من خلال وجودهما وحركاتهما.

ثم ذهبوا أخيرًا.

إنهم ذاهبون إلى أرندال. الشكر للرب! إنها بعيدة؛ والجسر الذي يمثله إنغفه بين العائلتَين أكثر بعدًا منها.

اتصل أبي بين عيدي الميلاد ورأس السنة. كان ثملًا. وكنت قادرًا على سماع ثمله في تلعثم صوته. كان غير مسيطر على صوته سيطرة تامة.

أحسست برعشة جديدة واضحة في كلامه، مع أن صوته لم يبد لي أكثر ارتفاعًا أو أقل وضوحًا.

قلت له: «مرحبًا. عيد ميلاد سعيد. ألا تزالون في جزر كناري؟».

قال: «نعم. سنبقى هنا بضعة أيام أخرى. ما أروع أن يبتعد المرء عن الظلمة».

قلت: «نعم».

قال أبي: «سوف ننجب طفلًا. إن أوني حامل».

قلت: «هل هذا صحيح؟ ومتى يكون موعدها؟».

«بعد انتهاء الصيف مباشرة».

قلت: «هذا خبر جيد».

قال: «نعم، إنه جيد. سوف يصير لك الآن أخ جديد، أو أخت جديدة».

قلت: «سوف يكون هذا أمرًا غريبًا».

قال: «لا أظنه سيكون غريبًا».

قلت: «لم أقصد هذا المعنى. أردت القول إنه سيكون هناك فارق كبير في العمر بيننا. ثم إننا لن نعيش معًا».

«لا، لن تعيشوا معًا. لكنكم ستكونون إخوة، على أية حال. هذه أوثق علاقة على الإطلاق».

قلت: «نعم».

كانت أمي تعِدّ الطاولة في المطبخ. وكانت آلة القهوة تهتز وتنطلق منها نفثات بخار صغيرة. دعكت ذراعيَّ عدة مرات بحركة سريعة.

قلت له: «هل المكان لطيف حيث أنتما؟ وهل تستطيعان السباحة هناك؟».

قال: «أوه، نعم، بكل تأكيد. إننا نستلقي عند بركة السباحة طيلة النهار. نقول لنفسينا: ما أروع الابتعاد عن ظلمة النرويج».

ثم حلّت فترة صمت.

قال لي: «هل أمك عندك؟».

قلت: «نعم. هل تريد أن تكلّمها؟».
«لا. لماذا؟ عمّ يمكن أن أكلمها؟».
قلت: «لست أدري».
«إذًا، لا تطرح هذه الأسئلة السخيفة».
«لا بأس».
«هل ذهبت إلى سوربوفاغ في عطلة عيد الميلاد؟».
«ذهبت. لقد عدنا قبل قليل. الحقيقة أننا وصلنا منذ نصف ساعة».
«ألا يزالان على قيد الحياة؟».
«أوه، نعم».
«وهل جدتك مريضة؟».
«نعم».
«أظنك تعرف أن مرضها وراثي... داء باركنسون».
قلت: «أهو مرض وراثي؟».
«نعم. يعني هذا أن من الممكن أيضًا أن يصيبك. هل تفهمني. عندها، ستعرف من أين أتاك».
قلت: «سأجتاز هذا الجسر عندما أصل إليه. أبي، صار الطعام جاهزًا. عليَّ أن أذهب الآن. سلّم على أوني وأبلغها تهنئتي».
«اتصل بي، يا كارل أوفه. اتصل بعد أن نعود. أنت لا تتصل إلا نادرًا».
«سوف أتصل. إلى اللقاء».
«إلى اللقاء».
وضعت سماعة الهاتف، وذهبت إلى المطبخ. كان القط جالسًا على الكرسي، تحت الطاولة. رأيت ذيله ذا الشعر الكثيف متدليًا من فوق حافة الكرسي. فتحت أمي باب الفرن ووضعت على رفّه لفافات خبز مجمَّدة.
قالت لي: «ليس لدينا طعام كثير في البيت. لكني وجدت في الثلاجة هذه اللفافات المجمّدة. كم واحدة منها تريد؟».
رفعت كتفي وقلت: «ربما أربع لفافات».

أضافت لفافة واحدة، ثم أغلقت باب الفرن.

«من كان يكلمك في الهاتف؟».

«إنه أبي».

سحبت الكرسي الذي إلى جوار كرسي القط، ثم جلست.

قالت أمي: «إنه في جزر كاناري، ألا يزال هناك؟». اتّجهَتْ صوب البراد.

قلت: «نعم».

أخرجتْ من البراد قطعة جبن بيضاء وأخرى بنية، ثم أتت بلوح التقطيع ووضعته على الطاولة. وضعت الجبن عليه.

«ماذا قال لك؟ هل يمضيان وقتًا طيبًا هناك؟».

«لم يقل الكثير. أراد أن يتحدّث فحسب. أظنه كان ثملًا بعض الشيء».

وضعت أداة التقطيع فوق الجبن. أخرجت الإبريق من آلة القهوة وملأت الفنجان الذي كان على الناحية الأخرى من الطاولة.

قالت: «هل تريد قهوة؟».

قرّبت فنجاني منها، وقلت: «نعم، من فضلك. لكنه قال شيئًا بدا لي غريبًا. قال إن داء باركنسون مرض وراثي. قال إن من المحتمل أن يصيبني».

قالت أمي: «هل قال هذا حقًا؟». نظرت في عينَيّ.

«نعم. هذا ما قاله بالضبط».

أزلت قشرة الجبن الأبيض وأزحتها إلى حافة الطبق. لكني غيرت رأيي ورميتها في سلّة القمامة تحت طاولة المطبخ.

قالت أمي: «ما هو معروف عن ذلك المرض ليس كثيرًا».

قلت: «لا تقلقي. أتراك تظنين أن الأمر يقلقني؟».

جلست أمي. فتحت البراد، وتناولتُ العصير من رف بابه، ونظرتُ إلى تاريخه: 31 كانون الأول. هززت العلبة. لا يزال فيها مقدار صغير جدًا.

قالت أمي: «هل قال لك هذا حقًا؟».

قلت: «نعم. لكن، لا تشغلي بالك بهذا الأمر. قلت لك إنه كان ثملًا بعض الشيء».

قالت: «هل أخبرتكَ في يوم من الأيام عن مقابلته جدّك وجدّتك أول مرة؟».

هززت رأسي نفيًا. فتحت خزانة المطبخ، وتناولت كأسًا.

«لقد تركا في نفسه أثرًا كبيرًا، كلاهما... جدّتك خاصة. قال إنها بدت كأنها واحدة من النبيلات».

«النبيلات!». قلت هذا وجلست على الكرسي، ثم سكبت العصير في كأسي.

«نعم. لقد رأى فيها شيئًا متميّزًا... رفعة، كما قال. كان ذلك صعبًا عليه... شيئًا شديد الاختلاف عما اعتاده. لم نكن فقراء في حقيقة الأمر، بل كان لدينا دائمًا طعام وملابس إلا أن الأوضاع كانت صعبة. أعني، لم نكن نعيش في بحبوحة. إلا أن عيشتنا كانت شديدة الاختلاف عما عاشه في بيت طفولته. لست أدري ما كان يتوقّع أن يراه عندنا. لكنه فوجئ به. لعل ذلك أيضًا لأنهما عاملاه بطريقة لم يعتدها. عاملاه باحترام وجدّية. هكذا يتعاملان مع الناس جميعًا. ولعل هذا هو مكمن الأمر كله».

«كم كان عمره آنذاك؟».

ابتسمت أمي: «كنا في التاسعة عشرة... كلانا».

قلت: «بالمناسبة، ألا تريدين قليلًا من العصير. لا تزال هناك قطرة باقية».

قالت: «لا، خذها أنت».

أفرغت علبة العصير في كأسي، ثم رميتها في المجلى. تسديدة موفقة تمامًا. جعل الصوت المفاجئ القط يجفل قليلًا.

قالت أمي: «تحدّث عن عينَيها. أستطيع تذكّر هذا. قال إنهما ثاقبتان، لكن لطيفتان في الوقت نفسه».

قلت: «هذا صحيح».

«نعم. لقد كان على الدوام جيدًا في ملاحظة الآخرين. هكذا هو أبوك دائمًا».

أخذت رشفة من العصير، وقلت لها: «لو رأيت كيف يتصرف الآن، فلن تصدقي عينَيْك».

كشّرتُ قليلًا لشدّة حموضة العصير.

قالت أمي: «هذا ما جعلني أقول لك ما قلته قبل قليل... قلته حتى تستطيع تقدير أن لدى والدك أكثر مما يبديه الآن».

قلت: «فهمت هذا».

تصاعد البخار من الثغرة عند أعلى باب الفرن ومن الفتحة في خلفية الموقد. كم من الوقت مرّ على اللفافات الآن؟ ست دقائق؟ سبع دقائق؟

«لقد كان شخصًا موهوبًا جدًا. كانت لديه جوانب متعدّدة... أكثر، بل أكثر كثيرًا، مما كان لدى الآخرين الذين من حوله. على الأقل، هكذا كان عندما التقيته. ما من شك أبدًا في أن هناك مشكلة جعلت مواهبه تلك لا تلقى التقدير الكافي في يفاعته. هل تفهم ما أريد قوله؟».

«بالطبع، نعم».

«ممم».

«لكن، إن كان كثير المواهب مثلما تقولين إنه قد كان، فكيف فعل بنا ما كان يفعله عندما كنا صغيرَين؟ كنت في خوف شديد منه، كنت خائفًا طيلة الوقت».

قالت: «لست أدري. لعله كان حائرًا. لعله كان مدفوعًا بمتطلبات خارجية غير متّفقة مع ما هو في داخله. كان مطالبًا بالكثير الكثير عندما كان يكبر. أنظمة وقواعد كثيرة جدًا. وبعد أن بدأت العلاقة بيننا، أتت معي متطلبات إضافية لعلها كانت غير مناسبة له أبدًا. حسنًا... واضح أنها كانت غير مناسبة له».

قلت: «صحيح. لقد ذكر شيئًا عن هذا الأمر».

«هل قال هذا؟».

«نعم».

«إذًا، أنتما تتحدثان في هذه الأمور، أليس كذلك؟».

ابتسمتُ، وقلت: «ليس الأمر هكذا تمامًا. غالبًا ما يتكلّم وحده، يجلس ويتشكّى. لكني أظن بأن لفافات الخبز صارت الآن جاهزة».

نهضتُ واقفًا، وذهبت إلى الطاولة. فتحت باب الفرن، وأخرجت لفافات الخبز الحارّة جدًا. أخرجتها واحدة بعد أخرى بأقصى سرعة استطعتها. وضعتها في سلّة الخبز، ثم وضعت السلة على الطاولة.

قلت: «قواعد خارجية كثيرة جدًا، وفوضى داخلية عظيمة. أهذا هو تشخيصَكِ؟».

ابتسمت أمي، وقالت لي: «تستطيع التعبير عن الأمر هكذا».

قطعتُ واحدة من اللفافات، ثم ناولتها سكين الخبز. ذابت الزبدة التي وضعتها لحظة مست سطح الخبز الذي صار ضاربًا إلى اللون الرمادي، وتعضّن قليلًا لشدّة سخونته. قطعت لنفسي شريحتَيّ جبن بني ووضعتهما على الخبز. ذابتا بدورهما. قلت، «لماذا لم تهجريه؟».

«أهجر بابا!؟».

أومأت برأسي لأن فمي كان ممتلئًا.

قالت: «الحقيقة أنني فكرت في هذا الأمر بضع مرات. لست أدري».

تابعنا الأكل برهة من غير أن نقول شيئًا. وجدت غرابة في التفكير في أننا كنا في سوربوفاغ هذا الصباح. بدت لي المدّة أطول كثيرًا. إنه عالم مختلف.

قالت أمي بعد حين: «الحقيقة أنه... ليست لدي إجابة واضحة عن هذا السؤال. كانت هناك أسباب كثيرة. من شأن الطلاق أن يكون هزيمة. ثم إننا عشنا معًا طيلة حياتنا. وبالطبع، يخلق هذا روابط كثيرة. ثم إني أحببته... بالطبع».

قلت لها: «لست أفهم هذا تمامًا. لكني سمعت ما قلته».

قالت: «تستطيع أن تقول عن أبيك كل ما تريد قوله. لكن العيش معه لم يكن مضجرًا».

«هذا صحيح». قلت هذا ونهضت واقفًا لكي آتي بكيس التبغ من جيب سترتي المعلّقة في الصالة.

قلت بعد أن عدت: «إذًا، ماذا عن كيارتان؟ أنا واثق من أن لديه بدوره نوعًا من فوضى داخلية».

قالت أمي: «أتظن هذا؟».

قلت، «هذا ما أراه». فتحت كيس التبغ، وأخرجت ورقة فملأتها تبغًا. فرذْتُ التبغ جيدًا حتى يصير جريان الهواء في السيجارة أكثر سهولة.

قالت أمي: «ربما. على أية حال، إنه يبحث عن شيء ما. أستطيع القول إنه كان يبحث طيلة حياته. والآن، صار متمسّكًا به بعد أن وجده».

«تعنين تمسكه بالشيوعية، أليس كذلك؟».

«على سبيل المثال».

«وماذا عنك أنت؟»... بدأت ألف الورقة من حول التبغ... «هل تبحثين؟».

ضحكت أمي. قالت: «أنا، لا! أحاول تدبّر أمور حياتي. هذا ما أفعله».

بللت حافة الورقة المصمّغة بلساني، ثم ألصقتها. أشعلت السيجارة.

خرجت مساء اليوم التالي. أول الأمر، جلست أشرب مع بضعة أصدقاء في بيت واحد من زملائي في المدرسة الثانوية. اختلسنا من قبو أهله بضع زجاجات بيرة شربناها كلّها، ثم جرينا نازلين إلى البلدة. كان الثلج قد غطى كل شيء. وكان يَصرّ تحت أحذيتنا ويفرقع؛ وكانت الريح الصقيعية الباردة تعصف من حولنا وتصفع وجوهنا مع سيرنا. شققنا طريقنا في تلك الريح... طريق من غير نهاية. تجمّعنا عند محطة شل في إلفيغيت من حول رجل قصير كان يتحدّث مع فتاة هناك. ضحكنا منه، وغنينا له «ها هو القوي، القوي القوي القوي»؛ ثم، «ها هو التافه، التافه، التافه». غنينا تلك الكلمات على لحن أغنية، «ها هو بيبي». ركلت مؤخرته عندما استدار في اتجاهنا، فضحك الجميع. دفعنا الحساب، وخرجنا. رأيناه واقفًا هناك. إنه في انتظارنا. كان معه شخص آخر. وكان ذلك الشخص الآخر أطول منه كثيرًا. من كان يتوقّع هذا؟ قال الرجل القصير: «هذا هو»، وأشار في اتجاهي. كنت

واقفًا عند مضخات الوقود. أتى صديقه الطويل وقال لي شيئًا، ثم نظر في عينيّ. مرّت ثانية، أو ثانيتان، ثم لكمني على وجهي. سقطت متكومًا على الأرض. تدفق الدم الحار من أنفي وسال على الأرضية الأسمنتية. ماذا حدث؟ هل لكمني؟ الضربة لم تؤلمني!

سمعت صوت هاوْك من خلفي. أنا في السادسة عشرة فقط! كان يصيح. أنا في السادسة عشرة فقط! أنا في السادسة عشرة فقط! استويت جالسًا. رأيتهم يجرون منحدرين في الطريق. هاوْك واثنان آخران في المقدّمة، ومن خلفهم الرجل الطويل. كانت في يده سكين. نهضت ومضيت إلى الفتيات. لم يقترب منهنّ أحد. اندفعتماريانه إلى المرحاض، ثم عادت بكمية كبيرة من المناديل الورقية. مسحت الدم عن وجهي. لم يمض وقت طويل قبل أن يعود هاوْك ومن معه قادمين من الناحية الأخرى. لا يزالون مذعورين. ذهبوا إلى الكشك وطلبوا من البائعة أن تتصل بالشرطة. فقدت الأمسية بهجتها، وتفرّقت المجموعة. فجأة، صرت الشخص الوحيد الباقي هناك؛ الشخص الوحيد الراغب في الاستمرار. كان عليَّ أن آخذ سيارة تاكسي لكي أعود إلى البيت. جلست في المقعد الخلفي. كان أنفي ورأسي ينبضان ألمًا.

لحظة فتحت الباب، أدركت أن إنغفه قد أتى. أمتعته متناثرة على الأرض. سترته معلّقة على المشجب. حذاؤه الضخم. قرّرت أن أفاجئه. سررت بهذه الفكرة فامتلأ صدري حماسة. عندما فتحت الباب، وأضأت النور، وصحت «دا - دا!»، انتصب إنغفه جالسًا في فراشه وقد فوجئ كثيرًا. انفجرت ضاحكًا. فقدت كل سيطرة على نفسي، وواصلت الضحك. نظر إنغفه إليَّ. سألني، ماذا حدث؟ ما أمر أنفك؟ كنت أضحك ضحكًا شديدًا فلم أستطع أن أجيبه بشيء. قال لي، اذهب الآن إلى فراشك، يا كارل أوفه. اذهب ونم. هذا أفضل. نستطيع الكلام يوم غد.

قلت: «هل عدت الآن من الصين؟». واصلت الضحك. أغلقت الباب من خلفي. ذهبت إلى غرفتي حيث خلعت ملابسي، واستلقيت على فراشي

قبل أن أستطيع التوقف عن الضحك. أحسست كأنّ رأسي صندوق ممتلئ أجسامًا تتدحرج كلّما حركته. لكنها تابعت التدحرج والتمايل حتى بعد أن استقر رأسي على الوسادة. لاحظت هذا، ثم غرقت في النوم.

آلمني وجهي عندما استيقظت. تذكّرت ما حدث، فجلست في الفراش مذعورًا. ثم تذكّرت أن إنغفه قد عاد.

رائع!

شممت رائحة دخان واهية. لقد أوقدا النار. سمعت صوتَيهما آتيَين من الطابق السفلي. أظنهما جالسَين في المطبخ يتناولان طعام الإفطار.

ارتديت قميصًا قصير الكمين وبنطلونًا، ثم نزلت إلى الطابق السفلي. نظرا إليَّ، ابتسم إنغفه.

قلت: «عليَّ أن أغتسل»، ثم ذهبت إلى الحمام. يا إلهي، يا إلهي، يا إلهي!

كان أنفي معوجًّا قليلًا... العظم الذي تحت جسر الأنف. وفوق هذا، كان متورّمًا تورّمًا شديدًا، وكان منخراي ممتلئان دمًا متجمّدًا. غسلت أنفي بكل حذر، ثم عدت إليهما.

قال إنغفه: «ماذا حدث لك يوم أمس؟».

قلت: «لكمني أحدهم». جلست، ووضعت لفافة خبز في طبقي، «لم أفعل له شيئًا. شخص في محطة الوقود أتى إليَّ ولكمني من غير سبب. ثم جرى خلف الآخرين، الذين كنت معهم، وطاردهم حاملًا سكينًا. بلطجة حقيقية!».

تنهّدت أمي، لكنها لم تقل شيئًا. وبعد لحظة صغيرة، تغير موضوع الحديث عندما تحدث إنغفه عن الصين. أظنه كان يتحدث عنها منذ زمن طويل. كان ممتلئًا بها. تكلم، وتكلم؛ وكنت أتخيل ما أسمعه: جموع من الناس من حول كريستين لحظة وصولهما؛ جموع جذبها إليها شعرها الأشقر. كم كان ممتعًا السفر على سكة الحديد التي تجتاز سيبيريا! وما أشدّ وحشة البرية في التيبت! وما أغرب الألوان هناك! أنهار صفراء كبيرة،

وجروف تكتسي أشجارًا، ومدن أجنبية، وفنادق رخيصة، وسور الصين العظيم، والعبّارات والقطارات، وبشر كثيرون في كل مكان، وكلاب، ودجاجات... شيء مختلف عن طبيعتنا المتجمدة القابعة تحت الثلج، مختلفة أشد ما يكون الاختلاف.

انقضى يومان، وأتت ليلة رأس السنة. ذهب إنغفه إلى فينديلهيتا، في حين مضيت إلى بيت باسن منتعلًا حذاء جديدًا لامعًا وبدلة رسمية استأجرتها. كانت حنّة أيضًا هناك. شربت فودكا مع العصير، ووددت أن أراقصها. رقصنا معًا. شربت المزيد، وقلت إن علينا أن نخرج معًا على الرغم من انقضاء وقت طويل منذ آخر مرة رأيتها. كان هذا كأنه هاجس قد تملكني. ضحكت متجاهلة اقتراحي. ساءني هذا، فرقصتُ مع فتيات غيرها، وازددت سكرًا، ثم ازددت سكرًا. وعند الساعة الثانية عشرة، احتشدوا جميعًا على الطريق وانضم إليهم أشخاص من البيوت المجاورة. ثم بدأ الناس يشعلون الصواريخ، ويظلون ممسكين بها حتى اللحظة الأخيرة، بحيث تنطلق بين الناس الواقفين هناك. كانوا يصيحون ويزعقون بين أصوات الانفجارات. كنت أنظر إلى حنّة. رأيتها ترتجف. كانت جميلة جدًا، جميلة حقًا. لماذا لا أكون لها؟ ولماذا لا أقف معها وأطوّقها بذراعيّ؟ كنت أفكر في هذا عندما حطّ صاروخ عند قدمَيها. صرخ الناس وجروا مبتعدين.

لكن هذه فرصتي. جريت إليها. ذهبت لكي أركل الصاروخ فأبعده عنها. ولحظة فعلت ذلك، انفجر من تحتي. كان ذلك إحساسًا غريبًا. سرت الحرارة في ربلة ساقي كلها. نظرت إلى الأسفل فرأيت بنطلوني ممزقًا. تدفق الدم من ساقي. ثقب كبير في حذائي! رفضت الذهاب إلى مركز الإسعاف. غسل أحدهم الدم عن ساقي ومسحه بخرقة، ثم لفّها بضماد. رحت أصرخ قائلًا إنني «الملازم غلاهن» في رواية هامسون. قلت إنني أطلقتُ النار على قدمي حتى تدرك حنّة كم أحبها. رحت أقفز هنا وهناك ببنطلوني الممزّق

وضمادي المشبع دمًا. صحت، أنا الملازم غلاهن... وبعدها، أتذكر أنني وجدت نفسي أبكي جالسًا على كرسي في زاوية؛ لكنني لست واثقًا تمامًا مما تذكّرته. على أية حال، عدت إلى البيت في الخامسة فجرًا. أتذكّر أنني قلت لسائق التاكسي أن يتوقف عند صناديق البريد -مثلما أفعل دائمًا- حتى لا يوقظ صوت محرك السيارة أمي. وضعت بنطلوني وحذائي في عمق الخزانة قبل أن أنام. وفي الصباح التالي، نزعت الضماد ووضعته في كيس من النايلون دسسته في قعر وعاء القمامة. غسلت الجرح الذي كان عميقًا حقًا. وضعت عليه لصاقة طبية، ثم دخلت المطبخ وتناولت إفطارًا ضخمًا.

نحن لا نعيش حياتنا وحيدين. لكن هذا لا يعني أننا نرى أولئك الذين من حولنا، أولئك الذين نعيش معهم. عندما انتقل أبي إلى شمال النرويج ولم يعد أمامي ماديًا، بجسده وبصوته، بطبعه وعينَيه، فقد اختفى من حياتي بمعنى من المعاني، بمعنى أن حضوره قد تقلّص إلى نوع من الانزعاج، أحسّه أحيانًا عندما يتصل أو عندما يذكّرني شيء به. كأن منطقة في داخلي تستيقظ في تلك اللحظات، منطقة يقبع فيها كل ما أحسّه تجاهه. وأما هو نفسه، فليس موجودًا فيها.

في ما بعد، قرأت في دفاتر ملاحظاته عن يوم عيد الميلاد عندما اتصل من جزر الكناري؛ وقرأت عن الأسابيع التي تلت ذلك. هنا، وجدته واقفًا أمامي، مثلما كان، في أواسط عمره. لعل هذا ما جعل قراءة دفاتره مؤلمة لي ذلك الألم كله. لم يكن أبي وجودًا أوسع كثيرًا من مشاعري نحوه، بل كان أكثر من ذلك، أكثر إلى ما لا نهاية له. كان شخصًا حيًا مكتملًا في أواسط العمر.

إنغفه هو من وجد دفاتر الملاحظات تلك. فبعد أسابيع معدودة من الجنازة، استأجر سيارة كبيرة ذهب بها إلى كريستيانساند فأحضر أشياء أبي من المرأب. وبعد ذلك، قاد السيارة عائدًا إلى أوستلاند حيث عاش أبي

سنواته الأخيرة، وجمع المتاع القليل الذي كان باقيًا هناك. أرسل كل ما حصل عليه إلى ستافانغر ووضعه في العلّية إلى حين وصولي لكي نستعرض تلك الأشياء كلها معًا.

عندما اتصل بي في ذلك المساء من خريف 1998، قال لي إنه ظل برهة مقتنعًا بأن أبي حي وبأنه يتبعه بسيارة في تلك الطريق.

قال لي: «كنت هناك، في سيارة ملأتها بأشيائه. هل تستطيع تخيّل كم سيكون أبونا غاضبًا إن اكتشف الأمر؟ الأمر سخيف جدًا، بالطبع، لكني واثق من أنه كان يطاردني».

قلت: «ينتابني الإحساس نفسه كلما رُن جرس الهاتف، أو كلّما دق أحدهم جرس الباب. عندها، أفكر فيه».

قال إنغفه: «على أية حال، وجدت بعض المذكّرات التي كان يكتبها. حسنًا، الواقع أنها دفاتر ملاحظات. كان يسجل فيها بضع ملاحظات في كل يوم. ملاحظات من 1986 و1987 و1988. عليك أن تقرأها».

قلت له: «هل كتب مذكراته حقًا؟».

«ليس تمامًا. إنها بضع ملاحظات، لا أكثر».

«ماذا يقول فيها؟».

«عليك أن تقرأها بنفسك».

ذهبت إلى إنغفه بعد بضعة أيام من ذلك. رمينا معظم الأشياء التي خلّفها أبي. أخذت حذاءه المطاطي ذا الرقبة الطويلة. لا أزال أستخدمه بعد انقضاء عشر سنين. أخذت أيضًا منظاره. إنه الآن على مكتبي وأنا أكتب هذه السطور. أخذت بضعة كتب. ثم بدأت أقرأ دفاتر ملاحظاته.

الأربعاء، 7 كانون الثاني

استيقظت في وقت مبكر. في الخامسة والنصف. بيال.

كان ماء الدوش باردًا.

باص السادسة والنصف من بورتوريكو. غفوت في الباص قليلًا.

في المطار، اشتريت ووكمان. تقلع الطائرة في التاسعة والنصف. تأخرت - كريستيانساند.

16:40. طائرة إلى أوسلو 17:05. مشكلة.

الثلاثاء، 20 كانون الثاني

ليلة سيئة أخرى. هكذا هو الأمر دائمًا عندما لا أتناول «دوائي». بعد ساعة ونصف الساعة، أصير مرهقًا إلى حد يجعلني غير قادر على أداء أي عمل بشكل جيد. تناولت لوتفيسك على العشاء - مشروبي المفضل. قيلولة بعد العشاء - قيلولة طويلة جدًا - استيقظت في العاشرة ليلًا. عملت حتى الثالثة. صار العمل ليلًا نظامًا ثابتًا عندي!

مضت الملاحظات على هذا النحو. يشرب كل عطلة نهاية أسبوع؛ لكن شربه خلال الأسبوع يتزايد أكثر فأكثر. ثم يحاول التوقّف عن الشرب والبقاء أيامًا من غير أن يشرب شيئًا، أو يحاول أن ينقطع عدة أسابيع. لكن الأمر لا ينجح. لا يستطيع التوقّف. يصير قلقًا، غير مستقر، ويسمع أصواتًا، ويكون مرهقًا إلى حد لا يشعر معه بالراحة إلا إذا ذهب إلى متجر الكحول، أو إذا اشترى زجاجات بيرة ثم عاد إلى البيت وشرب. عندها، يهدأ اضطرابه الداخلي.

تحت تاريخ «الأربعاء، 4 آذار»، لا يقول دفتر ملاحظاته إلا *إنغفه، كارل أوفه، كريستين*. في ذلك اليوم، اتجهنا شمالًا في عطلة الشتاء لكي نزوره. دفع أبي نفقات سفرنا جميعًا. دعت أوني ابنها أيضًا. اسمه فريدريك. كان هناك عند وصولنا. طرت مع كريستين من كريستيانساند إلى بيرغن. وبالطبع، كنت متوتّرًا بعض الشيء بسبب ما جرى قبلها بيني وبين سيسيليه. لكنها لم تتفوّه بكلمة عن ذلك، وظلت تعاملني مثلما تعاملني دائمًا. انضم إلينا إنغفه في بيرغن. ثم طرنا إلى ترومسه التي سافرنا منها إلى وجهتنا الأخيرة بطائرة مروحية.

كانت الأرض من تحتنا برية مهجورة لا يكاد المرء يرى فيها بيتًا أو طريقًا. وعندما وصلنا المطار، لم نسمع من الطيار إعلانًا ينبئنا بالوصول، ولم تنحدر الطائرة انحدارًا هينًا... لا. حطت الطائرة على الأرض مثلما يحط طائر جارح أبصر فريسة -هكذا كان انطباعي- لحظة مست عجلات الطائرة مدرج المطار، ضغط الطيار على المكابح بقوة جعلت كلًا منا يندفع فيصطدم بالمقعد الذي أمامه.

نزل المسافرون من الطائرة وساروا على الإسفلت حتى بلغوا الصالة الصغيرة. كان الجو باردًا، غائمًا، والطبيعة من حولنا بيضاء، فيها بقع لامعة سوداء، حيث تنحدر الصخور انحدارًا شديدًا لا يسمح باستقرار الثلج عليها.

وجدنا أبي واقفًا في انتظارنا في قاعة المسافرين الواصلين. كان متوترًا، رسميًا. سألنا كيف كانت رحلتنا، ثم لم يصغ إلى الإجابة. ارتعشت يده وهو يضع المفتاح في السيارة ويرخي المكبح اليدوي. ظل صامتًا طيلة الشطر الأكبر من الطريق إلى البلدة وسط ذلك السهل المهجور الملفّع بالضباب. كنت أنظر إلى يده المستقرّة على مقبض السرعة. ترتعش لحظة يرفعها.

كانت البناية التي أوقف السيارة عندها بعيدة عن مركز البلدة. بناية في مواجهة البحر ضمن تجمع سكني، يوحي مظهر بيوته كأنه مبني في السبعينيات. كانا قد استأجرا طابقًا علويًا كاملًا في واحد من تلك البيوت. لديهم شرفة كبيرة تفتح على غرفة المعيشة. النوافذ خشنة الملمس. أظن أن الملح الذي يحمله رذاذ ماء البحر هو سبب تلك الخشونة. لاقتنا أوني عند الباب. ابتسمت لنا، وعانقت كلًّا منا. ولدٌ جالس على كرسي يتابع التلفزيون -لا بد أنه فريدريك- نهض وألقى علينا التحية. ابتسم لنا، فابتسمنا له.

كان طويل القامة، داكن الشعر. وكان وجوده في الغرفة محسوسًا، متميّزًا. وعندما جلس من جديد، خرجتُ إلى الممر لكي آتي بحقيبتي الظهرية، فلمحت أبي لحظة مروري بباب المطبخ. كان واقفًا عند البراد يشرب زجاجة بيرة.

أرتنا أوني المكان الذي سننام فيه. تركت أشيائي هناك. وعند عودتي،

كانت الزجاجة الأولى على الطاولة، فارغة؛ وكان أبي يشرب الزجاجة الثانية. تجشّأ بصوت منخفض، ثم وضع الزجاجة إلى جوار سابقتها. مسح الزبد عن لحيته، ثم التفت إليَّ.

كان التوتر قد زال عنه.

قال لي: «كارل أوفه، هل أنت جائع؟».

قلت: «أظنني جائع. لكني لست في عجلة من أمري. نستطيع أن نأكل عندما يكون الوقت مناسبًا لكم».

«لقد اشتريت اليوم شرائح اللحم ومعها نبيذ أحمر. نستطيع أن نتناول هذا... أو من الممكن أن نتاول الجمبري. إن لديهم هنا أنواعًا جيدة من الجمبري».

قلت: «أحب الاثنَين».

أخرج من البراد زجاجة بيرة جديدة.

قال لي: «شرب البيرة في عطلات نهاية الأسبوع أمر حسن».

قلت: «صحيح».

قال: «في وسعك أن تشرب البيرة في ما بعد، مع الطعام».

قلت: «هذا عظيم».

كان إنغفه وكريستين قد جلسا على الأريكة. رأيتهما ينظران من حولهما مثلما ينظر المرء عندما يحل في مكان جديد فيحاول الانتباه -من غير أن يلحظه أحد- إلى كل ما هو محيط به. كان كل منهما منتبهًا إلى الآخر، لا من خلال النظرات بالضرورة، بل بتلك الطريقة الكليّة التي تكون بين عاشقَين عندما لا يكونان مهتمَّيْن بشيء غيرهما في الدنيا كلها. كانت كريستين أعجوبة بما لديها من بهجة وروح طبيعية تلقائية، فانتقل ذلك إلى إنغفه أيضًا: كان منفتحًا عليه انفتاحًا تامًا، واكتسى وجهه ألقًا طفوليًا لا يظهر عليه إلا عندما يكون معها.

ظل فريدريك جالسًا على كرسيه إلى الناحية الأخرى من الطاولة، وكان

يجيب مستحيًا عما يطرحه عليه إنغفه وكريستين من أسئلة متنوعة. يصغرني بسنة واحدة. يعيش مع أبيه في مكان من الأماكن في أوستلاند، ويلعب كرة القدم، ويحب صيد الأسماك، ويحب أيضًا فرقتي «u2» و«ذا كيور».

جلست على كرسي إلى جواره. على الجدار، فوق الأريكة، عُلّقت لوحة لسيغفالدسن كان أبي قد أخذها معه بعد الطلاق. وعلى الجدارَين الآخرَين، رأيت لوحات أخرى كانت لديه في البيت. قطع الأثاث في الزاوية الأخرى هي نفسها التي كانت في غرفة مكتبه في الطابق السفلي من بيتنا. واحدة من السجادات التي على الأرض كانت من بيتنا أيضًا. تذكّرت قطع الأثاث التي رأيتها في شقة أوني.

جلس أبي على الأريكة. أحاط أوني بإحدى ذراعَيه، وكانت في يده الأخرى زجاجة بيرة. أتذكّر كيف فكّرت في أنني سعيد لوجود إنغفه وكريستين هناك.

طرح أبي سؤالًا على إنغفه. فأجابه عنه إجابة مختصرة، لكنها مهذبة تمامًا. ومن جانبها، حاولت كريستين أن تضفي على الوضع تناغمًا من خلال طرحها أسئلة عن المدينة والمدرسة التي يعملان فيها. كانت أوني تجيبها.

وبعد حين، التفت أبي إلى فريدريك. كانت نبرة صوته هيّنة، طيبة. لكن لغة جسد فريدريك كانت توحي بنفوره. كان واضحًا أنه لا يحب أبي. وكنت قادرًا على فهم السبب. الغبي وحده لا يستطيع سماع الرنَّة الزائفة في صوت أبي -كأنه يكلم طفلًا- ولا يستطيع إدراك أنه يفعل هذا من أجل أوني فقط.

كانت إجابة فريدريك جافة، فحدّق أبي في الفراغ بضع لحظات. قالت أوني لفريدريك كلمات لطيفة، لكنها معاتبة، فتململ منزعجًا.

ظل أبي جالسًا من غير حركة؛ وظلّ يشرب. ثم نهض واقفًا ورفع بنطلونه المتهدّل على ساقيه وذهب إلى المطبخ حيث بدأ إعداد طعام العشاء. بقينا جالسين في الغرفة نتحدّث مع أوني. وعندما صار الطعام على الطاولة -قرابة الساعة الثامنة- كان أبي قد سكر. أراد أن يعيد المياه إلى مجاريها،

لكن محاولاته كانت خرقاء تمامًا فجعل من نفسه أضحوكة. كان فريدريك أشدّنا معاناة. لقد اعتدنا أحوال أبي، ولا شيء آخر لدينا؛ أما فريدريك فقد خسر أمه من أجل هذا الأحمق.

جلس أبي فترة طويلة صامتًا وعلى وجهه تعبير سخط غبي. ثم نهض واقفًا وذهب إلى غرفة النوم. تبعته أوني. سمعنا صوتَيهما. عادا وكأن شيئًا لم يحدث. تحدّثا عن العطلة التي سافرا فيها، وعن خلافاتهما مع شركة الرحلات السياحية. اتضح أن أبي قد انهار في غرانكاناري، وسقط في الغرفة، فأخذوه إلى المستشفى بسيارة إسعاف. قال إن تلك كانت نوبة قلبية. على أية حال، أقام بعد ذلك دعوى قضائية ضد الشركة لأن مشكلات كثيرة وقعت -خلافات مع ممثلي الشركة، ومشاجرات مع سائحين آخرين في الفندق- وقد صارا الآن يظنان بأن الجميع وقفوا ضدهما، بل إن الجميع كانوا يسيئون إليهما، وهذا ما أدى إلى إصابة أبي بتلك النوبة القلبية. ظل في المستشفى يومَيْن كاملَيْن. جعلنا أبي نرى صورًا كان بعضها غير لطيف أبدًا: رأينا صورًا فيها رجل وامرأة على شرفة. ثم تقترب الكاميرا فينهض الاثنان ويلوّحان بقبضاتهما، ثم يتقدمان من الكاميرا. ماذا يفعلان؟ انظروا كم هما غاضبان! قال أبي هذا. ما أغباهما! ليسا أقل سوءًا من غونار! سأله إنغفه، ما الأمر السيئ في غونار؟ قال أبي، غونار؟ لا بأس، سوف أخبرك. ظل صيفًا كاملًا يتلصّص من حول شقتنا في إلفيغيت. كان مطلوبًا منه أن يراقبني، هل تفهم هذا، لكي يتأكد من أنني لا أشرب. كم هو صالحٌ، أخي هذا! بل إنه قال لي ذلك بنفسه؛ قال إن من الأفضل أن أخفّف الشرب، فهل تتخيلون هذا؟ هل هو مشرف على أخيه؟ كنت كبيرًا عندما كان طول قامته لا يكاد يبلغ ركبتي. ألا يستطيع الرجل أن يشرب زجاجة بيرة في حديقته؟ الحقيقة أنه تمادى كثيرًا. ثم، انظروا كم يبذل جهدًا في التقرب من جدّكما وجدتكما. يريد الحصول على الشاليه الجبلي. لطالما أراد الاستئثار به. وسوف يحصل عليه في آخر المطاف. سوف يحقن فيهما سمّه أيضًا.

لم أقل شيئًا. التقت عيناي عينَيّ إنغفه.

كيف يمكن أن ينحدر أبي إلى هذا الدرك؟ إنهما شقيقان. غونار شقيقه الأصغر. هو شخص يعيش حياة فيها قدر من النظام؛ وقد نشأ أطفاله قريبَين منه: لا أثر للخوف في عيونهم، بل على العكس من ذلك، لأنهم يحبون أباهم. إن كان قد قال لأبي إنه يكثر من الشراب، فإنه محقّ في قول ذلك. مَنْ غيره يمكن أن يقوله؟ أنا مثلًا؟ ها ها؛ لا تجعلوني أضحك! وماذا عن الشاليه الجبلي؟ لا يستخدمه أحد من الشقيقَين إلا غونار، ولم يستخدمه أحد غيره؛ إنه يحب العيش هناك. أبي لا يحب العيش هناك. إن وضعَ أبي يده على الشاليه الجبلي، فسوف يبيعه.

نظرت إليه. كان جالسًا هناك، عيناه طافحتان وقد ظهر من حول فمه ذلك التعبير الغبي قليلًا الذي يظهر عليه دائمًا كلما سَكِر.

قال إنغفه: «لعل من الأفضل أن نؤجل رؤية شرائح الصور حتى يوم غد. تأخّر الوقت الآن».

مكتبة
t.me/soramnqraa

قال أبي: «أية شرائح؟».

قال إنغفه: «شرائح صور الصين».

قال أبي: «أوه، هذا صحيح. نعم».

تمطّت أوني. رفعت ذراعَيها فوق رأسها.

قالت: «لا بأس. لقد نعست الآن، وصار لا بد لي من الذهاب للنوم».

قال أبي: «أنا ذاهب معك أيضًا. لكني سوف أتبادل قبل ذلك بضع كلمات مع ولديّ اللذين سافرا هذه المسافة كلها حتى يريا أبيهما».

داعبت أوني شعره، ثم ذهبت إلى غرفة نومهما. وفور إغلاقها البابَ من خلفها، نهض فريدريك واقفًا وقال: «تصبحون على خير».

قال أبي: «هل أنت ذاهب أيضًا؟ أأنت حامل مثل أمك؟».

ضحك أبي. نظرت إلى فريدريك ورفعت حاجبي لكي يفهم أن رأيي مثل رأيه، وأنه ليس وحيدًا في ما يفكّر فيه.

قالت كريستين: «أنا مرهقة أيضًا. لعلي تعبت من السفر، أو من هواء البحر. كيفما كان الأمر، أنا ذاهبة لأنام، تصبحون على خير».

بعد ذهابها، جلسنا نحن الثلاثة، ولم نقل شيئًا. حدّق أبي في الهواء، وأنهى زجاجة البيرة، ثم أحضر زجاجة أخرى. لم أكن ثملًا، لكني بدأت أحسّ سريان الكحول في جسدي.

قال أبي: «إذًا، ها نحن هنا».

قلت: «نعم».

«مثلما كنا في ما مضى. هل تتذكران هذا، في تيباكن؟ إنغفه وكارل أوفه جالسان في المطبخ يتناولان طعام الإفطار».

قال إنغفه: «كيف يمكن أن ننسى هذا».

قال أبي: «صحيح. لم يكن زمنًا سهلًا عليّ أنا أيضًا. أتمنى أن تعرفا هذا».

قال إنغفه: «الحياة ليست سهلة بالنسبة إلى كثيرين من الناس. لكننا لا نرى أنّ الجميع لا يهتمّون بأطفالهم».

قال أبي: «صحيح»، ثم بدأ يبكي... «أنا في غاية السعادة لأنكما هنا».

قال إنغفه: «لماذا تغدو عاطفيًا هكذا؟ ألا نستطيع الكلام في هذا الأمر بطريقة طبيعية؟».

«هناك حياة جديدة تتكوّن الآن في بطن أوني. سوف يكون لكما أخ، أو أخت، فكّرا في هذا». ابتسم من خلال دموعه، ثم مسحها وأفرغ زجاجة البيرة. لفّ لنفسه سيجارة.

تبادلنا النظرات، إنغفه وأنا. لا أمل أبدًا... لا يمكن الحصول منه إلا على كلام فارغ لا معنى له.

قال إنغفه: «أنا ذاهب لكي أنام».

لم يقل أبي شيئًا عندما خرج إنغفه. أردت ألّا يبقى وحده، فبقيت معه برهة. لكنه لم يقم بأي بادرة تشير إلى أنه يريد الذهاب إلى النوم، أو أنه يريد الكلام معي. ظل جالسًا هناك، محدّقًا في فراغ الغرفة. وفي آخر المطاف، نهضت بدوري وذهبت إلى فراشي.

بعد تناولنا طعام الإفطار صباح اليوم التالي، ذهبت إلى البلدة مع إنغفه

وكريستين وفريدريك حيث تجولنا في الشوارع المظلمة التي يكسوها الثلج وتهبّ فيها الريح. دخل إنغفه وكريستين متجرًا للملابس، فجلست في مقهى وتحدّثت مع فريدريك. ذكر كل منا أسماء الفرق التي يحبها فنشأ بيننا نوع من أساس مشترك. وبدأنا بعد ذلك نتحدّث عما يمكن أن نفعله في هذه البلدة المنفيّة. لا نستطيع الاكتفاء بالجلوس في الشقة من غير أن نفعل شيئًا. قال لي إن هناك بركة سباحة غير بعيدة، فلعلنا نستطيع الذهاب إليها في وقت لاحق من ذلك اليوم. عندما عدنا إلى البيت، قالت أوني إنها فكرة حسنة. قال أبي من غرفة المعيشة، نعم، هذه فكرة عظيمة. لم أذهب إلى بركة سباحة منذ سنين طويلة. سألته أوني، هل أنت ذاهب أيضًا؟ أجابها، نعم، لم لا؟ كان واضحًا أن فريدريك غير مسرور بهذا؛ لكنني فكّرت في أنها ليست مشكلة كبيرة. لدينا وقت طويل جدًا في المساء. أوصلتنا أوني بالسيارة لأن أبي شرب بضع زجاجات بيرة. دخلنا غرفة تبديل الملابس حاملين حوائجنا معنا. جلسنا على المقعد الطويل. بدأ أبي يخلع ملابسه.

أشحت بوجهي. لم يحدث من قبل أبدًا أن رأيته يخلع ملابسه؛ ولم يحدث أبدًا أن كنت معه في غرفة واحدة وهو يفعل شيئًا خاصًا إلى هذا الحد. جلس على المقعد، وطوى بنطلونه، ثم ضم جاربيه معًا في كرة واحدة. بدأ يفك أزرار قميصه.

انتابني خجل وارتباك، ولم أدر أين أنظر. لم أدر ما أفعله بنفسي. كان الآن يخلع سرواله الداخلي. ظل بضع لحظات عاريًا تمامًا. لم أره عاريًا قبل الآن. سرَت في جسدي رعشة عندما وقع نظري عليه.

نظر إليَّ وابتسم. كان قد خلع ملابسه كلّها، ولم يبق عليه شيء غير تلك الابتسامة قبل أن يستدير ويرتدي سروال السباحة.

ارتديت سروال السباحة بدوري، ثم دخلنا معًا إلى حيث كانت بركة السباحة الكبيرة.

عندما عدنا إلى البيت، وجدنا أن أوني قد أعدّت طعام العشاء: لحم مشوي. شرب أبي بمفرده زجاجة نبيذ أحمر كاملة. وبعد ذلك، أرانا إنغفه

وكريستين شرائح الصور التي التقطاها في الصين. لقد استعارت أوني من المدرسة جهاز إسقاط لعرض الصور. كان إنغفه وكريستين يتحدثان ويشرحان. جلس أبي ينظر إلى الصور من غير أي اهتمام. رأيت أن إنغفه قد اغتاظ لذلك. قلت في نفسي، لماذا يزعجه هذا؟ عليه أن ينفض يده منه تمامًا.

كان فريدريك يتكلّم مع أبي بطريقة ساخرة، غضب أبي ووبّخه، فغضبت أوني غضبًا شديدًا. ذهبت إلى غرفتها. تحامل على نفسه حتى وقف على قدمَيه وذهب خلفها. كان كل منهما يصرخ على الآخر؛ وأما في غرفة المعيشة، فقد حاولنا التظاهر بأن الأمور بخير. سمعنا صوت شيء يتحطم على الجدار. صرخة لم تلبث أن صارت زعيقًا. ثم حلّ الصمت. ظهر أبي آتيًا من الغرفة. لم يقل شيئًا. بدأ يشرب. وفجأة، رفع رأسه إلينا وابتسم ابتسامته الغبية تلك. نظر إلى فريدريك وقال إن من الممكن أن يذهبا لصيد الأسماك إن أراد فريدريك ذلك، لأن ولدَيه غير مهتمَّين بالصيد.

من بين الأيام كلّها التي أتى أبي على ذكرها في دفاتر ملاحظاته، كانت لدي ذكريات واضحة عن هذا اليوم فقط. لعل ذلك لأنني رأيته عاريًا أول مرة، ولأن تلك كانت المرة الوحيدة في حياتي.

كتب في دفتر ملاحظاته:

الجمعة، 6 آذار

مع كارل أوفه وفريدريك في بركة السباحة.

أمر لطيف أن أسبح من جديد.

عدنا إلى البيت لتناول اللحم المشوي ورؤية شرائح صور من الصين.

ثم تحدثنا. شربت كثيرًا. تشاجرنا. غضبت أوني - حطمتِ الساعة الجدارية.

مؤسف.

في آخر أمسية لنا في شمال النرويج، جلست وحدي في غرفة المعيشة

بعد أن ذهب الآخرون لكي يناموا. ذهبت وأعددت لنفسي شايًا، وقرأت في كتاب وجدته، ثم نهضت وبدأت أقلّب ألبوم الصور. أردت رؤية تلك الصورة المقلقة مرة أخرى. وفي آخر الألبوم، عثرت على أوراق فهمت منها أن المستشفى الذي أخذوا إليه أبي هناك أبلغ الشركة السياحية بأن المشكلات القلبية كانت ناجمة عن إفراط في تناول الأدوية والكحول.

سرت في جسدي كله قشعريرة عندما قرأت هذا.

أدوية!؟ أية أدوية هذه التي يتناولها أبي؟

وجدت وثائق كثيرة فرحت أقلّبها. كان بعضها متصلًا بدعوى قضائية من الواضح أنه كان طرفًا فيها خلال ذلك الربيع. كانت البداية مشكلة مع حارس أمني في محطة الباص في كريستيانساند. تابعت القراءة فتذكرت أنني سمعت منه مرّة شيئًا عن هذا الأمر. قال إنه ضايقه؛ لكني لم أعرف أبدًا أن الأمر قد وصل إلى المحكمة. على أية حال، خسر أبي تلك الدعوى خسارة واضحة؛ وأمرته المحكمة بدفع المصاريف.

ما هذا الذي يفعله أبي؟

أعدت ألبوم الصور إلى مكانه. نظفت أسناني، ثم ذهبت إلى الغرفة الصغيرة حيث أنام. خلعت ملابسي، واستلقيت في الفراش. أطفأت النور، وأرحت رأسي على الوسادة. لكني لم أستطع النوم. نهضت بعد برهة. جلست على الأريكة القريبة من طاولة الهاتف. رفعت السماعة وطلبت رقم حنّة.

أفعل هذا أحيانًا: أتصل بها ليلًا. أعيد السماعة إلى مكانها إن أتاني صوت والدها. لكنه لا يرد على الهاتف أبدًا لأن هناك هاتفًا عند باب غرفتها، ولأنها شديدة السرعة في الاستجابة للهاتف. كانت سريعة هذه المرة أيضًا.

تحدّثنا ساعة كاملة. أخبرتها عما يجري هنا. وقلت لها إنه سيكون لي أخ جديد، أو أخت جديدة، في آخر الصيف؛ لكني لا أعرف كيف سيكون ذلك. أخبرتها عن أبي، وعن إنغفه وكريستين. كانت تصغي وتضحك عندما أقول شيئًا طريفًا. ولهذا، انجلى ذلك الثقل الذي كان جاثمًا على صدري

وبدأنا نتحدث في أمور أخرى: الامتحانات التي صارت وشيكة، وتغيّبي عن المدرسة، وجوقة الإنشاد التي تذهب إليها، وما سنفعله بعد أن نترك المدرسة.

وعلى غير انتظار، انفتح الباب واندفع أبي إلى الغرفة.

قلت: «عليَّ أن أنهي المكالمة الآن». ثم وضعت السماعة.

قال أبي: «ماذا تفعل، أيها الفتى؟! أتعلم كم بلغت الساعة الآن؟».

قلت: «إنني آسف. كنت أحاول الكلام بصوت منخفض جدًا».

«ومن قال لك إنك تستطيع استخدام الهاتف؟ منذ متى تتكلم؟».

«منذ ساعة».

«ساعة! هل تعرف كم تبلغ تكلفة هذا؟ لقد دفعت ثمن بطاقة سفرك إلى هنا! أهكذا تشكرني على ذلك؟ اذهب إلى النوم الآن، فورًا».

خفضت رأسي حتى لا يرى الدموع في عينَيّ. نهضت واقفًا. سرت منحرفًا بجسدي عنه، وذهبت إلى غرفتي. قلبي ينبض صاخبًا؛ والذعر قد ملأني كلّي. كنت أرتجف عندما رفعت ساقي لكي أخلع بنطلوني. انتظرت إلى أن صرت واثقًا من أنه عاد إلى نومه. سرت على أطراف أصابعي من جديد. بحثت عن قلم، وعن ورقة ومغلّف. كتبت له رسالة قصيرة ساخرة عبّرت فيها عن أسفي الشديد لأنني استخدمت هاتفه الغالي عليه. على أية حال، ها هو ثمن المكالمة الهاتفية. ثم وضعت في المغلف ورقة نقدية من فئة مئة كرون. أغلقت المغلف وكتبت اسمه عليه ووضعته على الرف حيث يمكن أن يعثر عليه بعد أن نكون قد سافرنا.

نادرة هي المرات التي تذكّرت فيها أبي بعد أن عدت إلى البيت، باستثناء المرّات التي يُذكر فيها أمامي أو عندما يتصل. لكن، كانت لديّ مشكلات غير ذلك. شيئًا بعد شيء، بدأت أعيش حياة مزدوجة. كنت أحب أن أكون في البيت مساء، مع أمي: نشرب الشاي ونتحدّث، أو نصغي إلى الموسيقى، أو نتابع التلفزيون، أو يهتم كل منا بعمله. لكني كنت أحب أيضًا أن أخرج

في الليل، وأن أشرب. كنت من غير رخصة لقيادة السيارة، وكانت الباصات في الليل قليلة، متباعدة. إلا أن أمي اعتادت أن تقول لي دائمًا إنها مستعدة لأن تأتي بالسيارة لكي تعيدني، هذه ليست مشكلة، ما عليَّ إلّا أن أتصل بها، حتى إن كان ذلك في منتصف الليل. كنت أتصل، وكانت تجيبني. وبعد ساعة من ذلك، أفتح باب سيارتها، وأجلس فيها. لم يكن لديها اعتراض على أن أشرب كأسًا. لكنها تنزعج إن سكرت. الحقيقة أن هذا كان يزعجها كثيرًا، فكان عليَّ أن أخفي الأمر عنها. حللت هذه المشكلة بأن صرت أنام في بيوت الناس، أو بأن أقول لها إنها ليست مضطرة إلى أن تأتي لأخذي لأنني مع أشخاص لديهم سيارة. تكون السيارة موجودة أحيانًا، فأجد من يعيدني إلى البيت. وفي أحيان أخرى، كنت آخذ سيارة تاكسي أو أعود بباص الليل. لا أجدها ساهرة في انتظاري لأنها واثقة بي. سلوكي في البيت جعلها واثقة بي. أنا على طبيعتي الحقيقية عندما أكون معها. وأنا على طبيعتي الحقيقية أيضًا عندما أكون مع هيلدِه. وأنا على طبيعتي الحقيقية أيضًا عندما أسكر مع إسبن، أو مع أي شخص آخر من زملائي في المدرسة. إنها كلّها طبائعي الحقيقية؛ لكن طبائعي الحقيقية غير متفقة.

كانت لديّ أمور أخرى أخفيها عن أمي. على سبيل المثال، تغيُّبي عن المدرسة. كنت أتغيب عن الدروس أكثر فأكثر؛ بل صار تغيّبي أكثر من حضوري. ضبطتني ذات مرة عندما لم أذهب إلى المدرسة بل بقيت مسترخيًا في البيت. عادت في وقت أبكر من المعتاد فنشبت بيننا مشادّة كلامية. قالت إن عليَّ أن أذهب إلى المدرسة، وإن هذا أمر مهم، عليَّ أن أنتبه إلى ما هو مهم. قالت إن تنشئتي كانت صارمة، بل صارمة أكثر مما ينبغي، وإنها تحاول الآن أن تمنحني قدرًا من الحرية، لكني أسيء استخدام تلك الحرية. الأمر كله متعلّق بالمعايير التي لا بد أن تكون نابعة من داخلي. قلت لها إن المدرسة ليست أهم شيء في حياتي، فقالت إنها لا تجد مشكلة في هذا، لكنك في المدرسة الآن؛ هذا ما تفعله، وعليك أن تقوم بما ينبغي عليك القيام به. ألا تستطيع أن تعدني بهذا؟ أجل، أستطيع. وعدتها، لكني لم

أفِ بوعدي. صرت أكثر اهتمامًا بتمويه أفعالي. كان المعلّم المشرف عليّ متفهمًا جدًا. أدرك أنني أمرّ بمرحلة صعبة، فجلس إلى جانبي في واحدة من رحلاتنا المدرسية، وقال: أعرف أنك تمرّ الآن بوقت صعب، يا كارل أوفه. أخبرني إن كان هناك ما أستطيع مساعدتك فيه، أو إن كان لديك ما تريد أن نتحدّث عنه معًا. ابتسمت له، وقلت إنني سأفعل ذلك. ولبضع لحظات، كانت الدموع توشك على أن تطفر من عينَيّ. كان هذا الاهتمام بي مفاجئًا. لكن ذلك انجلى عني بعد لحظة واحدة. أنا لا أتغيّب عن الدروس لأنني أمر بمرحلة صعبة، هذا واضح تمامًا. على العكس من ذلك، كنت أتغيّب عن الدروس لأنني أحب كثيرًا أن أتغيب عنها، وأن أتجول هنا وهناك، وألتقي بالناس في المقاهي، وأعرج على محطة الإذاعة وأشتري التسجيلات، وكذلك أحب أن أستلقي في البيت وأقرأ. قررت منذ زمن بعيد جدًا أنني لن أتابع تعليمي بعد المدرسة، فما نتعلمه هناك ليس أكثر من قمامة، أشياء لا قيمة لها. معنى الحياة الحقيقي هو أن تعيش، وأن تعيش مثلما تحب. بكلمات أخرى، أن تستمتع بعيشك. يستمتع بعض الناس بالعمل؛ ويستمتع بعضهم الآخر بعدم العمل. لا بأس، كنت مدركًا أنني سوف أكون في حاجة إلى مال. يعني هذا أن عليَّ أيضًا أن أعمل. لكني لن أعمل طيلة الوقت، ولن أقبل بعمل يستنفد طاقتي كلها ويأكل روحي ويتركني شخصًا عاديًا في أواسط العمر، يهتم بشؤونه ويسترق النظر إلى بيت جاره لكي يرى إن كانت مظاهر المكانة الاجتماعية فيه تضاهي ما لديه من مظاهر اجتماعية رائعة.

لست أريد هذا كله.

لكن المال كان مشكلة.

بدأت أمي عملًا إضافيًا لكي تستطيع تدبّر أمورها. فبمعزل عن عملها معلمة في معهد التمريض، وافقت على أن تأخذ نوبات عمل إضافية في مستشفى «إيغ هوسبيتال» في نهاية الأسبوع، وفي العطلات. لا بدّ أن البيت كان له أثر كبير على وضعها المالي لأنها اشترت حصة أبي، فاضطرت إلى

أن تأخذ قرضًا كبيرًا. لكني لم أكد ألحظ شيئًا من ذلك كله: لدي المال الذي أكسبه من عملي في الصحيفة، ومال النفقة الذي يدفعه أبي. وعندما أنفق ذلك كله، يظل في مقدوري أن أحصل على بعض المال من أمي. لذا، كان كل شيء على ما يرام. بعض الأحيان، تنتقد أمي أولوياتي، وكيف أشتري ثلاثة تسجيلات جديدة بعد ظهر يوم جمعة في حين أسير بحذاء كاد نعله ينفصل عنه؟ أقول لها إن هذه ليست أكثر من سلع مادية، أشياء، وأما الموسيقى فهي مختلفة اختلافًا تامًا. ماذا بكِ؟ الموسيقى شيء من أجل العقل. هذا ما يلزمنا. هذا ما يلزمنا حقًا. ومن المهم أن أضعه في المرتبة الأولى على سلّم الأولويات. يحدّد كل إنسان أولوياته. يرغب الجميع في سترات جديدة وسيارات جديدة وبيوت جديدة وشاليهات جبلية جديدة وسيارات مقطورة جديدة من أجل الرحلات، وقوارب جديدة أيضًا. لكنني لست مثلهم. أنا أشتري الكتب والتسجيلات لأنها تقول شيئًا عن معنى الحياة، وعما يعنيه أن يكون المرء بشريًا، هنا، على كوكب الأرض. هل تفهمين هذا؟

«نعم. لعلك محق بشكل من الأشكال. ولكن، أليس أمرًا غير عملي على الإطلاق أن تسير بحذاء يكاد يتفكك؟ ثم إن مظهره ليس حسنًا أبدًا. ألا تبصر هذا؟».

«ماذا تريدين مني أن أفعل؟ ليس لدي أي مال. لقد فضّلت الموسيقى هذه المرة أيضًا».

قالت: «سوف يكون لدي فائض صغير هذا الشهر. تستطيع أن تأخذه لكي تشتري لنفسك حذاء. لكن عليكَ أن تعدني بأن تنفق المال على شراء حذاء، لا على شيء آخر».

أجبتها، «أعدك بهذا. أشكرك كثيرًا».

وهكذا ذهبت من مكتبها في معهد التمريض، فأخذت المال وقصدت المدينة حيث اشتريت حذاء رياضيًا جديدًا، واشتريت أيضًا تسجيلًا لفرقة «نايس برِنس».

وفي عيد الميلاد، كان لدى فريقي لكرة القدم معسكر تدريبي في

سويسرا. بطبيعة الحال، أردت الذهاب معهم. لكن الرحلة كانت مكلفة، فقالت أمي لا: إنها آسفة. تتمنى لو أن الأمر لم يكن كذلك. لكنه كذلك بالفعل. ليس لدينا المال اللازم للسفر.

وقبل أسبوع من تاريخ سفر الفريق، وضعت أمي المال أمامي، على الطاولة.

قالت لي: «آمل ألا يكون الوقت قد فات».

اتصلت بمدرّب الفريق. قال: «لا، لم يفت الأوان. تستطيع الذهاب معنا».

قالت أمي: «رائع!».

وخلال الأيام التي سبقت موعد رحيلنا، أنهيت مقالة عن «برنس»، تأخّرت كثيرًا في إنجازها. كان ألبومه الأخير *«ساين أون تايمز»* متميّزًا جدًا. أردت أن يعرف الجميع هذا.

ثم سافرنا.

ذهبنا بالباص عبر الدانمارك وألمانيا. كنا في مزاج حسن جدًا، وأمضينا الطريق كلّه في شرب بيرة اشتريناها من السوق الحرة. وعندما وصلنا إلى الفندق، نزلت مع بيورن ويوغّه وإكسه، في حين تابع الباص طريقه مجتازًا الحدود إلى شمال إيطاليا حيث كان حضور مباراة هناك جزءًا من برنامج الرحلة. فضّلنا أن نكون في بار، وأن نشرب. كنا في مزاج ممتاز عندما عادوا نحو الساعة العاشرة ليلًا. لقد عادوا مرهَقين بعد رحلتهم، وأرادوا جميعًا أن يذهبوا إلى النوم في وقت مبكر. كانت لي غرفة مشتركة مع بيورن في الطابق الرابع. وكانت غرفة أكثر فخامة من أي غرفة نمت فيها قبل ذلك: أثاث جذاب، ومرايا، وسجادة على الأرض. استلقينا على سريرينا وفي يد كل منا زجاجة بيرة. لم تكد الساعة تتجاوز الحادية عشرة، فلماذا لا نذهب في جولة حتى نلقي نظرة على المدينة؟ كانت الأنظمة تقضي بعدم إحداث ضجة بعد العاشرة ليلًا. وكان مفترضًا أن يكون الجميع قد ناموا في الحادية عشرة؛ لكنهم لم يضعوا حراسًا على الأبواب! انتظرنا برهة لأننا لم

نرد المخاطرة بمصادفة أحد في الممر. وبعد ذلك خرجنا واستوقفنا سيارة تاكسي. غمغمنا قائلين: «وسط المدينة»، ثم سارت بنا السيارة عبر شوارع لا نعرفها. كان ضوء مصابيح الشوارع اللطيف منسكبًا علينا. أوقف السائق السيارة في ساحة، فدفعنا له أجره ونزلنا. سرنا في اتجاه مركز المدينة. لم نلبث أن صادفنا بناية ضخمة، وسمعنا صوت الموسيقى منبعثًا منها. حراس ذوو أجساد ضخمة عند الباب. دخلنا. كانت في البناية بارات وديسكوتيكات وكازينو ضخم، ومنصة كبيرة فوقها نساء متعريات ومن حولها نساء شبه عاريات، جميلات مثلهنّ، تتجولن بين الحضور.

تبادلنا النظرات، أنا وبيورن. ما هذا المكان الرائع؟

تجولنا هنا وهناك، ننظر من حولنا ونشرب. أمضينا وقتًا عند المنصة محدّقين في راقصات التعرّي فاكتشفنا -أثار هذا ذهولنا- أن الفتيات شبه العاريات اللواتي تتجوّلن بين الطاولات كن هن أنفسهن الراقصات على المنصة: لا نكاد ننظر إلى واحدة منهن تصعد لكي تؤدي رقصتها حتى نراها تنزل وتمرّ على مقربة منا. دخلنا إلى صالة ديسكو، وشربنا في عدة بارات، وتجولنا في صالة فيها طاولات الروليت حيث كان الرجال مرتدين بدلات داكنة، والنساء جميعهنّ في فساتين السهرة. ثم انتهى بنا الأمر أمام باب مزدوج واقع في الناحية الأخرى. رأينا من خلف الباب صالة فيها مجموعات من أشخاص واقفين هنا وهناك يتحدثون، في حين تتجول بينهم نادلات في ملابس سوداء وبيضاء حاملات صواني كؤوس النبيذ وأطباق المقبلات. لم نتحدث مع أحد هناك، لكننا لم نتوقّف عن الشرب. غادرنا المكان نحو الساعة الثالثة والنصف صباحًا. وبعد ست ساعات من ذلك، كنا نجري في الملعب نصف نائمين. نمنا ساعتَين قبل جولة التدريب التالية، ثم تناولنا طعام العشاء وشربنا في البار بضع زجاجات بيرة. وبعد ذلك خرجنا باحثين عن سيارة تاكسي لكي نذهب إلى ذلك القصر، حيث ظللنا عائمين في ما يشبه الحلم إلى أن جاء صباح اليوم التالي. بعد ذلك، كان علينا أن نستيقظ ونذهب للتزلج في جبال الألب فكان ذلك أيضًا كأنه حلم: سماء زرقاء

كلها، وشمس ساطعة، وجبال بيضاء ناهضة في الجو أينما نظرنا. وبعد بضع دقائق في التلفريك -زلاجاتنا متدلية من تحتنا- صار كل شيء من حولنا ساكنًا سكونًا تامًا. كان ذلك كأننا عبرنا إلى عالم آخر. لا شيء نسمعه هناك غير همهمة منبعثة من التلفريك على مقربة منا. وأما كل شيء آخر فصار ساكنًا تمامًا، هادئًا تمامًا. امتلأتُ بهجة لأن الصمت كان عميقًا كأنه محيط، وكان فيه شيء جميل أيضًا مثلما يكون الأمر في كل بهجة. الصمت في أعالي الجبال، والجمال يحيط بنا من كل ناحية. سمح لي هذا بأن أرى نفسي، وبأن أصير أكثر إحساسًا بنفسي، لا من حيث تركيبتي النفسية أو الأخلاقية لأن لا علاقة للأمر كله بصفاتي الشخصية، بل من حيث كوني هناك فحسب: هذا الجسد الصاعد صوب الأعلى. إنني هناك الآن. إنني أعيش هذا، وبعدها أموت.

نمت في الباص في طريق عودتنا، ثم استيقظت على صداع في رأسي. شربت في البار بضع زجاجات بيرة. تناولت طعام العشاء، ثم شربت بضع زجاجات أخرى لأن من المقرر أن يذهب الجميع للسهر في الخارج هذه الليلة. هناك ديسكو على مقربة من الفندق. بقينا هناك حتى الواحدة بعد منتصف الليل. رقصت وشربت وتبادلت الأحاديث مع كل شخص رأيته. وفي طريق العودة، تسلّقت أحد السقوف مع بيورن. لم يكن ذلك أي سقف لبيت قديم، بل سقفٌ سويسريٌّ فيه أبراج تزداد ارتفاعًا. شققنا طريقنا، وتسلّقنا، وعرقنا، ثم وقفنا في الأعلى. كنا على ارتفاع نحو ثلاثين مترًا فوق موقف السيارات حيث تجمّع حشد صغير من الناس. ارتعشت سيقاننا عندما رحنا نصرخ في الليل؛ ثم قرفصنا وبدأنا النزول. وقبل وصولنا ببضعة أمتار، اندفع صوبنا رجلان في يد كل منهما مصباح كاشف. نور المصباحين متأرجح في الظلام جيئة وذهابًا. قالا لنا، «شرطة»، ثم توقفا أمامنا. أخرج أحدهما بطاقة الشرطي، وسلّط عليها نور مصباحه. قلت مقهقهًا، لا بدّ أنه كبير المحقّقين ديريك. قفزنا إلى الأسفل. اقترب مدرب كرة القدم منا. كان على إلمام بسيط باللغة الألمانية، فشرح الوضع للشرطيين اللذين

تركانا نمضي في حال سبيلنا، مع أن الشك لم يفارق عيونهما. وفي الطريق المنحدرة صوب الفندق، اقترب منا واحد من اللاعبين في فريق الرجال. قال إنه يعتبرنا شجاعين جدًا، وقال إننا شابان صلبان، ذلك لأننا نخرج كل ليلة ونشرب، ونتسلق ذلك السقف. قال إنه يحترمنا احترامًا حقيقيًا، ويتمنّى لو كان قادرًا على فعل أشياء مثل ذلك؛ لكنه لا يجرؤ لأنه ليس صلبًا مثلنا. قال: لهذا كله، أنا معجب بكما.

هكذا كانت عبارته: «أنا معجب بكما».

بعد أن اختفى الرجل وسط الجماعة السائرة خلفنا، قلت لبيورن إنني لا أصدق هذا. قال بيورن إنه لا يصدقه بدوره. قلت إن الأمر لم يكن سيئًا، لأنه معجب بنا. نظر بيورن إليّ. قال، خراء؛ يأتي رجال الشرطة إلينا ويسلطون نور مصابيحهم على بطاقاتهم. *بوليزي! بوليزي!* ضحكنا. ثم دهشت لأن ذلك الفتى يعرف أننا نخرج كل ليلة ونشرب. هل يعني هذا أن الجميع على علم بذلك؟ ما أهمية هذا، على أية حال؟ أسوأ ما يمكن أن يحدث هو أن نُحرَم من اللعب؛ لكننا نتحدّث عن الموسم الخامس، فقد صارت احتفالات نهاية المدرسة وشيكة جدًا. لذا، لا أهمية للأمر.

عندما عدنا، كانوا مجتمعين في غرفتنا كلهم. لقد أتى بعض أعضاء فريق الرجال بصديقاتهم معهم إلى هذه الرحلة، فكان واحد منهم مع صديقته في الغرفة. رأيت بيورن يحدّث واحدة منهنّ. إنها أماندا التي تخرج مع يوران. كانت في الخامسة والعشرين، تقريبًا. هل يحاول بيورن حقًا أن يجرب حظه معها؟ هنا؟ نعم، إنه يحاول!

وعندما بدأ الناس يغادرون الغرفة، فعل بيورن مثلهم. بقيت وحدي مستلقيًا على سريري فغفوت مرتديًا ملابسي كلّها، لكني استيقظت بعد ساعة واحدة. كان بيورن يهزّني.

قال لي: «أماندا قادمة. ألا تستطيع الذهاب إلى مكان آخر؟ نصف ساعة فقط!».

نهضت واقفًا. لا أزال نصف نائم. قلت له: «لا بأس»، ثم ذهبت إلى النافذة وفتحتها.

«لا أظنك تريد الخروج من النافذة. نحن في الطابق الرابع. أم إنك نسيت هذا؟».

قلت: «لا. لا تقلق عليّ».

تحت النافذة، على امتداد الطابق، كانت هناك حافة حجرية بعرض قدمي تقريبًا. حافة مماثلة على ارتفاع مترَيْن فوق الحافة الأولى. وقفت على الحافة السفلية، وأمسكت الحافة العلوية بقوة، ثم بدأت أتقدم سنتيمترًا بعد سنتيمتر. كان بيورن ينظر إليّ مادًّا رأسه من النافذة.

قال لي: «لا تفعل هذا. عد إلى الغرفة!».

«أنت الآن مع أماندا؛ وأنا هنا. سوف أعود بعد نصف ساعة».

ظلّ ينظر إليّ برهة. ثم أغلق النافذة. نظرت إلى الأسفل. رأيت بركة كبيرة أمام مدخل الفندق، ومن حولها مساحة مكشوفة. بضع سيارات متوقفة عند حواف الساحة. جدار قرميدي عالٍ يفصل محيط الفندق عن الطريق الذي خلفه. ما من أحد هناك. لكن هذا ليس غريبًا لأن الساعة لا بد أن تكون قد بلغت الثالثة صباحًا، على الأقل.

تقدّمت بطيئًا صوب نافذة الغرفة المجاورة. كانت ستائرها مسدلة. لا أستطيع رؤية شيء. عدت أدراجي. توقّفت عند النافذة. انحنيت ونظرت داخل الغرفة. كانا مستلقيين على سرير بيورن، متعانقين يتبادلان القبل. سيقانهما متشابكة. يدا بيورن تنزلقان على فخذَيْها، صاعدتَيْن نازلتَيْن تحت فستانها. انتصبت واقفًا. سرت مبتعدًا بضع خطوات ونظرت إلى الأسفل من جديد. لا يزال المكان خاليًا من الناس. كم مرّ علي من الوقت هنا؟ عشر دقائق؟ تركت إحدى يديّ الحافة الحجرية العليا وتلمّست جيب سترتي باحثة عن السجائر والقداحة. استطعت إخراج سيجارة. فوضعتها في فمي وأشعلتها من غير أن أترنّح مرّة واحدة. وعندما انتهت السيجارة وصارت راقدة على الإسفلت البعيد في الأسفل، متوهجة كأنها عين صغيرة، بدأت

أزحزح قدمَيّ بخطوات صغيرة إلى أن بلغت نافذتنا فدقّقت عليها. ققفز بيورن واقفًا على قدمَيه. استوت أماندا جالسة على السرير. جاء بيورن إلى النافذة، وخرجت أماندا من الغرفة مسرعة. استدار بيورن كأنه يريد الانطلاق خلفها. أو لعل هذا ما بدا لي. لكنه عدل عن ذلك وفتح لي النافذة.

قال لي: «خمس دقائق أخرى! ألم تكن قادرًا على إعطائي خمس دقائق أخرى؟».

قلت: «كيف لي أن أعرف هذا؟ من حيث كنت واقفًا، لم يبدُ لي أنك تحرز تقدّمًا كبيرًا».

«هل كنت تراقبنا؟».

«لا، أبدًا. إنني أمزح. لكني الآن أريد أن أنام. عليك أن تنام أيضًا. إن أردت رأيي. إن بانتظارك يومًا صعبًا مع يوران!».

أطلق بيورن ضحكة ساخرة. قال: «إنه أكثر غرورًا من أن يستطيع تصديق أنها راغبة في أحد غيره».

قلت: «أظنه شابًّا جيدًا».

قال بيورن: «صحيح. هذا رأيي أيضًا. لكن أماندا أكثر من جيدة». قال هذا ضاحكًا. استلقيت على السرير وغرقت في النوم بعد لحظة واحدة من غير أن أعثر على إجابة عن السؤال المحير الذي كان يعذبني قليلًا: ما الذي جعل أماندا راغبة في بيورن؟ ماذا فعل بيورن لكي يستحق هذا؟

توقّف الباص أمام الفندق في آخر ليلة لنا في لوسيرن. ظلّ محرّكه عاملًا. سوف يذهب الجميع إلى المدينة. كانت وجهتنا سرًّا. ثم اتضح أننا ذاهبون إلى الكازينو الذي زرته مع بيورن. راح بقية أعضاء فريق الشباب يتجوّلون في المكان فاغري الأفواه في حين جلست مع بيورن -بلا مبالاة- إلى طاولة أمام منصة راقصات التعري. شربنا نبيذًا أبيض.

قال بيورن: «لقد أخذت اليوم رقم هاتفها. قالت لي أن أتصل بها بعد عودتنا».

قلت: «لا أفهم ما يجعلها تفعل هذا! هل انتهت علاقتها مع يوران؟».

هزّ بيورن رأسه: «لا. لا يزالان معًا. لكن، ألست سعيدًا من أجلي؟».
«أجل. لا بأس بها».
«لا بأس بها! إنها رائعة، رائعة بكل ما في الكلمة من المعنى. هي في الرابعة والعشرين».
أنهينا كأسَيّ النبيذ ومضينا لكي نلقي نظرة في أرجاء المكان. أضعت بيورن بعد لحظات قليلة، فتابعت التجوّل وحدي. وعند باب القاعة الكبيرة، توقفت ونظرت إلى الداخل من غير أن أعرف ما جعلني أفعل ذلك. ماذا يحدث هنا؟ طرحت هذا السؤال على رجل قصير أصلع على عينَيه نظارة. قال إنه مؤتمر. سألته مؤتمر ماذا؟ قال، مؤتمر لعلم الأحياء. قلت، حسنًا؛ شيء جميل! ذهب الرجل فدخلت القاعة. رأيت الناس مجتمعين من حول طاولات صغيرة؛ لكن عددهم أقل كثيرًا مما كان عندما رأيتهم أول مرة في وقت سابق من الأسبوع. وجدت على واحدة من الطاولات بطاقة ملوّنة بالأخضر والأبيض. تناولت البطاقة ونظرت إليها. إنها لوحة اسمية. علقت اللوحة على صدري، وعبرت الباب الكبير. كان الباب يفضي إلى قاعة مؤتمرات: صفوف من المقاعد على شكل نصف دائري، كل واحد منها مرتفع قليلًا عن الصف الذي قبله؛ وفي مواجهة المقاعد منصة لإلقاء الكلمات. رجل يتكلم في الأسفل، خلف المنصة. صور معروضة على شاشة منصوبة خلفه. كان أكثر قليلًا من نصف مقاعد القاعة مشغولًا. تقدّمت بضعة صفوف، ثم دخلت أحدها. وقف الناس لكي أمرّ، مثلما يحدث في السينما. جلست واضعًا ساقًا فوق ساق وركزت انتباهي على ما يقوله المتحدث في الأسفل. قلت لنفسي بصوت منخفض، والآن، ما رأيك في هذا؟ وكم هو ممتع؟ مضت عشرون دقيقة أنفقت الشطر الأكبر منها في النظر إلى الناس الجالسين من حولي، وأيضًا في النظر إلى المتحدّث الذي كان صوته الذي يصرّ في المايكروفون يملأ قاعة المدرج كلّها. ظل صوته معلّقًا في الهواء كأنه فكرة مزعجة في خلفية المشهد كله. نهضت واقفًا وعدت إلى الديسكو. بدا أن أكثر أعضاء فريق الرجال لكرة القدم كان

في الداخل: إنهم ينظرون إلى الراقصات المتعرّيات. دخلت القاعة بدوري وانضممت إليهم. رآني يوغّه فأتى إليَّ مسرعًا.

سألني: «هل أستطيع أن أقترض منك مالاً؟».

«ما المبلغ الذي يلزمك؟ لديّ بعض المال، لكنه ليس كثيرًا».

«أريد ألفًا. هل لديك هذا المبلغ؟».

قلت: «ألف كرون! وماذا ستفعل بألف كرون؟».

«الحقيقة أنني في حاجة إلى ألفَين. ثمن الشامبانيا هنا ألفا كرون».

صحت به: «ألفا كرون من أجل الشامبانيا؟ هل فقدت عقلك؟».

«تكون قادرًا على التحدث مع إحدى النساء هنا إذا اشتريت شرابًا غالي الثمن. وإذا اشتريت لها شامبانيا، تستطيع أن تنام معها».

«أهذا ما تريد فعله؟».

«نعم، بالضبط، هذا ما أريد. فقط لو كان معي ذلك المال. هل لديك مال، أم لا؟».

بدأ ينظر من حوله.

راح يستحثّني: «هيا... أرجوك... إنني في حاجة إلى ألفَي كرون. لم أنم مع امرأة من قبل. أنا الآن في الثامنة عشرة، لكني لم أمارس الجنس أبدًا. أنت مارست الجنس. لكني لا أعرفه بعد. يبلغ ثمنه هنا ألفي كرون. هيا.... من فضلك... أرجوك».

ركع أمامي على ركبتَيه. رفع يديه متوسلًا.

وأسوأ من هذا أنه كان جادًّا في الأمر!

قال لي بصوت شبه باكٍ: «أريد أن أنام مع امرأة. هذا كل ما أريد. وأنا قادر على فعل هذا هنا. لا أبالي إن كانت تلك المرأة عاهرة. إنهن جميلات جمالًا لا يصدّق. كلهنّ جميلات. هيا الآن. فليكن لديكم شيء من الرحمة. هارالد! إكسه! بيورن! كارل أوفه!».

قلت له: «ليس لديّ هذا القدر من المال. لعل معي مبلغ صغير من أجل حديث قصير...».

نهض يوغّه واقفًا على قدميه وقال: «هذا أمر جاد! هذه هي فرصتي. ليس لدينا في كريستيانساند مكان مثل هذا».

قال بيورن: «آسف يا يوغّه. ليتني أستطيع مساعدتك».

قال هارالد: «وأنا مثلك».

قال يوغّه: «بحق الرب... ماذا بكم؟».

قال له بيورن: «عليك أن تجرب الطريقة التقليدية. تحدث مع إحداهن. المكان يغصُّ بالفتيات».

قال يوغّه: «سهلٌ عليك أن تقول هذا».

قال بيورن وهو يجرّ يوغّه معه: «هيا بنا، فلندخل ونرى ما يحدث هناك».

قبل الآن، لم أعش أبدًا نشوة كحولية مثل النشوة التي عرفتها تلك الليلة. كانت كأنها نهر عذب أخضر متدفق في عروقي. صرت قادرًا على فعل كل شيء. كنا واقفين عند البار فلاحظت فتاة في حلبة الرقص. لعلها تكبرني بسنة، أو سنتَين. شعرها طويل أشقر؛ ووجهها جميل، نعم، جميل جمالًا غير معقول. التقت عيوننا لحظة، فلم أتردّد. سرت خطوتَين إلى حلبة الرقص. في تلك اللحظة، تغيرت الموسيقى التي كانت ترقص عليها مع ثلاث فتيات أخريات فابتعدت، ووقفت عند الجدار. تبعتها. توقّفت أمامها وقلت لها إنني رأيتها ترقص: كان رقصها جميلًا جدًا. قلت، كنتِ رائعة! ابتسمت لي وشكرتني. نظرت إليَّ مائلة برأسها قليلًا. سألتها إن كانت أميركية. قالت، نعم. وهل تعيشين في هذه البلدة؟ لا، إنها تعيش في ولاية مين. جاءت من مين مع صديقاتها. ومن أين أنت؟ قلت، أنا من بلد بربري صغير في الشمال. الحقيقة أننا أول جيل يتناول الطعام بالشوكة والسكين. التفتُّ وأومأت برأسي مشيرًا لها إلى أفراد فريقنا الذين كانوا ينظرون إليّ واقفين عند البار. قلت لها، أنا معهم. نحن لاعبو كرة قدم أتينا من أجل معسكر تدريبي هنا. أتحبين أن ترقصي؟

أومأت برأسها.

ممتاز!... تريد أن ترقص!

انزلقنا راقصَين على الحلبة. أحطتها بذراعي. أثار إحساسي بجسدها على جسدي عاصفة كهربائية في رأسي. درنا، ودرنا، ودرنا. أشدّها إلى جسدي أحيانًا. وفي أحيان أخرى، أبعدها عني قليلًا لكي أنظر في عينَيها. همست لها، ما اسمك؟ سمعت همستها، ميلودي. كرّرت من خلفها، ميلودي؟ لا، ميلاني! قالت هذا مع ابتسامة.

انتهت الأغنية فشكرتها وعدت إلى زملائي الذي كانوا لا يزالون واقفين عند البار.

قال لي بيورن: «كيف عرفت أن تفعل هذا؟».

«ذهبت إليها وسألتها إن كانت تريد الرقص. لم أكن أظن أبدًا أن الأمر سهل هكذا. شيء جنوني».

«عد إليها، لا يجوز أن تظل هنا».

«حسنًا. لكني سأتناول رشفة شراب قبل ذلك. ما هذا الحظ اللعين؟ هذه ليلتنا الأخيرة هنا!».

كان متوقّعًا أن يصل الباص وينتظرنا في الخارج نحو الساعة الثالثة. الساعة الآن الثانية والنصف، لا أستطيع أن أضيّع الوقت. بصرف النظر عن هذا، بقيت مترددًا، مع أنني لا أزال قادرًا على الإحساس بها، على الإحساس بشيء كأنه فرحة شبحية. ثدياها، أوه، ثدياها، وإحساسي بهما على جسدي. الضغط الخفيف، والانتصاب، كان ذلك كله في داخلي. إذا ذهبت إليها الآن، فسوف يختفي ويحلّ محله شيء جديد قد لا يكون رائعًا هكذا. تجرّعت كأسَي نبيذ في تعاقب سريع، ثم عدت إليها. أضاءت عيناها عندما ظهرت أمامها. تريد أن ترقص. رقصنا. وبعد ذلك، وقفنا نتحدّث في الزاوية. كان الآخرون قد بدأوا يتجهون صوب باب الخروج. قلت لها إن عليَّ أن أذهب. أرادت أن تخرج معي. أمسكت يدها وسرنا إلى الخارج. صرنا على مرمى حجر من الباص الذي كان ينتظر. صوت محركه مسموع. سألتها، أين تقيمين؟ ذكرت لي اسم فندق. قلت لها، لا، ليس هنا. بل في

أميركا، في مين. سوف أكتب لك. هل تحبين أن أكتب لك؟ قالت، نعم. ثم ذكرت لي عنوانها. لم يكن معي شيء أكتب عليه عنوانها. هل معك ورقة؟ لا. أتتني صيحات من الباص، هيا، أسرع، سوف ننطلق الآن. قلت لها، سوف أتذكّر عنوانك. قوليه من جديد. قالت لي العنوان، فكرّرته مرتَين. قلت، سوف تصلك مني رسالة. أومأت برأسها ونظرت إليَّ. ملت إليها وقبلتها. أحطتها بذراعي وشددتها إليّ. قلت لها، لا بد لي من الذهاب الآن. قالت، أجمل التمنيات لك في بلدك البربري. قالت هذا مبتسمة. توقّفت لحظة عند باب الباص، ولوحت لها بيدي، ثم صعدت إليه.

صفّق لي الجميع. انحنيت يمينًا، ثم انحنيت شمالًا. جلست إلى جوار بيورن. كنت ثملًا، سعيدًا، حائرًا. لوّحت لها عندما تحرك الباص.

قلت: «ما أسوأ حظي لأن هذا لم يحدث منذ الليلة الأولى!».

«هل أخذت عنوانها؟».

«نعم، لقد حفظته غيبًا. إنها تعيش في...».

ويلاه!... نسيت العنوان! صرت عاجزًا عن تذكره، مهما فعلت.

قال لي بيورن: «ألم تكتب عنوانها؟».

«لا. اعتمدت على ذاكرتي».

ضحك بيورن وقال: «يا لك من أبله!».

واصلنا الشرب في غرفتنا. كسر بيورن مصباحًا من غير أن يقصد. استدار حاملًا بيده زجاجة فاصطدمت بالمصباح. تناثر المصباح حطامًا. شخص آخر لست أذكر من يكون حطم المصباح الآخر. كان ما فعله مقصودًا، من باب التشاقي. وبعد ذلك، نهضت وانتزعت اللوحة الكبيرة المعلّقة على الجدار، اللوحة التي كان منظرها لا يفتأ يزعجني منذ أول الأسبوع، ورميتها من النافذة. انفجر زجاجها على الإسفلت في الأسفل وتناثر حطامًا. خمسة طوابق، في الشارع. أنير ضوء الغرفة التي تحتنا. قال بيورن، خراء، ما الغاية من هذا؟ قلت: «لا مشكلة. نستطيع أن نأخذ واحدة من اللوحات التي في الممر ونعلقها هنا. لن يلاحظوا شيئًا». وماذا عن اللوحة المحطمة في

الأسفل؟ قلت: «سوف أتدبّر أمرها». ثم فعلت ما قلته. ذهبت إلى المصعد، ونزلت إلى الطابق الأول. سرت مجتازًا مكتب الاستقبال الخالي، وخرجت إلى الساحة حيث جمعت الشظايا التي عثرت عليها ووضعتها كلها في البركة التي في وسطها نافورة. وضعتها أسفل حافة البركة مباشرة بحيث لا يستطيع أحد رؤيتها إلا إذا كان واقفًا فوقها مباشرة. وفي طريق عودتي، أخذت واحدة من اللوحات المعلّقة في الممر. لا بد أن الحادثة قد جعلت زملائي يعودون إلى رشدهم لأنني دخلت الغرفة فلم أجد أحدًا فيها غير بيورن. كان مستلقيًا على ظهره، فاتحًا فمه، مغلقًا عينَيه. اندسست في فراشي، ثم أطفأت النور.

لم يكن لدينا في اليوم الذي أعقب ذلك غير أن نحزم أمتعتنا ونتناول طعام الإفطار ونستعد للرحيل. خرج مدير الفندق عندما كنا نضع حقائبنا في الباص. أراد أن يعرف من كان مقيمًا في الغرفة رقم 504. بيورن وأنا. ذهبنا إليه. كان ذلك الرجل ذو القامة القصيرة غاضبًا أشد الغضب، فراح يعلو ويهبط أمامنا وهو يكلّمنا. صاح بنا، لا يجوز أن يقيم شخصان مثلكما في أي فندق. عليكما أن تدفعا ثمن هذا! كان الوضع مزعجًا كلّه. اعتذرنا منه، وقلنا إننا لم نقصد سوءًا. قلنا إننا سندفع ما يترتب علينا. بل أظننا انحنينا له أيضًا. كان الآخرون واقفين من حولنا، مبتسمين ابتسامات كبيرة. أتى إلينا يان، مدرّب الفريق. قال إنه سيعالج الأمر، وإن الفندق سيتلقّى تعويضًا كافيًا لقاء أية أضرار تسببنا بها. قال إنه في غاية الأسف: إنهما شابان صغيران، ومن الممكن أن يحدث أي شيء. انحنينا للرجل من جديد وصعدنا إلى الباص. صاح بنا مرة أخرى قائلًا إن أشخاصًا مثلنا لا يجوز أن يقيموا في أي فندق. أخرج يان محفظة نقوده وناوله حزمة أوراق مالية.

تحرّك الباص. قفز يان إليه. خرج الباص إلى الطريق بسرعة منخفضة، في حين ظل مدير الفندق محملقًا بنا. كان الكره باديًا في عينَيه.

عدت سريعًا إلى ذاتي الأولى بعد أن صرت في البيت؛ أو لعلها عادت إليّ! وفي المدرسة، حاولت البقاء في الظلال في حين كان تركيز المعلمين منصبًّا على الامتحانات: أتسكّع أثناء الاستراحات؛ وأملأ دفاتري أثناء الدروس برسوم وخربشات كثيرة. لقد كانت رحلتنا إلى سويسرا كأنها موكب انتصارات. آمل أن تكون احتفالات «روس» -احتفالات خريجي المدرسة- رائعة مثلها. وفي البيت، كتبت ورقة العلوم الاجتماعية الخاصة بنهاية المدرسة في ليلة واحدة؛ كانت دراسة مكوّنة من عشرين صفحة، فيها مقارنة بين الثورة الروسية والثورة الساندينية في نيكاراغوا، التي بقيت عدة سنين أتابعها بكل اهتمام. كتبت أيضًا رسالة لذلك الفندق في سويسرا أطلب فيها منهم عنوان إحدى النزيلات -إن كان هذا في مقدورهم- لأن لديَّ محفظة نقود أريد إعادتها. تخصّ المحفظة فتاة أميركية اسمها ميلاني، لكني لا أعرف اسم عائلتها. نزلت هذه الفتاة لديكم في فترة عيد الفصح.

أقمت حفلة في بيتنا أواخر شهر نيسان. ولمّا كنت محرّر «صحيفة الخريجين» -مهمة أقوم بها مع هيلدِه- فمن الطبيعي أن أكون عضوًا في «لجنة الخريجين»، لأن الأمر يكون هكذا على الدوام. لكننا استُبعدنا لسبب أجهله. ربما كان استبعادنا لأن تلك المهمة غير مناسبة لأي منا، أو لأننا لم نقبل هذَيْن المنصبَيْن بالقدر اللازم من التظاهر باللامبالاة. لست أدري! بصرف النظر عن السبب، فقد دعوت أعضاء اللجنة جميعًا إلى بيتي، مساء يوم سبت، ومعهم أشخاص آخرون كثيرون. ستنام أمي عند واحدة من صديقاتها ولن تعود قبل عصر اليوم التالي. لهذا، أبلغت المدعوين جميعًا بأن أحدًا منهم لا يجوز أن يصل قبل الساعة السادسة مهما تكن الأسباب. لكن سيارة رحلات حمراء -واحدة من السيارات التي يستخدمها خريجو المدرسة الثانوية- أتت صاعدة في الطريق إلى بيتنا. كان في السيارة كريستيان ومعه فتاتان. قال إنه أتى لإيصال البيرة. قلت، لكني قلت لكم أن تأتوا في السادسة. قال، صحيح، لكننا هنا الآن، فأين أستطيع أن أضع البيرة؟

بعد عشر دقائق من ذلك، صار في المطبخ كَدس كبير من علب البيرة. كاد ذلك الكدس يبلغ السقف. من الإنصاف القول إن سقف مطبخنا كان منخفضًا. لكن أمي التي لم يكد كريستيان يلقي عليها التحية، لم تكن مسرورة بذلك المنظر أبدًا. ما هذا؟ سألتني بعد ذهابهم. هل ستشربون هذا كلّه؟ لا أظنك تريد إقامة حفلة سكر ماجنة في البيت! أنا لا أسمح بهذا. قلت لها، هوّني عليك! هذه حفلة خريجين! لقد بلغ الجميع الثامنة عشرة. سيكون في الحفلة قدر غير قليل من الشرب. لكني مسؤول عن كل شيء. أعدك بهذا. سيكون كل شيء على ما يرام. نظرت إليَّ نظرة فاحصة وقالت: هل أنت واثق من هذا؟ إن هنا بيرة كافية لمئة شخص. قل لي، كم صندوقًا هنا؟ أجبتها، صحيح، لكن عليك ألا تقلقي. يشرب الناس كثيرًا في حفلات الخريجين. قالت أمي: أوليس هذا كل ما يهمكم؟ قلت، ليس كل ما يهمنا، لكنه يظل عنصرًا مهمًا. أعرف أن الفكرة لا تعجبك. وأنا آسف لأن البيرة هنا. لكني أعدك بأن كل شيء سيكون على ما يرام. قالت، لو عرفت أن الأمر هكذا لما وافقت. عدني الآن بأنك لن تفرط في الشراب. تعرف أنك مسؤول عن كل ما يحدث. قلت لها، نعم، صحيح.

جلسنا، أمي وأنا، إلى جانب برج عبوات البيرة الصفراء، وتناولنا عشاء مبكرًا. ثم صعدت أمي إلى سيارتها وانطلقت إلى المدينة. شغّلتُ تسجيلًا، وفتحت زجاجة بيرة، ثم استلقيت على الأريكة منتظرًا وصول الآخرين.

لم تمض إلا ساعات معدودة حتى غصّت المساحة أمام بيتنا بسيارات الخريجين. في كل مكان، فتيات زاعقات وفتيان في ملابس الخريجين الحمراء. زجاجات البيرة في أيديهم. الموسيقى الصاخبة منطلقة من سيارات كثيرة؛ وكذلك صوت جهاز الستيريو في غرفة الجلوس كان مرتفعًا إلى حدّ جعل الموسيقى المنبعثة من مكبرات الصوت مشوّهة. زاد عدد من أتوا ثلاثة أضعاف عدد المدعوين، بل لعله زاد أربعة أضعاف!

قرابة الواحدة بعد منتصف الليل، بدا أن كل شيء قد قارب الأوج. صرخ

كريستيان وركل باب الحمام فأحدث فيه ثقبًا كبيرًا. كان تروند جالسًا في المطبخ يرافق إيقاع الموسيقى بضربات من سكينين كبيرتين يوقعها على حافة الطاولة، فتحفر كل ضربة ثلمًا جديدًا. أشخاص يكادون يتقيأون عند عتبة غرفة المعيشة؛ وأشخاص يكادون يتقيأون بين السيارات المتوقّفة في المساحة المرصوفة بالحصى؛ وأشخاص يكادون يتقيأون في سرير إنغفه. ومن خلف أجمة الليلك، كان بعضهم يمارسون الجنس واقفين؛ وآخرون يتقافزون على إيقاع الموسيقى صاعدين نازلين وتزمجر أصواتهم بأقصى ما تستطيع. أشخاص واقفون فوق السيارات. كان واحد منهم عاريًا يلوح بكنزته فوق رأسه. ومع أنني عقدت العزم على ألا ألقي بالًا إلى شيء (نجحت في هذا عندما سكرت)، فقد ظل الذعر مقيمًا في داخلي، وكان يطفو إلى سطح وعيي من حين إلى حين... لا، أوه، لا، هكذا كنت أقول في نفسي عندها، لكني لا ألبث أن أهدأ وأنسى الأمر عندما أنغمس في شيء أو آخر من الأشياء الجارية من حولي.

بدأ تباطؤ الإيقاع عند الساعة الثالثة فجرًا. واصل بعضهم الرقص؛ وكان أزواج آخرون جالسين يتبادلون المداعبات والقبل؛ وغرق البعض في النوم مستلقين على الطاولة أو متكومين في الزوايا، أو منطرحين على الأرض في الخارج، تحت الأجمات. جلست على الأريكة أمام التلفزيون وبدأت أقبّل فتاة لا أعرفها. لا أظننا تبادلنا أية كلمة قبل ذلك. كانت جالسة هناك فجلست إلى جانبها، وبدأتِ القبل. كانت داكنة الشعر، كل ما فيها داكن، حتى ملابسها. كانت الشخص الوحيد الذي لم يرتد ملابس حمراء. جاءت مرتدية كنزة سوداء وتنورة سوداء وجوارب سوداء. ألست راغبة في الذهاب معي إلى تلك الغرفة هناك؟ همست لها بهذا فأومأت برأسها. كنت قد شربت كثيرًا فظننت أن هذا سيجعل الأمر مختلفًا لأنني لم أعد مباليًا بأي شيء أبداً، ولم أعد متوترًا إزاء أي شيء. أخرجت مفاتيحي وفتحت باب غرفتي. أحطتها بذراعي فنزعتْ عنها حقيبة اليد الصغيرة المعلّقة قطريًا على صدرها. استلقت على السرير، على سريري - تردّد صدى هذه

الفكرة في دماغي -فخلعت عنها كنزتها من فوق رأسها وقبلت حلمتَيها الداكنتَين، ومرّغت وجهي بهما متمهلاً، مستمتعًا. ها نحن هنا، هكذا قلت لنفسي. لدي الآن فتاة هنا، وسوف نفعلها الآن. كانت ساقاي مرتعشتَين عندما انتصبت جالسًا وخلعت عنها جواربها وسروالها التحتي. تركتني أفعل هذا. خلعت بنطلوني. هكذا هو الأمر... بلغنا هذه النقطة... نحن عاريان، وجلدها أبيض لامع وسط الألوان الداكنة. دسست يدي بين ساقَيها وتحسست الشعر الملتفّ الذي لا يزال ناعمًا. كنت عاريًا. تلوّيت فوقها قليلاً فقالت إنني ثقيل عليها. استندت على ذراعي فصار قضيبي في شعر عانتها. دفعت به فقالت، أسفل قليلًا. تحركت مثلما قالت فصار في المكان الصحيح: مكان رطب، ناعم، ثم... لا، لا!... آه، لا، لا!

سرت في جسدي ارتعاشات طويلة كأنها صدمات كهربائية. كانت مستلقية هناك، عيناها مفتوحتان على اتساعهما، تنظران إليّ.

لا، لا، لا!

بل إنني لم أخترقها. ربما بضعة سنتيمترات، لا أكثر. ثم غدا الأمر منتهيًا. تهاويت فوقها، وقبلت رقبتها. دفعتني بعيدًا عنها ونهضت نصف نهوض. مددت يدي إليها، ومسست ثدييها، لكنها نهضت واقفة ورفعت سروالها التحتي، ثم جواربها، واندفعت خارجة من الغرفة.

استيقظت صباحًا على صوت مناقشة جارية خارج باب غرفتي نصف المفتوح. عرفت أصوات إسبن وتروند والفتاة التي كانت معي في الليلة الماضية. كانت تقول، لا، لم تكن أنا! بلى. كنت أنتِ. لقد رأيتكِ. رأيتك تدخلين غرفة نومه. قالت، لا، لم أكن أنا! لكنا رأيناك. نعم، لقد دخلت الغرفة معه. أجابتهم: كان يريد أن ينام. لكني خرجت بعد ذلك، خرجت على الفور. لم يحدث شيء بيننا. قال إسبن: ها ها ها! كنتما تتضاجعان هناك. قالت الفتاة: لا، لم نفعل ذلك. وأين كنت ذاهبة الآن؟ ألم تكوني داخلة إلى غرفته؟ لماذا تدخلين الغرفة إن لم تكوني قد ضاجعته؟ أنت على

معرفة به، أليس هذا صحيحًا؟ لا، كنت ذاهبة لكي أجلب شيئًا نسيته هناك. وما هذا الشيء؟ إنها حقيبة يدي.

نهضت مسرعًا، وارتديت البنطلون وال- تي-شيرت. حملت حقيبة يدها وخرجت إليهم.

ناولتها الحقيبة وقلت: «ها هي حقيبتك. لقد نسيتِها هنا».

قالت من غير أن تنظر في عيني: «شكرًا لك»، ثم نزلت إلى الطابق السفلي.

قال إسبن: «يا لهذه الفوضى التي عمّت البيت!».

قلت: «أستطيع تخيل هذا».

«سوف أساعدك في إعادة الأمر إلى وضعه الطبيعي».

«عظيم».

قال: «سوف أحضر غيزله وتروند لكي يساعدانا». نظر إليّ... «إذًا، هل ضاجعت بياتِه؟».

قلت: «أهذا هو اسمها؟ نعم، ضاجعتها».

«تقول إنك لم تفعل ذلك».

قلت: «سمعتها تقول هذا».

سألني: «فلماذا أنكرت هذا عندما سألناها؟».

قلت: «كيف لي أن أعرف؟».

تلاقت عيوننا. قلت له: «لا بأس. من الأفضل أن ننزل ونتفقّد الجحيم الذي في الأسفل».

لم يكن ممكنًا فعل أي شيء لإصلاح باب الحمام. لا بد من استبداله. ولم يكن ممكنًا فعل شيء لإصلاح الشقوق التي أصابت الطاولة. لكن، ماذا عن بقية الأضرار؟ ألا نستطيع تنظيف المكان؟ أنفقنا الصباح كله في تنظيف البيت وترتيبه. انصرف إسبن وغيزله وتروند إلى بيوتهم في الساعة الواحدة، لكني تابعت العمل وحدي وقد ركبني ذعر أقام في صدري راح

يتزايد ويتزايد؛ فمهما نظّفت ورتبت، ظل المكان يبدو كأن حفلة عاتية قد «ضربته».

أتت أمي في الخامسة. خرجت للقائها حتى لا يكون الأمر صدمة لها قبل أن أخبرها.

قلت: «مرحبًا».

قالت: «مرحبًا. كيف جرت الأمور؟».

قلت: «أخشى أنها لم تسر سيرًا حسنًا تمامًا».

قالت لي: «أوه!؟ ماذا حدث؟».

«خرج الأمر عن السيطرة، بعض الشيء. رفس أحدهم باب الحمام... وأشياء أخرى. هناك أيضًا أضرار هنا وهناك. من الأفضل أن تري ذلك بنفسك. أنا آسف جدًا».

نظرت أمي إليَّ. قالت لي: «كان لدي إحساس يقول لي إن هذا ما سيحدث. من الأفضل أن ندخل ونرى».

انتهت أمي من تفقد الأضرار فجلست إلى طاولة المطبخ. دعكت وجهها بيدَيها، ثم رفعت رأسها ناظرة إليّ. قالت لي: «هذا مخيف!».

أجبتها: «صحيح».

قالت: «ماذا نفعل بباب الحمام؟ لا نستطيع دفع ثمن باب جديد».

«هل أنت في ضائقة مالية؟».

«يؤسفني أنني كذلك. هل تعرف من رفس الباب؟».

«شخص اسمه كريستيان. فتى أحمق».

«ألا تظنه قادرًا على استبداله؟».

«أستطيع أن أطلب منه استبداله».

«إذًا، اطلب منه هذا».

نهضت واقفة، ثم تنهدت. قالت لي: «أظن أن من الأفضل أن نأكل. أتذكّر أن في البراد شرائح سمك البولوك. فهل نأكلها؟».

«لا بأس».

خرجت إلى الممر، وعلّقت معطفها. أخرجت لفافتي شرائح الأسماك. بدأت أمي غسل بضع حبات من البطاطس في حين قطّعت الكتل المتجمّدة إلى شرائح.

قالت: «لقد تكلمنا في هذا الأمر من قبل».

قلت: «نعم».

«عليك أن تتخذ قراراتك بنفسك. وإذا كانت قرارات سيئة، فعليك أن تتحمل نتائجها».

قلت: «بالطبع، هذا صحيح».

نثرت في الطبق دقيقًا وملحًا وفلفلًا، ثم غمست في المزيج شرائح السمك التي صارت الآن طرية. وضعت المقلاة على الموقد، ووقفت أنظر إلى كتلة الزبدة تنزلق على سطح المقلاة الأسود عندما بدأت الحرارة تغزوها. فاجأني أن هذا يشبه ما يصيب بيتًا عندما تبدأ الأرض الصلصالية القائم عليها انزلاقها. يتحرّك بطيئًا، ويظل منتصبًا محتفظًا بكرامته حتى اللحظة الأخيرة، إلى أن يستسلم.

قالت أمي: «تلَفُ سنة كاملة في ليلة واحدة؛ بل لعله تلف أكثر من سنة واحدة».

قلت: «البيت مبني منذ سنة 1880. سنة واحدة ليست زمنًا طويلًا».

تجاهلتني أمي.

قالت لي: «أنت الآن في الثامنة عشرة. ولم أعد قادرة على أن أُملي عليك ما ينبغي فعله وما لا يجوز فعله. لكنك تستطيع أن تخبرني عندما تجد نفسك في حاجة إلى عون مني».

«لا بأس، سأفعل هذا».

قالت: «كنت أستطيع محاولة منعك؛ لكن لماذا أفعل هذا؟ أنت الآن راشد، وعليك أن تتحمل مسؤولية أفعالك. أنا أثق بك. أنت حرّ في فعل ما تريد فعله. لكن عليك أيضًا أن تثق بي. بكلمات أخرى، عاملني مثلما

تعامل أي شخص راشد. الأمر المشترك بيننا هو هذا البيت. نحن نتحمل مسؤوليته معًا».

عصرتْ في يدها بضع قطرات من عبوة الصابون السائل، ثم دعكت كفَّيها معًا تحت ماء الصنبور الجاري. جففتهما بمنشفة المطبخ.

قلت لها: «أرى أنك تغسلين يدَيْك مني».

ابتسمت شفتاها، لكنها كانت ابتسامة لا بهجة فيها.

«هذا أمر جاد، يا كارل أوفه. أنا قلقة عليك».

قلت: «لا شيء يدعوك إلى القلق. ما حدث هنا... حسنًا... لقد كانت حفلة خريجين، لا أكثر ولا أقل».

لم تجبني بشيء. وضعتُ شرائح السمك في المقلاة الحارة، ثم قطّعت البصل إلى مكعبات صغيرة ووضعته فوقها. سكبت أيضًا علبة طماطم، ونثرت التوابل، ثم جلست حاملًا صحيفة يوم السبت فقلّبت الصفحات حتى وصلت إلى مقالتي عن برِنس. لقد سلمتهم المقالة منذ أسابيع كثيرة، لكنها لم تظهر مطبوعة إلا الآنَ. رفعت الصحيفة لكي تراها. قلت لها: «هل قرأت هذه المقالة؟».

ذهبت يوم الاثنين إلى كريستيان وقلت له إن باب الحمام المحطم غير قابل للإصلاح. قال، أوه، نعم! قلت له: أنت رفسته. قال، صحيح، أنا رفسته. قلت، أظن أن عليك أن تصلحه. قال، لا. قلت، ماذا تعني بقولك لا؟ أجابني، أعني ما قلته. لقد قلت لا. كانت الحفلة حفلتك أنت! قلت: لكنك أنت من حطم الباب. قال: صحيح. قلت: إذًا، ألن تستبدله؟ قال: لا. ثم استدار وذهب.

عندما عدت من المدرسة إلى البيت وجدت في صندوق البريد رسالة عليها طابع أجنبي. فتحت الرسالة فورًا وقرأتها سائرًا في الممر الصاعد إلى البيت. كانت رسالة من مدير «غراند هوتيل» في لوسيرن. كتب قائلًا إن الغرف كلها -للأسف- كانت مسجلة وفق أسماء عائلات شاغليها. بالتالي، هو غير قادر على مساعدتي في الحصول على عنوان ميلاني. لكني أستطيع

أن أحاول سؤال شركتَيّ السفر المعنيتَين. وقد أضاف عنوانَيّ الشركتَين: واحدة في فيلادلفيا، وأخرى في لوغانو.

أعدت الرسالة إلى مغلّفها، ثم دخلت البيت. ذهبت أدراج الرياح خطة مواصلة كتابة الرسائل إليها سنة كاملة، ثم الذهاب في زيارة مفاجئة مع كل ما يشتمل عليه ذلك من احتمالات مثيرة... في أميركا، هناك يرقد مستقبلي في انتظاري.

أمضيت بقية ذلك الربيع ثملًا طيلة الوقت تقريبًا. أول ما أفعله عندما أستيقظ في «سيارة روس»، أو على أريكة في بيت واحد من أصدقائي أو على مقعد في الحديقة كان البحث عن شيء أشربه والمتابعة من حيث توقّفت. ما كنت أجد شيئًا أفضل من بدء اليوم بشرب البيرة والتجول ثملًا في الصباح. ما أجملها من حياة! أذهب هنا وهناك وفي كل مكان. أتناول شرابًا، وأنام حيثما سنحت لي فرصة؛ وقد آكل شيئًا ثم أتابع السكر. كان ذلك رائعًا. أحببت أن أكون ثملًا. صرت أكثر قربًا من الشخص الذي كنته حقًا، وصارت لديّ الجرأة على فعل ما أردت فعله حقًا. ما من حدودٌ تحدّني. ولم أكن أذهب إلى البيت إلا لكي أستحم أو أغيّر ملابسي. وذات مرة، عندما كنت أجلس في غرفة المعيشة وأمامي ست علب من بيرة كارلزبرغ كنت أشربها منتظرًا وصول «سيارة روس» لكي تأخذني، انفجرت أمي غاضبة على غير انتظار. لقد تحمّلتني كثيرًا جدًا، لكن الكَيْل قد فاض الآن. فاض عندما رأتني هكذا، جالسًا في غرفة المعيشة أشرب وحدي. قالت إنها لن تقبل بهذا بعد الآن. الخيار لي: إما أن أكفَّ عن الشرب، أو أن أجد لنفسي مكانًا آخر أعيش فيه. كان هذا خيارًا واضحًا. نهضت واقفًا، وحملت علب البيرة، وودعتها. خرجت وسرت في الشارع. جلست على قارعة الطريق. أشعلت سيجارة وفتحت علبة بيرة، وانتظرت السيارة. إن كانت لا تريدني في هذا البيت، لا بأس، لن أعيش في هذا البيت بعد الآن.

قال إسبن عندما أوقف سيارته أمامي: «لماذا أنت جالس هنا؟».

قلت: «لقد طُردت من البيت. الواقع أن هذا أمر لا أهمية له».

صعدت إلى السيارة. وفي طريقنا إلى المدينة، شربنا كل ما كان لدينا. توقّفنا عند سوبر ماركت واشترينا صناديق بيرة أخرى، ثم سرنا في اتجاه فاغسبايغد حيث كان مقررًا أن نلتقي تلك الليلة: سهل معشب عند البحر فوقه غابة عتيقة من أشجار حولية. جلسنا هناك، وتابعنا الشرب، فاختفيت داخل ذاتي وسرت متجوّلًا من غير أن تكون في رأسي أية فكرة عن أي شيء. كان ذلك رائعًا كما هو دائمًا. التفاهات بين الأشخاص التي عادة ما أجد نفسي عالقًا فيها لم تعد تعني لي شيئًا لأنني صرت حرًا طليقًا. كان كل شيء باردًا، صافيًا، كالزجاج. سألت عن غيير هيلغِه، ذلك الشاب النحيل الاجتماعي، صاحب النظارة، الذي يتكلم بلهجة منطقة ماندال. كان يدخن الحشيش؛ وكان الجميع على علم بهذا. والآن، أردت أن أفعل مثله. كنت أفكر في الأمر منذ زمن بعيد. كان تدخين الحشيش وصمة: إذا فعلت ذلك، فأنت تصير شخصًا خارج الجماعة ولا تعود شخصًا محترمًا. تصير في طريق التحوّل إلى شخص مدمن. على أية حال، هكذا كان الأمر في كريستيانساند. لكن فكرة أن هذا هو بداية الطريق التي ستقودني إلى حياة المدمنين كانت فكرة مغرية إلى حدّ كبير جدًا... فكرة تجعل حياتي ممتلئة غاية ومعنى. أن أكون مدمنًا، وأن أعيش من أجل المخدرات فقط، وأن أنبذ كل ما عداها... في نظري، كان هذا أسوأ شيء على الإطلاق. لقد هجر المدمنون الإنسانية وصاروا كأنهم شياطين. كان هذا مفزعًا، مفزعًا، بل أسوأ من ذلك، كان جحيمًا. كنت أضحك ممن يضاهون بين الحشيش والهيروين لأن هذه بروباغاندا فقط، ولا شيء أكثر من هذا. في نظري، كان تدخين الحشيش سعيًا من أجل الحرية. لكن، ومع أن الحشيش لا ضرر منه أبدًا، فهو واقع ضمن فئة المخدرات الضارة نفسها. وإذا كان تدخين الحشيش يجعلني شخصًا مدمنًا على المخدرات... فما أكبر هذه الفكرة، وكم هي سارة!

وددت أن أسرق وأشرب وأدخن الحشيش وأجرّب المخدرات الأخرى -الكوكايين والأمفيتامينات والمسكالين- لكي أفقد عقلي وأعيش حياة

عظيمة صاخبة إلى أقصى حد، لكي أحسّ حتى آخر قطرة من دمي أنني غير مبالٍ بأي شيء على الإطلاق. أوه، كم كان هذا مغريًا! ولكنْ، ثمة جزء آخر في داخلي أراد أن أكون طالبًا ذكيًا، ابنًا بارًّا، شخصًا صالحًا. ليتني كنت قادرًا على تحطيم ذلك الجزء وجعله هباء منثورًا!

كان هذا محاولة لفعل ذلك. فكرة تدخين الحشيش، فكرة أنني قادر على فعل ذلك، وأنني قادر على أن أصير مدمنًا، إن توفّرت لدي في يوم من الأيام الجرأة اللازمة لهذا. كانت المسألة مسألة الإقدام على الفعل، القيام بالخطوة، وكان هذا يجعل كل ما في داخلي يتفجّر فرحة وإثارة عندما سرت صاعدًا الطريق تحت الأشجار المورقة إلى حيث كان غيير هيلغِه. سألته إن كان لديه ما أدخنه، وقلت له إنني لم أفعلها من قبل، وإن عليه أن يريني كيف أدخن الحشيش. سرّه أن يستجيب لي. وبعد انتهائنا من التدخين، سرت نازلًا المنحدر بخطوات بطيئة، وذهبت إلى الجمع الذي في الأسفل. أول الأمر، لم ألحظ أي شيء خاص... لعلي كنت ثملًا أكثر مما ينبغي. لقد قال لي غيير هيلغِه شيئًا عن هذا، قال إن أثر الحشيش لا يظهر دائمًا عند تدخينه أول مرة ولا يظهر دائمًا إذا كان المرء قد شرب كثيرًا. لكني صعدت إلى السيارة -كانت خالية- فحدث لي أمر غريب. حركت كتفي فكان ذلك كأن المفصل مزيّت تزييتًا جيدًا. الواقع أنني أحسست بجسمي كلّه ممتلئ زيتًا. حركة صغيرة، صغيرة جدًا، لأي جزء من جسمي كانت كافية لكي تملأني مسرّة حسّية. جلست هناك، أحرك إصبعًا، وأرفع كتفًا، وأهز ردفًا، فتدافعت في جسدي موجات متتالية من أحاسيس جميلة.

مدّ إسبن رأسه داخل السيارة.

قال لي: «ماذا تفعل هنا؟ هل أنت مريض؟».

فتحت عينَيّ وانتصبت جالسًا. كانت حركتي شديدة فاجتاحتني موجة سرور جديدة.

قلت: «أنا بخير. إنني أمضي هنا وقتًا رائعًا إلى أقصى حدّ. لكني أريد أن أظل وحدي. سأخرج من السيارة بعد قليل».

لكني لم أخرج لأنني نمت. وفي الأيام التي أعقبت ذلك، دخنت الحشيش إلى أقصى حد استطعته، وشربت إلى أقصى حد استطعته. وفي الليالي الأخيرة قبل «يوم الاستقلال» في السابع عشر من أيار، كنت ثملاً جدًا، مخدّرًا جدًا، فلم أدرِ أين نمت. وعندما استيقظت في ذلك الصباح، وجدت نفسي في واحدة من سيارات الخريجين. كانت السيارة متوقفة في ساحة من الساحات. وفي الخارج، كانت الشوارع غاصة بالناس. تذكّرت على نحوٍ غير واضح أننا كنا في تريسّه، وأننا كنا في لحظة من اللحظات جالسين تحت مظلة من القماش المشمع على زورق صيد راسٍ عند العوامات؛ وكان معنا رجل صامت لا يتحرّك. تذكّرت أيضًا أن إسبن بدأ يجري بعد ذلك وجرّني، مع سيّور، بعيدًا عن ذلك الرجل. قال لنا إنه ميت. لكننا وقفنا على مقربة من القارب ونظرنا إليه فكان خاليًا. كان إسبن يجري هنا وهناك قانطًا قنوطًا شديدًا. ثم لا أتذكّر شيئًا بعد ذلك. ما مقدار ما كان باقيًا في ذاكرتي من تلك الليلة الطويلة؟ لعله عشر دقائق!

وذات مرة، صادفنا شخصًا متشرّدًا. كان جالسًا على مقعد في الحديقة. وقفنا من حوله وبدأنا نتحدّث. قال لنا إنه أبحر مع ليف لارسن أثناء الحرب. كانا يهرّبان اللاجئين والجواسيس بين النرويج وجزر شيتلاندز. منذ تلك اللحظة، بدأت أدعوه «خراء شيتلاندز». صرت أضحك وأكرر ذلك كلما استطعت. أنت، يا خراء شيتلاندز! وبعد حين، ذهبت إلى خلف مقعده لكي أبوّل، ثم بلت عليه، على ظهره كله. ثم تابعنا التجول طيلة الليل، نمكث حينًا هنا، ونمكث حينًا هناك. كنا نجد دائمًا من لديه بيرة أو زجاجة كحول. كنت أضحك وأرقص وأشرب وأقبّل أية فتاة أصادفها. كنت قادرًا على الذهاب إلى أية فتاة من فتيات صفنا والقول لها إنها لا تفارق ذهني، وإنني كنت أسترق نظرات سريعة إليها. كان هذا كذبًا، لكنها حيلة ناجحة لأن كل شيء ينفتح أمامي. صار كل شيء مفتوحًا أمامي.

ذُعرت عندما استيقظت في السيارة صبيحة يوم السابع عشر من أيار فرأيت نفسي محاطًا من كل ناحية ببشر يرتدون ملابس احتفالية. لكن حتى

ذلك الذعر لم يكن مهمًا: ليس عليّ إلا أن أشرب زجاجتي بيرة فيزول عني رعبي كله. سننطلق ونبيع مزيدًا من نسخ «صحيفة الخريجين» حتى يصير معنا مال من أجل مزيد من البيرة. وعند انتصاف الليل، كنت حرًّا إلى أقصى حدود الحرية بعد أيام كثيرة من الشرب، فجريت في الشوارع وصرخت، وتكلمت مع أشخاص غرباء مازحت بعضهم وضايقت بعضهم. كنت سعيدًا، لكني كنت مرهقًا أشد الإرهاق. كنت أجري عبر مواكب الناس، أجري جيئة وذهابًا، والشوارع مزدحمة بشرًا، على الجانبَيْن، وقد ارتدوا أجمل ملابسهم: بدلات وأزياء وطنية وأعلام نرويجية في كل مكان. وعلى غير انتظار، سمعت من يناديني باسمي.

إنهما جدتي وجدي.

توقّفت أمامهما، وعلت وجهي ابتسامة. كان ابن غونار معهما. لا يفاجئني أن أكون أول سكران يراه هذا الطفل. نظر جدّي وجدتي إليّ بعيون باردة، متجمّدة، لكن هذا لم يهمني في شيء: ضحكت وتابعت سيري. بقي يومان قبل الامتحانات؛ ولست أدري كيف لهذَيْن اليومين أن ينتهيا. سوف تقام الحفلة النهائية في «المركز الترفيهي». كان المناخ العام في تراجع، مهما حاولت مقاومة هذا. ذهبت آخر الليل إلى بيت باسن بسيارة تاكسي مع شخصَيْن آخرَين. لم نجده في بيته، كان البيت خاليًا. أسندنا إلى الجدار سلمًا وصعدنا إلى الطابق الأول حيث كانت واحدة من نوافذه مفتوحة قليلًا. صرنا في الداخل فجلسنا على سجادة غرفة المعيشة ودخَّنا الحشيش من علب كوكا كولا ثقبناها. جاء باسن صباح اليوم التالي فغضب منا غضبًا شديدًا. كان هذا أمرًا طبيعيًا جدًا، لكن غضبه لم يبلغ به حدّ منعنا من النوم هناك ساعتَين. إلا أننا بتنا جميعًا مدركين أن وقت المرح واللهو قد انتهى. استيقظت فوجدت أنني لا أزال ثملًا. لكن، لم يعد لديَّ أي متسع للشرب الصباحي حتى أصحو من سكرة ليلة أمس. وعندما كنت عائدًا إلى البيت بالباص، بدأت أغوص داخل نفسي، أعمق فأعمق. كان هذا فظيعًا. كان كل شيء فظيعًا! لم تتطرق أمي إلى ذكر طردها لي من البيت.

ولم نتبادل إلا كلامًا قليلًا جدًا. استلقيت في حوض الاستحمام فطفت على سطح الماء طبقة من الأوساخ. كنت مرهقًا فبكّرت في الذهاب إلى النوم. كان امتحان اللغة النرويجية في اليوم التالي، لكني لم أستطع النوم. كانت يداي مرتعشتَين، لكن الارتعاش لم يكن مقتصرًا عليهما: فتيل المصباح الكهربائي يتأرجح جيئة وذهابًا، كأنه أفعى، كلما نظرت إليه. أرض الغرفة تميد بي، والجدران تميل. كنت أتعرّق وأتقلب وأتلوّى. رأسي ممتلئة صورًا غريبة. كان هذا مخيفًا، كانت ليلة جحيمية. لكن الصباح أتى، فنهضت من سريري، وارتديت ملابسي، وذهبت بالباص إلى المدرسة. كنت غير قادر على التركيز. كلما مضت عشرون دقيقة، أشير إلى المراقب لكي يصحبني إلى المرحاض حيث أغسل وجهي بالماء.

من بين الأشياء التي فعلتها كلها، الأشياء التي كانت تعود إليَّ فتسكُن هواجسي خلال تلك الأيام، كان التقائي جدي وجدتي أسوأ شيء على الإطلاق. لكني واثق من أنهما كانا غير قادرين على استنتاج أنني شربت كثيرًا جدًا. هذا ما ظننته. وأنا واثق أيضًا من أنهما غير قادرين على معرفة أن الأمر لم يكن مقتصرًا على الشرب فقط، أي أنني دخنت الحشيش. كنت واثقًا من هذا. لا، لن يعرفا بالأمر. كتبت في دفتر يومياتي يوم الأول من حزيران في تلك السنة أن شهور التخرج التي أمضيتها، شهور الاحتفال بانتهاء المدرسة، كانت أسعد مرحلة في حياتي. لقد استخدمت هذه الكلمات: أسعد مرحلة في حياتي.

لماذا كتبت هذا؟

أوه... لقد كنت سعيدًا جدًا. ضحكت، وكنت حرًا، وكنت صديق الجميع.

تركت البيت في آخر شهر حزيران. أخذتني أمي بالسيارة إلى شقة في المستشفى حيث عملت هناك شهر واحدًا. كنت في علاقة مع لينِه، وكنت أشرب النبيذ في الأماسي وفي عطلات نهاية الأسبوع، وأدخن الحشيش

كلما وقعت يدي على شيء منه. رفض إسبن ذلك رفضًا قاطعًا وقال إنه قذارة. ظل مصرًا على قصة الرجل الذي وجده ميتًا في الليلة التي سبقت يوم السابع عشر من أيار. ظل يقول إنها قصة صحيحة. اتصل عصر ذات يوم وقال إن هناك مقالة في الصحيفة تتحدث عن رجل ميت اكتشفوه عائمًا في الميناء.

قال إسبن: «إنه هو!».

لم أدر إن كان يعني ما قاله حقًا، أو أن الأمر كان محاولة للاستمرار بتلك النكتة أطول مدة ممكنة. قال إن لديه ذكرى غامضة -كأنها حلم- عن إقدامه على إلقاء جثة ذلك الرجل من الزورق. سألته، ولماذا تفعل هذا؟ أجابني، كنت ثملًا! لم يرَ ذلك الرجل الميت أحد غيرك. أنت تتخيل الأمر. قال لي: لا، إنها الحقيقة، فماذا عن الرجل الذي كان جالسًا في القارب معنا؟ ألا تتذكّره؟ أجل: أتذكره. هل رأيته وقتها؟ قلت: نعم. قال: لقد كان ميتًا! سألته: ماذا بك، يا إسبن؟ إن كان ميتًا فلماذا ألقيت به من الزورق ثم جريت لكي تأتي بنا؟ قال: لست أدري!

حفلَ الشهر بحوادث كثيرة لم أكن واثقًا إن حدثت حقًا أم لم تحدث. رافق هذا إحساسي بأن كل شيء ممكن، وبأن ما من حدود أبدًا، فجعلتني الفترات الطويلة التي بتّ عاجزًا عن تذكر أي شيء مما حدث فيها أصير عاجزًا عن العثور على نفسي. كان ذلك كأنني اختفيت. من ناحية، أعجبني هذا الأمر؛ ومن ناحية أخرى، لم يعجبني. روتين العمل في المستشفى -حيث كان أكثر مسؤولياتي منحصرًا في إعداد طاولات الطعام أوقات الوجبات ثم إخلائها، وكذلك مدّ يد العون في أي شيء ذي طبيعة عملية- ساهم في تحييد هذا الإحساس، لكنه لم يفلح في محوه لأنني ظللت أخرج في الأمسيات وأشرب مع الأشخاص الذين ألتقيهم. كان الوقت صيفًا، وكنت أعثر دائمًا على أشخاص أعرفهم. لم يسمحوا لنا بالدخول إلى مطعم كييلرن ذات مساء، فصعدت مع بيورن إلى سطح بناية خلف المطعم، ثم جرينا عابرين أعالي السطوح، ووجدنا نافذة علوية فانسللنا منها ونزلنا إلى

المطعم حيث وجدناه خاويًا تمامًا. لا بد أننا أنفقنا في تلك المناورة ساعة كاملة. صعدنا بضع طوابق، ودخلنا شقة فاستيقظ شخص فيها وصاح بنا. قلنا إننا أخطأنا الباب. ذهبنا وسط نوبات ضحك لا تهدأ إلى ساحة في مركز المدينة اسمها ساحة تريسّه حيث كانت هناك شقة يملكها والد بيورن نستطيع النوم فيها. وفي الصباح، اتصلت بالمستشفى وقلت لهم إنني كنت مريضًا. أظنّهم لم يصدقوا قولي. لكن، ماذا بإمكاتهم أن يفعلوا؟

تلك الليلة، شربت مع فنّي يعمل في محطة الإذاعة اسمه بول. أخذنا بول بالسيارة إلى حفلة موسيقية كبيرة في أوسلو. وفي طريق العودة، في ظلام الليل عند «تيليمارك»، في وقت بلغَت فيه الحرارة عشرين درجة تحت الصفر، انزلقت بنا السيارة وخرجت عن الطريق بسرعة مئة كيلومتر في الساعة فاصطدم جانبها بعمود النور وطارت في الهواء، ثم حطّت في خندق. قلت في نفسي إننا سنموت؛ لكن الفكرة لم تقلقني أبدًا. لم نَمُت. انتهى أمر السيارة، لكنا كنا في أحسن حال. كانت تلك قصة عظيمة نستطيع أن نقصّها على الآخرين؛ وكذلك ما جرى بعدها، البيت القديم الذي طرقنا بابه، والبندقية المعلّقة على جدار الممر، والإحساس بأننا في عالم آخر، عالم أكثر سوءًا من عالمنا، والبرد الذي لا يصدَّق في الخارج عندما ظللنا أكثر من ساعتَين نحاول استيقاف السيارات العابرة ونحن في أحذيتنا الرياضية وستراتنا الخفيفة. جلسنا في مطعم كييليرن نتحدّث عما جرى. كنت مع بول وصديقته. كانت رائعة. لعلها في الثالثة والعشرين، أو في الرابعة والعشرين. بقيت زمنًا طويلًا ألقي صوبها نظرات خفيّة. وعندما اقترحت أن نأخذ سيارة تاكسي ونعود إلى شقتها لتدخين الحشيش، قلت نعم... بالطبع. دخّنا الحشيش. عندما أدخن الحشيش، أصير شهوانيًا إلى حدّ عجيب، كذلك أصير أحيانًا. كنت جالسًا على الأريكة إلى جانبها عندما داهمتني شهوانيتي. أحطتها بذراعي فضحكت وتملّصت من بينهما، قائلة إنها تحب بول. ثم وضعت يدها بين ساقيّ وضحكت بأشدّ من ذي قبل. قالت لي، لقد كبرت! وفي المطعم، ظلّت صامتة معظم الوقت. شاهد بول ما جرى فابتسم لنا. كان يثق بها؛ وكان محقًا في ذلك.

ذهبت إلى العمل في اليوم التالي فلم يقولوا شيئًا. لكني لاحظت الأمر. لم أكن ذلك الشخص الذي يمكن أن يهتموا باستبقائه مهما فعلت لكي أسترضيهم. كنت متعاقدًا معهم لمدّة شهر واحد. وعندما انتهى الشهر، عدت إلى بيتنا الذي لم يعد ملكًا لنا لأن أمي باعته. أمضينا اليومَيْن التاليَيْن في حزم أمتعتنا ووضع كل شيء في صناديق. ثم أتت سيارة نقل كبيرة أخذت كل شيء.

إلا شيئًا واحدًا! إنه القط. ماذا نفعل بالقط؟

ميفيستو.

كانت أمي غير قادرة على إيواء القط في مسكنها الجديد. وبكل تأكيد، كنت غير قادر على أخذه معي إلى شمال النرويج. لا بد لنا من التخلّص منه.

كان يتمسح بسيقاننا. فتحت أمي علبة من عجينة الكبد ووضعتها في القفص الذي نحمله به. جرى القط داخلًا فأغلقت أمي عليه الباب. وضعت الحقيبة على مقعد السيارة وذهبت إلى العيادة البيطرية في المدينة.

استلقيت بعد ظهر ذلك اليوم على الصخور الواقعة تحت الشلال، وسبحت. وعند عودتي، رأيت سيارة أمي في المرأب. كانت جالسة في المطبخ تشرب القهوة. نهضَت واقفة عندما دخلت. مرّت بي من غير أن تقول أية كلمة. كانت عيناها مسبلتَين إلى الأرض.

سألتها: «إذًا، هل صار ميفيستو ميتًا الآن؟».

لم تجبني أمي. اكتفت بأن التفتت صوبي التفاتة سريعة، ثم فتحت الباب وخرجت. كانت عيناها مغرورقتَيْن.

هذه أول مرّة أرى أمي تبكي.

بعد ثمانية أيام كنت متكوّرًا في وضعية جنينية على أريكة في هافيورد. نمت بعد أن أفرغت في المرحاض كل ما كان في معدتي. رائع جدًا! كان نومي خفيفًا، وكان هدير محرك سيارة في مكان قريب كافيًا لأن يجعلني أفتح عينَيّ. لكني كنت من غير شيء أفعله، ومن غير أية واجبات. أستطيع الاستلقاء في السرير والنوم طيلة السبت وطيلة الأحد. دهر بأسره يفصلني

عن يوم الاثنين القادم. قلت هذا لنفسي وأنا مستلقٍ في مكاني والنوم يتسلّل إليّ من جديد.

رُن جرس الباب.

ذهبت إلى الباب ففاجأتني خفة جسدي. كان الطارق ستورِه.

قال لي: «حان وقت تدريبات كرة القدم. إنها بعد ربع ساعة. هل نسيت الأمر؟ أم إنك مهزوز كثيرًا بعد ليلة أمس؟».

قلت مبتسمًا: «أنا مشوش قليلًا، لكني لست مهزوزًا».

مررت بأصابعي على شعري.

«لم أُحضر معي حذاء رياضيًا. أردت شراء حذاء، لكني نسيت. لذا، أظنني غير قادر على اللعب اليوم».

كانت ذراع ستورِه خلف ظهره فمدّها صوبي. زوجا أحذية رياضية متدليان من يده.

قال لي: «خمسة وأربعون، أم ستة وأربعون؟».

قلت: «خمسة وأربعون». أخذت الزوج منه.

«إذًا، هل نلتقي هناك؟».

«نعم، أراك هناك».

لم ألعب كرة القدم منذ شهرَين. وقد بدا لي غريبًا أن أجري في الملعب من جديد، في هذا الملعب خاصة لأن موقعه غريب جدًا: ملعب محصور تحت منحدرات جبلية خضراء لامعة، والبحر أمامه مباشرة. كان هذا نقيض كل ما هو مرتبط بكرة القدم في ذهني. لم تفلح في تحسين الوضع حقيقة أن الفريق الذي ألعب معه مكوّن كلّه من الصيادين. كان اثنان منهم لاعبين جيدين، خاصة واحد اسمه آرنفين يشبه لاعب خط الوسط الإنكليزي الذي كنا نشاهده في التلفزيون بعد ظهر أيام السبت في السبعينيات: لاعب نصف رأسه أصلع ونصفه الآخر ذو شعر أحمر. كان قصير القامة نسبيًا، ممتلئًا، له كرش؛ ولم يكن سريعًا جدًا، لكنه كان قادرًا على التحكم بالأمور من حوله لحظة تلقيه الكرة، سواء أكان يناور بها أو يمررها تمريرة جانبية، أو يتقدّم

بها صوب المرمى من غير حتى أن يرفع رأسه وكأنه ليس في حاجة إلى رؤية أي شيء. كان قادرًا على الإحساس بكل ما هو من حوله. اصطدم بي عدة مرات، فكان ذلك كأنني اصطدمت بشجرة. كان لاعبًا ماهرًا. كان هدّافهم ماهرًا أيضًا: شاب طويل نحيل ذو سرعة فاجأتني. وكذلك حارس المرمى، هيوغو، كان جيدًا أيضًا. وأما الآخرون فكانوا مثلي، بل لعلهم أسوأ مني قليلًا باستثناء نيلز إيريك الذي أستبعد أن يكون قد لعب كرة القدم من قبل. كان يستعد للعب بأن يؤدي تمرينات ثني الركبتَين التي لا أظن أن أحدًا ظل يؤديها بعد الخمسينيات.

مضينا بعد انتهاء اللعبة إلى غرف تبديل الملابس، عند بركة السباحة اغتسلنا، ثم جلسنا في الساونا. كان الجميع بيضًا كالثلج، إلا أنا ونيلز إيريك. كان لأكثرهم نَمَش على الكتفين، وعلى الظهر. وكان على أجساد عدد منهم شعر كثير. عندما راحوا يتجولون في المكان، عراة مختالين، ويمازح بعضهم بعضًا، كان لديّ انطباع بأنهم منتمون إلى عرق آخر. لا يزال جسدي مسمرًّا بعد شمس الصيف عدا بقعة بيضاء تحت سروال السباحة. لم تكن على ذراعي أو صدري أو كتفي أية شعرة، بل زغب خفيف لا يكاد يُرى. كان ظهري مستقيمًا مثل عمود، لا عريضًا ولا منتفخًا مثل ظهورهم. هذا إذا لم أقل شيئًا عن عضلات ذراعيَّ اللتَين كانتا نحيلتَين مثل عسلوجَين، في حين كانت أذرعهم ثخينة كأنها جذوع أشجار. وأما صدري فكان مسطحًا تمامًا كأنه لوح... لا يشبه أبدًا تلك البراميل المتجوّلة من حولي. لا أريد القول إن أجسادهم كانت رائعة المظهر، فهي لم تكن كذلك: إن لدى كثيرين منهم طيّات و«عجلات احتياطية». لم يكن لأحدهم صدر منقسم إلى نصفَين حسنَي التكوين نتيجة تمرين العضلات. ولم تكن عضلات بطن أي منهم مفصّلة تفصيلًا... هذا عالمٌ غير عالمهم! كان واضحًا لي أنهم يحترمون القوة. لذا، لم يكن يهمهم أبدًا تدلّي البطن من فوق الحزام ولا ظهور طيّات الرقبة فوق ياقة القميص.

جلسنا على المقاعد الثلاثة في غرفة الساونا. كان أحدهم قد فتح

بضع زجاجات بيرة. ناولني هيوغو -حارس المرمى- واحدة من تلك الزجاجات، وسألني إن كنت أريدها.

قلت: «الحقيقة أن لدي عملًا هذه الليلة. ولكن، لا ضرر من شرب زجاجة واحدة».

قال: «جيد»، وناولني الزجاجة.

تدفّق الزبد من فوهتها. كان زجاجها أخضر اللون، باردًا.

قال لي، «كانت ليلة الأمس مرحة!».

قلت، «صحيح، كانت ليلة جيدة».

قال: «لقد كنت مهتمًا بإيرينه، أليس هذا صحيحًا؟».

ابتسمت ولم أقل شيئًا.

«لقد رأيناكما! أمر رهيب. أسبوع واحد في شمال النرويج كان كافيًا لأن تصير لكارل أوفه صديقة!».

قال شخص آخر: «يأتي إلينا ويأخذ نساءنا! ابق في الجنوب، أيها الوغد الجنوبي!».

ضحكوا. ضحكت معهم.

قال هيوغو ناظرًا إلى نيلز إيريك: «لكن بينوكيو العجوز هنا لا يريد شيئًا غير الرقص».

بينوكيو! لقد كان يشبه بينوكيو فعلًا.

قال نيلز إيريك: «صحيح. أحب الرقص حقًا. كنت أرقص كثيرًا في أكاديمية هورتن للرقص».

نظروا إليه وابتسموا ابتسامات متشكّكة. لم أستطع منع نفسي من الضحك. دخل ستورهِ في تلك اللحظة. ضرب واحدًا من اللاعبين بمنشفته حتى يفسح له مكانًا. كان نحيلًا ليست له بنية الآخرين الجسدية القوية؛ لكنه لم يكن رجلًا ضئيلًا. كانت له عضلات أيضًا. فوق هذا، كانت له لحية، وصلعة، وكان واثقًا من نفسه. كان لدي من قبل بعض القلق من أنه -باعتباره

معلّمًا- لن يستطيع أن يكون ندًا لهم. لكني رأيت بعد ثوانٍ معدودة أن الأمر ليس هكذا.

استدار إليّ وقال: «لدينا مباراة مساء الثلاثاء. سوف تشارك فيها، أليس كذلك؟».

أومأت برأسي.

«سوف تلعب في موقع وسط خط الدفاع».

كررت من بعده: «وسط خط الدفاع».

«نعم، هذا ما قلته».

غمز لي بعينه، ثم أشاح بوجهه عني. أنهيت زجاجة البيرة، وتجشّأت. ثم نهضت ودخلت الدوش. تبعني نيلز إيريك ووقف إلى جانبي.

كان قضيبه كبيرًا متدليًا يتأرجح ويصطدم بفخذَيه.

لماذا يكون لشخص ذي وجنتَين حمراوَين، لشخص يحب السير مسافات طويلة في الغابة، قضيب كبير هكذا؟ سألت نفسي هذا السؤال. ماذا يستفيد منه؟

قلت له: «هل تؤدي تمرينات رياضية في الخارج، أم ماذا؟».

«تمرينات؟ لا».

قلت: «هكذا ظننت عندما رأيتك تنفّذ تمرينات الإحماء».

ضحك وأدى في الدوش تمرين ثني الركبة بضع مرات.

قال لي: «أهذا ما تعنيه؟».

قلت: «تمامًا. لا تُعلّم صفي هذا التمرين في دروس الرياضة. أقول لك هذا حتى تكون على بيّنة من الأمر. سوف يدمّر ثقتهم بأنفسهم».

دخل الدوش اثنان آخران، أو ثلاثة، وفتحوا الماء. وبعد ثوانٍ، صار هواء المكان مشبعًا بخارًا من جديد.

قال هيوغو: «هل أنت آتٍ إلى بيتي بعد أن ننتهي؟ سوف يأتي عدد من الشباب للشرب».

قلت: «أود هذا، لكني لا أستطيع».

قال نيلز إيريك: «ولا أنا. كثيرٌ عليّ أن أشرب ليلتَين متتاليتَين».

قال هيوغو: «يا لكما من ضعيفَين!».

كانت عبارته واخزة، فأنا لا أريد أن أكون ضعيفًا: أستطيع مجاراته في الشرب إلى أن يسقط تحت الطاولة. أستطيع فعل هذا في أي يوم من أيام الأسبوع. لكني غير قادر على الذهاب معهم هذه الليلة. ينبغي أن أكتب.

ودّعت نيلز إيريك عند مفترق الطرق، ثم سرت نازلًا إلى شقتي. ألقيت بالحقيبة على أرض الصالة، ثم توقفت عند المرآة، ومرّرت أصابعي في شعري لكي أجعله ينتصب. تشممت الهواء مرة أو مرتَين: ما هذه الرائحة؟ عطر؟ هل كان أحد هنا؟

وجدت على طاولة غرفة الجلوس ورقة مطوية. كنت واثقًا من أنني لم أترك تلك الورقة على الطاولة.

فتحت الورقة، إنها من إيرينه.

مرحبًا، يا كارل أوفه،

أتيتك مع هيلدِه في زيارة أردنا أن تكون مفاجأة كبيرة. لكنك كنت تلعب كرة القدم، فجلسنا هنا وأخذنا راحتنا. ألقينا نظرة على تسجيلاتك كلها. عجبًا... يا لها من مجموعة! رأينا الآن أنك حصلت على مجموعة جديدة لم تكن موجودة عندما زرناك آخر مرة. هذا جيد.

أنت تبدو لي شخصًا لا بأس به. آمل أن أعرفك معرفة أفضل. لقد اشتقت إليك؛ وكنت في انتظار رؤيتك من جديد. لكن، لا بد من انتظار المرة القادمة لأن علينا أن نذهب الآن.

قبلات لك من إيرينِه

هل أتت الفتاتان وجلستا هنا؟ نعم. لا بد أن هذا ما حدث.

ثم ذهبتا بعد ذلك؟

فتحتُ الباب وخطوت إلى الخارج باحثًا عنهما، فلعل خروجهما كان قبل وصولي مباشرة.

لا؛ لا أحد. لا شيء غير صوت البحر، والسماء الرمادية المتسعة، وشخصان صغيران جدًا سائران في الطريق أسفل التلة.

دخلت البيت من جديد. سلقت عبوة سباغيتي كاملة، ثم قليت حبات البطاطس القديمة التي كانت عندي في البراد. سرعان ما صرت في غرفة الجلوس وأمامي طبق يتصاعد البخار منه، طبق فيه جبل من السباغيتي والبطاطس التي صار لونها بنيًا. أضفت كمية كبيرة من الكاتشب، ثم التهمت كل ما في الطبق. رائع! أعددت لنفسي قهوة، ووضعت في المسجلة أول ألبوم لفرقة «ليد زيبلين». رفعت الصوت إلى أقصاه تقريبًا، ثم بدأت أسير في الغرفة جيئة وذهابًا أشد قبضتيّ يديّ وأهزّ رأسي. الآن، سوف أريهم! وعندما صرت مفعمًا غضبًا وأدرينالينًا، جلست وبدأت أضرب على الآلة الكاتبة.

كانت القصة القصيرة التي كتبتها تقوم على حلم رأيته ذلك الصيف. كنت أؤدّي تمرينات رياضية داخل شيء يشبه شبكة ممتدة من غير نهاية في كل اتجاه، ممتدة في الظلمة. كانت شبكة زلقة، لكنها قوية، كثيفة الخيوط، كأنها جيب عملاق. ثم اتضح لي أن الشبكة موجودة في دماغي. بكلمات أخرى، كنت قد قلبت العلاقة رأسًا على عقب: أفكاري غير موجودة في داخلي، بل أنا الموجود داخل أفكاري. كان الحلم شديد الوقع، لكني كتبته على الورق فتبدد وصار لا شيء. جعّدت الورقة ورميتها، ثم أعدت الشريط إلى بدايته وبدأت أكتب من جديد. هذه المرة أيضًا، كانت القصة قائمة على حلم. وبدورها، كان ما وقفت عليه ممتدًا في الظلمة من كل اتجاه. إلا أن نيرانًا كثيرة تخللت هذه الظلمة، عكس الحلم الأول. أسير فتتقد من حولي نيران بعد نيران. إلى يميني جبل، وأمامي بحر. كان هذا كل ما رأيته. ولم يحدث شيء. كانت من حولي هذه العناصر فقط؛ وقد كتبت كل ما كان في حلمي.

أوه، خراء! هذا أيضًا غير جيد!

تلك النيران في الظلمة كلها، والجبل الشامخ، والسهل الواسع... كان هذا رائعًا!

وأما على الورق، فقد صار لا شيء!

انتقلت إلى الأريكة وبدأت أكتب في دفتر مذكراتي. كتبت: «عليَّ أن أعمل على نقل تلك الحياة النفسية من الداخل إلى الخارج. لكن كيف؟ من الأسهل أن أصف أفعال الناس، لكن هذا غير كافٍ. لا أظنه كافيًا. وأما من ناحية أخرى، فقد استطاع هيمنغواي فعله». رفعت رأسي ونظرت عبر النافذة إلى الجبال المتعالية فوق الفيورد، «لكني سعيد هنا على أية حال. من كان يستطيع توقّع هذا؟ ثم إنني التقيت فتاة هنا. فتاة جميلة جدًا. أظن أن الحظ مبتسم لي. ما أحسن هذا!».

في ساعة مبكرة من تلك الأمسية، انفتح باب الشقة التي فوقي. كان وقع الخطوات السائرة على أرض الشقة في الأعلى أثقل وأكثر صلابة من صوت خطوات توريل. تذكّرت قولها إن زوجها آتٍ اليوم إلى البيت. الآن، تغيّرت الحياة في الغرف الواقعة فوقي تغيّرًا كليًا. كانا يضحكان، والموسيقى صادحة؛ وعندما ذهبت إلى فراشي، كانا يتضاجعان فوق رأسي.

أوه، استمر ذلك زمنًا طويلًا جدًا.

سمعتها تصرخ؛ وسمعته يئن. جسم يصطدم بجسم في إيقاع منتظم، أو لعله صوت اصطدام السرير بالجدار.

غطيت رأسي بالوسادة وحاولت التفكير في شيء آخر.

لكن هذا لم ينجح. كيف يمكن أن ينجح؟ أعرف من هي، وأعرف شكلها.

هدأ كل شيء. نمت.

ثم... اللعنة عليّ إن لم يكونا قد عاودا الكرّة من جديد.

ذهبت إلى الأريكة، واستلقيت عليها. كنت كأن ظلًا قد سقط فوقي. الترقب الذي أحسسته عندما فكرت في أن أمرًا قد يحدث بيني وبين إيرينِه تهاوى الآن كله، كأن سردابًا في منجم عتيق انهدم فوقي.

أنا غير قادر على فعل ذلك.

كنت في التاسعة عشرة؛ وكنت معلمًا. لديّ شقّة خاصة بي، ومجموعة ضخمة من تسجيلات تناسب سني، مجموعة من أفضل الأغاني. كنت حسن المظهر، ومن الممكن أحيانًا أن يظنني الناس أحد أفراد فرقة موسيقية، إذا ارتديت معطفي ومعه بنطلون الجينز الأسود وحذاء كرة السلة والقبعة السوداء. لكن، ما نفع هذا كله إن كنت غير قادر على فعل الشيء الوحيد الذي أنا راغب حقًا في فعله؟

انتهيا أخيرًا. وللمرة الثانية، غفوت على الأريكة كأنني طفل، وضِعتُ في العالم.

أمضيت اليوم التالي كله في الكتابة. بدأت العمل مصغيًا إلى أغنيات فرقة «ليد زيبلين» شادًا قبضتيّ؛ ثم جلست أكتب أربع ساعات من غير استراحة. عدت إلى أسلوب القصة القصيرة الأولى. وهذه المرة، كان في القصة ولدان يحطمان نافذة سقيفة في التجمّع السكني حيث يعيشان، ويسرقان مجلات إباحية. سارت الكتابة سيرًا حسنًا، لكني لم أستطع الاهتداء إلى كيفية إنهائها. واحد من الولدَين غير قادر على العودة إلى بيته حيث ينتظره أبوه غاضبًا. لا بد من حدوث أمر آخر. فما هو؟

ذهبت إلى المدرسة وقت المساء. لا تزال تعاودني نوبات من وخز الضمير عندما أكون هناك وحيدًا. أحس كأنني متطفل، لكني لم أكن كذلك، قلت هذا لنفسي، وألقيت حزمة المفاتيح الكبيرة على طاولة غرفة المعلّمين فقعقعت على سطحها الصلب. فتحت باب حجرة الهاتف الصغيرة وطلبت رقم أمي.

أجابت فورًا.

قلت لها: «كيف تسير الأحوال؟».

قالت: «على أحسن وجه. الحقيقة أنني كنت أفكر في الكتابة إليك هذا المساء».

«هل قرأت قصّتي القصيرة؟».

«قرأتها. أشكرك لأنك أرسلتها».

«إذًا، ما رأيك فيها؟».

«أظنها قصة جيدة جدًا. لقد فاجأتْني. قلت في نفسي، يا إلهي... هذا أدب!».

«هل هذا صحيح؟».

«نعم. أنت تحكي قصة فيها شخصيتان رائعتان. ثم إن الكتابة ضاجّة بالحياة. أحسست عندما قرأتها أنني موجودة هناك».

«هل كان فيها أي شيء أعجبك أكثر من غيره؟».

«أممم، لا، في الحقيقة لا. أظن أن كل ما فيها جيد».

«ماذا عن نهايتها؟».

«هل تعني ذلك الجزء الذي كان فيه الولد مع أبيه؟».

«نعم».

«هذا هو جوهر القصة كلها، أليس كذلك؟».

«إنه جوهرها، صحيح».

فترة صمت.

«وما رأي كيارتان؟ هل سمعت منه شيئًا؟ الحقيقة أنني أرسلت إليه تلك القصة».

«لا. من عادتي أن أكلّمه يوم السبت. سوف أتصل به بعد انتهاء مكالمتنا».

«سلّمي عليه منى طرفي».

«سأفعل هذا. كيف حالك أنت؟».

«ممتاز. ذهبت البارحة إلى تدريب كرة القدم. وغدًا أعود إلى العمل».

«هل هو عمل شاق؟».

صفرْتُ صفرة خفيفة، وقلت: «لا. الحقيقة أنه سهل جدًا. صدقًا لا أفهم ما يوجب على المعلمين الذهاب إلى الكليّة ثلاث سنين. لعل الأمر مختلف عندما تكون الصفوف كبيرة العدد. وأما هنا، ففي كل صف خمسة تلاميذ، أو ستة».

قالت أمي: «هل أنت واثق تمام الثقة؟».

«واثق من أي شيء؟».
«من أن التعليم سهل جدًا».
ابتسمتُ وقلت: «من عادتك أن تكوني كثيرة الشكوك. لكن، لا... بالطبع، هناك مشكلات أيضًا».
«هل صرت على معرفة ببعض الناس؟».
«نعم، عدد من المعلمين. منهم خاصة شخص اسمه نيلز إيريك. الناس هنا منفتحون انفتاحًا يصعب تصديقه. من الممكن أن يأتوا ويدقوا بابك في أي وقت».
«أوه؟».
«أنواع مختلفة من الأشخاص. بل حتى التلاميذ يفعلون هذا».
«يبدو لي أنك تمضي وقتًا جيدًا هناك».
«صحيح، هذا ما قلته لك».
تحدّثنا بعد ذلك نصف ساعة، ثم أنهيت المكالمة وجلست على الأريكة لمتابعة الأخبار في التلفزيون. لقد خسر فريق «آي كي ستارت» من جديد. بدأت الأمور تسوء بالنسبة إليهم. إذا لم يتحسّن أداؤهم، فسوف يسقطون إلى الدرجة الثانية.
بعد يومَيْن من ذلك، أتى ريتشارد إلى صفّي وأشار إليَّ.
قال لي: «هناك مكالمة هاتفية لك. سوف أتولى صفك أثناء غيابك».
مكالمة هاتفية؟
ذهبت إلى غرفة المعلمين مسرعًا. حملت السماعة التي كانت راقدة إلى جانب الهاتف.
قلت: «ألو؟».
«مرحبًا، أنا إيرينِه».
«مرحبًا».
«هل أنت في العمل؟».
«نعم».

«هل قرأت رسالتي؟».

«نعم. أستطيع القول إنها فاجأتني قليلًا».

«تلك هي الفكرة! اسمع، يا كارل أوفه... هل تحب أن تراني؟ هناك شخص ذاهب إلى هافيورد يوم الجمعة. من الممكن أن يوصلني».

«نعم. سيكون هذا عظيمًا».

«إذًا، سوف آتي. إلى اللقاء».

«حسنًا، إلى اللقاء». قلت هذا وأغلقت الهاتف.

اتضح لي أن ريتشارد لم يكتفِ بمراقبة الصف أثناء غيابي، بل رأيته يرسم شيئًا على اللوح ويشرحه. ابتسم لي، لكني رأيت شيئًا باردًا في نظرته. ألم يكن في عينَيه شيء بارد؟

انتحى بي جانبًا أثناء الاستراحة. قال لي: «لحظة واحدة، يا كارل أوفه. لا يجوز إجراء مكالمات هاتفية في وقت الدروس».

قلت: «ليست غلطتي أنها اتصلت. ألم تكن قادرًا على أن تطلب منها ترك رسالة لك؟ لو فعلت هذا، لاتصلتُ بها في فترة الاستراحة».

نظر إليّ وقال: «قالت إن الأمر مهم. هل كان مهمًا؟».

قلت: «نعم».

غمز لي بعينه، ثم مضى إلى مكتبه.

يا للجحيم!

فتحت صندوقي في مكتب البريد بعد انتهاء المدرسة فوجدت فيه ثلاث رسائل. واحدة من شركة لتحصيل الديون تهدّدني بدعوى قضائية إن لم أدفع. إنها البدلة التي استأجرتها ليلة رأس السنة الجديدة. لقد تلفت البدلة؛ وبما أنني لم أملك مالًا لاستبدالها فقد رميتها في القمامة آملًا أن ينسوا الأمر كله مع مرور الوقت. لا أزال من غير مال. يعني هذا أنني لا أستطيع فعل شيء غير أن أترك القضية تأخذ مجراها. ما الذي يستطيعون فعله إن لم أدفع؟ هل يزجون بي في السجن؟ ليس لدي مال!

كانت الرسالتان الباقيتان من هيلدِه ومن أمي. لم أفتحهما إلى أن صرت

في البيت. الرسائل احتفال، ولا بد أن يكون كل شيء في أحسن حال عندما أقرأها.

بخار متصاعد من فنجان القهوة، وموسيقى منبعثة من الستيريو، وسيجارة في يدي، وسيجارة أخرى جاهزة على الطاولة.

بدأت برسالة أمي.

عزيزي كارل أوفه،

أظنك تنتظر سماع مزيد من الآراء في قصتك. ها هو رأي كيارتان: كان متحمّسًا جدًا، متحمّسًا لكتابتك – «هذا أدب؛ ولديه موهبة». هذه واحدة من ملاحظاته التي أتذكّرها. يعتبرك ندًا له؛ وقد أرسل إليك (عن طريقي) آخر عمل له. إنه يجرّب الآن كتابة النثر. وهو يحثك على متابعة الكتابة، لكنه يظنك في حاجة إلى من تناقش الأمور معه. سألني إن كانت هناك أية دورات – أو حلقات دراسية – للكتابة في منطقتك بحيث تستطيع المشاركة فيها. هذا ما يفعله الآن. وهو يقترح أيضًا أن تكون على اتصال مع قارئ (دار نشر). أنا أقل منه ثقة في ما يتصل بهذا الأمر. أظنك لا تزال في مرحلة مبكرة جدًا من تطورك الشخصي. لكني أنقل إليك أفكاره.

يبدو لي أنك أنجزت الانتقال من «عش البيت الدافئ» إلى «العالم الكبير المتسع» من غير أية مشكلات لأنك قادر على رؤية الجوانب الإيجابية في الحياة. هذا الانتقال لا يكون دائمًا من غير ألم. لكن عليّ القول إن البيت بدوره لم يكن ذلك العش الدافئ... لعله لم يكن كذلك! ولعلك أكثر أمانًا حيث أنت الآن. لا بد أن الموسيقى تساعدك في هذا.

أتريد أخبارًا أخرى من جانبي؟ أكثر تفكيري منصبّ الآن على مدرسة التمريض النفسي. مع هذا، كنت في الآونة الأخيرة أتجوّل هنا وهناك فعثرت على مبنى قديم، مدرسة مهجورة فيها غرف ضخمة جذابة محترمة، وفيها معرفة وحكمة مكتسبة. أستطيع تخيّل نفسي أعلّم ممرضاتي فيها!

في سوربوفاغ، لا يزال المرضى ضعفاء مثلما كانوا – عاجزين، معوزين، لكن إرادة الحياة لديهم لا تُقهر، ولديهم تصميم دائم على النجاح وعلى

تدبر الأمر مهما بلغ الثمن. أمر حسن أن أكون هناك... بمعنى أن وجودي على مقربة من الناس شيء جيد. لكن الظروف هناك تجعل إرادتك تتآكل، وكذلك حماستك للحياة. لست أدري كيف يستطيعون الاستمرار. حياتهم كلها صعوبات حتى إن اكتفوا بأداء مهماتهم اليومية - كالنهوض صباحًا، وارتداء الملابس، والطهو، إلخ - إلا أن لديهم هذه الطاقة، ولديهم هذا التصميم.

يظن جدك أنه سيعيش حتى يبلغ مئة سنة. هذا يجعله سعيدًا! وجدتك تواصل متابعة ما يحدث من حولها حتى في ظل مشكلاتها الجسدية والعقلية، أو لعلها تتابع ما حدث وانقضى لأنها تخلط بين الحاضر والماضي. وأيضًا، ليس التمييز بينهما واضحًا تمامًا عند جدك. أمر محبط أن أرى ضعفهما؛ لكن الحياة من غيرهما ستكون فارغة جدًا. كثيرًا ما يكون الكلام مع الخالة بورغيلد عزاء وراحة لي. إنها ذكية، حكيمة، خاضت تجارب كثيرة، لكن لديها أيضًا إحساس داخلي بالأمان - وفوق هذا كله، هي متحدثة بارعة. إنني أفكر في الذهاب لرؤيتها ذات مساء خلال هذا الأسبوع، لكي نثرثر.

أنا أدرك أن الكتابة عمل جاد بالنسبة إليك. أمر جيد جدًا أنك عثرت على شيء تريد أن تستثمر فيه وقتك وجهدك. الإمكانيات لا حد لها إن كانت لديك الشجاعة الكافية. هذا ما أراه.

وأما عن الكنزة، فقد اشتريت نموذجًا يمكن تعديله بحيث يصير مناسبًا لك. لكني الآن غير راغبة في الحياكة. قد أشتري كنزة من هنا، أو أرسل إليك مالًا لشرائها. سوف أرى. أتمنى لك حظًا طيبًا في كل شيء!

مع حبي، ماما.

أهو صحيح أن كيارتان قال إن لديَّ موهبة؟ وإن عليَّ إرسال قصتي القصيرة إلى أحد الناشرين؟

لا يمكن أن تكتب أمي هذا إن لم يكن الأمر كذلك.

ولكن، ما الذي تعنيه بـ «تطوري الشخصي»؟ إما أن تكون النصوص جيدة، أو لا تكون جيدة!

فتحت رسالة هيلدِه. مثلما توقّعت، كان فيها سيل من المديح. إنها في شوق إلى قراءة المزيد. كتبت رسالتها بتلك الطريقة العاطفية المنبعثة من قلب مفتوح، بتلك الطريقة التي لا يجيدها أحد غيرها.

وضعت الرسالة جانبًا وجلست أمام الآلة الكاتبة. ولحظة بدأت العمل، عرفت ما ينبغي أن يحدث في قصة النيران المشتعلة.

لقد كانت جثثًا مشتعلة! النيران كلّها في ذلك السهل الذي لا نهاية له كانت محارق جنائزية! لم يدرك الأمر في البداية، لكنه اقترب أكثر فرأى. كانوا يدفعون تحت كل جثة شيئًا كأنه مجرفة خشبية مستوية فيرفعونها به حتى تصير وسط ألسنة اللهب.

أنهيت القصة في ساعة واحدة. أخرجت الورقة من الآلة الكاتبة، ثم ذهبت إلى المدرسة مسرعًا لكي أنسخها.

وفي اليوم التالي، وقفت إيرينِه ببابي.

دعوتها إلى الدخول. كان الجو مشحونًا، لكنها حاولت تدبر الأمر بأحسن ما استطاعت. شربنا الشاي، وتحدثنا. لم يحدث شيء.

وعندما اقترب وقت ذهابها، طوقتني بذراعَيها ورفعت رأسها ناظرة إليّ، فانحنيت وقبّلتها.

كانت دافئة، ناعمة، ممتلئة حياة.

قالت: «متى أراك مرة أخرى؟».

قلت: «لست أدري. ما الوقت المناسب لك؟».

قالت: «غدًا؟ هل تكون في البيت غدًا؟ أستطيع أن أجعل أحدهم يوصلني».

قلت: «نعم. تعالي غدًا».

وقفت بالباب أنظر إليها تسير صوب السيارة. آلمني قضيبي لشدة رغبتي فيها. التفتت ولوّحت لي بيدها، ثم جلست في السيارة. أغلقتُ الباب وذهبت فجلست على الأريكة. ملأتني مشاعري تجاهها؛ لكنها لم تكن

مشاعر قاطعة: تعجبني، وأريدها؛ ولكن، هل تعجبني إلى الحد الكافي؟ كانت ترتدي بنطلون جينز أزرق اللون ومن فوقه سترة زرقاء من قماش قطني خشن. يعرف الجميع أن هذَين أمرين غير منسجمين! على الأقل، تعرف الفتيات هذا! وتلك الورقة التي تركتها لي في المرة الماضية، كتابة باللهجة المحلية، لم يعجبني هذا.

ينبغي أن نسكر معًا. عندها، يزول التردّد كله. إذا بلغنا حدًا كافيًا من السكر، فهل أصير قادرًا على رؤيتها عارية من غير أن... نعم، من غير أن يحدث لي ذلك الأمر؟

كنت نائمًا عندما رن جرس الباب مساء اليوم التالي. اندفعت إلى الصالة، وفتحت الباب. رأيتها واضعة إبهاميها في جيبي بنطلونها. كانت تبتسم لي. رأيت من خلفها سيارة منتظرة، محرّكها لا يزال يعمل.

قالت: «ما رأيك في رحلة إلى فينسنس؟».

قلت: «بكل تأكيد».

الصديقة نفسها التي كانت معها المرة الماضية، الصديقة التي نسيت اسمها، كانت تجلس إلى جانب السائق: شخص في مثل سني لعله صديقها، ولعله ليس كذلك! جلست إلى جوار إيرينِه في المقعد الخلفي، ثم انطلقت السيارة بنا. كان يقود السيارة مسرعًا مثلما يفعل الجميع هنا. الموسيقى صاخبة، «غريدنس كليرووتر ريفايفل»، من الواضح أنها من الفرق المفضلة محليًا. عندما بلغنا أسفل الوادي، صارت في يدي زجاجة بيرة. كنت راغبًا فيها طيلة الطريق؛ وكانت قريبة جدًا مني، خاصة عندما تضع ذراعَيها على المقعد الأمامي وتنحني لكي تتحدث مع الآخرين. طرح الجالسان في المقدمة عليّ بضعة أسئلة. أجبت عن أسئلتهما، وطرحت عليهما بضعة أسئلة. ثم ملأت إيرينِه الصمت الذي أعقب ذلك بكلامها معهما. ومن حين لآخر، كانت تلتفت صوبي وتشرح خلفيات ما كانوا يتكلّمون فيه. كان وجهها يتقلّب بين الابتسام والنظرات الجدّية الراعشة كلما التقت أعيننا.

بعد ساعة تقريبًا، أوقف السائق السيارة أمام ديسكوتك في فينسنس.

دخلنا ووجدنا طاولة وطلبنا نبيذًا تقاسمناه جميعًا. رقصنا. كانت تضغط بجسدها عليَّ، وكنت راغبًا فيها رغبة شديدة جعلتني لا أعرف كيف أبدأ. الكلام العادي التافه. ما نفع هذا؟ كنت أتجرّع النبيذ لكي أملأ الهاوية في داخلي، وكان نبضي متسارعًا. ثم لم نتوقف عن الرقص. في طريق العودة إلى البيت - بسرعة مئة وعشرين كيلومترًا في ذلك السهل- كنا جالسَين نتبادل القبل في المقعد الخلفي. وعندما بدأت أغنية «قفي مع رجلك» استندتُ إلى الخلف وضحكت. سوف أكتب عن هذا في رسائلي: لا يزال هذا المكان بدائيًا؛ وهكذا هي حياتي الآن. سألتني عما أضحكني. قلت، لا شيء؛ أنا سعيد فحسب.

توقّفت السيارة عند المنعطف المؤدي إلى هافيورد.

قال السائق: «عليك أن تتابع طريقك سيرًا على قدميك. وسوف نتابع طريقنا إلى هيليفيكا».

قلت: «وهل المسافة بعيدة جدًا؟».

قال: «لا. سوف تمشي ساعة، بالحد الأقصى. إذا كان سيرك سريعًا، فسوف تصل بعد ثلاثة أرباع الساعة».

قبّلت إيرينِه قبلة أخيرة، ثم فتحتُ الباب وخرجت من السيارة. ضحك الجالسون في السيارة، ضحكوا جميعًا، فالتفت إليهم. أخرجت إيرينِه رأسها من النافذة.

«كان هذا مزاحًا. اصعد إلى السيارة. بكل تأكيد، سوف نوصلك إلى البيت».

عبرنا النفق، وسرنا على امتداد الفيورد. كان البحر شديد الهدوء في هذه اللحظة؛ وكان هواء الليل الرمادي، ساكنًا مثله. همستُ لإيرينِه عندما اقتربنا من البيت، «أتحبين أن تنامي هنا؟».

أجابتني هامسة: «أتمنى هذا. لكني لا أستطيع. عليّ أن أعود إلى البيت. لكني أستطيع قضاء الليلة عندك في عطلة الأسبوع التالية. هل ستكون هنا؟».

«أجل».

«إذًا، سوف آتي».

صار من مألوف عادتي في أيام الاثنين أن أذهب إلى المدرسة قبل ساعة من بداية الدروس. أراجع ما ينبغي فعله في ذلك اليوم، ثم يرن الجرس فأكون -أكثر الأحيان- جالسًا إلى طاولتي أنتظر دخول التلاميذ. فنتحدّث عما أنجزوه منذ رأيتهم آخر مرة.

في صباح يوم الاثنين هذا، كان هناك شيء يتخمّر، ينتظر! أحسست هذا فور دخولهم الغرفة. جلسوا على مقاعدهم بطريقتهم الخرقاء المألوفة. نظرت أندريا إلى فيفيان التي رفعت يدها وقالت: «هل صحيح أنك تخرج مع إيرينِه من هيليفيكا؟».

ضحكت بقية البنات. حملق كاي روالد بعينَين مفتوحتَين على اتساعهما، لكنه كان يبتسم أيضًا.

قلت: «ما أفعله عندما لا أكون في المدرسة ليس من شأنكم».

قالت أندريا: «لكنك تسألنا عادة عما فعلناه في عطلة نهاية الأسبوع».

قلت: «صحيح. ومن الجائز لكم أن تسألوني عما فعلت. سوف أقول لكم».

قال كاي روالد: «ماذا فعلت؟».

«أمضيت نهار السبت كله في البيت. وفي المساء، ذهبت إلى فينسنس. ثم أمضيت يوم الأحد في البيت».

قالت فيفيان: «أووووه! مع من كنت في فينسنس؟».

قلت: «هذا أمر لا علاقة لكم به. فهل نبدأ درسنا الآن؟».

قالت: «لا!».

رفعت ذراعيّ في الهواء متظاهرًا بالقنوط.

«إذًا، هل لديكِ المزيد مما تريدين قوله؟».

قالت أندريا: «هل أنت على علاقة مع إيرينِه؟».

ابتسمت، ولم أجبها. وضعت على الطاولة الصندوق الذي أتيت به

معي، ثم وزعت عليهم الكتب. لدينا الآن درس في اللغة النرويجية. الرواية التي ستبدأون قراءتها هي «سم» لألكساندر كيلاند، واحدة من الروايات القليلة التي لدينا منها نسخ كافية للصف كله. بدأت عملي معهم على هذه الرواية منذ يوم الاثنين الماضي. اتضح لي أن قراءتهم سيئة جدًا. وقد قلت هذا للمعلمة المشرفة على الصف عندما التقيتها. نصحتني بقراءة الكتاب مع الصف. هذا ما سوف نفعله الآن.

قالوا عندما رأوا الغلاف الأخضر العائد إلى حقبة السبعينيات: «أوه، لا. لا نريد هذا الكتاب. لا نفهم أية كلمة فيه».

قلت: «إنه مكتوب باللغة النرويجية. ألا تفهمون اللغة النرويجية؟».

«لكنه مكتوب بأسلوب قديم جدًا! نحن لا نفهمه أبدًا».

«كاي روالد... ابدأ القراءة».

أوه، كم كان الإصغاء إليه مؤلمًا! قبل كل شيء، كان ذلك الفتى قارئًا سيئًا. إلا أن أسلوب كيلاند ولغته القديمة أوديا بقدرته القليلة على القراءة، وجعلا الكلمات تتحوّل إلى مقاطع صوتية مستقلة، فضلًا عن التردد والسعال والتلعثم. لم تكن لدى أحد منهم أية فكرة عن حبكة الرواية. ندمت لأنني اخترت لهم هذا الكتاب، لكن الأمر لن يبدو حسنًا إن استسلمت الآن. لذا، واصلت تعذيبهم بتلك الطريقة طيلة الدرس كله. ولسوف أواصل تعذيبهم يوم الاثنين القادم. كان اليوم دوري في مراقبة باحة المدرسة أثناء الاستراحة، فمضيت إلى مدخل غرفة المعلمين لكي أجلب معطفي في حين كان التلاميذ يجرون من خلفي خارجين إلى الباحة.

قالت هيغّه: «اتصل والدك، يا كارل أوفه». أتت إليّ حاملة بيدها ورقة «طلب أن تعاود الاتصال به. ها هو رقم هاتفه».

ناولتني الورقة فتردّدت لحظة واحدة. لا يجوز ترك التلاميذ في الخارج من غير مراقبة. وأما من ناحية أخرى، فقد كان أبي نفسه معلمًا. أتى اتصاله أثناء ساعات العمل. يعني هذا أن الأمر مهم.

أوه، نعم... بكل تأكيد. أظن أن المولود قد جاء أخيرًا.

ذهبت إلى الهاتف، وطلبت الرقم.
أتاني صوته: «ألو؟».
«مرحبًا، يا بابا، أنا كارل أوفه. قالوا لي إنك اتصلت».
«نعم، أنت الآن شقيق أكبر».
قلت: «أوه، هذا رائع! ولد أم بنت؟».
قال: «بنت صغيرة».
أهو ثمل الآن، أم إنه سعيد جدًا؟
قلت له: «أهنئك. هذا رائع».
«نعم، إنه رائع. عدنا إلى البيت منذ قليل. من الأفضل الآن أن أذهب للعناية بهما».
«وكيف حال أوني؟».
«أوه، نعم، إنها بخير. نتكلّم في وقت لاحق. مع السلامة».
«مع السلامة. أهنئك مرة أخرى».
وضعت سماعة الهاتف، ثم خرجت، ابتسمت لهيغّه التي ألقت في اتجاهي نظرة طويلة. زررت معطفي وأسرعت في الممر خارجًا إلى الباحة. ما كدت أخرج من الباب حتى انسلّ ريدار آتيًا إليّ. إنه قادر على التعلّق بالمرء إلى حد لا يطاق، وعلى استغلال أي وضع لكي يظل في مركز الاهتمام. يجيب عن كل سؤال في غرفة الصف، ويعلّق على كل شيء، ويعرف دائمًا أكثر من الجميع، ويريد دائمًا أن يكون الأفضل. وأما معي ومع بقية المعلمين، فقد كان على الدوام متملّقًا. كان ولدًا منفّرًا تمامًا. يذكّرني بنفسي عندما كنت أصغر سنًا. كنت أستغل كل فرصة لكي أحاول اجتثاث هذا السلوك لأنه سيجعل حياته صعبة في وقت لاحق. لكن مسعاي لم يكن يحرز أي نجاح؛ فهو يعود إليَّ بعد كل كلمة قاسية، يعود مرتدًّا مثلما ترتدّ كرة.
عندما اكتشفت أنه شقيق أندريا التي في صفي، شعرت أنني صرت أكثر عطفًا عليه. إنها تلميذتي المفضّلة؛ وقد مسّ كونهما شقيقَين شيئًا في نفسي، مع أنني لم أستطع أبدًا أن أفهم سبب ذلك.

قال لي وهو يجذب معطفي: «كارل أوفه، كارل أوفه».
قلت له: «نعم، ما الأمر؟ لا تجذب معطفي».
«هل أستطيع العودة إلى غرفة الصف؟».
«ماذا تريد أن تفعل هناك».
«لقد نسيت الفلابر. أريد الدخول فحسب. من فضلك، من فضلك، من فضلك!».
قلت: «لا!». ثم سرت صوب ملعب كرة القدم.
لحق بي وقال: «لو كانت توريل مراقبة الباحة لسمحت لي بالدخول».
قلت: «وهل تراني أُشبه توريل؟».
ضحك وقال: «لا».
قلت، «إذًا، اذهب الآن. انصرف!».
جرى مبتعدًا، ثم تباطأ جريه حتى صار مشيًا إلى أن توقّف عند خمسة أطفال آخرين في صفه. كانوا قد تسللوا خارج سور المدرسة.
هبّة ريح أتت عبر الملعب حاملة من الطريق رملًا وترابًا. رفرفت عيناي بضع مرات إلى أن استعادتا وضوح الرؤية.
ما أغرب التفكير في أن أبي قد صار أبًا من جديد!
استدرت ونظرت إلى مبنى المدرسة. خرجت من الباب فتاتان في الصف التاسع، ثم سارتا نازلتَين في الطريق. كل منهما مرتدية بنطلون جينز ضيّقًا مع حذاء رياضي أبيض وسترة ضخمة. واحدة شعرها داكن مربوط خلف ظهرها، والأخرى شعرها بني فاتح متموّج ذو خصلات متعرجة كبيرة، ظلّت تسقط أمام وجهها، فتجعلها تنتر رأسها لكي تزيحها عن عينَيها. رقبتها رشيقة جدًا، طويلة بيضاء دقيقة. يا لها من مؤخّرة رائعة!
لا، لا يصح أن تظلّ هذه الأفكار في رأسي، وإلا فسوف ينتهي بي الأمر إلى الجنون، أو إلى السجن.
ابتسمت واستدرت عائدًا. نظرت إلى المجموعة المعتادة على لعب كرة القدم، ثم إلى الأطفال الذين تجاوزوا سور المدرسة. بدا لي أنهم مرتاحون هناك.

أوه، لا! كان «السمين» متجهًا صوبي بخطوات سريعة.

قال لي: «مرحبًا!». نظر إليّ بعينَيه الحزينتَين، الفرحتَين.

قلت: «مرحبًا. هل كنت خارج السور؟».

«نعم، لكني عدت سريعًا».

قلت، «الحياة هكذا».

قال لي: «هل أستطيع زيارتك اليوم في شقتك؟».

«في شقتي! لماذا؟».

قال: «زيارة صغيرة ستكون أمرًا لطيفًا، أليس هذا صحيحًا؟».

ابتسمت وقلت: «نعم، إنه صحيح. لكن اليوم غير مناسب تمامًا. إن لدي عملًا أنجزه. ولكن، تعال إلى زيارتي مع واحد من أصدقائك في يوم آخر».

قال: «لا بأس».

أخرجت الساعة من جيبي وتفقّدت الوقت.

قلت: «لدينا دقيقتان قبل أن يُرن الجرس. إذا سرنا بخطوات بطيئة، فسوف نكون عند الباب عندما يرن».

أمسك بيدي وسرنا حتى المدخل.

كانت أندريا واقفة مع هيلدغون تحت نافذة ريتشارد وقد وضعت كل منهما يديها في جيبَيها الخلفيتَين. نظرتا إلينا عندما اقتربنا.

قالت أندريا: «رواية 'سُم' مضجرة جدًا، ألا نستطيع العمل على شيء آخر؟».

قلت: «إنها واحدة من كلاسيكيات الأدب النرويجي».

قالت هيلدغون: «هذا لا يهمنا أبدًا».

رفعت إصبعي بحركة تأنيب. ضحكت الفتاتان، وانطلق رنين الجرس.

لعبت يوم السبت أول مباراة محلية. كانت بلوزات فريقنا خضراء مقلّمة بخطوط بيضاء رقيقة، ومعها شورتات بيضاء وجوارب خضراء. لعبت في وسط خط الدفاع، في حين كان نيلز إيريك يجري على الجناح جيئة وذهابًا. كان يرتدي بنطلونًا رياضيًا ضيقًا تحت الشورت.

عدد المتفرجين كبير حقًا. أكثرهم واقفًا عند حواف الملعب، لكن قلة منهم جلست على المنحدر المقابل. رأيت فيفيان وأندريا هناك. لوحت لهما قبل بداية المباراة. وعندما صاحت إحداهن بعد دقائق قليلة: «هيا، يا كارل أوفه»، نظرت إليهما وابتسمت. فيفيان هي التي صاحت، في حين كانت أندريا تشدّها من سترتها حتى تكفّ عن ذلك.

فزنا، وكانت النتيجة واحد - صفر. كان المزاج العام في غرفة تبديل الملابس فرحًا؛ وقد اعتزموا جميعًا الذهاب لتناول الشراب، أكثرهم إلى فينسنس، بحسب ما استنتجت. أتتني دعوات كثيرة، لكني كنت غير قادر على الذهاب: إيرينِه آتية إليّ.

عرّجت على غرفة المعلّمين في المدرسة في طريق عودتي إلى شقتي، واتصلت بإنغفه.

سألته: «كيف الأحوال؟».

قال: «الأحوال جيدة».

«أين الرسالة التي وعدتني بها؟».

«أوه، الرسالة! كانت لدي في الآونة الأخيرة أشياء كثيرة تشغل بالي».

«مثل ماذا، على سبيل المثال؟».

«مثل إنتهاء علاقتي بكريستين».

«ماذا؟ هل انتهى الأمر بينكما؟».

«نعم».

«لماذا؟».

«لا أعرف أكثر مما تعرف».

ثم حلّ صمت.

قال لي: «كارل أوفه، الحقيقة أنني الآن في طريقي إلى الخروج. أنا ذاهب الليلة إلى نادي السينما. نستطيع أن نتكلم في وقت لاحق، فما رأيك؟».

قلت: «نعم».

انتهت المكالمة. لبست سترتي، ثم أقفلت الباب وذهبت. كانت السماء

رمادية. ريح قوية آتية من ناحية البحر. قمم الأمواج في وسط الفيورد بيضاء. بعد وصولي إلى البيت، وضعت في المايكروويف لازانيا جاهزة، ثم أكلتها مباشرة من عبوة التغليف البلاستيكية، وشربت معها زجاجة بيرة. ما كدت أفتح زجاجة ثانية حتى توقّفت سيارة أمام بيتي.

قلت في نفسي: أظنها زائرتي. انتصب قضيبي. عندما رُن الجرس بعد ثانية من ذلك، دسست إحدى يدي في جيبي حتى أخفي الأمر، ثم فتحت الباب.

قالت إيرينِه: «مرحبًا».

أطلقت السيارة بوقها، ثم انطلقت نازلة في الطريق.

قلت: «مرحبًا».

تقدّمت صوبي خطوة وعانقتني. أخرجت يدي من جيبي حتى أعانقها مثلما عانقتني، لكني أبقيت وسطي بعيدًا عنها حتى لا تلحظ شيئًا.

قالت لي: «جميل أن أراك. لقد انتظرت مجيئي إليك نافدة الصبر. كنت أحصي الساعات».

قلت: «وأنا أيضًا. ادخلي!».

قالت: «الحقيقة أن عليَّ أن أعود الليلة. لكن أمامنا وقت طويل جدًا. سوف يأتي أحدهم لأخذي في الساعة الحادية عشرة والنصف. هل هذا مناسب؟».

قلت: «بالتأكيد».

وضعت زجاجة البيرة على طاولة المطبخ، ثم فتحت زجاجة نبيذ أبيض وملأت كأسَيْن. إن كنت أريد نجاح الأمر، فلا بد لي من الشرب. لا بد لي من شرب شيء أقوى من البيرة. كنت واثقًا من هذا كل الثقة.

نظرت في عينَيها وقلت: «سكال».

قالت مبتسمة: «سكال».

وضعت تسجيلًا لكريس إيزاك. كنت قد فكرت في هذا مسبقًا: جوّ أغانيه المكتوم، المتسم بالكآبة مع شيء من الجموح، كان جوًّا مناسبًا جدًا.

جلست إيرينِه على الأريكة. جلست إلى جانبها، لكن ليس على مقربة شديدة منها. كانت ترتدي البلوزة نفسها التي ارتدتها في المرة السابقة عندما كانت هنا. لم أستطع رؤية ثديَيها الممتلئَين من تحت البلوزة، لكني أحسست بحضورهما، بل حتى أحسست بفخذَيْها من تحت بنطلون الجينز الأزرق الضيق.

آه!

قالت لي: «كانت رحلتنا إلى فينسنس ممتعة».

قلت: «نعم، كانت ممتعة. هل هما معًا... الاثنان اللذان كانا معنا؟».

«إيليف وهيلدِه؟».

«نعم».

ضحكت وقالت: «لا، إنهما أخ وأخت. تربطهما صداقة قوية جدًا... هكذا...». قالت هذا ورفعت إصبعَين متلاصقين.

قلت: «ألديك إخوة وأخوات؟».

قالت: «لا. وماذا عنك؟».

«نعم، لديّ أخ».

«أكبر منك أم أصغر منك؟ لا، دعني أحزر، إنه أكبر منك».

«صحيح، كيف عرفت هذا؟».

«أنت لا تشبه الإخوة الكبار».

ابتسمت وملأت كأسي من جديد. شربْتها في جرعة واحدة.

قلت: «هذا صحيح. إن لديّ أختًا أيضًا. أخت نصف شقيقة».

«هل تذكّرتها الآن؟».

«لا يزال عمرها بضعة أيام فقط».

«هل هذا صحيح؟».

«نعم، إنها كذلك. إنها مولودة حديثًا. لم أرها بعد. لقد تزوّج أبي من جديد».

تعثّر الحديث بيننا. تبادلنا النظرات، وابتسمنا. استمرّ الصمت.

لا بد أن يحدث الأمر الآن. ليس لدينا وقت نضيّعه. ينبغي أن يحدث الآن مع أنني لم أشعر بأثر النبيذ على الإطلاق.

«ما عمل والديك؟». قلت هذا ثم لعنت نفسي. يصعب تخيّل شيء أشد من هذا إخمادًا لتلك اللحظة المتقدة.

لكنها أجابت إجابة مهذبة.

قالت: «أبي صياد، وأمي ربة منزل. أبوك وأمك؟».

«أبي معلم مدرسة ثانوية؛ وأمي معلمة في كلية التمريض».

«وأنت معلم هنا. أنت سائر على خطى أبوَيك».

«لا، أنا لست معلمًا. ولن أصير معلمًا».

«ألا يعجبك التعليم؟».

«بل يعجبني. لكني لا أريد قضاء حياتي معلمًا. أنا أفعل هذا لسنة واحدة لكي أكسب مالًا».

«إذًا، كيف تحب أن تمضي حياتك؟».

«سوف أكتب. سوف أصير كاتبًا».

«هل ستصير كاتبًا حقًا؟ ما أجمل هذا!».

«نعم، هذا جميل، لكني لست واثقًا من قدرتي على النجاح».

«لا، أعني... ستنجح بالتأكيد». نظرت في عينيّ مباشرة.

قلت لها: «ألا تريدين مزيدًا من النبيذ؟».

أومأت برأسها. ملأت كأسها. أخذت منها رشفة. وبعدها نهضَت وسارت في الغرفة. توقفت عند المكتب. قالت: «إذًا، أنت تكتب هنا».

قلت: «نعم».

نظرتُ إلى الخارج عبر النافذة.

أفرغت كأسي بجرعة واحدة، ثم نهضتُ واقفًا. ذهبت إليها. شممت شذى عطرها. كان منعشًا، خفيفًا، كأنه رائحة مرج مزهر.

قالت لي: «لديك إطلالة جميلة من هذه النافذة».

ابتلعت ريقي، وبلطف، لففت ذراعي من حولها. كانت كأنها تنتظر هذا

لأنها مالت إلى الخلف على الفور. ألصقت خدي بخدها وداعبت بطنها. أدارت وجهها في اتجاهي فقبلتها.

قالت: «أوه»، ثم استدارت وطوّقتني بذراعَيها. قُبل طويلة متمهّلة. ضغطت بجسدي عليها. قبّلت رقبتها. قبلت خدها. قبلت ذراعها العارية. أذناي متوهجتان، وصدري ينبض كله.

قلت لها: «هيا بنا. فلنذهب إلى غرفة النوم». أمسكت بيدها وقدتها معي. صعدت إلى السرير واستلقت عليه، فاندفعتُ فوقها. فككتُ أزرار بلوزتها بيدَين مرتعشتَين. كانت تحت البلوزة حمالة ثديين تعثرت أصابعي عندما حاولت نزعها عنها. ضحكت، ثم استوت جالسة ومدت يدها خلف ظهرها لكي تفك المشبك. صار ثدياها حرّين بعد أن سقطت الحمالة عنهما. أوه، يا إلهي! ما أكبرهما، وما أجملهما! قبّلت ثديَيها وجرى عقلي محمومًا. قبَّلت الثدي الأول، ثم الثاني. تصلبت الحلمتان في فمي وسمعتها تقول، أوه، أوه. بدأت أحلّ أزرار بنطلونها. أفلحت آخر الأمر، وخلعت عنها البنطلون. نزعت بنطلوني عني، وخلعت كنزتي من فوق رأسي. صرت فوقها من جديد. أحسست جلدها على جلدي. جلدها ناعم نعومة رائعة. ضغطت عليها مثلما لم أضغط على غيرها من قبل. تلويت فوقها. وبعد ذلك، أوه، لا، بحق الرب! لا يمكن أن يحدث هذا... ليس الآن! ليس الآن!

لكنه حدث. رعشة، ثم تقلّص، ثم انتهى الأمر كله.

رقدت هادئًا هدوءًا تامًا.

نظرت إليَّ وقالت: «ماذا بك؟ هل حدث شيء؟».

نهضتْ عن الفراش قليلًا رافعةً جسدها بذراعَيها.

استدرت مبتعدًا عنها وقلت: «لا شيء. أريد أن أشرب. هذا كل ما في الأمر. أظنني سآتي بشيء أشربه. هل آتيك بشيء أيضًا؟».

إن استطعت الخروج من الغرفة قبل أن ترى، فمن الممكن أن «أدلق شيئًا» في المطبخ بحيث لا تنتبه إلى أن البقعة الرطبة الكبيرة على سروالي

الداخلي بقعة مَنِيّ: سوف تحسبها عصيرًا. لقد نجح الأمر! وقفت أمام البراد، وفتحت علبة عصير التفاح. سكبت العصير في الكأس؛ وسكبت قليلًا منه على بطني وسروالي الداخلي.

صحت: «اللعنة على هذا».

قالت من غرفة النوم: «ماذا حدث؟».

قلت: «لا شيء. اندلق عليّ قليل من العصير. ماذا قلت؟ هل تريدين عصيرًا؟».

قالت: «لا، شكرًا».

عندما عدت على الغرفة، سترتْ نصفها العلوي باللحاف، ثم ظلت متمسكة به. جلست على حافة الفراش حاملًا كأس العصير بيدي. لقد فاتت اللحظة وانزلقت الفرصة من بين أصابعي. وعليَّ الآن أصلح الوضع.

قلت لها: «آه، العصير لذيذ! ألا ندخن سيجارة؟ لم أدخن منذ وصولك. من الواضح أن لك أثرًا مغناطيسيًا عليَّ».

ابتسمت ونهضت واقفًا. وبحركة عادية، ارتديت بنطلوني وكنزتي، ثم خرجت إلى غرفة الجلوس ووضعت تسجيلًا جديدًا. هذه المرة، وضعت ألبومًا لـ«هاوس مارتينز». لم تعد هناك حاجة إلى كريس إيزاك وأجوائه المنوِّمة. جلست على الأريكة وملأت الكأس نبيذًا، ثم لففت سيجارة. ظهرت إيرينِه بعد برهة. كانت ترتدي ملابسها، مثلي.

بحق السماء، كيف السبيل إلى الخروج من هذا الموقف المزري؟

أمن الممكن الآن أن أرفع الوضع من الصفر إلى الذرى التي بلغتها قبل قليل؟

اختفت الإثارة كلها. جلست إيرينِه على الأريكة، في الناحية الأخرى من الأريكة. رتّبت شعرها المشعث بيدها، ثم تناولت كأسها. وعندما نظرت إليّ، رأيت ابتسامة تتراقص من حول شفتَيها. رأيت بريقًا في عينَيها.

وخزة ألم في صدري. وخزة حادة!

أتراها تسخر مني لأنني لم أكن جيدًا كما ينبغي؟

قالت لي: «أظنني بدأت أقع في حبك جديًا، يا كارل أوفه كناوسغارد».

ماذا؟ أتراها تسخر مني؟

لكني لم أستطع أن أرى في عينَيها أي شيء من هذا. كانتا عينَين دافئتَين، سعيدتَين، مغرمتَين.

فيم كانت تفكر؟ هل تخيلتْ أنني امتنعت عن أخذها وعففت عمّا بذلتْه لي بدافع من روح فروسية؟ ألم تستطع رؤية أنني عجزت عن فعل ذلك؟ أنني لن أصير أبدًا قادرًا على فعله؟ ألم تستطع رؤية المعتوه، الوحش، القابع خلف ما تراه الآن؟

قالت لي: «هل أُعجبك أيضًا؟... ولو قليلًا؟».

قلت: «بالطبع»، لكني ابتسمت لها ابتسامة لم أستطع جعلها مقنعة تمامًا.

قلت لها: «إيرينِه، ألا نخرج ونسير قليلًا؟ لا يزال الجو لطيفًا في الخارج؟».

قالت: «نعم، هذه فكرة حسنة، فلنخرج قليلًا».

ندمت على اقتراحي لحظة صرنا خارج البيت. ليست لدينا هنا إلا طريق واحدة إن أراد أن يخرج المرء في نزهة: السير على امتداد الشارع بين البيوت، ثم العودة من جديد. لن نسير مترًا واحدًا نكون فيه وحدنا. سنكون مرئيَّين من كل اتجاه.

أمسكت إيرينِه بيدي ورفعت رأسها مبتسمة لي. قلت في نفسي، لعله أمر لا أهمية له!

أجبت ابتسامتها بابتسامة مثلها.

سرنا نازلَين في الطريق. لم يقل أي منا شيئًا. ضغط يدها الخفيف الذي كنت أحسه من وقت لآخر، وحضورها على مسافة سنتيمترات مني، سنتيمترات فقط، كانا كافيَيْن لأن تعود إليّ الرغبة. كان كل شيء من حولنا هادئًا، مسالمًا. البحر ساكن سكونًا تامًا. بضع غيوم معلّقة عند الأفق من غير حركة، وبضع غيوم فوق الجبال من الناحية الأخرى، الجبال التي بدت سوداء تمامًا في ظلمة الغسق التي بدأت تشتد من حولها. ما أردت شيئًا غير أن أرميها أرضًا، هنا، وأن آخذها أخذًا، لكني كنت غير قادر على فعل هذا؛ لا هنا، ولا في البيت، ولا في أي مكان. لقد حاولت فلم أنجح. لم ينجح

الأمر. كان ممكنًا أن أصيح، وكان ممكنًا أن أصرخ. أردتها، وكان امتلاكها ممكنًا، متاحًا، لكني عجزت عن فعل ذلك.

حامت الظلمة فوق البحر وبين الجبال ومن تحت السماء: أرض، وجدران، وسقف. بدأت أولى النجمات تلوح عبر تلك الظلمة. لا أحد من حولنا.

قالت إيرينِه: «هل أنت عائد إلى كريستيانساند بعد انتهائك من العمل هنا؟».

هززت رأسي وقلت: «بالتأكيد لا. إنها آخر مكان في الأرض أحب أن أعيش فيه».

«هل هي سيئة إلى هذه الدرجة؟».

«نعم، ليست لديك أية فكرة».

«لقد ذهبت إليها. أقارب أبي يعيشون هناك».

«أوه! أين؟».

قالت: «أظن أن اسم بلدتهم فايغسبايغد. لكني لست واثقة من ذاكرتي».

قلت: «نعم، هكذا هو اسم البلدة».

بلغنا منعطف الطريق عند آخر القرية، على مقربة من الكنيسة. توقفتْ وطوقتني بذراعَيْها.

قالت لي: «نحن الآن في علاقة، أليس كذلك؟».

قلت: «نعم».

تبادلنا القبل.

قالت مع ابتسامة: «يا كاتبي!».

كان واضحًا لي هذه المرة أنها تعابثني. لكن، كان واضحًا أيضًا أن الفكرة تعجبها.

أوه، يا إلهي! متى ينتهي هذا؟ صرت شبه عاجز عن المشي لشدّة ما أثارني وجودها قريبة مني هذا القرب كله.

تابعنا سيرنا. حكت لي قليلًا عما تفعله في فينسنس؛ وحكيت لها قليلًا عما كنت أفعله في كريستيانساند.

مع اقترابنا من شقتي ورؤيتي المدرسة منتصبة هناك كأنها حصن من حصون الاشتراكية الديمقراطية، فاجأتني فكرة أننا نستطيع الذهاب إلى المدرسة. أستطيع الوصول إلى بركة السباحة حيث يمكن أن نسبح معًا. أن نستحم معًا. أن ندخل الساونا معًا. أن نسبح معًا من جديد. لكن، مع تخيّلي هذا كله، أنشبتْ حقيقة أنني واثق من عدم قدرتي على الأداء، ومن استحالة إخفاء ذلك أو تمويهه مرة أخرى، مخالبها في صدري.

فتحت باب البيت. تحدّثنا وشربنا مزيدًا من النبيذ. صارت فترات الصمت أكثر طولًا، وأكثر إزعاجًا، إلى أن بلغت الساعة الحادية عشرة والنصف فبتّ آخر الأمر قادرًا على مرافقتها حتى الباب وتقبيلها مودعًا.

التفتت مرة واحدة في طريقها إلى السيارة. كانت عيناها لامعتَين. ثم جلست في السيارة وأغلقت الباب. ذهبت.

حاولت الكتابة في اليوم التالي. لكن الأمور لم تسر مثلما أريد، لأن ظلال هزيمة الليلة السابقة استطالت واكتنفت كل شيء. لم يقتصر الأثر على دروسي وعلى ما أفعله في الدروس، بل شمل حياتي الملعونة كلها. كان لهذا سبب؛ وكنت عارفًا سببه. لكنه كان سببًا غير محدّد تحديدًا واضحًا؛ كان سببًا يلفّه غموض أشبه بالضباب. شيء عميق، عميق، في ذلك الضباب الذي يلفّ عقلي.

كانت الحقيقة أنني لم أمارس الاستمناء أبدًا. لم أستمنِ بيدي أبدًا. لم ألعب بقضيبي أبدًا. أنا الآن في الثامنة عشرة، ولم أفعلها مِن قبل أبدًا. ولا حتى مرة واحدة. بل إنني لم أحاول يومًا فعل ذلك. كان معنى انعدام خبرتي في هذا الأمر أنني أعرف كيف أفعله، لكنني لا أعرف كيف أفعله. ولما كنت لم أفعله في الثانية عشرة، أو في الثالثة عشرة، فقد انقضى الزمن وصار ذلك -شيئًا بعد شيء- أمرًا لا يمكن التفكير فيه، لا بمعنى أنني لم أسمع به، بل بمعنى أنه صار شيئًا خارج آفاقي. كانت النتيجة المباشرة لهذا حالات

احتلامًا غزيرًا في نومي. كنت أحلم بالنساء. في نومي، لم تكن هناك حاجة حتى إلى مسّهنّ: يكفي أن تقع عيناي على النساء، واقفات هناك بأجسادهن الجميلة، حتى أحتلم. إن كنت قريبًا منهن في مناماتي، أحتلم أيضًا. ينتفض جسدي كله، ويختلج في الليل، وأجد سروالي الداخلي غارقًا بالمني في الصباح.

لقد طالعت المجلات الإباحية في يفاعتي، مثل أي شخص آخر. لكن هذا كان يحدث دائمًا في وجود أشخاص آخرين معي، في الغابة مع غيير أو مع داغ لوثار، أو مع أولاد آخرين. لم يحدث أبدًا أن كنت وحدي؛ ولم يحدث أبدًا أن أخذت إلى البيت مجلة إباحية لأنني لا أجرؤ على ذلك. قليلة هي الأشياء التي كنت أجدها أكثر إثارة وتشويقًا من النظر إلى تلك المجلات الإباحية، لكن الرغبة التي كانت تثيرها في نفسي لم تقدني أبدًا إلى محاولة الاستمناء بيدي لأن من حولي أشخاصًا آخرين، دائمًا. أقصى ما كنت أفعله هو أن أنبطح وأدعك وسطي بالأرض وأنا أقلب صفحات المجلات. وأحيانًا، عندما أكون في البيت وحدي، أنظر في كاتالوجات الشراء عبر البريد (كانت موجودة آنذاك)، وأحدّق في عارضات الملابس الداخلية، أو ملابس السباحة، فيجف حلقي عندما أدقق النظر في القماش الضاغط على القوس الناعم بين الفخذَين، أو في حلمتَي الثديَين اللتَين تكونان أحيانًا ظاهرتَين من خلف ثوب السباحة أو حمالة الثديَين. لكن الأمر كان يتوقّف هنا، يتوقّف عند جفاف الحلق وعند خفقان القلب. لم أكن أستمني أبدًا. ولم يكن هذا قرارًا واعيًا على الإطلاق: لم أكن أقول لنفسي، لا، لن أفعل هذا! كان كل شيء غامضًا، غير واضح، غير واعٍ، معتمًا. ثم صرت في سنوات المراهقة، فكان أوان ذلك قد فات. ما عدت أقلب صفحات المجلات الإباحية في الغابة، ولم يحلّ محل ذلك شيء آخر. لم أشاهد في سنوات مراهقتي أي فيلم إباحي، ولم أقرأ أية مجلة إباحية. ولم تكن الرغبة أبدًا متركزة على نقطة واحدة، بل اتسعت وصارت كبيرة، سديمية، يصعب تدبّرها. في مكان ما من عقلي، كنت مدركًا أن وضعي في ما يخص

الفتيات -أو فيما يخص إيرينِه لأنها هي المعنية الآن- يمكن أن يشهد تحسنًا دراماتيكيًا إذا بدأت أستمني. مع هذا، لم أفعلها. كنت أعرف هذا، ولا أعرفه في الوقت نفسه. الاستمناء باليد ينتمي إلى ما لا أستطيع التفكير فيه. هكذا كنت في ذلك اليوم، مع عبير إيرينِه الذي لا يزال كامنًا بين الملاءات. كان عليَّ أن أستمني. كان لا بدّ لي من ذلك. وقد أردته، لكني لم أفعله.

لا، لم أفعله! وضعت ألبوم فرقة «ليد زيبلين» ورفعت الصوت إلى آخره. استجمعت كل ما استطعت استجماعه من تركيزي، وحاولت أن أبدأ كتابة قصة قصيرة جديدة. وعندما حلّت الظلمة، تركتها تدخل الشقة أيضًا، عدا مكتبي حيث كان مصباح صغير ينيره كأنه جزيرة نور في ظلام الليل، هكذا تخيلته. وبعد ذلك، استلقيت في الفراش ونمت إلى أن أيقظني رنين الساعة المنبهة وبدأ يومُ اثنين جديد في مدرسة هافيورد.

كان أول ما فعله التلاميذ عند دخولي غرفة الصف معابثتي من أجل إيرينِه.

تركتهم يقولون ما يحلو لهم، ثم جمّدتهم بنظرة صارمة وقلت لهم، كفوا الآن عن هذا الكلام الذي لا معنى له. إن كنتم تريدون تحقيق أية نتيجة فعلينا أن نبدأ العمل. أخرجوا كتبهم وبدأوا يعملون. سرت بينهم لكي أساعدهم. أعجبني كيف تحوّلوا من صف ضاحك ثرثار صغير إلى حالة من الانضباط عادوا فيها إلى أنفسهم، صاروا أنفسهم.

كانوا جالسين هكذا، من غير كلام، من غير أن ينظر واحد منهم إلى غيره، منشغلين بعملهم انشغالًا تامًا كأنَّ أعمارهم قد ذابت واختفت. لا أريد القول إني ما عدت أراهم أطفالًا، لأن حقيقة كونهم أطفالًا ليست هي ما يحدّدهم، أو يُعرّفهم، بل شخصياتهم. من هم في ذوات أنفسهم، ومن يمكن أن يكونوا دائمًا.

لم أفكّر كثيرًا في إيرينِه أثناء وجودي في المدرسة، لكن هذه الأفكار جاءت في ما بعد، جاءت عندما أصبحت في شقتي، جاءت موجة أدرينالين اجتاحت جسدي. ثم جاء القنوط. لا تأتي الإثارة من غير أن يأتي قنوط

معها. لقد رأت إيرينِه فينا، نحن الاثنَيْن، غاية نستطيع إدراكها. رأت هذا وأرادت مني شيئًا. أعجبتني إيرينه، لكني لم أكن واقعًا في حبها. أبسط الأمور أننا لم نكن نجد شيئًا نتحدث فيه. أردت امتلاكها، لكني لم أرد شيئًا أكثر من هذا.

فهل كانت تحبني؟ كنت في شك من هذا الأمر. الأرجح أن ذلك لأنني مختلف، لأنني لست واحدًا من زملائها في المدرسة، بل معلّم، ولأنني لست في الثلاثين من العمر، أو في الأربعين من العمر، ولأنني لست من هنا بل من الجنوب.

بعد سنة من الآن أكون قد ذهبت، وتكون هي باقية هنا من أجل سنتها الأخيرة في المدرسة الثانوية. أهذا أساس جيد لعلاقة بيننا؟ لا أظن! ثم إنني كنت قد اعتزمت الكتابة؛ وكنت غير قادر على أن أكون مرتبطًا في كل عطلة نهاية أسبوع، الأمر الذي سيكون لا بد منه إذا تطوّر الوضع بيننا وصار علاقة جادّة حقيقية.

كان هذا الجدال يجري سجالًا في رأسي. كانت لدينا مباراة كرة قدم يوم الثلاثاء. أمضينا ساعة كاملة حتى وصلنا إلى الملعب الذي كان مفروشًا بالحصى، فصار مغبرًا إلى حدّ جعل اللاعبين يبدون أشبه بظلال بدوية. خسرنا المباراة بفارق صغير، لكني سجلت هدفًا في خضم التزاحم الذي أعقب رمية «كورنر». ثم أتى يوم الأربعاء فوصلتني نسختي الأولى من «فين دو ويت»، الصحيفة الجديدة التي اشتركت فيها. وصلني العدد بالبريد. كان موضوع العدد علاقة الأدب بالأشكال الفنية الأخرى، فلم أفهم منه شيئًا. لكن حقيقة وجود مجلة أدبية على مكتبي كان أمرًا جيدًا إلى حد كافٍ. أتتني هيغَه مساء ذلك اليوم. كانت قد ذهبت إلى المدرسة لإنجاز بعض العمل هناك. وفي طريق العودة، أتتها فكرة المرور على شقتي للسلام عليَّ. ثم ذهبتُ يوم الخميس إلى فينسنس مع نيلز إيريك. زرنا متجر الكحول والمكتبة. اشتريت زجاجة فودكا، وأخذت روايتَين لتوماس مان، «*اعترافات فيليكس كرول*» و«*دكتور فاوستوس*». وفي يوم الجمعة، ذهبت إلى المدرسة لكي أتصل

بإيرينِه. لم أجد أحدًا في غرفة المعلمين فاستفدت من وقتي: أعددت إبريق قهوة، وتابعت التلفزيون قليلًا، وأمضيت فترة أذرَع القاعة جيئة وذهابًا. ثم دخلت حجرة الهاتف آخر الأمر. وضعت الورقة التي كتبت فيها رقمها فوق الهاتف ثم طلبت الرقم ووضعت السماعة على أذني.

ردّت أمها على الهاتف. قلت لها اسمي فصاحت: «إيرينِه، إنه كارل أوفه». سمعت وقع خطوات.

قالت: «مرحبًا!».

قلت: «مرحبًا».

«كيف حالك. هل حدث أي شيء. ما هذه الجدية الكبيرة في نبرتك؟».

كانت بحَّة صوتها الخفيفة أكثر وضوحًا لمن يسمعها في الهاتف، لأن ما من شيء آخر يشتت انتباهه. جعلت البحَّة صوتها مثيرًا إلى حد عجيب.

قلت لها: «لست أدري...».

فيما يتّصل بها، كانت هناك أشياء كثيرة تدعوني إلى الشك. أليس محتملًا أن أكون أول شخص جيّد تصادفه؟ بحق الرب، رأى كل منا الآخر في الباص، فقط! ثم إنها لم تُبدِ أية مقاومة على الإطلاق، بل ذهبت إلى السرير من غير تردّد وكانت مستعدة لكل شيء.

قالت لي: «قل لي الآن، ما الأمر؟».

أي شيء هذا الذي أفعله الآن؟ هل أُنهي الأمر معها في اتصال هاتفي؟ هذا سلوك جبان. ينبغي أن يحدث الأمر وجهًا لوجه.

قلت: «لا، ما من شيء. إنه فقط... حسنًا، أنا الآن لست في أحسن أحوالي الذهنية. لكن، هذا ليس مهمًّا. شيء من السخف، وهذا كل ما في الأمر».

«لماذا؟ هل حدث شيء؟ هل هو الحنين إلى موطنك؟».

قلت: «قد يكون الأمر هكذا... قليلًا. لست أدري. سوف أكون في أحسن حال. غدًا سيكون هذا قد انجلى عني».

قالت: «أوه، ليتني كنت هناك حتى أريحك. أنا مشتاقة إليك».

قلت: «وأنا مشتاق أيضًا».

«هل نستطيع اللقاء غدًا؟».

إن كانوا سيأتون لأخذها في الساعة الثانية عشرة، مثلما جرى في المرة السابقة فسوف يكون إنهاء العلاقة مستحيلًا كل الاستحالة. لماذا؟ لأن هذا أمر ينبغي فعله فور اللقاء. لا تستطيع أن تبقى مع إحداهن أربع ساعات -مثلما حدث في المرة الماضية- وقد ينتهي بكما الأمر إلى السرير من جديد، ثم تنفصلان بعد ذلك ويذهب كل واحد في طريقه. وأما إذا فعلتها على الفور، فأين تذهب بعد ذلك، قبل أن يأتوا لأخذها.

قلت: «هذا غير مناسب لأنني سأكون منشغلًا. ما رأيك في يوم الأحد؟».

«عليَّ أن أذهب إلى فينسنس من جديد».

«تعالي إليَّ أولًا! وبعد ذلك، تستطيعين الذهاب بالباص من هافيورد. أظن هذا مناسب لك».

«ربما. نعم. أستطيع أن أفعل مثلما قلت».

قلت لها: «جيد. إذًا، سوف أراك».

«إلى اللقاء. اعتن بنفسكَ جيدًا!».

«اعتني بنفسك، يا إيرينه».

مكتبة
t.me/soramnqraa

صباح اليوم التالي، استوقفتني مجموعة شبان كانوا يقفون أمام المتجر. سألوني عن أحوالي. فقلت إنني على أحسن ما يرام. سألوني: هل تحب الذهاب إلى حفلة مساء هذا اليوم؟ سألت: أين؟ قالوا، هذا ليس أمرًا مهمًا، فسوف نجلس ونشرب في بيت إدفالد. تعال إن أحببت. لا حاجة إلى إحضار أي شراب لأن لدينا ما يكفي.

تركتهم وتابعت السير صعودًا إلى شقتي، وكنت أفكر في مدى انفتاح الناس هنا: يدعونني إلى مناسباتهم كلها مع أنني لست واحدًا منهم. فما السبب؟ ماذا يريدون من شخص قادم من كريستيانساند، من شخص يرتدي معطفًا أسود وقبعة ويحب الموسيقى الطليعية؟ لماذا يأخذونه معهم إلى لقاءاتهم في المساء؟ في موطني، لا بد من تخطيطٍ للخروج والالتقاء مع الناس، ولا بد

من تذليل عقبات كثيرة. لا تستطيع أن تعرّج على بيت أحدهم، أو أن تجلس إلى طاولة في البار مع شخص لا تكاد تعرفه! لكل امرئ دائرته الاجتماعية الخاصة به. وإن لم تكن لك دائرتك الاجتماعية فأنت على الهامش. لعل لديهم هنا دوائر اجتماعية مماثلة. ولكن، إن كانت لديهم، فهي دوائر مفتوحة. خلال الأسابيع القليلة التي أمضيتها هنا، كان ما فوجئت باكتشافه هو أن كل شخص مقبول. لا يعني هذا بالضرورة أن كل شخص محبوب، لكنه مقبول دائمًا. ليسوا مضطرين إلى التلويح لي بأيديهم وإلى دعوتي إلى الخروج معهم، لكنهم يفعلون هذا. لا يفعله بعضهم فقط، بل كلّهم.

لعل الإجابة هي أن لا بد لهم من هذا، لعل الإجابة بسيطة إلى هذا الحد! عددهم قليل جدًا؛ وهذا ما يجعلهم غير قادرين على استبعاد أحد. أو من الممكن أن تكون نظرتهم إلى الحياة مختلفة. لعلّها نظرة أكثر بساطة، أقل تركيبًا. إن كنت تعيش حياتك على ظهر مركب، وإن كنت تؤدّي كل يومًا عملًا جسديًا شاقًا، ثم تبدأ الشرب لحظة بلوغك الشاطئ، فليس ثمة ما يدعوك إلى التقيد بالتمييزات وقواعد السلوك الاجتماعي الدقيقة التافهة. السلوك الأكثر طبيعية هو أن تمد يد الصداقة وأن تدعو الآخر للانضمام إليك: فلنشرب كأسًا! هل سمعت عما حدث تلك المرة عندما...؟

فيفيان، ليفه، أندريا، ثلاثتهن مسرعات على الطريق المنحدرة، على دراجاتهنّ. لوّحن لي وصحن بي عند مرورهن. شعورهنّ متطايرة، وأعينهنّ متقلّصة في مواجهة الريح المندفعة إليهن. ظللت زمنًا طويلًا مبتسمًا لنفسي بعد مرورهم بي. ما أظرفهن! تلك الجدية الشديدة لديهن محطّمة كلها في دخيلة أنفسهن، محطمة بفعل بهجة طفولية كبيرة، كبيرة مثل جديتهنّ.

عملت بضع ساعات على قصة قصيرة تتحدّث عن بضعة صبية سمّروا قطًا إلى شجرة، ثم سخنت بالمايكروويف وجبة جاهزة من أجل عشائي، ثم استلقيت على الأريكة وقرأت «دكتور فاوستوس»، إلى أن أظلمت السماء في الخارج وصار عليّ أن أبدأ الاستعداد للخروج.

لم أقرأ من قبل شيئًا مما كتبه توماس مان. أحببت أسلوبه التقليدي المسهب، وأحببت مشاهد البداية عندما كان أبطال القصة أطفالًا فجعلهم

والد واحد منهم -أدريان- يرون تجارب يجريها على موادّ ميتة، فيجعل الحياة تدّب فيها. كان هذا رائعًا، وكان من حول أولئك الأطفال شيء غريب يفرض نفسه فرضًا على وعيك، في البداية، ثم لا يلبث أن يبدو كأنه يغوص إلى الأعماق. تذكّرت جراحة القلب المفتوح التي رأيتها في التلفزيون عندما كنت طفلًا، وكيف كان القلب ينبض وسط ذلك الدم كله، ينبض كأنه حيوان صغير أعمى. كان القلب حيًا، ينتمي إلى فئة مختلفة عن فئة التجارب التي يجريها والد أدريان، لكن العمى هو نفسه، وكذلك حقيقة أنه كائن يتحرك بموجب قوانين يتبعها ويلتزم بها، ولا يتحرك مستقلًا عنها.

كنت غير قادر على التقاط الجزء المتعلّق بالموسيقى؛ لكنه أمر أَلِفْتُه في هذا النوع من الروايات لأن فيها دائمًا مساحات كبيرة أقرأها سريعًا من غير فهم. أمر يشبه تلك الحوارات الفرنسية التي تظهر فجأة في بعض الكتب.

حمّام سريع، غيّرت بعده ملابسي ووضعت زجاجة فودكا في كيس، ثم خرجت وسرت صاعدًا إلى بيت إدفالد الذي كان صياد أسماك أكبر قليلًا من الآخرين -في الثلاثين تقريبًا- عازب، يسرّه استقبال الناس في بيته. بقيت هناك حتى الساعة الخامسة صباحًا، ثم سرت عائدًا عبر القرية برأس فارغة من كل شيء كأنها نفق لا يعبره أحد. استيقظت في الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم التالي فوجدت أنني لا أتذكّر شيئًا غير وقوفي على الرصيف، ومراقبتي طيورًا بحرية تنقضّ غاطسة في الماء، وتساؤلي إن كانت نائمة، وتبوّلي على جدار المتجر. اختفى كل شيء آخر. ضاعت التفاصيل كلّها، وضاعت معالم اللحظات. لقد شربت زجاجة كحول كاملة: هذا ما يفعله المرء هناك! كنت لا أزال ثملًا عندما استيقظت. أبدًا، لا أستطيع الكتابة. بدلًا من ذلك، استلقيت على السرير وقرأت؛ لكن ذلك لم يسِر سيرًا حسنًا لأن دماغي بدا كأنه غارق في نوع من سائل أصفر كنت أنظر إليه. أتوقف عن القراءة فيزول عني هذا الإحساس. كان ذلك كأنني غارق كلّي في السائل الأصفر.

رُن جرس الباب بعد بضع دقائق من تمام الساعة الخامسة. كنت نائمًا فقفزت من السرير. إنها إيرينِه. فتحت لها الباب.

قالت مبتسمة: «مرحبًا!». رأيت كيسًا على الأرض، إلى جانبها. خطوت إلى الخلف خطوتَيْن كبيرتَيْن حتى لا تعانقني.

قلت: «مرحبًا. هل تريدين الدخول؟».

نظرَت إليَّ بعينَين متسائلتَين.

«ماذا بك، يا كارل أوفه؟ هل هناك أمر لا أعرفه؟».

قلت: «نعم، الحقيقة أن هناك أمرًا. علينا أن نتحدث».

نظرَت إليّ.

قلت لها: «أنا لم أخبرك بهذا، لكني كنت على علاقة مع فتاة قبل مجيئي. تلقيت منها رسالة بعد بضعة أيام. قالت إنها تنهي علاقتها بي. الحقيقة، كما ترين... الحقيقة هي أنني لم أستطع تجاوز هذا الأمر حتى الآن. ولكن، بدأت العلاقة بيننا تصير جادة... وأنا... ليست لدي هذه المساحة الخالية في ذهني، فالوقت لا يزال مبكرًا. هل تفهمين هذا؟ أنا معجب بك كثيرًا، ولكن...».

قالت: «هل يعني هذا أنك تنهي ما بيننا؟ تنهيه حتى قبل أن يبدأ؟».

أومأت برأسي وقلت: «أظن هذا».

قالت: «مؤسف جدًا! تقول لي هذا تمامًا عندما بدأت تعجبني كثيرًا!».

«نعم، أنا آسف. لكن الأمر لن ينجح. لا أحسّه سليمًا».

قالت: «في هذه الحالة، لعل من الأفضل أن ننسى الأمر. أتمنى لك حظًا طيبًا في حياتك».

أتت إليّ واحتضنتني ثم حملت كيسها واستدارت ومضت في طريقها.

سألتها: «هل أنت ذاهبة؟».

التفتت إلي برأسها: «نعم. لا نستطيع أن نظل جالسَيْن هنا. ألا ترى هذا؟ لماذا نظل جالسَيْن؟».

«لكن الباص لن يأتي إلا بعد زمن طويل. أليس كذلك؟».

قالت: «لا يهم، سوف أمشي وسأصعد إلى الباص عندما يأتي».

نظرت إليها نازلة في الطريق، حاملة الكيس بيدها. ثم ظللت أتابعها

حتى بلغت الطريق الماضية على امتداد الفيورد. كنت مفعمًا أسفًا وندمًا. فرصة هائلة ذهبت أدراج الرياح. في الوقت نفسه، كنت مرتاحًا لأن ذلك جرى من غير ألم. انتهى الأمر الآن. ما عاد لديَّ ما أفكر فيه.

ازدادت الأيام قصرًا. ثم ازداد تقاصرها سرعة كأنها تجري إلى الظلمة جريًا. أتى الثلج الأول أواسط شهر تشرين الأول، ثم ذاب بعد بضعة أيام. لكن الثلج الثاني أتى أوائل تشرين الثاني، أتى عنيفًا وظل يتكوّم يومًا بعد يوم. سرعان ما تراكمت وسائد ثلج كثيفة بيضاء فوق كل شيء إلا البحر الذي كان راقدًا إلى جوار ذلك كله، سطحه نظيف داكن، وأعماقه مخيفة، ظل راقدًا كأنه حضور خطير ينتمي إلى عالم آخر مثل قاتل استقر في بيت في الحي. سكّينه اللامبالية لامعة على طاولة المطبخ.

الثلج والظلمة غيّرا المنطقة، فصارت كأنها مكان لا أعرفه. عند قدومي أول مرة، كانت السماء عالية، مضيئة، وكان البحر واسعًا والمساحات مفتوحة. القرية المكوّنة من تجمعات هنا وهناك بدت كأنّ ما من شيء يجمعها. كانت موجودة في حدّ ذاتها، لا أكثر. كان إحساسي أن ما من شيء يتوقّف هناك. ثم أتى الثلج وأتت الظلمة. سقطت السماء وصارت كأنها غطاء فوق أسطح البيوت. اختفى البحر واندمج سواده بسواد السماء ولم يعد الأفق الفاصل بينهما مرئيًا. بل إن الجبال نفسها اختفت واختفى معها إحساسك بأنك وجدت نفسك في منطقة واسعة مفتوحة. البيوت هي كل ما بقي، البيوت المُنارة طيلة الليل وطيلة النهار ومن حولها ظلمة دائمة تحيط بها. الآن، صارت البيوت والأنوار نقطة مركزية تجذب كل شيء إليها.

سدّ الطريق انهيارٌ ثلجي، فبدأت خدمة العبّارة البحرية، وصارت حقيقة أنك غير قادر على مغادرة المكان إلا مرتَيْن في اليوم عنصرًا يعزز الإحساس بأن هذه القرية هي القرية الوحيدة، وبأن هؤلاء الناس هم الناس الوحيدون. كنت لا أزال أتلقى رسائل كثيرة وأنفق وقتًا طويلًا في الرد عليها. لكن الحياة التي تمثلها هذه الرسائل لم تعد هي الحياة التي لها أهمية، بل غدت الحياة

التي تهمّني هي حياتي هذه، حياتي هنا: أنهض في الصباح، وأخرج مخوّضًا في الثلج، وأسير صاعدًا إلى المدرسة. وأدخل غرفة الصف. أظل هناك طيلة النهار، في ذلك المعقل المُنار ذي السقف المنخفض، المعقل الذي تحاصره الظلمة من كل اتجاه، ثم أذهب إلى البيت، أذهب للتسوق، أتناول طعام العشاء، ثم أخرج لأداء تمرينات في الصالة الرياضية مع صيادي الأسماك الشباب، وأشاهد التلفزيون في المدرسة، وأسبح في البركة أو أجلس في البيت، فأقرأ وأكتب إلى وقت متأخر. أذهب إلى الفراش وأنام تلك الساعات الميتة قبل أن يبدأ اليوم التالي. أشرب في عطلات نهاية الأسبوع. دائمًا، يأتي أحدهم ويسألني إن كنت راغبًا في الذهاب إلى فينسنس، أو إلى قرية على مسيرة بضع ساعات، إن كانت الطريق مفتوحة. وعندما تُغلق الطريق، أصعد إلى بيت أحدهم، أو أنزل إلى بيت أحدهم، فأجد دائمًا أشخاصًا جالسين إلى الطاولة يشربون. أشخاصٌ يرحبون بالرفقة في أي وقت. لم أكن أقول لا، بل أنضم إليهم. لم تعد زجاجة كحول في المساء استثناء، بل صارت قاعدة. لذا، كثيرًا ما كان يحدث أن أتجوّل هنا وهناك، وأفعل أمورًا أستيقظ صباح اليوم التالي وقد نسيتها كلها. ذات مرة، رميت نفسي من الباص وبدأت السير مبتعدًا عن القرية بدلًا من السير في اتجاهها. لم يقل أحد شيئًا إلى أن سرت مئة متر مرتديًا قميصًا وسترة رقيقة، مرتجفًا، مرتعشًا، ثم سمعت صيحاتهم: في هذا الاتجاه، يا أحمق، في هذا الاتجاه! وفي حفلة أخرى، رقصت مع معلمة بديلة من هوسويا. كان اسمها آنِه. كانت من مكان ما في أوستلاند، وكانت جميلة بتلك الطريقة الشقراء الباردة التي تجذبني كثيرًا. وقفنا زمنًا طويلًا نتبادل القبل في زاوية من زوايا الممر حيث كانت غرفة المعاطف. اتصلت بها بعد بضعة أيام ودعوتها إلى الغداء في شقتي مع صديقة لها ومع تور إينار ونيلز إيريك. حاولت تقبيلها عندما أتت، لكنها خفضت رأسها. قالت إن لديها صديقًا. وقالت إن ما حدث في الحفلة ما كان يجوز أن يحدث لأنني لست من النمط الذي يعجبها، لست من ذلك النمط أبدًا. لم يكن لديها تفسير لما جرى بيننا

غير أنها كانت ثملة. قلت لها، لعل السبب أيضًا أن المكان كان مظلمًا! حاولت أن أجعل من الأمر نكتة، لكنها لم تضحك. لم تكن من ذلك النوع من الفتيات. باردة، مخيفة: هكذا كانت آنِه.

في عطلة نهاية أسبوع أخرى، عاد الناس إلى القرية قادمين من المدارس أو الجامعات في أنحاء النرويج، فكانت حقيقة أنهم أشخاص مختلفون، تلك الحقيقة وحدها، كفيلة بخلق شعور بالانعتاق والتحرّر. لاحقت إحداهن مثلما يفعل كلب. كان اسمها تونِه. إنها شقيقة فرانك، ابنة المعلمة التي لم تطقني؛ لكني لم أكن مباليًا بهذا. كنت ثملًا، وظللت أرقبها طيلة الأمسية.

رأيتها تهمّ بالانصراف، فقررت اللحاق بها.

كانت ندفات الثلج سابحة في الظلمة. سارت الفتاة في الطريق خمسين مترًا خافضة رأسها، ماضية في نور مصابيح الشارع. غطيت النصف الأسفل من وجهي بوشاحي، وانطلقت خلفها. وصلتْ إلى بيت والديها، ونفضت الثلج عن حذائها، ثم أغلقت الباب من خلفها.

وقفت في الخارج بضع دقائق. اعتقدت بأنها ستكون سعيدة عندما تراني لأنها كانت، طيلة الأمسية، راغبة في النوم معي.

كانت نافذة المطبخ مظلمة، وكانت نافذة غرفة المعيشة مظلمة أيضًا. لكني رأيت نورًا متسربًا من النافذة الضيقة في آخر البيت.

فتحت الباب ودخلت. لم أبال بخلع حذائي. ألقيت نظرة سريعة على غرفة المعيشة. كانت مظلمة، خالية. سرت في الممر صوب الباب المفتوح الذي رأيته في آخره.

كانت واقفة في الحمام تنظف أسنانها. كان فمها ممتلئًا رغوة.

قلت لها: «مرحبًا».

لا بد أنها سمعتني، لكنها لم تُبد أدنى ذعر عندما استدارت في اتجاهي.

قالت لي: «اخرج من البيت».

جلست على كرسي عند الجدار، وحدّقت فيها تحديقًا شديدًا. حدقت أول الأمر في وجهها، ثم في ثدييْها تحت كنزتها الخضراء.

هزّت رأسها: «أنت تضيع وقتك. ليس لك أي أمل معي».

كانت كلماتها غير مفهومة، تقريبًا، مثلما يكون كلام كل من يتكلّم وهو ينظف أسنانه.

قلت لها: «هل تريدين أن أنصرف؟».

أومأت برأسها.

قلت: «لا بأس»، ثم نهضت وخرجت من البيت.

شكّلت الريح جدارًا أمام الباب، جدارًا كله ذرات ثلج جعلها الصقيع متجمّدة. يا للأسف! فكّرت في هذا ورفعت رأسي ناظرًا إلى الظلمة الهائلة من فوقنا. هي مترفّعة جدًا. نعم، مترفّعة إلى حد غير معقول! بعد وهلة من تجوّلي جيئة وذهابًا في الشارع الممتلئ ثلجًا، تحت نور مصابيح الشارع، تحت النور الذي أكسبه الثلج والظلمة في الخلفية ألقًا مخضرًّا، أسبغ على المحيط كله طابعًا يشبه الأعماق المائية، عثرت على طريق العودة إلى الحفلة التي لم تعد حفلة، بل طاولة مزدحمة بالكؤوس والزجاجات وعلب السجائر الفارغة وأطباق السجائر في غرفة لا أحد فيها. لا بد أن إحساسي بالوقت قد زال تمامًا -هل غبت هذه الفترة الطويلة كلها؟- ثم غاب إحساسي بالمكان أيضًا لأنني لا أتذكر شيئًا بعد ذلك غير استيقاظي في فراشي، في بيتي.

كنت أفعل هذا كلّه، أفعله حقًا من غير أن أحرم نفسي من شيء عندما أكون ثملًا، عندما أكون في تلك الحالة المسكرة من الحرية التامة: حالة بدأت تترك أثرها عليّ مع مضيّ هذه الشهور. أيام المدرسة الثانوية، أكون ثملًا أو غير ثمل، ولا عواقب أخرى غير ذلك. وإن أتتني نوبات وخز ضمير -إن أتتني!- فهي وخزات بسيطة لا يعجز إفطار وافر وسير على الأقدام حتى البلدة عن مداواته. وأما هنا، في الشمال، فقد كان الأمر مختلفًا. لعل الفجوة بين الشخص الذي أكونه عادة وبين الشخص الذي أصيره عندما أشرب صارت كبيرة جدًا، كبيرة أكثر مما ينبغي! لعل من المستحيل على

الإنسان أن يحمل هذه الفجوة الواسعة في داخله. وذلك لأن ما حدث هو أن الشخص الذي أكونه عادة بدأ يغرق في الشخص الذي أصيره عندما أشرب. صار النصفان مندمجَيْن معًا اندماجًا بطيئًا، لكنه أكيد. وكان إحساسي بالخجل من نفسي خيطًا جامعًا بين النصفَيْن.

أوه، يا للجحيم! هل فعلت هذا؟ تتردّد هذه الصيحة في داخلي صباح اليوم التالي عندما أكون مستلقيًا في الظلمة، أوه، لا، يا للهول! هل قلت ذلك؟ وذلك؟ وذلك؟

أظلّ مستلقيًا هناك وقد جمّدني الذعر كأن أحدًا يسكب فوقي دلوًا بعد دلوٍ من خرائي.

انظروا أي أحمق هو! انظروا كم هو غبي!

لكني أنهض من الفراش وأبدأ يومًا جديدًا، فأفلح دائمًا في اجتيازه. لعل أسوأ ما في الأمر هو تفكيري في أن الآخرين قد رأوني، تفكيري في أنني أجعل من نفسي فرجة لهم في تلك الليالي، تفكيري في أن ذلك الجانب من شخصيتي الذي أعرضه أمامه في سُكري يظل منعكسًا في نظرتهم إليَّ كل يوم.

كنت أتظاهر بأنني معلّم شاب يعتني بتلاميذه كل عناية ممكنة، معلم يراه الناس ذاهبًا إلى مكتب البريد، عائدًا منه، أو ذاهبًا إلى المتجر، عائدًا منه؛ وأما حقيقة الأمر فهي أنني لم أكن إلا معتوهًا أحمق يسيل لعابه لرؤية الفتيات في الليل، ولا يتورّع عن قطع يدَيه الاثنتَين حتى تأخذه واحدة منهن معها إلى بيتها؛ لكن أيًا منهنّ لم تُرد ذلك. فهو، في آخر المطاف، ليس إلا شخصًا أبله يسيل لعابه.

كثيرًا ما ينتابني هذا الإحساس في المدرسة أيضًا، لكن ليس مع التلاميذ، فقد كنت مسيطرًا سيطرة تامة على الوضع في غرفة الصف، وليس مع نيلز إيريك وتور إينار لأنهما، بالطبع، يفهمان الأمر جيدًا.

نعم، كان الوضع تحت السيطرة؛ لكن هذا لم يكن يمنع عني إحساسي بالألم والعذاب هناك أيضًا. على العكس تمامًا، أكون في الدقائق الأولى

من بداية الأسبوع جالسًا خلف مكتبي، قبالة تلاميذي، وسلوكي المخزي في عطلة نهاية الأسبوع لا يزال ماثلًا في ذهني.

يخلعون ستراتهم المبطّنة، ويجلسون مرتدين كنزاتهم الآيسلندية. لا تزال جلودهم محمرّة من البرد. يتململون على مقاعدهم ولا يطيقون البقاء جالسين، لأنهم راغبون في الذهاب إلى البيت والعودة إلى الفراش، في حين يشدّهم إلى وجهة أخرى وجود الآخرين من حولهم. يتبادلون النظرات، ويتهامسون بجمل صغيرة، ويضحكون، ويتنفسون، ويحيون.

مصباح ساطع في السقف؛ وعلى خلفية الظلمة العميقة المحوّمة من فوقنا دائمًا، تعكس النوافذ صورة الناحية الأخرى من غرفة الصف. ها هو كاي روالد جالس هناك. ها هي فيفيان جالسة هناك. وها هي هيلدغون جالسة هناك. وها هي ليفه جالسة هناك. وها هي أندريا جالسة هناك. بنطلونات جينز ضيقة فاتحة الألوان، وجزمات بيضاء، وكنزات بيضاء لها ياقات عالية. وها أنا جالس هنا، من خلف مكتبي، مرتديًا قميصًا أسود وبنطلون جينز أسود، أرتعش في داخلي لشدة إعيائي. أبسط إزعاج أو تجاوز يبدو لي فظيعًا، ولا أريد شيئًا غير السكينة، غير الأمان.

فتحت الكتاب على الفصل الذي سوف نقرأه. كانت أصوات همهمة آتية من الصفوف الأخرى تغزو صفنا. وكان تلامذتي نعسين، غير مهتمّين.

«لا بأس، أخرجوا كتبكم! انتهى وقت النعاس!».

ابتسمت أندريا عندما انحنت وأخرجت كتابها من حقيبتها. كان مجلّدًا بورق بنيّ كامد عليه أسماء نجوم البوب والأفلام بقلم عريض. تنهّد كاي روالد بصوت مرتفع، لكنه ابتسم عندما تلاقت عيوننا. وبالطبع، كان كتاب هيلدغون جاهزًا. التفتت ليفه إلى النافذة فنظرتُ في ذلك الاتجاه. شخص صاعد في الطريق، لكنه يبدو مثل شبح، لأن من المستحيل تمييز شكل جسده في تلك الخطوط الغامضة الآتية إلينا، ملفّعة بشذرات الثلج المتطايرة في كل مكان.

«ليفه! أخرجي كتابك!».

«نعم، نعم. أي درس لدينا الآن؟».

«هل أنت جادة في هذا السؤال؟ ألا تعلمين؟».

«لا!».

«نحن هنا منذ ستة شهور. نأتي إلى الدرس الأول صباح يوم الاثنين ويكون لدينا دائمًا الدرس نفسه. إنه درس...». كانت عيناها تنظران إليَّ بنظرة متوترة، مترقّبة «ألا تتذكرين موضوع الدرس؟».

أنا بدوري... لم أتذكّر! علا الذعر في داخلي مثلما يعلو الماء في مرحاض مسدود.

هزّت رأسها نفيًا.

«هل يتذكّر هذا أي منكم؟».

نظروا كلّهم إليّ. هل أدركوا حقيقة الأمر؟

لا.

وأخيرًا، فتح كاي روالد فمه. قال: «المسيحية».

قالت ليفه: «أوه، صحيح، المسيحية! بالطبع. كنت أعرف هذا. لكن ذاكرتي غابت لحظة واحدة».

قال كاي روالد: «أنتِ غائبة دائمًا».

رشقتْه بنظرة حادة كأنها خنجر.

قلت: «وأنت، ألست غائبًا؟».

ضحك وقال: «نعم. أظن هذا».

قلت: «وأنا أيضًا غاب كل شيء عني، لحظة قصيرة. لكن هذا ليس حسنًا. علينا أن ننهي منهاجنا الدراسي. لا نستطيع فعل هذا إلا إذا بذلنا جهدًا».

قالت فيفيان: «هذا ما تقوله لنا دائمًا».

«لكنه صحيح. أتظنينني أقف هنا متحدّثًا عن مارتن لوثر من أجل نفسي؟ أعرف عنه ما يكفيني. لكنكم لا تعرفون أي شيء. أنتم حفنة من الجهلة. ومن ناحية أخرى، أنتم لا تزالون في الثالثة عشرة. يعني هذا أنكم لستم مذنبين في شيء. بالمناسبة، هل أجد بينكم من يعرف معنى كلمة 'جهلة'؟».

صمت مطبق.

قالت أندريا: «هل لها علاقة بكلمة 'يتجاهل'؟». علا وجنتَيْها تورّدٌ خفيفٌ، وراحت تنظر إلى يدها التي تعبث فوق كتابها.

قلت: «صحيح. أن أتجاهل يعني ألّا ألاحظ شيئًا من الأشياء، أو ألّا أبدي اهتمامًا به. والشخص الذي يتجاهل شيئًا يكون جاهلًا به لأنه غير مهتم. إذا كان المرء غير مهتم بأمر من الأمور، فهو لا يعرف شيئًا عنه».

قال كاي روالد: «يعني هذا أنني جاهل».

«لا. أنت لست جاهلًا. أنت تعرف أمورًا كثيرة».

«مثل ماذا؟».

«تعرف الكثير عن السيارات، أليس هذا صحيحًا؟ تعرف أكثر مما يعرفه أي شخص غيرك! وأنت تعرف الكثير عن الصيد. أنا لا أعرف عن الصيد شيئًا».

قالت فيفيان: «بالمناسبة، لماذا ليست لديك رخصة لقيادة السيارة؟ لقد تجاوزت الثامنة عشرة».

رفعت كتفي وقلت: «أستطيع تدبر أمري من غيرها».

قالت فيفيان: «لكنك في حاجة إلى من يأخذك كلما أردت الذهاب إلى مكان».

قلت: «لكني أتدبر أمري، أليس هذا صحيحًا؟ لكن، هذا كافٍ الآن. دعونا نكمل عملنا».

نهضت واقفًا، وقلت، «ماذا تعرفون عن مارتن لوثر؟».

قالت هيلدغون: «لا نعرف شيئًا».

قلت: «ألا تعرفون شيئًا؟ لا شيء أبدًا».

قالت هيلدغون: «لا شيء».

قلت: «هل كان نرويجيًا؟».

قالت هيلدغون: «لا».

«إذًا، من أي بلد كان؟».

رفعت هيلدغون كتفَيها وقالت: «من ألمانيا، أليس كذلك؟».

«وهل هو حيّ الآن؟».

«بالطبع لا!».

قلت: «متى مات؟ هل مات عندما كان أهلكم صغارًا؟ في الستينيات، مثلًا؟».

قالت فيفيان، «لقد عاش في زمن قديم».

قالت هيلدغون: «عاش في القرن السادس عشر».

«وما كانت صنعته؟ هل كان سبّاكًا؟ صيادًا؟ سائقًا؟».

قال كاي روالد: «لا»، ثم ضحك.

«لقد كان قسًّا». قالت أندريا هذا بطريقتها اللامبالية التي يراد منها إظهار أن ما تقوله ليس إلا واحدًا من أشياء كثيرة تعرفها.

قلت لهم: «يعني هذا أنكم تعرفون الكثير. كان مارتن لوثر قسًا عاش في ألمانيا في القرن السادس عشر. والآن، أريد أن يعثر كل منكم على عشر معلومات عن مارتن لوثر، وأن يدوّنها عنده. وبعد ذلك، سوف نتحدّث عن تلك المعلومات في آخر الدرس».

قالت فيفيان: «وكيف نعثر على المعلومات؟».

قالت هيلدغون: «أليست مهمتك أن تقولها لنا؟ أليس هذا ما تتلقى راتبك من أجله؟».

قلت: «أتلقى راتبي حتى أعلّمكم. لن يكون معكم دائمًا معلم يخبركم ما تلزمكم معرفته. إذًا، ماذا تفعلون؟ ينبغي أن تتعلّموا كيف تبحثون عن الأشياء. هل تفهمون هذا؟ ابحثوا عن المعلومات في كتاب. ابحثوا عنها في موسوعة. لا مشكلة عندي فيما تفعلون حتى تستطيعون العثور على تلك المعلومات العشر. هيا، انطلقوا!».

نهضوا وهم يتنهّدون ويئنون ويكشّرون، واتجهوا إلى مكتبة المدرسة المتواضعة، كل منهم متسلح بقلم ودفتر. جلست خلف مكتبي ونظرت إلى الساعة المعلقة على الجدار. بقي من وقت الدرس نصف ساعة. بعد انتهاء

هذا الدرس، لديّ بعده خمسة دروس أخرى. عندها، يكون يوم الاثنين قد انتهى. يكون باقيًا أمامي أيام الثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة.

في عطلة نهاية الأسبوع، عليَّ أن أكتب، بكل تأكيد. لا ذهاب إلى فينسنس في النهار؛ ولا ذهاب إلى حفلة في المساء. ما عليَّ إلا أن أظلّ جالسًا أمام آلتي الكاتبة منذ لحظة استيقاظي حتى ذهابي إلى النوم.

صارت لديّ الآن خمس قصص قصيرة فضلًا عن القصتَيْن المبنيتَيْن على الأحلام. أبطال القصص لا يتغيّرون: غابرييل نفسه ومجموعة الشخصيات التي معه، هي المجموعة نفسها. تجري الحوادث في تيباكن. الأمر الغريب هو شدّة إحساسي بقرب ذلك المكان مني. أجلس أمام الآلة الكاتبة، فأكون كأنني فتحت بابًا على تيباكن. يعلو المشهد في داخلي، يعلو بتمامه، ويطغى على كل ما هو من حولي. أرى الطريق أمام البيت، وشجرة الصنوبر العالية، والجدول الجاري من خلفها. المنحدر النازل صوب أوبيكيلن، والجدار الحجري، والمرتفع الصخري، وحظيرة مرسى الزوارق، والرصيف المعوجّ المتقلقل، والجزيرة بنوارسها كلها. إن أتى أحد الآن وقرع الجرس -هذا ما يفعلونه طيلة الوقت، تلاميذ من الصف الرابع، ومن الصف السابع، وتلاميذ الصف التاسع ذوو القامات الطويلة، أولئك الذين لا أفهم سبب انجذابهم إليَّ، وبعض الصيادين الشباب- فسوف يفاجئني صوتُه مفاجأة شديدة. ليس محيط طفولتي هو الذي يقحم نفسه في الحاضر، لا، ليس هذا ما أحسّه، بل أحسّ العكس تمامًا: أكون قد عدت إلى طفولتي عودة حقيقية؛ ويكون الحاضر هو ما يقحم نفسه في وجودي. إن قاطعني أمر من الأمور، فمن الممكن أن تنقضي ساعة كاملة، أو أكثر من ساعة، قبل أن تظهر لي تيباكن من جديد.

هذا ما كنت مشتاقًا إليه. عندما كانت الأشجار أشجارًا، لا «أشجارًا». والسيارات سيارات، لا «سيارات». عندما كان أبي أبي، لا «أبي».

نهضت وسرت في الصالة بضع خطوات حتى أستطيع رؤية ما يفعله

تلامذتي. كانوا جالسين إلى طاولة المكتبة، عدا أندريا وهيلدغون اللتَين كانتا متّجهتين إلى مقعديهما.

قلت عندما مرّتا بي: «هل وجدتما شيئًا؟».

قالت هيلدغون: «بالطبع، لقد انتهينا. ماذا نفعل الآن؟».

«اجلسا وانتظرا».

في غرفة من غرف الصفوف، تفصلها عن المكتبة أرفف الكتب الطويلة، كان تلامذة الصفَين الثالث والرابع جالسين على مقاعدهم، بعضهم رافعًا يده في الهواء، في حين كانت توريل تتنقل بينهم لمساعدتهم. وفي الزاوية الأخرى من الغرفة، كان تلامذة الصف الأول جالسين على وسائد موزعة من حول هيغّه. كانت تقرأ لهم من كتاب؛ وكانوا يحدّقون فيها بعيون حالمة ووجوه ناعسة. انتبهت هيغّه إلى نظرتي فرفعت رأسها من غير أن تتوقّف عن القراءة وابتسمت لي. رفعت حاجبي، ثم عدت إلى صفي فقابلتني عينا أندريا. كانت جالسة تنظر إليّ. لكنها أسبلت عينَيها عند اقترابي.

قلت لها: «إذًا، ماذا وجدت؟». مكتبة سُر مَن قرأ

قالت هيلدغون: «هل تريد سماع المعلومات الآن؟».

قلت: «لا. ليس الآن. سوف ننتظر إلى أن ينتهي بقية التلاميذ».

قالت أندريا: «إذًا، لماذا تسألنا؟».

قلت لها: «كان سؤالًا عفويًا».

أتى كاي روالد وفيفيان سائرَين على السجادة. وبعد جلوسهما في مقعدَيهما، ذهبت إلى زاوية المكتبة حيث لا تزال ليفِه منهمكة بالكتابة في دفترها.

قلت لها: «كيف تسير الأمور؟».

قالت لي: «لقد وجدت خمس معلومات. لا، ست معلومات».

قلت: «هذا جيد. إنه كافٍ تستطيعين تدوين المعلومات الأربع الباقية عندما نتحدث عنها».

حملتْ حوائجها وسارت إلى مكانها، وقد اكتسى وجهها ذلك التعبير

الجاد الذي يظهر عليه كلما طلب منها أحد أن تفعل شيئًا. لكنها كانت غير قادرة على إخفاء إحساسها الداخلي بعدم الأمان، أو على الأقل، غير قادرة على إخفائه عني. لا يسهل تخمين ما يراه زملاؤها عندما ينظرون إليها.

أمضينا آخر عشرين دقيقة من الدرس في استعراض النقاط التي سجّلوها. تحدّثت، وتوسعت في الحديث، بينما كانوا ينظرون إليّ بعيون خاوية. ما نفع مارتن لوثر لهم؟ لست أدري! بالنسبة إليهم، لعل الأمر الأكثر أهمية هو أن يكونوا هنا، وأن يسجّلوا بأقلامهم معلومات في دفاترهم، أن يجلسوا على مقاعدهم يصغون إلى شخص يحدثهم عن أمر من الأمور.

رُن الجرس. سألوني إن كانوا يستطيعون البقاء في غرفة الصف أثناء الاستراحة لأن الطقس في الخارج سيئ جدًا. قلت لهم إن هذا غير ممكن أبدًا، وإن عليهم أن يخرجوا. انتظرت إلى أن ارتدوا ستراتهم ووضعوا قبعاتهم على رؤوسهم، ثم ذهبت إلى غرفة المعلمين حيث كان كل شخص منشغلًا بشؤونه. جلست حاملًا فنجان قهوة. صارت القهوة مرّة الطعم بعد بقائها في الآلة ساعة كاملة.

كان نيلز إيريك جالسًا في الناحية الأخرى من الغرفة يقرأ صحيفة محلية. نظر إليّ وقال: «هل تأتي لكي نسبح في البركة في وقت لاحق من هذا اليوم؟».

«قلت: «لا بأس. عرّج عليّ في طريقك».

وأمامنا فتحت توريل باب البراد، ثم انحنت صوبه وأخرجت علبة لبن رائب. نزعت غطاء العلبة ولعقت اللبن العالق عليه قبل أن ترميه في سلة المهملات تحت المجلى. أخرجت ملعقة من الدرج وبدأت تأكل. نظرت إلينا وابتسمت. خط من اللبن الرائب الوردي عالق على شفتها السفلى.

قالت لنا: «ينتابني جوع شديد في هذا الوقت».

قلت: «لست مضطرة إلى الاعتذار عن هذا فنحن نتناول مأكولات خفيفة طيلة الوقت».

طوى نيلز إيريك الصحيفة، ثم نهض وذهب إلى المرحاض. أخذت

جرعة كبيرة من فنجان القهوة، ثم التفت إلى جين التي خرجت في تلك اللحظة من غرفة التصوير، حاملة بيدها مجموعة أوراق. كانت زاويتا فمها متدليتَيْن كعهدهما دائمًا، وعيناها ضجرتَيْن غير معنيتَيْن بشيء. عيناها تتركانك من غير أية رغبة حقيقية في معرفة شيء عما هو جارٍ داخلها.

قلت: «هل أنت من صنع القهوة، يا جين؟».

ألقت عليَّ نظرة فاحصة، «نعم. اليوم دوري في تولي شؤون المطبخ. لماذا تسأل؟».

قلت: «لا شيء عدا أنها أسوأ قهوة شربتها في حياتي كلها».

ابتسمت جين ابتسامة عريضة. وقالت: «يعني هذا أنك فتى مدلَّل. لكني أستطيع إعداد دفعة جديدة، إن كنت تريد ذلك».

«لا، على الإطلاق! كان هذا مزاحًا فحسب! في نظري، القهوة جيدة إلى حدٍّ كافٍ».

ذهبت إلى طاولتها. نهضتُ فوقفت أمام النافذة. حلقة ضوء تحيط بعمود الإنارة، ضوء كثيف لكثرة ما فيه من شذرات ثلج مدوّمة في الريح كأنها سرب من حشرات. بضعة أطفال يتقاتلون في الثلج، هناك، في الأسفل. أربعة منهم فوق واحد مستلق في أخدود. ارتعشت يداي عندما رأيتهم. أحسست دافعًا قويًا يحدوني إلى دفع الآخرين عنه، لأنني غير قادر على تخيل شيء أكثر إثارة للخوف من الاستلقاء تحت أولئك الأطفال بوجه مغمور بالثلج.

خَطَوت جانبًا، ونظرت إلى الملعب.

أين المعلم المراقب؟

أوه... متى يعود إليّ عقلي؟ اليوم دوري في مراقبة الباحة!

أسرعت صوب صف المشاجب في الردهة.

قال ستورِه: «بقيت الآن ثلاث دقائق. لا معنى لخروجك. تستطيع تعويض ذلك بعد انتهاء المدرسة».

ضحك معجبًا بنكتته. نظرت إليه من غير ابتسام. وضعت قبعتي على رأسي وأخرجت قفازي. صحيح أنه كان محقًّا عندما قال إن ما من معنى

للخروج الآن، لكن سببًا آخر كان يجعل خروجي ضروريًا: انطباع الأسف لما حدث وانطباع الطاقة والاندفاع اللذين سأتركهما خلفي هنا بعد خروجي مسرعًا، وظهوري في النافذة أمام أعين من ينظرون من الداخل. لا أريد أبدًا أن يراني الناس متراخيًا. آخر ما أريده هو أن يعتبروني واحدًا ممن يتهرّبون من أداء الواجب.

خرج شخص من تحت المظلة الواقية من المطر. اندفعت صوب الأولاد الذين كانوا يتصارعون في الثلج. رأيتهم الآن ينفضون الثلج عن بنطلوناتهم. صارت بنطلونات الجينز سوداء تقريبًا حيث ذاب الثلج عليها.

قال جو من خلفي: «كارل أوفه!»، وجذب حاشية سترتي.

لا بد أنه جرى حتى لحق بي.

استدرت وقلت له: «ماذا تريد، يا جو؟».

ابتسم وقال: «هل أستطيع أن أرميك بكرة ثلج؟».

سمحت لهم يوم أمس بأن يرموني بكرات ثلج. كانت غلطة مني لأنهم رأوا الأمر ممتعًا جدًا خاصة عندما يصيبون فخذي بكتل الثلج المتصلبة الواخزة. لكنهم رفضوا أن يتوقفوا عندما طلبت منهم التوقف. لقد كانوا كمن حصل على «عفو»: ما كان غير مسموح لهم فعله، صار مسموحًا، ونشأ لديهم إحساس بأن من الصعب إنزال عقوبة بهم حتى إن لم يعد ذلك التصرف مسموحًا به.

قلت له: «لا، ليس اليوم. ثم إن الجرس سوف يُرن بعد لحظات».

نظر الأولاد إليَّ من تحت قبعاتهم الصوفية التي شدّوها على رؤوسهم حتى كادت تغطي وجوههم.

قلت لهم: «هل أنتم على ما يرام؟».

قال ريدار: «بالطبع، لماذا لا نكون على ما يرام؟».

قلت: «كفّ عن هذه الوقاحة. عليك إظهار الاحترام للكبار».

قال: «أنت لست كبيرًا. بل إنك لم تحصل على رخصة لقيادة السيارة».

قلت: «نعم، هذا صحيح. لكني، على الأقل، أعرف برنامج عملي.

هذا أكثر مما تعرفه أنت. وأنا كبير إلى حد يجعلني قادرًا على صفعك على مؤخرتك ثلاث مرات كل يوم إن رأيت حاجة إلى فعل ذلك».

قال لي: «إذا فعلت هذا، فسوف يضربك أبي».

قال جو: «كارل أوفه، هيا بنا». بدأ يجذب سترتي من جديد.

قلت: «وأنا لدي أب أيضًا، مثلك. إنه أقوى مني كثيرًا، وأطول مني قامة. وفوق هذا، لديه رخصة لقيادة السيارة».

نظرت إلى جو وسألته: «أين تريد الذهاب؟».

«هناك شيء أريدك أن تراه. شيء صنعته بنفسي».

«ما هو؟».

«هذا سرّ. لا يجوز أن يعرف السر أي شخص آخر».

نظرت في الباحة. كانت فتيات الصف السابع واقفات عند جدار المظلة الكبيرة الواقية من المطر. ومن خلفهن، عند أطراف ملعب كرة القدم، كانت مجموعة أطفال تجري، أطفال يجرون في الظلمة.

قلت له: «تعرف أنه لم يبق وقت قبل أن يرن الجرس».

أمسك بيدي. ألم يدرك بعد كيف يبدو هذا في نظر زملائه؟

قال: «سوف ننتهي من ذلك سريعًا».

ما كاد ينطق هذه الكلمات حتى انطلق رنين الجرس.

قال لي: «إذًا، إلى الاستراحة التالية. هل ستأتي معي؟».

«نعم. اذهب الآن».

إما أن يكون الأطفال في الملعب لم يسمعوا صوت الجرس أو أنهم تجاهلوه. سرت في اتجاه الملعب. أحطت فمي بكفي وصحت بهم قائلًا إن الجرس قد رُن. توقفوا ونظروا إليّ. كان الثلج الذي غطى الملعب كله قد جعله مندمجًا بما حوله: صار سطحًا مستويًا وسط منحدر كبير لا يلبث أن يتحول إلى جبل. وفي هذا البياض كله، البياض الذي جعلته ظلمة السماء من فوقه يكاد يصير أزرقَ، كان التلاميذ أشبه بحيوانات نحيلة -لعلها

زواحف من نوع ما، هذا ما بدا لي- زواحف تتجوّل على مقربة من مداخل السراديب التي حفرتها بالثلج.

لوّحت لهم بيدي، جروا متقاطرين، قادمين صوبنا.

قلت لهم: «ألم تسمعوا صوت الجرس؟». فهزّوا رؤوسهم نفيًا.

«ألم تنتبهوا إلى أن وقت رنين الجرس قد حان؟».

هزوا رؤوسهم من جديد. فقلت: «أسرعوا الآن. لقد تأخّرتم كثيرًا».

تجاوزوني راكضين. وعندما درت من حول زاوية المبنى، كان الباب قد أغلق خلف آخر واحد منهم. ضربت حذائي بالجدار حتى أنفض الثلج عنه، ثم تبعتهم. فتحت باب غرفة المعلمين فعلّقت معطفي وقبعتي على المشجب، ودخلت لكي آخذ كتبي من أجل الدرس. انفتح باب المرحاض من خلفي. التفتُّ. إنه نيلز إيريك.

قلت: «هل كنت في المرحاض طيلة هذا الوقت؟».

«أيُّ سؤال هذا؟».

نظرت إلى الكتب في يدي، وقلت: «لقد فوجئت، هذا كل ما في الأمر. لقد أمضيت في المرحاض وقتًا طويلًا جدًا. لكني لا أقصد التلميح إلى أي شيء».

نظرت إليه وابتسمت. انتقيت من الكتب كتيبًا صغيرًا عن العلوم الطبيعية.

قال: «يسعدني سماع هذا لأن التلميحات أمر تافه. لا، إنها توريل. هي امرأة جذابة إلى حد يصعب تصديقه. وعندما انحنت أمام البراد، صار لا بد لي من دخول المرحاض حتى أتخلص من الحالة الطارئة التي أصابتني».

«حالة طارئة».

ضحك وقال: «نعم. أنت تدرك هذا. رجل يرى امرأة. الرجل منجذب إليها. الرجل يجري إلى المرحاض ويستمني».

قلت: «أهذه هي الحالة الطارئة». ابتسمت وتابعت سيري إلى غرفة الصف.

وفي الاستراحة التالية، أتاني جو راكضًا لحظة خرجت إلى الباحة.

قال لي: «تعال معي الآن!». أمسك بيدي وشدّني خلفه.

قلت: «تمهل، تمهل. ماذا تريد أن تريني؟».

«شيء صنعته مع إندرِه».

«وأين إندره؟».

«أظنه هناك».

كان إندره في الصف الثالث، وكان جو في الصف الرابع. عندما يكونان معًا يفضّلان عادة البعد عن الآخرين.

قال مشيرًا إلى كومة ثلج خلف المبنى، بعيدًا عن أنظار بقية التلاميذ: «هنا. لقد صنعنا كهفًا ثلجيًا. إنه كبير حقًا. ألا تحب أن تلقي نظرة عليه من الداخل؟».

رآنا إندره قادمين، فزحف عبر مدخل الكهف واختفى عن الأنظار.

توقفت وقلت: «هذا رائع! لكني أظنه أصغر من أن يتسع لي. إلّا أن بوسعك الدخول إن أحببت».

رفع رأسه، ونظر إليّ مبتسمًا. ثم انبطح على بطنه وتلوى زاحفًا فدخل الكهف. تراجع بضع خطوات ونظرت إلى الأطفال الآخرين. كان ولدان من الصف الرابع آتيَيْن من حول الزاوية. اتجها صوبنا.

أخرج جو رأسه من فتحة الكهف.

قال: «كارل أوفه، هناك متسع لك، أنت أيضًا. الكهف كبيرٌ حقًا».

«تعرف أنني مضطر إلى البقاء هنا لكي أرى الجميع».

شاهد جو الصبيَيْن الآتيَيْن.

نظر إليَّ وقال: «هذا الكهف الثلجي لنا. نحن صنعناه».

قلت: «صحيح، أنتما من صنعه».

صاح ريدار: «هل صنعتم كهفًا؟».

قال جو: «إنه كهفنا. لا يحق لك أن تدخله».

توقف الطفلان عند مدخل الكهف.

قال ستيغ: «فلنلق نظرة عليه». حاول أن يدخل الكهف زاحفًا، متجاوزًا جو.

قال جو: «إنه كهفنا»، نظر إليّ من جديد: «أليس هذا كهفنا، يا كارل أوفه؟».

قلت له: «أنتما صنعتماه؛ ولكن لا يجوز لك أن ترفض دخول الآخرين إليه. إذا أردت هذا، فعليك أن تقف هنا ليل نهار حتى تحرسه».

قال: «لكنه كهفنا!».

قلت: «إنه على أرض المدرسة. لا يحق لك منع أحد من دخوله».

ابتسم ريدار وتابع زحفه إلى الداخل. سرعان ما ملأ الأطفال الكهف. وعلى الفور، راحوا يخططون لتوسعته وباشروا حفر نفق من آخره. حاول جو أن يحتل موقع القيادة بينهم، لكن الأطفال تجاهلوه. عليه أن يعثر على مكان له: لقد كان مكانه، وسوف يكون دائمًاإلا إنه في أسفل التراتب الاجتماعي! استدرت وذهبت. أحسست شيئًا من وخز الضمير لأن جو صار الآن تعسًا بقدر ما كان فرحًا منذ دقائق معدودة. ولكني لم أكن قادرًا على فعل شيء في هذا الخصوص. عليه أن يكتشف بنفسه أسرار اللعبة الاجتماعية. لا بد له من فهم أنه لن يصل إلى أية نتيجة عن طريق التشكّي والتذمّر من هذا الأمر وذاك.

قلت لفتيات الصف السابع الواقفات تحت المظلة الكبيرة الواقية من المطر: «لماذا أنتن واقفات هنا».

قالت فيفيان، «الثلج يتساقط، والريح قوية. لا أظنك تعتقد أن من الصواب إجبارنا على الوقوف خارجًا في هذا الطقس، أليس كذلك؟».

قلت: «لست مضطرة إلى الوقوف، ألا ترين هذا؟ تستطيعين الجري مثل بقية الأطفال».

قالت أندريا: «نحن لسنا أطفالًا. هذا ليس عدلًا. لماذا بقي الصفّان السابع والثامن في الداخل؟».

قلت: «وحدهم الأطفال من يقولون إن هذا غير عادل. فضلًا عن هذا، الصفان الثامن والتاسع لديهما درسان متصلان من غير استراحة بينهما. ولهذا، فهم الآن في الصف».

«هذا ما نطالب به. العمل في الداخل أفضل من البقاء هنا، في هذا الطقس». قالت أندريا هذا ورفعت رأسها ناظرة إليّ. وجنتاها محمرّتَين من البرد. عيناها ضيقتان، جميلتان.

ضحكت وقلت لها: «هكذا، على غير انتظار، صرت راغبة في العمل! هذا تحوّل جديد».

قالت فيفيان: «أنت تسخر منا فحسب. ليس لديك أيّ احترام لنا».

قلت: «إنني أعاملكم المعاملة التي تستحقون». نظرت إلى الساعة المعلّقة فوق مدخل مبنى المدرسة الرئيسي والجناح الكبير الذي يضم بركة السباحة والصالة الرياضية. بقيت الآن أربع دقائق حتى انتهاء الاستراحة.

ذهبت إلى الناحية الأخرى حتى أرى ما يفعله تلاميذ الصف الرابع. ما إن انعطفت من حول زاوية المبنى حتى رأيت جو وإندره سائرَيْن معًا خافضين رأسيهما في الريح. أقدامهما تطبطب على الثلج.

قلت: «كيف حال الكهف؟».

قال جو: «لقد خربوه! أخرج ريدار رأسه من سقفه. لقد انهار الكهف الملعون كله».

اغرورقت عيناه.

قلت له: «لا تستخدم كلمات غير لائقة».

قال: «آسف».

قلت: «يمكن أن يحدث هذا. أنا واثق من أنه لم يقصد فعل ما فعله».

«لكنه كهفنا! نحن بنيناه! وقد تهدم الآن».

قلت: «في المرة القادمة، ابنِ معهم كهفًا جديدًا. عندها، سيكونون حريصين على ألا يخربوه».

قال: «لا نريد هذا. هيا بنا يا إندره».

سارا مبتعدين.

قلت: «أستطيع مساعدتكما في صنع كهف جديد، إذا أحببتما هذا... في الاستراحة القادمة».

«هل تستطيع؟».

«على الأقل، نستطيع أن نبدأ. لكن من الممكن أن ينضم إلينا أولاد آخرون».

قال: «نعم، لكنك ستكون معنا. لن يجرؤوا على تخريبه».

لقد كان عرضي غبيًا، قلت هذا لنفسي وأنا عائد إلى غرفة المعلمين بعد دقائق معدودة من ذلك. صار علي الآن أن أحفر الثلج مع أطفال في العاشرة، وأن أواصل فعل ذلك في الاستراحات الباقية. وأما من ناحية أخرى، فقد تذكرت كيف أشرق وجه جو فرحًا. أغلقت باب المرحاض من خلفي، وحللت أزرار بنطلوني، وبدأت أبول. وجّهت تيار البول إلى البورسلان لا إلى الماء في الحفرة حتى لا يسمع صوته المعلمون الباقون في الغرفة. بدأت أغسل يدي ونظرت إلى صورتي في المرآة. الإحساس الفريد الذي ينبعث عندما تنظر إلى عينَيك اللتين تعبران عن حالتك الداخلية تعبيرًا صافيًا لا لبس فيه... أن تكون في الداخل وفي الخارج معًا... إحساس ملأني كلّي بضع ثوانٍ كثيفة، لكني نسيته لحظة خروجي من المرحاض، تمامًا مثلما ينسى المرء المنشفة المعلّقة أو قطعة الصابون في حفرتها الصغيرة على المغسلة: هذه الأشياء الصغيرة كلها التي لا وجود لها خارج اللحظة نفسها، الأشياء التي تظل معلقة أو راقدة في الحجرات الخالية المظلمة، إلى أن ينفتح الباب مرة أخرى ويدخل شخص آخر، فيتناول قطعة الصابون أو يجفف يديه بالمنشفة وينظر إلى روحه في المرآة.

كنت جالسًا في غرفة المعيشة أتناول الطعام عندما رن نيلز إيريك جرس الباب. شذرات من الثلج المتراكم عند المدخل راحت تدوّم في الهواء من حوله. الريح النشطة تحيط بالقرية كلها، سابحةً فوقها كأنها قبة غير مرئية.

قلت: «إنني آكل. لكني لن أتأخر. ادخل».

سألني: «هل ستذهب للسباحة بعد تناول الطعام؟».

أجبته: «أنا آكل سمكًا. الأسماك تحب السباحة».

قال: «هذا صحيح».

«ألا تريد أن تأكل قليلًا؟ البطارخ مع البطاطس».

هز رأسه، ثم حلّ رباط حذائه ودخل غرفة المعيشة.

قال: «كيف تسير الأمور؟».

رفعت كتفي وابتلعت ما في فمي، ثم شربت جرعة ماء كبيرة.

قلت له: «عن أية أمور تسألني؟».

قال: «كل شيء. الكتابة، على سبيل المثال».

«إنها في أحسن حال».

«والتعليم؟».

«جيد».

«والحياة الجنسية؟».

«آآ.. آآ، ماذا أقول لك؟ ليست في أحسن أحوالها. وماذا عنك؟».

ردَّ: «إحم... رأيت بنفسك اليوم. تقريبًا، لا شيء غير ذلك».

كشطت بالسكين آخر ما بقي من البطارخ مع الزبدة والبطاطس، ثم وضعتها على الشوكة وحملتها إلى فمي. ظل الدسم عالقًا بشفتي. قلت له: «فهمت ما تعنيه».

واصل كلامه: «ثم إن توقعاتي في ذلك الاتجاه ليست وردية على الإطلاق. الفتيات اللواتي تجاوزن السادسة عشرة تركن القرية جميعًا. لم يبق فيها غير تلميذات المدرسة وأمهاتهن. وأما المراحل العمرية الواقعة بين الفئتين فقد اختفت».

قلت: «هذا صحيح، لقد اختفت تمامًا». نهضت واقفًا ووضعت الشوكة والسكين في الطبق. حملت الطبق بيد، والكأس بيد أخرى، وذهبت إلى المطبخ: «لكنك تجعل الأمر يبدو كأن اختفاء تلك الفئات العمرية كان ناتجًا عن الإفراط في اصطيادها إلى حد جعلها تنقرض، أو أمر من هذا القبيل».

«هذا ما حدث! لو بقيت تلك النساء هنا لاستطعنا اصطيادهن. لكن هناك من يطاردهن في أماكن وجودهن الآن».

وضعت الطبق والكأس إلى جوار المجلى، ودخلت غرفة النوم لكي آتي بلوازم السباحة.

قلت: «الآن، صرت أفهم تمام الفهم معنى هذا التعبير، 'أرض الصيد السعيدة'. لم أستطع يومًا فهم مكمن الروعة في هذا الأمر. الجري هنا وهناك في الغابات، إلى الأبد. لكن من الواضح أن له معنى مجازيًا».

قال نيلز إيريك بصوت مرتفع لكي أستطيع سماعه: «لست أدري مكمن الروعة فيه. جهد كبير مبذول، ونتيجة صغيرة في آخر المطاف. بالنسبة إليّ، على الأقل! من الأفضل، بل من الأفضل كثيرًا، أن تكون للمرء علاقة مستقرة».

وضعت سروال السباحة والمنشفة في كيس من النايلون، ونظرت لأرى إن كنت في حاجة إلى شيء آخر. لا، هذا كل ما يلزمني.

قلت: «متى كنت في علاقة آخر مرة؟».

«منذ ثلاث سنين». قال هذا وتحرّك صوب الباب عندما رآني أخرج من الغرفة حاملًا الكيس بيدي.

قلت: «ما قولك في واحدة من المعلّمات المؤقتات؟». انحنى لكي يربط شريط حذائه، ثم انتصب واقفًا فبدا وجهه أكثر احمرارًا.

قال لي: «إن أردن هذا، فأنا مستعد».

سرنا صاعدَين في طريق المدرسة، وكنا صامتين لأن السير في تلك العاصفة الثلجية كان أقصى ما نستطيع فعله. لسعات الثلج على جلدي في المواضع غير المغطاة كانت واخزة. وعندما دخلنا المدرسة وأغلقنا الباب من خلفنا، كان ذلك أشبه بمغادرة السطح العلوي في سفينة ضخمة والولوج إلى داخلها. ضغط نيلز إيريك على مفتاح النور، ثم نزلنا السلم بخطوات واسعة. جلسنا على مقعدَين متقابلَين في غرفة تبديل الملابس وبدأنا نخلع ملابسنا. على الرغم من شدة الريح في الخارج، ومن طقطقة الجدران وعويل نظام التهوية، فقد ظل المكان في الداخل موحيًا بالهدوء. لعل هذا كان لأن ما من شيء يتحرك هنا! الغرف خالية كلها، وبركة السباحة خالية، صقيلة، ساكنة.

لفّني سحر رائحة الكلور. عادت إليّ ذكريات الطفولة عندما كنت أذهب

كل أسبوع للسباحة في ستينتاهالم، عادت إليّ مندفعة: أقماع السكاكر التي نشتريها من ذلك المتجر الصغير، وطعم الحلوى المسلوقة المشكّلة على هيئة مسامير مذوبة وصواميل، وسكاكر خضراء وسوداء، بطعم السوس وبطعم النعناع. اللوحات المضيئة من حول البركة التي كان مرادًا منها أن تمثّل شلالات استوائية. قبعة السباحة البيضاء، وعلَم النرويج على حافتها. نظارة السباحة الزرقاء الداكنة.

لبست سروال السباحة وخرجت إلى صالة السباحة الصغيرة. كانت بلاطات الأرضية باردة خشنة تحت قدمي، والثلج يتطاير في نور المصباح في الخارج، ومن خلفه خواء أسود هائل.

كان سطح الماء أسود فيه لمعة زرقاء واهية آتية من أرضية البركة. كان صقيلًا كأنه مرآة. قلت في نفسي، معيب أن يفسد المرء هذا الصفاء! لن أغطس فيه، بكل تأكيد! لا، بدلًا من ذلك، سوف أستخدم السلم المعدني. سوف أنزل إلى الماء بكل هدوء محاولًا ألا أحدث فيه أية تموجات. عبثًا قلت هذا لأن نيلز إيريك أتى من خلفي: جرى حتى حافة البركة وألقى بنفسه في الماء الذي تناثر مندفعًا في كل اتجاه. سبح تحت الماء حتى الناحية الأخرى من البركة حيث خرج إلى السطح ناخرًا، وهزّ رأسه قبل أن يفتح عينَيه.

صاح: «رائع! ماذا أصابك أيها الضعيف؟».

أجبته صائحًا: «أنا! لا شيء!».

«أنت تنزل إلى الماء كأنك وعل عجوز».

تذكّرت فجأة كيف خدعتُ داغ لوثار ذات مرة. كنت قد نزلت إلى البركة ببضع دقائق فقلبت قبعة السباحة حتى صار باطنها إلى الخارج. صارت بيضاء كلها. جذبتها حتى صار أعلاها مجعدًا فبدت كأنها واحدة من قبعات السباحة التي تستخدمها النساء المتقدّمات في السن. بدأت أسبح بحركات بطيئة رتيبة رافعًا وجهي عن الماء إلى أقصى حد استطعته. كان تقليدي سباحة العجائز ناجحًا إلى حد جعل داغ لوثار لا يراني، مع أن

بركة السباحة الكبيرة كلّها لم يكن فيها إلا أربعة أشخاص. نظر إليّ فأخطأ تصنيفي: صرت غير موجود! ناداني، وعندما لم يتلق إجابة، ذهب إلى غرفة تبديل الملابس باحثًا عني.

نزلت إلى الماء بطيئًا؛ الصدر أولًا. غمرت رأسي تحت السطح وسبحت ضاربًا الماء بضربتَين قويتَين كانتا كافيتَين لجعلي أصل إلى الحافة المقابلة. كان نيلز إيريك يسبح في الجهة الأخرى من البركة؛ سباحة الكراول. سبحت بأقصى سرعة استطعتها حتى اجتزت المسبح كله، بضع مرات، جيئة وذهابًا. ثم توقفت عند النافذة وحدقت في العاصفة الثلجية.

استدرت، واستندت بمرفقي على الحافة، ونظرت إلى الزبد الأبيض المتدافع من حول ذراعَي نيلز إيريك وساقيه. تذكرت ما قاله والد غيير لنا ذات يوم، من أن عليك أن تمدّ جسدك عندما تسبح الكراول وكأنك مستلقٍ على قطن. رأيت من خلف نيلز إيريك الباب المفتوح المفضي إلى الغرفِ الخالية من خلفه.

اللعنة... لقد نسيت! حجرة الساونا.

خرجت من الماء، وذهبت إلى غرفة تبديل الملابس. شغّلت المدفأة في حجرة الساونا. وعندما عدت إلى البركة، غطست فيها وبدأت أسبح جيئة وذهابًا. لعل ذلك استمر نصف ساعة قبل أن نقرر أننا اكتفينا.

جلسنا على المقعد العلوي في حجرة الساونا. صببت ماء على حجارة المدفأة فانبعثت موجة بخار حار لاقت جلدي، وانتشرت حتى توزعت في الحجرة المكعبة الصغيرة.

قال نيلز إيريك: «هذه أهم مزية إضافية في عملنا هنا». مسح بيده على الشعر الرطب عند مؤخّر رأسه.

قلت: «وهي أيضًا المزية الوحيدة».

قال: «قهوة مجانية. وصحف. وحلوى عند الوداع».

قلت: «هوررررا!».

فترة صمت قصيرة. نزل نيلز إيريك إلى المقعد السفلي.

قلت بعد برهة: «هل عملت من قبل في وظائف أخرى كثيرة؟». استندت بظهري إلى الجدار. بدأت الحرارة تجعلني أحس ثقلًا في رأسي كأنها تملأني بطيئًا برصاص ذائب، أو بشيء ثقيل مماثل.

«لا. في القطاع الصحي فقط. أوه، وفي الحدائق، منذ صيفَين. وأنت؟».

«البستنة، وعامل مصنع، وصحيفة، ومستشفى مجانين، وإذاعة. لكن عملي في الإذاعة كان من غير أجر. لذا، أظنني لا أستطيع إدخاله في الحساب».

قال بنبرة كسلى: «لا». نظرتُ إليه. كان مغمضًا عينيه، مائلًا إلى الخلف، مستندًا بمرفقَيه إلى الدرجة التي كنت جالسًا عليها. كان في شخصيته نشاط وحيوية أحسستهما متعارضَين مع شيء آخر، مع طبع تقليدي يصعب تحديده لأنه غير واضح في أي شيء بعينه، بل أشبه بهالة تحيط به لم أنتبه إليها إلا بطريقة سلبية عندما، على سبيل المثال، صدمني سماعي أنه يعرف فرقة «جيزوس آند ميري تشين»، وأنها تعجبه... لأن... حقًا، لماذا لا يعرف تلك الفرقة؟

انتصب جالسًا، مشدود الظهر، ثم استدار في اتجاهي.

قال لي: «كارل أوفه، خطرت لي فكرة. هل تعرف كوخ هيلدا؟».

«كوخ هيلدا؟ ما هو؟».

«إنه البيت الأصفر عند المنعطف. لقد كان بيت هيلدا التي هي حماة إيفا. ماتت منذ بضع سنين، والبيت خالٍ الآن. لقد تحدثت معهم. سوف يسعدهم تأجير ذلك البيت. ففي حقيقة الأمر، سوف تسوء حال البيت كثيرًا إذا لم يسكنه أحد. لهذا السبب، لا يطلبون إيجارًا مرتفعًا. خمسة آلاف في الشهر. هذا كل شيء».

قلت: «وماذا أيضًا؟».

«ليست فكرة حسنة أن أعيش وحدي في ذلك البيت كله. أتساءل إن كنا نستطيع استئجاره معًا؟ بهذا، نوفر مالًا كثيرًا مما ننفقه على الإيجار، كما أن الطعام سيصير أرخص إن كنا معًا. ماذا ترى؟».

«نعم نعم. لم لا؟».

«يستطيع كل منا أن يأخذ غرفة مستقلة، ويكون باقي البيت مشتركًا بيننا».

«لكن الناس سوف يظنون أننا زوج من الفتيان المثليين: معلّمان شابان عثر كل منهما على الآخر... هكذا سيقولون؟».

ضحك وقال: «وها نحن هنا، في الساونا، وحدنا...».

«هل يعني هذا أن انتشار الشائعات قد بدأ بالفعل؟».

«لا. هل فقدت عقلك؟ لقد أظهرتَ اهتمامًا شديد الوضوح بالجنس الآخر هنا. لا يشك أحد أبدًا في خياراتك الجنسية. ماذا قلت؟ هل أنت موافق أو غير موافق؟».

«نعم. أعني لا. عليّ أن أكتب. لذا، ينبغي أن أكون وحدي».

«هناك غرفة إلى جوار غرفة المعيشة. تستطيع أن تأخذها».

قلت: «لا بأس. لم لا؟».

بعد ارتدائنا ملابسنا وصعودنا السلم، سألته عن أمر ظل زمنًا طويلًا يشغل بالي، لكن عربي منعني من التعبير عنه.

قلت له: «لدي مشكلة صغيرة في الموضوع الذي تحدّثنا فيه منذ أيام».

سأل: «أي موضوع؟».

أجبت: «الجنس».

قال: «هيا... هات ما عندك!».

قلت: «ليس سهلًا أن أتكلم في هذا الأمر. لكن المسألة هي... حسنًا... يأتي القذف مبكرًا جدًا. لكن، إذا أردت الوضوح، هذا هو الأمر كله».

قال: «آه، مشكلة مألوفة. وماذا أيضًا؟».

«لا، لا شيء غير هذا. قلت في نفسي إنه قد تكون لديك بضع نصائح مفيدة. عندما يحدث هذا، لا يكون الأمر حسنًا على الإطلاق... لكني واثق من أنك تفهمني».

«تقول إنه سريع. سريع إلى أي حد؟ دقيقة؟ ثلاث دقائق؟ خمس دقائق؟».

«آآ... يختلف الأمر من مرة إلى أخرى». قلت هذا وأنا أدخل المفتاح في ثقب الباب الزجاجي الكبير، ثم أفتحه. كان جلدي حارًا بعد الساونا، فلم تلسعه الريح الباردة. كانت الريح تجري بين المباني، لكني لم أكد أحسها، «لعلها ثلاث دقائق، أو أربع دقائق!».

قال وهو يلف شاله على رقبته ويرفع ياقة معطفه حتى تحمي أذنيه: «هذا ليس سيئًا. أربع دقائق. هذا وقت طويل بعض الشيء».

«وكم يطول الأمر معك؟».

«أنا؟ عكسك تمامًا. من الممكن أن أستمر زمنًا طويلًا جدًا من غير أن يحدث شيء. الحقيقة أن هذه مشكلة أيضًا. قد يطول بي الأمر نصف ساعة من غير أن أبلغ الذروة. أحيانًا، يكون علي أن أتوقف وأصرف النظر عن الأمر».

بدأنا السير في طريق النزول.

قال لي: «وعندما تستمني بيدك؟ هل يتغير شيء؟».

احمرّت وجنتاي، لكنه كان غير قادر على رؤيتهما في الظلام. ما كان يتوقع أن أكذب، لذا، كنت في أمان.

قلت له: «الأمر نفسه، تقريبًا».

قال: «هممم. وأنا لديّ مشكلات مماثلة. نعم، لعلك لاحظت ذلك في وقت سابق من هذا اليوم. من الممكن أن أستمر زمنًا طويلًا».

قلت: «أتظنها مشكلة جسدية؟ أم إنها شيء ذهني؟ ليتني كنت مثلك. مشكلتك أفضل من مشكلتي ألف مرة».

قال: «لست أدري. لعلها مشكلة جسدية. على أية حال، كنتُ هكذا على الدوام، حتى منذ المرة الأولى. لذا، لا أعرف شيئًا مختلفًا. لكني سمعت أن ممارسة العادة السرية مفيدة لهذا الأمر. مارسها بعنف، أو يمكن أن تجذب كيس الصفن. وبعدها، ما عليك إلّا أن تواصل الدفع».

«سوف أجرب هذا في المرة القادمة». قلت هذا وابتسمت في الظلام.

قال: «نعم... إذا سنحت لك فرصة».

«في عيد الميلاد، مثلًا. ما رأيك؟ وقتها، ستكون شابات المنطقة كلّهنّ هنا».

«أتظنهنّ عائدات إلى القرية في عيد الميلاد من أجل ممارسة الجنس معنا؟ لا أظن هذا. أظن أنهن يحصلن على ما يكفيهن حيث هنّ الآن. تعود النساء إلى القرية من أجل الراحة والاسترخاء قبل العودة إلى أماكن إقامتهنّ في كانون الثاني».

قلت: «صحيح. أظنّك محقًا». توقّفت. لقد بلغنا باب شقتي: «إن تم الاتفاق مع أصحاب البيت، فمتى تتوقّع أن يكون انتقالنا إليه؟».

«علينا أن نبلغهم أولًا، وبعد ذلك نرى. قد ننتقل بعد عيد الميلاد. إذا اختصرنا عطلتنا يومَين فقد نستطيع الانتقال إلى البيت في ذلك الوقت».

قلت: «يبدو هذا حسنًا. إلى اللقاء».

رفعت يدي ولوَّحت له، ثم فتحت الباب ودخلت البيت. أكلت ثماني شرائح من الخبز، وشربت نصف ليتر من الحليب، ثم استلقيت على الأريكة وقرأت الصفحات الأولى من كتاب جديد كنت قد اشتريته: «*المغامرة الكبرى*» ليان كيارستاد. لقد قرأت له من قبل كتابَي «*مرايا*» و«*الإنسان المزيف*»، كما استعرت من المكتبة العامة في فينسنس كتاب «*الأرض تدور بهدوء*». لكن هذا الكتاب كان جديدًا لم يُنشر إلا منذ وقت قريب جدًا. كان أول ما فعلته عندما أمسكت الكتاب بين يدي هو تشمّم رائحة الورق الطازجة. بعد ذلك، بدأت أتصفّح الكتاب جيئة وذهابًا. يبدأ كل فصل بحرف O كبير. بعض الفصول مطبوع على شكل أعمدة كثيرة – بدا واحد من تلك الأعمدة كأنه عمود هوامش، لأنه يظهر هنا وهناك إلى جانب عمود آخر يشتمل على القصة الرئيسية. بعض الفصول كان على هيئة رسائل. بعضها كان مطبوعًا بحروف عريضة، وبعضها بحروف مائلة، وبعضها بحروف عادية. وعلى مسافات منتظمة، يتكرر ظهور شيء اسمه «Hazar»، وشيء اسمه «Eniga». رأيت أيضًا تعريفًا للحرف K لا بد أنه يقابل كلمة كلمة حب – *kjærlighet*.

بدأت قراءة الصفحة الأولى.

كانت شابة جدًا. رقبتها يانعة كالندى. وقفا متباعدين مترًا واحدًا، كلٌّ

في عالمه. لقد أحس بالتوتّر حتى عندما كان ظهره إليها، فاستدار واسترق نظرة سريعة. حركة كبيرة من ساقه. بضع ركلات كاذبة من ساقه. لاحظت، وابتسمت. شرارات بين الكحل والماسكارا. هزّت كتفها اليمنى في اتجاهه، هزّتها مرتَين، إيقاع مختلف، عضّت على شفتها السفلى، وغضّت من طرفها. أطلقت الطبول وآلات الإيقاع موسيقى صاخبة في مستقبلاته الحسيّة. الوقوف في سكون أمر مخالف للطبيعة. سار على السجادة بضع خطوات، سار في اتجاهها، سار مبتعدًا عنها، داعيًا، معابثًا. قلّدت حركاته، الإيقاع نفسه، غضّنت أنفها ابتسامة مخفية. شعر أسود متموج، ومنديل معقود على جبهتها، وطبقة كثيفة من مواد التجميل. ما الذي تستمع إليه؟ فرقة كرامبز؟ فرقة سبيليت بيفرز؟ فرقة فيفيفوكس؟ كيمونو قصير عليه رسوم أوراق نباتية، وبنطلون فضفاض من حرير، وصندل ذو إصبع. تخطف الأنظار. ومن حولها: أغطية تتلامع عليها أشكال كثيرة، ورسوم، وحروف مزخرفة.

أعدت قراءة الفقرة، ثم قرأتها من جديد. كان أسلوبها شديد الغرابة، لكنه جذاب بما فيه من جمل قصيرة لم تكتمل، وبما فيه من جناس وكلمات إنكليزية متلألئة. والكلمات الأجنبية أيضًا. كيمونو -هذا من اليابان. تغضن الأنف- تعبير هندي. كحل- تبدو لي هذه الكلمة ألمانية، فهل هي ألمانية؟ ضمن مساحة لم تتجاوز بضعة سطور، انفتح أمامي عالم بأسره. وقد كان عالمًا مختلفًا، كان عالمًا فيه شيء مستقبلي، شيء شدّني. لكني كنت غير قادر على كتابة نص يشبه هذا النص، حتى إن أردت ذلك... أمر مستحيل. عندما أقرأ «فين دويت»، التي يحرّرها كيارستاد، لا أعرف شيئًا من الأسماء والعناوين التي فيها، ولا أعرف إلا قلّة من المصطلحات المستخدمة. جاءت واحدة من المقالات بعنوان «في حرق الإنيادة». ولسبب أجهله، ظلّ هذا العنوان يدور في ذهني، فيظهر هنا، أو هناك، أو في أي مكان، مع أنني ما كنت أعلم أبدًا ما هي الإنيادة. كان هذا كله «ما بعد حداثي». وكان كيارستاد أكبر كاتب نرويجي ما بعد حداثي. صحيح أنه أعجبني، أو أعجبني

ذلك العالم كله الذي ظننته كامنًا من خلف ما هو ظاهر في النص، فقد كنت أجهل ما يكونه وأجهل مكان وجوده الفعلي. صندل ذو إصبع، تاريم في اللغة النرويجية، أليس فيه صدى لكلمة حريم وللشرق أيضًا؟ كانت كتب كيارستاد مفعمة بالشرق، وبأجواء *ألف ليلة وليلة*، حكايات داخل حكايات، فتخيّلت أن جزءًا مما يفعله هو رسم ذلك العالم ضمن عالمنا إلى جانب جملة من عوالم أخرى. وأما معنى ذلك فلم تكن لديّ أية فكرة عنه. لكنني أحببته بحدسي، بالطريقة نفسها التي جعلت حدسي لا يحب ميلان كونديرا. كان كونديرا بدوره كاتبًا ما بعد حداثي، لكنه يفتقر افتقارًا تامًا إلى هذا الاحتضان لعوالم أخرى. مع كونديرا، يكون العالم هو نفسه، دائمًا. إنه براغ وتشيكوسلوفاكيا والسوفييت الذين غزوها أو يهمّون بغزوها. لا مشكلة في هذا. لكنه لا ينفك يسحب شخصياته من الحبكة ويتدخّل فيها، ويمضي في الحديث عن هذا الشيء أو ذاك، في حين يترك الشخصيات واقفة مكانها، منتظرة حيث هي، عند النافذة أو حيثما شاءت المصادفة أن تكون، إلى أن يفرغ من شرحه فتصير الشخصيات قادرة على الحركة من جديد. ثم إنك ترى -عند كونديرا- أن الحبكة الروائية ليست إلا «حبكة روائية»، وأن الشخصيات ليست إلا «شخصيات»، أي إنها شيء اخترعه بنفسه، وتعرف أنها غير موجودة، فلماذا يكون عليك أن تقرأ عنها؟ نقيض كونديرا المباشر هو هامسون؛ فما من أحد يمضي عميقًا في عالم شخصياته مثلما يفعل. هذا ما كنت أفضله، مقارنة بهذين الاثنَين، على الأقل، ملموسية روايته «*الجوع*» وواقعيتها، إن اكتفينا بمثال واحد. إن للعالم وزنًا هناك؛ بل إن الأفكار نفسها مُلتقَطة. وأما عند كونديرا فنرى الأفكار تعلو بنفسها فوق العالم وتفعل به ما تشاء. الاختلاف الآخر الذي لاحظته هو أن الروايات الأوروبية تكون، مقتصرة، على حبكة روائية واحدة، حيث يسير كل شيء في المسار نفسه؛ في حين أن لروايات أميركا الجنوبية كثرة من المسارات، بل حتى من المسارات الجانبية، إن هي قورنت بالروايات الأوروبية: تكاد رواية أميركا الجنوبية تفيض بالحبكات الروائية. كانت رواية «*مئة عام من*

العزلة» لغابرييل غارسيا ماركيز مفضّلة عندي؛ لكني أحببت أيضًا رواية «*الحب في زمن الكوليرا*». إن لدى كيارستاد قدرًا بسيطًا من هذا؛ لكن بطريقة أوروبية. فيه أيضًا شيء من كونديرا. على أية حال، هكذا كانت آرائي في ذلك الوقت.

ماذا عن كتاباتي؟

كانت الكتابة بأسلوب ما بعد حداثي، مثلما يفعل كيارستاد، بعيدة عن متناولي، ولم أكن قادرًا عليها حتى إن أردت... لا أمتلكها في داخلي! كان لدي عالم واحد فقط. لذا، كان ذلك العالم هو ما ينبغي أن أكتب عنه؛ في الوقت الحاضر، على أقلّ تقدير. لكني حاولت إدراج الطاقة الحية التي رأيتها عند ماركيز في كل ما أكتبه. حاولت أيضًا إدراج كثرة الحكايات وتعدّدها. وكان هامسون حاضرًا في تلك اللحظة.

تابعت القراءة. لقد رأيت في ما قرأته من مراجعات أن أوسلو، في هذه الرواية، قد وُضعت في موقع في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية. كانت هذه فكرة ساحرة، لأن أوسلو صارت كل ما هي ليست عليه في واقع الأمر. على أن طريق استحضار هذا العالم كانت أكبر أهمية. كان في الرواية شيء ماركيزي: الحيوية، والكثافة، والكثرة التي رأيتها في ما قرأته من صفحات.

وضعت الكتاب جانبًا ومضيت إلى مكتبي. جلست وبدأت تقليب مجموعة النصوص الصغيرة التي كتبتها. كانت مجموعة صغيرة جدًا! صغيرة إلى حدّ لا يُصدق! وضعت فيها الأساسيات العارية -الغابة، والطريق، والبيت- وتركت كل شيء غيرها. ولكن، ماذا لو تركت البقية كلها تتفجر فيها؟ تناولت ورقة بيضاء وأدخلتها في الآلة الكاتبة. ألقيت نظرة سريعة على صورتي المنعكسة في النافذة بينما كانت أسطوانة الآلة الكاتبة تتّخذ موقعها.

أين أجد موضوعًا فيه مزيد من الاتساع والعمق ووفرة التفاصيل؟

تخيلت الطريق أمام بيتنا في تيباكن.

خرجت إلى الطريق. كان أسود اللون، وإلى جانبه أشجار السرو

الخضراء تتمايل في الريح. مرت بي سيارة. كانت سيارة BMW. وعلى الرصيف، كان إيرلينغ وهارالد واقفين بجانب دراجتَيهما. إيرلينغ لديه دراجة Apatche. ودراجة هارالد DBS. من خلفهما تلّة عليها بيوت كثيرة. طاولات وكراسٍ في الحدائق، وبيوت كلاب، ومواقد للشيّ، ودراجات ثلاثية العجلات، وبرك سباحة صغيرة مصنوعة من البلاستيك، وخراطيم مياه، وخزانة مهجورة. ومن فوق ذلك كله، في السماء، مرت طائرة على ارتفاع كبير. لم يكن مرئيًا منها شيء غير ذيل من بخار أبيض.

انتزعت الورقة من الآلة الكاتبة. جعّدتها ورميتها على الأرض. أدخلت ورقة أخرى. حدّقت أمامي برهة. ذهبت منذ عامَين لزيارة إنغفه وأمي في بيرغن. كانت سوق الأسماك هناك تضجّ بالحياة. بشر، وأكشاك بيع، وصيّادون، وسرطانات، وسيارات، وقوارب، وأعلام، وزينات، وطيور، وماء، وجبال، وبيوت. هذا موقع ممتاز للعثور على الكثافة التي أريد!

بدأت الكتابة من جديد.

كانت الأسماك مصفوفة جنبًا إلى جنب على فراش من جليد. كانت لامعة في ضياء الشمس. نساء لديهن مال تنفقنه، معهنّ أكياس منتفخة، تسرن بين الأكشاك، جيئة وذهابًا. صبي صغير في إحدى يديه بالون، ويده الأخرى متشبّثة بعربة الأطفال التي تدفعها أمه أمامها. يترك العربة فجأة ويجري صوب حوض فيه أسماك القد. يصيح: «انظري، يا ماما». رجل تقدّمت به السن مرتدٍ بدلة سوداء وعلى رأسه قبعة. كان سائرًا بخطوات غير ثابتة وفي يده عصا يستعين بها. امرأة بدينة في معطف وقفت تتفحّص أسماك الماكاريل. حلية متلألئة متدلّية من عنقها. بقع من دم الأسماك على المريلتَين البيضاوَين، مريلتَي البائعين. كان أحدهما يضحك لشيء قاله الآخر. وعلى الطريق من خلفهما سيارات مسرعة. صَبيةٌ ذات شعر داكن يبلغ كتفها. قميصها قصير الكمين، أبيض اللون. ثدياها واضحان من تحته. بنطلونها جينز ليفايز 501 أزرق اللون. إنها واقفة تنظر إلى الميناء. عبرتها مسرعًا. ألقيت نظرة عليها. نظرت إليّ وابتسمت. قلت في نفسي، ما أروع مضاجعتها!

استندت بظهري إلى الكرسي، وأخرجت ساعتي. التاسعة إلا بضع دقائق. كنت راضيًا، فهذه بداية حسنة. من الممكن أن يلتقيها مرة أخرى. وعندها، من الممكن أن يحدث أي شيء. أوقفت الآلة الكاتبة. وضعت إناء الماء على الموقد. وضعت قليلًا من أوراق الشاي في قعر الإبريق. انتبهت فجأة إلى أن هذه هي المرة الأولى التي أجلس فيها إلى الكتابة من غير موسيقى في الخلفية. أعدت قراءة الفقرة وأنا أنتظر غليان الماء. عليّ تقسيم الجمل قليلًا لكي تصير أقل طولًا، ولكي يصير وقعها مفاجئًا. ينبغي أن يكون هناك شيء عن الروائح والأصوات الكثيرة. وربما ينبغي أن أضيف تفاصيل أخرى... قليل من الجناس أيضًا.

أعدت تشغيل الآلة الكاتبة. أخرجت الورقة منها، ووضعت ورقة بيضاء جديدة.

كانت الأسماك مصطفة جنبًا إلى جنب فوق فراش من جليد، وكل شيء يبرق ويلمع في ضياء الشمس. وفي الهواء، روائح ملح وعوادم سيارات وعطور. نساء بأجساد ضخمة حاملات أكياسًا منتفخة ونقودًا لإنفاقها، كنّ متجولات جيئة وذهابًا بين الأكشاك، تشير الواحدة منهنّ بحركة آمرة إلى ما تريد شراءه. جمبري، سرطانات، كركند، ماكاريل، بولوك، قدّ، هادّوك، أنقليس، سالمون. أصوات الكلام والضحك تملأ الهواء. بضعة أطفال يصيحون. باص يطلق زفرة عميقة عند بلوغه الموقف الواقع إلى الناحية الأخرى من الشارع. أعلام على امتداد الرصيف تخفق في الريح. تخفق، تخفق، تخفق. صبي صغير، نحيل شاحب، كان في إحدى يديه بالون «ويني ذا بو»، ويده الأخرى متشبّثة بعربة أطفال تدفعها أمه.

غلى الماء في الوعاء، وبلغ بخاره الباب. أوقفت الآلة الكاتبة من جديد، وسكبت الماء الحار فوق أوراق الشاي. أخذت إلى غرفة المعيشة إبريق الشاي وفنجانًا وعلبة الحليب ووعاء السكر. جلست ولففت سيجارة. واصلت قراءة «المغامرة الكبرى» والسيجارة متدلية من شفتي. هذه المرة، قرأت من غير تركيز على التفاصيل ومن غير تفكير في الأسلوب. لم تمض

أكثر من دقائق معدودة حتى غرقت فيها. وعندما زعق جرس الباب في الشقّة بعد قليل، كان هناك شيء قاس في طريقة انتزاعي من الرواية وإعادتي إلى الواقع.

إنها هيغه.

قالت لي وهي تزيح وشاحها عن فمها: «مرحبًا. أرى أنك لم تنم بعد».

«لم أنم! لا. لا تزال الساعة التاسعة والنصف».

قالت: «الواقع أنها بلغت العاشرة. هل أستطيع الدخول؟».

«بالطبع، عذرًا! هل حدث أمر، أم ماذا؟».

دخلت الممر، حررت رقبتها من وشاحها الكبيرة ثم أنزلت سحّاب سترتها.

«لا؛ لكن هذه هي المشكلة. لا شيء يحدث. فيدار في البحر. خرجت أتسكع لأنني ضجرت. ثم فكرت في أنك قد تكون مستيقظًا».

قلتك «توقيت جيد. بل إن لديّ أيضًا شايًا جاهزًا».

دخلنا غرفة المعيشة. جلست على الأريكة وحملتْ الكتاب ونظرت إلى عنوانه.

قلت لها: «إنه آخر كتب كيارستاد. هل قرأتِه؟».

«أنا، لا. أنت تكلم امرأة أميّة. هل سأشرب شايًا أم إن ما قلته لي كان كلامًا مهذبًا فحسب؟».

أتيت بفنجان وضعته أمامها، ثم جلست على كرسي إلى الجهة الأخرى من الطاولة. طوت ساقيها تحتها، وصبّت الشاي في الفنجان.

كانت نحيلة، طويلة الأطراف، لها جسد يكاد يكون صبيانيًا. تقاطيع وجهها بارزة: أنف طويل، وشفتان ممتلئتان، وشعر غزير متموج. كانت في مظهرها قساوة، لكن شيئًا غير القسوة كثيرًا ما يظهر في عينَيها اللامعتَين النشطتَين... شيئًا أكثر دفئًا وأكثر رقة. كانت حادّة الطبع، لديها ردّ جاهز على أي شيء؛ وكانت تعامل الصيادين الذين من حولها بترفّع وتحفّظ دائمَين يميزانها عن غيرها.

كانت تعجبني كثيرًا، لكني لم أكن منجذبًا إليها أبدًا. أدركت أن هذا ما سمح لنا بأن نصير صديقين. لو كنت منجذبًا إليها لجلست هنا مشلولًا مفكرًا في ما ينبغي لي قوله، وفي الانطباع الذي أكوّنه لديها. بما أنني غير منجذب إليها، صرت قادرًا أن أكون أنا نفسي من غير أية أفكار أخرى؛ صرت قادرًا على المضي في الحديث. يصح الأمر نفسه عليها. هكذا أنا دائمًا عندما أتحدث مع فتيات تعجبنني، لكني غير منجذب إليهن: تنحو أحاديثنا إلى أمور عاطفية حميمة.

سألتني: «ما الجديد لديك؟».

هززت رأسي وقلت: «في حقيقة الأمر، لا شيء. أوه، نعم... لقد اقترح نيلز إيريك أن ننتقل إلى البيت الأصفر عند المنعطف».

«وبماذا أجبته على اقتراحه؟».

«رأيتها فكرة حسنة. لذا، سوف ننتقل إلى البيت الجديد بعد عيد الميلاد».

قالت: «لا أستطيع تخيّل رجلَين أكثر اختلافًا منكما، أنت ونيلز إيريك».

«هل صرت الآن رجلًا؟ هكذا، على نحو مفاجئ؟».

نظرت إليّ وضحكتْ. قالت: «ألست رجلًا؟».

«لا أحس نفسي رجلًا».

«ماذا تحس نفسك إذًا؟».

«فتى، فتى في الثامنة عشرة من العمر».

«نعم، أستطيع فهم هذا. أنت لست رجلًا مثل بقية الرجال في هذه القرية».

«ماذا تعنين بقولك هذا؟».

«هل حدث مرة أن نظرت إلى ذراعيك؟ إنهما نحيلان مثل ذراعيّ. فوق هذا لا أستطيع القول إنك عريض المنكبَين».

قلت: «وماذا؟ أنا لست صيادًا».

«أوه... هل ساء مزاجك الآن؟».

«لا».

«لا»، قالتها بالنغمة نفسها، ثم ضحكت: «مع هذا، أنت محق. لست مضطرًا إلى فعل شيء غير الجلوس والكتابة طيلة ما بقي من عمرك. لست في حاجة إلى عضلات كبيرة لكي تفعل ذلك».

قلت: «لا، لا حاجة إلى عضلات كبيرة».

قالت لي: «ماذا بك، يا كارل أوفه؟ أنت لا تنظر إلى نفسك بهذا الجد كله. أليس هذا صحيحًا؟».

قلت: «الأمر لا يتعلق بمدى جدية نظرتي إلى نفسي. ما قلتِه الآن صحيح. على سبيل المثال، أنا مختلف كثيرًا عن فيدار. لكن هذا لا يعني أن في وسعك ازدرائي».

«أووووه! من الواضح أنني مسست نقطة حساسة».

«تراجعي عما قلته، الآن!».

«أوه، يا إلهي!».

«هل تريدين أن أرميك خارجًا؟».

حملت فنجاني بحركة تهديد.

ضحكتْ من جديد.

استندت إلى ظهر الكرسي، وتناولت كيس التبغ. بدأت ألف سيجارة.

قلت: «أعرف أنك تريدين من الرجال أن يكونوا رجالًا. الحقيقة أنك قلت هذا الأمر مرّات كثيرة. ذلك النوع القوي الصامت. ولكن، ماذا يفعل فيدار حتى يثير أعصابك، حتى تنزعجي منه؟ ما الذي تتذّمرين منه عادة؟ هو لا يقول شيئًا أبدًا، وهو لا يتحدّث عن نفسه أبدًا ولا عنكما، أنتما الاثنَين. ليست فيه ذرة رومانسية».

نظرتْ إليّ نظرة طويلة. قالت: «أهناك ما هو أكثر رومانسية من مضاجعة عنيفة مع رجل قوي؟».

أحسست بأن وجنتَي قد توهّجتا. أمسكت بالقداحة وأشعلت سيجارتي. ثم ضحكَتْ.

قلت: «في الواقع، أنا لا أعرف عن هذا الأمر شيئًا. بل إنني غير قادر على تخيّل كيف يمكن أن يكون».

«ألم يحدث في حياتك كلها أن ضاجعت فتاة مضاجعة عنيفة؟».

أحسست بأنها تراقبني. تلاقت عيوننا.

حوّلت نظري وقلت: «نعم، نعم، بالطبع. لكني كنت أفكر في الأمر من الناحية الأخرى. كنت أفكر في دورك أنت في هذا كله».

نهضتُ واقفًا وذهبت إلى مجموعة التسجيلات.

التفتُ إليها وقلت: «أية طلبات؟».

قالت: «اختر أنت ما تريد سماعه. على أية حال، عليّ أن أذهب بعد قليل».

وضعت آخر ألبوم لفرقة ديليلو: «*Før var det morsomt med sne*»[1].

«الحجة الأكثر قوة في صالح الانتقال إلى بيت آخر هي أنني لن أعود مضطرًا بعد الآن إلى سماع الاثنَين اللذين في الطابع العلوي». قلت هذا وأشرت إلى السقف.

«هل تعني توريل وجورج؟».

أومأت برأسي.

«الجدران هنا رقيقة إلى حدّ غير معقول. رقيقة بين غرف النوم خاصة. وهناك، في الأعلى، كميات كبيرة من الرومانسية... بحسب تعريفِك لهذا التعبير».

«ما أسعد حظ توريل!».

«وهو أيضًا، احتكامًا إلى الأصوات التي أسمعها».

جلست من جديد وقلت لها: «توريل لا تعجبك كثيرًا، أليس هذا صحيحًا؟».

«لا. الحقيقة لا أستطيع القول إنها تعجبني».

عبرَتْ فمها ابتسامة زائفة. رفعت رأسها وزقزقت ببضع كلمات. قالت:

(1) لأنها كانت ممتعة مع الثلج.

«إنها طيبة جدًا، مخلصة إلى حدّ يصعب النظر إليه. وفي الوقت نفسه، أراها تعرض نفسها أمام كل راغب في النظر إليها».

«تعرض نفسها!؟».

«نعم. لا أظنّك لا تنتبه إلى سيرها هنا وهناك بتلك الطريقة عندما تكون وحدها. ما رأيك؟».

دفعت بصدرها إلى الأمام وحرّكت ردفيها على الأريكة وأزاحت شعرها عن جبهتها بحركة لعوب.

ابتسمتُ وقلت لها: «لم أنتبه إلى هذا الأمر أبدًا. لكن، بعد أن قلتِ لي هذا، صرت موقنًا من أن نيلز إيريك قد انتبه إليها. انتبه انتباهًا شديدًا! لقد هرع اليوم إلى المرحاض مسرعًا بعد انحنائها أمام البراد».

«أرأيت؟ هي مدركة ما تفعله. وماذا عنك أنت؟».

أطلقتُ ضحكة قصيرة ساخرة وقلت: «توريل!؟ هي أكبر مني باثني عشر عامًا».

«نعم، بالطبع. لكن، هل تعجبك؟».

«أستطيع القول إنها لا تثير نفوري. حضورها سارٌّ بعض الشيء».

ثم حلّ صمت قصير. كانت النوافذ تعكس نور المصابيح؛ ومن بين تلك المساحات المضيئة، بانت خطوط غامضة لأثاث الغرفة التي بدت كلها كأنها تحت الماء.

قالت هيغه: «هل لديك أية خطط من أجل يوم الجمعة القادم؟».

قلت: «لا. لست على علم بأي شيء».

«كنت أفكر في دعوة عدد من المعلمين المؤقّتين إلى بيتي. سوف أصنع بيتزا، وسوف نشرب بيرة. هل تحب أن تأتي؟».

«بالطبع».

نهضَت واقفة: «حان وقت ذهابي إلى البيت. أتمنى لك نومًا هادئًا أيها الكاتب الضعيف».

قلت لها: «إذا لم تتخذي جانب الحذر، فسوف أبدأ نعتك بصفات غير لطيفة، مثلما تفعلين».

«أنا امرأة كما ترى. وأنت لا تستطيع فعل هذا. بالنسبة إليك، أنا هيغّه أو فروكن[1]. أنت تبالغ في ري أزهارك. أنت تغرقها بالماء».

«أهذه هي المشكلة؟ ظننت أن من الواجب ألا أترك تربتها تجف».

«لا... تقريبًا، الأمر على العكس من هذا، دائمًا. يا للأزهار المسكينة! لقد انتهى الأمر بك إلى بيت شخص قاتل. بل هو من أسوأ أنواع القتلة لأنه لا يعرف أنه قاتل».

قلت: «لا بأس. في الواقع، أكون آسفًا عندما تموت الأزهار».

قالت لي: «وماذا عن الأسماك؟».

«ماذا عنها؟».

«هل تكون آسفًا عندما تموت الأسماك أيضًا؟».

«نعم. أكون آسفًا. أكره لحظة إخراجها من الماء، عندما أراها تنتفض وتتلوى ويكون لا بدّ لي من قتلها».

ضحكت وقالت: «لا أظنني سمعت من قبل كلامًا مثل هذا يقال هنا. لا أستطيع تخيّل سماع أمر مثل هذا. أنا واثقة من أنها أول مرة».

قلت: «هناك صياد أسماك ظلّ يصيبه دوار البحر طيلة حياته. هذا شيء مماثل تقريبًا».

قالت: «لا، ليس مماثلًا. لكن عليّ أن أذهب الآن».

سرت خلفها في الممر.

قلت: «أوه، فروكن، أتمنى لك ليلة طيبة». وقفتُ صامتًا في انتظار أن ترتدي معطفها وتضع بقية الأشياء التي لا بد منها قبل الخروج. ابتسمتُ لها عندما فرغت من ذلك. كان أنفها وحده ظاهرًا بين وشاحها وقبعتها. ودّعتني، ثم خرجت ومضت في الظلام.

---

(1) فروكن: آنسة في اللغة النرويجية.

صباح اليوم التالي، كان لديّ الصفان الثالث والرابع في الدرسَيْن الأول والثاني. نهضت من الفراش قبل عشر دقائق من رنين الجرس. أسرعت فارتديت ملابسي ومضيت صاعدًا في الطريق تحت سماء لا تزال مظلمة، بقدر ما كانت عندما خرجت هيغّه من بيتي قبل عشر ساعات.

وعندما جاء الأطفال سائرين من غير استعجال على أرض الغرفة بأقدامهم المجوربة، مرتدين كنزاتهم، وقد صارت شعورهم مشعثة بعد أن نزعوا عنها قبعاتهم الصوفية، لا يكادون يستطيعون فتح أعينهم، رأيتهم مثلما هم... صغارًا، ضعفاء. كان أمرًا غير قابل للفهم أبدًا أنني أنزعج من بعضهم وأغضب من بعضهم أحيانًا. لكن شيئًا فيهم كان يعلو ويهبط خلال النهار: إعصار من الصراخ والزعيق والمضايقات والمشاجرات والألعاب والإثارة مما كان يعني أنني لا أعود قادرًا على رؤيتهم أشخاصًا صغارًا، بل أراهم بحسب ما يكون جاريًا في عروقهم في تلك اللحظة.

كان جو جالسًا على مقعده. رفع يده في الهواء.

قلت: «ما الأمر، يا جو؟».

ابتسم وقال: «ماذا سنفعل في الدرس الأول؟».

قلت: «ما عليك إلا أن تنتظر وترى».

«هل ستقرأ لنا في آخر الدرس الثاني مثلما تفعل عادة؟».

«من يعش يرَ. هل سمعت هذا القول السائر من قبل؟».

أومأ برأسه.

«عظيم. إذًا، عليك أن تنتظر».

ظلّ الباب الذي في آخر المبنى يُفتح ويغلق مع تقاطر التلاميذ إلى المدرسة. وكلما سمعت صوت الباب، أرفع رأسي تلقائيًا وأنظر في ذلك الاتجاه. كانت غرفة صفي تقع في الجهة القائمة إلى يمين باب المبنى. نيلز إيريك يعلّمهم الآن. رأيته جالسًا خلف طاولة مكتبه محدقًا في الهواء، منتظرًا أن يفرغ التلاميذ من صخبهم ويهدأوا. دخل كلٍ من ريدار وأندريا. هما شقيق وشقيقة يأتيان إلى المدرسة معًا، ويصلان متأخِّرَين معًا، فما الأمر المؤثر كثيرًا في هذا كله؟

انطلق ريدار راكضًا عبر الباحة. أظنه تذكر أن الركض غير مسموح هنا لأنه توقف فجأة ونظر إليّ، ثم سار إلى مكانه بخطوات سريعة. كانت أندريا تنظر إلينا من الناحية الأخرى. التقت عيوننا فأدارت رأسها على الفور، أدارته في اتجاه تلاميذ الصف السابع، ثم لم تلبث أن ذهبت وانضمت إليهم بعد لحظة واحدة.

كان ينبغي أن تكون هذه اللحظة الصغيرة طبيعية تمامًا، لكنها لم تكن طبيعية لأنني لمست تخشّبًا في حركات أندريا، كأنها ترغم نفسها إرغامًا على أدائها.

قال ريدار مبتسمًا: «مرحبًا، يا كارل أوفه». أدركت أنه استخدم اسمي نوعًا من الحاجز الواقي حتى يجعل توبيخه على تأخيره أكثر صعوبة بعد هذا التودّد. يا له من عفريت صغير بارع!

قلت له: «أهلًا بك، يا ريدار. اجلس مكانك. لقد تسبّبت في تأخير الصف كلّه عن بدء الدرس».

كانت أندريا مغرمة بي.

بالطبع! هذا ما يفسر سلوكها.

تلك النظرات كلها، وتلك المراوغة كلها، واحمرار وجهها أيضًا.

سرى فيّ شعور دافئ. نهضت وتوجّهت إلى اللوح.

قلت: «ما معنى أن تكون للمرء مهنة؟ ما معنى كلمة مهنة؟».

يا للفتاة الصغيرة المسكينة!

قال ريدار: «المهنة: وظيفة».

قلت له: «ارفع يدك قبل أن تتكلم إن كنت تعرف الإجابة».

رفع يده. ولحسن الحظ، رفع آخرون أيديهم أيضًا. أشرت إلى لوفيزا.

قالت: «المهنة تعني أن تكون للمرء وظيفة».

قال ريدار: «هذا ما قلته قبلها!».

قلت لها: «لوفيزا، هل تستطيعين إعطائي بضعة أمثلة على المهن؟».

أومأت برأسها وقالت: «صياد أسماك».

كتبت ذلك على اللوح وقلت: «هذا جيد. ماذا غيره؟».

«العمل في مصنع تعليب الأسماك».

«صحيح! أية مهن أخرى؟ لا تتكلّموا قبل أن ترفعوا أيديكم!».

تدفّقت اقتراحات كثيرة. سائق باص، سائق شاحنة، سائق سيارة نقل، بائع في متجر، قبطان سفينة، عامل تنظيف، شرطي، رجل إطفاء. كان أمرًا عاديًا ألا يذكر أحدهم كلمة «معلم» مع أنهم يرون معلمًا واقفًا أمامهم في تلك اللحظة. في نظرهم، ليست مهنة التعليم وظيفة. إنها ثرثرة مع الأطفال، كل يوم.

قلت بعد حين: «وماذا عني؟ أليست لي مهنة؟».

صاحوا جميعًا: «أنت معلم! معلم! معلم! معلم!».

«وإذا أصابكم المرض؟».

«ممرضة! طبيب! سائق سيارة إسعاف!».

بعد أن امتلأت مساحة اللوح كلها، قلت لهم أن يكتب كل واحد منهم اسم المهنة التي يتمنى أن تكون له، وأن يبيّن السبب، ويصف ما تنطوي عليه تلك المهنة، وأن يرسم صورة أيضًا. بينما كانوا منهمكين في فعل ما طلبته منهم، سرت بينهم أراقب عملهم وأتكلم مع هذا وذاك، وأقف عند النافذة واضعًا يديّ على ردفي وأحدّق في الظلمة. كانت فكرة أنها مغرمة بي فكرة مؤثرة، دافئة وحزينة في وقت واحد.

اتجهت إلى طاولتي، ثم بدأنا نستعرض ما كتبوه. مرّ من الوقت أكثر من نصف ساعة، ثم رُن الجرس. وفي الدرس التالي، تابعنا العمل من حيث توقّفنا وتحولنا إلى القراءة من دفاتر التمرينات. أجابوا عن الأسئلة التي فيها. وفي الدقائق العشرين الباقية من الدرس، قرأت لهم مقتطفات من «ألف ليلة وليلة». عندما أخرجت الكتاب وبدأت القراءة فيه، تركوا مقاعدهم وجلسوا على السجادة مشكّلين نصف دائرة قبالتي. يفعلون هذا دائمًا. لا بد أنه ما اعتادوا فعله منذ الصف الأول، أو منذ الصف الثاني. أعجبني هذا، وأحسست كأنني أمنحهم شيئًا دافئًا، شيئًا آمنًا. أو لعلهم كانوا

هم من يحوّلون وضعًا عاديًا إلى شيء دافئ، إلى شيء آمن. جلسوا بعيون مسحورة ينصتون إلى القصص الشرقية، ويعكسونها على أنفسهم بطريقة من الطرق، كأنهم جالسون أمام منبع أرواحهم، أو وسط صحراء عقولهم، كأنهم يرون تلك الجِمال كلها، وتلك الحرائر كلها، وتلك البُسُط الطائرة كلها، والأرواح واللصوص والبازارات والمساجد، والحب الحارق كله، والموت المفاجئ. صور من سراب متموّجة في سماء وعيهم الزرقاء الخاوية. بالنسبة إليهم، لم تكن هناك أية مشكلة في أن يستطيع عالم مختلف عن عالمهم كل الاختلاف، مختلف عن حيث هم جالسون عند حافة العالم في ظلمة مطبقة، ودرجات حرارة شديدة البرودة، أن يكون عالمًا قابلًا للتخيّل. مسرح كتاب الحكايات في أذهانهم مسرحٌ كل شيء ممكن فيه، وما من شيء ممنوع.

بعد ذلك، كان لديّ درس في اللغة النرويجية لتلامذة ثلاثة صفوف معًا، الخامس والسادس والسابع. قلت فور دخولي غرفة الصف: «جيد، فلنبدأ من غير تأخير. اجلسوا، وأخرجوا كتبكم».

سألت هيلدغون: «هل أنت في مزاج سيئ اليوم؟».

قلت: «لا تحاولي قول أشياء لا علاقة لها بالدرس. هيا، أخرجوا كتبكم. سوف نحاول اليوم العمل في مجموعات. أعني بهذا أنكم ستعملون أزواجًا. هيلدغون وأندريا، قرّبا مقعديكما. يورن وليفه، كاي روالد وفيفيان. فليقرّب كل اثنيَن مقعديهما. لماذا تتباطأون دائمًا؟».

صفوا مقاعدهم أزواجًا مثلما قلت لهم. لكن كاي روالد لم يتحرّك، ظل جالسًا مستندًا إلى المقعد بمرفقَيه، واضعًا يدَيه على وجنتَيه.

قلت له: «أنت أيضًا، يا كاي روالد. قرّب مقعدك من فيفيان، ضعه إلى جانب مقعدها. سوف تعملان معًا».

رفع رأسه ونظر إليّ. هزّ رأسه وحدّق في الفراغ من جديد.

قلت له: «ما من خيار آخر. عليك أن تفعل هذا؟ هيا، الآن».

أجاب: «لن أفعل هذا».

ذهبت إليه. قلت له: «ألم تسمع ما قلته لك؟ هيا، تحرّك، انقل مقعدك».

قال: «لا أريد فعل هذا. ولن أفعله».

سألت: «لم لا؟».

كان الآخرون قد فرغوا من نقل مقاعدهم. جلسوا ينظرون إلينا.

أجابني: «لأنني لا أريد».

قلت له: «هل أنقل المقعد بدلًا منك؟».

هزّ رأسه نفيًا وقال: «ألم تسمع ما قلته لك؟ لن أفعل ذلك».

قلت له: «لكن عليك أن تفعله».

هزّ رأسه من جديد.

أمسكت المقعد من جانبَيه، ثم رفعته. ضغط بذراعَيه على سطح المقعد، ضغط بكل ما أوتي من قوة. جذبت المقعد بقوة أكبر، فأمسكه بيدَيه الاثنتَين وثبّته في مكانه. صار وجهه الآن أحمر اللون. كان قلبي يخفق سريعًا.

قلت له: «والآن، افعل ما قلته لك».

«لا».

حملت المقعد رغمًا عنه. انتزعته من بين يدَيه. حملته إلى حيث كان مقعد فيفيان، ووضعته إلى جواره. لم يتحرّك كاي روالد من كرسيه.

قال لي: «لن أتزحزح عن مكاني».

أمسكت بذراعه، فجذبها وخلّصها من قبضتي.

قلت بصوت مرتفع: «عليك الآن أن تذهب وتجلس هناك. هل تريد أن أحملك؟ أهذا ما تريد؟».

بطرف عيني، أحسست أن هيغّه تنظر إلينا من الناحية الأخرى من الغرفة.

لم يجبني بشيء.

وقفت خلف كرسيه، ثم أمسكته من مقعده وحاولت رفع الكرسي وهو جالس. نهض واقفًا. وقف خلف مقعده وأمسكه بيدَيه الاثنتَين كأنه اعتزم إعادته إلى مكانه.

قلت له: «دع المقعد في مكانه».

كان وجهه قرمزيّ اللون. عيناه قاسيتان، لا سبيل إلى سبر غورهما. عندما بدأ يحرّك المقعد، أمسكته وانتزعته من يدَيه مرة أخرى.

صاح: «أنت، يا قضيب الحصان اللعين!».

وضعت المقعد على الأرض. تدفّق الغضب في عروقي. ابيضّت عيناي لشدّة حنقي.

استنشقت نفَسًا عميقًا حتى أهدأ قليلًا، لكن هذا لم يجد فتيلًا. كان جسدي يرتعش كله.

قلت له: «تستطيع الذهاب إلى البيت. لا أريد رؤيتك هنا اليوم».

قال: «ماذا قلت؟».

قلت له: «اذهب».

على غير انتظار، رأيته يغالب دموعه ويطرق برأسه. قال لي: «لكني لم أفعل شيئًا».

قلت: «اذهب. لا أريد رؤيتك. هيا، تحرك. اخرج. اخرج».

رفع رأسه ورماني بنظرة غاضبة متمرّدة، ثم استدار بحركة بطيئة وخرج من الغرفة.

قلت بأقصى ما استطعته من ضبط النفس: «فلنبدأ الدرس الآن. افتحوا دفاتر التمرينات على الصفحة السادسة والأربعين».

فعلوا ما طلبت منهم. وفي الخارج، رأيت كاي روالد يمرّ تحت النافذة مؤرجحًا ذراعيه. كان ظاهره غير مبالٍ بما حدث. عيناه تنظران إلى الأمام.

شرحت لهم ما عليهم فعله. ألقيت نظرة سريعة عبر النافذة. كان يسير تحت ضوء آخر مصباح على أرض المدرسة، حانيًا رقبته، مطرقًا برأسه. لكن تصرفي كان صحيحًا لأنه لا يجوز السماح لأحد بأن يقول لمعلم إنه قضيب حصان، ثم يمضي الأمر من غير عقوبة.

جلست خلف طاولة مكتبي. كنت فاقدًا السيطرة على نفسي طيلة ما بقي من ذلك الدرس، وكان اهتمامي كلّه منصبًا على ضرورة ألا يلاحظ التلاميذ شيئًا.

وفي غرفة المعلمين، أتت هيغّه وسألتني عن طبيعة المشكلة التي وقعت. هززت كتفي وقلت إن خلافًا في الرأي وقع بيني وبين كاي روالد فغضب، وقال إنني قضيب حصان.

«لذا، فقد أرسلته إلى البيت بقية هذا اليوم. هذا أمر لا يمكن قبوله».

قالت لي: «الأمور هنا مختلفة. لعلك تعرف هذا! لا نعتبر الشتائم أمرًا خطيرًا».

«لكني أعتبرها أمرًا خطيرًا. ثم إنني المعلم المشرف على الصف».

قالت: «نعم، نعم».

ذهبتُ وسكبت لنفسي فنجان قهوة. جلست على الكرسي وبدأت أتصفح كتابًا. عندها، في لحظة خاطفة، فهمت الأمر كله.

لم يرد الجلوس إلى جوار فيفيان لأنه مغرم بها.

جعلني هذا الاكتشاف المفاجئ أحسّ حرجًا شديدًا. أوه، كم كنت غبيًا! إلى متى تظلّ غبيًا؟ إرسال تلميذ إلى بيته أمر كبير لأن عليه أن يبرر موقفه أمام أبيه وأمه. لن يصدقا ما يسمعانه منه، ولن يقتنعا بأن المعلم مخطئ. لكني كنت مخطئًا.

إن كاي روالد يعجبني.

إذًا... فهو عاشق. هذا كل ما في الأمر.

لكن الأوان قد فات، وما عدت الآن قادرًا على إبطال شيء مما فعلت.

عدت إلى غرفة المعلمين. أخذت الصحيفة عن الطاولة، ثم جلست وبدأت القراءة. انفتح الباب في نهاية ردهة المدخل الصغيرة. إنه ريتشارد. رآني جالسًا.

قال لي: «كارل أوفه، هل لي بكلمة معك؟». أشار لي بيده لكي آتي إليه.

قلت: «بكل تأكيد»، ثم نهضت واقفًا.

قال لي: «فلنذهب إلى مكتبي».

سرت خلفه صامتًا. أغلق باب المكتب من خلفنا، ثم استدار إليّ.

قال لي: «اتصلت والدة كاي روالد منذ قليل. قالت لي إنك أرسلته إلى بيته. ماذا جرى؟».

قلت، «لقد رفض أن يفعل ما طلبت منه فعله. وقعت بيننا مشادّة صغيرة. شتمني وقال إنني 'قضيب حصان'، وبالتالي فقد قلت له أن يذهب إلى البيت. أنا لا أستطيع أبدًا أن أقبل شيئًا كهذا».

نظر ريتشارد إليّ نظرة متمعّنة. ثم جلس على الكرسي خلف مكتبه الفسيح.

قال: «إرسال التلميذ إلى بيته واحد من التدابير الخطيرة. هذه أقسى عقوبة لدينا. ولا بد أن تحدث أشياء كثيرة قبل أن نصل إلى تلك النقطة. لكنك تعرف هذا. كاي روالد تلميذ جيد جدًا. هل أنت متفق معي في هذا؟».

«نعم، لا شك في هذا أبدًا. لكن الأمر غير متعلق بهذه النقطة».

«مهلًا، مهلًا! نحن في شمال النرويج. طبيعتنا هنا أكثر خشونة مما نراه في الجنوب. على سبيل المثال، نحن لا نعتبر إطلاق الشتائم مسألة خطيرة. ليس حسنًا أن يدعوك بما دعاك به، لكن الأمر ليس جريمة خطيرة مثلما يبدو لي أنك تراه. غضب الصبي قليلًا. هذا كل ما في الأمر. لا بد أن يكون مسموحًا له أن يغضب قليلًا!».

قلت: «أنا لا أقبل أبدًا أن يدعوني واحد من تلاميذي 'قضيب حصان' بصرف النظر عن البقعة من العالم التي يحدث فيها ذلك».

قال: «لا، لا، بالطبع لا. أنا أفهم هذا تمامًا. لكن لدينا دائمًا وسائل أخرى لحلّ أية مشكلة. ينبغي أن يكون هناك قدر من 'الأخذ والعطاء'. وبكل تأكيد، ينبغي أن يكون إرسال تلميذ إلى بيته آخر حلّ نلجأ إليه. لدي إحساس يقول إن خلافكما لم يبلغ تلك النقطة بالفعل. فهل أنا محق في ظنّي؟».

لم أجبه بشيء.

قال لي: «أنت معلم منذ فترة قصيرة جدًا، يا كارل أوفه. لكننا جميعًا، حتى أكثرنا خبرة، يرتكب أخطاء من وقت لآخر. في المرة القادمة، إذا لم تستطع أن تجد بنفسك حلًا للمشكلة، تعال لكي أساعدك، أو أحضر التلميذ معك لكي يراني».

لن ترى هذا إلا في أحلامك.

قلت: «سأفكر في الأمر إذا حدث ذلك مرة أخرى».

قال: «سوف يحدث مرة أخرى. على أية حال، سيكون عليك أن تنهي هذا الأمر. من الأفضل أن تتكلم هاتفيًا مع والدة كاي روالد لكي تشرح لها سبب إرساله إلى البيت».

قلت: «أليس كافيًا أن أعطيه رسالة لها يوم غد؟».

«لقد اتصلت بي وكانت في غاية القلق. لذلك، من الأفضل أن تتحدّث معها هاتفيًا. هذا ما أراه».

قلت، «لا بأس. سوف أكلّمها».

بسط راحة يده مشيرًا إلى جهاز التلفون الرمادي على مكتبه. قال: «في وسعك أن تستخدم هذا الجهاز».

قلت: «لكن الجرس يوشك على الرنين. سأفعل هذا في الاستراحة التالية».

«أستطيع الذهاب إلى صفك خلال الدقائق الأولى من الدرس. من لديك الآن؟».

«الخامس والسادس والسابع».

أومأ برأسه، ثم نهض وظل واقفًا إلى جانب مكتبه.

هل سيظل واقفًا هنا أثناء كلامي معها؟ هل يريد سماع ما أقوله لها؟ أهو شخص مجنون بحب السيطرة؟

بحثت عن الرقم في دليل الهاتف. وجدته ونظرت إلى ريتشارد نظرة سريعة. لم يتحرّك قيد أنملة.

كم هو مزعج!

طلبت الرقم. أتاني صوت امرأة: «مرحبًا».

«أوه، مرحبًا. أنا كارل أوفه كناوسغارد، المعلم المشرف على صف كاي روالد».

قالت: «أهلًا وسهلًا».

«وقع هذا الصباح خلاف بيني وبين كاي روالد. رفض أن يفعل ما طلبت

منه فعله. وعندها، دعاني... نعم، لقد شتمني في وجهي. لذا، فقد أرسلته إلى البيت».

قالت لي: «تصرفك صحيح تمامًا. أحيانًا، يصير كاي روالد مشاكسًا».

قلت: «نعم، هذا صحيح. لكنه فتى جيد. المسألة ليست كبيرة؛ ولن تترتب عليها أية عواقب سيئة بالنسبة إليه. كان لا بد من تلقينه درسًا قاسيًا. وأما يوم غد، فسوف يعود كل شيء إلى طبيعته. هل أنت موافقة على هذا؟».

«نعم. أشكرك لأنك اتصلت».

«لا مشكلة. مع السلامة».

«مع السلامة».

رُن الجرس لحظة أعدت سماعة الهاتف إلى مكانها. أومأ ريتشارد لي برأسه فخرجت من مكتبه من غير أن أقول كلمة واحدة. مضيت مباشرة إلى مبنى غرف الصفوف حيث سيكون لدي درس رياضيات مع الصفوف الخامس والسادس والسابع. كانت الرياضيات أسوأ مادة في نظري لأنني لا أستطيع قول شيء عنها، وما من شيء أستطيع تطويره أو جعله يثير اهتمام التلاميذ. كانوا يجرون عمليات الجمع في دفاتر التمرينات. ومن وقت إلى آخر، أشرح لهم على اللوح فكرة جديدة. كان هذا واضحًا لهم؛ ولعلّهم كانوا يبذلون جهدًا أكبر في بداية كل درس حتى يشتتوا انتباهي.

بعد أن جلسوا جميعًا، قالت فيفيان: «مع من كنت تتكلّم في الهاتف؟».

قلت: «كيف عرفت أنني كنت أكلم أحدًا؟».

قالت أندريا: «رأيناك من النافذة. لقد استخدمت الهاتف الذي في مكتب مدير المدرسة».

قالت هيلدغون: «هل كنت تتكلّم مع والديّ كاي روالد؟».

قالت فيفيان: «وهل سيعود إلى المدرسة اليوم؟».

قلت: «تعرفين جيدًا أن السؤال عمن أكلمهم في الهاتف ليس من شأنك أبدًا. والحقيقة أنني سأتصل بأهلك إذا لم تكفي عن هذا الآن».

قالت فيفيان: «لكن أبي وأمي في العمل».

قلت لها: «فيفيان!».

قالت: «ماذا؟».

«يكفي هذا الآن! هيا بنا! هيا إلى العمل. وأنت أيضًا، يا يورن».

كانت أندريا قد مدت ساقيها من تحت مقعدها، وراحت تحك قدمًا بقدم وهي تقرأ المسألة في دفتر التمرينات، ممسكة قلم رصاص بين أصابعها. كانت ليفه تنظر من حولها مثلما تفعل دائمًا عندما تجد صعوبة في المسألة، ولا تريد أن يظهر ذلك عليها. نظرت إلى يورن الذي كان يجري حسابات ذهنية بسرعة عجيبة، وقد برز لسانه من زاوية فمه. بعد ذلك، رأيت ليفِه تنظر إليّ. رفعت يدها.

انحنيت فوق مقعدها.

قالت لي: «لا أستطيع حلّ هذه المسألة». أشارت بقلم الرصاص إلى المسألة المقصودة. من خلف نظارتها، عيناها تنظران إليّ تارة وإلى الدفتر تارة. شرحت لها المسألة فتنهدت وتأوهت: إنها طريقتها في محاولة تمويه جهلها أمام أصدقائها.

قلت لها: «هل تتابعين ما أقول؟».

قالت: «نعم، فهمت». وأشارت لي بأن أذهب.

قالت فيفيان ضاحكة: «يا معلم، لا أستطيع حلّ هذه المسألة، يا معلم!».

عندما انحنيت فوق مقعدها، بدا لي أنها مرتبكة جدًا. كان وجهها ساكنًا، خاليًا من أي تعبير. وكانت عيناها ساكنتَين، خاليتَين من أي تعبير. أحسست بأن استقبالها وجودي إلى جوارها غريب بعض الشيء.

قلت لها: «لماذا لا تستطيعين حلّ هذه المسألة؟ لقد حللت قبلها خمس عشرة مسألة مثلها!».

رفعت كتفَيها من غير أن تقول شيئًا.

قلت: «جرّبي مرّة أخرى. انظري إلى المسائل السابقة. إذا لم تستطيعي حلّ هذه المسألة، فسوف أعود لمساعدتك. هل هذا حسن؟».

قالت: «نعم، يا معلم». تلفتت من حولها ضاحكة.

وعندما انتصبت واقفًا، نظرت مباشرة في عينَي أندريا.

رأيت فيهما توقًا. أحسست بحرارة في وجنتيّ.

سألتها: «هل كل شيء عندك على ما يرام؟».

قالت: «ليس تمامًا. أنا في حاجة إلى قليل من المساعدة».

ازدادت نبضات قلبي سرعة عندما وقفت إلى جانبها. أوه، ما أسخف هذا! لكن انتباهي إلى أنها قد تكون مغرمة بي جعل -على نحو مفاجئ- التصرّف الطبيعي المعتاد أمرًا مستحيلًا.

انحنيت فوقها، فبدا لي كأنها انكمشت على نفسها. تغيّر إيقاع تنفسها. لم تحد عيناها عن دفتر التمرينات أمامها. شممت شذى الشامبو الذي استحمّت به. حرصت على تفادي أي تماس بيننا. وضعت إصبعي على أول رقم كتبته في الدفتر. أزاحت شعرها جانبًا، واستندت على المقعد بمرفقها. كان ذلك كأن كل حركة نقوم بها قد صارت مدروسة: صار كل تفصيل مرئيًا ولم يعد طبيعيًا، لم يعد يأتي من غير تفكير، بل صار مصطنَعًا، صار محسوبًا.

قلت لها: «ها هو الغلط. هل تستطيعين رؤيته الآن؟».

تورّد وجهها. وبصوت خافت، قالت نعم، ثم أشارت إلى التمرين التالي. وهذا أيضًا. قالت نعم من جديد؛ قالتها بعد بضع ثوانٍ، قالتها بصوت منخفض ناعم. كانت أنفاسها مضطربة.

نصبت قامتي وتابعت السير بين المقاعد. جالت عيناي بين التلاميذ كلّهم، في غرفة الصف كلّها، لكن تلك اللحظة لم تتركني من غير أن تمسّني. ظلت تلك اللحظة الصغيرة حيّة. حتى أخلّص نفسي منها، جمعت كل ما كان على مكتبي من كتب ورتبتها في عمود واحد، ثم توجهت بالكلام إلى الصف كله. لا بد من إنهاء تلك اللحظة بلحظة جديدة أكبر منها. عليَّ أن أجعل غرفة الصف هذه مكانًا للجميع، وحدة واحدة، صفًا يتعلم، ويتعلم.

قلت لهم: «الظاهر أن عددًا منكم يواجه المشكلة نفسها. فلنرَ هذه المشكلة على اللوح. الصفان الخامس والسادس، أغلقوا آذانكم!».

انتهيت من شرح تلك النقطة، ثم تواصلت مجريات الدرس كما في السابق. كنت دائم الحرص على تفادي أي قرب زائد مع أي تلميذ، حتى

قبل إدراكي أن أندريا لديها مشاعر نحوي. لم يحدث أبدًا أن وضعت ذراعي من حول أحدهم؛ بل إنني لم أكن أمسّهم أبدًا. إذا أحسست أنّ في حديث، أو في نكتة، تماديًا يكاد يقارب شيئًا جنسيًا، فإنني أضعهم عند حدّهم. أفعل هذا دائمًا. لم يكن بقية المعلمين في حاجة إلى فعل هذا. فبالنسبة إليهم، كان ذلك البعد حقيقة من حقائق الحياة لا يقدر شيء على كسرها. وأما أنا، فقد كان البعد حالة لا بد لي من خلقها، من إيجادها بنفسي.

اتصلت بأبي بعد الظهر. كان صوته مظلمًا، وكان باردًا، وصاحيًا. سألني عن أحوالي. فقلت إنني بخير لكني في شوق إلى عطلة عيد الميلاد.

قال لي: «هل ستحتفل بعيد الميلاد مع أمك؟».

أجبته: «نعم».

«هذا ما توقعناه. فريدريك أيضًا لن يأتي إلينا. لذا، فسوف نتجه جنوبًا هذه السنة أيضًا. لقد صارت لك أخت هنا، يا كارل أوفه! عليك ألا تنسى هذا».

أيظنّ حقًا أنني يمكن أن أستجيب لهذا؟ لو قلت له إنني أود الاحتفال بعيد الميلاد معهم، فلسوف يختلق ألف عذر وعذر حتى لا أذهب إليهم. هو لا يريدني هناك! فلماذا يحاول الإيحاء لي بأنني أخذله.

قلت: «لكن من المحتمل أن أتمكّن من الذهاب إليكم في عطلة الشتاء. هل هذا مناسب؟ ألن تسافروا في تلك العطلة إلى بلاد مشمسة؟».

قال: «لم نضع خططًا بعيدة المدى إلى هذا الحدّ. سيكون علينا أن نرى عندما يحين الوقت».

قلت: «أستطيع القدوم بالسفينة السريعة، أو أي شيء من هذا القبيل».

«نعم، تستطيع فعل هذا. هل سمعت شيئًا من إنغفه في الآونة الأخيرة؟».

«لا. مضى وقت طويل منذ آخر اتصال بيننا. أظنه شديد الانشغال».

خلال ذلك الحديث الهاتفي القصير كله، بدا لي كأنه يحاول العثور على وسيلة لإنهاء تلك المكالمة. أنهينا المكالمة بعد قرابة دقيقتَين. سرّني أن يكون الأمر على هذا النحو. كلما كان الأمر هكذا، كلما صرت مدركًا أنه شخص لست في حاجة إليه.

أوَليس الأمر هكذا مع أي شخص آخر؟ سرت في الطريق المنحدرة وكان الثلج كأنه سهام آتية من ناحية البحر القاتم. تساءلت في نفسي إن كان هناك أي شخص أحتاج إليه. تساءلت إن كان هناك أي شخص لا أستطيع العيش من دونه.

إن كان الأمر هكذا، فلا بد أن يكون إنغفه وأمي من أولئك الأشخاص.

لكنهما ليسا مما لا أستطيع الاستغناء عنهما، أوَليس الأمر هكذا؟

حاولت تخيّل كيف تكون الحال إن لم يكونا موجودَيْن في حياتي.

ستكون مثلما هي الآن، تقريبًا، باستثناء الاتصالات الهاتفية ولقاءاتنا في عطلة عيد الميلاد، وفي الصيف.

ألست قادرًا على الاستغناء عنهما؟

ولكن، عندما أصير كاتبًا آخر الأمر، ينبغي أن تكون أمي موجودة معي!

أزلت الثلج عن حذائي أمام باب البيت، ثم دخلت. وأيضًا... إن صار لدي أطفال.

لكني لن أنجب أطفالًا. هذا شيء لا سبيل إلى التفكير فيه.

وأيضًا، بالنظر إلى المشكلة الموجودة عندي، ليس من الممكن أن يحدث هذا.

ابتسمت لنفسي وأنا أخلع سترتي. ثم صرت مكتئبًا في اللحظة التي أعقبت ذلك. كان كل ما يتصل بذلك الأمر معلّقًا فوقي مثل ظل يكتنف حياتي كلها. أنا غير قادر على فعله. لقد حاولت، ولم أنجح. لا فائدة من هذا.

أوه، اللعنة على هذا... خراء... اللعنة على هذا!

ألقيت بنفسي على الأريكة وأغمضت عينيّ. ما أسوأ هذا الوضع، وكم هو مزعج. كان ذلك كأن أحدًا يمكن أن يظهر في الخارج، في أية لحظة، وأن ينظر إليّ عبر النافذة. الواقع أنني أحسست كأن هناك الآن من ينظر إليّ، واقفًا هناك.

حلَّ يوم الجمعة، وذهب المعلمون المؤقتون جميعًا إلى السهرة في

بيت هيغه. أكلنا البيتزا وشربنا البيرة. كانت هيغه القوة المحرّكة ومركز الاهتمام. بدت في حالة نفسية ممتازة بقدر ما كانت سريعة الحركة. تروي قصة بعد قصة. أُعجب نيلز إيريك بها، وحاول نيل استحسانها بأن راح يقلّد الأشخاص ويتّخذ هيئات كاريكاتورية. لم أحظ بنظرة منها. كان هذا غريبًا لأنها زارتني عدة مرات خلال الأسابيع المنصرمة، وتحدّثنا في أمور قريبة من قلبها القاسي.

بعد رفع الطعام عن الطاولة، جلبت هيغّه من الفريزر زجاجة فودكا. علا بي الشراب الأبيض البرّاق إلى عالم سعيد بارد، في حين بدأت هيغّه، شيئًا بعد شيء، تفقد سيطرتها على عضلات وجهها وعلى حركات جسدها. عندما نهضت واقفة لكي تذهب إلى المرحاض، اندفعَتْ حتى بلغت الجدار، فاستندَت إليه حتى لا تقع. تمايلت، ثم ركزت انتباهها على الغرفة. ضحكت وانطلقت من جديد عابرة أرضية غرفة المعيشة الكبيرة. كانت أوفر حظًا هذه المرة؛ فبصرف النظر عن الاستقامة غير الطبيعية لخط سيرها، وكذلك عن ترنّحها مرة أو مرتَين، بلغت باب المرحاض من غير وقوع أية حادثة أخرى. وبعد نصف ساعة من ذلك، غفت وهي جالسة على الكرسي. داعبتُ خدها ففتحت عينيها ونظرت إليّ. قلت لها إن عليها أن تخرج في نزهة معي لأن الهواء البارد سيكون مفيدًا لها. أومأت برأسها، فساعدتها على الوقوف على قدمَيها. ساعدتها في نزول السلم أيضًا. كدت أحملها حملًا. ابتسمت ابتسامة عريضة، ثم أدخلت ذراعيها في كمي السترة التي قدمتها إليها. شدّت القبعة على رأسها، وببطء أحكمت لف الوشاح من حول رقبتها.

كان في الخارج ظلام وسكون. انخفضت الحرارة انخفاضًا شديدًا خلال الساعات القليلة الماضية، والغيوم التي كانت معلّقة فوق المنطقة طيلة الأسبوع، كأنها قماش مشمّع واقٍ كبير، انسحبت الآن إلى ناحية واحدة: نجوم تتلألأ من فوقنا. شبكت ذراعي بذراعها. كانت عيناها خاويتَين، زجاجيتَين. وبين الفينة الأخرى، تنفجر ضاحكة من غير أدنى سبب ظاهر.

نزلنا حتى الكنيسة الصغيرة، ثم عدنا أدراجنا. وصلنا إلى المدرسة، ثم عدنا أدراجنا. موجة من لون أخضر ترقرقت في السماء فوق الجبل الواقع إلى جهة الغرب، ثم اختفت تاركة خلفها وشاحًا أصفر وأخضر.

قلت: «انظري إلى أضواء الشمال. هل رأيتها؟».

قالت: «أضواء الشمال، نعم، رأيتها».

سرنا حتى الكنيسة الصغيرة مرة أخرى. كانت أحذيتنا تصرّ على الثلج الجاف. الجبال الواقعة خلف الفيورد كانت واقفة صامتة، متوحشة. الثلج المتراكم عليها جعلها أخف قليلًا من سواد الليل المحيط بها. البرد مستقر من حول وجهي كأنه قناع.

مكتبة
t.me/soramnqraa

قلت لها عندما انعطفنا من جديد.

«هل تشعرين الآن أنك أحسن؟».

قالت: «ممم».

إن لم تستطع هذه النزهة أن تعيد الصفاء إلى رأسها، فلا شيء يستطيع ذلك.

قلت عندما صرنا عند مدخل بيتها: «إذًا، ما رأيك في أن ندخل الآن؟».

رفعت رأسها ناظرة إليّ، ثم ابتسمت ابتسامة رأيتها شيطانية. طوّقت عنقي بذراعَيها وجذبتني إليها وقبّلتني.

لم أرد الإساءة إليها فتركتها تستمر برهة، ثم انتصبتُ واقفًا وحرّرت نفسي منها.

قلت لها: «لا يجدر بنا فعل هذا».

«صحيح». قالت هذا ثم ضحكت.

قلت: «فلننضمّ إلى الآخرين! ما رأيك؟».

«نعم، فلننضمّ إليهم».

ما أسرع ما تبدّد صفاء الذهن الذي كسبَتْه في الخارج بعد عودتها إلى دفء البيت. وبعد قليل، انسحبت إلى غرفة نومها وبقيت فيها زمنًا طويلًا إلى حدّ دفعنا، من غير وجود مضيفتنا، إلى رفع الزجاجات والكؤوس عن

الطاولة. ألقينا عليها نظرة سريعة في غرفة نومها، فرأيناها مستلقية على سريرها المزدوج الضخم. كانت مرتدية ملابسها كلها؛ وكانت تشخر. عند ذلك، خرجنا من البيت وتفرّقنا. مضى كل منا في سبيله.

انكببت على الكتابة طيلة ما تبقّى من عطلة نهاية الأسبوع. وبعد ظهر يوم الأحد، أتت لزيارتي هيلدغون وأندريا وفيفيان وليفِه. كن ضجرات كعادتهنّ، فتحدّثت معهنّ نحو نصف ساعة. تجنّبت النظر إلى أندريا. لم أنظر إليها إلا مرة واحدة. كأن عينيّ كانتا مغناطيسَين، وكأن عينيها كانتا مصنوعتَين من حديد، لأنها التفتت إليّ بعد جزء من الثانية وتورّد وجهها.

لا، لا، لا، لا يا أندريا الصغيرة!

لكنها لم تكن صغيرة: ردفاها ردفا امرأة، وثدياها كبيران مثل تفاحتَين. عيناها الخضراوان لم تكونا مشعّتين بسعادة الطفولة وحدها.

قلت لهنّ إن عليهنّ الانصراف لأن لدي أمورًا أخرى لا بد لي من إنجازها، بدلًا من تسلية الأطفال طيلة الأمسية. أطلقن ضحكات ساخرة، وزفرات محتجّة، ثم ذهبن. كانت أندريا آخر الخارجات من البيت. انحنت لكي تربط حذاءها ذي الرقبة المرتفعة، ثم رمتني بنظرة سريعة قبل أن تخرج وتنضم إلى رفيقاتها اللواتي كن قد صرن في الخارج. كن واقفات في انتظارها ومن حولهنّ ثلج متطاير في الريح. وقفن هكذا لحظة، وقفن لحظة من غير حركة، ثم اندفعت فيهن الحياة من جديد، فسرن نازلات في الطريق، سرنَ ضاحكات، في حين أغلقت بابي وأدرت المفتاح في قفله.

لقد صرت وحدي أخيرًا.

رفعت صوت الموسيقى إلى أقصى ما تستطيع مكبرات الصوت احتماله، ثم جلست لكي أحاول إنهاء القصة القصيرة التي بدأت كتابتها في اليوم السابق.

كانت قصة عن فتيةٍ في السابعة عشرة كانوا في طريق العودة إلى البيت بعد حفلة من حفلاتهم، فشاهدوا سيارة انحرفت عن الطريق واصطدمت

بجرف جبلي. كانوا سكارى في تلك الساعة المبكرة من صباح يوم الأحد. الطريق التي هم فيها خاوية. ومن حولهم، ضباب كثيف رطب معلّق في الهواء. اجتازوا منعطفًا فرأوا السيارة. كانت مقدّمتها محطمة، وزجاجها الأمامي مفتّتًا. ظنوا أول الأمر أن الحادثة قد وقعت منذ زمن بعيد، وأن تلك السيارة ليست إلا حطامًا قديمًا باقيًا هناك. لكنهم انتبهوا إلى وجود شخص فيها: رجل جالس في مقعد السائق الذي بات مرتدًا إلى الخلف. دم كثير على وجهه. أدركوا ساعتها أن الأمر قد حدث قبل وقت قصير جدًا، بل ربما قبل عشر دقائق، أو خمس عشرة دقيقة، قبل وصولهم. سألوا الرجل إن كان مصابًا فنظر إليهم وفتح فمه بحركة بطيئة لكنه لم يستطع قول شيء. قالوا، ماذا نفعل الآن؟ نظر كل منهم إلى الآخرين حائرًا. كان في مجريات الأمر شيء يشبه الحلم لأن الهدوء يلف كل ما هو محيط بهم، ولأن الضباب شديد الكثافة، ولأنهم سكارى. قال غابرييل، علينا أن نطلب سيارة إسعاف. لكن من أين نستطيع الاتصال؟ كان أقرب بيت يقع في مزرعة على مسافة كيلومتر من تلك النقطة. قرروا أن يجري واحد منهم لكي يطلب سيارة الإسعاف، وأن يبقى الآخرون عند السيارة المحطمة لحراستها وحراسة من فيها. كان تحريك الرجل من مكانه أمرًا غير وارد أبدًا لأنه عالق في مقعده، ومن الممكن أن تكون قد لحقت به إصابات داخلية.

هذا أقصى ما بلغته في الكتابة. ولم تكن لديّ أية فكرة عما سوف يحدث بعد ذلك؛ فهل يموت الرجل وهم واقفون هناك ينظرون إليه؟ لعله سيقول شيئًا، أي شيء آتٍ من سياق آخر، من سياق مختلف! سيكون شيئًا واضحًا لكنه غير مفهوم بالنسبة إليهم. راودتني أيضًا فكرة أن يكون الرجل آتيًا من مكان تجري فيه قصة أخرى. لقد حبس والده في غرفة -على سبيل المثال- حيث كان يخضعه لمعاملة وحشية: سرٌّ يأخذه الآن معه إلى قبره. أو... لعل هذا كل ما في الأمر، ولعل الحكاية حكاية حادثة سيارة وقعت في ساعة مبكرة من ساعات الصباح، ورجل مات في تلك الحادثة.

غرقت في هذه الصورة غرقًا تامًا - إسفلت الطريق اللامع، وأشجار

الصنوبر الساكنة سكونًا مطلقًا، وشظايا الزجاج المتناثرة، ومعدن السيارة المشوَّه، ورائحة مطاط العجلات المحترق والغابة التي بللها المطر. لعل أعمدة الجسر ظاهرة قليلًا بفعل أضواء مصابيح السيارة الحمراء الوامضة في الضباب. قفزت من الكرسي كأن مسًّا أصابني عندما نقر أحدهم على زجاج النافذة التي أمامي.

إنها هيغّه!

أحسست كأن قلبي انخلع من مكانه؛ فحتى عندما رأيتها خلف النافذة وأدركت أنها -بكل تأكيد- ظلّت تقرع الجرس حينًا من الزمن من غير أن تتلقى إجابة، ظلّ صدري يخفق خفقًا عنيفًا لشدة المفاجأة. ضحكت هيغّه. ابتسمت لها وأشرت إلى الباب فأومأت برأسها. ذهبت إلى الباب وفتحته لها.

قالت لي: «مرحبًا. لم أكن أعرف أن الذعر سيصيبك هكذا!».

قلت: «لقد كنت أكتب. كان عقلي في مكان آخر كليًا. ألا تريدين الدخول؟».

هزت رأسها نفيًا: «أخبرت فيدار بأنني نازلة إلى الكشك. لذا، قلت في نفسي إن من الأفضل أن أعرّج عليك لكي أعتذر عما حدث يوم الجمعة».

قلت لها: «لا شيء يستوجب الاعتذار».

قالت: «قد لا يكون في الأمر ما يستوجب اعتذارًا. لكنني سأعتذر على أية حال».

«قبلت اعتذارك».

قالت: «بهذه المناسبة، لا تترك عقلك يكوّن فكرة خاطئة. أكون هكذا دائمًا عندما أسكر. أفقد السيطرة على مشاعري فقدانًا تامًا، وألقي بنفسي على أول شخص ألقاه. لكن هذا لا يعني شيئًا. أنت تفهمني، أليس كذلك؟».

أومأت برأسي. قلت لها: «وأنا مثلك أيضًا».

قالت: «إذًا، جيد. عاد كل شيء مثلما كان. أراك يوم الاثنين».

«نعم. إلى اللقاء».

«إلى اللقاء». قالت هذا، ثم سارت عائدة إلى الطريق.

أغلقت الباب وانتبهت إلى أنني غضبت لأن ما حدث الآن سوف يجعلني أضيّع ساعة، على الأقل، قبل أن أعود إلى النص الذي أكتبه. وقد كادت الساعة الآن تبلغ الثامنة. من الممكن أيضًا أن أصعد إلى المدرسة لكي أتابع برنامج الرياضة في التلفزيون. قلت هذا لنفسي وأنا واقف إلى طاولة مكتبي أحدق في آخر جمل كتبتها.

لا. إن كان لهذا أن يفضي إلى نتيجة حسنة، فإن عليَّ أن أستثمر فيه كل ما عندي.

جلست، وتابعت الكتابة. لكن، رن أحدهم جرس الباب من جديد.

أوقفت الموسيقى، وذهبت لكي أفتح الباب.

كان بالباب ثلاثة صيادين شباب. لا أحد منهم في فريق كرة القدم. اثنان لم أكد أتبادل معهما أكثر من كلمات معدودة، مع أننا اجتمعنا من حول طاولة واحدة ثلاث أو أربع مرات. وأما ثالثهم فكان هيمنغ. شاب يكبرني بسنة واحدة كان في ما مضى طالب مدرسة ثانوية حيث استطاع إثبات اختلافه عن الآخرين، من حيث بعض التفاصيل الصغيرة من قبيل استخدامه أحذية بمقدمة مدبَّبة، وارتدائه بنطلون جينز أسود اللون من ماركة ليفايز، والموسيقى التي يشغّلها في ستيريو سيارته. موسيقى فيها عناصر مشتركة مع ما أحبه أكثر من أية موسيقى أخرى يستمع إليها الآخرون هنا.

قال لي: «هل نستطيع الدخول؟».

تنحيت جانبًا وقلت: «بكل تأكيد». دخلوا، وعلّقوا ستراتهم التي لا يزال الثلج عالقًا على أكتافها، وخلعوا أحذيتهم المسودّة من الطين الممزوج بالثلج الذائب. دخلوا غرفة الجلوس، وجلسوا.

كانت الريح قد ازدادت شدّة. وفي الأسفل، عند البحر، وكانت الأمواج تلقي بأنفسها على الشاطئ كأنها وحوش حانقة. تصير لهدير البحر الحاضر دائمًا نبرة قاتمة عندما تهب عاصفة... شيء متفجر، أو قعقعة عنيفة مكبوتة.

وضع كل منهم على الطاولة زجاجة فودكا أبسولوت.

قلت لهم: «للأسف، ليس لديَّ شيء مما يصلح مزج الفودكا به».

قال هيمنغ: «نحن نضع الزجاجات في الفريزر، ثم نشربها من غير مزج. هكذا يفعل الروس. هكذا ينبغي أن يكون شرب الفودكا. وإذا أضفت إليها رشة فلفل، فسوف يصير مذاقها رائعًا».

قلت: «لا بأس»، ثم نهضت وذهبت لجلب بضع كؤوس. بعد أن ملأوا كؤوسهم، وكأسي أيضًا، حتى الحافة، وضعت واحدًا من ألبومَي فرقة «يو تو ميني» اللذين كانا عندي. لا يزالان جديدَين؛ ولم يسمع بهما كثير من الناس. الحقيقة أن هيمنغ، الذي كان يحب هذه الفرقة، سألني عما تكونه تلك الأغاني، فسمح لي هذا بأن أستمتع بتفوّقي، أن أستمتع به برهة.

على الفور، أعادت الموسيقى إليّ أجواء الصف التاسع في المدرسة والسنة الأولى في الثانوية. الفضاء الجميل العاري الكبير جدًا من أجل الموسيقى، المكان الذي أحببته مع أن فيه قدرًا كبيرًا من الوحدة، اكتشفت الآن أنني لا أزال أحبه مثلما أحب كل ما من حوله وكل ما كان يجري في حياتي آنذاك. تكثّفت الذكريات كلّها في تلك اللحظة الحية إلى حد يصعب تصديقه. مشاعري وحدها قادرة على إنتاج تلك اللحظة. سنة كاملة عادت إلى الحياة في ثانية واحدة.

قلت: «رائع جدًا!».

قل كارِهْ: «سكال».

ردّد كل من جوني وهيمنغ: «سكال. سكال».

قلت: «سكال»، ثم أفرغت كأسي بجرعة واحدة وارتعش جسدي كله. رفعت صوت الموسيقى. مع شدّة الظلمة في الخارج وسطوع الإنارة في الداخل، كان ذلك أشبه بالسفر، بأن تكون مسافرًا. شيء أشبه بأن تكون مسافرًا في مكوك طائر، سابحًا في مكان قصيّ في الفضاء.

وقد كان هذا صحيحًا أيضًا. كنا نحلّق في الفضاء. أعرف هذا منذ زمن بعيد، لكنني لم أفهمه إلا بعد قدومي إلى هذا المكان. إن للظلمة أثرها

على إدراكك العالم المحيط بك. الأنوار الشمالية، هذا البرد المشتعل في السماء، هو أيضًا. والعزلة!

كنت ألعن نفسي لأنني غير قادر على إبعاد عينيّ عن أندريا. مهما يكن ما أفعله، فإن عليّ ألا أشجع مشاعرها.

لا يجوز أن أنظر إليها مرة أخرى.

أو، على الأقل، أنظر إليها نظرة معلم فحسب.

لست في حاجة إلى هذا الأمر. ولا علاقة له بإعجابي بها لأنني معجب أيضًا بكثيرات غيرها. من تلميذات الصف الرابع، ومن تلميذات الصف السابع. ليف، شقيقة فيفيان، هي الاستثناء الوحيد. ولكن، بحق الرب، إنها في السادسة عشرة. أصغر مني بسنتَين فقط. لا يمكن لأحد أن يعترض على نظري إليها.

نظرت إلى هيمنغ وقلت له: «هل ذهبت اليوم إلى الصيد؟».

أومأ برأسه.

«وهل اصطدتم شيئًا؟».

هزّ رأسه نفيًا. قال: «بحر أسود!».

لم ينصرفوا إلى أن بلغت الساعة الخامسة صباحًا. وبحلول ذلك الوقت، كنت قد شربت قرابة زجاجة فودكا كاملة. أسعفني حضور الذهن بأن أتذكّر ضبط المنبه لكي أستيقظ صباحًا. لكن رنينه انطلق في الساعة الثامنة والربع فكنت ميتًا، كأنني خارج هذا العالم، لأن طنين المنبه كان لا يزال متواصلًا بطريقته الشيطانية تلك عندما أيقظتني أصوات أخرى متداخلة معه. هناك من يقرع الجرس ويدق على الباب أيضًا.

نهضت من السرير، وسرت بخطوات متعثّرة فغسلت وجهي بماء بارد وفتحت الباب. إنه ريتشارد.

قال لي: «أنت مستيقظ، ألست كذلك؟ إذًا، هيا بنا. صفّك في انتظارك. بلغت الساعة التاسعة والربع».

قلت له: «أنا مريض. أحتاج إلى ملازمة البيت اليوم».

قال: «لا معنى لهذا الكلام. هيا بنا! خذ دوشًا سريعًا، ثم البس ثيابك. سوف تجدني في انتظارك هنا».

نظرت إليه، لا أزال ثملًا، ولا يزال دماغي محبوسًا في ممر ذي جدران زجاجية. رأيت ريتشارد بعيدًا جدًا مع أنه كان على مسافة متر واحد أمامي.

قال لي: «لماذا أنت واقف، ماذا تنتظر؟».

قلت: «أنا مريض».

قال: «إن لديك فرصة واحدة. أقترح أن تغتنمها».

قابلت عينَيه، لكني لم ألبث أن تراجعت وذهبت إلى الحمام. أدرت صنبور الماء ووقفت تحت الدوش بضع ثوانٍ. كنت في غاية الغضب. أنا موظف، معلم، وإذا قال واحد من المعلمين إنه مريض ولم يأت إلى العمل في يوم من الأيام، فلا يمكن أن يحلم ريتشارد بأن يذهب إلى بيته لكي يرغمه على الذهاب إلى المدرسة. لا يستطيع فعل هذا أبدًا. وأما فكرة أنه محق في هذا -أنا لست مريض في حقيقة الأمر- فلا صلة لها بالموضوع. أنا شخص راشد، ولست طفلًا، أنا معلم ولست تلميذًا. إن قلت إنني مريض، فمعنى هذا إنني مريض.

أغلقت ماء الصنبور. جفّفت جسمي. وضعت مزيل الرائحة تحت إبطي. ارتديت ملابسي في غرفة النوم. ارتديت معطفًا. ذهبت إلى الممر فوضعت الحذاء والوشاح.

فتحت الباب. قال لي ريتشارد: «جيد. فلننطلق الآن».

لقد أهانني ريتشارد؛ لكني لم أكن قادرًا على فعل شيء في هذا الخصوص. الحق والقوة واقفان في صفه.

أحببت الظلمة طيلة عمري. في صغري، كنت أخشاها إن وجدت نفسي وحيدًا فيها، لكني أحبها عندما أكون مع الآخرين. أحب التغيير الذي يصيب العالم في الظلمة. كان الجري هنا وهناك في الغابة، أو بين البيوت، أمرًا

مختلفًا في الظلمة، لأن العالم يصير مسحورًا، ولأننا كنا مغامرين مبهوري الأنفاس، مغامرين عيونهم مرفرفة وقلوبهم نابضة.

وعندما صرت أكبر سنًا، لم أكن أحب شيئًا أكثر من السهر ليلًا: الصمت والظلمة والألق المغري. كانت كلّها تحمل لي وعدًا بأمر عظيم. وكان الخريف، فصلي المفضل، أسير فيه على طول الطريق التي تمضي مع النهر. أسير في الظلام، تحت ماء المطر. ما أقل الأشياء القادرة على مضاهاة هذا!

لكن هذه الظلمة كانت مختلفة. ظلمة تجعل كل حي ميتًا. ظلمة ساكنة. لا فرق إن كنت مستيقظًا أو نائمًا. هي ظلمة تزداد فيها صعوبة العثور في نفسك على حافز يجعلك تستيقظ صباحًا. نجحت في هذا، وكنت بعد خمس دقائق واقفًا أمام طاولتي في غرفة الصف. لكن ما يجري هناك صار من غير حياة، هو أيضًا. أحسست كأنني لا أحصل على شيء مقابل ما أقدّمه. لا نتيجة لما أفعله. لا عائد له مهما بذلت من جهد فيه. اختفى كل شيء، وذاب كل شيء في الظلمة العظيمة التي فيها نحيا. من الممكن أن أقول هذا الأمر أو ذاك، أو أن أفعل هذا الأمر أو ذاك، ثم لا يكون من أثر لأي شيء. في الوقت نفسه، أزعجني وجودي تحت رقابة دائمة. يعرف الجميع من أنا، ولا يُتاح لي أن أحظى بأي قدر من الهدوء والسلام. في المدرسة خاصة حيث يحوِّم ريتشارد من فوقي كأنه طائر جارح ملعون، يحوِّم مستعدًا للانقضاض عليّ لحظة أفعل شيئًا لا يعجبه.

وكان ذلك الشرب كلّه يعزز انزعاجي وضيقي. صرت أكثر إنهاكًا لأنني لا أرى نتيجة لأي شيء مما أفعله. كان ذلك كأنني صرت مستنفَدًا، وصرت أكثر خواء، ثم أكثر خواء. سرعان ما أغدو شخصًا يتجوّل هنا وهناك كأنه ظل، كأنه شبح، شخصٌ خاوٍ، قاتمٌ مثل السماء ومثل البحر من حولي.

بعد اليوم الذي أتى فيه ريتشارد لأخذي من البيت، شربت عدة مرات خلال أيام الأسبوع. لكني ظللت دائمًا أفلح في جرّ نفسي من فراشي وفي الوصول إلى المدرسة من غير تأخير. المناسبة التالية التي وجد فيها ريتشارد سببًا يدعوه إلى لومي كانت مناسبة مختلفة. كنت في حفلة في ترومسو أثناء

عطلة نهاية الأسبوع. كان يوغه في إجازة، وأراد أن يراني. ثم جاء مساء يوم الأحد فتأخّرت عن موعد القارب الذاهب إلى فينسنس وصار عليّ أن أبات ليلتي في ترومسو. وبعد ذلك، عندما استطعت آخر الأمر أن أصل إلى القرية، كان الصباح قد انقضى ولم يعد الأمر يستحق الذهاب إلى المدرسة.

استدعاني ريتشارد إلى مكتبه في اليوم التالي. قال إنه كان واثقًا بي. قال إنني جزء مهم من المدرسة. لكن الأمور ينبغي أن تجري على نحو حسن، ينبغي أن يسير كل شيء سيرًا منتظمًا في كل يوم. إذا لم آتِ إلى العمل، فإن هذا يسبب للجميع مشكلات كبيرة. هذه مشكلة بالنسبة إلى التلاميذ أيضًا. إنها مسؤوليتي. ليست مسؤولية أي شخص آخر غيري. لا يجوز أن يحدث هذا مرة أخرى مهما تكن الظروف.

كنت أقف أمامه والتلاميذ يجرون هنا وهناك خلف النافذة، وهو جالس خلف طاولة مكتبه يقول لي هذا كله بصوت قاسٍ مرتفع. وكنت أغلي غضبًا، في داخلي. لكن صوته أصاب حنَقي بشلل تّام، فلم يستطع أن يجد مخرجًا إلا بتلك الطريقة الكريهة التي اعتدتها... دموع تطفر إلى عيني.

لقد أهانني، لكنه كان محقًا. هذه مسؤوليتي وحدي، ولا يجوز لي التخلف عن العمل مثلما اعتدت أن أتخلف عن الدروس أيام كنت طالبًا في المدرسة الثانوية.

غاضت قواي كلها؛ واختفى تصميمي كله.

أغلقت الباب من خلفي. ذهبت إلى مرحاض المعلمين فغسلت وجهي بالماء. جلست على الأريكة ولم تكن لديَّ طاقة كافية حتى لأن أسكب فنجان قهوة أشربه.

كانت توريل جالسة إلى الطاولة تصنع زينات عيد الميلاد. انتبهت إلى أنني أنظر إليها.

قالت لي: «لا بد لي من التأكد أنني قادرة على فعل هذا قبل أن أطلب هذا من الأطفال».

قلت لها: «ألا يعلمونكم هذه الأشياء في الكلية؟».

«لا، لم تكن هذه أولوية مهمّة لديهم. علم التربية كان الموضوع الطاغي على كل شيء، ومعه تلك الأمور التي لا فائدة منها»، قالت هذا وابتسمت ابتسامة عريضة.

انتصبت جالسًا. فكرةٌ فاجأتني.

بكل بساطة، أستطيع التوقف عن العمل في التعليم.

من قال إنني لا أستطيع هذا؟ من قال هذا؟

الجميع يقول هذا. ولكن، من قال إن عليّ أن أصغي إليهم؟

لا يستطيع أحد منعي من تقديم استقالتي. أليس هذا صحيحًا؟ بل إنني لست حتى في حاجة إلى تقديم استقالة. ليس عليّ أن أفعل شيئًا غير البقاء في الجنوب بعد عطلة عيد الميلاد. ليس عليّ أن أفعل شيئًا غير البقاء هناك وعدم العودة. إن فعلت هذا، فسوف أضع المدرسة في مأزق. لكن، من قال إنني لا أستطيع فعله؟

في السنة الماضية، كان المعلم المسؤول عن الصف الذي أُشرف عليه الآن يأتي إلى المدرسة ثملًا. كان ينقطع عن العمل كثيرًا. وفي آخر الأمر، سافر ولم يعد... هكذا، بكل بساطة.

أوه، كم كانوا يئنّون وينوحون عليه في الشهور الأولى التي أمضيتها هنا.

نهضت واقفًا. رُن الجرس بعد لحظة قصيرة. لقد انغرس روتين العمل عميقًا في جسدي. لكن فكرة الكفّ عن هذا العمل كانت مشرقة في نفسي؛ كانت ساطعة. أردت أن أكون حرًّا؛ والحرية موجودة في كل مكان، إلا هنا.

تحدثت مع أمي هاتفيًا بعد انتهاء الدرس الأخير في ذلك اليوم. كانت في تلك اللحظة توشك على الانصراف من العمل.

قلت لها: «مرحبًا، يا ماما. هل لديك وقت لحديث قصير؟».

«نعم، بالطبع. هل حدث أي شيء؟».

«لا. لم يتغير أي شيء هنا. لكن العمل بدأ يصير ثقيلًا عليّ. صرت غير قادر على النهوض من الفراش في الصباح إلا بمشقة كبيرة. وقد فاجأتني اليوم فكرة أنني أستطيع تقديم استقالتي. أنت ترين أنني غير مستمتع بهذا الأمر على الإطلاق. ثم إنني لست مؤهلًا لأن أكون معلمًا. لذا، كنت أفكر

في الدراسة بعد عطلة عيد الميلاد. الدراسة بدلًا من العودة إلى التعليم. أريد إنجاز السنة التحضيرية في الجامعة».

قالت أمي: «أستطيع فهم أنك محبط، وأنك تجد صعوبة في عملك. لقد بات عيد الميلاد قريبًا جدًا. وسرعان ما تصير قادرًا على الاسترخاء والتخفّف من أعبائك مستلقيًا على الأريكة هنا، إن أحببت. أظن أن كل شيء سيبدو لك مختلفًا بعد ذلك، عندما تعود إلى الشمال».

«لكن هذا -على وجه التحديد- ما لا أريده. لا أريد العودة إلى الشمال بعد العطلة».

«العمل يشهد تقلّبات كثيرة. في وقت سابق، كنت ترى أن العمل ممتع جدًا. ومن الطبيعي تمامًا بالنسبة إليك أن تمرّ الآن بمرحلة من الإحباط. لن أقول لك إن كان عليك أن تتوقّف أم لا. هذا أمر تقرّره بنفسك. لكنك لست مضطرًا إلى اتخاذ قرارك الآن. هذا كل ما أريد قوله».

«لا أظنك تفهمين ما أقوله لك. لن يتحسّن الوضع أبدًا. هذا مستنقع ملعون، لا أكثر. فلماذا أكون فيه؟».

قالت: «تكون الحياة مستنقعًا، بعض الأحيان».

«أنت تقولين هذا دائمًا. لعل حياتك مستنقع! ولكن، هل ينبغي أن تكون حياتي مثلها؟».

«كنت أحاول أن أقدّم إليك نصيحة. وبحسب رأيي، هي نصيحة جيدة».

قلت لها: «لا بأس. أرجّح أن أترك هذا العمل. لكنك كنت محقة عندما قلت إنني لست مضطرًا إلى اتخاذ قراري الآن».

في الأحوال العادية، أحرص كل الحرص على خلوّ غرفة المعلمين عندما أجري اتصالًا هاتفيًا، أو على أن يكون فيها نيلز إيريك فقط. أما في هذه المرة، فقد كنت محبطًا إلى حد جعلني أغفل عن هذا. فتحت باب حجرة الهاتف لكي أخرج منها، فرأيت ريتشارد في المطبخ.

قال لي: «مرحبًا، يا كارل أوفه. إنني أغسل الكؤوس والأطباق. هل أنت ذاهب الآن إلى البيت؟».

قلت له: «نعم»، ثم استدرت وخرجت. هل سمع ما قلته؟ هل كان واقفًا هناك لكي يستمع إلى ما أقوله؟

كنت غير قادر على تصديق هذا.

ثم صرنا في آخر أيام المدرسة قبل العطلة. تم تسليم دفاتر درجات الطلاب؛ وشربنا القهوة؛ وأكلنا الحلوى. بعد ساعة من الآن، سأصعد إلى الباص الذاهب إلى فينسنس التي أنطلق منها في رحلة طويلة منحدرًا جنوبًا إلى أمي المقيمة في فوردِه. سنبقى هناك بضعة أيام قبل ذهابنا إلى سوربوفاغ من أجل ليلة عيد الميلاد. توقف ريتشارد أمامي. قال لي: «يجب أن تعرف أنني أعتبرك قد أنجزت عملًا رائعًا خلال هذا الفصل. لقد كنت عضو هيئة تعليمية لا غنى عنه أبدًا. ثم إنك نجحت نجاحًا كبيرًا في التعامل مع أمور صعبة. عليك الآن أن تعدني بالعودة بعد انتهاء عطلة عيد الميلاد».

ابتسم لكي يخفّف من وقع كلماته... لكي يجعلها تبدو كلمات لطيفة.

قلت له: «لماذا تظن أنني لن أعود؟».

قال: «تعرف أن عليك أن تعود. العمل هنا، في الشمال، ليس سهلًا. لكنه رائع على الرغم من ذلك. نحن في حاجة إليك معنا».

كان هذا تملّقًا خالصًا، مكشوفًا، شفافًا كالزجاج، لكن هذا لم يمنعني من أن أرفع رأسي اعتزازًا. لماذا؟ لأنه محق في ما قاله: لقد أنجزت عملًا جيدًا!

قلت له: «سوف أعود. بالطبع! أتمنى لك عيد ميلاد سعيدًا! أراك في سنة 1988».

جاء مساء اليوم التالي، فكانت أمي في انتظاري على الرصيف عندما رست سفينة هورتيغروتِه الآتية من بيرغن في ميناء لافيك. كانت الساعة قد بلغت الثامنة والنصف ليلًا. ظلمة سوداء كالقار. أنزل البحارة السلم في حين كان ماء البحر يفور من حول مروحة السفينة. ضوء المصباح المعلّق فوق غرفة الانتظار الصغيرة جدًا منعكس متلألئًا على طبقة الماء الرقيقة على

الأسفلت. نزلت إلى اليابسة. انحنيت وعانقت أمي. سرنا معًا إلى سيارتها. من حولنا، كانت أبواب السيارات تُفتح وتغلق، ومحركاتها تبدأ العمل. كانت السفينة السريعة قد بدأت تغادر الميناء. الطقس لطيف، ولا ثلج من حولنا. على زجاج السيارة الأمامي نقاط صغيرة من ماء المطر تزيحها ماسحات الزجاج مرة بعد مرة. كان مخروطا النور المنبعثان من مصباحَي السيارة الأماميين يتجولان كأنهما حيوانان مذعوران يجريان أمامنا. أشجار وبيوت ومحطّات وقود وجبال وأنهار وفيوردات وغابات كاملة تظهر أمامنا في ضوء المصباحين. استندت إلى ظهر مقعدي ورحت أنظر إلى ذلك كله. لم تكن لديّ أدنى فكرة عن أنني اشتقت إلى الأشجار قبل أن أجد نفسي جالسًا هنا أنظر إليها.

كانت أمي قد أعدَّت لحمًا مسلوقًا قبل خروجها من البيت. أكلنا اللحم، وتحدّثنا ساعة، ثم ذهبت لكي تنام. بقيت ساهرًا حتى أكتب، لكني لم أنجز الكثير، لم أنجز أكثر من سطرَين. لقد استأجرت أمي هذا البيت مفروشًا فأحسست بأنني غريب فيه.

في اليوم التالي، ذهبنا إلى المدينة بالسيارة من أجل آخر مشتريات عيد الميلاد. السماء غائمة، لكن الغيوم التي حجبت الشمس كانت رقيقة، متفرّقة. أحسست بظهري باردًا عندما فتحت الباب وخرجت من البيت. للمرة الأولى منذ شهور كثيرة، رأيت قرص الشمس المتوهّج معلقًا خلف الغيوم، مع أن ألوان ما يحيط بنا كانت في حدها الأدنى، بحيث لم يعد متميزًا منها شيء غير صفرة العشب الشاحبة وخضرة الأجمات الواهية. وأما كل شيء غير هذا فكان رماديًا. لكن المشهد بدا في عينيّ متألقًا. لم تكن فيه حدّة، كما لم يكن فيه تضادات واضحة. لا قمم جبال شديدة الانحدار، ولا بحر من غير نهاية. مروج فقط، وأجمات، وبيوت مزارع. ومن خلف ذلك جبال لطيفة ودود تكاد تضيع معالمها بفعل الرطوبة وضياء الشتاء الرمادي.

وصل إنغفه في المساء. إنه عيد ميلاده. لقد بلغ الثالثة والعشرين. تناولنا حلوى بعد العشاء، وشربنا قهوة، ورشفنا كأس براندي. قدّمت إليه أسطوانة؛

وأهدته أمي كتابًا. بعد ذهابها إلى فراشها بقينا ساهرَين، وشربنا كأسَي براندي إضافيَين. طلبت منه قراءة آخر قصة قصيرة كتبتها. جلس يقرأها، وخرجت إلى الشرفة، تحت المطر الخفيف، ونظرت في البعيد. فرحتي غامرة بعودتي إلى البيت مع أنه خالٍ إلا من إشارات معدودة إلى أمي وحياتها، إشارات لم تفلح في جعل غرابة الشقة أكثر ألفة مثلما قد يتوقّع المرء، بل على العكس تمامًا لأنها جعلت الغربة أكثر ألفة. كانت رؤية أشياء أمي هناك أشبه برؤيتها في متحف. لكن البيت ليس مكانًا. البيت هو أمي وإنغفه. هما بيتي.

أدرت رأسي ونظرت في غرفة المعيشة. كان إنغفه مستمرًا في القراءة.

هل بلغ الصفحة الأخيرة. هكذا بدا لي.

أرغمت نفسي على الانتظار قليلًا.

ثم دفعت المقبض الطويل وأزحت الباب الزجاجي المنزلق جانبًا. أغلقت الباب خلفي. جلست على الأريكة قبالة الطاولة التي كان جالسًا إليها. كان قد وضع الأوراق في رزمة. رأيته منشغلًا بلف سيجارة، غير مبالٍ بوجودي.

قلت: «ماذا؟».

ابتسم وقال: «ماذا؟ إنها قصة جيدة».

«هل أنت واثق من هذا؟».

«نعـــــم. وجدتها شبيهة بالقصص الأخرى التي قرأتها من قبل».

قلت: «جيد. أنجزت ست قصص حتى الآن. إذا استطعت زيادة السرعة، فمن الممكن أن تصير لديَّ خمس عشرة قصة جاهزة عندما أنهي السنة الدراسية».

سألني إنغفه: «وماذا تفعل عند ذلك؟». وضع سيجارته المعوجَّة قليلًا بين شفتَيه، ثم أشعلها.

قلت: «بالطبع، سوف أرسلها إلى دار نشر. فماذا تظن؟».

نظر إليّ وقال: «لا أظنك تحسب أن أحدًا سينشرها! هل أنت جاد في هذا؟ أتظنهم ينشرونها؟».

قشعريرة باردة بلغت أعماق روحي. نظرت في عينَيه. كان الدم قد غاض من رأسي.

ابتسم لي وقال: «أنت تظن هذا، أليس كذلك؟».

أحسست بأن عينَي قد اغرورقتا، ووجدت نفسي مضطرًا إلى الإشاحة بوجهي عنه.

قال: «على أية حال، تستطيع أن ترسلها، وسوف ترى ما يقولون. قد تعجبهم حقًا، لا يمكن توقّع شيء».

قلت محتجًا: «لكنك قلت إنها أعجبتك» نهضت واقفًا، «ألم تكن تعني ما قلته قبل قليل؟».

«لقد أعجبتني فعلًا. لكن كل شيء نسبي. قرأتها من حيث هي قصة كتبها أخي البالغ ثمانية عشر عامًا. وهي قصة جيدة. لكني لا أظنها جيدة إلى الحدّ الكافي لنشرها».

قلت: «لا بأس». ثم خرجت إلى الشرفة من جديد. رأيته يتابع القراءة في كتاب فلوغستاد الذي أهدته له أمنا. كأس البراندي تستقرّ في يده. كان ذلك كأن ما من أهمية خاصة لما قاله لي قبل قليل.

اللعنة عليه!

ما الذي يعرفه إنغفه؟ حقًا ماذا يعرف؟ ولماذا يتعيّن عليّ أن أستمع إلى كلامه؟ قصتي أعجبت كيارتان. كيارتان كاتب. أم... لعله قال ذلك بدوره انطلاقًا من أنني ابن أخته البالغ ثمانية عشر عامًا فقط! لعله اعتبر أن كتابتي جيدة إن هي قورنت بعمري!

لقد قالت لي أمي إنها اعتبرتني كاتبًا بعد أن قرأت تلك القصة. قالت لي: أنت كاتب! قالتها وكأن هذا مفاجأة لها، وكأنها لا تعرف شيئًا عن الأمر. غير معقول أن يكون ذلك تصنّعًا. هي تعني ما قالته.

ولكن... بحق الرب... أنا ابنها!

... هل أنت جاد في هذا؟ أتظنهم ينشرونها؟

سوف أريه! نعم، سوف أريه! سوف أجعل العالم الملعون كله يرى من

أنا، وسأجعله يعرف طبيعة معدني. سوف أسحق كل واحد منهم! سوف أجعل كل واحد منهم عاجزًا عن قول أي شيء! سوف أفعل هذا... سوف أفعل! بالتأكيد، سوف أفعل هذا! سوف أكون كبيرًا، كبيرًا جدًا، لا يدانيني أحد!... لا أحد أبدًا... لا... لا أحد أبدًا... أبدًا. ما من احتمالات هنا لأنني سوف أكون الأعظم على الإطلاق. أولئك الحمقى الأغبياء! سوف أسحق كل واحد منهم.

عليّ أن أكون كبيرًا. لا بد لي من ذلك!

وإن لم أستطع، فقد أُنهي حياتي.

ظلّ مشهد شمس الشتاء الكسول في الطبيعة الصامتة الرطبة محتفظًا بسحره طيلة عطلة عيد الميلاد، وكأنني لم أرَ شمسًا قبل ذلك. يا للطاقة التي تأتي بها! ويا لغنى ضيائها في تلاعبه بالطبيعة عندما تأتي أشعتها متخللة السحب، أو عندما تفيض علينا نازلة من سماء زرقاء. تلك التلاوين التي لا آخر لها، التلاوين التي تظهر عندما تعكس الطبيعة ذلك الضياء وتردّه إلينا.

لا شيء تغيّر في سوربوفاغ. حالة جدتي لم تتراجع تراجعًا ظاهرًا. وشيخوخة جدي لم تزدد ازديادًا ملحوظًا. حيوية عينَي كيارتان لم تتناقص. خلال السنة الماضية، اجتاز كيارتان امتحان الفلسفة في فورده. وهو الآن يكثر من تكرار اسم أستاذه المحاضر بدلًا من اسم هيدِغر ونيتشه. هذا ما لاحظته: على الأقل، لم يعد يشير إليهما مرات كثيرة مثلما كان يفعل من قبل بأسلوبه الواثق المألوف. لعلّي تخيَّلت أننا سنكون قادرين على الكلام في الأدب؛ لكنه اكتفى بأن جعلني أرى عددًا من قصائده التي لم أكد أفهم كلمة واحدة منها، ثم لم يحدث شيء بعد ذلك. لقد اقتنى أيضًا منظارًا فلكيًا نصَبه على أرض غرفة المعيشة أمام النافذة التي تبلغ السقف. ومن هناك، كان يمضي الليل كله في دراسة الكون. فوق هذا، ظهر لديه اهتمام بمصر القديمة، وصار يجلس على كنبته الجلدية العتيقة ويقرأ عن تلك الحضارة الغامضة التي كانت بعيدة جدًا عن حضارتنا، بل شديدة البعد إلى حدّ يجعلها تبدو لي شيئًا من خارج عالم البشر، كأنهم كانوا نوعًا من الآلهة!

لكني لم أكن أعرف شيئًا عن هذا، فاكتفيت بتصفّح كتبه عندما لا يكون هناك، وبالنظر إلى الصور التي فيها.

ذهبت إلى كريستيانساند في الثامن والعشرين من شهر كانون الأول. وهناك، احتفلت برأس السنة الجديدة. كان إسبن قد استأجر، مع أشخاص آخرين، غرفة في فندق كاليدونيان الذي أعيد افتتاحه مؤخرًا بعد الحريق الذي شبّ فيه. كان المكان غاصًّا بالبشر. يدخّنون ويشربون. لم يمض وقت طويل قبل أن يأتي رجلا إطفاء مندفعَيْن في الممر بكامل عتادهما. ضحكت كثيرًا عندما رأيتهما. كنت في طريقي إلى سطح الفندق مع أشخاص آخرين. جلست على الحافة ودلّيت قدميّ في الهواء. المدينة من تحتي، والسماء تنيرها الألعاب النارية. تحدّثنا في احتمال ذهابنا جماعةً إلى مهرجان روزكيلدِه الموسيقي في الصيف. ومع لارس، خططت -ما يشبه تخطيطًا- لرحلة إلى اليونان نقوم بها بعد ذلك: نسافر عن طريق استيقاف السيارات العابرة. أفلحت أيضًا في زيارة جدي وجدتي، فوجدت أيضًا أن ما من شيء قد تغير هناك. لم يتغيّرا، ولم يتغيّر البيت بكل ما فيه، وبكل روائحه. أنا من تغيّر. حياتي هي التي كانت تمضي في مسار جامح مجنون.

في الثالث من كانون الثاني، سافرت بالطائرة إلى ترومسِه. بعد وقت قصير من اجتيازنا منتصف المسافة، طرنا في نفق من ظلام أدركت أنه لن ينتهي. لن يكون الأمر إلا هكذا، ظلمة دامسة طيلة النهار لن تنجلي إلا بعد أسابيع. ثم، يتغيّر كل شيء تغيرًا بطيئًا. سرعان ما تزول الظلمة وتصير كل ساعة من ساعات اليوم ممتلئة ضياء. كان هذا جامحًا، مجنونًا، مثل حياتي. هكذا فكّرت وأنا أدخّن جالسًا في مقعد الطائرة الضيق.

لكن الظلمة أتت أولًا، ظلمة كثيفة ثقيلة رأيتها تخيّم على القرية عندما بلغتها بالباص صباح يوم الرابع من شهر كانون الثاني. لم أجدها مفتوحة مثلما تكون عندما تخلو سماؤها من الغيوم وتشع نجومها في الفضاء، بل كثيفة، ثقيلة، مثل قعر بئر مهجورة.

فتحت قفل باب شقتي، ثم دخلت. أنزلت حقيبتي عن ظهري، وضغطت على مفتاح النور. كان ذلك كأنه عودة إلى بيتي، إلى موطني!

لديّ هنا ملصق «بيتي بلو». وهنا ملصق نادي ليفربول. ولديّ ملصق المنظر الطبيعي الجديد الذي اشتريته من فينسنس في واحد من أيامي الأولى هنا.

شغّلت آلة القهوة. قرفصت أمام مجموعة التسجيلات، وبدأت أستعرضها. بعد ذلك، ألقيت نظرة متمهّلة على مجموعة الكتب التي اشتريتها هنا. ملأني ذلك كله غبطة وسرورًا.

دخلت المطبخ، وسكبت القهوة في فنجان. رأيت من النافذة جماعة أطفال صغيرة صاعدة في الطريق. توقّعت أن يكونوا آتين إليّ، فوضعت كاسيت القداسِ الجنائزي لموتزارت الذي كان واحدًا من تسجيلَين كلاسيكيَين طويلَين لا أملك غيرهما. رفعت الصوت إلى أقصاه.

وعندها، رُن جرس الباب.

أندريا وفيفيان وليفه وستيّان وإيفار، الصبي طويل القامة في الصف التاسع، كانوا كلهم واقفين أمام بابي.

قلت لهم: «سنة جديدة مباركة! ادخلوا!».

من الممر، حيث كانوا يعلقون معاطفهم، سمعت فيفيان تقول لهم، *إنه يحب الأوبرا!*

ابتسمت لنفسي. عند دخولهم غرفة المعيشة كنت أحمل فنجان القهوة الذي يتصاعد بخاره. لم يزرني ستيّان من قبل إلا مرة واحدة، في أول أيامي هنا. أتى مع إيفار. يومها، استعرض مجموعة التسجيلات التي عندي، وسألني إن كان لدي شيء من موسيقى «هيفي ميتال». في الدروس القليلة التي حضرها عندي في المدرسة، تجاهلته إلى أقصى حد استطعته، وحاولت ألا أستجيب إلى استفزازاته التي لا تنقطع. لم أطالبه بشيء لأنه كان قد حسم أمره. لقد تعامل معهم تور إينار بطريقة مختلفة، واتخذ موقفًا مضادًا منهم لم يكن موفّقًا تمامًا. عاد ذات مرة إلى غرفة المعلمين، وكان جسده مرتعشًا

كله. لقد أوقعه اثنان منهم أرضًا - ستيّان وإيفار. ثبّته إيفار على الأرض تثبيتًا محكمًا. نتيجة تلك الحادثة، عوقبا بالطرد من المدرسة بضعة أيام. لكن المدرسة كانت صغيرة جدًا، وكانت مكانًا شفافًا إلى حدّ يجعل ما قد يكون أمرًا خطيرًا في مكان آخر أقل خطورة هنا. كان منتظرًا منا أن نعرف كيف نتعامل مع أمثال ستيّان وإيفار. عندما يذهبون إلى صيد الأسماك، أو يمضون الوقت مع شبان صغار، فهم ليسوا أكثر من أطفال، ليسوا أكثر من حمقى لا يعيرهم أحدٌ اهتمامًا. من هنا، كان صعبًا على تور إينار أن يقول إنهما تغلّبا عليه، إن هو أراد استدرار شيء من التعاطف، أو من التفهّم.

جلس ستيّان على الأريكة بطريقة وقحة. جلس مباعدًا بين ساقيه. كان الوحيد بينهم الذي لم يخلع معطفه. كانت الفتيات الثلاث متعلّقات بكل كلمة يقولها. لقد رأيت هذا: كنّ كأنهن مستعدات لأن تُطِعن أي أمر يصدره. إن تكلّم فهنّ ينظرن إليه نظرة احترام مسحور، منتشٍ. وإذا خاطب إحداهن مباشرة، فهي تخفض عينَيها وتتململ في جلستها على الأريكة.

سألتهم: «هل أتتكم هدايا لطيفة في عيد الميلاد؟».

ضحكت فيفيان ضحكة صغيرة.

ذهبت وجلست على الكرسي المقابل لهم.

قلت: «وماذا عنك أنت، يا ستيّان؟ هل تلقيت أي شيء لطيف؟».

أطلق ستيّان زفرة وقال: «ذهبت إلى الصيد في عيد الميلاد. كان صيدًا وفيرًا. سوف أشتري دراجة آلية صغيرة فور زوال الثلوج».

قالت أندريا: «سوف يبلغ السادسة عشرة في شهر آذار».

لماذا قالت هذا؟

قلت: «أنت لا تصغرني إلا بثلاث سنين. ولن يطول الأمر قبل أن تصير قادرًا على أخذ وظيفتي. هذا ما تفكّر فيه، أليس كذلك؟ ألا تفكر في أن تصير معلمًا؟».

أطلق زفرة جديدة، لكن ابتسامة صغيرة بدت عند زاويتَي شفتَيه.

قال لي: «لا، لا. بعد إنهائي المدرسة، لن أفتح شيئًا مطبوعًا إلا دفتر المصرف».

ضحكوا جميعًا.

قلت: «وأنت، يا إيفار... ماذا عنك؟».

«سوف أذهب للصيد».

لم يتجاوز إيفار السادسة عشرة، لكنه صار أطول شخص في القرية كلّها. كان طول قامته واضحًا للعيان، إلى حدّ أظنه جعله غير قادر على التفكير في أي شيء آخر. كانت رؤيته إلى جوار فتيات الصف السابع مؤلمة، فكل ما هو صغير أو رقيق يمثل صعوبة بالنسبة إليه: الرسائل والأعداد والأحاديث وألعاب الكرة والفتيات. كان طفلًا من نواحٍ كثيرة؛ وكان ينفجر ضاحكًا ويقهقه بصوت مرتفع لأهون الأسباب، بلْ لأكثر الأسباب سخفًا. كان أيضًا يحمرّ حتى جذور شعره عندما يصحّح له أحد شيئًا، ولا يشعر براحة حقيقية إلا مع ستيّان الذي كان متحكّمًا به مثلما يتحكّم المرء بكلب. فقد والده عندما كان صغيرًا. وفي الأحاديث المعدودة التي جرت بيني وبينه، كان فقدانه لأبيه موضوعًا دائمًا. حدث ذلك كله في السبعينيات عندما غرق قارب صيد ولم يعثر له أحد على أثر. كانت الحادثة مدار كلام النرويج كلّها على امتداد عدة أيام، ثم خبت وضاعت في النسيان. نسيها الجميع إلا إيفار وأمه وبقية أقاربه. انتقلوا إلى هافيورد بعد أقل من سنة من تلك الحادثة. انتقلوا إليها لأن لأمه أقارب فيها. تلك كانت قصته، قدَرُه، الأب الذي مات عندما كان طفلًا صغيرًا.

نظرت إلى الفتيات الثلاث وسألت: «وماذا عنكن؟».

هززن أكتافهن. عادة ما يكون لديهنّ قدر من الثقة بالنفس عند وجودهن في بيتي: أناكفهن، فتضحكن وتردَّن عليّ بالمثل، وتجدَنَّ مسرّة في تلك الشقاوة. وأما الآن، فهنّ أكثر تحفظًا. لسن راغبات في البوح بأي شيء أمام ستيّان فهذه لعبة مختلفة... مخاطرها أكبر.

أعلنت ليفه: «صار لفيفيان صديق».

رشقتها فيفيان بنظرة حادّة، وقرصت كتفها قرصة شديدة.

صاحت ليفه: «أوه!».

سألتها: «هل هذا صحيح؟».

قالت ليفه وهي تدعك كتفها: «نعم. إنها تخرج مع ستيفِه».

سألت: «ستيفِه! من هو؟».

أجاب ستيّان: «شخص أتى في عطلة عيد الميلاد لكي يعيش هنا. إنه من فينسنس. وسوف يبدأ هذا الربيع عمله في الصيد. يقولون إنه أحمق تمامًا».

قالت فيفيان: «هو ليس كذلك»، ثم احمرّت كلّها.

قالت ليفه: «إنه في العشرين».

قلت: «في العشرين؟! هل هذا ممكن؟ أنت في الثالثة عشرة، أليس هذا صحيحًا؟».

قالت فيفيان: «صحيح، وماذا؟».

ضحكت وقلت: «إنهم مجانين... أهل الشمال».

نهضت واقفًا وقلت لهم: «يؤسفني القول إن عليكم الآن أن تذهبوا. لقد وصلت قبل قليل. لا بد لي من فتح أمتعتي، ومن فعل أشياء أخرى. لا بد لي من تحضير الدروس. تعرفون أن لدي صفًا فظيعًا تلاميذه لا يعرفون أي شيء».

ردّت أندريا: «ها ها»، ثم نهضت عن الأريكة وسارت صوب الممر حيث علقت سترتها البيضاء. تبعها الآخرون. مرّت بضع ثوانٍ كانت كلّها سترات وأذرع وقبعات وقفازات. ثم خرجوا إلى الظلمة ضاحكين يلكز واحدهم الآخر. فتحت الحقيبة ووضعت ملابسي في أماكنها، ثم تناولت عشاء مبكرًا، وقرأت في السرير ساعتَين كاملتَين قبل أن أطفئ النور وأنام. أيقظتني أصوات آتية من الغرفة التي فوقي، إنهما توريل وزوجها. الأرض تهتز وهي تصيح وتصرخ، وهو يئن. حملت لحافي وذهبت إلى الأريكة حيث نمت عليها بقية تلك الليلة.

انتقلت مع نيلز إيريك إلى بيتنا الجديد في الأسبوع الذي أعقب عودتي. بمعزل عن غرفتيّ النوم وعن الغرفة الصغيرة الملحقة بغرفة الجلوس، أي الغرفة التي سأخصصها للكتابة، كان كل شيء مشتركًا بيننا. صرنا نتناوب على إعداد الطعام وغسل الأطباق. لا تكاد تمر أمسية واحدة من غير أن يستقبل بيتنا زوارًا من التلاميذ أو من المعلمين الآخرين. تور إينار خاصة. كان تور إينار يعرّج علينا كل يوم تقريبًا؛ لكن هيغه أيضًا كانت تأتي كثيرًا. في كل عطلة نهاية أسبوع، يذهب نيلز إيريك في رحلة مشي ويسألني دائمًا إن كنت راغبًا في الانضمام إليه. ودائمًا، كنت أقول لا، لأن الطبيعة ليست مكانًا مناسبًا لي. فضلًا عن هذا، تكون هناك حفلة -معظم الأحيان- هنا أو هناك. وإذا لم أذهب إلى الحفلة فأنا أجلس في البيت وأكتب. لا مزيد من القصص القصيرة. بل رواية اسمها *«ماء فوق/ ماء تحت»*. أتيت بهذا العنوان من أغنية كتبها إنغفه وصديق له من أرندال اسمه كوفيند. كانت رواية عن شاب اسمه غابرييل يذهب إلى المدرسة الثانوية في كريستيانساند؛ وسوف تكون مكوّنة من إطار قصصي غامض فيه فقرات قصيرة أشبه بالتقارير، وفيه حبكة مكتوبة بصيغة الزمن الحاضر موضوعها الشرب والفتيات، لكن مقاطع صغيرة من طفولة غابرييل تتخللها من حين إلى حين. تبلغ الحكاية ذروتها عندما يجد غابرييل نفسه في حفلة في شاليه جبلي في منطقة آغدير، وهناك يصيبه انهيار عصبي ويدخل مستشفى للأمراض النفسية حيث تُغلق الدائرة، لأن هذا هو الجذر الذي تنبثق منه التقارير الموضوعية القصيرة التي تتصدّر كل فصل من فصول الرواية.

وحتى أضمن أن أحظى بوقت أطول للكتابة، لم أتردّد في تغيير نظامي اليومي كله، فلا أهمية لتوقيت نوم المرء وتوقيت صحوه. لا أهمية لأن يكون الوقت صباحًا أو مساء، ليلًا أو نهارًا، فكلّه متماثل. بدأت أنهض من النوم في الحادية عشرة ليلًا وأعمل حتى الثامنة صباحًا، ثم أستحم وأذهب إلى المدرسة. أنام بعد انتهاء الدروس، أي قرابة الساعة الثالثة بعد الظهر.

بعض الأحيان، عندما أجد نفسي غير قادر على الكتابة، أرتدي معطفي

وأخرج، فأتجول في أرجاء القرية الصامتة، وأصغي إلى هدير الأمواج المتلاطمة عند الشاطئ، وأرفع رأسي ناظرًا إلى سفوح الجبال التي تبدو أول الأمر -بسبب ما عليها من ثلوج- عائمة في الظلمة قبل أن تبتلعها تلك الظلمة من جديد. أذهب إلى المدرسة أحيانًا. قد تكون الساعة الثالثة صباحًا، أو الرابعة صباحًا. أرى انعكاس صورتي في النوافذ التي أمر بها، وأرى وجهي الخالي من أي تعبير. أبقى هناك أحيانًا فأقرأ كتابًا على الأريكة في غرفة المعلمين، أو أتابع فيلمًا في التلفزيون، أو أنام بضع ساعات إلى أن يوقظني فجأة صوت فتح الباب ودخول ريتشارد. عادة ما يكون ريتشارد أول الواصلين في الصباح. يكفي أن يحدث هذا حتى يغمرني إحساس بالاضطراب، إحساس بأنني غير مسيطر على شيء، بأنني أجد نفسي على شفير. نعم، على شفير ماذا؟ كنت أؤدي عملي، فهل هناك أية أهمية لأن أؤديه في آخر يومي بدلًا من تأديته في بداية اليوم؟

لكنْ، ثمة أمرٌ في ما يخص الظلمة. ثمة أمر في ما يخص هذا الحيز الصغير المغلق. ثمة أمر في رؤية الوجوه نفسها كل يوم. التلاميذ في صفي. زملائي. البائعون في المتجر. ومن حين إلى آخر، والدة أحد من التلاميذ. ومن حين إلى آخر، والد أحد من التلاميذ. ومن حين إلى آخر، أرى صيادين شبابًا. لكنهم الأشخاص أنفسهم دائمًا والجو نفسه دائمًا. الثلج، والظلمة، والإنارة الشديدة داخل المدرسة.

كنت أسير في الخارج ذات ليلة ذاهبًا إلى المدرسة عندما أتى بولدوزر من خلفي. كانت جرّافة الثلج مركّبة على مقدمته؛ وكان الثلج يجري منسابًا على الجرافة، فيتجمع أكوامًا إلى جانب الطريق. مصباح برتقالي دوار فوق ابولدوزر؛ وأنبوب العادم في مقدمته يتقيأ دخانًا كثيفًا أسود. الرجل الذي يقود البولدوزر لم ينظر إليّ عند المرور بي. توقف في منتصف الطريق الصاعدة. ظلّ المحرّك يعمل. ومع اقترابي، تحرّك من جديد. تحرّك بسرعة سيري نفسها. نظرت إلى السائق فوجدته يحدّق أمامه. ارتعشت وانتابني إحساس بالضيق. الاهتزاز، وزئير المحرك، وكشط الثلج، والنور الوامض

فوق المركبة، كلّها هزّت روحي. سرت بخطى أسرع من ذي قبل، فازدادت سرعة البولدوزر. انعطفت يمينًا فانعطف يمينًا. انعطفت من جديد فتابع سيره، ثم... اللعنة عليّ إن لم يكن قد انعطف مثلما انعطفت. بلغت الطريق الصاعدة المؤدية إلى المدرسة، فوجدته خلفي من جديد. بدأت أجري. كان هذا مخيفًا لأن كل شيء من حولنا كان من غير حياة، كان أسود اللون. القرية نائمة وما من أحد هنا غيرنا، أنا وقائد جرافة ثلج مجنون يطاردني في هذا الليل المقفر. جريت، لكني كنت غير قادر على مجاراته فقد زاد سرعته وتبعني مباشرة إلى باحة المدرسة. فتحت الباب. كان قلبي يدق عنيفًا في صدري. هل سيلاحقني داخل المدرسة أيضًا؟

دخلت غرفة المعلمين ورحت أراقب كيف بدأ ينظف الملعب من الثلج بطريقة منهجية ثابتة. لعل ذلك استغرق ربع ساعة قبل أن ينعطف رجوعًا ويسلك الطريق المؤدّية إلى القرية.

في طريق عودتي إلى البيت قادمًا من المدرسة بعد ظهر اليوم التالي، لمحت صديق فيفيان البالغ عشرين عامًا. كانت في سيارته منتشية بنصرها إلى حد جعلها لا تعرف أين تنظر عندما مرا بي ولاقت عيناي عينيها. بدا لي رجلًا شديد النحول، أشقر الشعر. وكان واحدًا ممن يضحكون كثيرًا... رأيت هذا عندما قابلتهما أمام المتجر بعد وهلة وجيزة. كان عاطلًا عن العمل، فانتقل إلى القرية عندما عُرض عليه عمل على واحد من مراكب الصيد. هذه فيفيان أخرى غير التي نراها في الدروس: أسئلتها الطفولية، وضحكاتها المقهقهة، ومعابثاتها، كانت كلها غائبة هنا، وكان لا بد لها من التخلّي عنها. غريب أن أراها هكذا. رأيتها جالسة في مقعد السيارة الأمامي كأنها واحدة من أفراد الأسرة الملكية؛ رأيتها مكتسية تلك الجلالة التي يتهدّدها خطر الانهيار في أية لحظة، ولا يمسكها عليها شيء غير خيوط واهية من الخيلاء، لأن الطفلة التي كانتها يمكن أن تظهر في أية لحظة، بل يمكن أيضًا أن تستولي على المشهد كله. ضحكة واحدة، أو لفتة واحدة،

أو احمرار يغزو الوجه مرة واحدة، فينتهي الأمر كله. لم يكن صديقها ألمع شخص في العالم -إن حاولتُ التعبير عن الأمر بطريقة لطيفة- وعلى هذا النحو، كان كل منهما مناسبًا للآخر. تغيّر مسلكها في الصف وصارت أكثر اهتمامًا بنفسها. لم تعد تعجبها النزعة الطفولية التي تظهر بها على الآخرين جميعًا. لكنها كانت سهلة الانقياد، فلا حاجة إلى أكثر من جمل قليلة قبل أن تفقد مظهر الجلال الذي تلفّعت به كأنه عباءة... تفقد ذلك المظهر الخارجي بعد دقائق معدودة. لا يعني هذا أنها لم تتغير حقًا، ولم تعد تتأثر حقًا بما يجري من حولها، لأنني لا أريد القول أكثر من أن كل شيء فيها كان لا يزال في حالة سيولة. قد تمتنع عن الضحك لنكاتي وتقول إنني غبي، لكنها لا تلبث أن تنفجر ضاحكة. بعد ذلك، من الممكن أن تنظر إليّ وفي عينيها تلاوين جديدة مختلفة، تلك التلاوين التي كانت جديدة عليها كل الجدة، وكانت حاضرة في عيني أندريا، وإن لم يكن حضورها واضحًا هكذا. كان علي أن أحمي نفسي من جديد لأن أثر ذلك، أثره الخبيث الماكر، كان مزيدًا من انجذابي إليهما. من خلال هذه النظرة، ضاقت المسافة بيني وبينهما لا لأنني تقرّبت منهما بل على العكس تمامًا: رأيت ذلك في هذه النظرات التي كانت مفتوحة إلى أقصى حد، نظرات نصفُ مدركة ونصفُ غير مدركة.

أو... لعلّي كنت أتخيل هذا كله! أقول هذا لأنني أراهما في سياق مختلف، كأن تكونا مثلًا في دروس توريل أو في دروس نيلز إيريك، أو في المتجر مع والدتَيْهما، فيبدو لي كأن هذا الجانب فيهما لم يوجد أبدًا. كانتا تجذبانني إليهما؛ وإن لم تجذباني، فهما تحاولان التمرّد والعصيان، أو التجهّم، أو الاحتجاج، ولا تستخدمان تلك النظرات المحمَّلة بالمعاني مثلما تفعلان في دروسي.

لم يكن هذا شيئًا أنفق أزمانًا طويلة على التفكير فيه، بل هو انطباعات تمر في خاطري، ونفحات بسيطة من مسرّة وخشية عندما أجلس لكي أكتب في ليالي كانون الثاني وشباط. أيضًا، لم يكن لديّ أي أساس ملموس لهذه الانطباعات، لأن ما من شيء قيل وما من شيء فُعل... الأمر كله أمزجة

ومشاعر يطلقها شيء لا يكاد يكون محسوسًا، شيء من قبيل نظرة أو طريقة بعينها في التحرك.

سرت عبر القرية ذاهبًا إلى الدرس الأول وكانت مشاعري مختلطة: يعجبني أن أكون في المدرسة، ولا يعجبني. وبين الفينة والفينة، أحس برفرفة بسيطة في صدري عندما أفكر في أنني سوف أراها من جديد في اليوم التالي. لم يكن أحد يعلم هذا؛ وأنا نفسي، كنت لا أكاد أعلمه.

ذات يوم من أيام الجمعة في أوائل شهر شباط، تعزّزت هذه الانطباعات الصغيرة كلّها التي كان كل واحد منها في حد ذاته غامضًا من غير معنى، وكان بالتالي من غير أية متطلبات. كنت قد استيقظت في ساعة متأخرة من المساء، جريًا على مألوف عادتي. كتبت خلال ساعات الليل. ولما صارت الساعة الخامسة صباحًا قررت أنني اكتفيت من الكتابة فخرجت أسير في الظلمة. سرت في القرية التي لا تزال نائمة، وصعدت إلى المدرسة حيث تجوّلت في مبنى التعليم، ثم جلست على الأريكة وقرأت في كتاب إلى أن غلبني التعب فاستلقيت وأغمضت عيني وظل الكتاب مفتوحًا فوق صدري.

انفتح الباب. أجفلت واستويت جالسًا. مرّرت أصابعي في شعري وحدقت في عيني ريتشارد. أظن أن تعبير وجهي في تلك اللحظة كان يوحي بأنني أعتبر نفسي مذنبًا.

سألني: «هل نمت ليلتك هنا؟».

أجبت: «لا. أتيت في ساعة مبكرة لكي أحضّر بعض الدروس. وبعد ذلك، غلبني النعاس فنمت».

نظر إليَّ نظرة متمعّنة. قال لي بعد حين: «سوف أعدّ قهوة قوية. هذا ما سوف يوقظك».

«فلتكن قوية إلى حد يجعل حدوة حصان تقف منتصبة فيها». قلت هذا ونهضت واقفًا على قدمي.

قال ريتشارد: «ماذا؟ من قال هذا؟».

«أظنه لوك المحظوظ».

ضحك ريتشارد ضحكة مكبوتة، وصبَّ الماء في آلة القهوة في حين جلست إلى طاولة. منذ شهور كثيرة، لم أحضّر أي درس تحضيرًا حقيقيًا، لأنني كنت أكتفي بنظرة سريعة إلى الكتاب المدرسي قبيل ذهابي إلى غرفة الصف. تخليت عن القسم الأكبر من طرائقي التعليمية البديلة وصار أكثر دروسي مؤلّفًا من استعراض الموضوع الذي يتعين عليَّ تناوله. وبعد ذلك أعطيهم عددًا من التمرينات. كانت الغاية هي إنجاز المنهاج التعليمي المقرّر في كل مادة من المواد. لم يعد يهمني إن استوعبوا كل شيء أم لم يستوعبوا شيئًا. الأمر الأهم هو الإطار العام الذي وفّرتْه لي هذه الطريقة، ووفّرت معه القدر الذي أريده من البعد عنهم.

قال ريتشارد بينما يمضي صوب المدخل حاملًا بيده فنجان قهوة: «إن أردت قهوة، فهي جاهزة». أظنه كان ذاهبًا إلى غرفة مكتبه.

قلت: «أشكرك جزيل الشكر».

رُنّ الجرس بعد نصف ساعة من ذلك، وكنت واقفًا عند النافذة في غرفة الصف أنظر إلى التلاميذ صاعدين في الطريق. كان التعب مقيمًا في جسدي كأنه ماء آسن. لدينا رياضيات في الدرسين الأولين؛ والرياضيات أكثر ما يثير ضجري من بين المواد الدراسية كلها. كنا في شهر شباط الذي هو أيضًا أكثر شهور السنة إثارة للضجر ولا سبيل إلى مقارنته بأي شهر آخر.

قلت بعد تقاطرهم إلى غرفة الصف وجلوسهم في أماكنهم: «افتحوا كتبكم، ولنبدأ الدرس».

في دروس الرياضيات، ينضم إلينا الصفان الخامس والسادس. وهذا يعني أن تلاميذي يصيرون ثمانية.

«إذًا، سنفعل مثلما نفعل دائمًا. تحلّون التمرينات بأنفسكم. وإذا صادفتكم مشكلات، فسوف آتي لمساعدتكم. بعد ذلك، نتعلّم الدرس الجديد على اللوح في بداية الحصة الثانية».

لم يعترض أيّ منهم. انتقلوا مذعنين على مضض من الحالة التي كانوا فيها، عند وصولهم إلى المدرسة، إلى الحالة التي يتطلّبها حلّ مسائل الرياضيات. رفعت ليفه يدها حتى قبل أن تنظر في كتابها.

ذهبت إليها وانحنيت فوقها.

قلت لها: «حاولي بنفسك أولًا. عليك أن تحاولي».

«لكني أعرف أنني غير قادرة على حل هذه المسألة. إنها صعبة كثيرًا».

قد تكون مسألة سهلة. لن تعرفي هذا قبل أن تحاولي بنفسك. أعطها خمس دقائق. وبعد ذلك، سأعود إليك وأرى ما استطعت فعله. هل اتفقنا؟».

قالت لي: «لا بأس».

أشار لي يورن، الفتى ذو الطبع الحاد من الصف السادس.

قال لي عندما صرت إلى جانبه: «لقد أنجزت بضعة تمرينات في البيت. لكني صرت عاجزًا عن التقدّم بعد ذلك. هل تستطيع مساعدتي؟».

أجبته: «ربما أستطيع. أنا نفسي لست شديد المهارة في الرياضيات».

رفع رأسه ناظرًا إلي، ثم ابتسم. ظنني مازحًا، لكني لم أكن مازحًا. بعد إنهائي منهاج الصف السابع، بدأت أعاني مشكلات في الرياضيات. بل إنني كنت أجد صعوبة قبل ذلك أيضًا إذ أنسى فجأة كيف أقسم عددًا كبيرًا على عدد كبير آخر. كان لا بد لي من سؤال تلاميذ آخرين عن كيفية حل تلك المسائل: لا لأنني لا أعرف كيف أحلها، بل لعدم استطاعتي تذكّر أي شيء.

قلت له: «لكن هذه المسألة لا تبدو شديدة الصعوبة».

تابع كلماتي بعناية واهتمام بينما رحت أشرح له المسألة. ثم تابع حلها بنفسه فتركته وذهبت إلى النافذة.

لقد كان شخصًا صاحب تصميم لكن موقفه من المدرسة كان وفق مبدأ «إما/ أو»، «نعم أو لا». كان يحب الرياضيات، لذا لم تكن لديه مشكلة فيها. وأما في عدد من المواد الأخرى، فقد كان يغلق عقله إغلاقًا تامًا.

رفعت ليفه يدها من جديد.

قالت لي: «لا أستطيع حل هذه المسألة. وأنا أعني ما أقول».

أريتها كيف تحل المسألة. أومأت برأسها، لكن عينيها كانتا غائبتين.

قلت لها، «هل صرت الآن قادرة على حل بقية المسائل؟».

أومأت برأسها.

كنت مشفقًا عليها لأن كل درس من الدروس يأتيها بنوع من أنواع الإذلال... ولكن، ما الذي أستطيع فعله؟

جلست خلف طاولة مكتبي وجال نظري في الصف ثم ارتفع إلى الساعة المعلقة على الجدار. كانت حركة الساعة شديدة البطء. وبعد حين من الزمن، رفعت أندريا يدها. تقابلت نظراتنا فابتسمت لها. نهضت واقفًا.

«كارل أوفه مغرم بأندريا!». قالها يورن بصوت مرتفع سمعه الجميع.

تحرّكت من مكاني. احمر وجهي لكنني تظاهرت بأنني لم أسمع شيئًا. انحنيت فوق طاولتها وحاولت التركيز على مسألة الرياضيات.

كرر يورن ما قاله: «كارل أوفه مغرم بأندريا!».

ضحك عدد من التلاميذ.

انتصبت واقفًا ونظرت إليه. قلت له: «هل تعرف اسم ما تفعله الآن؟».

قال مع ابتسامة: «ما اسمه؟».

«عندما تقول إن أشخاصًا آخرين يشعرون بما تشعر به... هذا اسمه إسقاط. على سبيل المثال، إن كنت أنت، تلميذ الصف السادس، مغرمًا بواحدة من الفتيات في الصف السابع. بدلًا من الإقرار بذلك، تقول إن معلمك مغرم بها».

قال: «أنا لست مغرمًا بأية فتاة».

قلت: «ولا أنا! لذا، دعونا الآن ننصرف إلى حل بعض مسائل الرياضيات التي لدينا!».

انحنيت فوق المقعد من جديد. أزاحت أندريا شعرها جانبًا، أزاحته عن جبهتها بيد واحدة.

همستْ قائلة: «لا تلقِ بالًا إلى ما يقول».

تجاهلت ما قالته، ونظرت إلى عمود الأرقام الذي كتبته في دفترها. أشرت إلى موضع الخطأ.

قلت لها: «هنا. لقد أخطأت هنا. هل ترين ذلك؟».

قالت: «نعم. ولكن، ما الإجابة الصحيحة؟».

قلت: «لا أستطيع أن أقول لك هذا. عليك أن تحلي المسألة بنفسك. حاولي مرة أخرى. إذا عجزت عن حل المسألة، فأنا موجود هنا».

قالت: «لا بأس». رفعت رأسها ونظرت إليَّ. منحتني ابتسامة سريعة.

اضطراب في داخلي.

هل أنا مغرم بأندريا؟

هل أنا مغرم بها؟

لا، لا، لا! لكن أفكاري كانت مشدودة إليها دائمًا. كنت مشدودًا إليها!

عندما أكون في المدرسة ليلًا، عندما أقف أمام الماء الداكن الساكن في بركة السباحة، أتخيل أن أندريا في غرفة تبديل الملابس، أتخيلها وحدها هناك، وأتخيل نفسي ذاهبًا إليها بعد قليل. تستر نفسها، وترفع رأسها ناظرة إليّ. أركع على الأرض أمامها، فأرى توترًا في نظرتها، أول الأمر، ثم أرى رقّة وانفتاحًا وقبولًا.

كنت أتخيل هذا، وفي الوقت نفسه أفكّر في عكسه... لأنها ليست في غرفة تبديل الملابس، فكيف أستطيع التفكير هكذا؟... لا يجوز أبدًا أن يعلم أحد أين يذهب عقلي.

كان اضطرابي داخليًا؛ لكن أحدًا لم يرَ منه شيئًا، لأنني ظللت أراقب حركاتي وأفكر مليًا في كل ما أقول: لا شيء مما يراه الآخرون يمكن أن يفضح أفكاري الداخلية.

بل إنني كنت أكاد، أنا نفسي، لا أعلم شيئًا عن هذا الأفكار، لا أكاد أعلم أنها موجودة في رأسي لأنها تعيش في منطقة معزولة لا أحد يدخلها. وعندما تأتي، عندما تأتي متفجرة مندفعة، لا أتمسك بها بل أتركها تتساقط عائدة من حيث أتت. لذا، كانت تلك الأفكار كأنها غير موجودة.

لكن ما قاله يورن غيّر كل شيء لأن ذلك كان آتيًا من الخارج، لا من داخلي!

كل ما يأتي من الخارج خطير!

كان في جلوسي وحيدًا في الليل حتى أكتب شيئًا غريبًا، شيئًا غير طبيعي، لأن الناس جميعًا نائمون، ولأنني أعلّم الأطفال بعد ذلك مستخدمًا آخر ما يكون باقيًا عندي من طاقة. بدأت أصير مرهقًا، مستنفدًا، أكثر، ثم أكثر. هذا ما جعلني أعكس نظامي كله عندما بدأ شهر شباط، وبدأت فسحة الضياء الصغيرة عند منتصف النهار تتسع بطيئًا. كان ذلك كأن العالم يعود إلينا. ثم إن عيشي مع نيلز إيريك كان حسنًا: عندما يأتي التلاميذ زائرين -تلاميذ من الصف الرابع حتى الصف السابع- لا يكون لقاؤهم مشحونًا كثيرًا ولا يكون فيه ما يرهقني: لا أهمية للأمر إذا لم ألعب دور الطرف المهيمن في تلك اللقاءات. لكن الأمر يكون مختلفًا عندما تأتي هيغه لأنها لا تأتي أبدًا إلا عندما يكون نيلز إيريك خارج البيت. كيف تعرف هذا، لا فكرة عندي أبدًا. ولا فكرة عندي عما يجعلها تفعله. لكنها كانت تحب الكلام معي، وكنت أحب الكلام معها. نجلس معًا ساعات طويلة في المساء على الرغم من الاختلاف الكبير بيننا.

وأما من ناحية أخرى، فقد كانت الكتابة تسير سيرًا غير حسن أبدًا، لأنني بلغت نقطة صرت عندها أكرّر نفسي. وعلى غير انتظار، صرت غير واثق مما يجعلني أكتب أصلًا.

كانت مؤسسة أكشيهوغ للنشر قد نشرت في صحيفة *داغ بلادت* إعلانًا عن مسابقة للقصة القصيرة. استيقظتْ حماستي من جديد، فأرسلت إليهم اثنتين من أحسن قصصي. القصة التي تتحدث عن مكبّ القمامة في الغابة، وقصة النيران الجنائزية في السهل.

تتناوب مراكز اجتماعية كثيرة في الجزيرة، كلٌّ بدوره، على تنظيم حفلات كبيرة. جاء دور هافيورد في أوائل شهر آذار. تناولنا في بيتنا بضع

كؤوس تمهيدية؛ وكان المعلمون المؤقتون حاضرين - كلهم تقريبًا. بعد عدة كؤوس، وجدت نفسي سابحًا في الهواء. جعلني أولئك الناس سعيدًا، في غاية السعادة. قلت لهم ذلك أيضًا، قلت لهم ذلك في طريقنا إلى المركز الاجتماعي عندما كنت سائرًا يتأرجح في يدي كيس فيه زجاجة الفودكا وكيس التبغ الإضافي.

ما كان فريدًا في هذه الحفلات هو أنها غير مقتصرة على فئات عمرية بعينها، وغير منظمة بما يناسب فئات بعينها -هنا يحتفل شباب في العشرين تواقون إلى الحياة؛ وهناك يجتمع أشخاص متحفّظون في الأربعين- لا، كان الجميع يأتون إلى حفلات المركز الاجتماعي. أشخاص في السبعين جالسون إلى طاولة واحدة مع مراهقين؛ وعمال في مصنع تعليب الأسماك جالسون إلى طاولة واحدة مع معلمي المدرسة. لم تكن حقيقة أن كلًا منهم قد عرف الآخرين طيلة حياته لتحول بينهم وبين انطلاقهم على سجيّاتهم من غير أية تحفظات: العلاقات الاجتماعية المعتادة موضوعة جانبًا. ويستطيع المرء أن يرى فتى في الثالثة عشرة يقبّل فتاة في العشرين، أو سيدة كبيرة السن ترقص متحمسة، وتهز ثوبها المزركش وتبتسم ابتسامة عريضة من غير أسنان. أحببت هذا، ولم أستطع منع نفسي من حبه. أحببته لأن فيه حرية لم أرها قط في أي مكان آخر. لكنك لا تستطيع أن تحبه إلا إذا كنت هناك، إلا إذا كنت جزءًا من تلك البهجة التي لا قيد يحدّها؛ وذلك أن أدنى قدر من الميل إلى الانتقاد، أو من حُسن الذوق، يمكن أن تجعل الأمر كله ينهار ويصير شيئًا أشبه بمحاكاة مضحكة جامحة، بل حتى باعتداء على الشرط البشري نفسه. الفتيان والفتيات الذين يسخّنون قهوتهم على موقد غازي ذي شعلة واطئة، والمرأة المسنة نفسها التي تنظر إليك بعينين غزلتين متشاقيتين، والرجال ذوو الرؤوس الصلعاء والبدلات الرسمية وربطات العنق، الذين يتودّدون تارة إلى فتيات في الخامسة عشرة، وينحنون تارة أخرى فوق خندق تحت المركز الاجتماعي بأنواره المتلألئة ويتقيّأون... نساء مترنحات، ورجال باكون، هذا كله مجتمعٌ هنا في خضمّ سلسلة لا

تنتهي من أغنيات اشتهرت في الستينيات والسبعينيات تؤديها هنا -أداء رديئًا- فرق تحاول تقديم ما لم يعد أحد يحفل به، إلا في هذا المكان. وفوق ذلك كله سحابة من دخان السجائر، سحابة كثيفة حتى يحسبها المرء، إن لم يكن يعرف مصدرها، آتية من حريق في القبو.

في نظري، كان هذا شديد الغرابة، وكان مثيرًا. لقد ترعرعت حيث لا يكاد أحد يتناول كحولًا أو، على الأقل، حيث لا ترى من يتناوله إلا في ما ندر. كان لدينا جار يشرب حتى يسكر سكرًا شديدًا، مرة كل ستة أشهر، أو مرتين؛ وكان ذلك خبرًا مثيرًا يتناقله الناس. كان هناك عجوز أدمن الكحول يذهب كل يوم على دراجته إلى المتجر حيث يشتري زجاجات البيرة البنّية. كان هذا كل ما في الأمر. لم يكن أبي وأمي يشربان أبدًا؛ لم يكونا يشربان شيئًا غير زجاجتي بيرة أو كأس نبيذ أحمر مع الطعام. جدّي وجدتي في سوربوفاغ لا يشربان. جدي وجدتي في كريستيانساند لا يشربان. أعمامي وأخوالي وعماتي وخالاتي لا يشربون. وإن كانوا يشربون، فهم لم يشربوا أمامي أبدًا. فقط منذ سنتين ونصف السنة، رأيت أبي ثملًا فكانت تلك أول مرة في حياتي كلها. لماذا لا يشربون؟ لماذا لا يشرب الجميع؟ الكحول تجعل كل شيء كبيرًا كأنه ريح تعصف عبر وعيك؛ إنه أمواج متلاطمة وغابات متمايلة. إنه يمنح كل ما تراه بريقًا ذهبيًا. يصير أبشع الناس وأشدهم تنفيرًا جذابًا بشكل من الأشكال... يكون ذلك كأن ذراعًا تمتدّ فتُنحّي الاعتراضات والأحكام كلها جانبًا بحركة لا حدود لسخائها. كل شيء جميل هنا... نعم كل شيء هنا جميل. فلماذا أرفض هذا؟

غصت في الحفلة في هذه الأمسية الآذارية؛ وكنت على طبيعتي، بل ذهبت أيضًا إلى ريتشارد الذي كان يجلس مرتديًا بدلة من ذلك الطراز الذي كان شائعًا أواخر السبعينيات. كان مقاسها صغيرًا عليه. كان جالسًا مع زوجته، فذهبت وقلت لهما إنني أحبهما كثيرًا. لقد ظل متحكمًا بي طيلة الفترة الماضية، وكان محقًا في فعله هذا لأن كل شيء سار سيرًا حسنًا! أليس هذا ما جرى؟ الأمور تسير سيرًا حسنًا، أليس هذا صحيحًا؟

صحيح... كان أدائي حسنًا!

أعرف أنني لا أعجبه؛ لكنه غير قادر على قول ذلك. لا يستطيع شيئًا غير أن يرغم نفسه على الابتسام لي ابتسامة عريضة. لقد كنت في صعود، وكنت نجمًا ساطعًا. وهو ليس إلا مدير مدرسة صغيرة. بالطبع، أستطيع أن أنفق بضع لحظات في حديث لطيف معه.

رأيت والدتَيّ فيفيان وأندريا. كانتا صديقتين؛ وكانتا جالستين إلى إحدى الطاولات، تدخنان، جلست معهما، وأردت أن أحدثهما عن ابنتيهما: فتاتان رائعتان، فتاتان جميلتان شديدتا النشاط. سوف تعيشان حياة جميلة. أنا واثق من هذا كل الثقة.

لم يحدث قبل ذلك أن تحدثت إليهما إلا في اجتماعاتنا مع أهالي التلاميذ. لكن تلك الاجتماعات كانت مناسبات رسمية تحدثت فيها عن سلوك الفتاتين وأدائهما في المواد المختلفة. كانتا مصغيتين جيدًا إلى ما قلته، وطرحتا عليّ بضعة أسئلة لا أشك أبدًا في أنها كانت أسئلة محضرة مسبقًا، ثم ذهبتا واختفتا في الظلمة عائدتين إلى بيتهما وإلى ابنتيهما المنتظرتين سماع ما قيل في الاجتماع، سماع ما كشفه الاجتماع عنهما. لكن الوضع الآن مختلف كثيرًا لأن أمام كل منا كأس شراب، ولأن الناس يترنحون مارّين بنا في كل اتجاه، ولأن صوت الموسيقى مرتفع، ولأن الهواء دافئ في هذا الجو المغلق. كنت ثملًا، وكنت توّاقًا إلى قول كلمة لطيفة. انحنيت على الطاولة في اتجاههما وعلى وجهي ابتسامة كبيرة. قالتا إن الفتيات تتكلمن عنّي كثيرًا، تتكلمن من غير نهاية... الحقيقة أن ذلك يبدو كأنهن واقعات في غرامي! ضحكت المرأتان، فقلت لهما إن هذا صحيح، وإن الأمر يمكن أن يكون صعبًا... معلم لا يزال في الثامنة عشرة! مع هذا كله، لديكما فتاتان لطيفتان جدًا!

تساءلت لحظة إن كان عليَّ أن أدعو واحدة منهن إلى الرقص، لكني أبعدت الفكرة عن ذهني فهما في الخامسة والثلاثين، على أقل تقدير. صحيح أنني رأيت بريقًا في عينيهما عندما ظهرت أمامهما، لكني نهضت

واقفًا وسرت متجولًا في الصالة. جلست هنا، ثم جلست هناك، ثم ذهبت إلى الخارج ورأيت هافيورد متلألئة في الأسفل والبحر من خلفها أسود اللون. وبعدها عدت إلى الداخل باحثًا عن نيلز إيريك لكي أقول له إنه صديق جيد، وإنني مسرور جدًا بسكننا المشترك. فعلت ذلك، ثم عدت إلى الخارج من جديد. أردت أن أرى ذلك المشهد مرة أخرى. رأيت فتياتي أسفل التلة فنزلت إليهن. فيفيان مع ستيفه، وأندريا مع هيلدغون. سألتهن إن كنّ مستمتعات بتلك الأمسية. قلن لي إنهن مستمتعات، ثم ضحكن منّي، ربما لأنني كنت ثملًا... فمن يدري؟ لكني لم أُلقِ بالًا... هذا لا يهمني! تابعت سيري، وعدت إلى الجو العابق بدخان كثيف. صعدت السلم بخطوتين واسعتين، واندفعت داخلًا الصالة. وهناك، أمامي، مثل رؤيا، رأيت فتاة.

توقّفت في مكاني.

كل شيء فيّ توقف، تجمد. كانت فتاة جميلة، لكن في المكان جميلات كثيرات غيرها. لا، ليس جمالها ما أوقفني. عيناها اللتان نظرتا إليَّ كانتا داكنتين ممتلئتين حياة أردت مشاركتها. لم أرها قبل ذلك أبدًا. لكنها من هنا. إنها من هذه القرية. أدركت ذلك لحظة وقعت عيناي عليها لأنها كانت ترتدي ملابس فريق كرة القدم، ملابسه كلها، القميص والبنطلون القصير والجوارب، والحذاء. هذا زي موحد لكل من يعمل هنا هذه الليلة، لأن فريق كرة القدم المحلي هو منظم الحفلة. فهل يمكن أن يتطوّع أحد من خارج القرية للعمل في حفلة يقيمها نادي كرة القدم في هافيورد؟ كانت بين يديها صينية فيها كؤوس فارغة.

رؤيتها، رؤيتها جميلة متناسقة هذا التناسق كلّه، رؤيتها في زي فريق كرة القدم، جعلت حواسّي تستيقظ كلها. ألقيت نظرة على فخذيها العاريتين، على ربلتي ساقيها، ثم أدركتُ أنني أفعل هذا، فنظرت جانبًا حتى أموّه الأمر، ثم نظرت إلى الناحية الأخرى كأنني أتفحّص المكان وكل ما فيه. حاولت أن أبدو كأنني أتفحص المكان بكل عناية.

«مرحبًا»، قالتها مع ابتسامة.

«مرحبًا، من أنتِ؟ لم أركِ أبدًا من قبل. أنا واثق من هذا، فأنت في غاية الجمال. لو رأيتك لتذكّرتك».

«اسمي إينِه».

«أنت تعيشين هنا، ولا تخرجين من البيت أبدًا. هل هذا صحيح؟».

«لا». ثم ضحكت... «أعيش في فينسنس، لكني من هذه القرية».

«وأنا أعيش هنا».

«أعرف هذا. أنت تعمل مع أختي».

«لا أصدق هذا! من هي أختك؟».

«هيغّه».

«أأنت أخت هيغّه؟ هل هذا معقول؟ لماذا لم تقل لي إن لديها أختًا أصغر منها جميلة هذا الجمال كله؟ أقول هذا لأنك أصغر منها. ألست أختها الصغرى؟».

« لم تخبرك عنّي؟ لعلها أرادت حمايتي!».

«حمايتك مني! أنا إنسان مسالم أكثر من أي شخص هنا».

«نعم. أنا واثقة من أنك كذلك. لكن عليَّ أن آخذ هذه الصينية لأنني أعمل الليلة هنا، مثلما ترى».

قلت: «نعم. ولكن هل نستطيع أن نلتقي؟ متى ينتهي عملك؟ لا بد أن هناك لقاء قي مكانٍ ما بعد الحفلة... لماذا لا تأتين إليه؟ عندها نكون قادرين على التحدث أكثر».

قالت: «لا بأس. سوف نرى». وذهبت صوب الغرفة الصغيرة إلى جانب المنصة حيث كان المطبخ.

انتهت الحفلة بعد ذلك؛ أو انتهى ما يعنيني منها. ما عدت مهتمًا بأي شيء مما يجري هنا. لم يكن في رأسي غير تلك النادلة الجميلة المرتدية زي فريق كرة القدم. أمضيت بقية الأمسية في النظر إليها بتَوق شديد.

إنها أخت هيغّه!

لقد حكت لي هيغه كل شيء؛ فلماذا لم تقل لي شيئًا عنها.

فتشت عن نيلز إيريك، وقلت له إن علينا تنظيم جلسة في بيتنا لتناول بضع كؤوس. تردّد وقال إنه مرهق جدًا، لكني كنت مصمِّمًا. قال آخر الأمر إنه لا اعتراض لديه إن كان غير مضطر إلى المشاركة. قلت له: «عليك أن تسهر قليلًا. ثم إنك لست مضطرًا إلى دعوة أي شخص». قال لي: «أرى أنك قد عقدت العزم على أمر... فما هو؟ هل حطّتْ عينك الشرهة على إحداهن؟:.

قلت: «بكل تأكيد!». ثم سكبت لنفسي كأسًا حتى أظل منتشيًا بينما أفعل أي شيء أستطيع فعله لقتل الوقت. التقطت لمحاتٍ عابرة منها أثناء ذهابها إلى المطبخ وعودتها منه. وقفت برهة تخدم الناس عند طاولة المأكولات الخفيفة، لكني لم أذهب إليها مع أنني كنت راغبًا في شراء شطيرة هوت دوغ، فقط حتى أراها تعصر الكاتشب والخردل فوق النقانق من الزجاجتين البلاستيكيتين؛ لكني لم أرد أن أهدر الوقت القليل المتبقي على أي أمر لا علاقة له بالخطة التي وضعتها من أجلي ومن أجلها، في بيتي. لم أرد أن أكون مزعجًا، أو أن أفرض نفسي عليها فرضًا. وعندما ابتسمت لي، قلت لها إننا سنذهب إلى بيتنا بعد الحفلة لكي نتناول بضع كؤوس. نحن مقيمون في البيت الأصفر وسوف يسَرّ الجميع كثيرًا إذا أتيت.

قالت من جديد: «سوف نرى». قالتها مع ابتسامة ومع بريق في عينيها الداكنتين.

أوه، يا إلهي! أرجوك، اجعلها تقول نعم. أرجوك، اجعلها تأتي!

بدأت الفرقة أغنية جديدة. إنها أغنية «كوكايين» لإريك كلابتون.

صفَّقت عندما انتهوا من الأغنية. صرت غير قادر على شرب المزيد. سرت مترنحًا وخرجت إلى البرد، فرأيت تور إينار واقفًا يتحدّث مع فتاتين من الصف التاسع، وقد علت وجهه ابتسامة كبيرة. فتى وفتاة يتبادلان القبل في سيارة. المدرسة إلى الناحية الأخرى من ملعب كرة القدم تبدو في الظلمة كأنها ثكنة عسكرية. أشعلت سيجارة، وشربت ما بقي في كأس

الفودكا. استدرت فرأيت هيغه خارجة. أنبأني حدسي بأن علي ألّا أقول لها شيئًا عن إينِه، لأنها ستحرص على المجيء معها فيصير الوضع مستحيلًا.

قالت لي: «هل أنت على ما يرام؟».

قلت: «لا أشكو شيئًا».

«إذًا، هل كنت تتحدّث مع أختي؟».

«نعم. لقد كنتِ تخفينها. بل إنني لم أعرف أبدًا أن لك أختًا».

«نحن أختان غير شقيقتين. أب واحد، وأمان مختلفتان. لكننا نشأنا معًا. هي تعيش حياتها الخاصة».

«هل تعيش في فينسنس؟».

«نعم. لقد التحقت بدورة لدراسة ميكانيك المحركات. تحب الدراجات الآلية. إنها تقود دراجة آلية».

«أوه، نعم».

ظهر فيدار عند باب النادي. تجوّلت عيناه بين الناس الواقفين في الخارج. تقدّم صوبنا. نظر إلينا نظرة ثابتة، ثم أتى في اتجاهنا. كان ثملًا؛ وكان ذلك واضحًا لشدة تركيزه على السير بخطوات ثابتة وفي خط مستقيم. عريض المنكبين، قوي البنية، قميصه مفتوح على صدره، وسلسلة ذهبية ظاهرة من تحته. توقّف أمامنا.

قال: «إذًا، أنتِ هنا».

لم تجبه بشيء.

نظر إليّ وقال: «لم نعد نراك كثيرًا. عليك أن تزورنا. أو... لعل هذا ما تفعله عندما لا أكون هنا!».

أجبته: «لقد حدث هذا. أتيت إلى بيتكما منذ أسبوعين. كان ذلك لقاء للمعلمين. لكني ألزَمُ البيت معظم الوقت، وأعمل في الأمسيات».

«ما رأيك في هافيورد؟».

قلت: «المكان هنا لطيف».

«وهل أنت سعيد؟».

«نعم، أنا سعيد».

قال: «جيد. أمر مهم أن يكون المعلمون مسرورين هنا».

قالت هيغه: «ألا ندخل؟ بدأت أشعر بالبرد».

قلت: «سأظل هنا بعض الوقت حتى تصفو رأسي».

دخلا سائرَيْن جنبًا إلى جنب. بدت ضئيلة جدًا إلى جواره. لكنها كانت امرأة صلبة... فكّرت في هذا ونظرت إلى القرية من جديد. كانت بالغة الوداعة والهدوء بالمقارنة مع جلبة الشخصيات والإرادات المتنافسة في النادي الاجتماعي من خلفي.

توقفت الفرقة عن تقديم أغانيها، ثم توقّفت الموسيقى بعد قليل. بدأ الناس ينصرفون، وبدأت تظهر أنوار السيارات، حادة، مرتعشة. تمزّقَ وأُزيحَ الحجاب السحري الذي لفّت به الظلمة كل شيء. حلبة الرقص التي كانت قبل لحظات مسرحًا لأكثر الأحلام عذوبة وحرارة، صارت الآن عارية، خالية، وتناثر على أرضها تراب وحصى من أحذية من كانوا عليها خلال تلك الأمسية. والحيّز الذي من تحت السقف، الحيّز الذي كان كأنه تحت الماء يتلوّن حمرة وخضرة وزرقة، إلا عندما يتلألأ مثل سماء مرصعة بالنجوم، صار الآن خاويًا إلا من حوامل المصابيح المضيئة والكشافات وكرة ديسكو رخيصة لامعة حمقاء معلقة في الوسط. الطاولات التي كان الناس جالسين إليها مستمتعين بوقتهم في ما بدا أشبه بجدار من دفء بشري، صارت الآن مبعثرة هنا وهناك، ومن تحتها بحر من زجاجات فارغة وعلب سجائر مجعَّدة مع شظايا زجاج متكسّر هنا وهناك، وخط غريب المظهر من ورق المرحاض أتى به أحدهم من غير سبب. مفارش الطاولات مبقّعة ببقايا دبقة متنوعة وعليها علامات حروق صغيرة تركتها سجائر نسيها أصحابها. أطباق سجائر طافحة على الطاولات، وأكوام من الكؤوس والفناجين، وزجاجات فارغة من كل نوع، وعبوّات ثيرموس رخيصة رسمت القهوة خطوطًا متعرجة من تحت فوهاتها. وجوه من لم يذهبوا إلى بيوتهم بعد، صارت مرهقة لا حياة فيها، عظام عليها جلد، بيضاء متغضّنة. العيون كتل

هلامية، والأجساد عليها طبقات من الدهون وطيات من الجلد، أو نحيلة عجفاء تجعلك تفكر في الهياكل العظمية التي فيها، الهياكل التي سترقد تحت الأرض عما قريب، سترقد في مقبرة تعصف بها الريح، سترقد في تربة مالحة في مكان قريب من البحر.

لا، تحت الأضواء، لم يكن في الصالة أي شيء خاص. ثم ظهرت ست فتيات مرتديات زي فريق كرة القدم. بدأن ترتيب المكان. سرن حاملات الصواني والمماسح، فكان ذلك كأن الحياة أتت لكي تطرد الموت. وددت أن أظل واقفًا هنا، أن أنظر إليهنّ. لكن من المهم الآن أن أعطي انطباعًا حسنًا، وألّا أكون مزعجًا... ألّا أحدق، وألّا أضايق أحدًا. لذا، مضيت لكي أمشي في الخارج، لكي أتحدّث مع الناسّ وأحاول التخطيط للمرحلة التالية من تلك الليلة... أعني أن أكتشف أين سيذهب الناس لتناول الشراب إذا تبين أنها غير راغبة في المجيء إلى بيتي.

بعد ربع ساعة، تناقص عدد الناس من حول المركز الاجتماعي فقررت الدخول. رأيتها تحمل، مع فتاة أخرى، طاولة إلى زاوية الصالة، تحت المنصة. وضعتا الطاولة على الأرض. مسحت جبهتها بإحدى يديها، ووضعت يدها الأخرى على ردفها، ونظرت إليّ من حيث كانت واقفة في آخر الصالة.

قلت لها: «تستحقين استراحة بعد هذا العناء كله. أعرف بيتًا موقعه رائع عند الشاطئ. تستطيعين الاسترخاء هناك لكي تستعيدي قواك».

قالت: «ألن يأتي أحد ويزعجني؟».

«لا». قلتها مع ابتسامة.

رفعت يدها، فوضعت سبابتها على وجنتها، وأسندت ذقنها على إبهامها ونظرت إليَّ رافعة حاجبيها. يا إلهي، إنها جذابة جدًا!

مرت خمس ثوان. عشر ثوان.

قالت: «جيد. سوف آتي معك. على أية حال انتهى عملنا هنا. لكن علي أولًا أن أبدل ملابسي».

«سأنتظرك في الخارج».

قلت هذا واستدرت حتى لا ترى أنني ابتسمت ابتسامة كبيرة كادت تشقّ فمي.

نزلتْ درجات السلم بعد دقائق معدودة من ذلك. أغلقت سترتها الثقيلة ذات اللون الأزرق الداكن، وسوّت قبعتها الصوفية البيضاء بحركة جعلت قلبي يقفز طربًا وأنا واقف في الظلمة أنتظرها.

توقفت أمامي ووضعت قفّازيها. قفازان أبيضان أيضًا. ثم نقلت الحقيبة التي كانت في يدها إلى يدها الأخرى.

قالت لي: «إذًا، هل نذهب لآن؟». قالت هذا كأن بيننا معرفة منذ سنين.

أومأت برأسي.

اختفت خفّة الرأس كلّها عندما سرنا في الطريق. الآن، أنا وهي وحدنا. آه، كم كنت منتبهًا إلى كل حركة من حركاتها، إلى كل تعبير من تعابير وجهها، ونحن نازلَين في الطريق المكتسية ثلجًا.

كانت طويلة القامة، رشيقة، أنفها صغير مثل أنوف الأطفال. تكوّر ردفيها الجميلين. قدماها الصغيرتان... لكن، لم يكن فيها شيء من ذلك الجلال الأنيق، ولم تكن شخصًا تشعر بأن عليك حمايته، شخصًا عليك أن تعتني به. لعل قوَّتها الباردة أيضًا، هي ما وجدته شديد الجاذبية فيها.

عندما لا تتوقّد عيناها حيوية، أراهما داكنتين، هادئتين.

كنا قد بلغنا شقتي القديمة.

سألتها: «أين تنامين عندما تأتين إلى القرية؟».

قالت: «في بيت أمي». أشارت إلى الأسفل، ناحية اليمين... «إنها تعيش هناك».

«هل كانت مدرستك هنا؟».

«لا. لقد نشأت في فينسنس».

«وأنت الآن في المدرسة الفنّية، أليس كذلك؟».

نظرت إلي وقالت: «هل كنت تتحدث مع هيغّه؟».

قلت: «لا، لا. كان هذا تخمينًا، لا أكثر».

ثم حلَّ صمت بيننا. كنت مضطربًا، وحاولت التفكير في شيء آخر حتى لا تلاحظ توتري. إن كانت الكلاب قادرة على شم رائحة الخوف، فالفتيات قادرات على شم رائحة التوتر. هذا ما تقوله خبرتي.

من مسافة بعيدة، رأيت أنوارًا في غرفة الجلوس. وعندما دخلنا، كان في الغرفة كل من نيلز إيريك وتور إينار وهيميننغ. كانوا يلعبون الورق، لعبة «نِك تيف»، ويشربون ما بدا لي نبيذًا أحمر. جلسنا على الأريكة. بدا الأمر كأن الحفلة قد انتهت لأن الغرفة كانت لا طاقة فيها، ولا حيوية. لم يكن فيها غير عيون مطفأة وارتشاف كؤوس النبيذ. حاول تور إينار مرتين أن ينشِّط الجو قليلًا، لكن أحدًا لم يستجب. قوبل ضحكه بابتسامات مهذبة ونظرات مرهقة.

سألْتُ إينِه: «ألا تحبين أن تشربي شيئًا؟ كأس نبيذ أحمر؟ كأس فودكا؟».

«هل لديكم بيرة؟».

«لا».

«إذًا، سأشرب كأسًا صغيرة من الفودكا».

ذهبت إلى المطبخ الذي كان شديد البرودة كالعادة، وأخرجت من الخزانة كأسين. سكبت الفودكا في الكأسين، وأضفت إليها سفن آب. كنت أفكر في ما يتعيّن عليَّ فعله الآن. لعل من الأفضل أن أنتظر! سيذهبون عما قريب، وسيكون البيت لنا وحدنا. ولكن، إذا لم يذهبوا، وإذا استمر الأمر هكذا نصف ساعة أيضًا، فإن من المحتمل كثيرًا أن تذهب. لن تجد هنا شيئًا يثير اهتمامها. ألا أستطيع أن أقترح عليها، بكل بساطة، أن نصعد إلى غرفتي؟

لا، لا، هذا آخر ما يمكن أن أفعله. سوف يكونون في الأسفل مصغين إلى كل حركة في الأعلى. سوف تدرك هذا، وسوف ترفض. لن يكون الأمر حسنًا.

لكن، يجب أن أنفرد بها. ألا يمكن أن نذهب إلى غرفة مكتبي؟

عدت إلى غرفة الجلوس حاملًا كأسَي الفودكا، كأسًا في كل يد. وضعت واحدة على الطاولة إلى جوار إينِه فرفعت رأسها ناظرة إليّ. ابتسمت لي ابتسامة صغيرة.

قلت: «هذه الموسيقى تجعلني مكتئبًا. ألا أستطيع وضع شيء آخر؟».

قال نيلز إيريك: «افعل ما تشاء».

ما الذي يمكن أن تحبه إينِه؟

أم لعل عليَّ أن أختار شيئًا يعجبني، شيئًا من الممكن أن يعطيها إحساسًا بشخصيتي! مثلًا، هوسكر دو؟ أو بسيكوكاندي لفرقة جيزوس آند ميريتشين؟

انحنيت فوق رف التسجيلات وقلت: «أية طلبات؟». فلم يجبني أحد.

هل أضع أغنية لفرقة سيمثز؟

لا. إن في أغنياتهم قدرًا كبيرًا من النواح. أنبأني إحساسي بأنها تمقت النواح.

سأختار شيئًا، ذكوريًا... لكن، ما هو؟

أليس لدي شيء أبدًا؟ هل يعقل أن يكون كل ما لدي من أغانٍ أنثويًا فيه نواح كثير؟

ينبغي أن تكون فرقة ليد زيبلين اختيارًا صائبًا.

انتصبت واقفًا لحظة بدأت الأغنية. كان أمرًا مهمًا أن أحافظ على الحركة لأن العطالة التي في الغرفة قادرة، إن جلستُ، على أن تجعل كل ما أفعله بعد ذلك من غير جدوى.

قلت: «سكال»، ثم تناولت كأسي وقرعتها بكؤوس الآخرين، كأس إينِه آخرها.

قلت لها: «تعالي معي. سوف أريك شيئًا».

قالت: «أوه، ما هو؟».

أشرت إلى الناحية الأخرى من غرفة الجلوس وقلت: «إنه هناك. إنه شيء حدثتك عنه من قبل. تعالي!».

نهضت واقفة، فاجتزنا الغرفة معًا، ثم أغلقت الباب من خلفنا. ها نحن هنا، نحمل كأسينا. وقفنا بين أكوام الكتب ورزم الأوراق وصناديق الكرتون.

نظرت من حولها؛ أما أنا فجلست على الكرسي.

«قلت إنك تريد أن تريني شيئًا».

«لا شيء. الجو هناك مضجر جدًا. تعالي واجلسي هنا».

أمسكت يدها فجلست في حضني. ثم بادرَتْ، فأمسكت بيدي ونظرت إليها. مرت بإبهامها على راحتي.

قالت: «واو... يدك ناعمة جدًا. أنت لم تقم في حياتك كلها بأي عمل يدوي. أليس هذا صحيحًا؟».

قلت: «ليس كثيرًا».

«ألم تستخدم مجرفة... أو مفكّ براغي؟».

«لا».

هزت رأسها وقالت: «هذا ليس حسنًا. ثم إنك تقضم أظافرك. أستطيع رؤية هذا. هل أنت من أصحاب الأعصاب المتوترة؟».

«نعم. أظنني كذلك».

«ولماذا يكون عليَّ أن أذهب معك إلى بيتك؟ ألا تخبرني؟».

بقيت جالسًا، منتصبًا، غير قادر على العثور على شيء أقوله لها. انحنت صوبي وتبادلنا قبلة. داعبتُ ظهرها بيدي، ثم احتضنتها بقوة وشددتها إليّ. شددتها بقوة. ما أعذبها! أبعدَت رأسها عني.

داعبت وجنتي. وقالت: «أنت لطيف».

أشرقت عيناها الداكنتان عندما ابتسمت.

مكتبة
t.me/soramnqraa

قبلة أخرى.

ثم نهضت واقفة. قالت: «علي أن أذهب».

قلت: «لا. لا تذهبي! ليس الآن».

«بل سأذهب. لكني باقية في القرية يوم غد. زرني إن أحببت. سأكون في بيت أمي».

فتحتِ الباب فرافقتها إلى الممر. ارتدت سترتها وخرجت من البيت. التفتت التفاتة قصيرة وقالت، إلى اللقاء، ثم اختفت نازلة في الطريق.

ظلت حقيبتها عندي.

وفي اليوم التالي... نعم... ما الذي ملأ ذهني في اليوم التالي؟

إينِه.

لقد حدثت أعجوبة. الليلة الماضية، في غرفتي، حدثت أعجوبة.

إينِه، إينِه، إينِه.

لكني أرجأت الزيارة. كنت في الليلة الماضية ثملًا فاتخذ كل شيء مجراه من غير عناء. لكنني الآن صاحٍ، ومن الممكن أن أخسر كل شيء.

كانت الساعة قد بلغت الثالثة بعد الظهر عندما استجمعت شجاعتي وخرجت من البيت، وسرت تلك المسافة الطويلة إلى هناك.

فتحت لي أمها الباب. امرأة تقدّمت بها السن وشاب شعرها.

سألتها: «هل إينِه في البيت؟».

قالت: «نعم إنها هنا. هي في غرفة المعيشة. ادخل».

كانت إينِه جالسة في غرفة المعيشة، وكانت مختلفة كثيرًا عن إينِه التي رأيتها في الحفلة. رأيتها الآن ترتدي بنطلونًا رياضيًا رمادي اللون، وقميصًا أبيض من غير كمَّيْن عليه صورة دراجة آلية. شعرها مرفوع فوق رأسها. ابتسمَت عندما رأتني وقفزت واقفة على قدميها. سألتني إن كنت أريد قهوة.

قلت: «نعم، من فضلك».

أتت بفنجان ووضعت عبوّة ثيرموس بيضاء على الطاولة التي إلى جانبي.

حملتُ عبوّة الثيرموس وحاولت فك الغطاء. لكن راحتيّ يديّ كانتا متعرقتين كثيرًا. انزلقت يدي على الغطاء فلم أستطع فتحه.

تزحزح الغطاء قليلًا عندما بذلت قوتي كلها، لكني كنت قد استنفدت طاقتي ولم يعد لي منها ما يكفي لفتحه.

كانت جالسة تنظر إلي. احمرّ وجهي خجلًا.

قالت: «ألا أساعدك؟».

أومأت برأسي، وقلت: «يداي متعرّقتان كثيرًا».
أتت إليَّ وفتحت الغطاء بكل سهولة.
قالت: «إنه جاهز»، ثم جلست من جديد.
سكبت القهوة في الفنجان، وأخذت منه رشفة.
لم أقل أية كلمة حتى الآن. فسألت: «متى تعودين؟ الليلة؟».
أومأت برأسها. دخلت أمها الغرفة من خلفي.
سألتني: «أنت تعمل مع هيغه، أليس كذلك؟».
«صحيح».
قالت إينِه: «هيغه معجبة بك كثيرًا. تتحدّث عنك كثيرًا».
«هل هذا صحيح؟».
قالت: «إنه صحيح».
أي شيء هذا؟ ماذا أفعل هنا؟ هل سنمضي الوقت كله في أحاديث تافهة صغيرة؟ هذا لا يجوز! لا يجوز. لا يجوز.
قلت: «أين تعيشين في فينسنس؟».
«خلف المصرف تمامًا».
«أي أنك تستأجرين مكانًا هناك».
أومأت لي برأسها.
سألتني أمها: «هل تعجبك هافيورد؟».
قلت: «نعم. تعجبني كثيرًا. إنني أمضي وقتًا عظيمًا هنا».
قالت الأم: «صحيح. إنها مكان صغير لطيف».
قالت إينِه: «ماما! أنت تضجرينه».
ابتسمت أمها ثم نهضت واقفة، «لا بأس. لا بأس. سوف أترككما بسلام، أنتما الاثنين».
خرجت الأم من الغرفة. نقرت إينِه على الطاولة بأصابعها.
سألتها: «ألا أستطيع أن ألقاكِ مرة أخرى؟».
قالت: «أنت معي الآن».

قلت: «هذا صحيح. لكني عنيت أن نلتقي بطريقة أخرى. من الممكن أن نتناول العشاء معًا، أو أي شيء من هذا القبيل. ما رأيك في هذا؟».

قالت: «ربما».

بدت في غاية الروعة وهي جالسة هناك. كان آخر ما يلزمها في حياتها فتى متعرّق، فتى محمرّ الوجه.

قلت: «الحقيقة أنني مررت لزيارتك في طريقي إلى المدرسة. لا بد لي من إنجاز بعض العمل هناك ومن تحضير دروس الغد».

نهضت واقفًا. نهضت واقفة.

سرت في الممر فتبعتني ووقفت تنظر إليَ عندما ارتديت معطفي.

قالت لي: «إذًا، إلى اللقاء».

قلت: «إلى اللقاء».

أسرعت صاعدًا في الطريق صوب المدرسة حيث لم يكن لدي شيءٌ أفعله، لكني فتحت باب المدرسة تحسبًا لاحتمال أن تكون لا تزال تراقبني من بيتها. كنت واثقًا تمام الثقة من أنها نسيت وجودي لحظة أغلقت الباب من خلفي. مع هذا، لم أكن أريد أن تمسك بي متلبسًا بهذا النوع من الكذب الجبان. بما أنني صرت في المدرسة الآن، فمن الممكن أن أشاهد شيئًا في التلفزيون. إنه يوم الأحد. وفي هذا الوقت، لا بد من وجود برنامج رياضي.

إينِه، إينِه، إينِه... الفتيات كلهنّ كنّ يكرّرن اسمها مع ضحكة مكبوتة عندما دخلت غرفة الصف في الدرس الأول من صباح اليوم التالي. إذًا، صار الجميع على علم بالأمر.

تجاهلتهنّ، لكني لم أكن قادرًا على التفكير في أي شيء آخر.

إينِه، إينِه، إينِه.

وفي الليل، رقدت مستيقظًا. كنت أفكر في خطوتي التالية. لقد تركت حقيبتها في بيتي. وسوف يكون عليها أن تأتي لأخذها. أليس هذا استنتاجًا سليمًا؟ أم عليَّ أن آخذ الحقيبة إلى فينسنس؟

كنت قد وضعت زيارتي الكابوسية إلى بيتها خلف ظهري ونسيت أمرها.

لقد عجزت حتى عن فتح عبوة الثيرموس؛ فما الذي أستطيع توقّعه من زيارة أخرى؟ أأتوقّع أن ترمي بنفسها بين ذراعي؟

لا بد لي من لقائها عندما أكون ثملًا. هذه هي فرصتي الوحيدة.

إينِه، إينِه، إينِه.

كانت أدنى ذكرى لها تلسعني لسعًا. لم أعش من قبل شيئًا مثل هذا.

شيء أقوى من كل شيء. شيء هو مركز كل شيء. على غير انتظار، صارت إينِه كل ما يهمني.

سرت بين البيت والمدرسة، جيئة وذهابًا، في النهار. ثم صرت أخرج ليلًا وأجري مسافات طويلة حتى يغسل عرقي كل تفكيري فيها. لكنها ظهرت يوم الأحد التالي.

نقرات على باب بيتي. فتحت الباب. ها هي واقفة.

إينِه الجميلة.

«أظنني تركت حقيبتي هنا. أتيت الآن لكي آخذها».

رفعت الحقيبة بيدي، وقلت: «أهذه هي حقيبتك؟».

قالت: «نعم. أشكرك».

استدارت لكي تذهب.

قلت لها: «ألست راغبة في الدخول قليلًا؟».

هزت رأسها نفيًا، لكنها لم تدر رأسها من جهة إلى أخرى، بل بدت لي الحركة كأنها تتوقّف في منتصف الطريق. أعجبني هذا.

قالت: «عليَّ أن أعود إلى فينسنس».

بدأت تسير صاعدة المنحدر الصغير المفضي إلى الطريق. كان المنحدر زلقًا فسارت بخطوات صغيرة.

قلت: «هل أتيت هذه المسافة كلها لكي تأخذي الحقيبة فقط؟».

قالت: «لا. كنت هنا طيلة عطلة نهاية الأسبوع». بلغت أعلى المنحدر، وبدأت السير في الطريق.

لم أكن أعرف عنها شيئًا غير أنها في السادسة عشرة، وأنها تحب الدراجات الآلية، وأنها طالبة في معهد تقني.

ليس هذا أساسًا كافيًا لإقامة علاقة.

لكنها كانت أعجوبة من أعاجيب الطبيعة. كانت صلبة أيضًا.

ثدياها كبيران، ساقاها طويلتان. ماذا يمكن أن أريد أكثر من هذا؟

لا شيء... هذا يغطي كل شيء. إذًا، ماذا أفعل؟

لا شيء. لم أكن أعني لها شيئًا؛ ولم تكن في حاجة إلى أكثر من خمس دقائق حتى تقرّر هذا.

أخبرت هيغّه بكل شيء. كنا جالسين نشرب الشاي.

قالت لي: «إينِه ليست مناسبة لك. لا فكرة لديك أبدًا. لذا، من الأفضل أن تنسى الأمر».

قلت: «لكني لا أستطيع».

نظرت إليَّ وقالت: «أنت لست واقعًا في غرام أختي الصغرى! هل أنت مغرم بها؟».

«نعم. أنا مغرم بها. هذه هي الحقيقة بالضبط».

أخذت هيغّه رشفة من فنجانها، ثم أزاحت خصلة شعر طويلة متدلية عند عينها.

قالت: «أوه، يا كارل أوفه. كم أنت غريب!».

«أعرف. أسمع هذه العبارة كثيرًا، لكني غير قادر على منع نفسي من التفكير فيها».

«لن تستطيع أبدًا أن تقيم علاقة معها. لن ينجح الأمر. الحقيقة أنه شيء غير وارد أبدًا».

قلت: «قولك هذا غير مفيد. عليّ أن أحاول».

قالت: «لا بأس. فلنذهب إلى فينسنس. نذهب إلى الديسكو، ثم نجعل باص العودة يفوتنا، فنذهب إلى بيتها من غير سابق إنذار».

«لماذا لا تأتي معنا إلى الديسكو؟».

«هي لا تحب الذهاب إلى الديسكو».
كانت تلك خطةً؛ وقد نفّذنا الخطة بكل تفاصيلها.
أتى مساء يوم الجمعة، فكنا واقفَيْن أمام بيت خلف المصرف، غير بعيد عن الديسكو. قرعت هيغّه جرس الباب فنزلت إينِه لتفتح لنا.
إن كانت حيلة هيغّه قد أغضبت إينِه فهي لم تُظهر شيئًا من غضبها.
تعانقت الأختان، أما أنا فأطرقت برأسي وحاولت، إلى أقصى حد ممكن، ألّا أكون ظاهرًا في الصورة. سرت خلفهما صاعدًا السلم، وجلست على كرسي، لا على الأريكة. فعلت ذلك حتى لا تجد إينِه نفسها مجبَرَة على الجلوس إلى جانبي.
كانت هذه المرة مرتدية ملابس عادية كالتي رأيتها فيها آخر مرة: بنطلون رياضي ضيق لامع مشدود على فخذيها، وتي شيرت أبيض اللون.
أعدّت إينِه شايًا، وجلست الأختان تتحدّثان، وجلست مصغيًا إليهما لا أشارك في الحديث إلّا بعبارات قصيرة عارضة.
كان مسكنها مؤلفًا من غرفة واحدة مع مطبخ صغير في إحدى نهايتيها. كانت الغرفة كبيرة فعلًا مع أنها ليست ضخمة. بدأت أتساءل عما تتخيله هيغّه... كيف يمكن أن يحدث أي شيء هنا؟
أعدّت إينِه فراشًا على الأرض، عند الباب مباشرة. إنه الفراش الذي سأنام عليه. وسوف تنام هيغّه مع أختها على السرير العريض.
هذا ما حدث!
أطفئ النور، وظلت الاثنتان تتهامسان حينًا من الزمن، ثم عمّ الهدوء.
رقدت على ظهري محدقًا في السقف.
كم صارت حياتي غريبة!
وكأن ذلك كان حلمًا... نهض جسد من السرير. إنها إينِه. أتت صوبي، ثم اندسّت إلى جانبي.
يا ربي!... إنها عارية! التصقت بي. كانت أنفاسها ثقيلة.
بدأنا نتبادل القبل. داعبت جسدها كله. داعبت ثدييها الكبيرين

وحلمتيهما الداكنتين... أوه، ما ألذَّهما! أحسست بشعرها الناعم على فخذي. كان تنفسها ثقيلًا؛ وكان تنفسي ثقيلًا. انتبهت إلى أنني أسأل نفسي إن كان الأمر سيحدث الآن، إن كان سيحدث الآن مع فتاة الدراجات الآلية المُدوّخة هذه!

دعكت جسدها بي، فقذفت على الفور.

انقلبت وضغطت على الفراش بصلبي.

خراء. خراء. خراء.

قالت لي: «هل قذفت منذ الآن؟».

قلت: «ممم».

نهضتْ من الفراش عائدة إلى سريرها لكي تتابع الحلم الذي أيقظتْها منه غواية الشهوة قبل دقائق معدودة.

وهو كذلك... مثلما اعتاد فليكسنس أن يقول.

ظل حبي يصارع ما بقي من كرامتي طيلة الأيام التي أعقبت ذلك. لا أستطيع الذهاب لرؤيتها من جديد. لا أستطيع الاتصال بها. لا أستطيع كتابة رسالة. لا أستطيع أن أنظر في عينيها بعد الآن.

لا تزال إينِه كل ما أفكر فيه. لكن ما جرى في غرفتها كان واضحًا جدًا، وكان مُذِلًا جدًا بحيث صارت أفكار الحب غير قادرة على مواجهة ذلك الضغط العظيم، فما كان منها إلا أن راحت تختفي شيئًا فشيئًا.

ومن جديد، صارت المدرسة حياتي. المدرسة والكتابة والشرب.

لكن النهارات بدأت تطول؛ وبدأ الثلج يذوب؛ وصار الربيع على الأبواب. وفي يوم من الأيام، وجدت في صندوق البريد مغلّفًا مطبوعًا عليه هـ. آشهوف وشركاه. أخذته مع بقية رسائلي، وخرجت، وأشعلت سيجارة، ونظرت إلى خط الجبال البيضاء خلف الفيورد... جبال متألقة تحت ضياء الشمس تبدو -مع هالتها المشعّة المحيطة بها- كأنها تصير أكثر قربًا من القرية يومًا بعد يوم. كان مشهدًا منعشًا... نعم، هناك نور مشعّ من أجلنا، هنا، في هذا الفضاء.

مرت بي سيارة. لم أر مَنْ فيها، لكني رفعت يدي ولوَّحت بها. بضعة نوارس زاعقة تحوّم فوق مصنع تعليب الأسماك. نظرت إليها. كانت تحوم في الجو فوق الرصيف. أمواج تداعب الصخور على الشاطئ. فتحت المغلف. وجدت فيه قصتَيَّ القصيرتين. يعني هذا أنهم رفضوهما. كانت في المغلف رسالة مرفقة. قرأت الرسالة. جاء في الرسالة أنهم لم يختاروا أية مشاركة مما وردَهم. قالوا إن السوية العامة كانت ضعيفة جدًا. لن ينشروا مجموعة المختارات القصصية هذه السنة.

إذًا... على الأقل، لم يرفضوني!

سرت صاعدًا إلى الطريق. وبخطوات متمهّلة، تابعت السير صوب بيتنا الأصفر. كانت سيارة تور إينار البيجو القديمة الزرقاء متوقفة أمام البيت. وجدت تور إينار في غرفة الجلوس. كان يتحدث مع نيلز إيريك. معه ابن عمه، إيفين، صبي في الصف الثامن. كان يوم سبت؛ وكنا ذاهبين إلى فينسنس. خرجوا لحظة انعطفت لكي أسلك الممر القصير المفضي إلى باب البيت.

قال لي: «هل أنت جاهز؟».

أجبته: «نعم. هل ننطلق الآن؟».

«هذه هي الفكرة».

عدت أدراجي، وفتحت باب السيارة. جلست في المقعد الأمامي إلى جوار مقعد السائق. وفي الخلف، جلس إيفين باسطًا ذراعيه على مسندَيّ المقعدين الأماميين، مائلًا صوبنا. كانت عيناه زرقاوين، لطيفتين، وشعره داكن اللون. على شفته العليا شارب زغبيّ صغير. كان صوته يعلو وينخفض على نحو يصعب توقّعه، حتى عليه. شغّل تور إينار محركَ السيارة وقادها عبر القرية بسرعة منخفضة. كان يلوح بيده يمينًا وشمالًا كلما مر بأشخاص ذاهبين إلى المتجر أو عائدين منه. بدأت أفتح الرسائل التي أخذتها من صندوق البريد. لقد تقلّص عدد من أكاتبهم فصار اثني عشر شخصًا بدلًا من عشرين. لكن هذا لا يزال كافيًا لضمان ألّا يخلو صندوق بريدي من

رسالة واردة، إلا فيما ندر. واحدة من الرسائل كانت من آنه. هي التي كانت تتولى الجانب الفني في برامج الراديو التي قدّمتها في كريستيانساند. تعيش الآن في مولدِه... تدرس في الجامعة هناك، أو شيء من هذا القبيل. لم أكن مهتمًا كثيرًا، لكنها كانت مهتمة لأن الرسائل التي تصلني منها كثيرًا ما تبلغ الواحدة منها عشرين صفحة. فتحت المغلّف وأخرجت رزمة الأوراق الثخينة. خرجت مع الأوراق كتلة صغيرة بنية اللون وسقطت على فخذي.

قال إيفين: «ما هذا؟».

يا إلهي! إنه حشيش!

وضعت يدي على قطعة الحشيش وقلت: «ماذا تعني؟».

«هذا الشيء الذي سقط من المغلف. ما هو؟».

قلت: «أوه، هذا! إنه لا شيء. لي صديقة تدرس علم الأشجار. إنها مهتمة بالأشجار. لذا، فقد أرسلت لي قطعة من لحاء شجرة نادرة».

قال: «هل أستطيع رؤيتها؟».

نظرت أمامي إلى النفق الذي صرنا على مسافة أمتار قليلة من مدخله. ماذا يمكن أن يفعل إن علم أن هذا حشيش؟ هل يخبر أحدًا؟ عندها ستثور جلبة كبيرة. *ضبط مخدرات مع معلم مدرسة في هافيورد*. يشربون هنا كالمجانين، لكنهم لا يتعاطون الحشيش أبدًا، ولا الماريغوانا، ولا الأمفيتامينات، ولا أية أشياء من هذا القبيل.

قال لي: «إذًا، دعني أراها».

قلت: «لا شيء يستحق الرؤية. ليست إلا قطعة من لحاء شجرة نادرة».

«إن كان الأمر هكذا، فلماذا ترسلها إليك؟».

رفعت كتفي وقلت: «إن بيننا علاقة عاطفية».

التفت تور إينار، وقال: «أخبرنا عن هذه العلاقة».

قلت: «ما من شيء أقوله لك». قلت هذا ووضعت القطعة في جيبي بإحدى يدي، في حين ارتفعت يدي الأخرى لتمسك بالمقبض الذي فوق الباب. لم أفعل هذا لأنه ضروري، فقد كان تور إينار يقود السيارة بكل حذر،

كعهده دائمًا. لا أظن أحدًا ممن يقودون السيارات في القرية يتقيد بحدود السرعة مثلما يفعل تور إينار ونيلز إيريك.

قال إيفين: «هل ستدَعني أراها، أم لا؟».

غريب!... ما أشد إلحاحه!

التفت إليه وقلت: «ماذا بك؟ لقد وضعتها في جيبي. ليست إلا قطعة من لحاء شجرة لا قيمة لها».

قال: «لكنها شجرة نادرة».

سألته: «هل أنت مهتم بلحاء الأشجار؟».

«لا». قال هذا، ثم ضحك.

قلت: «إذًا، أنت لست مهتمًا. والآن، أنا في حاجة إلى شيء من الهدوء حتى أقرأ الرسالة، إن كان هذا لا يزعجك».

قلت هذا وبدأت أتصفَّح الأوراق التي كتبتها آنه.

عندما عدنا إلى القرية بعد بضع ساعات من ذلك، كان تور إينار ونيلز إيريك قد قررا الذهاب للتزلج على الثلج. سألاني إن كنت راغبًا في مرافقتهما. وكعادتي، قلت لهما إنني غير مهتم وإنني سوف أجلس للكتابة. أخرجت قطعة الحشيش من جيبي لحظة خرجا من الباب. أدفأتها قليلًا، ثم مزجتها مع التبغ، ولففت سيجارة. أغلقت الستائر، وأقفلت الباب، وجلست على الأريكة، ودخنت لفافة الحشيش.

على الجدار، إلى جانب ملصق «بيتي بلو» الذي وضعته، كان نيلز إيريك قد علّق ملصقًا عليه صورة لشارلي شابلن. جلست أنظر إليه وتخيلت أنني هو، فبدأت أقلّد مشيته. سرت بقدمين منفرجتين كأنهما عقربا ساعة تشيران إلى الثالثة إلا ربعًا، وبعصا تتأرجح فرِحةً من إحدى يدي، وبدأت أذرع أرض الغرفة جيئة وذهابًا. كان تقليدًا ممتازًا فلم أجد رغبة في التوقف. صعدت السلم إلى غرفتي التي كانت عارية إلا من كومة ملابس وفراش عند الجدار، ثم نزلت من جديد وقمت بجولة في المطبخ عدت بعدها إلى غرفة الجلوس. ضحكت مرات كثيرة، لا لأن الأمر مضحك، بل لأنني

وجدت فيه متعة كبيرة. لقد كنت المهرج الذي يؤرجح عصاه ويسير متمايلًا بخطوات صغيرة جدًا. أرفع قبعتي وأنحني انحناءات مهذّبة صغيرة لتحيّة الجميع. لم يكن في تقليدي أية شائبة. كل ما في داخلي يعمل في تناسق تام كأنه مزيّت تزييتًا حسنًا. وكل حركة من حركاتي تتخلّل جسدي كلّه. سرعان ما وجدت نفسي مستلقيًا على الأريكة أرفع كتفًا ثم أرفع الكتف الأخرى وأشد ربلتَيّ ساقيَّ، ثم ركبتيَّ، ثم فخذيَّ... كنت كأنني عائم في البحر، وكأنني أمواج ذلك البحر.

استيقظت على أحدهم يدق بابي. ظلمة دامسة في الخارج. نظرت إلى ساعتي. إنها الخامسة والنصف. انتصبت جالسًا ودعكت وجهي بيدي عدة مرات. قرعٌ على الباب من جديد. رائحة الحشيش لا تزال معلقة في الهواء. فكّرت في عدم فتح الباب، لكن جولة جديدة من الطرق عليه بدأت فاستنتجت أن الشخص الذي يدقّ بابي واثق من أنني موجود هنا. فتحت نافذة لكي يدخل الغرفة هواء نظيف، ثم أغلقت باب غرفة الجلوس من خلفي وخرجت إلى الممر. فتحت الباب.

كان بالباب رجل في الأربعينيات. إنه والد واحد من تلاميذي... من منهم؟ لم أستطع تحديد ذلك على الفور. كان في أذني طنين خافت.

قلت له: «مرحبًا».

قال: «مرحبًا. أنا والد جو. أردت أن أتحدث معك قليلًا. ليس أمرًا خطيرًا، لكني أريد أن أحدثك عن جو. قرّرت منذ فترة أن أعرّج عليك، لكني لم أجد وقتًا مناسبًا حتى الآن. لكن، هل هو وقت مناسب لك؟ أدرك أنه ليس وقت المدرسة... ليس تمامًا... لكن...». قال هذا وضحك ضحكة صغيرة.

أجبته: «لا مشكلة أبدًا. تفضل بالدخول. ما رأيك في فنجان قهوة؟».

«نعم، إن كانت القهوة جاهزة. وأما إذا لم تكن جاهزة، فأرجو ألّا تصنع قهوة من أجلي».

تجاوزني ودخل المطبخ.

قلت: «كنت موشكًا على إعداد القهوة. نمت قليلًا. لقد كان أسبوعًا طويلًا».

جلس إلى طاولة المطبخ. لم يخلع سترته ولا حذاءه. سكبت الماء في وعاء القهوة.

دائمًا، تهتم النساء بكل ما يتصل بالمدرسة وبالأطفال. إنهنّ مَنْ تذهبن إلى اجتماعات أهالي التلاميذ المسائية، ومَنْ توقّعن على الأوراق التي يأخذها التلاميذ إلى البيت، ومَنْ تقمن بالأعمال التطوعية، وتحرصن على دفع رسوم الرحلات المدرسية وبقية الأشياء.

شغّلت الموقد، ثم جلست إلى الطاولة، قبالته.

قال: «نعم... ابننا جو... إنه ليس سعيدًا في المدرسة الآن».

قلت: «ليس سعيدًا!».

«لا، ليس سعيدًا. يقول إنه لم يعد راغبًا في الذهاب إلى المدرسة بعد الآن، وإنه يفضل البقاء في البيت. وهو يبكي أحيانًا، ولا يقول شيئًا إذا سألته عما يبكيه. يقول أحيانًا إنه لا شيء. لكننا نستطيع رؤية أن هناك أمرًا ليس على ما يرام. عدم رغبته في الذهاب إلى المدرسة أمر حقيقي تمامًا. إنه، إنه... لقد كانت أموره حسَنة في ما مضى، عندما كان أصغر سنًا. وقتها، كانت المدرسة تعجبه. وأما الآن، لا... لا يحبها».

رفع رأسه ناظرًا إليّ.

تابع يقول: «لقد أتيت إليك... أممم... أعرف أنك لست المعلم المسؤول عنه... وأعرف أن ذهابي إلى المعلمة المسؤولة ورؤيتها هو الأمر الطبيعي... لكنه يذكرك دائمًا بطريقة دافئة. أنت تعجبه كثيرًا. لا يتكلم إلا عن أن كارل أوفه قال هذا، وكارل أوفه قال ذاك. لذا... فكرت في القدوم إليك لكي نتكلّم في هذه المشكلة. وفي آخر المطاف، أنت تعرفه».

انزعجت كثيرًا عندما قال هذا؛ فمنذ سنين طويلة، لم أتأثّر بشيء سمعته مثل ما سمعته في هذه اللحظة. لقد خنت الثقة التي يوليني إياها الآن. لم أخنها من خلال شيء فعلته، بل من خلال شيء فكرت فيه. والآن... أراه

جالسًا قبالتي، وجهه جادٌّ، معذّب... من الواضح أنه يحب ابنه كثيرًا. ومن الواضح أن جو في نظره طفل فريد، غالٍ. أدركت الآن أن ما كان مسألة ثانوية في نظري، لم يكن صبيًا غير متكيّف، صبيًا يبكي من غير سبب، كان مسألة كبرى بالنسبة إليه، مسألة تملأ حياته كلّها، بل هي حياته، وهي كل ما لديه.

اشتعل في داخلي إحساسي بالذنب كأنه حريق في غابة.

سيكون عليَّ أن أكفّر عما فكّرت فيه، أن أعوِّض عنه. عليَّ أن أكفّر الآن، أمام الأب الذي لا فكرة لديه -لحسن الحظ؛ أوه، نعم، لحسن الحظ- عما كنت أفكر فيه. وبعدها، عليَّ أيضًا أن أصلح الأمر مع جو، أن أكفّر عما فكرت فيه. سأفعل هذا عندما أراه، من غير تأخير.

قلت: «الحقيقة أنه ولد جيد».

«هل لاحظت في المدرسة شيئًا؟ هل كانت هناك أية حوادث؟».

«لا، لا شيء يستحقّ الذكر. لكني لاحظت أنه غير متلائم مع محيطه. لاحظت أن الآخرين يكونون أحيانًا غير راغبين في وجوده معهم، أو أنهم يسخرون منه. لكني لا أرى في هذا شيئًا خطيرًا، إن كنت تدرك ما أعنيه. أي... لا عنف، ولا تنمّر دائمًا. لم أر شيئًا من هذا، أبدًا. ولا أظن أنه يحدث».

نظر إليَّ ودعَك ذقنه بيده. قال: «لا».

«لكنه... لا بأس... إنه فتى ممتلئ الجسم. هذا ما يقوله له الآخرون. وأيضًا لعل مهاراته في بعض ألعاب الكرة لا تعادل مهارة الآخرين. هذا ما يجعله يتجنّب هذه الألعاب، يعني هذا أنه يظل وحيدًا بعض الأحيان... يتدبّر أموره بمفرده».

«صحيح».

قلت: «لست أدري ما يتعين علينا فعله. لكنها مدرسة صغيرة جدًا. نحن لا نتكلّم على عدد كبير من التلاميذ. كل شيء مفتوح؛ وكل شيء مكشوف. كل من في المدرسة يعرف الآخرين عن ظهر قلب. لذا، لو كان ضحية تنمّر، لكان فِعلُ شيء في هذا الخصوص أمرًا سهلًا. أعني أنهم ليسوا أطفالًا لا

نعرفهم، ليسوا عصابات كبيرة أو أي شيء من هذا القبيل. لدينا سبيغ وريدار وإندره. هل تفهم ما أحاول قوله لك؟ لا يُعقل أن يكون الكلام معهم في هذا الأمر أمرًا مستحيلًا».

قال: «هذا صحيح».

أوه، إنه يثق بي. لقد كان يفكّر في ما قلته له. كان ما قلته مؤلمًا، كان مؤلمًا له فهو أب في الأربعينيات وأنا فتى في الثامنة عشرة... لذا، هل يجدر به أن يصغي إلى كلماتي هذه؟

تابعت كلامي: «في غرفة الصف، كل شيء يسير على ما يرام. قد تكون هناك ملاحظات أو عبارات عارضة، لكن الجميع هكذا، أكثر قليلًا أو أقل قليلًا. وإذا ظهر شيء أكثر خطورة، فإننا نتعامل معه على الفور. من هنا، أجد أن فترات الاستراحة هي ما يهمّنا. لعلنا نستطيع محاولة تنفيذ نشاطات تعجبه، نشاطات يستطيع أن يكون مشاركًا فيها، وأن نجعل الآخرين ينضمّون إليها! أستطيع أن أكلم هيغه في هذا الأمر، وعندها من الممكن أن نضع خطة. قد يكون الأمر بسيطًا، كأن نكلّم الأولاد الآخرين ونشرح لهم الوضع. لا أظنهم يعرفون كيف يكون شعوره».

قال: «أظنهم يعرفون. أظنهم يعرفون ذلك تمامًا. ما عادوا يأتون لكي يلعبوا معه. وقد صاروا يستبعدونه من ألعابهم».

قلت: «نعم. لكن، ليس لديَّ أي انطباع بأن في الأمر خبثًا من جانبهم، ولا أنهم يرون الأمر مهمًا. المسألة كلّها هي أن الأمور قد اتخذت هذا المجرى».

«ألن يزداد الأمر سوءًا إذا تحدّثت معهم؟».

«هذه مخاطرة لا بد لي من تقبّلها. من الواجب أن يكون تعاملنا مع الأمر حذرًا، ثم إنهم أطفال لطيفون، كلّهم. أظن بأن الأمور ستتخذ وجهة صحيحة».

سألني: «أتظن هذا حقًا؟».

أومأت برأسي، وقلت: «سأكلّم هيغّه يوم الاثنين، وسنحاول معًا أن نضع خطة عمل».

نهض واقفًا: «إذًا لن آخذ مزيدًا من وقتك».

قلت: «لا مشكلة في هذا».

«أشكرك جزيل الشكر». قال هذا، ثم صافحني.

قلت: «سيكون كل شيء على ما يرام».

ألقيت بنفسي على الأريكة بعد خروجه، واسترخيت. كانت غرفة الجلوس شديدة البرودة لأن النافذة لا تزال مفتوحة. تسللت من الخارج أصوات، فامتلأت الغرفة بها، أصوات جعلتها الظروف الجوية مشوهّة، فبدا كل شيء شديد القرب. كان صوت الأمواج على الشاطئ كأنه صوت أمواج تصفع جدران البيت. خطوات الناس على الطريق، وتكسّر الثلج الهش تحت أقدامهم، بدا كأنه آتٍ من لا مكان، حتى لكأن شبحًا يمر بالبيت ماضيًا صوب البحر. مرت في الطريق سيارة، فتردّد صوت محرّكها منبعثًا من الجدار الذي كنت مستلقيًا خلفه. ضحك أحدهم في مكان ما... ما أغرب هذا... قلت في نفسي إن الشياطين سارحةٌ على هواها هذه الليلة. الاضطراب الذي أحدثه والدُ جو في نفسي، والهوّة الفاصلة بين ثقته وخيانتي، كانت أشبه بألم يعتصر صدري. نهضت، وشغّلت شريط كاسيت، الشريط نفسه الذي لا أكاد أستمع إلى شريط غيره طيلة السنة، آخر إصدارات «لويد كول» و«كوموشنز». كان لديَّ إحساس بأن هذه الأغنيات ستظل تذكّرني بهذه الأجواء هنا. أشعلت سيجارة وأغلقت النافذة. ضغطت بجبهتي على زجاجها البارد. وبعد برهة، دخلت الغرفة الصغيرة الملاصقة لغرفة الجلوس، غرفة مكتبي الغاصّة بأكوام الكتب وبالأوراق. أشعلت النور وجلست إلى طاولتي.

لحظة وقعت عيناي على الورقة التي في الآلة الكاتبة، رأيت أن أحدًا قد كتب عليها شيئًا. سرَت برودة في جسدي. كان نصف الورقة الأول من كتابتي، ثم تأتي خمسة سطور لم أكتبها. قرأت تلك السطور.

أقحم غابرييل أصابعه في فرجها. تأوّهت ليزا، أوه، يا إلهي. أخرج

غابرييل أصابعه وتشمّمها. قال في نفسه، رائحة فرج! كانت ليزا تتلوّى من تحته. تجرع غابرييل قدح فودكا، ثم ابتسم ابتسامة عريضة، وفكَّ أزرار بنطلونه. أدخل قضيبه المنتصب في فرجها المتجعّد. صرخت متلذّذة. غابرييل... إنه فتاي!

هزَّني هذا حتى أعماقي. كدت أبكي. ظللت جالسًا هناك أحدق في تلك السطور الخمسة. كانت تقليدًا جيدًا متقنًا لأسلوب كتابتي. أعرف من فعل هذا. إنه تور إينار. عرفت الروح التي كُتبت بها هذه السطور، روح المزاح المنبعث عن نية حسنة. لقد «ضحك كثيرًا» عندما فعل هذا، ثم قرأه بصوت مرتفع حتى يسمعه نيلز إيريك الذي ضحك بدوره. ضحك ضحكته الأوستلاندية.

لم يكن القصد خبيثًا، لكني لم أستطع غفران فعلتهما هذه. لم أعد راغبًا في أية صلة بهما. لم أعد راغبًا في الكلام معهما إلّا في ما هو ضروري ضرورة تامة، العمل، والترتيبات، وأمور الحياة التي لا بد منها.

انتزعت الورقة من الآلة الكاتبة، ثم جعّدتها بين أصابعي وقذفت بها على الأرض. بعد ذلك، ارتديت ملابسي وخرجت في ظلام الليل. لا معنى لذهابي إلى القرية سائرًا في الطريق المُنارة لأنني سأكون مرئيًا وقد يكلمني أحدهم. بدلًا من ذلك، سلكت الدرب التي تبدأ بعد المنعطف، الدرب المسدودة بعد مسافة. تمر هذه الدرب بسفح جبل لطيف الانحدار، وفيها بيوت متناثرة. في آخرها كومة ثلج ضخمة. وخلف كومة الثلج لا شيء، ثلج فقط، وأشجار واطئة، وواجهة صخرية تمتد خمسين مترًا ثم ترتفع ارتفاعًا حادًا في الظلام. بلغ الثلج ما فوق ركبتيّ. كان المضي أكثر من هذا محاولة عقيمة، فاستدرت وعدت أدراجي مخوّضًا في الثلج العميق، ماضيًا صوب البحر. وقفت محدقًا في الماء الأسود وفي الأمواج المتدافعة صوب الشاطئ، موجة بعد موجة، من غير كبير عزم. كانت الأمواج كأنها صفعات صغيرة شاردة اللب.

اللعنة!

لم يكن ما عبثَ به نصًا فحسب. لو كان الأمر كذلك، لما ساءني أبدًا. كان شيئًا آخر، شيئًا أكثر من ذلك كثيرًا، شيئًا فيه روح، فيه روحي. كنت قادرًا على الإحساس بما فعله عندما عبث بذلك النص. عند النظر إلى الأمر من خارجه، يبدو مختلفًا عنه عند النظر إليه من الداخل. لعل هذا ما كان كامنًا في أعماق غضبي وقنوطي. ما كتبته كان لا قيمة له. يعني هذا أن لا قيمة لي أيضًا.

عدت من حيث جئت. عدت متتبعًا خطواتي. بلغت مفترق الطرق فوقفت غير عارف ما أفعله. أستطيع السير خمسمئة متر في هذه الطريق المفضية إلى المدرسة، أو أستطيع السير خمسمئة متر مثلها في تلك الطريق الأخرى المفضية إلى المدرسة أيضًا. ما من خيارات أخرى. كان المتجر مغلقًا، وكان البار مغلقًا. وإن كان هناك أحد يشرب في مكان من الأماكن، فأنا لا علم لي به. ما من أحد أعرفه معرفة جيدة تسمح لي بأن أزوره الآن. الاستثناءان الوحيدان هما نيلز إيريك وتور إينار اللذان لم أعد راغبًا في أية صلة معهما... وكذلك هيغّه التي لم أجد نفسي الآن راغبًا في زيارتها، فضلًا عن أنني غير قادر على زيارتها لأن زوجها المنفتح تجاهي دائمًا انفتاحًا استثنائيًا، لكنه غيور غيرة تعمي قلبه، كان في البيت. فوق هذا، لم يكن جلوسي في البيت لكي أقرأ وأستمع إلى التسجيلات خيارًا مقبولًا. رأيت النور يضيء في نافذة غرفة الجلوس فعلمت أن نيلز إيريك هناك.

لكني لا أستطيع البقاء أكثر واقفًا هنا تحت مصباح الشارع، لأن من الممكن أن يكون خلف إحدى النوافذ من يراقبني ويتساءل عما أفعله.

تحرّكت بخطوات بطيئة. بلغت البيت، ففتحت الباب بحذر، وخلعت معطفي بكل هدوء. هممت بالتسلل إلى الأعلى بأسرع ما استطعت، لكن باب الممر انفتح وظهر نيلز إيريك.

نظر إليَّ، وقال: «مرحبًا! أكلنا موليبيه في بيت جدة تور إينار. يؤسفني أنك لم تكن معنا! أكلة لذيذة جدًا... سمك القدّ مع الكبد والبصل وبيوض الأسماك».

قلت متفاديًا النظر في عينيه: «أنا ذاهب إلى الفراش. تصبح على خير».
قال: «أتنام منذ الآن؟».

لم أجبه. فتحت باب غرفتي، ودخلت، ثم استلقيت على فراشي في الظلام، استلقيت مرتديًا ملابسي كلها. رقدت محدقًا في السقف. سمعت نيلز إيريك يغسل الأطباق في المطبخ. كان صوت الراديو مسموعًا. ومن وقت إلى آخر، ترافقه دندنة. لم أستطع سماع الدندنة، لكني صرت أعرف أنه يدندن مع الموسيقى لأنني أعيش معه في بيت واحد منذ شهرين.

تعلو دندنته بطيئًا إلى أن تصير غناء من القلب. مرَّت بالبيت سيارة. صوت الستيريو فيها مرتفع إلى أقصى حد. صارت نبضات الإيقاع خافتة، ثم ازدادت خفوتًا عندما مضت السيارة في الطريق الصاعدة وسارت فيها حتى آخرها، ثم علا صوت الإيقاع من جديد إلى أن صار خلف الجدار الذي كنت راقدًا إلى جواره.

نظرت إلى ساعتي. الثامنة إلا بضع دقائق.

بحق الجحيم... ماذا أفعل الآن؟ الطرق الخارجة من هنا مغلقة كلها.

وأنا عالق في هذا المكان.

أمضيت ساعة كاملة مستلقيًا في الظلمة من غير أية حركة. ثم ابتلعت كبريائي ونزلت إلى غرفة الجلوس حيث كان نيلز إيريك جالسًا يقرأ.

قلت له: «هل أجد لديك زجاجة نبيذ أحمر؟».

رفع رأسه ناظرًا إليَّ، وقال، «لدي زجاجة نبيذ أحمر، لماذا؟».

قلت: «هل أستطيع أن آخذها؟ سأشتري لك واحدة غيرها في هذا الأسبوع».

قال: «نعم، لا مشكلة. هل أنت خارج أم ماذا؟».

هززت رأسي وأتيت بالزجاجة ففتحتها، وصعدت عائدًا إلى غرفتي. أبصرت لمحة سعادة عندما بدأت أشرب. لقد خانني. وأنا مكتئب الآن... نعم... إن في داخلي اكتئابًا قاتمًا. لكني جالس وحدي، أشرب.

أنا كاتب.

لا يستطيعان قول هذا عن نفسَيْهما. إنهما لا شيء.

أتيت على الزجاجة كلها في عشر دقائق فقط. غام ذهني كأن ضبابًا قد انساب في جمجمتي. نزلت إلى الأسفل متجاهلًا نيلز إيريك. فتحت باب غرفة مكتبي. دخلت الغرفة. أغلقت الباب من خلفي. شغلت الآلة الكاتبة. جلست خلف الطاولة وبدأت أكتب. لم تمضِ إلا دقائق قليلة حتى أحسست معدتي تتمزّق إربًا. اندفعت إلى الباب، لكنه مقفل! أكاد أتقيأ. بلغ القيء حلقومي. نظرت من حولي... علبة، دلو، زاوية، أي شيء. لم أجد شيئًا. انفتح فمي واندفع منه شلال من سائل قرمزي ملأ الغرفة كلها.

سقطت على الأرض. تقلصت معدتي تقلّصات عنيفة. دفق جديد من النبيذ والنقانق خرج من فمي. أنّيت. تقلّصت معدتي من جديد، لكنها صارت الآن خالية ولم يعد فيها شيء غير ألم تقلصاتها واختلاجاتها وقليل من مخاط كثيف خرج عندما سعلت.

أوووووه.

بقيت دقائق طويلة جالسًا على الأرض مستمتعًا بالسكينة التي حلّت في أحشائي. لم أبال بأن القيء لوَّث كتبي وأوراقي.

سمعت نقرًا على الباب. تحرّك مقبض الباب عدة مرات، نزولًا وصعودًا.

قال نيلز إيريك: «ماذا تفعل هنا؟».

قلت: «لا شيء».

«ماذا قلت؟ هل أنت مريض؟ هل أنت في حاجة إلى مساعدة؟».

« لست في حاجة إلى أية مساعدة منك... أنت، أيها الغبي اللعين».

«ماذا قلت؟».

أجبته بصوت مرتفع: «لا شيء! لا مشكلة لدي!».

«لا بأس. لا بأس».

تخيلته يرفع يديه عجبًا وينظر إلى الباب المغلق، ثم يمضي عائدًا إلى الأريكة. ملأت رائحة القيء الغرفة. تأملت لحظة في السبب الذي يجعل رائحة المفرزات الداخلية في جسم الإنسان واخزة إلى هذا الحد، في حين

لا تكون رائحة برازه واخزة هكذا؟ أيمكن أن تكون للأمر علاقة بواحدة من عادات إنسان نياندرتال عندما كان يتغوط في الغابة حتى يعلّم حدود منطقته، إذ لا يستطيع القيء أداء هذه المهمة فهو ليس أكثر من فعل انعكاسي من أجل التخلّص من الطعام الفاسد، وهذا ما يجعل رائحته واخزة إلى هذا الحد.

نهضت، فوقفت على قدميّ مترنحًا. فتحت النافذة وثبّتّها بالخطاف. لم أستطع حمل نفسي على تنظيف المكان من القيء. قلت في نفسي إن على هذه المهمة أن تنتظر حتى الغد. فتحت الباب وذهبت إلى الصالة من غير أن أنظر إلى نيلز إيريك. صعدت السلم ودخلت غرفتي حيث خلعت ملابسي واندسست تحت اللحاف. نمت مثلما ينام كلب.

واصلت تحاشيهما طيلة ما بقي من ذلك الأسبوع، ثم يومًا واحدًا بعد ذلك، ثم ضعفت. كانا ذاهبين إلى المدرسة مساء ذلك اليوم لكي يسبحا هناك، فانضممت إليهما. لم تكن فرحتي بالذهاب معهما كبيرة، لكني لم أعد غاضبًا جدًا.

لم أتكلم كثيرًا عندما كنا نسبح في البركة جيئة وذهابًا. تركتهما يدخلان حجرة الساونا قبلي، تركتهما جالسَيْن هناك وحدهما قبل أن أخرج من الماء، وأقف هناك محاولًا سماع ما يقولان. كنت أعرف أنهما يتكلّمان عني. وأنهما يسخران مني. كان هذا واضحًا لأنهما يمضيان معًا وقتًا طويلًا، ولأنهما يسخران مما أفعله... ينفقان في ذلك وقتًا طويلًا.

لكن حجرة الساونا كانت صامتة ففتحت بابها بعد برهة وانضممت إليهما. جلست في الزاوية على الدرجة العلوية، وأسندت ظهري إلى الجدار أنظر إلى جسديهما الأبيضين اللامعين عرقًا. نيلز إيريك منحنٍ إلى الأمام وتور إينار مستند إلى المقعد الذي خلفه. كان وجه نيلز إيريك يتحرّك دائمًا... يتكلم، أو يبتسم، أو يضحك، أو يكشّر. لكنه الآن ساكن تمامًا. بدا لي وجهًا خشبيًا كأن صاحبه بينوكيو حقيقي، كأنه قطعة خشب منحوتة نفخَ ساحرٌ فيها روحًا.

أظنه انتبه إلى نظرتي إليه لأنه ابتسم والتفت صوبي.

«رأيت اليوم شيئًا أظنّه يثير اهتمامك، يا كارل أوفه. إنه إعلان في صحيفة داغ بلادت، إعلان عن مدرسة للكتابة. إنها في بيرغن».

«أوه، نعم». قلتها بنبرة ضجرة إلى أقصى حد استطعته. لا أظنه يعتقد بأنني سأستجيب إلى لفتة الاسترضاء المكشوفة هذه!

قرّروا في المدرسة تكليفي بالاهتمام بالتلميذين الأكثر شغبًا لدينا، ستيّان وإيفار. عليّ الجلوس معهما بضع مرات كل أسبوع كي أعلمهما العزف على آلة موسيقية. استعرنا بضع آلات من الفرقة الموسيقية في القرية، فرقة «أوتوبايلوت». صرنا نذهب كل ثلاثاء إلى المركز الاجتماعي ونشغّل مضخمات الصوت ونعزف الأغنيات القليلة التي أعرفها، نعزفها تباعًا على هذه الآلة، ثم تلك، ثم تلك. كان إيفار عازف «bass»؛ وكان لا أمل منه أبدًا. لكني طلبت منه أن يكرر عزف النغمة نفسها وهو ينظر إليّ. وعندما أومئ له برأسي، يكون عليه أن ينتقل إلى نغمة أخرى كان يتمرن عليها. وكان ستيّان عازف إيقاع أفضل من صاحبه، لكنه لا ينتبه إلى التعليمات... كان أكثر اعتزازًا بنفسه من أن ينقاد لأية أوامر. وكنت أرافقهما على الجيتار. ثلاث أغنيات فقط كنا قادرين على أدائها: «سموك أون ذي ووتر»، و«بارانويد»، و«بلاك ماجيك ومن». لقد اعتدت أداء هذه الأغنيات الثلاث على هذه الآلات. كنت أفعل ذلك مع يان فيدار، فصار عزفها جزءًا من طبيعتي، ولم يكن لصوت بشري يضاف إلى هذا الأداء المجلجل العاجز الخالي من أية موهبة إلا أن يجعل الأمر أكثر سوءًا. كنا نقف على المنصة ونعزف أمام قاعة المركز الاجتماعي الضخمة الخالية. كان ستيّان وإيفار شديدَي الحرص على اتخاذ وضعيات غريبة أثناء العزف. ومع اقتراب نهاية واحد من دروسنا تلك، فتح الباب تلميذ في السنة الرابعة، ووقف ينظر إلينا بعينين تتسعان دهشةً. حاول ستيّان وإيفار إخفاء اعتزازهما بنفسيهما عن طريق البصاق على الأرض والتظاهر بأن الأمر كله لا يعنيهما كثيرًا.

غضبت إيفا مني أثناء اجتماع في المدرسة عقدناه بعد بضعة أيام من

ذلك. لقد سُمح لنا باستخدام المعدات الخاصة بالفرقة التي يعزف ابنها معها؛ لكننا لم نتعامل مع تلك المعدات بالحرص الواجب: انقطع واحد من الأوتار، ولم يُستبدَل. انكسرت عصا الإيقاع ولم تستبدَل. قالت إيفا إن الفرقة قد ضاقت ذرعًا بنا. ومن غير أن تتوقّف لحظة واحدة، انتقلت إلى البند التالي على جدول أعمال الاجتماع، بند كان خاصًا بموقف تلاميذ الصف السابع من العمل... لم تعد قادرة على الكلام معهم، وما عادوا يصغون إليها. أخبروها أن كارل أوفه قال لهم كلامًا مختلفًا جدًا. اشتكت أيضًا من أنها طلبت مني توبيخهم، فقلت لها إنني سأفعل ذلك. لكني لم أفعل شيئًا؛ وإن فعلت شيئًا، فهي لم تلمس أثره أبدًا... هكذا قالت.

قلت إنني لا أعاني في صفي من أية مشكلات متعلّقة بالانضباط، لكني سأتابع الأمر معهم. قالت إن هذه هي المشكلة بالضبط: أقول إنني «سوف أتابع الأمر معهم»، لكني لا أتعامل مع الموضوع تعاملًا جادًّا؛ وهم يلاحظون هذا. في ما مضى، لم تظهر أية مشكلات في الصف السابع فقد كانوا لامعين دائمًا، مجدّين في عملهم. لكنهم صاروا الآن وقحين، وصاروا كسالى.

نظرت إليها وقلت: «لا أرى هذا في دروسي معهم».

كانت غاضبة غضبًا شديدًا جعلها ترتجف كلها.

تدخّل ريتشارد وقال إن كلًا منا محق، لكن عليّ أن أوضح لهم تمامًا أن هذا السلوك غير مقبول، وأنه سيجرّ عليهم عواقب وخيمة إن ظلوا على حالهم. قلت، لا بأس، سأفعل هذا! وعند انتهاء الاجتماع، وقفت في ردهة المدخل أرتدي معطفي، فقالت لي إيفا إن غريتّه تتساءل عما حدث لمفارش السرير التي أعارتني إياها في شهر آب... فهل أظن أنني أُعطيت تلك المفارش إلى الأبد؟

أوه، بحق الرب!... ألن تكفّ عن هذا؟

قلت لها: «لا، على الإطلاق. المفارش موجودة عندي. أستطيع إعادتها يوم غد. هذه ليست مشكلة أبدًا».

ينشغل الناس بتوافه الأمور أشد الانشغال، ويبحثون ويبحثون إلى أن

يعثروا على شيء من الأشياء فينصبّ اهتمامهم كله على التفاصيل الثانوية بدلًا من بقاء عيونهم على الصورة الكبيرة... هكذا نحن جميعًا، نحن بني البشر على هذه الأرض. لسنا باقين هنا إلا زمنًا قصيرًا وسط هذه الخليقة الرائعة كلها، وسط الأشجار والأعشاب والسناجب والقطط والأسماك والبحار، تحت سماء ملؤها النجوم. فلماذا يهتم المرء كثيرًا بوتر جيتار مقطوع؟ لماذا يهتم كثيرًا بعصا الإيقاع المكسورة؟ لماذا يهتم بمفارش سرير تافهة لم تتم إعادتها؟ ما الأمر؟ ماذا بكم، يا ناس؟

كانت عصا الإيقاع المكسورة أمرًا من أتفه الأمور في نظري. أهذا ما نناقشه هنا؟ أليس من الأجدر أن نناقش النتائج التي حقّقتها مع ستيّان وإيفار؟

لماذا نختار الصورة الصغيرة مع أن الصورة الكبيرة موجودة أمامنا؟

كنت أكره الصورة الصغيرة، ولم أكن أجيد التعامل مع التوافه... عليَّ أن أعترف بهذا. جرت إحالة أقساط جهاز الستيريو إلى شركة لتحصيل الديون. وذهبت إلى المحكمة قضية البدلة الرسمية التي استأجرتها قبل سنة من الآن لأني لم أرجعها، ثم تلفت -البدلة التي مزقت الألعاب النارية ساق بنطلونها- وتلقيت أمرًا بأن أدفع ثمن تلك البدلة فضلًا عن تسديد غرامة كبيرة لأنني لم أمثل أمام المحكمة! غرامة بسبب عدم المثول أمام المحكمة! ماذا يظنون؟ أيظنون أنني سأسافر بالطائرة إلى جنوب النرويج من أجل تلك البدلة؟

لكن الأمر كان هكذا: الحياة اليومية بكل ما فيها من متطلبات وواجبات صغيرة تافهة لا نهاية لها، وأحاديث تافهة، وترتيبات تافهة تحاصرنا وتحيط بنا كأنها سور من حولنا. كنت أعيش هذه الحياة، لكن ليس عندما أشرب. عندما أشرب تصير الفضاءات من حولي مفتوحة كلها، ويصير كل شيء كبيرًا. صحيح أن الثمن مرتفع، والذعر الذي يلي ذلك كبير، لكنني أدفع الثمن دائمًا، ثم لا ينقضي يوم أو يومان قبل أن تعروني رغبة شديدة في إلقاء نفسي في الشرب من جديد مزدريًا ما يقوله الناس.

ذات ليلة، خرجت لكي أشرب في مركز اجتماعي يقع في الناحية الأخرى من الجزيرة. عدت فوجدت نيلز إيريك ساهرًا في البيت، منتظرًا عودتي.

قال لي: «إن لك عدوًا».

قلت: «أوه، من؟». كنت واقفًا بالباب، ثملًا، مرهقًا.

«ذهبت إلى سريري بعد خروجك، ثم استيقظت فوجدت شخصًا جالسًا على فراشي. إنه فيدار. أراد أن يعرف مكانك. كانت في حجره بندقية».

قلت: «أنت تمزح! لا تقل لي كلامًا فارغًا!».

«إنها الحقيقة. لو كنت مكانك، لأقفلت باب غرفتي. وبعد ذلك، أعثر على هيغه وأخبرها بالأمر».

«ولكن، لم يحدث أي شيء بيننا».

«هو لا يعرف هذا. إنها تأتي إليك ليلًا مرتين في الأسبوع، أو أكثر من ذلك. هذا وقت طويل يمضيه المرء مع شخص من الأشخاص».

«بحق الرب... لست مهتمًا بها أدنى اهتمام!».

«الأمر خطير. كانت معه بندقية. وأنا لست مازحًا».

لم أشعر بالخوف حتى اليوم التالي. من الممكن أن أصادفه في أية لحظة... هكذا كان إحساسي. أقفلت باب غرفتي تلك الليلة. وفي الصباح التالي، كان أول ما فعلته هو أن ذهبت لزيارة هيغه وأخبرتها ما جرى.

قالت: «لقد فقد صوابه. لن يفعل هذا مرة أخرى. هل أصابك الذعر؟».

«أنا؟ لا. بل إنني لم أكن هناك أصلًا. لكن نيلز إيريك كان في البيت».

«الأمر كله غباء في غباء. ما كان ليستخدم تلك البندقية أبدًا. أنت تعرف هذا. أراد فقط أن يجعلك تخاف خوفًا شديدًا».

«لماذا؟ ألأنني أتحدث معك؟».

أومأت برأسها.

بدأت أتطلّع إلى وصف ما جرى في الرسالة التي كنت أكتبها إلى شخص ممن أراسلهم. كان أمرًا جنونيًا، وكان فيه ما يداعب غروري. أعيش

في مكان يدخل الناس فيه بيتك حاملين بندقية؛ وأنا شخص له من الأهمية هنا ما يكفي لجعله هدفًا لهذا.

بقيت متوترًا عدة أيام تلت ذلك... ربما ليس لأنني توقّعت أن تُطلق النار علي، بل لأن تخيل احتمال أن يضربني، إن سنحت له فرصة، كانت احتمالًا غير سارٍ أبدًا.

هل كانت لديه بندقية حقًا؟ هذا ما أتذكّره. لكن، أيمكن أن يكون هذا صحيحًا؟

تحدث في الشمال أمور غير متوقّعة، أمور كان من شأنها -قبل سنة واحدة فقط-، أن تبدو لي شديدة الغرابة، بل حتى مستحيلة. وبعد سنة واحدة فقط، عادت تلك الأمور تبدو لي ذات طبيعة مستحيلة، شديدة الغرابة، مع أنها كانت عادية تمامًا عندما عشت هناك.

كان نيلز إيريك قد جلب معدات الغطس عندما عاد من موطنه بعد عطلة عيد الميلاد. سوف يذهب إلى الميناء في الربيع مرتديًا بدلة الغطس، ويضع قناع الوجه وزعانف السباحة وأسطوانة الأوكسجين، ثم يجلس على حافة الرصيف حاملًا بندقية صيد الأسماك، فيغطس في الماء الصافي الشفاف ويصير صورة شبحية مترقرقة تبتعد شيئًا فشيئًا إلى أن تختفي؛ ثم لا يلبث أن يظهر بعد عشر دقائق وفي رأس حربته سمكة، يطهوها للعشاء.

هل حدث هذا؟ هل كانت لديه معدات غطس؟

هل اصطاد سمكة من أجل العشاء بعد انتهاء المدرسة؟

لم أعد إلى ذلك المكان أبدًا، لكني أرى هذا في منامي، أرى هذه الكوابيس بعض الأحيان، كوابيس مخيفة حقًا أرى فيها نفسي عائدًا إلى القرية من جديد بعد هذه السنين كلّها... ولا أرى شيئًا آخر. لكن هذا سيئ بما فيه الكفاية!

فلماذا؟

هل وقعت هناك حوادث مخيفة؟ هل فعلت شيئًا ما كان ينبغي لي فعله؟

هل فعلت شيئًا فظيعًا؟... أعني شيئًا يتجاوز تجولي ثملًا في الليل، فاقدًا أية سيطرة على نفسي؟

كتبت ذات مرة رواية تجري حوادثها هناك. كتبتها مندفعًا من غير أن أعيد النظر في أي شيء. لم أُلقِ بالًا إلى العلاقة بين الخيال والواقع، لأن عالمًا انفتح أمامي عندما جلست للكتابة، عالمًا صار كل شيء في نظري، ثم ظل كذلك حينًا من الزمن. كانت رواية مؤلفة من وصف للناس الحقيقيين، وللمباني الحقيقية، لأن المدرسة في الرواية هي المدرسة مثلما كانت عندما عملت هناك. وكان في الكتاب أيضًا أشخاص متخيَّلون ومبانٍ متخيلة. لم أسأل نفسي كيف سيستقبل الناس هذه الرواية هناك، في الشمال، إلا بعد أن كتبتها ونشرتها. كيف سيراها أولئك الناس الذين وصفتهم، الناس القادرون على رؤية ما هو حقيقي وما هو ليس حقيقيًا. كنت أستلقي في الليل مذعورًا. لم آت بهذه القصة من الهواء. على العكس تمامًا... لقد كانت موجودة في ذلك الهواء! عملت في الشمال معلّمًا سنة واحدة؛ وعندما كنت أتمكّن أحيانًا من الاستمتاع بفكرة أنني ذاهب إلى عملي في الصباح، كان ذلك لأنها هناك.

أندريا.

هي نظرةٌ، ويدٌ تسند إليها جبهتها، وقدمٌ صغيرة تتأرجح صاعدة هابطة. طفلة كانت امرأة وكانت طفلة يعجبني كثيرًا أن أكون معها في غرفة واحدة.

هكذا كان الأمر خلال الشهور التي كان نهارها ليلًا؛ وهكذا كان الأمر عندما صار الضياء ينير الغرفة في الصباحات، نور بارد مرتجف أول الأمر، ثم صار كلّه دفئًا... تغيُّرٌ بطيءٌ، غير محسوس. اختفى الثلج من الطريق. وتضاءل حجم أكوامه الضخمة. بدأت مساحات من الحصى تظهر في ملعب كرة القدم. ومن أعالي البيوت وكل سطح مرتفع عن الأرض، بدأ الماء يقطر ويسيل مخرخرًا.

كان ذلك أيضًا كأن الضياء بدأ يعلو في الناس الذين يعيشون هناك. جو من البهجة والترقب... في كل مكان.

في أحد الدروس، قدّمت إليّ أندريا وفيفيان «شهادة». لقد اختاروني المعلم «الأكثر إثارة» في المدرسة. علّقت تلك الشهادة على جدار غرفة الصف، قائلًا إن المنافسة لم تكن شديدة. قلت إن هذا ما أظنه.

ضحك الجميع.

وبعد بضعة أيام، تحت الشمس المشعّة وسط سماء زرقاء لا آخر لها، طلبت من التلاميذ أن يخرجوا ويكتبوا عما يرونه. في وسعهم الذهاب إلى حيث يشاؤون وكتابة ما يحلو لهم. الشرط الوحيد أن يكتبوا ما يرونه على ألّا يقل ذلك عن صفحتين اثنتين.

نزل بعضهم إلى المتجر، وجلس آخرون عند جدار المدرسة مستمتعين بالشمس. خرجت فوقفت خلف المدرسة، ودخّنت سيجارة. نظرت إلى ملعب كرة القدم الذي صار الآن شبه خالٍ من الشمس. نظرت إلى الفيورد المتلألئ. جُلت على التلاميذ أتفقَّد ما يكتبون. كانوا يرفعون رؤوسهم وقد ضاقت عيونهم تحت وهج الشمس.

قالت لي أندريا: «الأمور حسنة. لا أجد أية مشكلة».

قالت فيفيان: «وهنا يأتي كارل أوفه».

قالتها ببطء حتى أفهم ما كان يكتبه قلمها المتحرّك على صفحة دفترها... «إنه مثير حقًا».

أشاحت أندريا بوجهها عندما قالت فيفيان ذلك.

أضافت فيفيان: «على أية حال، هذا ما تراه أندريا».

قالت أندريا: «لا تكوني سخيفة هكذا!».

نظرت الاثنتان إليّ وابتسمتا. لقد ربطت كل منهما سترتها من حول خصرها. كانتا جالستين ترتديان التي شيرت. أذرعهما عارية.

غمرتني المشاعر نفسها التي اعتادت أن تفعم روحي عندما كنت في الصف السابع، مثلهما... عندما كنا نجري خلف الفتيات ونمسك بهنَّ ونرفع قمصانهن ونداعب أثداءهن. كانت الفتيات تصرخن عند ذلك، لكنهن لا تصرخن أبدًا بصوت مرتفع إلى حد يجعل المعلمين يسمعونهنّ.

غمرتني تلك المشاعر نفسها. لكن كل شيء آخر كان مختلفًا: لست في الثالثة عشرة. أنا في الثامنة عشرة. لست زميلهنّ في الصف، بل معلمهنّ.

وبطبيعة الحال، لم تكن الفتاتان قادرتين على رؤية مشاعري. لم تكونا قادرتين على رؤية أي شيء مما يعتمل داخلي. كنت معلّمهما الشاب... فابتسمت لهما.

قلت: «سوف أقرأ ما تكتبانه لكي يسمعه الآخرون في الصف. لذا، أظن من الأفضل أن تختارا كلماتكما بمزيد من الحصافة».

قالت فيفيان: «حصافة! ما معنى هذه الكلمة؟».

قلت لها: «ابحثي عنها في القاموس عندما تعودين إلى الصف».

قالت أندريا: «هذا ما تقوله لنا دائمًا. لا بد لنا من البحث عن الكلمة. ابحثي عن معنى الكلمة! ابحثي عن معنى الكلمة! ألا تستطيع أن تقول لنا معناها؟».

قالت فيفيان: «هو نفسه لا يعرف معناها».

قلت: «بقيت لديكما خمس دقائق فقط، وبعد ذلك نعود إلى غرفة الصف».

سرت صوب مدخل المدرسة، فسمعتهما تضحكان من خلفي. مشاعري نحوهما دافئة... لا، ليس نحوهما فقط، بل نحو التلاميذ جميعًا ونحو كل من في القرية. الحقيقة أنني أحسست تلك المشاعر الدافئة في قلبي متّجهة إلى البشر جميعًا، إلى كل من في العالم.

هكذا كان ذلك اليوم!

مضت إحدى عشرة سنة بعد ذلك. كنت جالسًا في غرفة المكتب في شقتنا الأولى في بيرغن أردّ على الإيميلات عندما رُن جرس الهاتف.

قلت في السماعة: «مرحبًا، أنا كارل أوفه».

«مرحبًا. أنا فيفيان».

«فيفيان!؟».

لحظة قالت اسمها، صار كل ما في داخلي باردًا، داكنًا.

«نعم. ألا تتذكرني؟ لقد كنت معلمنا».

لم تكن في صوتها أبدًا أية نبرة اتهام. دعكت يدي المتعرقة على فخذي.

قلت: «أتذكرك، بالطبع. ما أخبارك؟».

«ممتازة! أنا هنا مع أندريا. قرأنا عنك في الصحيفة؛ ثم اكتشفنا أنك ستقرأ شيئًا من كتاباتك في أمسية في ترومسِه. لذا، قلنا إن من الممكن أن نلتقيك هناك».

قلت: «بالتأكيد، سيكون هذا شيئًا لطيفًا».

«لقد قرأنا كتابك. إنه عظيم».

«هل تظنين هذا فعلًا؟».

«نعم! هذا رأي إندريا أيضًا».

حتى أتفادى المضي في تفاصيل ما هو في الكتاب، وحتى أنهي تلك المناقشة في مهدها، سألتها عما تفعلانه الآن.

«أعمل في مصنع تعليب الأسماك في القرية. ما من مفاجآت كبيرة هناك. وتدرس أندريا في ترومسِه».

قلت: «جيّد. أحب كثيرًا أن أراكما من جديد. هل نتفق الآن على مكان لقائنا وتوقيته؟».

اقترحت فيفيان أن نلتقي في مقهى قريب من المكان الذي سأقرأ فيه، على أن يكون اللقاء قبل بضع ساعات من بداية الأمسية. قلت لها، هذا جيد، إلى اللقاء؛ ثم أغلقت الهاتف. وبعد بضعة أسابيع، ورأيتهما في المقهى جالستَيْن في آخر الصالة. ضحكتا عندما نظرتا إليّ وقالتا إنني لم أتغيّر أبدًا. قلت، لكنكما تغيرتما! الحقيقة أنهما تغيرتا تغيُّرًا واضحًا. صحيح أن وجهيهما ظلا مثلما كانا، وظل سلوكهما على حاله، لكنهما صارتا الآن ناضجتين واختفت منهما ملامح العمر الانتقالي الذي كانتا فيه آنذاك. الآن، صارت كفة المرأة فيهما راجحة تمامًا.

خلعت معطفي، ثم ذهبت إلى طاولة البيع وطلبت قهوة. كنت متوترًا

فقد قرأت الفتاتان الرواية، ومن المحتمل كثيرًا أن تكونا قد تعرّفتا فيها على نفسيهما. قررت أن أواجه الأمر مواجهة مباشرة. جلست، وأشعلت سيجارة. قلت، إذًا فقد قرأتما الرواية. قالت كلتاهما، نعم، وأومأتا برأسيهما. قلت، لم أكن أكتب عنكم... أنتما تدركان هذا... لكني واثق من أن هناك تشابهات كثيرة. قالت أندريا، بل تشابهات كثيرة جدًا؛ لكن عليك ألا تقلق لهذا الأمر فالرواية طريفة فعلًا. هذا كل شيء.

أخبرتاني عن كل ما جرى في القرية منذ أن كنت هناك. ما جرى قليل جدًا. كان أهم ما جرى فضيحة جنسية في المدرسة أفضت إلى محاكمة، وإلى حبس. انقسمت القرية إلى معسكرين اثنين. في ما عدا هذا، كان أكثر المعلمين باقيًا في المدرسة. كثيرًا ما تلتقي فيفيان الناس الذين كانت تعرفهم تلك الأيام، وبطبيعة الحال، تلتقي الصيادين الذين كانوا في مثل سني، آنذاك. تعيش أندريا في ترومسِه لأنها طالبة هناك؛ وتذهب إلى القرية في العطلات، وكذلك في بعض عطلات نهاية الأسبوع.

تعاملت معهما كأنهما لا تزالان في الثالثة عشرة، فالقالب جاهز مسبقًا ولست قادرًا على تغييره. وعندما خرجت بعد ساعة من ذلك، فاجأتني حقيقة أن سلوكي كان غبيًا جدًا، في ما يتعلق بأندريا خاصة.

ذهبتا واستمعتا إلى قراءتي، وإلى المناقشات التي تلت ذلك، ثم جاءتا إليّ في نهاية الأمسية وودعتاني. خرجت برفقة تورِه الذي قدَّمْت القراءات معه؛ وخرج معنا بضعة أشخاص آخرين. شربنا طيلة الأمسية. رأيت أندريا في وقت لاحق من تلك الليلة. كانت تقف مع شخص في صف انتظار سيارات التاكسي. كان يقف خلفها. وكانت يداها ممتدتان إلى الخلف في حين كان يقبل رقبتها ويداعب ثدييها. غمرني عند ذلك إحساس بالفشل يكاد يكون يائسًا، فاجتزت الشارع إلى الرصيف الآخر. لم ترَني؛ أو لعلها تظاهرت بأنها لم ترني. قلت في نفسي إنه كان ممكنًا أن أكون معها الآن لو أنني لعبت أوراقي بطريقة صحيحة. لكني كنت متزوجًا، ولم أكن ألعب لعبة. لذا، لم أتابع تلك الفكرة في رأسي مع أنها بقيت طيلة شهور أعقبت

ذلك، بل بقيت طيلة سنين كثيرة: كان عليّ، على الأقل، أن أحاول إبعادها عن ذهني.

سافرت جنوبًا في عطلة عيد الفصح بعد أسبوعين اثنين من جلوس فيدار على حافة فراش نيلز إيريك حاملًا بندقيته، وسؤاله له عن مكاني. كانت أمي في انتظاري عند الرصيف في لافيك. وعندما وصلت، رأيتها مرهقة. لقد عملت كثيرًا تلك السنة، فضلًا عن رعايتها أبيها وأمها في سوربوفاغ خارج أوقات عملها. كنا نمضي اليوم كله في تبادل الأحاديث. هي من يطهو الطعام دائمًا؛ وأكون خلال ذلك مستلقيًا على الأريكة أقرأ شيئًا، أو أذهب إلى المول في فوردِه للتسوق. وفي الأمسيات، نجلس ونتابع التلفزيون.

أخبرتني أن يون أولاف كان في البلدة أيضًا. اتصلت به واتفقنا على أن نلتقي في فورده الليلة التالية. لقد نشأ في بلدة داله الواقعة على مبعدة ساعة واحدة بالسيارة. كان في الديسكو الذي ذهبنا إليه أشخاص كثيرون يعرفهم.

شربت بيرة وتحدّثت معه. بعد ابتعادي عن التحفّظ الذي صرت أراه سمة لحياتي في هافيورد، أحسست بأن كل شيء قد صار أكثر بساطة، وأكثر يسرًا. قلت له إنني أفكر في الالتحاق بدورة للكتابة في «أكاديمية الإبداع» في هوردالاند. اتضح لي أنه لم يسمع بها، مع أنها في بيرغن، أي حيث يدرس. لكن الدورة كانت جديدة، وكانت دفعة هذه السنة أول دفعة من الملتحقين بها.

قال لي: «إذًا، من هم المعلمون في الدورة؟».

«لم أسمع بأسمائهم قبل الآن. أظنّهم من كتّاب فيستلاند المغمورين. راغنار هوفلاند، ويون فوسّه، ورولف ساغن. هل سمعت بأي منهم؟».

هز يون أولاف رأسه.

قلت: «أظنه من سوء التدبير أن تكون الدورة محلية إلى هذه الدرجة. لكنها سنة واحدة تستطيع بعدها أن تحصل على قرض دراسي. هكذا، على الأقل، أكون قادرًا على التفرغ سنة كاملة للكتابة وحدها».

قال: «قلت في رسالتك الأخيرة إنك ستذهب إلى غولدسميثز في لندن».

أومأت برأسي: «سوف أتقدم من أجل الالتحاق بتلك الدراسة أيضًا. لقد أرسل لي إنغفه عنوانهم فأرسلت في طلب أوراق التسجيل لديهم».

كانت عينا يون أولاف تبحثان في الديسكو الذي كان غاصًّا بالناس. إنه أول يوم يعمل فيه هذا المكان بعد عطلة نهاية الأسبوع.

قال لي: «سأغيب دقيقة واحدة فقط».

قلت: «لن أتحرّك من مكاني».

مسرّةٌ كبيرة أن أكون في مكان لا يعرفني فيه أحد!

أحسست بالكحول يصعد إلى رأسي. دخنت بضع سجائر، وحدقت في بعض الفتيات. استرخيت تمامًا فكان هذا تغيرًا واضحًا.

عاد يون أولاف بعد ساعة، فوجدني جالسًا إلى الطاولة على الكرسي نفسه، بل حتى في الوضعية نفسها: مرفقي على طاولة البار، وذقني مستندة إلى كف يدي.

قال: «التقيت بعضًا ممن كانوا من زملائي في المدرسة الثانوية. إننا جالسون هناك. تعال واجلس معنا».

أزحت الكرسي ثم سرت خلفه. توقّف عند طاولة في الناحية الأخرى من الصالة، على مقربة من باب الخروج.

قال لهم: «هذا ابن خالتي، كارل أوفه».

نظر إليَّ الجالسون من حول الطاولة نظرة غير مكترثة، وأومأوا برؤوسهم.

رأيت فتاة تجلس بينهم. كانت تحدّث شخصًا يجلس إلى الناحية الأخرى من الطاولة فلم ترَني. ضحكتْ وانحنت إلى الأمام مسندة راحتي يديها إلى الطاولة. لون جلدها شاحب، وخصلة شعر داكنة متدلية فوق عينيها. لكن ما جعلني أنظر إليها ليس ذلك، بل عيناها! عينان زرقاوان يراهما المرء أول الأمر مرِحَتين ضاحكتين، لكنهما تنقلبان جادتين رقيقتين بعد دقيقة واحدة.

فكّرت أن في شكلها شيئًا فرنسيًا، وجلست على كرسي إلى جوار

يون أولاف. تقاطيع وجهها جميلة، لكن رعشة سرَت في جسدي عندما ضحكت مرة ثانية.

إن لديها هالة مشعّة من حولها.

قال يون أولاف: «ألا تريد بيرة؟ سوف يغلق المكان بعد قليل».

قبل دقيقتين فقط، كان مما يسرني أن يُغلق المكان بعد قليل. وأما الآن، فقد جعلتني تلك الفكرة قانطًا بتلك الطريقة نفسها التي أحسّها كلما ترك أحدهم حفلة شراب، وكأن كل شخص يغادر يجعلني أقترب من الموت خطوة، أو من كارثة أخرى.

قلت له: «أنا آتٍ معك». ثم تبعته في اتجاه البار.

قال يون أولاف: «أستطيع حمل كأسيّ بيرة».

قلت: «من هي؟».

«من؟».

«الفتاة الجالسة إلى الطاولة».

استدار يون أولاف ونظر إلى الطاولة. ألم ينتبه إلى وجه فتاة جالسة هناك، معهم؟ قال لي: «أوه، هذه! اسمها إنغفيلد».

«هل أنت على معرفة جيدة بها؟».

«لا. لا أكاد أعرفها. تعيش في كاوبانغر. لكني أعرف رفيقها. اسمه تورد. إنه ذلك النائم على الكرسي، هناك. هل تراه؟».

أمر مألوف!

وكأنّ من الممكن أن تكون لي فرصة معها حتى لو لم تكن على علاقة بذلك الشخص.

كنت في عطلة، في بيت أمي، مسافرًا بعد يومين فقط... فبماذا أحلم الآن؟ نظرة واحدة إلى غريبة جميلة؛ فهل أظن أن هذا هو مستقبلي؟ أنا وهي... أوه، حقًا؟

لماذا؟

لأن لها هالة مشّعة من حولها!

شربت نصف الكأس عند البار، في حين كان يون أولاف يدفع ثمن البيرة، ثم طلبت كأسًا أخرى وحملت الكأسين معًا عائدًا إلى الطاولة. بعد ذلك مباشرة، نهض أربعة من أصدقاء يون أولاف وانصرفوا. أدركت أنهم أتوا بسيارة واحدة، وأنهم ذاهبون الآن إلى بيوتهم.

الآن، لم يعد يجلس من حول الطاولة غير يون أولاف، وشخص كان يتحدّث معه، وإنغفيلد، وأنا... فضلًا عن رفيقها النائم. لكن وجوده لا يدخل في الحساب لأنه نائم!

شربت جرعتي بيرة كبيرتين.

كانت تنظر من فوق كتفها.

قلت لها عندما عادت عيناها إلى الطاولة أخيرًا: «أتريدين هذه البيرة؟ لم أمسّها. لم أشرب منها شيئًا».

«إن كان هناك شيء من الممكن أن يثير ريبتي، فهو أن يقدّم إلي شخص غريب تمامًا كأسًا من البيرة مضت عليها فترة وهي على الطاولة أمامه. لكنك تبدو لي شخصًا مسالمًا».

إن لها لهجة منطقة سوغْنِه. ضاقت عيناها عندما ابتسمت.

قلت لها: «إنني مسالم».

«لكن، أشكرك. لا أريدها لأن عليَّ أن أقود السيارة».

أشارت إلى الفتى النائم عند الطاولة وقالت: «لا بد لي من فعل أشياء كثيرة من بينها إيصاله إلى بيته».

قلت: «أنا سائق ماهر. أستطيع إعطاءك بضع نصائح، إن أردت ذلك».

«أوه، من فضلك! أنا سائقة سيئة جيدًا».

قلت: «قبل كل شيء من المهم أن تقودي السيارة بسرعة».

«أوه، هل هذا صحيح؟».

«يزعمون أن من الأفضل أن يقود المرء السيارة ببطء. لكني أظن أن القيادة السريعة أفضل».

«لا بأس. قيادة سريعة. هل هناك شيء آخر؟».

«ممم، دعيني أرى... نعم... ذات مرة، كنت أقود سيارة على الطريق. وكانت السيارة التي أمامي بطيئة جدًا. ولما كنت أرى أن القيادة ينبغي أن تكون سريعة فقد تجاوزت تلك السيارة. كان ذلك عند منعطف الطريق الضيقة فانحرفت بالسيارة إلى المسار المعاكس وضغطت على دواسة الوقود فتجاوزت السيارة الأخرى وصرت أمامها».

«ثم ماذا؟».

«هذا كل شيء. تابعت سيري».

«أنت لا تحمل رخصة لقيادة السيارة. أليس ما أظنه صحيحًا؟».

«ليست لديَّ رخصة. والحقيقة أنني معجب بمن لديهم رخصة لقيادة السيارة. في الواقع، لا أصدق أنني وجدت الجرأة لكي أكلّمك، فعادة أظل جالسًا في مكاني محدّقًا في الطاولة. لكن لديَّ الآن ما أشربه؛ وأنا أحب الحديث عن قيادة السيارات... من الناحية النظرية فقط. على سبيل المثال، أفكر كثيرًا في الكيفية السليمة لتبديل السرعات حتى تكون القيادة سلسلة... العلاقة بين المحرك والمسننات ودواسة الوقود والمكابح. لكنني أعرف أن هذا ليس مما يثير اهتمام الجميع».

نظرت إليها: «هل لدى صديقك رخصة قيادة؟».

«كيف تعرف أنه صديقي؟».

«من هو؟».

«هذا الذي على الكرسي؟».

«نعم، هل هو صديقك؟».

ضحكت وقالت: «نعم، إنه صديقي. ولديه أيضًا رخصة لقيادة السيارة».

قلت: «هذا ما ظننته. هل كانت قيادة السيارات ما قرّب بينكما؟».

هزت رأسها وقالت: «لكن، يبدو لي أنها ما يفرّق بيننا الآن. كان في وسعي أيضًا أن أشرب بضع كؤوس من البيرة... عندما يكون نائمًا خاصّة. ألم يكن من الأجدر به أن يغفو من غير أن يشرب. لو فعل ذلك، لاستطعت شرب هذه الكأس».

نظرت إليَّ وسألتني: «هل أنت مهتم بأي شيء آخر غير قيادة السيارات؟».
قلت: «لا». ثم تناولت جرعة بيرة... «وأنت، بماذا تهتمين؟».
قالت: «أهتم بالسياسة. إن لديَّ شغفًا كبيرًا بالسياسة».
«أي نوع من السياسة؟ السياسة المحلية؟ السياسة الخارجية؟».
«السياسة فحسب. السياسة على وجه العموم».
قال يون أولاف: «هل تغازلين ابن خالتي في حين يغفو صديقك هنا؟».
قالت له: «لست أغازله. إننا نتحدث عن السياسة. وبعد ذلك، أظن الأمر سينتهي بأن نتحدّث عن المشاعر والعواطف... إن كنت أعرف نفسي».
قلت لها: «أنا واثق من أنك تعرفين نفسك».
«إن لدي حياة عاطفية مضطربة. فماذا عنك؟».
«حياتي العاطفية فقيرة في واقع الأمر. نعم، إن أردت الصدق. عادة، لا أتحدّث عنها أبدًا. لكن فيك شيئًا جعلني أكثر شجاعة».
«عادة ما يكون للفتيات المتهكّمات هذا التأثير على الآخرين. هذا ما أعرفه من تجربتي. ففي آخر المطاف، يضيق الناس ذرعًا بالسخرية والتهكّم إلى حد يجعلهم يفعلون أي شيء من أجل إيقافهما. منذ أن صرت متهكّمة، حدثني أشخاص كثيرون عن تفاصيل حساسة في حياتهم».
توقّفت الموسيقى في الصالة.
التفت يون أولاف صوبي وقال: «إذًا، ألا نذهب؟».
أجبته: «لا بأس». نظرت إليها أثناء نهوضي وقلت لها: «قودي السيارة مسرعة في طريق عودتك إلى البيت!».
قالت: «سأقودها كأنني خفاش آتٍ من الجحيم».

استيقظت صباح اليوم التالي فكانت إنغفيلد باقية في ذهني. وفي الصباح، عاد يون أولاف إلى مكان إقامته بعد أن أمضى الليلة في بيتنا. إنه صلة الوصل الوحيدة بيني وبينها. من هنا، جعلته يعدني قبل ذهابه بأن يرسل

إليَّ عنوانها فور وصوله إلى بيته، مع أن شيئًا أخبرني بأنه لن يفعل هذا إلا على مضض... ففي آخر المطاف، يعرف أنها تخرج مع واحد من معارفه.

كان إحساسي أن عودتي إلى هافيورد لا معنى لها على الإطلاق. وأما من ناحية أخرى، فقد اقتربت نهاية السنة ولم يعد أمامي إلا ثلاثة أشهر قبل أن أنتهي من هافيورد إلى الأبد. بعدها، أصير قادرًا على قضاء بقية حياتي كلّها في محيط مألوف... إن كان هذا ما أريده حقًا.

ظلّت الرسالة التي وصلتني من يون أولاف راقدة في صندوق بريدي عدة أيام بعد عودتي. إنها تعيش في كاوبانغر -هكذا كتب لي- وهي في السنة الثالثة في مدرسة سوغندال الثانوية.

فكرت في أن كاوبانغر لا بد أن تكون مكانًا رائعًا جدًا.

أمضيت أكثر من أسبوع كامل في كتابة رسالة إليها. هي لا تعرف عني شيئًا؛ ولا فكرة لديها حتى عن اسمي. ولا شك أبدًا في أنها نسيت أمري لحظة خروجها من الديسكو تلك الليلة. لهذا كله، لم أكشف لها هويتي على الفور، بل تطرّقت مرة أو مرتين إلى قيادة السيارات حتى تستطيع -إن تذكرت- أن تستنتج هوية كاتب الرسالة. لم أعطها عنواني. إن كانت راغبة في الرد على رسالتي، فلا بد لها من بذل بعض الجهد من أجل ذلك. من خلال هذه الطريقة، كما بدا لي، سوف أُحدث أثرًا أكبر في وعيها.

وفي ذلك الأسبوع نفسه، أعددت طلب الالتحاق بدورة الكتابة لدى «أكاديمي» في بيرغن. أرادوا الاطلاع على عشرين صفحة من النثر، أو من الشعر، فوضعت الصفحات العشرين الأولى من روايتي في المغلف، وكتبت إليهم رسالة قصيرة تحدّثت فيها عن نفسي، ثم أرسلت ذلك كله.

الآن، صارت الصباحات منيرة عندما أستيقظ وأنزل إلى الطابق السفلي

لكي أستحم وأتناول طعام الإفطار. النوارس تزعق في الخارج. وإذا فتحنا نافذة المطبخ، نكون قادرين أيضًا على سماع الأمواج تصفع الحجارة في الأسفل وتخرخر بينها. وفي المدرسة، يجري الأطفال الصغار هنا وهناك في الاستراحات مرتدين كنزاتهم وأحذيتهم الرياضية؛ وكان التلاميذ الأكبر سنًا يجلسون على الأرض مستندين إلى الجدار رافعين وجوههم إلى الشمس. كل ما جرى في الظلمة، عندما انغلقت الحياة على نفسها من حولي، وصار أصغر التفاصيل محمّلًا بالتوتر وبقدر كبير من الكثافة والثقل... ذلك كله بات الآن يبدو شيئًا يصعب تصديقه لأنني صرت أرى كل شيء، في هذا الفضاء المفتوح الرحب، تحت فيض النور المتمهّل هذا... صرت أراه مثلما كان.

فكيف كان؟

لم يكن فيه أي شيء خاص. كان مثلما كان!

آه... لا أزال ألقي نظرات سريعة على ليف عندما تسنح لي فرصة لفعل ذلك من غير إثارة انتباه أحد. ولا يزال ممكنًا أن تعتريني رجفة في دروس اللغة الإنجليزية عندما أرى جسد كاميلا الممتلئ امتلاء جميلًا، جالسًا هناك. لكن انحناءاتهنّ وتكويراتهنّ وكل ما فيهنّ من نعومة وجمال لم يعد له ذلك الأثر المشوّش عليّ. لماذا؟ لأنني لم أعد مسحورًا بهن. أرى، ويعجبني ما أراه، لكنه لم يعد جزءًا مني. مع أندريا، كان الأمر مختلفًا. أندريا شيء خاص. ولكن، إن كنت أسعدُ عندما تنظر إليّ بطرف عينها مثلما تنظر إليَّ أحيانًا، فأنا لا أُظهر شيئًا من تلك السعادة، ولا يستطيع أحد أن يرى ما أحسّه، حتى هي.

ماذا كان شعوري؟

فلنقل إنه كان لا شيء. كان رقة... هذا كل ما في الأمر... شيء خفيف لطيف متلألئ يمر بي ثم يمضي لأن لا حقّ له في أن يكون موجودًا.

وذات يوم، وصلتني رسالة من كاوبانغر.

لم أكن قادرًا على قراءتها واقفًا في مكتب البريد، ولا جالسًا في البيت،

ولا مستلقيًا في السرير. ينبغي أن يكون الجو ممتازًا. لذا، وضعت الرسالة جانبًا وتناولت الطعام مع نيلز إيريك ودخنت سيجارة وشربت فنجان قهوة، ثم أخذت الرسالة معي وذهبت إلى شاطئ البحر. جلست على صخرة وفتحتها.

علت من حولي رائحة قوية، رائحة ملح وأعشاب بحرية متحللة. كان الهواء ساكنًا أدفأه نور الشمس. لكن هبّة ريح كانت تأتي، من حين إلى حين، وتنداح صوبي من جهة الفيورد، فتأخذ كل شيء معها، ولا يظل بعد ذلك غير انتظار طويل إلى أن يتجمّع كل شيء من جديد. قمم الجبال الواقعة إلى الناحية الأخرى من الفيورد لا تزال بيضاء؛ وأما إذا التفتُّ ونظرت صوب القرية، فإن لمسات واهية من الخضرة بدأت تظهر على الأرض. صحيح أن الشجيرات والأشجار الواطئة لا تزال من غير حياة، لكنها لا تبدو الآن ميتة مثلما كان مظهرها في الشتاء... أراها واقفة، متأهبة، كأنها قادرة على الإحساس بأن الحياة في طريق عودتها إليها.

فتحت الرسالة وبدأت أقرأ.

لم تكتب لي شيئًا عن نفسها. مع هذا، بدأت تتكوّن لدي صورة عنها، وبدأت أحسّ من تكون. أحسست بأن هذا أمر مختلف. إنه مختلف تمامًا. شيء مختلف تمامًا.

كأنني صرت شخصًا جديدًا عندما طويت الرسالة وأعدتها إلى مغلفها. سرت بخطوات بطيئة عائدًا إلى البيت. إن لها هالة مشعّة من حولها. وكل جملة من جملها -مهما تكن حذرة أو متردّدة - كانت دليلًا شاهدًا على ذلك.

فكرت في الصعود إلى الباص صباح اليوم التالي. ثم السفر بالمركب إلى ترومسه والطيران إلى بيرغن والصعود إلى مركب ذاهب إلى سوغندال حيث أقف أمامها، بكل بساطة، وأعلن أن كلًا منا مُنتمٍ للآخر.

لم أكن قادرًا على ذلك، بطبيعة الحال، لأن من شأنّه أن يودي بكل شيء. لكن... هذا ما كنت راغبًا في فعله.

بدلًا من ذلك، جلست وكتبت إليها رسالة أخرى. حرصت على خنق أية إلماحة إلى الانفتاح أو العاطفة في مهدها. سوف تكون رسالة بارعة محسوبة، قادرة على الاستفادة من كل ما لدي من وسائل... رسالة تجعلها تضحك، تجعلها تفكّر، تبعث فيها رغبة في أن تعرفني.

ففي آخر المطاف، الكتابة شيء أستطيع فعله.

في السابع عشر من أيار، جلست أقرأ في البيت طيلة النهار. كان منتظرًا من المعلمين أن يشاركوا في مسيرة يوم الدستور وما يليها من نشاطات. لكن هذا لم يكن إلزاميًا. وعندما مرَّ موكب المسيرة الهزيل في الطريق أمام البيت، كنت جالسًا على الأريكة أنظر إليه من النافذة، وأسمع أنغام الأبواق الواهية تصحبها هتافات متفرقة. كنت مستلقيًا على الأريكة أقرأ رواية «*سيد الخواتم*» التي قرأتها منذ سنتين فحسب، لكني نسيتها نسيانًا تامًا. لم أكن قادرًا على الارتواء من القراءة عن المعركة بين النور والظلمة، بين الخير والشر. وعندما تمكّن الرجل الصغير من مقاومة قوى كبرى، بل تمكّن من إظهار أنه بطل أقوى منها كلها، طفرت الدموع إلى عينيّ. أوه، كم كانت رواية حسنة. أخذت حمامًا وارتديت قميصًا أبيض وبنطلونًا أسود، ووضعت زجاجة فودكا في كيس وسرت صاعدًا إلى بيت هيمينغ حيث اجتمعتْ ثلة من أشخاص يشربون. كانت هناك حفلة في فوغلويا، فذهبا إليها بالسيارة بعد بضع ساعات. أكون في ساحة وقوف السيارات أتحدّث مع الآخرين، وأصير بعد دقيقة على حلبة الرقص ملتصقًا بهذه أو تلك، أو أصعد مع هيوغو إلى سقيفة حيث أحاول إثبات أنني لست شخصًا ضعيف الجسم مثلما يراني الجميع. ضحك هيوغو ورماني على الأرض، لكني قفزت واقفًا، فرماني على الأرض من جديد. كان أقصر مني قامة، أقصر كثيرًا، فكان هذا أمرًا مهينًا. جريت خلفه وقلت له إنه لن يستطيع فعلها مرة أخرى، لكن الكَيْل كان قد طفح به، فأتى إليّ وشد ذراعيه من حولي، ثم رماني على الأرض بقوة جعلتني شبه عاجز عن التنفس. تركوني هكذا لاهثًا

من أجل الهواء مثلما تفعل سمكة. أخذت معي زجاجة الفودكا التي صارت شبه فارغة وجلست على رابية صغيرة قريبة من ساحة وقوف السيارات. كان الضياء محوّمًا فوق المنطقة كلها. بدا لي أن في ذلك الضياء شيء دبق، ثم لا أتذكر أي شيء مما جرى، إلى أن رأيت نفسي أفتح بابًا وقف أمامه جماعة من الصيادين الشباب. لا بد أنني قلت لهم إن لديَّ قدرًا من الخبرة في هذه الأمور، وأظنني أعطيتهم انطباعًا مفاده أن بابًا مقفلًا ليس مشكلة بالنسبة إلي لأنني قادر على فعل كل شيء، وأن لي قدرًا من الخبرة في كل شيء. لكنني جربت المفاتيح كلّها، تلك المفاتيح التي وجدتها في درج في الطابق السفلي؛ ثم جربت مفك البراغي وأدوات كثيرة أخرى، فأدركوا أخيرًا أننا لن نستطيع دخول الغرفة المقفلة في البيت الذي أسكنه مع نيلز إيريك. نزلوا واحدًا تلو الآخر عائدين إلى غرفة الجلوس التي كانت غارقة في ضياء الشمس.

عندما استيقظت، لم أستطع أول الأمر أن أتذكّر أي شيء. لم أعرف أين أنا، ولا في أي وقت من أوقات النهار كنت. اجتاحني ذعر، اجتاحني كلّي.

لم يكن الضياء في الخارج قادرًا على إخباري شيئًا، فمن الممكن أن يكون الوقت صباحًا ومن الممكن أن يكون ليلًا.

ولكن، لم يحدث شيء، أليس كذلك؟

آه، نعم، لقد حدث شيء. جريت خلف هيوغو فرماني إلى الأرض مرة بعد مرة.

حاولت تقبيل فيبيكِه عندما كنت أراقصها فأشاحت بوجهها جانبًا.

والفتاة الواقفة عند المدخل، الفتاة التي كان تعبير وقح يعلو وجهها... لقد توقفت عندها وتبادلنا بضع كلمات، ثم قبلتها.

كم كان عمر تلك الفتاة؟

قالت لي عمرها. إنها في الصف السابع.

أوه، يا إلهي... هل كان حدوث هذا ممكنًا؟

أرجوك يا إلهي، كن رحيمًا بي!

أوه، لا! أوه، لا!

بحق السماء... أنا معلّم! ماذا إن انتشر الخبر؟ معلم يقبّل فتاة في الثالثة عشرة في حفلة من الحفلات!؟

يا إلهي، يا إلهي القادر على كل شيء!

غطيت وجهي بكلتا يديّ. سمعت صوت موسيقى آتيًا من الأسفل، فتحاملت على نفسي وخرجت من الفراش. كنت غير قادر على البقاء هناك تعذّبني فظاعة أفعالي.

لا... عليّ أن أكون نشطًا، أن أتحرّك، أن أكلّم أحدًا يقول لي إن لا أهمية للأمر، وإن أمورًا من هذا النوع تحدث دائمًا.

لكنها لا تحدث. لم تحدث إلا معي.

ما الذي جعلني أقبّل تلك الفتاة؟ كان ذلك فعلًا تلقائيًا، عفويًا، لا أكثر. كان فعلًا أقدمت عليه نتيجة اندفاعة حمقاء. كان فعلًا لا معنى له.

من يمكن أن يصدّق هذا؟

وجدت نفسي مضطرًا إلى الاستناد إلى الجدار عندما خرجت من غرفتي. كنت مضطرًا إلى الاستناد إلى الجدار لأنني لا أزال ثملًا. وفي الأسفل، كان نيلز إيريك واقفًا عند الموقد يقلي ألسنة أسماك. التفت إليَّ عندما دخلت الغرفة. كان يرتدي قميصًا عليه خطوط متقاطعة، وبنطلونًا من بنطلونات رحلات المشي الخضراء التي لها جيوب كثيرة.

قال لي مع ابتسامة: «هكذا إذًا! أنت تشرّفني بوجودك!».

قلت: «لا أزال ثملًا».

قال: «أستطيع أن أرى هذا».

جلست إلى طاولة المطبخ وأرحت رأسي على كفيّ.

قال لي: «لم يكن ريتشارد مسرورًا هذا اليوم». أدخل الملعقة الخشبية الرقيقة تحت ألسنة الأسماك ورفعها فوضعها في طبق. وضع في المقلاة دفعة جديدة من الألسنة المغلّفة بدقيق أبيض. هسهست الألسنة في الزيت. «وماذا قلت له؟».

«قلت له إنك مريض».
«لقد كان هذا صحيحًا».
«نعم، لكنه ظلّ غاضبًا. غضبَ كثيرًا».
«لست أبالي به البتّة. ليس باقيًا من السنة المدرسية إلا شهر واحد، فماذا يستطيع أن يفعل؟ هل يطردني من المدرسة؟ ثم إنني لم أمرض مرة واحدة طيلة السنة كلها. لذا، فالمسألة ليست مسألة كبيرة أبدًا».
«ألا تريد تناول شيء من ألسنة أسماك القد؟».
هززت رأسي نفيًا، نهض واقفًا، وقلت: «أظنني أريد أن أستحم».
لكن استلقائي في الماء محدّقًا في السقف كأن شيئًا لا قبل لي باحتماله، كان شيئًا غير قادر على أن يملأ نفسي سلامًا، بل على العكس تمامًا، لأنه وفّر لأفكاري المؤلمة كلّها فسحة كبيرة لكي تنتشر وتزداد. خرجت من الماء بعد بضع دقائق. جفّفت جسمي، ثم ارتديت بدلة رياضية لم أجد عندي شيئًا نظيفًا غيرها أرتديه. استلقيت على الأريكة وبدأت أقرأ «*فيليكس كرول*».
كنت أفلح في الاستغراق في القراءة استغراقًا تامًا بضع دقائق في كل مرة، ثم تعود إليَّ الأفكار المخيفة مثل صدمة كهربائية، فيتشوّه شكل كل شيء. ومن جديد، يكون عليَّ أن أقسر نفسي على العودة إلى عالم الكتاب، حيث أظل بضع دقائق قبل أن تأتيني صدمة أخرى تفتح جروحي.
دخل نيلز إيريك وشغّل شريط كاسيت. صارت الساعة الخامسة والنصف. وقف برهة ينظر إلى الفيورد، ثم جلس حاملًا صحيفة. ساعدني حضوره، لأنّ ما فعلته لا يبدو لي مخيفًا جدًا عندما يكون معي في الغرفة شخص ودود.
قرأت بصوت مرتفع فقرة تصف نظرة كرول إلى اليهود.
قلت: «لم يكن شخصًا نيّر العقل، هذا الثوماس مان. هذا عداء صرف للسامية».
نظر نيلز إيريك إليّ. وقال: «هذا يعني أنك لا تراه ساخرًا!».
«ساخر؟ لا. هل تراه ساخرًا؟».
«إنه مشهور بالسخرية».

«إذًا، هو لا يعني هذا حقًا. هل هذا ما تريد قوله؟».

«نعم».

قلت: «لا أظن هذا». قلت ذلك لأنني أكره أن يتخيّل نيلز إيريك أنه يعرف أكثر مني... كثيرًا ما يعرف أكثر مني.

عادت إليَّ صورة فتاة الصف السابع بشعرها المشعّث والتعبير الوقح على وجهها، عادت من جديد واضحة في عين عقلي. رأيت شفتاي تطبقان على شفتيها.

لماذا فعلت هذا؟ أوه، لماذا؟ أوه، لماذا؟

سألني نيلز إيريك: «ماذا بك؟».

قلت: «ماذا بي؟».

قال: «لقد فعلت هذا»... رفع رأسه وضيّق عينيه وشد على شفتيه كثيرًا.

قلت: «ما من شيء خاص. كنت أفكر في أمر خطر لي».

لكن، لم يحدث شيء. ذهبت إلى المدرسة صباح اليوم التالي، فلم يقل أحد شيئًا عما حدث. كان الجميع يتصرفون مثلما يتصرفون عادة، حتى التلاميذ الذين ظننت أن من الممكن أن يكونوا قد سمعوا بالأمر لأن من المحتمل كثيرًا أن بعضهم يعرفها.

لكن، لا. لا شيء!

هل يمكن أن يمر الأمر هكذا من غير أية مضاعفات؟ هل يمكن أن يمر الأمر هكذا؟

المكان الوحيد الذي كان ذلك موجودًا فيه هو داخلي. وإذا تركته يظل قابعًا حيث هو، فما من مشكلة أبدًا لأنه سيفقد قوّته شيئًا بعد شيء ثم يختفي آخر الأمر مثلما اختفت بقية الأمور المخجلة التي فعلتها من قبل... سيختفي عاجلًا أو آجلًا.

قبيل نهاية شهر أيار، وصلتني رسالة من «*أكاديمي*». وجدت الرسالة في صندوق بريدي. مزقت حافة المغلف وفتحته وقرأت الرسالة واقفًا هناك،

في مكتب البريد. لقد قبلوني. أشعلت سيجارة وبدأت السير عائدًا إلى المدرسة. سوف أتصل بأَمي لكي أخبرها؛ وسوف يسّرها النبأ. ثم سأتصل بإنغفه لأن هذا يعني انتقالي إلى بيرغن في الخريف القادم. على نحو غريب، كنت قد توقّعت أن يقبلوني؛ فمع إدراكي أن ما كتبته قد لا يكون جيدًا جدًا، وأن هذا قد يستوجب رفضي، فإنني أنا من أنجز تلك الكتابة... أمر أحسست بأنهم لن يكونوا قادرين على تجاهله.

انقضى شهر أيار، وبدأ شهر حزيران، فصار كل شيء كأنه يذوب في النور. لم تعد الشمس تغيب بل ظلت تنتقل في السماء طيلة النهار وطيلة الليل. لم أر من قبل شيئًا مثل هذا الضياء الذي تسكبه في البريّة. كان ضياء الشمس محمرًّا، ممتلئًا، كان كأنه منتم إلى الأرض وإلى الجبال حتى لكأنها صارت مشعَّة كلها... كأن ذلك كأًن بعد كارثة. ذهبت مع نيلز إيريك بالسيارة، ليلتين متتاليتين، فسرنا على الطرق الساحلية الخالية، وكنا كأننا على كوكب آخر، على كوكب غريب عن كل شيء. مررنا بقرى نائمة، وكان الضياء المحمرّ في كل مكان. كانت الظلال الغريبة في كل مكان. والناس في تحوّل أيضًا، يخرجون ليلًا، يسيرون أزواجًا... سيارات تمر بنا، وجماعات من شبان وشابات يجذفون منطلقين إلى نزهات في الجزر.

تلقيت رسالة أخرى من إنغفيلد. قالت إنها شمرت عن ساَقْيها حتى الركبتين وجلست مدلية قدميها في مياه فيورد سوغنِه وهي تكتب لي. كنت أحب فيورد سوغنِه، وذلك الإحساس الذي يوحي به سطح الماء فيه، إحساس بأنه عميق جدًا. وكنت أحب سلاسل الجبال العظيمة تعلوها قمم شاهقة مكتسية ثلجًا. كل شيء صافٍ؛ وكل شيء ساكن، أخضر، لطيف البرودة. هذه المرة، كتبت إنغفيلد عن نفسها أكثر من المرة الأولى، إنغفيلد التي تتحرّك في هذا المحيط الذي يؤثر في نفسي بطرق كثيرة. لكنها لم تستفِضْ كثيرًا في الكتابة عن نفسها. كانت نبرتها قريبة من حالة السخرية من النفس، وكانت في مزاج دفاعي. دفاعي أمام ماذا؟ كتبت تقول إنها أمضت

سنة في الولايات المتحدة من خلال برنامج لتبادل الطلبة، وإن هذا هو السبب في كونها لا تزال حتى الآن في السنة الثالثة من المدرسة الثانوية. هذا يعني أننا في سن واحدة. سوف تعود إلى الولايات المتحدة في الصيف لكي تمضي العطلة مع الأسرة التي استضافتها هناك. سوف يتجوّلون ويتجاوزون البلاد من أقصاها إلى أقصاها في سيارة رحلات. وعندما يأتي الخريف، ستذهب للدراسة في بيرغن.

أتى آخر يوم من أيام المدرسة. كتبت على اللوح عبارة «أتمنى لكم صيفًا جميلًا»، ووزعت دفاتر الدرجات على تلاميذي متمنيًا لهم حظًا طيبًا في حياتهم. تناولت الحلوى مع المعلمين في غرفة العاملين في المدرسة. صافحت الجميع وشكرتهم على السنة التي بلغنا آخرها. وعندما سرت في الطريق نازلًا إلى بيتي لم أكن -مثلما توقعت من قبل- فرحًا ولا مرتاحًا لحلول اليوم الذي أنتظره منذ أكثر من ستة أشهر... أحسست بأنني فارغ في داخلي.

أتى تور إينار بعد الظهر. جلب معه بعضًا من بيوض النوارس وصندوق بيرة ماك.

قال: «فضيحة أنكما لم تأكلا بيوض النوارس قبل الآن. هناك طبقان هما خلاصة شمال النرويج. موليا وبيوض النوارس. لا يجوز أن تذهبا قبل أن تجرّبا هذين الطبقين».

كانت حرارة نيلز إيريك مرتفعة، وكان راقدًا على الأريكة. ليس راغبًا أبدًا في شرب البيرة، أو في أكل البيض. لذا، كان علينا، أنا وتور إينار، أن نتولّى أمرهما.

«ما رأيك في الذهاب إلى الشاطئ؟». قال تور إينار هذا وهو ينظر إليّ مبتسمًا تلك الابتسامة العارفة... «الطقس رائع جدًا».

قلت: «لم لا؟».

لم أستطع أبدًا أن أهتدي إلى طريقة تعامل صحيحة مع تور إينار. كنا في

سن واحدة، وكانت بيننا أشياء مشتركة كثيرة، أشياء مشتركة أكثر مما كان بيني وبين نيلز إيريك. لكن هذا لم يفدني شيئًا، ولم تكن له صلة بالمشكلة. عندما أكون مع تور إينار، أجد نفسي دائمًا كأنني أؤدّي دورًا. لكنني لا أكون هكذا مع نيلز إيريك. لم يكن يعجبني أن أفعل هذا، ولم يكن يعجبني وجود مسافة فاصلة بين الشخص الذي كنته وبين ما أقوله... نوع من الإرجاء يسمح بفسحة للحسابات، كأنني أريد قول ما يحب سماعه بدلًا من قول ما أحب قوله، أو من الكلام على ما أحب الكلام عليه.

في حقيقة الأمر، كنت هكذا مع الجميع تقريبًا. بل إن سلوكي صار هكذا حتى مع يان فيدار الذي كان أقرب صديق لي خلال السنوات الخمس الماضية.

على أن تلك لم تكن مشكلة، بل شيءٌ غير سار، لا أكثر. العاقبة الوحيدة هي أنني صرت أحاول -أكثر الوقت- تفادي وجودي وحيدًا مع تور إينار.

لكن هذا غير ممكن الآن. مع ذلك، ولحسن حظي، كانت معنا زجاجات بيرة عندما سرنا نازلين إلى الشاطئ، ولم يقتض الأمر أكثر من زجاجتين قبل أن تختفي تلك المشكلة مثلما تختفي الكتابة على اللوح في المدرسة عند المرور عليها بإسفنجة رطبة.

تحت السماء الزرقاء العميقة، على مقربة من الماء الذي يلعب ضياء الشمس عليه، جلسنا معًا على صخرة. فتح تور إينار زجاجة بيرة وناولني إياها، ثم فتح لنفسه زجاجة أخرى. غمز لي بعينه وقال: «سكال».

قال لي: «نحن الآن نضحك، همم! آخر أيام المدرسة، والشمس ساطعة، ولدينا بيرة كافية لليلة طويلة».

قلت»صحيح».

بضعة زوارق صيد تقترب من الشاطئ، تعلو وتهبط على الأمواج وسط الفيورد. ومن خلفها ذيل من نوارس بحرية.

وذلك المشهد!

قال تور إينار: «إذًا، فلنحسب حصيلة هذه السنة، ما رأيك؟».

أخرجت كيس التبغ من جيبي، وقلت: «هل تعني السنة المدرسية؟».

قال: «نعم. هل حققت هذه السنة توقعاتك؟».

قلت: «لم تكن لديَّ أية توقّعات... لا أظن هذا. أتيت إلى هذا المكان فحسب آملًا في أن تسير الأمور على أحسن وجه. وماذا عنك أنت؟ هل أنت سعيد بهذه السنة؟».

تردّد قبل أن يقول مضيّقًا عينيه تحت وهج الشمس: «كل سنة من غير صديقة سنة سيئة». قال هذا ثم استدار صوبي.

«على أية حال، كانت لك بضع مغامرات هنا. إينِه وإيرينه! وتلك المعلّمة المؤقتة في فوغلويا. ماذا كان اسمها؟ آنِه؟».

قلت: «نعم. لكن الأمر لم ينجح معها. الحقيقة أن ما من شيء كان ناجحًا».

«ألم تحظَ بهن؟».

«لا».

«ولا واحدة منهن؟».

«لا».

نظر إليّ غير مصدّق ما سمعه... «أنا الذي كنت أظن أن واحدًا منا على الأقل قد واتاه الحظ هذه السنة. ثم تأتي الآن وتخبرني أن حظك لم يكن مواتيًا».

نظرت إليه وابتسمت، ثم قرعت زجاجتي بزجاجته. شربت آخر جرعة بيرة، ثم فتحت زجاجة أخرى.

سألته: «من الفتاة التي استهوتك أكثر من غيرها؟».

أجاب: «تونِه».

«إنها الفتاة التي رفضت تقرّبي منها عندما كانت تنظف أسنانها».

قلت: «نعم، إنها جميلة، جميلة حقًّا. كانت لي محاولة معها، لكنها لم تبدِ أي اهتمام بالأمر».

قال: «لا... الأمر ليس سهلًا. لكن لديَّ فرصة. سوف نسافر معًا. لا

أعني أننا مسافران نحن الاثنان لأن هناك أربعة غيرنا. لكن، يا ربي... شهر كامل من السفر عبر أوروبا. بالتأكيد، لا بد أن تسنح لي فرصة».

«هل أنت مسافر عبر أوروبا؟».

أومأ برأسه.

قلت: «وأنا أيضًا. الحقيقة أنها ليست مثل سفرتك. فسوف أتجول في أوروبا مع واحد من أصدقائي بعد انتهاء مهرجان روزكيلدِه».

قال: «إذًا، سأبذل ما أستطيعه لكي أتفادى لقاءك. لا أريد أن أسخّنها حتى تصير جاهزة ثم تأتي أنت وتأخذها مني».

قلت: «لا بدّ أن لديك نظرة متفائلة جدًا في ما يخص قدرتي على الإغواء. إن كان هناك أمرًا لا أجيده، فهو إغواء النساء».

قال: «خطتي هي أن أكون موجودًا أمامها. ليست لي فرصة غير هذا. سأسير خلفها في كل مكان كأنني كلب، وأكون دائمًا قريبًا منها. عند ذلك، آمل أن تعطف عليّ، عاجلًا أو آجلًا».

ارتعدت وقلت: «هذه صورة مفزعة».

«صحيح. إنها مفزعة، لكنها حقيقية».

«لهذا فهي مفزعة. أنا أيضًا، عندي شيء من هذا السلوك الكلبي».

مدّ لسانه ولهث لهاثًا ثقيلًا بضع مرات، مثلما يفعل كلب.

سألته: «هل هناك فتاة أخرى كنت تجري خلفها هذه السنة؟».

قال: «ليف». قال اسمها ونظر إليّ مباشرة.

قلت: «ليف؟».

قال: «نعم. الفتيات اللواتي في مثل سننا تركن القرية كلهنّ. لكنها جميلة جمالًا لا يصدّق. ألا ترى هذا؟».

قلت مع ابتسامة: «صحيح. هل رأيت جسمها؟ هل رأيت مؤخّرتها؟».

قال: «آه، نعم! إنها مذهلة. وأيضًا، كاميلا ليست سيئة».

قلت: «هذا صحيح؛ ليست سيئة. لكن، على الأقل، ليف في السادسة عشرة. كاميلا لا تزال في الرابعة عشرة».

قال: «ومن يهتم بهذا؟».

«أنت على حق».

فتحنا زجاجتَيّ بيرة جديدتين. ابتسم. كان وجهه غارقًا في ضوء الشمس.

قال: «ثدياها، هل رأيت ثدييها؟».

«بالطبع. لا أكاد أنظر إلى أي شيء آخر عندما يكون لي درس معهنّ».

«إنها جميلة. لكنها ليست متفوّقة على ليف».

قلت: «معك حق».

استدرت ونظرت في البعيد. سيارة صاعدة آتية في الطريق، آتية من ناحية مصنع الأسماك. ومن خلف السيارة، طفل سائر على الأسفلت حاملًا عصا يضرب بها الأعمدة المثبتة لتحديد حواف الطريق عندما يكون الثلج عميقًا. نورس بحري واقف على حافة سطح بيتنا يراقب المشهد كله.

قلت: «وأيضًا، هناك أندريا».

قال: «نعم».

«هي أيضًا فتاة جميلة جدًا. هل انتبهت إليها؟».

«نعم».

قلت: «الحقيقة أنني أفكر فيها كثيرًا».

قال: «أستطيع تخيّل هذا».

قلت: «لا نستطيع فعل شيء غير هذا. إنهن الفتيات الوحيدات في هذا المكان».

ضحكنا، وقلنا: «سكال».

قلت: «لها عينان مذهلتان. وتلك الساقان الطويلتان أيضًا».

«نعم. إذًا، ما رأيك في فيفيان؟».

«أختها أجمل منها كثيرًا».

«نعم، هذا صحيح. لكنها مليحة أيضًا. لديها سحرها الخاص».

«هذا صحيح».

سألت: «في رأيك، ماذا يمكن أن يحدث إذا سمع أحد حديثنا هذا؟».

رفع كتفيه وأجاب: «لن نستطيع بعد ذلك الحصول على عمل في التعليم. هذا أمر مؤكد». ضحك ورفع زجاجته ناظرًا إليّ. قال لي: «في صحة بنات المدرسة!».

قلت: «في صحتهن».

سأل: «والآن، ما رأيك في أمهاتهن؟».

«لم أفكر فيهن أبدًا».

«ألم تفكر فيهن؟».

سألته: «وهل فكرت أنت؟».

«أوه، نعم. بالطبع، فكرت فيهن».

قلت: «أظنني واقع، قليلًا، في غرام أندريا».

أجاب: «وأنا أيضًا ميّال إليها. لكني لست مغرمًا بها. وأما ليف، فهي تنير أيامي».

قلت: «نعم. لكنني مسرور لأن الأمر كلّه قد انتهى».

قال: «صحيح».

حزمت حوائجي صباح اليوم التالي، وأعدت إلصاق صناديق الورق المقوى، ثم حملتها إلى سيارة نيلز إيريك. سوف يأخذني بالسيارة إلى رصيف المركب السريع في فينسنس، حيث أرسلها إلى بيرغن. كانت مقتنياتي هي نفسها التي جئت بها السنة الماضية، ولم يكن فيها شيء جديد غير جهاز الستيريو وبضعة كتب وتسجيلات.

بعد فراغي من ذلك، قليت المقانق مع البطاطس، ثم تناولت الطعام في المطبخ مع نيلز إيريك. ستكون هذه آخر وجبة لي في القرية، إن نيلز إيريك باقٍ هنا بضعة أسابيع أخرى لأنه يعتزم قضاء هذا الوقت في المشي؛ وسوف يتولّى تنظيف البيت كلّه عدا غرفتي التي كنستها كنسًا سريعًا.

قال لي مع ابتسامة: «سأحتفظ بقيمة تأمين زجاجات البيرة حتى يكون تعويضًا لي عن مشقة تنظيف البيت. أظنه تعويضًا كافيًا».

قلت: «هذا جيد. ألا نذهب الآن؟».

أومأ برأسه، فخرجنا وجلسنا في السيارة. انطلقنا سائرَيْن سيرًا بطيئًا. ودّعنا الشرق والغرب. وكلما تقدّمنا مترًا، كان جزء من القرية يختفي إلى الأبد بالنسبة إليّ. لم أنظر خلفي، ولن أنظر خلفي أبدًا مهما تكن الظروف. لن أضع قدميّ هنا مرة أخرى.

اختفت الكنيسة الصغيرة، واختفى مكتب البريد، واختفى بيت أندريا وروالد، واختفى بيت هيغّه وفيدار. ثم اختفى المتجر، واختفت شقتي القديمة، واختفى بيت ستوره. ثم غاب المركز الاجتماعي وملعب كرة القدم، ثم اختفت المدرسة، ثم...

استرخيت مستندًا إلى ظهر مقعدي.

قلت في ظلمة النفق التي ملأت السيارة: «ما أشد روعة أن يكون هذا كله قد انتهى. لن أعمل مرة أخرى في أية وظيفة طيلة حياتي كلها. أنا واثق من هذا كل الثقة».

قال نيلز إيريك: «يتضح منذ الآن أنك ابن واحد من أصحاب السفن!».

قلت: «نعم».

قال: «إنها البضاعة نفسها، لكن في غلاف جديد. قلنا هذا الكلام في ما مضى. ما رأيك في أن تسمعنا شيئًا من الموسيقى؟ ألا تضع شريط كاسيت؟».

بعد قضائي ليلة في فندق رخيص في ترومسه، صعدت إلى الطائرة صباح اليوم التالي متّجهًا إلى بيرغن. وعند الساعة الثالثة، قفزت من باص المطار في بيرغن وسرت إلى فندق أوريون حيث يعمل إنغفه موظف استقبال. كنت أرتدي بنطلونًا قطنيًا أسود واسعًا عند الفخذين، وقميصًا أبيض وسترة سوداء، وحذاء أسود. على عينيّ نظارة راي بان الشمسية. حقيبتي الظهرية معلّقة على كتفي. الشمس مشعة، والماء في فاغن متلألئًا، ونسيم عليل آتٍ من ناحية الفيورد.

رأيت نفسي كأنني شخص بدائيٌّ يأتي إلى المدينة أول مرة في حياته. أجفل كلما مرت بي سيارة مسرعة، أو كلما هدر باص أو سيارة شاحنة على مقربة مني. رؤية تلك الوجوه كلّها، وجوه الناس السائرين على الرصيف جيئة وذهابًا، جعلتني أحس شيئًا من قلة الأمان. ثم تذكّرت شيئًا قاله إنغفه لي ذات مرة. قال إن صديقه بال يدعوهم دائمًا «سكان الشر الأكبر». وقال إنك تصير غير قادر على رؤية أي شيء آخر فيهم بعد أن تستقر هذه الفكرة في رأسك.

ابتسمت ابتسامة جذلى، ونقلت الحقيبة إلى كتفي الأخرى.

كان إنغفه خلف مكتب الاستقبال عندما دخلت الردهة. رأيته مرتديًا بدلة الفندق الرسمية، منحنيًا على خريطة صغيرة مبسوطة على المنضدة، يشرح شيئًا لرجل وامرأة في سن الكهولة يرتديان بنطلونين قصيرين، وعلى رأسيهما قبعتان، ومعهما حقيبتان ظهريتان. نظر إليَّ وأشار برأسه إلى الأريكة. ذهبت وجلست حيث أشار.

أتى إليّ فور انصراف الأميركيين: «سوف أنتهي من العمل بعد نحو عشر دقائق. عندها، سأبدّل ملابسي ثم ننطلق. هل اتفقنا؟».

قلت: «جيد».

إن لديه الآن سيارة، سيارة صغيرة من صنع ياباني استأجرها من فريق كرة القدم الذي يلعب معه. بعد نصف ساعة كنا متجهَيْن إلى شقته في سولهيمسفيكم. بيته على سفح الجبل، مرتفع قليلًا، قريب من نهاية صفّ طويل من بيوت مبنية من حجارة قرميدية ولها شرفات واسعة. صمّمت هذه البيوت في الأصل من أجل إسكان عمال الميناء.

جلسنا عند عتبة الباب، وفي يد كل منا زجاجة بيرة باردة. ومن غرفة الجلوس، تدفّقت نغمات أغنية «تينيج كيكس» لفرقة «أندرتونز». واضح أنها الفرقة المفضَّلة هذا الصيف.

قال لي: «هل ستذهب إلى مهرجان روزكيلده؟».

أومأت برأسي وقلت: «أظن هذا».

قال: «قد أذهب إليها أيضًا في زيارة سريعة. أرفيد وإيرلينغ ذاهبان. لكن هناك أيضًا أشخاصًا كثيرين غيرهم. لذا، لن يكون عليَّ إلّا أن أوفّر قليلًا من المال، ثم... سوف تقدّم فرقة 'تشيرتش' عرضًا هناك. هل علمت بهذا؟».

«هل هذا صحيح؟».

«نعم. لا أحب أن تفوتني فرصة رؤيتهم».

كانت السيارات واقفة، واحدة تلو الأخرى، إلى جانبَيّ الشارع. بشرٌ آتون وذاهبون من غير انقطاع. بشر يخرجون من البيوت القريبة. المدينة من تحتنا تضجّ بالحركة؛ وسيل لا ينتهي من سيارات تمرّ في الشوارع. وفي السماء، تظهر طائرة من حين إلى حين، ويمتد من خلفها ذيل طويل من بخار أبيض كثيف، ويبقى زمنًا طويلًا بعد ذهابها. الشمس ساطعة في السماء، ناحية الغرب. سقوف البيوت على سفح الجبل متلألئة بلونها الأحمر البرتقالي؛ وبين البيوت، أشجار تتمايل في النسيم.

دخلنا البيت بعد برهة. أعدّ إنغفه باستا كاربونارا لعشائنا. جلسنا عند العتبة بعد العشاء وشربنا زجاجتي بيرة. تباطأت أحاديثنا، فكأنّ مسافة فاصلة ظهرت بيننا منذ آخر لقاء لنا. لكن هذا لا أهمية له لأن من الممكن أن يكون له ألف سبب وسبب.

في إحدى رسائله التي كتبها إليّ، كان قد طلب مني -بطريقة غير مباشرة- أن أتذكر استخدام الواقي الذكري. سرّني اهتمامه بأن يقول لي هذا. لكني ابتسمت عندما رأيت ما كتبه لمعرفتي أنه لن يستطيع أبدًا أن يقوله لي وجهًا لوجه. كان قول ذلك ممكنًا من خلال رسالة... من خلال رسالة فقط... وبصورة عابرة. أو، لعله كان ثملًا عندما كتب تلك الرسالة!

قلت بعد أن جلسنا: «ألا تزال تعاني بعد فراقك عن كريستين؟».

قال: «إنها معاناة كبيرة».

«ألا تستطيع استعادتها؟ ألا ترى أملًا؟».

«أتظنني أجلس معك هنا إن كنت أرى أي أمل؟».

ابتسمت وقلت: «ربما لا».

قال: «كانت تلك غلطتي. اعتبرت وجودها معي أمرًا مفروغًا منه، مضمونًا. وعلى غير انتظار، صارت غير راغبة في الاستمرار. عند ذلك، كان الوقت قد فات. اللعنة على هذا... إنه أصعب ما أواجهه الآن لعلمي أنني كنت قادرًا على تجنّب هذه النهاية. لكني اعتبرتها شيئًا مفروغًا منه. لم أقدّر وجودها معي حق قدره».

«لكنك تقدّره الآن، أليس كذلك؟».

«نعم. أنا الآن في موقع يتيح لي مزية رؤية ما جنته يداي».

لم تعد أشعة الشمس متلألئة على سقوف البيوت. نزعت نظارتي الشمسية، ثم طويتها ووضعتها في جيب صدر قميصي.

قال إنغفه: «لا ينبغي أن تضعها هناك. لا يبدو شكلها حسنًا».

قلت: «أنت محق»، ثم أخرجت النظارة من جيبي.

«وبما أنني قلت لك هذا، فعلي القول أيضًا إن هذا الحزام المرصع بالمسامير قد ولّى زمانه».

قلت: «هذا ممكن. لكني سأستبقيه بعض الوقت».

حل صمت. دخّنّا ونظرنا إلى الشارع الذي غابت الشمس عنه لكنه ظل دافئًا.

سألت بعد حين: «هل أستطيع سؤالك عن أمر؟».

قال: «بالطبع تستطيع».

«متى فعلت ذلك... أول مرة؟».

التفت إليَّ التفاتة سريعة ثم عاد ينظر إلى الشارع.

«عندما كنت في الثامنة عشرة، كان ذلك في رحلة إلى اليونان عندما ذهبت مع هيلغِه، إن كنت تتذكّر هذا. على شاطئ آنتيباروس. في الليل. في ضوء القمر».

«هل هذا صحيح؟».

«نعم. كان ذلك متأخّرًا، لكنه جيد. أو... عندما أستعيد ما حدث... لعله يبدو أفضل مما كان! لماذا تسأل؟».

هززت كتفي ولم أقل شيئًا.

«لا تقل لي إنك لم تنم مع فتاة حتى الآن! لا تقل لي إنك لا تزال بكرًا».

قلت: «لا، لا، بالطبع لا. أنت تعرف أنني لست كذلك».

عدنا صامتَيْن من جديد. كان الهواء من حولنا ممتلئًا أصواتًا. النوافذ مفتوحة كلّها، وصياح كثير، ودرّاجات تمرّ بنا مسرعة، وسيارات تزحف ببطء متسلّقة سفح الجبل. ما أروع ذلك الصوت القاطع عندما تغلق أبواب السيارات!

لم يكن ما قلته كذبًا. فمن الناحية الشكلية، لم أعد بكرًا لأنني اخترقت تلك الفتاة في حفلة الخريجين. لم أخترقها كثيرًا... سنتيمتر واحد، أو سنتيمتران... ولكن، بحق الرب، حدث اتصال بيننا. لقد ضاجعتها. ما قلته ليس كذبًا.

قال إنغفه وهو ينهض واقفًا: «سوف أطلب سيارة تاكسي. نذهب أولًا إلى بيت أولاف. عليك أن تتعرّف على أولاف».

وصلت مقتنياتي بعد أيام من ذلك. وذهبنا واستلمنا الصناديق من رصيف هورتيغروته. وضعناها في القبو. وبعد ذلك، سافرت إلى كريستيانساند حيث أقمت معظم الوقت في مسكن لارس. بعد روزكيلده، سنذهب معًا مرتحلين عبر أوروبا. سوف نستوقف السيارات العابرة. وضعنا مخطط الرحلة: نذهب أول الأمر إلى برينديزي في أقصى شرق إيطاليا، ثم نعبر البحر إلى أثينا. ومن أثينا، نذهب إلى الجزر اليونانية. اقترحت أن نذهب إلى آنتيباروس، فوافق على اقتراحي. أفلحت أيضًا في العثور على وقت لزيارة جدي وجدتي، وغونار أيضًا. كان غونار قد سمع أنني في المدينة، فدعاني إلى بيتهم في آخر أمسية لي هناك. كان عليَّ أن ألتقي ولَديّ خالي؛ فنحن عائلة صغيرة، مثلما قال غونار. من المهم أن نظل على تواصل. أتى لأخذي من روندنغن. كانت توفِه تنتظرنا من أجل العشاء. أنفقنا المساء كلّه في الكلام. طيلة الوقت، ظل طفلاه في حضنه. حقيقة أنهما غير خائفين منه -كان واضحًا أنهما واثقان به

تمامًا- ظلت تفاجئني طيلة وجودي هناك. أسعد هذا قلبي. لم ينطق أحد كلمة عن أبي، فكان هذا أمرًا حسنًا... هكذا كان إحساسي. نمت في قبو بيتهما. وفي الصباح، بعد إفطار تناولناه على عجل، أخذني غونار بالسيارة إلى مرسى العبّارة حيث كان لارس وصديقته في انتظاري هناك.

أمضينا معظم الوقت على سطح السفينة أثناء عبورنا البحر إلى الدانمارك.

كانت الشمس ساطعة، والبحر هادئ كأنه ملاءة كبيرة ممتدة من حولنا. جلسنا على مقاعد السطح، نشرب وندخن. ننهض من وقت إلى آخر، ونتجول هنا وهناك. أنا خاصة... كنت غير قادر على البقاء مستقرًا في مكان واحد.

بعد وصولنا إلى روزكيلده بالقطار، وقفنا في صف الانتظار، وتلقينا عُصابات نضعها على أذرعنا، ثم دخلنا المخيم. كنت قد استعرت من لارس خيمة صغيرة لشخصين. خيمة بنية اللون. سوف ينام مع صديقته في خيمتها.

بعد نَصْب الخيام، تركت لارس وذهبت باحثًا عن باسن. لقد اتفقنا على اللقاء في نقطة التجمّع. اتفقنا على أن يذهب من يصل أولًا إلى تلك النقطة كل ساعة. لكني ذهبت أول مرة، فوجدته في انتظاري.

قلت له: «مرحبًا»، وابتسمت... «ما رأيك في أن نذهب ونتناول شرابًا».

ضحك عندما أخبرته عن الفترة التي أمضيتها في شمال النرويج. لم أخبره شيئًا عن أندريا، ولن أفعل هذا أبدًا. لن أخبر عنها أحدًا، فما من سبب يدعوني إلى ذلك.

خرجنا في جولة استكشافية. لم يصل أشخاص كثيرون حتى الآن. قال لي إنه جائع. قلت له إنني جائع أيضًا. وعندما مررنا بمخيم لـ«ملائكة الجحيم» ورأينا أنهم يشوون على النار قطع لحم كبيرة، توقّف باسن وصاح بهم: «مرحبًا! هل نستطيع الحصول على شيء من طعامكم؟ نحن جائعان كثيرًا! قطعة لحم من أجل شابَّين نرويجيين!».

نهض أحدهم وأتى صوبنا.

قال باسن: «سوف يسمح لنا بالانضمام إليهم. إنهم أفضل كثيرًا مما هو شائع عنهم. إذا لم تكن عدوانيًا معهم، فلن يكونوا عدوانيين معك».

قال عندما اقترب «ملاك الجحيم» منّا: «مرحبًا من جديد!» - لم يكن الرجل ذو شعر طويل فحسب، بل له أيضًا شارب طويل معقوف مثل مقود الدراجة، وبنطلون جلدي، وسترة جلدية، وعصابة على جبهته من تحتها نظارة شمسية داكنة جدًا - صار على مسافة أمتار معدودة منا.

اقترب منا مسرعًا ولم يكن ظاهرًا في حركته أي قدر من المودة. لكن، لعل الأمر مثلما قال باسن: هم يبدون خطيرين، لا أكثر.

توقف، بصق علينا... ثم استدار ومضى.

وقعت البصقة اللزجة على صدر باسن.

«يا إلهي»، قال هذا ونحن نبتعد سريعًا، غاضبين، مذعورين: «لقد بصق علينا! لماذا فعل هذا؟ لم نرد شيئًا غير قليل من الطعام».

قلت: «أوه، خراء! الظاهر أننا تصرّفنا برعونة. أظنهم أشخاصًا خطيرين فعلًا».

ضحك باسن وقال: «نعم. نحن الآن منطلقان في العالم الكبير الواسع، يا كارل أوفه».

ضحكت بدوري. ذهبنا وشربنا المزيد، وتناولنا قليلًا من الطعام. عدت إلى الخيمة بعد ساعة. لا بد لي من قضاء بعض الوقت مع لارس، ومع الآخرين أيضًا؛ ففي نهاية المطاف، جئت إلى هذا المكان معهم. وجدتهم جالسين في الخارج يشربون النبيذ ومعهم فتاة لم أرها من قبل.

قال لارس: «سلّمي على جارنا».

قالت الفتاة: «مرحبًا. اسمي فيلدِه».

صافحت يدها الممدودة. فهمت بعد ذلك أنها آتية من كونغزفينكر، وأنها سافرت من النرويج وحدها من أجل حضور هذا المهرجان. بعد المهرجان ستذهب لزيارة أصدقاء لها في آرهوس. هكذا قالت لي.

كانت داكنة الشعر، فيها شيء من البدانة. فتاة ذات طبيعة منطلقة، عنيدة

بعض الأحيان. علمت أيضًا أنها تكبرني بسنتين اثنتين. كانت عيناها بنيتين، غير منفتحتين دائمًا؛ لكنهما تكشفان عن لمحات رقّة مفاجئة.

راحت زجاجة النبيذ تدور بيننا، وعندما فرغتْ ذهبت فيلده إلى خيمتها فأتت بزجاجة أخرى. ركعت على الأرض وفتحت الزجاجة. جعل ضغط انحنائها فخذَيْها تبدوان ثخينتين كأنهما جذعان من جذوع الأشجار.

قالت: «ها هي». ثم ناولتني الزجاجة. وابتسمت لي.

بعد نصف ساعة، فرغت هذه الزجاجة أيضًا. تبادل لارس مع صديقته نظرة سريعة.

قال وهو ينهض واقفًا: «لا بأس. أظننا سنذهب في جولة في المكان».

أمسك بيدها، ثم مضيا ذاهبين.

ارتعشت لخشيتي من أن شيئًا مخيفًا سوف يحدث.

لكن، ما هو؟ لم أدرِ! إلا أن فكرة سريعة مرَّت في ذهني، فكرة أن قدومي إلى هذا المكان كانت غلطة. لقد مررت بالكثير، ولم أعد قادرًا على احتمال المزيد.

قالت فيلده: «لم يعد لدينا نبيذ. ما رأيك في أن تأتي معي لنشتري بضع زجاجات جديدة؟».

قلت: «فلنذهب».

خلال سيرنا كنت أنظر من حولي باحثًا عن إنغفه وأصدقائه. لكنني لم أرهم: إن في هذا المكان عشرات ألوف الأشخاص.

قالت فيلده: «ماذا بك؟ تواصُل؟ تواصُل؟».

قلت: «ماذا؟».

«أنت سائر معي! كن اجتماعيًا، ولو قليلًا».

قلت: «لا بأس». ولم أستطع الاهتداء إلى شيء أقوله.

سألتني: «هل تبحث عن أحد هنا؟».

«أخي هنا، على ما أظن. ومعه أصدقاؤه».

«هل هو وسيم مثلكَ؟».

احمرَّ وجهي ونظرت إليها. ضحكت ومرّت بيدها على كتفي بحركة خفيفة.

قالت: «إنني أعابثك فحسب! أمر طريف أن أرى كيف يحمرّ وجهك».

قلت: «لم يحمرّ وجهي».

قالت: «من الواضح أنك لست شخصًا صلبًا مثلما يظهر عليك!».

توقفنا أمام أكشاك البيع. اشترت ثلاث زجاجات نبيذ، ثم عدنا أدراجنا.

قالت فيلده: «ما رأيك في أن نذهب إلى خيمتي؟ إنها كبيرة. نستطيع أن نجلس ونشرب في الداخل».

قلت: «نعم». انفتحت هوّة عميقة في داخلي.

دخلنا الخيمة، خيمتها. جلسنا على الأرض. فتحت فيلده زجاجة نبيذ. نظر كل منا إلى الآخر. مدت يدها وأمسكت بي. مددت يدي وأمسكت بها. استلقت على الأرض. نزعتُ قميصها الخفيف من فوق رأسها، فاندلق ثدياها. ففككتُ أزرار بنطلونها وأنزلته فعرّيت ردفيها. أوه، يا إلهي... لحم كثير جدًا! انحنيت فوقها وقبّلت فخذيها الأبيضين. دسست أنفي في سروالها التحتي الأسود. وفي الوقت نفسه، مددت يديّ إلى ثدييها، كلتا يديّ. قالت لي، اخلع ملابسك، هيا، أسرع، أسرع، أسرع، أريدك الآن. قفزت واقفًا، وخلعت قميصي من فوق رأسي، ثم أنزلت بنطلوني وخلعته ناظرًا إليها وهي تخلع سروالها التحتي وتستلقي على الأرض عاريةً. رفعت ساقيها قليلًا وباعدت بينهما. صرت شبه عاجز عن التنفس. كان سروالي التحتي منتفخًا كأنه خيمة صغيرة. خلعته ونزلت إليها. أحاطت رأسي بيديها. حاولت أن ألجها، لكني أخطأت الهدف. أوه، لا، لا، لا، يا إلهي، أرجوك، ليس الآن! قالت، انتظر لحظة. سوف أساعدك. ها هو، نعم، أوه، هكذا تمامًا. صرت داخلها وأفلحت في طعنها مرتين قبل أن يتقلّص كل شيء في داخلي. احتضنتها بقوة.

أوه، كان هذا سريعًا جدًا. كان محرجًا.

داعبَتْ شعري بضع مرات.

مكتبة
t.me/soramnqraa

استلقيت على ظهري، إلى جوارها.

على الأقل، استطعت إدخاله.

كانت تلك أول مرة.

ابتسمت لنفسي.

قلت لها: «ما رأيك في أن نشرب نبيذًا؟».

قالت: «سأشرب قليلًا».

أخذ كل منا جرعة من الزجاجة.

قالت لي: «كم فتاة ضاجعت من قبل؟».

احمرّ وجهي فحاولت إخفاء حرَجي بأن رفعت الزجاجة إلى فمي من جديد. ثم تظاهرت بأنني أحصي العدد.

قلت لها: «في الواقع، عشرة».

قالت: «هذا كثير».

سألتها: «وأنتِ؟».

«ثلاثة».

«ثلاثة؟».

«نعم».

«أأنا الثالث، أم الرابع؟».

«أنت الثالث. ولكن، ألا تحب أن تكون الرابع أيضًا؟».

«نعم».

هذه المرة، سار الأمر على نحو أفضل قليلًا. لعل عشرين ثانية انقضت قبل أن نستلقي من جديد، متجاورَيْن. شربنا مزيدًا من النبيذ. طوّقتها بذراعي والتصقت بجسدها المكتنز. غفونا متعانقَيْن. كان الظلام قد حلَّ عندما استيقظنا. فعلناها من جديد. ثم فعلناها من جديد.

ظللنا مستلقيَيْن، نثرثر ونضحك ونشرب. قلت في نفسي إن هذا صحيح، إنه حقيقي، إنه حقيقي جدًا. أنا مستلقٍ إلى جوار فتاة عارية أستطيع أن أفعل معها ما أشاء.

نمنا من جديد. وعندما استيقظنا فعلناها من جديد. ثم خرجنا في نزهة قصيرة. وقفنا دقيقتين نتابع مسرحية هزلية. شربنا معًا زجاجة نبيذ. ثم عدنا إلى الخيمة مسرعَيْن.

بقينا في الخيمة طيلة النهار. ثملنا أكثر فأكثر. لم أكن قادرًا على الاكتفاء من ثدييها الكبيرين الناعمين، ولا من مؤخرتها؛ ولم أكن قادرًا على سبر أغوار تلك السعادة الكبرى التي حلّت علي. وبينما كنا مستمرين في ذلك، انحرفت جانبًا ووضعت يدها على فمها. أدركت ما حدث فابتعدت عنها. حبت حتى باب الخيمة، وأنزلت سحابه. بدأت تتقيأ، صدرها نحو الخارج، ومؤخرتها في اتجاهي. سمعت أنينها. تقلّص جسدها مرة أخرى. رأيت مؤخرتها الكبيرة أمامي. وفجأة، صرت غير قادر على المقاومة.

وضعت يديّ على ردفيها. أدخلته فيها، وبدأت أشقّ طريقي من جديد.

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

انقر هنا .. اتبع الرابط!

عن المترجم

الحارث محمد النبهان

من مواليد دمشق - سورية، سنة 1961. حائز على إجازة جامعية في الهندسة الميكانيكية من جامعة دمشق. كانت بداية عمله في الترجمة سنة 1991. صدر له أكثر من أربعين عملًا مترجَمًا؛ من أهمها:

- نعوم تشومسكي: «سنة 501، الغزو مستمر»،
- هوارد زِن: «ماركس في سوهو» - مسرحية،
- إريك هوبسباوم وتيرنس رينجر: «اختراع التقاليد»،
- تشارلز تايلر: «المتخيّلات الاجتماعية الحديثة»،
- إيفان كليما: «حب وقمامة» - رواية،
- جورج أورويل: «1984» - رواية،
- جون ستيوارت مِل: «سيرة ذاتية»،
- سول بيلو: «مغامرات أوجي مارتش» - رواية،
- سنكلير لويس: «بابيت» - رواية،
- كارل أوفِه كناوسغارد: «كفاحي» - سيرة روائية صدر منها («موت في العائلة» و«رجل عاشق»).
- لاسلو كراسناهوركاي: روايتان: تانغو الخراب» و«كآبة المقاومة»
- فيليب روث: «حكاية أميركية» - رواية،
- دونا تارت: «الحسّون» - رواية.

رواية جميلة طريفة نشطة عن سنيّ المراهقة، وعمّا يقع فيه المراهق من أخطاء، يقدمها لنا كاتبٌ باتَ ظاهرة عالمية. إنه كارل أوفه كناوسغارد.

فور إنهائه المدرسة الثانوية، يذهب كارل أوفه إلى قرية نائية لكي يعمل فيها معلماً. هدفه أن يوفّر قدراً من المال لكي يستطيع أن يبدأ الكتابة. تتخذ الأمور مساراً حسناً أول الأمر، لكن الليالي تزداد طولاً فتنحو حياته منحى مظلماً. فيغرق في الشرب، وتنتهي محاولاته المتكررة لفقدان عذريته إلى تجربة مذلّة.

❖ ❖ ❖

"رواية بشرية على نحو جميل... الغرق في عالم كناوسغارد متعةٌ لا سبيل إلى مقاومتها". The Times

"لماذا تقرأ رواية نرويجية من ستة أجزاء في آلاف الصفحات؟ الإجابة المختصرة هي أنها رواية مبهرة تجعلك غير قادر على التوقف عن القراءة، بل حتى غير راغب في التوقف". The New York Times

"شيء لا يصدَّق ... أريد الجزء التالي كأنني مدمن يريد المخدر. لقد جعلتني في ذهول تام". Zadie Smith

"نجح كناوسغارد في التقاط المزيج المدوّخ من الحبور والتشوّش، لفترة أواخر المراهقة... عمل "مفعمٌ طاقةً وحياة"". Times Literary Supplement

"من خلال تقديمه نفسه كتلةً من المتناقضات، يتيح لنا كناوسغارد رؤية أنفسنا.. وينجح في هذا نجاحاً عجيباً". The Guardian

"أشد أجزاء السلسلة جاذبية حتى الآن". Daily Express

"عمل يُحدِث فيك تحوّلاً: إنه تصوير بارع لشاب متوتّر، فلسفي، مستَفِزٍ أيضاً". Sunday Business Post

"يكتب كناوسغارد نثراً نقياً صافياً... ويسرد تفاصيل مجرى حياته بقدر من المباشرة، يجعل كل شيء يبدو كأنه يحدث الآن". Washington Post

مكتبة
t.me/soramnqraa

التنوير
daraltanweer.com